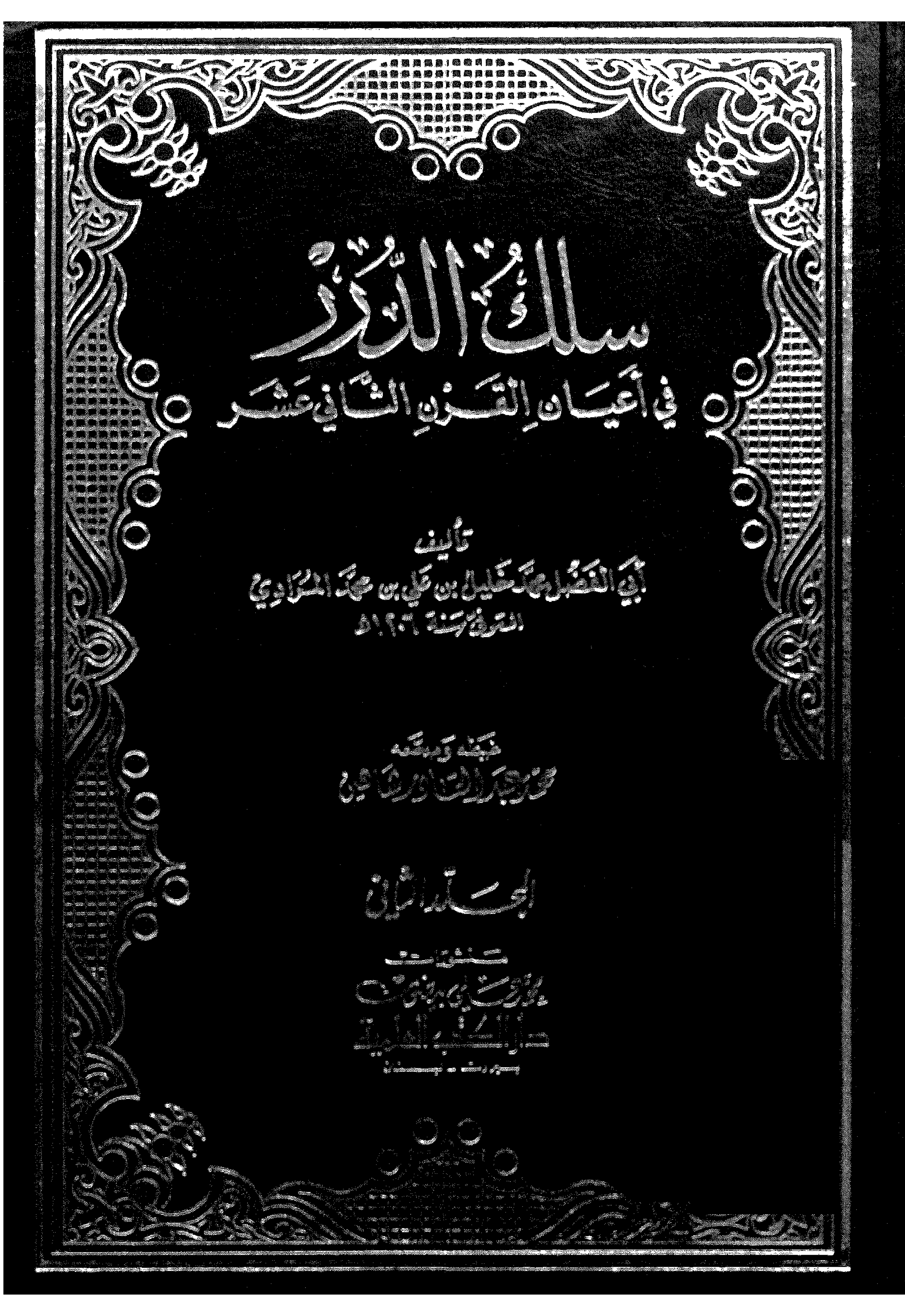


سلك الدرر
في أعيان القرن الثاني عشر
تأليف
أبي الفضل محمد خليل بن علي بن محمد المرادي
المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ
ضبطه وصححه
محمد عبد القادر شاهين
المجلد الثاني
منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

سلك الدرر

في أعيان القرن الثاني عشر

تأليف

أبي الفضل محمد خليل بن علي بن محمد المرادي
المتوفى سنة ١٢٠٦هـ

ضبطه وصححه
محمد عبد القادر شاهين

الجزء الثالث

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

دار الكتب العلمية
بيروت ـ لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH
Beirut - Lebanon
Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد عبد الرحيم بن أبي اللطف:

٣٢٥ ـ السيد عبد الرحيم بن أبي اللّطف بن إسحق بن محمد بن أبي اللّطف الحنفي القدسي مفتي الحنفية بالقدس، ورئيس علمائها، العلاّمة العالم الفاضل الشهير: كان هاشمي الطبع، حسن الأخلاق، مرضي الهمة، عالماً مفسراً فقيهاً نحوياً، ملازم الإفادة والتدريس، إماماً مقتدى ومستوفى العلوم العقلية والنقلية، ولد في سنة سبع وثلاثين وألف ونشأ بالجدِّ والاجتهاد، وأخذ العلوم على من ورد من الأفاضل إلى القدس، ثم ارتحل إلى مصر وجاور بها مدة ثم رجع ظافراً بمزيد الفضيلة حائزاً للعلوم الجليلة، واشتهر بالبلاد وانتفع به العباد، ثم ذهب إلى الديار الرّومية واستقام بها مدة مديدة وأكبَّ الأفاضل بها عليه، وقرأ في جامع السليمانية كثيراً من العلوم مدققاً منطوقها والمفهوم، ففي ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين وألف لازم من صدر الروم وقاضي العساكر المولى بالي زاده[1] مصطفى كعادتهم، ودخل في سلك المدرسين، فلما كان منفصلاً عن مدرسة بأربعين عثماني في سنة ثمان وستين أعطي إفتاء بلدته مع مدرسة العثمانية، ففي رجب سنة تسع وستين عزل من الفتوى والمدرسة من شيخ الإسلام المولى محمد الأسيري[2] لأمر صدر منه، فتبقّى في بلدته صفر اليد مكدر الحال، ففي رجب سنة اثنين وسبعين أعيد للإفتاء مع المدرسة من شيخ الإسلام صنعي زاده المولى السيد محمد وأعطاه اعتبار رتبة الداخل المتعارفة بين الموالي والمدرسين، وبعده أعطي اعتبار رتبة موصلة السليمانية مع قضاء صفد على وجه المعيشة، فبعد مدة بالقضاء الإلّهي حبس في أحد القلاع، وبعد أنْ خلص ذهب للديار الرومية لأجل

(١) بالي زاده ولي الإفتاء وهو خلف حنفي محمد في سنة ١٠٦٧، فخلفه بولوي مصطفى في تلك السنة.

(٢) محمد الأسيري البروسوي اتبع يولوي مصطفى في سنة ١٠٦٩ وترجمته في خلاصة الأثر وكان خلفه في المشيخة صنعي زاده السيد محمد في سنة ١٠٧٢.

عرض حاله إلى الدولة العثمانية العلية، فصادفه الحمام بأدرنة ولم ينل المرام، وكان حجَّ ولقي خلاصة الواصلين الشيخ أحمد القشاشي وهو يقرىء رسالة القشيري فأخذ عنه، ثم رجع إلى بلاده بأمر من شيخه المذكور، واشتهر في إفتائه ثلاثين سنة.

وألف وحقق وأفاد، فمن تصانيفه «الفتاوى الرحيمية»، وله كتابة على «منح الغفار» نحواً من عشرة كراريس، وكتابة على «الرمز شرح الكنز» للعيني، وعلى البزازية، والفتاوى الخيرية، وبعض من كتب الفقه جمعها ولد الفاضل السيد محمد الآتي ذكره، وسمّاها «الفوائد الرحيمية على كتب كثيرة من كتب السادة الحنفية»، وله رسالة في الاشتقاق وشرحها، وكتابات على حفيد المختصر، وعلى عصام القاضي، وله نظم رقيق جمعه ولده المذكور ديواناً، ومشايخه الذين أخذ عنهم وقرأ عليهم منهم العلاّمة الشيخ حسن الشرنبلالي[١]، والشيخ أحمد الشوبري، والشيخ علي الشبراملسي، والشيخ يّس الحمصي المصري، والشيخ سلطان المزاحي، والشهاب أحمد الخفاجي، والشيخ إبراهيم الميموني، والشيخ أبو السعود الشعراني، والشيخ يوسف الخليلي، والشيخ عبد الكريم الحموي، والسيد محمد بن علي الدمشقي، والشيخ محمد البلباني الدمشقي، والشيخ الأستاذ زين العابدين الصديقي المصري، وأخذ عنه جماعة من أهالي الروم منهم العلاّمة المولى أحمد بن سنان البياضي، والمولى محمد رفيعي زاده، والمولى أحمد چاويش زاده، والمولى قرة خليل علاّمة الروم، وشيخ الإسلام المولى عبدالله ابه زاده[٢]، ونقيب الأشراف المولى إبراهيم عشاقي زاده، ومن فضلاء مصر الشيخ أحمد الدقدوسي مفتي الحنفية، والشيخ شاهين الدمشقي الأصل، القاهري السكن، ومن أهالي دمشق الشيخ إسماعيل اليازجي، والشيخ صالح الجينيني ومن أهالي بلدته الشيخ أحمد العلمي، ومن أهل الرّملة الشيخ نجم الدين بن خير الدين الرّملي، وبالجملة فقد كان مفنناً في جميع العلوم حتى في الشعر فمن شعره قوله هذه النبوية:

أَبَرْقٌ بدا من نحو طيبة لامع ... ففاضت على تلك العهود مدامعُ
أمْ الشوقُ للسكان حرك كامناً ... فأحرق قلباً بالمحبّة والعُ
أمْ العيس حنّت للحجيج وشوّقت ... أم العين أبكاها الحمام السواجع
نعم راعني ذكر الحبيب صبابة ... فكلّي لأشواق الحبيب مجامع
أبات بذكراه أراقب بدره ... يلوح بأوصاف الثنا وهو طالع
فأنظم أوصافاً تحلّى بعقدها ... وأضحى علينا من سناها لوامعُ

---

(١) إن حسن الشرنبلالي وباقي من ذكروا في هذا الكتاب من المشايخ وغيرهم تجدْ تراجم أكثرهم في خلاصة الأثر لأنّ التواريخ مرايا العبر.

(٢) ابه زاده تولّى المشيخة مرة ثانية وخلفه محمد عطاء الله في سنة ١١٢٥.

ولما تباهى الوصفُ جيداً تزاحمت ... على وصفها للواصفين مطامع
تروم مداها السابقات وتنثني ... ودون المدا بعد الزمان موانع
أجدّد عمري في حياة نظامها ... فعمر سعيد ينقضي لي راجع
فأنسى بها يا عين قرّي سعادة ... إذا لمنى أمر وفيها المنافع
ويا نفس إنْ غبت عني فوقتنا ... لقد طاب قومي والعيون الهواجع
وقولي بك السؤل مولاي إنني ... إليك بجاه المصطفى العُمْر ضارع
إلهي بجاه الأبطحي محمد ... وعترته فرّج وعفوك واسع
نبي له الخلق العظيم سجيّة ... وفي وجهه نور النبوّة ساطع
تبارك من أبدى نبيّاً وآدم ... بطينته المجدول فيه الودائع
وأظهره منها نتيجة جدلها ... رسولاً لدعواه الأنام تسارع
أتيت رسول الله شمس هداية ... لها في قلوب المؤمنين مطالع
وأعربت عن علم الغيوب بأمره ... فأنت خيار الخلق للسرّ جامع
جليل إمام المرسلين وخاتم ... وهل أنت إلاّ في زها العزّ يانع

ومنها:

فيا خير خلق الله أنت ملاذنا ... إذا ضاق أمرٌ أو رمتنا المواجعُ
فجاهك أضحى للعصاة وقاية ... لها في قبول المذنبين مواقع
إلى فضلك المأثور سرنا ركائبا ... ومن ضرّه الحوباء ثم لواقع
رعى الله ذاك الفضل إنّ عيونه ... بنيل الهدى للشاربين قنائع
أيا ربّ قبل الموت والعود أحمد ... بسرّك في أهل السعادة ذائع
أنلنا إلهي بالنبي محمّد ... نبيّك من فينا بأمرك صادع
وصلّى وسلم دائمين كلاهما ... وتبْ واعف عنّي إنّني لك طائع
فبابك مقصود وعبدك واقف ... وفضلك موجود وعفوك رائع

وللمترجم له أيضاً:

من منّة المولى عَليّ أصوغُ ... نظماً وفي خير البرية يفرغُ
هو السؤل والمأمول في نيل المنى ... وإلى الجنان به نفوز ونبلغ
عذب المديح ثناؤه يحيي الحشا ... كالغيث يحيي الأرض بل هو أسبغ
إنْ ضاق ذرعك فالوسيلة جاهه ... والخير من تلك السّعادة يبزغ
كشف التيقظ عن قلوب أصبحت ... من حبّه بهنا النّعيم تصبغ
هذا النّبي الهاشمي محمّد ... يوم اللّقا سبلُ النّجاة يبلغُ
بمقامه المحمود خصّ مشفعاً ... جمع الخلائق بالشفاعة يسبغ

قامت له الأملاك تحت لوائه والرّسل صفواً ليس عنه مروّغ
كلٌّ يشير إليه ليس لغيره في فتح باب الفضل ما يتسوّغ
ما نال هذا قبْله أحد ولا من بعده أضحى لذاك مسوّغ
فتباهت الأزمان والعليا به والعيش مُذْ جاء الكريم يرغرغ
كم جاء بشرى الأنبياء لقومهم بالخاتم المختار أنْ قد يبزغ
ومحا الظلام ظهوره وبفجره يعلو الهدى فوق الضّلال ويدمغ
يا ليلة غرّاء أسفر صُبْحها والضوء من شمس الهداية ينبغ
فيها ابتهاجٌ والسرور مكرراً للدين حقاً إذْ أتاه مبلغ
يا سيد الرّسل الكرام ومن به غوثُ الورى أنت الكريم المسبغ
أنت الشّفيع بباب جاهك صبّحت منّا القلوب بثقلها تتمرّغ
واستوثقت بالحبِّ من زمن الصبا وازداد ما عن بابه تتروّغ

انتهى. توفي بأدرنة من بلاد الروم في صفر سنة أربع ومائة وألف ودفن على قارعة الطريق رحمه الله تعالى.

عبد الرحمن الشهير بشقده:

٣٢٦ ـ عبد الرحيم بن مصطفى بن أحمد الشافعي الدمشقي الصالحي، الشهير بشقده، الشيخ العالم الفاضل البارع: ولد بصالحية دمشق ونشأ بها، وأخذ في طلب العلم، فأخذ عن الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي، وأبي الفلاح عبد الحي العكري[1]، وأجاز له الأستاذ النابلسي إجازة خاصة كتبها له بخطه، ونبل وفضل، وكان يعظ بالجامع الجديد بالصالحية، ولوعظه تأثير في القلوب، وكان يخطب بجامع قرية برزة ويؤم في جامع العفيف بالصالحية، واختصر تاريخ شيخه العكري المسمّى «شذرات الذهب» اختصاراً حسناً. وله غير ذلك من الآثار والفوائد، وبالجملة فقد كان من آثار السلف الصالحين وأهل الفضل والديانة، وله شعر قليل وقفت على شيء منه، وكانت وفاته نهار الجمعة ثامن صفر سنة ستين ومائة وألف عن تسعين سنة تقريباً، ودفن بسفح قاسيون بقرب ضريح الشيخ عبد الهادي.

عبد الرحيم المنير:

٣٢٧ ـ عبد الرحيم بن السيد أسعد بن إسحق، المعروف كأسلافه بالمنير، الشافعي الدمشقي الشيخ الفاضل: كان صالحاً كاتباً، له مشاركة في العلوم، وكتب كتباً بخطّه كثيرة، وكان ساكناً مستقيماً، ولد بدمشق في سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف كما أخبرني هو من لفظه، وحفظ القرآن على والده المقدّم ذكره وهو في سن السبع، وأقرأه بعده مقدّمة التجويد للميداني والجزرية والأجرومية مع إعرابها للشيخ نجم الدين، وحصّة من الشاطبية، ثم بعد

(١) عبد الحي العكري معلم محب الدين كما ذكره في الجزء الثاني من الخلاصة.

وفاته بثلاث سنوات لازم شيوخ الجامع الأموي فقرأ على الشيخ محمد الغزي، والسيد خليل الدسوقي، والشيخ محمد البقاعي، والشيخ محمود الغزي نزيل دمشق، ثم بعد سنتين لازم وقرأ على الشيخ أحمد المنيني، والشيخ إسماعيل العجلوني، والشيخ صالح الجينيني، والشيخ محمد قولقسز، والشيخ عبدالله البصروي، والشيخ علي كزبر، وحضر درس الحديث في الجامع الأموي في رمضان بعد صلاة الصبح صحبة والده على الشيخ محمد الكاملي، وكذلك درس ولده الشيخ عبد السلام في المحل المزبور، ودخل في إجازتهما العامة، وكذلك درس الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي في التفسير وغيره، ودخل في إجازته العامة، وحضر درس الشيخ عبد القادر التغلبي، والشيخ عبد الرحمن المجلد، والشيخ أحمد الغزّي، والشيخ مصطفى المحيوي ابن سوار، ودخل في إجازتهم العامة، كما أخبرني، وأخبرني أيضاً أنّ والده أخذه في صحبته إلى الجامع الأموي وأحضره درس الشيخ أبي المواهب الحنبلي في ختمه للجامع الصغير سنة وفاته، وكان رحمه الله مشتغلاً بنسخ الكتب لأجل المعيشة، ولما ضاقت به الأحوال في سنة إحدى وخمسين ذهب إلى إسلامبول لأجل المعيشة، فمكث بها خمس سنوات ونصف ولم يحصل على طائل، ونسخ هناك عدة كتب إلى الوزير محمد راغب باشا[١] حين كان رئيس الكتّاب في الدولة العلية، ثم عاد لدمشق، ثم ذهب ثانياً وثالثاً لإسلامبول فلم ينل قدر الكفاف، فاشتغل بنسخ الكتب، وكان خطّه مقبولاً، وكانت استقامته في دار داخل المدرسة القجماسية بالقرب من باب السرايا[٢] عند سوق الأروام، وكان والدي يحبّه ويكرمه وكتب له كتباً بخطه، وبالجملة فقد كان من خيار الأنام، وكانت وفاته في ربيع الثاني فجأة سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف، ودفن في تربة الباب الصغير رحمه الله تعالى.

عبد الرحيم المخللاتي:

٣٢٨ ـ عبد الرحيم بن علي المخللاتي الشافعي الدمشقي، العالم العلامة الأديب الفاضل: كان إماماً في الفرائض والحساب والفلك، وله يد في العلوم، ولد بدمشق في سنة إحدى ومائة وألف، وقرأ على جماعة واشتغل بالطلب، منهم العلاّمة الشيخ محمد الحبّال قرأ عليه وانتفع به، والشيخ إلياس الكردي نزيل دمشق، والمحقق الشيخ عبد الرحيم الكابلي نزيلها أيضاً، والشيخ عبد السلام الكاملي، والشيخ عبد الجليل الحنبلي، والشيخ محمد العجلوني، وترجمه الشيخ سعيد السمّان في كتابه، وقال في وصفه: فاضل يملأ المسامع

---

(١) قال محمد راغب وهو لما كان والياً بمصر في زمن السلطان عثمان الثالث في مواجب مصر. مواجب نزلت من بعد تطويل. كفرطة ربطت في طرف منديل أو صوت ضفدعة في بركة الفيل.

(٢) مصرده سرايه ديد كلربنه كوره شامده دخي سرايا ديرمش كه مرامي حكومت قوناغي أوله يور لكن مصرده يوسف صلاح الدين أثرى قلمه معلومدر.

والمقل، وتذعن له الأقران إذا روى ونقل، لازم عن الأجلّاء والفحول، واكتسب من العلوم ما هو غير منحول، فاستكفى بحاله، وأعرض عن مهاوي اللّهو ومحاله، وتصرف في الآلات العلمية أي تصريف، وصار علماً لا يحتاج إلى تعريف، وطاب له ذلك السياق، وزاد إليه كثرة اشتياق، حتّى ابتهج به الفضل أحسن ابتهاج، ونار ببراعته سراجه الوهّاج، فانبعث في المعارضات يشدّد، وفي المناقشات يوتر سهم المصادرة ويسدّد، معتمداً على فكرة ثاقبة، وروية للإصابة مراقبة، ولم يزل على تلك الصعوبة، يسلك طريق الابا وشعوبه، إلى أن نجمه أفل، وعليه باب جدثه انقفل، وقد أطلعني ولده على موشحة إليه نسبها، ومن جملة ما له من الشعر عدّها وحسبها، تنبىء عن قوة اقتداره، وتفصح عن جولاته في النظم ومقداره، ولم يطرق حجاب سمعي له سواها، ولا غير واحد عنه رواها. وهي قوله:

شاطر الدّهر أسهما ... حيث أيامه اقتراحِ
وامتطى اللّيل أدهما ... لاكتساب العلى المتاح

دور:

سيد تخضع الشموس ... لعلا شأوه الرفيعِ
إذ غدا بهجة النفوس ... روض أفضاله المريع
بعدما عطّر الطروس ... ذكره العاطر البديع
أسعد حيث يمما ... خيم السعد والفلاح
وسرى الريح منعما ... بشذا فخره وفاح

دور:

كيف لا أحسن المديح ... لوحيد العلى المهابِ
من غدا دونه الفصيح ... خشية العجز في حجاب
وأين من مدحه صريح ... جاء في محكم الكتاب
ثاني اثنين إذ هما ... في حمى الغار لا براح
من بدا الحق منهما ... بلسان الهدى الصراح

دور:

إذْ به كوكب الهنا ... لاح في مشرق القدوم
واستنارت به الدُّنا ... وانمحت أسطر الهموم
واغتدى طائر المنى ... في قلوب الورى يحوم
وصفا الدّهر بعدما ... صدع القرب بانتزاح
وأرانا التبسما ... في وجوه الرضى الملاح

دور:

هـاك يـا بهجـة الصـدور — مـن لـه تسجـد العقـول
غـادة السـرّ والخـدور — فـي بـرود الهنـا تجـول
وهـي مـن وصمـة القصـور — تـرتجـي نفحـة القبـول
فـأعـرهـا تـرحّمـا — مسمـع العفـو والسمـاح
وأنلهـا تكـرّمـا — مـن نـدى وردك المبـاح

دور:

وابـق فـي ذروة الكمـال — آمـن السـر والفـؤاد
تجتنـي مـن ربـا النّـوال — نعمـاً مـا لهـا نفـاد
وتـرى السعـد فـي إقبـال — ولأيّـامـك امتـداد
ولنجليـك وفـق مـا — خصّـك الله مـن نجـاح
مـا انثنـى الغصـن كلّمـا — هصـرت عطفـه الـريـاح

وكان المترجم له حج سنة أربعين ومائة وألف، فتوفي بمكة ثامن ذي الحجة من السنة المذكورة، ودفن تحت أقدام العلاّمة ابن حجر المكّي الهيثمي رضي الله عنه.

عبد الرحيم البراذعي:

٣٢٩ ـ عبد الرحيم بن علي بن أحمد، المعروف بالبراذعي، الحنبلي البعلي الأصل، الدمشقي الصالحي قاضي الحنابلة بدمشق: كان شيخاً فاضلاً له بفقه مذهبه فضيلة، مع محاضرة وحافظة حسنة، ولد بدمشق في سنة سبع عشرة ومائة وألف ونشأ بها، وقرأ على والده وانتفع به، وأخذ عن الأستاذ الشيخ عبد الغني، وقرأ وحصّل وتولى قضاء الحنابلة بالمحاكم مدة سنين يقضي بالأحكام، وكان لا يخلو من جرأة وتكلم، وعزل في زمن قاضي القضاة بدمشق المولى السيد إبراهيم إمام شيخ الإسلام المولى مصطفى لأمر كان، وبعد مدّة عاد للقضاء ولم يزل على حالته إلى أنْ مات وكانت وفاته في يوم الاثنين رابع ربيع الثاني سنة أربع وتسعين ومائة وألف، ودفن بالروضة بسفح قاسيون رحمه الله تعالى.

عبد الرحيم بن حجيج:

٣٣٠ ـ عبد الرحيم بن محمد، المعروف بابن حجيج، الشافعي الدمشقي الخلوتي: أحد مشايخ الطرق المشاهر، الشيخ المتعبد الناسك المعتقد الصالح المبارك، أخذ الطريق عن والده، وأقيم بعده شيخاً حين توفّي، وذلك في يوم الخميس ثالث عشر ربيع الثاني سنة أربع وعشرين ومائة وألف، وكان والده المذكور أخذ الطريق عن الصالح الشيخ أحمد بن عمر الخلوتي البرزي الشافعي الدمشقي المتوفّى في يوم الجمعة ثاني عشر ربيع الأول سنة تسع وتسعين وألف، وكان أخذ هو عن الأستاذ الشيخ السيد محمد بن عمر العباسي

الدمشقي المتوفّى في سنة ست وسبعين وألف، وكان البرزي المذكور مقيماً في زاوية الخواجا عمر بن إبراهيم السفرجلاني التي بناها وأوقفها على أرباب الطريق، وجعل لها مبرات ووقفاً وتعايين، وأول من نزلها وسكن فيها الشيخ منلا مسكين الكردي وجماعته، ثم الشيخ البرزي المذكور، ثم الشيخ محمد حُجَيْج المذكور، واجتمع عليه جماعة شيخه، ثم إنّ المترجم له جلس بعد وفاة والده المذكور على سجادة المشيخة وتقيد بعمل الذكر، وكانت له معرفة بالطبّ والحكمة، ذو حلم وتودّد مع الناس، وكانت وفاته في يوم الأحد ثاني شعبان سنة اثنين وثلاثين ومائة وألف، ودفن بتربة الباب الصغير، وجلس بعده خليفة أخوه الشيخ محمد حجيج. ولفظة حجيج: لا أدري أهي لقب أو تصغير حاج والله أعلم.

عبد الرحيم الكابلي:

٣٣١ ـ عبد الرحيم بن محمد بن أحمد الحنفي الكابلي الهندي نزيل دمشق الإمام العلاّمة المحقق المدقق البارع: مولده بمدينة كابل من إقليم الهند ونشأ بها، ورحل إلى سمرقند وغيرها، وأخذ بتلك البلاد عن علمائها، ثم حج ودخل إلى دمشق بعد الثمانين وألف فقطن بها، وقرأ على جماعة من علمائها أيضاً، منهم العلامة الشيخ إبراهيم الفتّال لازمه مدة وانتفع به كثيراً، وكذلك محمد بن أحمد بن عبد الهادي العمري، وأبو المواهب محمد بن عبد الباقي الحنبلي وغيرهم، وصحب الجد الشيخ محمد مراد البخاري نزيل دمشق، وتلمذ له وانتفع بصحبته، وسكن في دار لصيق جامع تنكز وتزوّج بها، ورزق أولاداً، ثم درجوا ومات من غير عقب،، وجلس للتدريس بالجامع المذكور، ولزمه الطلبة للاستفادة، وكان عجباً في سرعة التقرير وحسن التأدية وفصاحة العبارة، وكان مدرّساً بالعذراوية، وافتتح الدرس بها في سنة إحدى وعشرين ومائة وألف، وكان يحضر دروس العارف الشيخ عبد الغني النابلسي في الفتوحات المكية، ثم ترك ذلك، وحكى الكثير من تلامذته رؤيا غريبة وقعت له، وكان أحد الطلبة شرع عليه في قراءة شرح ايساغوجي في المنطق لشيخ الإسلام زكريا ولم يكن المترجم اطّلع عليه قبل ذلك، فلم تعجبه عباراته لكون شيخ الإسلام أوضح العبارة فيه، ولم يسلك به مسلك المحققين، فرأى في النوم كأنّ القيامة قد قامت، وسيق الناس إلى المحشر، فلمّا وصل إلى أرض فيحاء رأى الناس واقفين صفوفاً والنبي ﷺ واقف، والصفوف كلّها متصلة به، قال: فسألت عن ذلك فقيل لي: هؤلاء محدثون يتصلون بمشايخهم إلى النبي ﷺ، فطلبت شيخاً آخذ عنه لأتّصل بالنبي ﷺ، فقيل لي: هذا شيخ الإسلام زكريا خُذْ عنه، وكان واقفاً بالقرب منّي، فتقدمت إليه وقبّلتُ يدهُ وطلبت منه أنْ يجيزني بمروياته ليتّصل سندي بالنبي ﷺ فأجازني كذلك، ووقفت إلى جانبه وأنا فرِح بذلك ثم استيقظت، وعلمت بهذه الرؤيا رفعة قدر شيخ الإسلام زكريا وعلو رتبته في الآخرة رحمه الله تعالى، وكان صاحب الترجمة كثير العزلة والانجماع عن الناس، وتوفّي ليلة الجمعة العشرين من جمادي الأولى سنة خمس وثلاثين ومائة وألف، ودفن بتربة تنكز لصيق الجامع المذكور على يمنة الداخل من باب الجامع رحمه الله تعالى.

عبد الرحيم الطواقي:

٣٣٢ ـ عبد الرحيم بن محمد، المعروف بالطواقي، الحنفي الإمام الفقيه النّحوي الفرضي الدمشقي الميداني: ولد سنة خمس وثمانين وألف ونشأ في حجر والده، وكان والده من أهل العلم فأشغله بطلب العلم، فقرأ على جماعة من الشيوخ، منهم العلاّمة الشيخ عثمان القطّان، والمنلا عبد الرحيم الهندي، والشيخ إسماعيل المفتي، والشيخ أبي المواهب، وقرأ الفرائض والحساب على الشيخ عبد القادر التغلبي، وبرع في الفقه والنحو والمعاني والبيان والأصولين ونظم مسوغات الابتداء بالنكرة في أرجوزة وشرحها، ونظم شرح أرجوزة القليبي في العروض، وألّف حاشية على شرح التنوير للشيخ علاء الدين الحصكفي، وله غير ذلك من الفوائد والتحريرات، وكان سليم الصدر عفيف النفس، وسافر إلى الديار الرومية، وتوفّي في مدينة قسطنطينية في يوم الأربعاء سادس عشر رمضان سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

عبد الرحيم ابن شقيشقه:

٣٣٣ ـ عبد الرحيم بن مصطفى بن حسن بن صالح عبد البر، الشهير بابن شُقَيْشَقَة بالتصغير، الدمشقي الحنفي الإمام الحنفي بالجامع الشريف الأموي العالم العامل التقي الورع الزاهد الفرد في دهره والوحيد في عصره: ولد بدمشق سنة ثلاث وثمانين وألف ونشأ بها، ومات والده وهو صغير، وقرأ القرآن العظيم وحفظ للعشرة من طريق الطيبة على الشيخ مصطفى العم، ثم أخذ في طلب العلم فقرأ على الشيخ عبد الرحيم بن القاتول، والمحب محمد بن محمود الحبّال، وأخذ الطريقة الخلوتية عن محمد بن عيسى الكناني، ثم رحل إلى مصر وجاور بها ست سنين، وأخذ عن علمائها قراءة وإجازة، ورجع إلى دمشق وحج وجاور، وأخذ عمن لقيه من علماء الحجاز كالجمال عبدالله بن سالم البصري، والسيد محمد بن عبد الرسول البرزنجي، ورحل إلى حلب مرتين، ثم رجع إلى دمشق واستقام بها يقرىء القرآن العظيم، وكان له حظوة في الأمور الدنيوية، وله ثبات على فعل الخير المخفي، جدّد عمارة جامع السقيفة، ولم يعلم أحدٌ أنه منه، وكان له ولد نجيب حفظ القرآن وطلب العلم واحترف في صنعة العطارة، فحاسبه والده على دراهم أعطاها له فنقص رأس المال، فعنّفَهُ على ذلك، فأخذ سمّاً وأكله ومات، فشقّ على والده ذلك ثم انقطع في آخر أمره لضعف قواه، وله تعليقات سنيّة لم أقف على شيء منها إلاّ على شرح سمّاه «هدية الله السنية شرح ورد الخلوتية» وضعه على ورد الوسائل الذي كان يقرؤه في كل يوم، وله من الشعر قوله:

اصبر لكل مصيبة وتجلّد ... واعلم بأنّ المرء غير مخلّدْ
وإذا أصبت مصيبة ترزي بها ... فاذكر مصابك بالنّبيّ محمّدْ

وبالجملة فقد كان من كبار الصالحين والفرقة الناجين والعلماء الزاهدين، انتفع به

خلق كثير، وكانت وفاته مطعوناً شهيداً سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف، ودفن بالتربة الرسلانية، ورأته بنته بعد موته بليلتين، فقالت له: ما فعل الله بك؟ فقال لها: عاملني بلطفه وغفر لي، وطلب منّي كتابي الذي سمّيته هديّة الله، وقال لي: إنْ لم تأتني به فأنت في غضبي، فاستيقظتْ من منامها مذعورة وأمرت بوضع الكتاب في قبره، فنبش ليوضع فيه الكتاب، فوجدتْ يده ممدودة كمن يريد أنْ يتناول شيئاً، إشارة إلى أخذ الكتاب.

السيد عبد الرزاق الجندي:

٣٣٤ ـ السيد عبد الرزاق بن محمد بن أحمد بن يس بن إبراهيم، الشهير بابن الجندي، القصيري الأصل، المعراوي الأديب الماهر الحاذق الذكي: كان يحسن صناعة الشعر، وله في الأدب معرفة، وتعانى النظم حتّى مهر به، ولد في سنة خمسين ومائة وألف ونشأ بكنف والده، وكان أخذ الأدب وقرأ على الشيخ عمر الإدلبي نزيل حمص، وكان يحبُّ مذاكرة العلم والأدب، ويجالس الشعراء ويجري بينهم المطارحات الرشيقة والمساجلات، ومن جملة من كان من ندماء مجلسه الأديب عثمان المعراوي الحمصي البصير الشاعر، وكان من الأجناد الموسومين بالأدب، وأسلافه كانوا مشايخ، ولم يزالوا متّصفين بالمشيخة إلى أنْ انتقل والده من ذلك إلى طريق الحكومة بسبب انتسابهم لبني العظم حكّام الشام، وكان ولده المترجم عاقلاً له معرفة، مع حسن التدبير والعقل، ومعرفة أمور السياسة وأحكامها، وله باع في الأدب، وشعرهُ عليه طلاوة، وقد تولّى حكومة قلعة تلبيسة الكائنة بين حمص وحماه من طرف الدولة العلية بعد وفاة والده، وهذه القلعة أصل بنائها في زمن الوزير سليمان باشا العظم، وعيّنت الدّولة بها ينكجرية بعلائق وتعايين سلطانية لأجل حفظ الطرقات للحج وغيره، وبالجملة فهو أثر حسن، واستقام المترجم بها إلى أنْ مات، ومع ضبطه لها تولّى من طرف ولاة دمشق حكومة حماه وحمص، ومما وصلني من شعره قوله مشطّراً قصيدة سيدي عمر ابن الفارض رضي الله عنه:

قلبي يحدّثني بأنّك مُتْلفي ... والجسم يُخبرني بأنّك مضعفي
إنْ كان لا يرضيك غير منيّتي ... روحي فداك عرفتَ أم لم تعرفِ
لم أقض حق هواك إنْ كنت الذي ... جعل اللّحاظ لموطىء المتصرّف
فجميع ما جرت عليَّ من الأسى ... لم أقض فيه أسىً ومثلي من يفي
ما لي سوى روحي وباذل نفسه ... في عشقه ما إنْ يعد بمتحفِ
وعلى الحقيقة من يضيّع روحه ... في حبِّ من يهواه ليس بمسرف
فلئن رضيتُ بها فقد أسعفتني ... وبذاك أرقى للمقام الأشرف
فاعطفْ وساعدني وكنْ لي مُسعفا ... يا خيبة المسعى إذا لم تسعفِ
يا مانعي طيب المنام ومانحي ... هجراً أحدُّ من الحسام المرهف
يا بغية الآمال قد ألبستني ... ثوب السّقام به ووجدي المتلف

عطفاً على رمقي وما أبقيت لي رمقاً فكن يا ذا الملاحة منصفي
فارحم بقية ما تبقى منيّتي من جسمي المضني وقلبي المدنف
فالوجد باق والوصال مماطلي والهجرُ نام والمعذِّب لا يفي
والجسم بال والدّموع ذوارف والصبرُ فانٍ واللقاء مسوفي
لم أخل من جسد عليك فلا تضع شغفي وفرط توجّعي وتلهّفي
وارحم أنيني في هواك ولا تطل سهري بتشنيع الخيال المرجف
واسأل نجوم اللّيل هل زار الكرى عيناً توقد نارها لم تنطف
واسأل من الواشين هل زار السها جفني وكيف يزور من لم يعرف
لا غرو إنْ شحت بغمض جفونها عين تعوَّدت الجفا من أهيف
جادت بلؤلؤها الرطيب لبعده عيني وسحت بالدّموع الذرف
وبما جرى في موقف التّوديع من شغل الهوادج كاد جسمي يختفي
ومن الفراق تَفَتَّت كبدي ومن ألم النّوى شاهدت هولَ الموقف
إنْ لم يكن وصل لديك فعدْ به فلعلَّ روحي بالتّواعد تكتفي
فالوعدُ منك أعده كالوصل يا أملي وماطل إنْ وعدتَّ ولا تفي
فالمطلُ منك لدي إنْ عز الوفا يبدي التسلي للفؤاد المتلف
أجد التماطل منك إنْ عزّ اللقا يحلو كوصل من حبيب مسعف
أهفو لأنفاس النسيم تعلة من كثر أشواقي وفرط تكلّفي
لكنّه تعليل قلب مدنف ولوجه من تقلّت شذاه تشوّفي
فلعلّ نار جوانحي بهبوبها نوعاً تخف بوقدها المتشظف
ولعل ناراً أضرمت بشراسة أنْ تنطفي وأودُّ أنْ لا تنطفي
يا أهل ودّي أقيمو أملي ومن ناجاكمو في ضنك عيش عادفي
حاشى يضام دخيلكم إذْ كل من ناداكموا يا أهل ودّي قد كفي
عودوا لما كنتم عليه من الوفا لفتى يحفظ الودّ غير مزخرف
وعليَّ جودوا يا آل ودّي باللّقا كرماً لأنّي ذلك الخِلُّ الوفي
وحياتكم وحياتكم قسماً وفي غير اليمين بكم حقيقاً لم أفِ
وبسرِّكم أبيٌ يميناً في مدى عمري بغير حياتكم لم أحلف
لو أنَّ روحي في يدي ووهبتها من غير ممنون وغير تأسّف
أو أنّني أعطيت ما ملكت يدي لمبشّري بقدومكم لم أنصف
لا تحسبوني في الهوى متصنّعاً أو أنَّ حبي فيكم بتخفف
لكنّ حفظي للعهود جبلة كلفي بكم خلق بغير تكلف
أخفيت حبّكم فأخفاني أسى جعل الدّموع بعارض مستوكف

وأضـرّنـي كتمـان مـا أخفيتـه حتّـى لعمـري كـدتُ عنّـي أختفـي
وكتمتـه عنّـي فلـو أبـديتـه لخفـي فلـم يبصـر ولـم يتكلـف
وصحبتـه حقـاً فلـو أظهـرتـه لـوجـدتـه أخفـى مـن اللّطـف الخفـي
ولقـد أقـول لمـن تحـرّش بـالهـوى قـد جـزت فـي بحـر خطيـر مـرجـف
خـلِّ الهـوى لأهيلـه واقصـر فقـد عـرضـت نفسـك للبـلا فـاستهـدف
أنـت القتيـل بـأي مـن أحببتـه إنْ كـان ينصـف أو يكـن لـم ينصـف
حـب مسـوِّف ثـم حـبٌ قـاتـل فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي
قـل للعـذول أطلـتَ لـومـي طـامعـاً أنْ أنثنـي عـن ذي البنـان المطـرف
اكفـفْ مـلامـك مـدنفـاً هجـر الكـرى إنّ المـلام عـن الهـوى مستـوقفـي
دع عنـك تعنيفـي وذُقْ طعـم الهـوى إنْ لـم تكـن تصغـي لقـول الألـفِ
مـن قبـل عشقـك لا تلـم أهـل الهـوى فـإذا عشقـتَ فبعـد ذلـك عنـف
برح الخفاء[1] بحبٍّ من لو في الدجى أبـدى ابتسـامـاً زال لـون المشـرف
منـذ تكـامـل حسنـه فلـو أنّـه سفـر اللثـام لقلـت يـا بـدر اختفـي
وإنْ اكتفـى غيـري بطيـف خيـالـه أو قـد رضـي بتمـاطـل وتسـوّف
أو أنْ تسلـى فـي مـرور نسيمـه فـأنـا الـذي بـوصـالـه لا أكتفـي
وهـواه وهـو البتـي وكفـى بـه حلفـاً ولسـت أخـي فيـه بمخلـف
ويسـر صـرفـي مهجتـي بـوداده قسمـاً أكـاد أجلّـه كـالمصحـف

إلى آخرها[2].

ومن شعره تشطيره لبانت سعاد حيث قال فأجاد:

بـانـت سعـاد فقلبـي اليـوم متبـولُ وكيـف لا وفـؤاد الصـبِّ مشغـولُ
وإنّنـي مـن غـرام قـد ولعـت بـه متيّـم أثـرهـا لـم يفـد مكبـول
ومـا سعـاد غـداة البيـن إذْ رحلـوا إلاّ مهـاة لمـاهـا فيـه تعسيـل
ولـن يمـاثـل أعطـافـاً لهـا ظهـرت إلاّ أغـن غضيـض الطـرف مكحـول
تجلو عـوارض ذي ظلـم إذا ابتسمت[3] منـه الشفـاء لقلـب فيـه تعليـل
سـلافـة قـرقـف قـد سيـغ مشـربـه كـأنّـه منهـل بـالـرّاح معلـول
شجـت بـذي شبـم مـن مـاء محنيـة[4] مـذاقـه لـلأرواح تجـذيـل
كـأنّمـا ريقهـا المعسـول مـذْ رشفـت صـافٍ بـأبطـح أضحـى وهـو مشمـول

(١) برح وضح الأمر من باب علم وأما برح من باب نصر غضب.

(٢) الحمد لله على اكتفاء المؤرخ بهذا القدر.

(٣) الظلم: بفتح الأول مصدر لأن الظلم بالضم اسم وقانا الله وإياكم منهما مفتوحة كانت أو مضمومة.

(٤) محنية مفرد المحاني معاطف الأودية بكسر النون وتخفيف الياء.

تنقي الرياح القذى عنه وأفرطه ... ينهل من صيب والمزن رحيل
ومازجته سحابات قد انهملت ... من صوب سارية بيض يعاليل
أكرم بها خلّة لو أنّها صدقت ... عهدي وما كثرت منه الأقاويل
أوّاه لو أحسنت وصلاً وما نبذت ... موعودها أو لو أنّ النّصح مقبول
لكنّها خِلّة قد سيط من دمها ... هجر لعاشقها نبذ وتنكيل
ولم أنل من هواها غير أربعة ... فجعٌ وولعٌ وإخلافٌ وتبديل
فلا تدوم على حال تكون به ... تروغ في قولها والوعد ممطول
ثبت يخلف وأحوال ملوّنة ... كما تلوّن في أثوابه الغول
ولا تمسك بالعهد الذي زعمت ... وطبعها من طريق الدّخل مخبول
فما لأقوالها شبه ولا مثل ... إلاّ كما تمسك الماء الغرابيل
فلا يغرّنك ما منّت وما وعدتْ ... أثفال أقوالها زور وتخييل
لا تغترر في أمانيها وموعدها ... إنَّ الأماني والأحلام تضليل
كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً ... ولنْ يصدق منها القالُ والقيل
كربطة نقضت مغزولها عبثاً ... وما مواعيدها إلاّ الأباطيل
أرجو وآمل أنْ تدنو مودّتها ... لكنني رمت شيئاً فيه تخليل
قالت تروم وصالاً قلت ذا خطل ... وما أخال لدينا منك تنويل
أمست سعاد بأرض لا يبلغها ... إلاّ أقب رباع فيه تسهيل
وليس يدرك ركباً فيه قد ظعنت ... إلاّ العتاق النجيبات المراسيل
ولا يبلغها إلا عذافرة ... سريعة الجري في البيداء شمليل
عوج الرقاب كريمات مؤصلة ... لها على الأين ارفال وتبغيل
من كل نضاخة الذفرى إذا عرقت ... تميل عجباً ولا عي وتنكيل
كأنما سيرها كالريح إذْ عرضت ... عرفتها طامس الأعلام مجهول
ترمي الغيوب بعيني مفرد لهق ... قد حلج سحيل واستقفاه شرحيل
لا تختشي تعباً أيضاً ولا سغباً ... إذا توقدتْ الحزان والميل
ضخم مقلدها عبل مقيدها ... لا يشتكي قصر منها ولا طول
همرجل مشيها والله صوّرها ... في خلقها عن بنات الفحل تفضيل
غلباء وجناء علكوم مذكرة ... عرمومة القدِّ لا عتم وتعييل
مدموجة متنها كلاء من سمن ... في دفعها سعة قدّامها ميل
وجلدها من أطوم لا يدنّسه ... سعف شنيع وقذان مناجيل
ولا يسلسها يا صاح من ملس ... طلح بضاحية المتنين مهزول

إلى آخر القصيدة وله غير ذلك.

وفي سنة تسع وثمانين ومائة وألف اقتضى لحاكم حمص الأمير عبد الرحيم ابن العظم التوجّه على جهة عرب الحيارى المعروفين بالموالي المقيمين في تلك الأطراف تبعاً لولاة حلب، فتوجّه معه المترجم لكونه حاكماً بقلعة تلبيسه، وذهب معهما شرذمة من العسكر، فلما بلغوا العرب وقاربوا إليهم وقع بينهم الحرب، ولم يصدر من طرفهم نصر بالتقدير الإلّهي، فما استقر الأمر مقدار نصف ساعة إلا وأخذتهم العرب وشلّحوهم جميعاً، وبقي المترجم وحاكم حمص معريين من غير ساترة، ثم بعد ذلك جاءه رجل منهم وضربه برمح في رقبته فقتله، ومسكوا حاكم حمص وأخذوه، ثم بالقرب من الموضع قرية جاء أهلها وأخذوا المترجم محمولاً إلى حمص لعند أهله، وكان ذلك في الحادي والعشرين من ربيع الثاني من السنة المذكورة، ودفن بتربة مقابلة لمقام سيدي خالد بن الوليد رضي الله عنه، وضبطت أمواله للدولة العلية بأمر منها، وجاء بالخصوص المزبور قبجي باشي[١] من طرف الدولة معيّن بهذه الخدمة، وأبيعت كتبه وحوائجه وضبطت أمواله، وديونه سمحت بها الدولة[٢] لأولاده، وبعد وفاته أخذ الحكومة أحد أركان الدولة مسعود بيك نجل الوزير الصدر السابق سعيد باشا[٣] ولم يتمكّن من ضبطها، ثم بعد ذلك وجّهت لأولاد المترجم، وبعده جاؤوا لدمشق وفرغوها لأخي المترجم، وهو الآن حاكم تلك القلعة، ونسبتهم إلى القصير: قرية من نواحي أنطاكية، وأخبرت أنّ جدّهم الشيخ أحمد القصيري الولي المشهور والله أعلم، أقول: والقصير اسم لقرى منها قريتان بدمشق الواحدة: بالقرب من قرية الريحان، والثانية: بالقرب من قرية سكا، ومنها قرية بناحية حمص تسمّى بذلك، ومنها القرية التي بقرب أنطاكية[٤] ومنها المترجم.

ومما وقع له من المساجلة الشعرية مع الشيخ محمد سعيد السويدي البغدادي حين كان بحمص، والشيخ عثمان البصير الحمصي حيث قال السويدي متعرضاً للبصير[٥] المذكور:

وإذا العمـي ضـم العنـاد إليـه مـع   حســن الصفــات كفــاك للتحقيــرِ

---

(١) قپوجي باشي.

(٢) إن زمان مولانا المعظم السلطان عبد العزيز المفخم مصون عن دنس المصادرات ونهب أموال الأحياء والأموات أدام الله أيام معدلته ومدّ ظلال شجرة مرحمته.

(٣) محمد سعيد كان تصدر في سنة ١١٦٩ وسلفه علي فخلفه باهر كوسه مصطفى ومصطفى هذا سلف لراغب.

(٤) القصير مثل زبير المينا من مراسي بحر القلزم أيضاً (سلم الحجاج) من العرب الخطافة لحفر برزخ السويس والعرب كانت تخطف ظل نفسها من الشره للنهب قبل تولية محمد على مصر في أوائل القرن الثالث عشر.

(٥) البصير: يُراد به الأعمى ويقال كُفّ بصرخ فلان: أي عمي.

فقال البصير:

وإذا علمتَ بأنَّ مثلي ناقص كان المقالُ لغاية التزويرِ

فقال المترجم:

وإذا عدمت الفهمَ فاسأل أهله تجد البراعة عند ذي التحريرِ

فقال السويدي:

وإذا مواهب عابد الرزاق قد حلّت على الأعمى غدا كبصيرِ

فقال البصير:

وإذا أراد الله إصلاح امرىء جعلت بصيرته من الإكسيرِ

فقال المترجم:

وإذا تولّى القلب منه عناية جذبت به العليا من التأخيرِ

فقال السويدي:

وإذا فقدتَ النورَ من عينك يا أعمى فثق بالله للتبصيرِ

فقال البصير:

وإذا علمتَ الصبر أعظم منحة كان العسيرُ مبدلاً بيسيرِ

فقال المترجم:

وإذا رجوتَ بلاغة وبراعة فأملهما من عالم نحريرِ

فقال السويدي:

وإذا بدا نظر الكريم على امرىء سارت بلاغته بكل مسيرِ

فقال البصير:

وإذا رأيت اثنين كلاً مادحاً لأخيه كان كلاهما كأميرِ

فقال المترجم:

وإذا السعيد أُضيف لاسم محمد بشّره بالإسعاد والتيسيرِ

فقال السويدي:

وإذا أتته منيحة من عابد الرزاق زادته على التوقيرِ

فقال البصير:

وإذا أضيفت للسويد ولم تزل مقرونة بالعزِّ والتخييرِ

فقال المترجم:

وإذا المكارم والعوارف كانتا إرثاً فلا تنهيه للتكثيرِ

فقال السويدي:

وإذا الأبوّة خل منها خصلة في البخل زانته بغير نكيرِ

فقال البصير:

وإذا الأصول من التدلّس خلصت بدت الفروع لأحسن التطهير

فقال المترجم:

وإذا الزّمان رمى الأكابر بالرّدى يتخلصون بأحسن التدبيرِ

فقال السويدي:

وإذا محمد آل جندي أضا منه شهاب زاد في التّنويرِ

فقال البصير:

وإذا أراد الضدّ فيه مضرة فالله أكبر فوق كل كبير

فقال المترجم:

وإذا التجى لله فهو حفيظهُ من كلٍّ ما يخشاه من تكدير

فقال السويدي:

وإذا اختتمت قصيدة بمديحه فنواله لك منه خير نصير

ووقع في مجلسه أيضاً مع الشيخ السويدي والبصير المذكورين مساجلات في مدحه وفي غير ذلك، فمن ذلك ما قاله السويدي مساجلاً:

رنا وانثنى واهتزّ كالغصن والقنا وصال على العشاق يسطو بقدِّهْ

فقال المترجم:

رشا من بني الأتراك صاد بصاده وصيّر عشّاق الورى صيد صيدهْ

فقال البصير:

بديع جمال لو رأى البدر شكله دجى لاعتراه الكسف من نورِ خدِّهْ

فقال السويدي:

لـه مقلـة تسبـي لنـا فـي سـوادهـا　　مـن الأسـر إنسـان رهيـن بقـدِّهْ

فقال المترجم:

تـوطـأ هـام النسـر منعـة حسنـه　　فمـا البـدر إذْ عـذوة إلاّ بعبْـدِهْ

فقال البصير:

جرى سلسبيلاً في لمى درٍّ مبسم　　فها أنا طام أرتجي رشف شهده

فقال السويدي:

وخـال عبيـر صـارَ قلبـي لـه لظـىً　　وجسمـي وأضـلاعـي مجامـر نـدِّه

فقال المترجم:

أعـار لهـا مـن مقلتيـه تكحـلاً　　وأسبـل فـي الظلمـا سـوابـل جعـده

فقال البصير:

سبى قاصرات الطرف بالحصر رقّة　　وصيّـر أربـاب الحجـى عقـد بنـده

فقال السويدي:

هو الشمس لولا ليل شعر بهائه　　فللّـه درّ النـور يجلـى بضـدّه

فقال المترجم:

فمـا هـو إلاّ فـي المحـاسـن مفـرد　　وليس به عيب سوى نقض عهده

فقال البصير:

فكـم وعـد المشتـاق منّـا بـزورة　　فيـا حبّـذا لـو صـحّ إنجـاز وعـده

فقال السويدي:

فيا قلب صبراً إنْ تمادى صدوده　　ويـا عيـن سحّـاً إنْ بليـت ببعـده

فقال المترجم:

بخيل يجود الوصل لا رفق عنده　　بمـن هـام فيـه مـن تقمّـص عهـده

فقال البصير:

سمحت له بالروح فهي أعزّ ما　　ملكـت ولكـن ليـس يغلـو بنقـده

فقال السويدي:

ولا غـرو إذْ منـه إليـه مـلاكهـا　　وكـانـت لـه مـن قبـل يـذكـي بـودِّه

فقال المترجم:

ولا حيلـة تلفـي لـدي بـوصلـه ولا وصلـه أرجـو بـه نيـل رفـده

فقال البصير:

فـواعجبي فـي فعـل هنـدي جفنـه يـريـق دم العشّـاق وهـو بغمـده

فقال السويدي:

فلـم أسـل إلاّ أنْ أؤمـل شـافعـاً يبلغنـي الـولـدان عنـه بـرشـده

فقال المترجم:

هو المصطفى بحر الصفا وبه صفا فمشـربـه الأصفـى مـوارد جنـده

فقال البصير:

أجـل ذوي الجـاه العـريـض سيادة فكـل مقـام فـي العـلا دون مجـده

فقال السويدي:

رسول الهدى مردي العدى كاشف الرّدى روى الصـدأ بحـر النـدى غيـث رفـده

فقال المترجم:

إليـه يشيـر العـالمـون بيـوم لا سـواه يـرجـى للمهـول بخمـده

فقال البصير:

نبـي بـه قـد شـرّف الله طيبـة على ما سواها إذْ حباها بلحده

فقال السويدي:

محا نسخ التوراة بالسيف والقنا وسلّ حسام الحقِّ من بعد غمده

فقال المترجم:

هو الفرد في كل الكمال ومجمع لكـلِّ جـلال والجمـال بـورده

فقال البصير:

مزيح الضلالات المضلة بالهدى مفرّق جمع الشرك من بعد وفده

فقال السويدي:

إمـام همـام سيـد سنـد لمـن إليه التجى من كل خطب وجهده

فقال المترجم:

تقـيٌّ نقـيٌّ كـامـلٌ ومكمّـل أقـام بنـا الإسـلام مـن بعـد هـده

فقال البصير:

فكلُّ جمال ظاهر ومحجب محمدنا أضحى يتيمة عقده

فقال السويدي:

بمولده بطحاء مكة شرّفتْ وشرفت الدّنيا مواليد ولده

فقال المترجم:

فلا مدّ في هذا الوجود ولا بقا يؤمل إلاّ من كمالات سعده

فقال البصير:

أجلُّ النبيين الذي بعضُ فضله تنزّه عن حصر المديح وحده

فقال السويدي:

ولو صارت السبع البحار مداده وميدانها طرساً لا عيّت بعده

فقال المترجم:

لأنّ سواه لم يحز رفعة الرقا إلى الذروة العليا إلى عند عنده

فقال البصير:

له جاءت الدنيا بأبهج زينة رآها بعين الاحتقار وزهده

فقال السويدي:

سرى مُذْ سرى البيتَ الحرام إلى العلا وآبَ بليل قبل إيفاء مده

فقال المترجم:

وأخبر عن عير طلوع ظهيرة فلم يتخلّف عن مقالة وعده

فقال البصير:

فيا خير أرباب الشّفاعة كلّهم وآمرهم تحت اللُّوا يوم حمده

فقال السويدي:

رجوناك في تيسير كل معسر وفي كل آت من خطوب لرده

فقال المترجم:

فمن يرتجي إلاّكَ يا خير منعم لدفع دواعي الكذب ثم لطرده

فقال البصير:

فعجل بما نرجوه يا من نداؤه يحلّ عظيم الكرب من بعد عقده

فقال السويدي:

عليك صلاة الله ثم سلامه — مدى الدّهر ورداً لا انتهاء لعدِّه

فقال المترجم:

وآل وأصحاب كرام وعترة — يدومان ما سار الحجيج لقصده

فقال البصير وختم:

وما عبد رزاق وعثمان بعده — ونجل السويدي باح كلّ بوجده

عبد الرزاق الرومي:

٣٣٥ ـ عبد الرزاق بن خليل بن جنيد الرومي الأصل، الحنفي نزيل دمشق الشيخ الفاضل الفقيه الأوحد بقية السلف الصالح، أبو الأسرار ركن الدين: قدم دمشق وتوطّنها وكان مجاوراً بها في حجرة بمدرسة الشمسي أحمد باشا المعروفة بسوق الوزير محمد باشا ابن العظم، وله تآليف لطيفة وقفت منها على شرحه للتنوير في تسع مجلدات، سمّاه «منير الأفكار شرح تنوير الأبصار» وأوقفه على المدرسة المتقدم ذكرها، ولم أقف له على غيره، وكان عالماً عاملاً فقيهاً مفنناً، ملازماً لأداء الفرائض والنوافل، مشتغلاً بخويصة نفسه، تاركاً لما لا يعنيه، وكانت وفاته في أوائل هذا القرن رحمه الله تعالى ولم أقف على سنة تعيين وفاته.

السيد عبد الرزاق البهنسي:

٣٣٦ ـ السيد عبد الرزاق بن محمد بن عبد الرزاق بن عبد الحق، المعروف بالبهنسي، الحنفي الدمشقي الشيخ العالم الفاضل الفقيه: كان محققاً له اطلاع في التفسير والفقه والأدب وغير ذلك مكمّلاً، له تفحص على المسائل الدقيقة والغريبة، ويبديها، ولد بدمشق في ثالث شوال سنة خمس وعشرين ومائة وألف، ونشأ واشتغل بطلب العلم على جماعة، فقرأ على الشيخ قولقسز وانتفع به، وعلى الشيخ إسماعيل العجلوني، والشيخ صالح الجينيني، والشيخ محمد التدمري، والشيخ عبدالله البصروي، والشيخ حسن الكردي نزيل دمشق، وأخذ عن الأستاذ السيد مصطفى الصديقي وغيرهم، وقرأ في الفقه والنحو والتفسير والمعاني والبيان والمنطق والصرف وغير ذلك، وأتقن وحصّل، وفضله لم يشتهر لعدم تقيده في الإقراء والتدريس لكونه كان محباً للعزلة، وترجمه الشيخ سعيد السمّان في كتابه، وذكر له من شعره، وقال في وصفه: جيفة ضغن وحسد، وشنشنة لؤم ضمها جسد، راض جواد فكره في حزن الخداع وسهله، فتلا عليه حاله ولا يحيق المكر السيء إلاّ بأهله، متشدقاً في ما يؤديه، متكبّراً فيما يخفيه ويبديه، مهتماً بشأن الظهور، ومتأسفاً على يوم مشهور، فلم تجد الأيام له وسيلة، ولم تنقع من تلك الأوام غليله، فنصب الحيلة في نيابة بعض محاكم الأطراف، وانتصب لإجراء الأحكام فجرى في سوح الجور والإسراف، فتحققت إساءة

الظنون فيه، والظلم كمين في النفس القدرة تظهره والعجز يخفيه، فما مكث إلاّ يسيراً، وانقلب لصولة العزل أسيراً، فندم ندم الفرزدق حين طلق نوار، وكان ما بناه من الاقتراف على شفا جرف هار فانهار، ثم لاذَ ببعض الأفاضل وتلمذ له، وحسن له ما زخرفه من دهاه وسوله، فشنَّ عليه غارة دبرها بمكره الذي ما تعداه، واستأصل وظائفه وما ملكت يداه، فكانت قوام معاشه، وسبب إنقاذه من أنياب الفقر وإنعاشه، وأراد أنْ يتفيهق[١] فتصوّف، ولم يدر في أي حالة تصرف، فجمع بين الأروي والنعام، وظمىء من اللّج الذي فيه عام، وطال حتى كأنّه من السدنة الذين يسترقون السمع، وراضٍ في ملعب خده على نهضة سوابق الدّمع، وصار مدمنة تقريع، ومجلبة توبيخ مريع، وله شعر لم يتناسب طرفاه، يقول من سمعه فض الله فاه، انتهى مقاله[٢]. وقد أكثر في ذمّه كعادته في غالب تراجمه، ومن شعر المترجم قوله من قصيدة:

ظفرنا بما نهوى وقد حفّنا السعد ... فحيٍّ على حيِّ المسرّة يا سعدُ
وطابت نفوس الأنس منّا وأعلنت ... صوادح أطيار الهنا طرباً تشدو
وخابت ظنون الحاسدين فأصبحوا ... حيارى بخزي لا يعيدوا ولا يبدوا
وحاق بأهل المكرِ سيء مكرهم ... وقد خمدت نارُ لها منهم وقدُ
رويدكم مهلاً بني المهد إنكم ... أسارى بحجر الحجر ما عندكم رشدُ
أسامة لما فارق الغاب جاءه ... ثعالة جهلاً وافداً وله وأدُ
ولم يدرِ أنَّ الغابَ ما غاب ربه ... بهجر ولكن كي يكون له وبد
وربّ أناس تظهر الودُّ ريبة ... وحشو الحشا منها لقد سجّر الحقد
يخيّل منها فاسد الفكر مأمّلا ... وظنّوا بأنَّ الهزل يعقبه الجدُّ
ومن يلغ أعقاب الأمور فإنّه ... جدير بما قالوا وليس له ردُّ
وهيهات أنْ يحظوا إذا اشتدَّ هائل ... بمثل حليم دأبه الجودُ والمجدُ

ومنها:

فآبَ بحول الله والنّصر قائداً ... يحفُّ به واللّطف في ركبه يحدو
وقد جاء نصر الله والفتح مورد ... ترى النّاس فوجاً بعد فوج لها وردُ
ومن صادف البحر الخِضمّ سعى له ... ولا يظمئنّه جعفر لا ولا ثمدُ

ومنها:

ولا زلت في بُرْد السيادة رافلاً ... مدى الدّهر لا منع يعوق ولا صدُّ
ودمْ في أمان الله والعزّ منشداً ... ظفرنا بما نهوى وقد حفّنا السعدُ

---

(١) يقال فلان يتفيهق في كلامه، وذلك إذا توسّع فيه وتنطّع، وأصله لفهق وهو الامتلاء كأنه ملأ به فمه.

(٢) إن التراجم التي كتبها عبد الكريم المذكور في الجزء الثالث من خلاصة الأثر أبلغ من مقالات السمان.

وقد أنشده أخوه السيد أحمد قوله:

دع الخلاعة في حبِّ الحسان ودُمْ أسير علم وامعن في مطالعتِهْ
ولازم الدّرس والكرّاس مجتهداً وأسهر العينَ ليلاً في مشاهدتِهْ
وعُدْ عَنْ غيٍّ ذي بغي ودَغْهُ يتم مع الحبيب ويحظى في مطالعتِهْ

فكتب إليه بقوله:

إنَّ الخلاعة في حبِّ الحسان هدىً وما على العاشق الولهان من باسِ
فعشْ حميد الورد الخدِّ ملتثماً ومتْ بذاك شهيداً دون الباس
ولازم الدّرس والكرّاس مجتهداً في ردع كل غليظ قلبه قاسي
يظنّ أنّ بوصل الحبِّ منقصة لكن حرمانه يكفيه في الناسِ

فكتب الأديب السيد أحمد الفلاقنسي بقوله:

إنّ الغواية في عشق المليح هدىً وما على الصبِّ بأس في مضاجعتِهْ
فقف قليلاً لدى المحبوب مجتنياً وردَ الخدودِ وحاذر من مخالفتِهْ
واحرص على سرِّه من أنْ تبوح به واسهر العينَ تحظى في مشاهدتِهْ
وثابر الدّرس والكرّاس مجتهداً في ردع كل غليظ أو مجادلتِهْ
وخلِّ من ظنَّ أنَّ الحبَّ منقصة أسير علم ودَغْهُ في مكابدتِهْ

وقال ملغزاً في أذربيجان الشيخ سعيد السمّان:

أيا واحد النقّاد في النحو قد أتى إليَّ سؤالٌ حيّر الفكر وصفُهْ
فما اسم نرى فيه موانع خمسة فإنْ زالت إحداها تعيّن صرفُهْ

فلما رآه المترجم كتب مجيباً بقوله:

سؤالك أذرى بي فأعد منّي الحجى ومن بعده جان على الحبِّ مسرفُ
زيادة تركيب عليها قد احتوى وعجمته بين الموانع تعرفُ

وللمترجم:

يقول لنا كانون ماذا ينالني بلومكم إيّاي طال التعاتبُ
على شدّة أني جبلتُ وإنّني أصمٌّ وما أدري بماذا أخاطبُ

وكأنه أراد الردَّ على الفاضل محمد التافلاني المغربي نزيل القدس حيث قال:

أقول لكانون ترحّل عن الورى فدأبك تشتيت لجمع الحبائبِ
فقال فلا تضجر وإن كنتُ بارداً فإنَّ ثمار الأرض فضل سحائبي

وقوله أيضاً:

أقول لكانونين أنهكتما القِوى ... وما بكما للعالمين نشاطُ
فقالا إذا غِبْنا سيحمد أمرنا ... وأما شباطِ ما عليه رباطُ

وقد ضمّن المصراع الأخير من البيتين الأولين الأديب مصطفى اللقمي الدمياطي نزيل دمشق فقال:

يقول لنا كانون إنْ كنتُ بارداً ... فللمهج الحرِّ اللذيذ مشاربي
وكم لي من أيدي امتنان على الرّبا ... فإنَّ ثمار الأرض فضل سحائبي

وقد ضمّن المصراع المذكور أيضاً السيد محمد الشويكي الدمشقي فقال:

أقول لكانون أطلتَ عناءنا ... ببردٍ وأمطار وطول غياهبِ
فقال اذكروا عقباي فهي حميدة ... فإنّ ثمار الأرض فضل سحائبي

وقد طلب تشطير بيتي التافلاتي وتخميسهما من الأديب سعيد السمّان الدمشقي فقال أولاً مشطّراً:

أقول لكانون ترحّل عن الورى ... لقد رعتهم بالبرد من كل جانبِ
وعرّج ولا تبغي المقام بأرضنا ... فدأبك تشتيتُ لجمع الحبائبِ
فقال ولا تضجر وإن كنتُ بارداً ... بطبعي ولكنيٌّ حميد العواقبِ
ولي صدق برهان على ما ادّعيته ... فإنّ ثمار الأرض فضل سحائبي

ثم قال مخمساً لهما:

إذا ما الشتاء الصّعب أقبل وانبرى ... يرينا من التعبيس وجهاً منكرا
وبرداً به الأجفان لم تذق الكرى ... أقول لكانون ترحّل عن الورى
فدأبك تشتيت لجمع الحبائبِ
فطبعكَ منه الماء يصبح جامداً ... وكم زمهرير منك فتّ الجلامدا
أهل منك نرجو بعد ذاك فوائداً ... فقال فلا تضجر وإن كنت باردا
فإنّ ثمار الأرض فضل سحائبي

ثم قال مضمناً:

أقول لكانونَ وقد جاء مرحباً ... بمجمع أحباب ونيل مآربِ
فقال ولي من بعد ذاك فضيلة ... فإنّ ثمار الأرض فضل سحائبي

وللمترجم غير ذلك من النظم، وكانت وفاته في ليلة الثلاثاء ثالث رجب سنة تسع وثمانين ومائة وألف، ودفن بتربة مزج الدحداح رحمه الله تعالى.

عبد الرسول الطريحي:

٣٣٧ ـ عبد الرسول ابن الطريحي، النجفي الأصل، الحلبي المولد والمسكن، الأديب الفاضل الشاعر النحوي الكاتب: كان بارعاً بالأدب والمعاني والبيان والعروض والنحو والأدب والشعر، ويتعانى الكتابة مع خط حسن ونظم بديع ونثر حسن عجيب، وكان معروفاً بالخلاعة والمجون والمداعبة، وهو شيعي مشهور بذلك، ومن مجونه الفاضح قوله في هجاء نفسه[1]:

عبد الرسول ابن الطريحي فتى … بكل ما يحرم فعلاً أحاطْ
قد شرب الخمر وداس الزّنا … وقبّل المرد وغنّى ولاطْ

واعجب من ذلك أنه طلب تشطيرهما من الفاضل الأديب الشيخ محمد سعيد السويدي البغدادي وألحّ عليه بذلك، حتى أخرج له دواة وقرطاساً من عنده فشطرهما له بقوله:

عبد الرسول ابن الطريحي فتى … سما على إبليس وقت النّشاطْ
وقبل ما بان له عارض … بكلّ ما يحرم فعلاً أحاط
قد شرب الخمر وداس الزنا … وحسّن الفسق وذمَّ الرِّباطْ
وجاوز الكفرَ بلا شبهة … وقبّل المرد وغنى ولاطْ

وله شعر كثير، وكانت وفاته مطعوناً في الطاعون الكبير الواقع في بغداد سنة ست وثمانين ومائة وألف، وأخذ للنجف ودفن بها عفا الله عنه.

عبد السلام الكاملي:

٣٣٨ ـ عبد السلام بن محمد بن علي بن محمد، المعروف بالكاملي، وأصحّهُ الكامدي بالدال، نسبة لكامد اللوز، قرية في البقاع، الشافعي الدمشقي الإمام العالم العلاّمة الفقيه النحوي الأديب الأصولي: كان ورعاً عاقلاً ساكناً ذا وقار ودين، وللناس فيه محبة واعتقاد، وله يد طولى في النحو والمعاني والبيان وأصول الفقه، ولد بدمشق تقريباً بعد الثمانين وألف، واشتغل بطلب العلم على والده شيخ الإسلام والمحدثين الآتي ذكره، وعلى الشيخ إبراهيم الفتّال، والشيخ عبد القادر العمري بن عبد الهادي، وعمدة العلماء الشيخ أبي المواهب مفتي الحنابلة، والعلامة الشيخ عبد الرحيم الكابلي الهندي، نزيل دمشق، والعالم التّقي الشيخ حمزة الدومي الدمشقي، وحضر دروس العلامة المدقق الشيخ يحيى الشاوي المغربي وغيرهم، وتصدّر للإفادة بمدرسة الباذرائية وبالجامع الأموي بعد صلاة الصبح، وبعد العصر تجاه المقصورة، وارتحل إلى مصر وإلى الحج وإلى الروم إلى دار الخلافة،

(١) الطاهر الطريحي هذا كان يظلم نفسه فقط فهو أهون ممن يظلم الناس تجاوز الله عن سيئاته.

ونزل ثمة في دار شيخ الإسلام إذْ ذاك المولى فيض الله بن حسن جان[١]، وترجمه العلامة الأديب السيد محمد أمني المحبّي في ذيل نفحته، وذكر له من شعره، وقال في وصفه: ندب من طريق المجرة مصعده، وفي بحبوحة فرق الفرقد مقعده، محاسنه تبهر في الاتّقاد، وقد سلمت من التزييف والانتقاد، كأنّ الله عهد إلى اللّطف أنْ يكون فكانه، فلهذا ترى مكانه في كل عضو من أعضاء المحبة مكانه، وهو من مرايا الباصرة أحقّ بالنظر إليه من إغفائها، ومن حوايا القلب أولى بأنْ تكشفه من سويدائها، يعز عليَّ ويكبر لديّ، ويحل مني محل عيني ويدي، قد أوتي فصاحة ولسنا يدع ما يلفظ حسناً.

رقّت معانيه ورقّ كلامه ... فقلتُ هما لي روضة ومدامِ

خلقته مستوية، وذاته للكمال محتوية، وله أدب بمثابة الروض اخضلت منه الخمائل، وشعره قد أشرب رقة الخصور ولطف الشمائل، انتهى مقاله. ومن شعره قوله في النارنج:

انظر إلى النارنج في أغصانه ... الخضر اللّواتي للنواظر ممتعَهْ
كعقود ياقوت الحسان تبددت ... فتلقطته يد الزبرجد مسرعَهْ

ومن ذلك قول الأستاذ عبد الغني النابلسي في النارنج أيضاً:

ألا قم بي إلى روض وريق ... من الأنداء عذب فم وريقِ
ونارنج هناك كحمر نار ... تظنّ الدوح منه في حريق
بدا في حلّة خضراء يزهو ... مزررة بأزرار العقيق
وتحسبُ دوحة طوراً بساط ... الحرير الأخضر البادي البريق
وصبغ الأرغوان[٢] عليه باد ... كأمثال الدوائر يا رفيقي
أو الخدُّ المورد من حياء ... خلال عذاره النضر الأنيق
أو الأكر النضار تلقفتها ... صوالج زبرج بيدي رشيق
يكادُ ذوو التّوهم من بعيد ... يراهُ كروضة ذات الشقيق

ومن ذلك قول الفاضل محمد المحمودي:

وكأنما النارنج في ... أغصانه بادي التبغددِ
كرة العقيق تلقفتها ... صولجان من زمردِ

ومن ذلك قول السيد عبد الكريم نقيب الأشراف:

(١) فيض الله بن حسن جان: يعني من آل حسن جان وهو ابن أبي سعيد. وأبو سعيد: هو ابن أسعد بن محمد سعد الدين مشايخ الإسلام كابراً عن كابر، وفيض الله هذا كان تولّى المشيخة بعد محمد بن دباغ وخلفه علي وولي الإفتاء ثانياً وصار خلفه سلفه ومحمد صادق خلفه.

(٢) أرغوان: فارسي معرّبة أرجوان فضبطه الناظم على أصله.

ما شهدنا في الروض بالشجر النا رنج حقّاً سواك حاز المزيّة
ورقٌ من زبرجد نضر قدْ زيّنته بمارك العسجديّة

وقول السيد أسعد العبادي من ذلك:

حكى أحمر النارنج في شجراته وأزهاره لما تراءى لجلاسي
قناديل ياقوت بقضب زبرجد مرصعة فيها حجارة الماسِ

وللفاضل محمد الدكدكجي من ذلك أيضاً:

وأشجار نارنج كقامة غادة علتها من الديباج حلتها الخضرا
وقد رفعت أزرارها زررت بأزرار تبرٍ تسلب العقل والفكرا

وفي النارنج لابن المعتز:

وكأنما النارنج في أغصانه من خالص الذّهب الذي لم يخلطْ
كرة دحاها الصولجان إلى الهوى فتعلقت في جوّه لم تسقطْ

ولظافر الحداد:

تأمل فدتك النفس يا صاح منظراً يسرُّ به قلب اللّبيب على الفكرِ
حيا وابل يجري على شجر بدا به شجر النارنج كالأكر التبرِ
دموع حذاها الشوق فانهملت على خدود تراءت تحت أنقبة خضرِ

وقال الآخر:

وزكية في صفرة الدينار مجذوذة الجامات والأقطار
يُغْنِ عن المصباح ضوء صباحها فكأنما هي كبّة من نارِ

ولابن المعتز أيضاً:

كأنّما النارنج لما بدت صفرته في حمرته كاللّهيبِ
وجنة معشوق رأى عاشقاً فاصفرّ ثم احمرّ خوف الرّقيبِ

وقال الآخر:

نارنجة أبصرتها بكرة في كفّ ظبي مشرق كالقمرِ
كأنّه في يده جمرة قد أثّرت فيها رؤوس الأبرِ

وقال المعرّي:

نار تلوح من النارنج في قضب لا النار تخبو ولا الأشجار تشتعلُ

وقال آخر:

وشادن قلنا له صفْ لنا بستاننا الزاهي ونارنجنا

فقـــال بستـــانكــــم جنــــةً ومــن جنــي النــارنــج نــاراً جنــى

وفي النارنج تشابيه غير ذلك، وقال: وقد نثر الجلنار على صفحات أوراق فشبّهه المترجم بما رقّ وراقّ فقال:

وكــأنَّ سقــط الجلنــار علــى طــرس إلــى البلــور ذي نســبِ
وجـــه تعشّفــه الجمـــال فنقّـط خــدّه مـن خـالـص الـذّهـبِ

وطلب من خاتمة البلغاء الأستاذ الشيخ عبد الغني تشبيهه فقال:

لا تعجبـوا الانتشـار الجلنّـار علـى طرس لكـم واعجبوا مـن صنعة الباري
بيـاض هـذا بـدا مـن تحـت حمـرة ذا جـلّ المـؤلـف بيـن الثلـج والنـارِ

وقال السيد أسعد العبادي فيه:

كـــأنّ سقـــط الجلنّـــار علـــى الطـرس الـذي بـدا مـن الفضّـهْ
خـــدٌ المليـــح وقـــد أشــرّت لــه وغمـــزتـــه روضـــة غضّـــهْ

وقال عبد الرحمن بن عبد الرزاق فيه:

كـــأنَّ سقـــط الجلنّـــا ر فـــي أعـــالـــي الـــورقِ
أثـــار لثـــم قـــد بـــدت فـــوق بيـــاض العنـــق

ومن بدائع المترجم قوله مؤرخاً في عذار:

لمـــا بـــدا خـــط العـــذا ر بطلعـــة القمـــر الفـــريـــدِ
كمـــل الجمـــال فخلتـــه كـالشمـس فـي شـرف السعـود
فكـــأنّ خضـــره نفســـه فـــي صفحـــة الخـــدٌ السعيـــد
قطـــع الـــزبـــرجـــد نظمـــت فجعلـــنَ تيجـــان الخـــدودِ
أو نَبَـــتَ ريحـــان بـــدا فـــي لـــوح يـــاقـــوت نضيـــد
أو طلـــع نمّـــام أتـــى كيمـــا ينـــمّ علـــى الـــورود
أو نفحـــة المســـك أنبـــرت فـــوقّـــت بمـــا ورد وعـــود
أو نظـــم نـــدٌ خلتـــه ورق البنفســـج فـــي عقـــود
أو أرجـــل النمـــلِ انثنـــت عـــن ورد مبسمـــه الـــرود
أو خـــط محـــراب الهـــدى يصبـي الحسـان إلـى السجـود
أو مـــرســـل فـــي خـــدّه يـــدعـــو إلـــى دار الخلـــود
أو سطـــر حســـن رقّ لـــي حســـن التغـــزّل والنشيـــد
قـــد قلـــت لمـــا صـــاغـــه قلـم المحـاسـن فـي الخـدود
كتـــب الجمـــال مـــؤرِّخـــاً خـــط الـــزبـــرجـــد بـــالـــورودِ

ومن معمّياته قوله في علي:

لاحَ شمساً فوق غصن يانع زانه خال على خدٍّ نقي
خلتُ تحت الشمس لما أنْ بدا طلع الورد بخديك يقي

وفي عمر:

بروحي شادن ألمى ظريف القدّ ممتشقَهْ
دنا واللحظ رائده ورام القلب فاسترقَهْ

وفي حسين:

أفديه ظبياً بالدّلال مولّعاً رود الشباب مورد الوجناتِ
عذب الثنايا والمقبل مترف لولا التعوّذ ذاب باللّحظات

وكانت وفاته في يوم الجمعة الحادي والعشرين من رجب سنة سبع وأربعين ومائة وألف، ودفن عند والده الآتي ذكره بتربة الباب الصغير، شرقي سيدي بلال الحبشي رضي الله عنه.

عبد الصمد ابن همت:

٣٣٩ ـ عبد الصمد بن عبدالله بن همت بن علي الخلوتي الحنفي القسطنطيني: أحد المشايخ المشهورين بالفضل والنبل والدراية والصلاح، ولد بقسطنطينية سنة إحدى وثمانين وألف ونشأ بكنف والده الآتي ذكره، وحفّته دعواته واستظلّ برواقه، وقرأ وحصّل وتفوّق، ولما توفّي والده المذكور في شوال سنة اثنين وعشرين بعد المائة ولي مكانه المشيخة في زاويتهم الكائنة بالقرب من البستان الجديد المعروفة بهم، وتصدّر للإرشاد والإفادة ووعظ في جوامع السلاطين بدار السلطنة كوالده وجده، وآخراً صار يعظُ في جامع السلطان سليمان خان، وعظم قدرهُ وفشا ذكره واعتقده الناس، وكان من رؤساء المشايخ ومشاهير الوعّاظ، ولم يزل على حالته إلى أنْ مات، وكانت وفاته سنة إحدى وخمسين ومائة وألف، ودفن باسكدار وسيأتي ذكر والده وولده نور الدين رحمهم الله تعالى.

عبد العال الخليلي:

٣٤٠ ـ عبد العال بن محمد بن أحمد الخليلي، السيد، الشريف لأمّ والده، الشافعي العالم الفاضل المتقن: قرأ بمصر على شيوخها وانتفع بهم، ودرّس وأفاد وألّف حاشية على الإحياء للغزالي، وحاشية على شرح المنهج في الفقه، وكتب بخطّه كتباً كثيرة، وبالجملة فقد كان من العلماء وقطنَ مصر إلى أنْ مات، وكانت وفاته بمصر في سنة اثنين وثمانين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

عبد الغفور الجوهري:

٣٤١ ـ عبد الغفور بن محمد، المعروف بالجوهري الشافعي النابلسي، الشيخ النحوي المنطقي الفقيه: ولد بنابلس، وقرأ القرآن على الشيخ أبي بكر الأخرمي، وأخذ الحديث عنه، وأثنى عليه في قوة الفهم، وكان الشيخ المذكور من خيار العلماء، عالماً محدثاً فقيهاً، وله تآليف، منها شرح الجامع الصغير في الحديث في مجلدين، وشرح على ألفية ابن مالك في النحو، وله غير ذلك من تآليف وحواشي، وكانت وفاته في شعبان سنة إحدى وتسعين وألف، وتنبل المترجم، وكان له قدم راسخ في التصوّف، وأخذ طريق السادة الشاذلية عن الأستاذ الشيخ محمد المزطاري المغربي وأجازه وكتب له إجازة، واجتمع بالأستاذ الدمشقي الشيخ عبد الغني المعروف بالنابلسي في رحلته لتلك الأماكن، وكتب له الأستاذ المذكور على إجازة الشيخ المزطاري قوله:

إنّ هـذا المجـاز عبـد الغفـور ... فـي طـريـق للشـاذلية نـورِ
أسعـدتـه إجـازة مـن مجيـز ... فـي مـراقـي ذوي التقـى مشهـور
زادهُ الله هيبـــة وكمـــالاً ... وحبـــاهُ بفضلـــه والأجـــور
وحمـاهُ مـن كـل سـوء وشـر ... وعليـه وإلـى كثيـر السـرور
وأنـا العبـد للغنـي ومـن نـا ... بلـس نسبتـي لـدى الجمهـور
لـم تـزل رحمـة المهيمـن تحمـي ... أهـل هـذا الطـريـق أسـد الخـدور
مـا سـرت نسمـة علـى روض زهـر ... وانثنـى الغصـن مـن غنـاء الطيـور

ومن تآليف المترجم، حاشية مفيدة على شرح المعفوات لابن العماد، وشرح لطيف على قصيدة الشيخ أبي مدين الغوث التي مطلعها (ما لذة العيش إلاّ صحبة الفقرا) وله رسائل في التصوّف.

الشيخ عبد الغني النابلسي قدس سره:

٣٤٢ ـ الشيخ عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني بن إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم، المعروف كأسلافه بالنابلسي، الحنفي الدمشقي النقشبندي القادري أستاذ الأساتذة وجهبذ الجهابذة الولي العارف، ينبوع العوارف والمعارف، الإمام الوحيد، الهمام الفريد، العالم العلاّمة، الحجة الفهّامة، البحر الكبير، الحبر الشهير، شيخ الإسلام صدر الأئمة الأعلام: صاحب المصنفات التي اشتهرت شرقاً وغرباً، وتداولها الناس عجماً وعرباً، ذو الأخلاق الرضيّة، والأوصاف السنيّة، قطب الأقطاب، الذي لم تنجب بمثله الأحقاب، العارف بربّه، والفائز بقربه وحبّه، ذو الكرامات الظاهرة، والمكاشفات الباهرة.

هيهـات لا يـأتـي الـزمـان بمثلـه ... إنّ الـزمـان بمثلـه لبخيـلُ

وعلى كل حال فهو الذي لا تستقصى فضائله بعبارة، ولا تحصر صفاته وفواضله

بإشارة، والمطوِّل في مدح جنابه مختصر جداً، والمكثِّر في نعت صفاته مقل ولو بلغ نهاية وحدّاً، ولد بدمشق رضي الله عنه في خامس ذي الحجة سنة خمسين وألف، وكان والده سافر إلى الروم وهو حمل[١]، فبشّر والدته به المجذوب الصالح الشيخ محمود المدفون بتربة الشيخ يوسف القميني بسفح قاسيون وأعطاها درهماً فضة، وقال لها: سمّيه عبد الغني فإنه منصور، وتوفّي الشيخ محمود المذكور قبل ولادة الشيخ بأيام، ثم وضعته في التاريخ المذكور، وشغله والده بقراءة القرآن، ثم بطلب العلم، وتوفّي والده في سنة اثنين وستين وألف، فنشأ يتيماً موفقاً، واشتغل بقراءة العلم، فقرأ الفقه وأصوله على الشيخ أحمد القلعي الحنفي، والنحو والمعاني والتبيان والصرف على الشيخ محمود[٢] الكردي نزيل دمشق، والحديث ومصطلحه على الشيخ عبد الباقي الحنبلي، وأخذ التفسير والنحو أيضاً عن الشيخ محمد المحاسني، وحضر دروس والده في التفسير بالمدرسة السليمية، وفي شرح الدّرر بالجامع الأموي، ودخل في عموم إجازته، وحضر دروس النّجم الغزي ودخل في عموم إجازته، وقرأ أيضاً وأخذ على الشيخ محمد بن أحمد الإسطواني، والشيخ إبراهيم بن منصور الفتّال، والشيخ عبد القادر بن مصطفى الصفّوري الشافعي، والسيد محمد بن كمال الدين الحسيني الحسني بن حمزة نقيب الأشراف بدمشق، والشيخ محمد العيثاوي، والشيخ حسين بن اسكندر الرومي نزيل المدرسة الكلاسة بدمشق، وشارح التنوير وغيره، والشيخ كمال الدين العرضي الحلبي الأصل الدمشقي، والشيخ محمد بن بركات الكوافي الحمصي ثم الدمشقي وغيرهم، وأجاز له من مصر الشيخ علي الشبراملسي[٣]، وأخذ طريق القادرية عن الشيخ السيد عبد الرزاق الحموي الكيلاني، وأخذ طريق النقشبندية عن الشيخ سعيد البلخي، وابتدأ في قراءة الدروس وإلقائها والتصنيف لما بلغ عشرين عاماً، وأدمن المطالعة في كتب الشيخ محيي الدين ابن العربي قدس الله سره، وكتب السادة الصوفية كابن سبعين والعفيف التلمساني، فعادت عليه بركة أنفاسهم فأتاه الفتح اللّدني، فنظم بديعية في مدح النبي ﷺ، فاستبعد بعض المنكرين أنْ تكون من نظمه، فاقترح عليه أنْ يشرحها، فشرحها في مدة شهر شرحاً لطيفاً في مجلد، ثم نظم بديعية أخرى، والتزم فيها تسمية النوع، وشرع في إلقاء الدروس بالجامع الأموي، فأقرأ بكرة لنهار في عدة فنون، وبعد العصر في الجامع الصغير، ثم الأربعين النووية ثم الأذكار النووية وغيرها، وبايع في آخر عمره سنة وفاته جميع العباد بالملأ العام بين الأنام وصدر له في أول أمره أحوال غريبة وأطوار عجيبة، واستقام في داره الكائنة بقرب الجامع الأموي في سوق العنبرانيين مدة سبع سنوات لم يخرج منها، وأسدل شعره ولم يقلم أظفاره، وبقي في حالة عجيبة، وصارت

(١) حمل بفتح الأول فسكون وصف بالمصدر جمعه حمال وأحمال.
(٢) ترجمه المحبّي في خلاصته.
(٣) ترجمة علي الشبراملسي في الخلاصة.

تعتريه السودا في أوقاته، وصارت الحسّاد تتكلّم فيه بكلام لا يليق به من أنّه يترك الصلوات الخمس، وأنّه يهجو الناس بشعره وهو رضي الله عنه بريء من ذلك، وقامت عليه أهالي دمشق وصدر منهم في حقّه الأفعال الغير المرضية[١]، حتى إنّه هجاهم وتكلّم بما فعلوه معه، ولم يزل حتى أظهره الله للوجود، وأشرقت به الأيام ورفل في حلل الإقبال والسعود، وبادرت الناس للتملي باجتلاء بركاته والترجي لصالح دعواته، ووردت عليه أفواج الواردين، وصار كهف الحاضرين والوافدين، واستجيز من سائر الأقطار والبلاد، وعمّت نفحاته وعلومه الأنام والعباد، وارتحل أولاً إلى دار الخلافة في سنة خمس وسبعين وألف فاستقام بها قليلاً، وفي سنة مائة بعد الألف ذهب إلى زيارة البقاع وجبل لبنان، ثم في سنة إحدى ومائة بعد الألف ذهب إلى زيارة القدس والخليل، ثم في سنة خمس ومائة ذهب إلى مصر، ومن ثمة إلى الحجاز وهي رحلته الكبرى، ولكل من هذه الزيارات رحلة سيجيء ذكرها، وفي سنة اثنتي عشرة ومائة وألف ذهب إلى طرابلس الشام نحو أربعين يوماً، وصنف فيها رحلة صغيرة ولم تشتهر، وانتقل من دمشق من دار أسلافه إلى صالحيتها في ابتداء سنة تسع عشرة ومائة وألف إلى دارهم المعروفة بهم الآن، إلى أنْ مات بها، وكان يدرّس البيضاوي في صالحية دمشق بالسليمية جوار الشيخ الأكبر قدس سرهما، وابتدأ بالدّرس من سنة خمس عشرة ومائة وألف، وتآليفه ومصنفاته كثيرة، وكلها حسنة متداولة مفيدة، ونظمه لا يحصى لكثرته.

ومن تصانيفه: «التحرير الحاوي بشرح تفسير البيضاوي» وصل فيه من أوّل سورة البقر إلى قوله تعالى: ﴿من كان عدواً لله﴾ في ثلاث مجلدات، وشرع في الرابع، ومنها «بواطن القرآن ومواطن العرفان» كلّه منظوم على قافية التاء المثناة، وصل فيه إلى سورة براءة، فبلغ نحو الخمسة آلاف بيت، ومنها «كنز الحق المبين في أحاديث سيد المرسلين»، و «الحديقة الندية، شرح الطريقة المحمديّة» للبركلي الرومي، و «ذخائر المواريث في الدّلالة على مواضع الأحاديث»، و «جواهر النصوص في حلّ كلمات الفصوص» للشيخ محيي الدين ابن العربي قدس سره، و «كشف السرّ الغامض شرح ديوان ابن الفارض»، و «زهر الحديقة في ترجمة رجال الطريقة»، و «خمرة الحان ورنّة الألحان شرح رسالة الشيخ أرسلان»، و «تحريك الإقليد في فتح باب التوحيد»، و «لمعان البرق النجدي شرح تجليات محمود[٢] أفندي»، الرومي المدفون باسكدار، و «المعارف الغيبية شرح العينية الجيلية»، وإطلاق

---

(١) سبحان الله كيف أغضبوه بعد واقعة تيمورلنك بالشام، وكان قال الشهاب الخفاجي في علي الزيادي نور الدين، لنور الدين فضل ليس يخفى تضيء به الليالي المدلهّمة يريد الحاسدون ليطفئوه ويأبى الله إلا أنْ يتمه.

(٢) محمد الإسكداري ترجمه المحبّي في خلاصته، وذكر خليفته أيضاً وهو محمود غفوري.

القيود شرح مرآة الوجود»، و «الظلُّ الممدود في معنى وحدة الوجود» و «رائحة الجنة شرح إضاءة الدجنة»، و «فتح المعين المبدي شرح منظومة سعدي أفندي»، و «دفع الاختلاف من كلام القاضي والكشّاف»، و «إيضاح المقصود من معنى وحدة الوجود»، و «كتاب الوجود الحق والخطاب الصدق»، و «نهاية السول في حلية الرسول ﷺ»، و «مفتاح المعيّة شرح الرسالة النقشبندية»، و «بقية الله خير بعد الفناء في السير»، و «المجالس الشاميّة في مواعظ أهل البلاد الروميّة»، و «توفيق الرتبة في تحقيق الخطبة»، و «طلوع الصباح على خطبة المصباح»، و «الجواب التام عن حقيقة الكلام»، و «تحقيق الانتصار في اتفاق الأشعري والماتريدي على الاختبار»، و «كتاب الجواب عن الأسئلة المائة والإحدى والستين»، و «برهان الثبوت في تربة هاروت وماروت»، و «لمعان الأنوار في المقطوع لهم بالجنة والمقطوع لهم بالنار»، و «تحقيق الذوق والرشف في معنى المخالفة بين أهل الكشف»، و «روض الأنام في بيان الإجازة في المنام»، و «صفوة الأصفياء في بيان الفضيلة بين الأنبياء»، و «الكوكب الساري في حقيقة الجزء الاختياري»، و «أنوار السلوك في أسرار الملوك»، و «رفع الريب عن حضرة الغيب»، و «تحريك سلسلة الوداد في مسألة خلق أفعال العباد»، و «زبد الفائدة في الجواب عن الأبيات الواردة»، و «النظر المشرفي في معنى قول الشيخ عمر ابن الفارض عرفت أم لم تعرف»، و «السر المختبي في ضريح ابن العربي رضي الله عنه»، و «المقام الأسمى في امتزاج الأسما»، و «قطرة السماء ونظرة العلماء»، و «الفتوحات المدنية في الحضرات المحمديّة»، و «الفتح المكي واللمح الملكي»، و «الجواب المعتمد عن سؤالات أهل صفد»، و «لمعة النّور المضيّة شرح الأبيات السبعة الزائدة من الخمرية الفارضية»، و «الحامل في الملك والمحمول في الفلك في أخلاق النّبوة والرسالة والخلافة في الملك»، و «النفحات المنتشرة في الجواب عن الأسئلة العشرة عن أقسام البدعة» و «القول الأبيَنْ في شرح عقيدة أبي مَدْيَن»، وهو المسمّى بابن عراق، و «كشف النور عن أصحاب القبور»، وفيه كرامات الأولياء بعد الموت، و «بذل الإحسان في تحقيق معنى الإنسان»، و «القول العاصم في قراءة حفص عن عاصم» (نظماً على قافية القاف وشرح هذا النظم) و «صرف العنان إلى قراءة حفص بن سليمان»، و «الجواب المنثور والمنظوم عن سؤال المفهوم»، و «كتاب علم الملاحة في علم الفلاحة»، و «تعطير الأنام في تعبير المنام»، و «القول السديد في جواز خلف الوعيد والردُ على الرجل العنيد»، و«رد التعنيف على المعنف وإثبات جهل هذا المصنف»، و«هدية الفقير وتحية الوزير»، و «القلائد الفرائد في موائد الفوائد»، في فقه الحنفية على ترتيب أبواب الفقه و «كتاب ربع الإفادات في ربع العبادات»، و «كتاب المطالب الوفية شرح الفرائد السنية» (منظومة الشيخ أحمد الصفدي)، و (ديوان الإلّهيات الذي سمّاه) «ديوان الحقائق وميدان الرقائق»، و (ديوان المدائح النبوية المسمّى) «بنفحة القبول في مدحة الرسول» (وهو مرتب على الحروف

وديوان المدائح المطلقة، والمراسلات والألغاز وغير ذلك)، و (ديوان الغزليات) المسمّى «خمرة بابل وغناء البلابل»، و «غيث القبول همي في معنى جعلا له شركاء فيما آتاهما»، و «رفع الكساء عن عبارة البيضاوي في سورة النساء»، و «جمع الأشكال ومنع الإشكال»، عن عبارة تفسير البغوي، و «الجواب عن عبارة في الأربعين النووية في قوله رويناه»، و «رفع الستور عن متعلق الجار والمجرور في عبارة خسرو» و «الشمس على جناح طائر في مقام الواقف السائر»، و «العقد النظيم في القدر العظيم»، في شرح بيت من بردة المديح، و «عذر الأئمة في نصح الأمّة»، و «جمع الأسرار في منع الأشرار عن الظنّ في الصوفية الأخيار»، و «جواب سؤال ورد من طرف بطرك النصارى في التوحيد»، قال المصحح: البطرك على وزن قَمْطَر، وبَرْمَك وبطريق وزان زنديق بمعنى انتهى. و «فتح الكبير بفتح راء التكبير»، ورسالة في سؤال عن حديث نبوي، و «تحقيق النظر في تحقيق النظر في وقف معلوم»، و «جواب سؤال في شرط واقف من المدينة المنورة»، و «كشف الستر عن فريضة الوتر»، و «نخبة المسألة شرح التحفة المرسلة» (في التوحيد)، و «بسط الذراعين بالوصيد في بيان الحقيقة والمجاز في التوحيد»، و «رفع الاشتباه عن علمية اسم الله»، و «حق اليقين وهداية المتقين»، (ورسالة في تعبير رؤيا سئل عنها)، و «إرشاد المتملي في تبليغ غير المصلي»، و «كفاية المستفيد في علم التجويد»، ورسالة في حلّ نكاح المتعتقة على الشريعة، و «صدح الحمامة في شروط الإمامة»، و «تحفة الناسك في بيان المناسك»، و «بغية المكتفي في جواز الخف الحنفي»، و «الرد الوفي على جواب الحصكفي في رسالة الخف الحنفي»، و «حلية الذهب الإبريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز»، و «رنّة النسيم وغنة الرخيم»، و «فتح الإنفلاق في مسألة على الطلاق»، و «الخضرة الأنسية في الرحلة القدسيّة»، و «ردُّ المتين على منتقص العارف محيي الدين»، و «الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز»، و «وسائل التحقيق في رسائل التدقيق» (في مكاتبات علمية)، و «إيضاح الدلالات في سماع الآلات»، و «تخيير العبّاد في سكن البلاد»، و «رفع الضرورة عن حج الصيرورة»، و (رسالة في الحث على الجهاد) و «اشتباك الأسنّة في الجواب عن الفرض والسنّة»، و «الابتهاج في مناسك الحاج»، و «أجوبة الأنسية عن الأسئلة القدسيّة»، و «تطييب النفوس في حكم المقَادِم والرؤوس»، و «الغيث المنبجس في حكم المصبوغ بالنجس»، و «إشراق المعالم في أحكام المظالم»، (ورسالة في احترام الخبز)، و «إتحاف من بادر إلى حكم النوشادر»، و «الكشف والتبيان عما يتعلّق بالنسيان»، و «النعم السوابغ في إحرام المدني من رابغ»، و «سرعة الانتباه لمسألة الاشتباه»، (في فقه الحنفية)، (ورسالة في جواب سؤال من بيت المقدس)، و «تحفة الراكع الساجد في جواز الاعتكاف في فناء المساجد»، (وجواب سؤال ورد من مكة المشرفة عن الاقتداء من جوف الكعبة)، و «خلاصة التحقيق في حكم التقليد والتلفيق» و «إبانة النص في مسألة القصّ» أي قص

اللّحية، و «الأجوبة البتّة عن الأسئلة الستّة»، و «رفع العناد عن حكم التفويض والإسناد» في (نظم الوقف)، و «تشحيذ الأذهان في تطهير الأدهان»، و «تحقيق القضية في الفرق بين الرشوة والهدّية»، و «تفوه الصور شرح عقود الدرر فيما يفتى به على قول زفر»، و «الكشف عن الأغلاط التسعة من بيت الساعة» (من القاموس)، ورسالة في (حكم التسعير من الحكام) و «تقريب الكلام على الأفهام»، في معنى (وحدة الوجود)، و «النسيم الربيعي في التجاذب البديعي»، و «تنبيه من يلهو عن صحة الذكر بالاسم هو»، و «الكواكب المشرقة في حكم استعمال المنطقة من الفضة»، و «نتيجة العلوم ونصيحة علماء الرسوم في شرح مقالات السرهندي المعلوم» ورسالة في معنى البيتين (رأت قمر السماء فاذكرتني إلى آخره) و «تكميل النعوت في لزوم البيوت» (وسؤال ورد في بيت المقدس ومعه جواب منه) و «الجواب الشريف للحضرة الشريفة أنَّ مذهب أبي يوسف ومحمد هو مذهب أبي حنيفة»، و «تنبيه الأفهام على عدة الحكام» (شرح منظومة القاضي محبّ الدين الحموي)، و «أنوار الشموس في خطب الدروس» (ومجموع خطب التفسير وصل فيه إلى ستمائة خطبة واثنين وثلاثين)، و «الأجوبة المنظومة عن الأسئلة المعلومة» (من جهة بيت المقدس)، و «التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية»، و «العبير في التعبير» (نظماً من بحر الرجز)، و «تحصيل الأجر في حكم أذان الفجر»، و «قلائد المرجان في عقائد الإيمان»، و «الأنوار الإلّهية شرح المقدمة السنوسية»، و «غاية الوجازة في تكرار الصلاة على الجنازة»، (وشرح أوراد الشيخ عبد القادر الكيلاني) و «كفاية العلام في أركان الإسلام» (منظومة مائة وخمسون بيتاً)، و «رشحات الأقدام شرح كفاية الغلام»، و «الفتح الربّاني والفيض الرحماني»، و «بذل الصلاة في بيان الصلاة» (على مذهب الحنفية)، و «نور الأفئدة شرح المرشدة»، و «إسباغ المنّة في أنهار الجنّة»، و «نهاية المراد شرح هدية ابن العماد» (في فقه الحنفية)، و «إزالة الخفا عن حلية المصطفى ﷺ»، و «نزهة الواجد في الصلاة على الجنائز في المساجد»، و «صرف الأعنّة إلى عقائد أهل السنّة»، و «سلوى النديم وتذكرة العديم»، و «النوافح الفائحة بروائح الرؤيا الصالحة»، و «الجوهر الكلّي شرح عمدة المصلّي»، (وهي المقدمة الكيدانية)، و «حلية العارمي في صفات الباري»، و «الكوكب الوقّاد في حسن الاعتقاد»، و «كوكب الصبح في إزالة ليل القبح»، و «العقود اللؤلؤية في طريق المولوية»، و «الصراط السوي شرح ديباجات المثنوي»، و «بداية المريد ونهاية السعيد»، و «نسمات الأسحار في مدح النبي المختار» (وهي البديعية) وشرحها، «نفحات الأزهار على نسمات الأسحار»، و «القول المعتبر في بيان النظر»، (ورسالة في العقائد) و «حلاوة الآلاء في التعبير إجمالاً»، و «المقاصد الممحّصة في بيان كيّ الحمصة»، و (رسالة أخرى في كي الحمصة)، و «زيادة البسطة في بيان العلم نقطة»، و «اللؤلؤ المكنون في حكم الأخبار عما سيكون»، و «ردُّ الجاهل إلى الصواب في جواز إضافة التأثير إلى الأسباب»، و «القول المختار في الرد على

الجاهل المحتار» (ودفع الإيهام جواب سؤال)، و «الكوكب المتلالي شرح قصيدة الغزالي»، و «ردُّ المفتري عن الطعن في الششتري»، و «التنبيه من النوم في حكم مواجيد القوم»، و «إتحاف الساري في زيارة الشيخ مدرك الفزاري»، وديوان الخطب المسمّى، «بيوانع الرطب في بدائع الخطب»، و «الحوض المورود في زيارة الشيخ يوسف والشيخ محمود»، و «مخرج الملتقى ومنهج المرتقى»، (ومنظومة في ملوك بني عثمان)، و «ثواب المدرك لزيارة الست زينب أو الشيخ مدرك» و «عيون الأمثال العديمة المثال»، و «غاية المطلوب في محبة المحبوب»، و «مناغاة القديم ومناجاة الحكيم»، و «الطلعة البدرية شرح القصيدة المضريّة»، و «الكتابة العلية على الرسالة الجنبلاطية»، و «ركوب التقييد بالإذعان في وجوب التقليد في الإيمان»، و «ردُّ الحِجَجْ الداحضة على عصبة الغي الرّافضة»، وشرح نظم قبضة النور المسمى، «نفخة الصور ونفحة الزهور»، و «مفتاح الفتوح في مشكاة الجسم وزجاجة النفس ومصباح الروح»، و «صفوة الضمير في نصرة الوزير»، وشرح نظم السنوسية المسمى، بـ «اللطائف الأنسية على نظم العقيدة السنوسية»، و «تحقيق معنى المعبود في صورة كل معبود»، ورسالة في قوله عليه السلام من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشراً، و «أنس الحافر في معنى من قال أنا مؤمن فهو كافر»، و «تحرير عين الإثبات في تقرير عين الاثبات»، و «تشريف التغريب في تنزيه القرآن عن التعريب»، و «الجواب العلي عن حال الولي»، و «فتح العين عن الفرق بين التسميتين»، (يعني تسمية المسلمين وتسمية النصارى)، و «الروض المعطار بروائق الأشعار»، و «الصلح بين الإخوان في حكم إباحة الدخان»، وله رضي الله عنه غير ذلك من التصانيف والتحريرات والكتابات والنظم، وكان عالماً مالكاً أزمة البراعة واليراعة، فقيهاً متبحراً، يدري الفقه ويقرّره، والتفسير ويحرره، غوّاصاً على المسائل، خبيراً بكيفية الاستدلال والدلائل، ذا طبع منقاد وبديهة مطواعة كما قيل:

إذا أخـذ القـرطـاس خلـت يمينـه ... تفتــح نــوراً أو تنظــم جــوهــرا

مصون اللسان عن اللّغو والشتم، لا يخوض فيما لا يعنيه، ولا يحقد على أحد، يحبّ الصالحين والفقراء، وطلبة العلم، ويكرمهم ويجلهم، ويبذل جاهه بالشفاعات الحسنة لولاة الأمور، فتقبل ولا ترد، معرضاً عن النظر إلى الشهوات لا لذّة له إلاّ في نشر العلم وكتابته، رحيب الصدر كثير السخاء، وله كرمات لا تحصى، وكان لا يحب أنْ تظهر عليه، ولا أنْ تحكى عنه، هذا مع إقبال الناس عليه ومحبتهم له واعتقادهم فيه، ورأى في أواخر عمره من العز والجاه ورفعة القدر ما لا يوصف، ومتّعه الله بقوته وعقله، فكان يصلّي النّافلة من قيام، ويصلي التراويح في داره إماماً بالناس، إلى أنْ مات، ويقرأ الخط الدقيق، ويكتب في تصانيفه كشرح البيضاوي وغيره، بعد أنْ جاوز التسعين، وكنت عزمتُ على أن أشنّف الأسماع بشيء من شعره ونثره، ثم رأيت أنّ الله سبحانه وتعالى قد نشرهما في البلاد، فشعره

ينشد في المحافل، ويحفظه الناس، وسار مسيرَ الشمس في كل بلدة، وتطرزت به المجاميع من الآداب فاقتصرت من بحر ترجمته على هذه القطرة، ومن كنز مآثره ومناقبه على هذه الشذرة، وقد أخذ عنه الوالد وأجازه حين ختم عليه الجد الفتوحات المكية، ودعا له وشملته بركاته، وأما إحصاء فضائله فلا تطاق بترجمة، وتصير منها بطون الأوراق مفعمة، وبالجملة فهو الأستاذ الأعظم، والملاذ الأعصم، والعارف الكامل، والعالم الكبير العامل القطب الرباني، والغوث الصمداني، من أظهره الله فأشرقت به شموس الإرشاد والعلوم، وأظهر خفيّات ما رقّ عن الأفهام، وصيّر المجهول معلوم، وقد حاز تاريخي هذا كمال الفخر، حيث احتوى على مثل هذا الإمام الذي أنجبه الدّهر وجاد به العصر، وهو أعظم من ترجمته علماً وولاية، وزهداً وشهرة ودراية، مرض رضي الله عنه في السادس عشر من شعبان سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف، وانتقل بالوفاة عصر يوم الأحد الرابع والعشرين من الشهر المذكور، وجهّز يوم الاثنين الخامس والعشرين من الشهر، وصلّي عليه في داره، ودفن بالقبّة التي أنشأها في أواخر سنة ست وعشرين ومائة وألف، وغلّقت البلد يوم موته، وانتشرت الناس في جبل الصالحية لكون البيت امتلأ وغصّ بالخلق، وبنى حفيده الشيخ مصطفى النابلسي إلى جانب ضريحه جامعاً حسناً بخطبة، والآن يتبرّك به ويزار سيما في صبيحة يوم السبت رضي الله عنه، وقد صنّف ابن سبطة صاحبنا العالم كمال الدين محمد الغزي العامري في ترجمته كتاباً مستقلاً سمّاه «الورد القدسي والوارد الأنسي في ترجمة العارف عبد الغني النابلسي» فمن أراد الزيادة على ما ذكرناه فعليه به فإنّه جامع للعجب العجاب من ترجمته قدّس الله سره[1].

عبد الغني بن رضوان:

٣٤٣ ـ عبد الغني بن رضوان الحنفي الصيداوي، مفتي الحنفية بها، ومحققها الشيخ العالم العلامة الكامل الصالح: كان متضلعاً من العلوم، وله يد طولى فيها، ويحبّ أهل الله من المجاذيب، وفضله أشهر من أنْ يذكر، وبالجملة فقد كان خاتمة البلغاء والعلماء بصيدا، ولم يخلفه شبه له، ولد بها في سنة إحدى ومائة وألف ونشأ بها، وحفظ القرآن وكنز الدقائق، وألفية ابن مالك، وقدم دمشق واشتغل بها في العلوم على جماعة، منهم الشيخ إلياس الكردي نزيلها، والشيخ أبو المواهب الحنبلي، وولده الشيخ عبد الجليل، والشيخ عثمان الشمعة، وأخذ الحديث عن الشيخ يونس المصري، مدرس قبة النسر بالجامع الأموي، ومكث بدمشق ثلاث سنوات، ثم عاد إلى صيدا، وارتحل منها إلى مصر، ومكث فيها إحدى عشرة سنة، وهو مشتغل بالعلوم ليلاً ونهاراً، وأخذ بها عن جماعة كالشيخ علي العقدي، والشيخ أحمد الملوي، والشيخ السيد علي الإسكندري، ومنصور المنوفي، وعبد الرؤوف البشبيشي، قرأ عليه البيضاوي في التفسير، وكان مشاركاً له في القراءة

(١) ترجمه والده إسماعيل في الخلاصة وجدّه عبد الغني أيضاً.

الشيخان العالمان الشيخ علي كزبر الدمشقي، والشيخ محمد همات[(١)] الدمشقي نزيل قسطنطينية، ثم عاد إلى صيدا وتولّى الإفتاء بها، وأحياها بالعلوم، واشتغل عليه جم غفير من أهلها، وكان سيبويه زمانه، فإنّه اشتهر بالنحو وتفسير الرؤيا، واستقام على هذه الحالة إلى أنْ مات، وكانت وفاته في ربيع الثاني سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

عبد الغني بن فضل الله:

٣٤٤ ـ **عبد الغني بن فضل الله بن عبد القادر الصالحي الحيسوب الفرضي البارع**: أخذ وقرأ على عدة شيوخ، وانتفع بهم، ومهر بأمر المساحة، والمناسخات، وكان مشهوراً بالفرائض وتتخذه أرباب القرايا[(٢)] والزراعات لمسح الأراضي، وحصل له صمم في أذنه وافتقر، وتغيّر حاله وأتعبه الدّهر، وكانت وفاته في سنة ست وثمانين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

عبد الغني الياغوشي:

٣٤٥ ـ **عبد الغني بن محمد بن إبراهيم بن صالح بن عمر باشا بن حسن باشا صاحب الخان والوقف المعروفين بدمشق، الشريف لأمّه، الدمشقي الحنفي الكاتب البارع النبيه الفطن الذكي**: ولد بدمشق ليلة السبت خامس شعبان سنة تسع وأربعين ومائة وألف، ونشأ بكنف والده، وأخذ الخطّ عن خاتمة الأدباء أحمد بن حسين الكيواني، وبرع بصناعة الإنشاء، وتعلّق على مطالعة كتب الأدب والمحاضرات، ولازم الأدباء وجالسهم، وفي سنة تسع وثمانين ومائة وألف رحل لقسطنطينية صحبة قاضي مكة المولى أحمد عطاء الله[(٣)] عرب زاده الذي هو الآن قاضي العساكر ورئيس العلماء، واجتمع بصدور الدولة ورؤسائها، ولما تولّى الصدارة الكبرى الوزير محمد باشا السلحدار صار يتفحص عن أمور الدولة، فأخبر عن المترجم بأشياء ذميمة، فصدر الأمر بنفيه إلى جزيرة لمنى، فبعد وصوله فرَّ منها وقدم بروسة، ولما أعطي الوزارة الكبرى الوزير محمد عزت باشا أطلق المترجم وأدخله في سلك الكتاب كتاب الوزير، وعيّن له بعض التعيينات السلطانية، وفي سنة سبع وتسعين

---

(١) لعله همت.

(٢) القرية بسكون الراء لا بتشديد الراء ولا بكسرها، والجمع قرى بضم الأوّل، والظاهر أنّ المؤرخ حملها على السكارى جمعاً، نعم تستعملها أقباط مصر فحذا المؤرّخ حذو الجبرتي رحمهما الله تعالى. فيفهم من قول المؤرّخ نسيان علم المساحة بالشام في القرن الثاني عشر، وقد كان يشار إلى المترجم به فمحمد علي باشا بنى المدارس بمصر في القرن الثالث عشر وأحيا العلوم ثم وسع حفيده إسماعيل باشا دائرة الفنون فلا يقدر أحد على زرع شبر من أرض جاهلاً مقدارها إلاّ بعد تخديدها وصدور الإذن منه، لوجود المهندسين وآل المساحة بها كثر.

(٣) عطاء الله ولي الإفتاء بعد إبراهيم واتبعه دري زاده قبل تمام الشهرين من توليته وأما السلحدار محمد فهو تولّى الصدارة بعد خليل وقبل محمد بن محسن وعزت محمد كان خلف محمد بن محسن هذا.

وجّهت وزارة دمشق للوزير درويش باشا ابن عثمان باشا، فرغب صاحب الترجمة في الانتماء والانتساب إليه، فترجّى من الدولة أنْ ينعموا عليه بأمر سلطاني يصير سبباً لمجيئه لدمشق، فأنعموا عليه بأمرين أحدهما خطاب لوالي حلب، والثاني للوزير المذكور مع بعض أوامر، فقدم حلب ودمشق، وصدرت منه زلّة أيضاً صارت سبباً لنفيه مرة ثانية، فنفي بالأمر السلطاني إلى جزيرة عورت تجاه بلدة طرابلس الشام، ثم جاءه العفو فرجع إلى دمشق، وله شعر لطيف ينبىء عن قدر في الأدب منيف، فمنه قوله ممتدحاً الوالد المرحوم:

ريم رشيق القدّ مائس ... قد بات لي سحراً موانسْ
نشوان من خمر الشبا ... ب مهفهف الأعطاف مائس
حلو الحديث وبارد الأنفاس ... ساجي الطرف ناعس
وافى وقد هدأت عيو ... ن الدار من واشٍ وحارس
فجلوتُ منه الشمس في ... غسق وجنح اللّيل دامس
وأخذت منه طائعاً ... ما كنت آخذ منه ناعس
ولمستُ من أعطافه ... ما لم يلامسه ملامس
أفديه من متوحّش ... قد صار لي في الوصل آنس
لم أنس ليلة بات لي ... ذاك الغزال بها مجالسْ
حتّى شهدت بحسنه ... حرب البسوس وحرب داحس
أشبهت يا ريم الكناس ... محاسناً صنم الكنائس
ألبستني حلل الضنا ... وشغلت قلبي بالهواجس
عجبي لطرفك كيف أسهرني ... بحبّك وهو ناعس
وضعيف خصرك كيف ... صلت به على الشوس المعاوس
إنْ لم تتب عمّا جنيت ... وترتدع عن ذي الوساوس
أشكو فعالك للهمام ... النّدب معدوم المجانس
بدر المساجد والمدا ... رس والمنابر والمجالس
نبراس آل محمد الغرِّ ... الميامين النبارس
سيف السيادة من به ... رغمت من الأعدا معاطس
نعمان أرباب الدروس ... فقيه أصحاب الطيالس
مخدوم سلطان الورى ... مولى الجميع بلا مجانس
قطب له الفضلاء في ... وقت الدروس غدت فرائس
تعس الذي أضحى له ... في الجود والإقدام قائس
هذا الذي واسى وقد ... عزّ المواسي والموانس
بحر السمّاح ومن تهلّل ... وجهه والجوُّ عابس

نطـــق إذا ازدحـــم النّـــدى بكـــلّ مـــرؤوس ورائـــس
تجثـوا الـرؤوس للثـم أخمصـه وتـــزدحـــم القـــلانـــس
فـــاهنـــأ بشهـــر الصـــوم يـــا شمـــس المكـــارم والنبـــارس
شهـــــر عظيـــــم قـــــدره ولنـــا بـــه الحنـــان حـــارس
مــــــولاي دعـــــوة آمـــــل مــن عطـف قلبـك غيـر آيـس
فـــأزح بصبـــح رضـــاك عـــن قلبـــي مـــن الكـــرب الحنـــادس
وألِـــنْ لـــي الـــزمـــن الـــذي مـا زال قـاصـي العطـف شـابـس
وإليكهــــا عــــذراء تــــر فـل مـن مـديحـك فـي مـلابـس
عـــربيـــة لـــم يـــأت قـــط بمثلهـــا فـــي الحســـن فـــارس
كـــلاّ ولا عبـــرت علـــى فكـــر الفحـــول بنـــي مكـــانـــس
فـــانحـــر لهـــا بـــدر النضـــا ر وزفّهـــا زَفّ العـــرائـــس
وبقيـــت مـــا بقيـــت تنـــا شـدهـا الأكـارم فـي المجـالـس

وله غير ذلك من الأشعار والنظام والنثار، وكانت وفاته بدمشق مطعوناً شهيداً في منتصف رجب الأصمّ سنة مائتين وألف، ودفن عند سلفه بتربة الباب الصغير رحمه الله تعالى.

عبد الغني بن محيي الدين بن مكية:

٣٤٦ ـ عبد الغني بن محيي الدين الحنفي النابلسي، وتقدّم عم والده حافظ الدين ابن مكية، أحد الأذكياء الأفاضل: ولد قبل المائة، واشتغل بحفظ القرآن وتجويده على والده الخطيب بالجامع الصلاحي، وتفقّه على عمّ أبيه المذكور، ثم رحل لمصر القاهرة وجاوز بالجامع الأزهر، وشمّر ساق عزمه في التحصيل، وفاز بحظ جزيل حتّى قيل لا نجد كعبد الغني في تحقيق المعاني وتدقيق المباني، وعاد لوطنه وصار فارس الرِّهان في مضمار البيان، وتولّى إفتاء نابلس ودرس بها، وانتفع عليه جملة من الطلبة، وقد نظم العشرة التي لا تجتمع مع عشرة بقوله:

نهـــى إمـــامنـــا أبـــو حنيفـــة عـــن اجتمـــاع عشـــرة منيفـــة
مـــع مثلهـــا أيضـــاً فكـــن متبعـــاً لقـــولـــه ومـــا تـــلا فـــاستمعـــا
وبعضهـــم قـــد ضـــمّ أشيـــاء أُخـــر لا تجتمـــع وذاك قـــول منتصـــر
الأوّل القطـــع مـــع الضّمـــان وجلـــدهـــم والـــرجـــم يفتـــرقـــان
تيمـــمٌ مـــع الـــوضـــوء يمتنـــع والعُشْـرُ مـع خـراجهـم لا يجتمـع
والأجـــر والضمـــان ثـــم المتعـــة مـــع مهـــرٍ مثـــل قيمـــة والـــدّيـــة
جلـــد مـــع النّفـــي إلـــى الأقطـــار والأجـــر مـــع غنـــم مـــن الكبـــار
وهكـــذا القصـــاص والكفّـــارة وصـــوم فـــرض وقضـــى مـــا اختـــاره

وفـــديـــة وهكـــذا الصّـــوم وصيّـــة ميـــراث زاد القـــوم
والحيـض أيضـاً واستحـاضـة أتـت كمـالـه الجمهـور نصـاً قـرّرتْ

كانت وفاته في ليلة السابع والعشرين من رمضان بعد قيامه من المقرأ، وقد وقفوا على سورة الواقعة والتوبة إذ ذاك عليه، سنة سبع وأربعين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

عبد الفتاح التميمي:

٣٤٧ ـ عبد الفتاح بن درويش التميمي الحنفي النابلسي، خاتمة المحققين، الشيخ العالم الفاضل الفقيه: جاور بالقدس وتفقّه على مفتيها الشيخ السيد عبد الرحيم المطفي، ولما توسّم النجابة فيه زوّجه بابنته، وأظهر بين أقرانه علو رتبته، وباشر إفتاء القدس عنه مرات متعددة بطريق الوكالة، أخبر ولده بأنّه لم يعهد نفسه إلاّ في حفظ القرآن وتجويده، وله من التآليف كتاب في الفقه غزير الفوائد سمّاه «الفوائد الفتّاحية في فقه الحنفية»، وله فتاوى لطيفة جمعها مدة مباشرته الفتيا، وكانت وفاته في أواخر سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف، وسيأتي إنْ شاء الله تعالى ذكر ولديه مصطفى ومحمد، في محلّهما رحمهما الله تعالى.

عبد الفتاح ابن مغيزل:

٣٤٨ ـ عبد الفتاح بن مصطفى بن عبد الباقي بن عبد الرحمن بن محمد، المعروف بابن مغيزل، الشافعي الدمشقي الفاضل الأديب البارع الطبيب: كان له في الأدب وفنونه الإطّلاع والوقوف التام، مع مهارة في علم الطب والحكمة، دمث الأخلاق، حسن العشرة، طيب المذاكرة، سَلِمَ النّاس من يده ولسانه، لا يعتني فيما لا يعنيه، ولا يشغل نفسه بشيء إلى المذلّة يدنيه، ولد بدمشق في سنة اثنين وعشرين ومائة وألف كما أخبرني من لفظه، واشتغل بطلب العلم بعد أنْ تأهّل له، فقرأ على جدّه السيد عبد الباقي، والشيخ محمد الحبّال، والشيخ إسماعيل العجلوني، والشيخ محمد الديري، وانتفع على الشيخ محمد قولقسز، وقرأ أيضاً على الشيخ محمد الغزي الفرضي مفتي الشافعية بدمشق، وعلى الشيخ أحمد المنيني، والشيخ صالح الجينيني، والشيخ علي كزبر، وحضرهم، وأخذ عن الأستاذين العارفين الشيخ عبد الغني النابلسي، والشيخ مصطفى الصدّيقي، وفي آخر أمره لازم الشيخ عمر البغدادي نزيل دمشق، وحضره في الفتوحات المكية وشرح فصوص الحكم للجندي وغيرهما، وكان تحفة ندمانه، وشمّامة خلاّنه، مصطحباً زمرة أفاضل وأدباء وسادة، وكان يكثر التردّد إلى بني حمزة النقباء بدمشق، وهو من خواصّهم، وكان في الطب يراجع ويعالج المرضى، وكانت عليه وظائف قليلة فرغها لابن أخيه عند موته، وفي آخر أمره حصل له داء المفاصل، فنكِدَ عيشه وأفناه وأعلّه وأضناه، فكان تارة يخرج من البيت، وتارة يستقيم، وملازمته لداره أكثر، وصدق عليه قول القائل:

ومـن حكـم المـولـى التـي تبهـر النّهـى طبيـــب يـــداوي النّـــاس وهـــو عليـــلُ

ولم يزل مرضه يزداد إلى أنْ مات.

ومن شعره الباهي ما كتبه إليَّ حينَ قدمتُ من الدّيار الرومية ممتدحاً:

ضاءت بطلعتكَ الأكوان وابتهجت ... بكَ المنازلُ بل قرّت بك المقلُ
وطائر اليمن نادى بالمنى علناً ... بشرى لنا الأمن لا خوفٌ ولا وجلُ
رقيتَ أوج المعالي يا ابن بجدتها ... فدون رتبتك العليا غدا زحلُ
حويتَ كل بديعٍ في القريض فلو ... أدركتَ سحبان لم يضرب به المثل
سموتَ بالفضلِ حتّى قيل ليس لنا ... سوى الخليلِ مجيباً كل ما سألوا
وجدتَ حتّى غدا الطائي في خجل ... وآب راجيك لم يقصر به الأمل
ونلتَ بالعزم بل بالحزم ما قصّرت ... عنه الصدور فأنت الأوحد البطل
لله درُّكَ يا نجل العلى لقد ... نظمت شمل الدراري بعدما أفلوا
فاسْلم ودُمْ ببقاء الدّهر مرتقياً ... تحيي مآثر ما قد شاده الأول
واهنأ بعام جديد دمتَ في دعة ... ورفعة ببرود المجد تشتمل
واعذر أخا فكرة أقصى مداركها ... وهنُ العظام وشيبُ الرأس مشتعلُ

ومن شعره ما قاله بقرية الهامة في وادي بردى أحد منتزهات دمشق:

يا حُسْنَ روض حللنا ضمن ساحته ... يزهو بأربعة تمت بها النعمُ
لطف النسيم وزهر الروض يخجله ... ثغرُ الحبيب إذا ما افترَّ يبتسم
وجدول كلّما ينساب تحسبه ... جيش الأراقم ولّى وهو منهزم
وبدرتم سقاني من لواحظه ... خمراً فأحيى فؤاداً شفّه السقم
يدير ما بيننا راحاً معتقة ... كأنّما هي في راحاته صنم
فيا لها خلسة جاد الزّمان بها ... كأنّها في دجى آمالنا حلم

وله في التدبيج:

يا حسنَ ظبي رشيق القدِّ ذي هيف ... يسبي عقول الورى منه بلامينِ
وأسود الخال في محمرِّ وجنته ... يحمي بياض الطلا من أزرق العين

وفي ذلك للشيخ مصطفى بن أسعد اللقيمي الدّمياطي نزيل دمشق:

وربَّ ليلٍ نقيّ الأفق من علل ... لقد كسى حلّة التدبيج واعتدلا
فاحمرّ بالشفق القاني أزرقه ... وأبيضّ البدر مسوَّد الظلام جلا

وله أيضاً:

وروض بهيج قد تفتّق نوره ... كستْهُ يد التدبيج أحسن ملبسِ

بـأحمـر منثـور وأزرق سـوسـن ... وأخضـر ريحـان وأصفـر نـرجس

ومن ذلك قول السيد محمد الشويكي:

لا تلمنـــي إذا تنقّـــع لـــونـــي ... وجفـت لـذّة الـرقـاد جفـونـي
فـأصفـر أرى مـن فيـض أحمـر دمعي ... وهـو مـن فتـك بيـض سـود عيـونِ

وله أيضاً:

وربَّ ليـل بـدر الغيـث جـاد لنـا ... وقـد كسـى حلّـة التـدبيـج لـلأفـقِ
فـأبيـض البـرق وضـاح بـأسـوده ... وأزرق الغيـم غطّـى أحمـر الشفـقِ

ومن ذلك ما أنشد الفاضل محمد سعيد النابلسي:

قـم لـداعـي السـرور فـي روض أنـس ... دبجتـه الأزهـار بـالانتهـاضِ
أبيـض اليـاسميـن فيـه ينـاجـي ... أحمـر الـورد فـي اخضـرار الريـاضِ

وله:

بـروحـي غـزال صـادَ قلبـي بطـرفـه ... وأحـرمنـي طيـب المنـام لبعـدِهْ
لـه مقلـة سـوداء أحمـر مـدمعـي ... عليهـا جـرى مُـذْ هـزّ أسمـر قـدِّهْ

وفي ذلك للشيخ سعيد المقدسي الصالحي:

هـذا الشقيـقُ لقـد أتـت أيّـامـه ... فـانهـض لمنظـره وحسـن نضـارِهْ
قـد خلـت أسـوده وأحمـره معـاً ... خـدَّ الجيـب مـدبجـاً بعـذارِهْ

وفيه للشيخ محمد بن عثمان الشمعة قوله:

وروض أريـض لاح يحكـي بنـوره ... بـدائـع وشـي من مـلابس خـاقـانِ
بـأصفـر منثـور وأزرق سنبـل ... وأحمـر ورد ثـم أخضـر ريحـانِ

وله أيضاً:

وروضٌ حوى كل المحاسن وازدهى ... بـأنـواع أزهـار بهـا الطرفُ ينجلـي
بـأصفـر وحـواحٍ وأحمـر لعلـع ... وأخضـر نمـام وأزرق سنبـلِ

وفي التدبيج للصلاح الصفدي وهو قوله:

اشتهـرت وانتشـرت حيلتـي ... فـي حبّـه مُـذْ زاد فـي صـدِّهْ
فنـومـي الأسـود مـن طـرفـه ... ومـوتـي الأحمـر مـن خـدِّهْ

ويحسن قول الشاب الظريف:

تـدبيـج حسنـك يـا حبيبـي قـد غـدا ... فـي النـاس أصـل تـولّهـي وبـلائـي
بـالطـرة السـوداء تحـت الغـرة ... البيضـاء فـوق الـوجنـة الحمـراءِ

وقول عز الدين الموصلي:

خضرة الصدغِ والسواد من العينِ ... بياض المشيب قد أورثاني
واحمرارُ الدّموع صفّر خدّي ... كل ذا من تلوّنات الزّمانِ

وأحسن من ذلك قول الحريري في المقامة الزورائية:

فلهذا أغبر العيش الأخضرُ، وأزور المحبوب الأصفرُ، واسودَّ يومي الأبيضُ وابيضَّ فودي الأسودُ[١]، حتى رثى لي العدو الأزرقُ، فيا حبّذا الموت الأحمرُ. انتهى.

ومن معميات صاحب الترجمة في اسم مروان:

جرعتني كأس الصدود وطالما ... علقتْ بقلبي في الغرام يد النّوى
وتركتني حيران صبّاً هائماً ... أروي حديث صبابتي فيمن روى

وله في اسم قاسم:

يا حسن بدر مشرق بجماله ... إنْ لاح حسناً تنكسف شمس النّهارْ
لا من كؤوس الرّاح سكرى إنّما ... من ثغره ساقَ على النّدمان دار

ومن شعره مضمناً المصراع الأخير:

لقد زار الحبيبُ بجنح ليلٍ ... فأوسعت المعاطف منه ضمّا
ولام العاذلونَ فقلتُ كفّوا ... فلي أُذُنٌ عن الفحشاء صمّا

ومن ذلك تضمين الشيخ سعيد السمّان وهو قوله:

دعوني والغرام ولا تطيلوا ... ملاماً بقصم الحجر الأصمّا
فلي قلبٌ عليه مستقيم ... ولي أُذُنٌ عن الفحشاء صمّا

وضمنه الشيخ عبد الرحمن بن أحمد المنيني فقال:

لحاني العاذلونَ وعنّفوني ... فولّت عنهم الأسماع صمّا
ولم أسمع مقالتهم بلومٍ ... ولي أذن عن الفحشاء صمّا

وضمنه الشيخ أحمد العمري فقال:

وشمس في يدي قمر تبدّت ... يطوف بها كبدر التم ألمي
ويثني عطفه والجيد نحوي ... فاهصر خوط بأنْ طاب ضمّا
وأجني من رياض الخدِّ ورداً ... نضيراً قد زكا شمّاً ولثْما
وأرشفُ خمرة من فيه سكراً ... لقد دقّت عن الآراء فهما

---

(١) الفؤد: بفتح الأول، معظم شعر اللّمة مما يلي الأذنَيْن، المصباح.

واستمع المثاني لا أبالي بواشٍ أوسع الأسماع سقما
وإنّي والهوى والشطح قسمي ولي أذن عن الفحشاء صمّا

وضمنه الشيخ السيد مصطفى الحموي نزيل دمشق فقال:

يؤمّنني العذول على تلافي بمن من لحظه لي راشٍ سهما
رويدك كيف أسمع منك عذلاً ولي أذن عن الفحشاء صمّا

وضمنه المولى حامد العمادي المفتي فقال:

إذا زار الحبيب بغير وعدٍ وأطفأ جمرة الأشواق لثما
يذكرني جفاه حين وافى ولي أُذن عن الفحشاء صمّا

وضمنه السيد حسين بن عبد الرحمن السرميني فقال:

وأحدب يسترقّ القول عنّي ويقصدني لكي يزداد إثْما
فلي عين تكفُّ الطّرف عنه ولي أُذُنٌ عن الفحشاء صمّا

وضمنه صاحبنا الكمال محمد بن محمد الغزي العامري بقوله:

حبيب قد جباني ضدُ صدٍّ وضيم البين أبدلنه ضمّا
عَصيتُ بحبّه قول اللّواحي(١) ولي أُذُنٌ عن الفحشاء صمّا

وكانت وفاة المترجم في يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ربيع الثاني سنة خمس وتسعين ومائة وألف، ودفن بتربة الذهبية في مرج الدحداح، ولم يعقب إلاّ البنات رحمه الله تعالى.

عبد الفتاح السباعي:

٣٤٩ ـ عبد الفتاح بن محمد، المعروف بالسباعي، الحنفي الحمصي الشيخ العالم الفاضل اللّوذعي ذو الفضل: كان محققاً في العلوم مستخرجاً للعبارات، ولم يتقيّد في صغره بالطلب حتى بلغ سنه الثلاثين، فحصل له نفحة نبويَّة، فتمكّن من العلوم وتفوّق مع طلب يسير، وظهر له بعض تآليف في النحو والفقه والتوحيد، وأخذ طريق الشاذلية عن الشيخ عبد الغني المغربي، وتولّى إفتاء حمص عدة سنين، ووجد له فتاوى في العربية والتركية، وكان فصيحاً أديباً، له قصائد كثيرة، وكانت وفاته بقسطنطينية وصادفه الحمام ثمة في سنة إحدى عشرة ومائة وألف ودفن باسكدار رحمه الله.

السيد عبد القادر ابن الكيلاني:

٣٥٠ ـ السيد عبد القادر ابن السيد إبراهيم بن شرف الدّين بن أحمد بن علي، وينتهي

---

(١) اللواحي: اللائمون.

نسبه إلى سيّدي عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه، **الحنفي الحموي القادري نزيل دمشق، السيد الشريف الحسيب النسيب، الشيخ المعتقد الصالح التقي المتعبّد المتهجّد الفالح الناجح السخي الجوّاد الشهم المهاب**: كان مبجّلاً معظّماً رئيساً صنديداً ذو عزٍّ وجاه وسمو رفعة، مع تمام الثروة والسعة، ولد ببغداد في سنة ثمانين وألف وبها نشأ، وقرأ على جدّه لأمّه العلاّمة الشيخ مدلج البغدادي، وعلى خاله الفاضل الشيخ ظاهر، وأخذ عنهما وعن غيرهما العلم وأحسن الخط، وأنشأه الله بموافقة الحظ، وكان يتكلّم بالفارسي وبالتركي، وقدم حماة في سنة خمس وتسعين وألف وتصدّر في دار أبيه، وتولّى النقابة بها، وسافر إلى حلب وقسطنطينية والقاهرة، وقدم بأولاده في آخر أمره إلى دمشق وقطنوا بها، وكان السبب في سكناهم دمشق والتوطّن بها كونهم كانوا حكّام حماة يضمنونها من طرف الدولة ويلتزمونها بمال معلوم، وهي ونواحيها في تصرفهم، وانعقدت أمورها بهم واختصوا بها، ثم دخل الطمع عليهم في الأحكام بها، فقامت عليهم أهالي حماة ورعاعها، وكان ذلك بتحريك بعض المعاصرين لهم من الحكّام.

قال المصحح: يُحكى أنَّ جِحَا كان يضربُ ثورهُ الكبير لتربية ثوره الصغير العاصي، ويقول: لولا إشارة الكبير ما كان يعصي الصغير. انتهى. وهجموا على دورهم وقصدوا نهبها وحاصروهم، حتى صاروا يضربونهم بالرصاص، وتنادى أهل حماة طاب الموت، واشتدت هذه الحالة بهم واستقامت مدة أيام قلائل، حتى وجدوا فرصة للفرارِ، وجاء المترجم إلى دمشق وقريبه الأستاذ الشيخ السيد يّس، وأولاد المترجم السيد يعقوب، والسيد إسحق، والسيد محمد، والسيد صالح، والسيد عبد الرحمن، وقصدوا الحج لبيت الله الحرام في تلك السنة، وهي سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف، وكان أمير الحاج ووالي الشام إذْ ذاك الوزير عبدالله باشا الآيدينلي، ثم بعد عودهم من الحاج استقاموا بدمشق واستوطنوها، ولما قدم حاكماً لدمشق الوزير قال المصحح: إنَّ سليمان باشا تولّى مصر بعد مصطفى باشا، وقبل علي باشا، وعزله عثمان بك ذو الفقار في جمادى الأولى سنة ١١٥٣ انتهى. سليمان باشا العظم، تزوّج بابنة الشيخ يّس المذكور، واتّصلت القرابة بينهم، وكان السبب في ذلك تراخيهم في الأمور، حين رفع القلعة بدمشق الوزير إسماعيل باشا العظم، والذي جرى عليه وعلى ولده الوزير أسعد باشا لما كان محبوساً بقلعة حماة للأمر السلطاني بذلك، فظهر من المترجم ومن قريبه الشيخ يّس طمع في ذلك، وصدرت من أولاده فعال غير مرضية في حق المذكورين[1]، واستقام المترجم في دمشق إلى أنْ مات، وصارت له بدمشق الشهرة التامة، وأنفق في أيامه بها دراهم كثيرة وأموالاً لا تحصى، وعلا قدره وسما ذكره، وصار بنو الآمال وافدة عليه لقضاء حوائجهم، واستدانت منه أناس كثيرون أموالاً،

---

(١) الظاهر استوفى المترجم وقريبه ما صرف المترجم وأولاده في طريق الحج من الوزيرين المذكور اسمهما في المتن (أيا منازل سلما أين سلماكي).

ووقف داره بعض عقارات بدمشق، وكان حسن المحاضرة عذب المحاورة، جميل المعاشرة، فضيل المذاكرة، يروي الأشعار والنكت والأخبار، دمْث الأخلاق، وكان له أخ اسمه الشيخ عبد الرزاق، له فضل وأدب وشعر، ورأيت له ديوان شعر، ومولده أيضاً في بغداد، وكان على المترجم تدريس وتولية المدرسة العصرونية بحماة، باعتبار رتبة السليمانية المتعارفة بين الموالي، ثم أعطي قضاء طرابلس الشام مع رتبة قضاء القدس الشريف، وصرف على صيرورة ذلك مبلغاً وافياً من الدراهم، قال المصحح: قال الله في كتابه العزيز: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكّام﴾ إلى آخر الآية انتهى. ولم يتولّ بعد ذلك منصباً، ولم يزل معظّماً مبجّلاً إلى أنْ مات، وكانت وفاته في ذي القعدة سنة سبع وخمسين ومائة وألف، ودفن بتربة الباب الصغير بالقرب من مرقد زين العابدين رضي الله عنه، وأما أولاده المذكورون، فالسيد يعقوب كان أديباً، وستأتي ترجمته، وأما السيد إسحق فكان مباركاً وتوفي مقتولاً بحماة في سنة خمس وثمانين ومائة وألف، وأما السيد محمد فكان خطّاطاً وتولّى نقابة دمشق وتوفّي في سنة ست وثمانين ومائة وألف بحماة، وأما السيد صالح فكان صالحاً وكانت له رتبة اعتبار المدرسين بدمشق وتوفّي بها في سنة اثنين وثمانين ومائة وألف، وأما السيد عبد الرحمن فكان عالماً فاضلاً ومرت تراجم بعضهم في هذا الكتاب، وقد رثى المترجمُ السيد مصطفى العلواني الحموي بقصيدة مطلعها:

هوت من بنا المجد الرفيع دعائمه ... وأقوت مغاني أنسه ومعالمُهْ
وأصبح ركن المكرّمات مضعضعاً ... ويا طالما شادت فخاراً مكارمه
وأغطش ليل ليس عندي نهاره ... بأبيض بل يربو على الليل فاحمه
وإنّ نهاراً شمسه غربت ولا ... يرجى لها الإشراق يظلم قاتمه
أبان ضمير الدّهر عن سوء مخبر ... لقد ظل فيئاً برهة وهو كاتمه
ألا رحمةٌ عند المنون لماجدٍ ... لقد وسعت أهل الزمان مراحمه
تجهم وجه كان بالأمس ثغره ... ليفتر عن تلك المسرّات باسمه
وأوكف دمع الحزن دمعاً كأنني ... به إنْ تمادى يملأ الحزن ساجمه
فواعجباً للطود يودّع حفرة ... وما برحت فيح الفلاة تعاظمه
ويحويه بطن الأرض وهو الذي حوى ... مكارم عنها ضاق لا شك عالمه

ومنها:

رضيع لبان المجد ماسنه وإنْ ... تناهى عن استرضاع ذلك فاطمُهْ
إذا هو أعطى استأصل الجود ماله ... وما هو إلاّ في المبرّات قاسمه

ومنها:

ليبك عليه حندس اللّيل إنّه ... لقد عرفيه بعده الآن قائمُهْ

يبيت يجافي الجنب عن خير مضجع فليس سوى طول السجود يلائمه
ويزري على خدّيه دمعاً يثيره توهّج قلب خوفه الله ضارمه
ويتلو كتاب الله وهو الذي به لقد عمرت أوقاته ومواسمه
بذلك أنّ الله يحبوه بالرضى دلائل خيرات تظلّ تلازمه
أبى الله إنّ الدهر مهما تفاقمت حوادثه عن فعله البر حاسمه
لتهنَ به الحور الحسان فإنها لفي غرف الفردوس أمست تنادمه
على ذلك القبر الذي فيه قد ثوى لينهل من مزن الرضى متراكمه
مدى الدهر ما هبَّ النسيم وغرّدت على فنن الغصن الرطيب حمائمه

عبد القادر الصديقي:

٣٥١ ـ **عبد القادر بن أبي بكر الصديقي، الحنفي المكي شيخ الإسلام ببلد الله الحرام، الشيخ الفاضل الفقيه الأوحد المفنن البارع النحرير الهمام أبو الفرج محيي الدين**: أخذ العلم من مكة المشرفة، ولازم الطلب على أبي الأسرار حسن بن علي العجيمي المكي، وتفقّه به وسمع عليه الموطأ والصحيحين، وقرأ عليه فنّ البيان، وعرض عليه كثيراً من الكتب كالمطوّل والأطول، وغيرهما من الشروح والحواشي، وحضر دروسه في تفسير القاضي والبغوي، وأجاز له لفظاً وكتابة، وله من التآليف، كتاب سمّاه «تبيان الحكم بالنصوص الدالة على الشرف من الأم»، وكانت وفاته سنة. . . . هكذا بياض في الأصل.

عبد القادر ابن بشر:

٣٥٢ ـ **السيد عبد القادر بن بشر الشافعي الحلبي**: كان فاضلاً ناسكاً هيِّناً ليِّناً فقيراً صابراً، له ذكاء واستحضار، ولد تقريباً في سنة عشرين ومائة وألف، وقرأ على علماء عصره، كالعلامة الشيخ علي الميقاتي، والفاضل الشيخ حسن السرميني، والعالم الشيخ طه الجبريني وغيرهم، ورحل إلى إسلامبول ولقي الأفاضل، وصارت له وظيفة تدريس بأموي حلب، وكان له نظم فمنه ما نظمه ممتدحاً به شيخه الميقاتي بقوله:

درر التحقيق بكر لم تزح أنقابها
من يرم مدن المعاني فعلي بابها

وله مضمناً:

إنّ المدائح للمداح قد شرعت وكل أمر رجوه فهو مقبولُ
فلابسُ البُرْدَة الحسناء شافعه بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ

وله مضمناً أيضاً:

عمر الوردي لو يعلم ما صنعت قوم بأهل الأدبِ

لم يقل في النُّصح يوماً لابنه   انظم الشعر ولازم مذهبي

وكانت وفاته في نيف وسبعين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

عبد القادر البانقوسي:

٣٥٣ ـ عبد القادر بن صالح بن عبد الرحمن بن السيّد الشريف الحنفي الحلبي، الشهير بالبانقوسي، الشيخ الفاضل الفقيه الأديب الأوحد المفنن الذكي البارع: ولد بحلب سنة اثنين وأربعين ومائة وألف ونشأ بها، وقرأ القرآن، وأخذ الخط المنسوب، وقدم دمشق واجتمع بعلمائها وأدبائها، وتكرّر منه ذلك، وكان له براعة وتفوّق في جميع الفنون، وكتب الخط الحسن، ودرّس بحلب في جامعها الأموي الكبير، وألف شرحاً على الدرّ المختار للحصكفي، سمّاه «سلك النضار على الدر المختار» أخبرني أخوه الشيخ صادق أنّه بيّض من مسوداته مجلدين وصل فيهما إلى كتاب الصوم، وشرح كتاب معدل الصلاة للبركلي، وله تعليقة نافعة على أوائل صحيح البخاري أملاها حين تدريسه، وكتبها حين قراءته، وشرح نظم المراقي[1] الشرنبلالية، وله غير ذلك من الآثار، ونظمه ونثره في تفوّق من البلاغة، وله في الأدب إحاطة بالعيوب والعلل والمحاسن، ودخل العراق والروم ودرّس بأياصوفية لما ذهب للقسطنطينية في صحيح البخاري، وانتفع بأفاضلها وأخذ عنهم وأخذوا عنه، ثم رجع منها إلى بلدة حلب سنة إحدى وثمانين، وقدم دمشق سنة اثنين وثمانين ومائة وألف، وامتدح والدي المرحوم السيد علي أفندي، وكُفّ بصره في آخر عمره.

وله شعر لطيف ينبىء عن قدر في الفضل منيف فمنه قوله وكتب بها إليّ في واقعة حال:

بدت تخجل الأقمار بالمنظر الأجلى   ولاحت تريك الشمس في الشرف الأعلى
وزارت على رغم الحواسد فانثنت   أمانيهم منها منكدة خسرى
محجبة تهتزُّ من مرح الصبا   فتأنف أنْ تلقي عقوداً لها الجوزا
وعهدي بها تجلى لمن ليس كفوها   فها هي قد جاءتك تلتمس الرّجعى
فألبستها من حلّة المجد خلعة   تروق كما راقت على الروضة الأندا
وجاءت بشارات المسرّات والهنا   تهنّيك بل تهنىء بك المنصب الأسنى
وأصبح ثغر الدّهر يفتر باسماً   سروراً بما أوليت من نعم تترى
نهضت بعزمٍ يفلق الصخر طالباً   تراث أبيك الأكرم الطيب المثوى
ويممتَ قسطنطينية تطلب العلا   كما أمَّ ذو يزن لمطلبه كسرى
على متن مندوب يصلي وراءه   غداة تساق الخيل داحس والغبرا
من الجرد لو كلفته وضع حافر   بأعلى عنان الجوّ لاقتحم الشعرى

(١) كتاب مراقي الفلاح مطبوع.

فأنزلت فيها منزل العزّ والتقى   وشاشتيك بين الناس ينعت بالأشقى
وأصبحت مشكور المساعي حميدها   وضدك في أرجائها خابط عشوا[١]
تقول دمشق حسرتا ثم حسرتا   أبعْد على كيف أذكر في الأحيا
وهل كيف يسلوه فؤادي، وروحه   بآل مراد إنّني بهم أحيى
إذا اختلفت أقوالهم في حياتها   بغيرهم قالت فديتك بالموتى
سألتُ المعالي عنكم غير مرّة   فقالت هي الشقرا مسائلها شتّى
وهل بعد هذا الوجه تطلب مدركا   لتقضي به في كل مشكلة عميا
وقد وقع التصحيح بعد اختلافهم   بأنْ أرّخوا وجهاً خليل به يفتي
وأبت وذكراك الجميل مطبق   لآفاقها المعمور أقصاه والأدنى
وما هي إلاّ منك شنشنة[٢] لها   مخائل إسعاد إلى أخزم تنمي
نمتك إلا الإفتاء جهابذ سادة   نماهم إلى الإفتاء من شرع الفتوى
هم شيّدوا ركن الفخار وحبّذا   دعامة مجد أنت جؤجؤها الأقصى
فيا آل مراد أنتم خير عصبة   وأنتم جمال الخلق والدين والدنيا
بكم شرّف الله الوجود وجودكم   يذكرنا عهد البرامكة الأولى
ومنّ علينا الله فضلاً بكم كما   على قوم موسى منَّ بالمنِّ والسلوى
إليك رفيع المجد أرفع قصة   ولي حاجة في النفس أوقن أنْ تقضى
نضضت ركاب السير من أجلها إلى   حماك فلم أُنحج[٣] وقد أخفق المسعى
لكم في قضاء سرمين قدماً علاقة   ينابيعها تتلو بحازم والمعرّا
مسارب أوعال خلت من زراعه   إليها ابن آوى من توحشها آوى[٤]
ومن سوء حظي أنّ رزقي فلاحة   بها أبتغيه في التراب على العميا
يعزّ على المضني المتيّم أنْ يرى   منازل من يهوى على غير ما يهوى
ومُذْ كنت قد أزمتها بمعجرف   يسوم رعاياها الغرامات والبلوى
تداعوا إلى حلف الفضول وأقسموا   على تركها بوراً وإهمالها قفرا
وذا العام كانوا طبقوها زراعة   ليستبدلوا من دونها قرية أخرى
فأخصب واديها وأينع ربعها   وخاماتها[٥] تختال في الروضة الدهما

(١) أخبط من عشواء في مجمع أمثال وأهل مصر يكنون عن الرشوة بسيد علي.

(٢) شنشنة أعرفها من أخزم مجمع الأمثال والأوقيانوس.

(٣) فلم أُنجح: بضم ألف.

(٤) ذئل وذؤالة وشوطبراح وعلوش وعلّوض ولعوض ونوفل ووع ووعوع كلّها ابن آوى، بالتركي چقال محرّف من شغال الفارسي.

(٥) الخامة الغضة لرطبة من النبات.

تموج كموج البحر إنْ هبّت الصبا ... ويغرق منها السرح في الموضع الأدنى
وبالرغم منهم أنْ يولوا اقتسامها ... وكيل ابن طه إنها قسمة ضيزى
فمانعته عنها وقلت له اتئد ... أجارتكم منها أما آن أنْ تقضى
فكف يداً عنها واحجم خاسئاً ... وهبّت على زراعها نسمة البشرى
فيا بشرهم لما رأوه مبعداً ... ويا بشرها لما غدت يده قصرى
وأخبرتهم أنّي أريد التزامها ... إلى حجج قالوا هي المنّة العظمى
وأقبلت أرعاها وأحمي ذمارها ... لسابق ود منكم خالص المعزى
وكم زُدتُ عنها كل لص سميدع ... ولا سيما الخرفان إذا كثر الغوغا(١)
ومذ هاج منها زرعها لحصاده ... وقد أعجب الزرّاع سنبله الأبهى
ندبت لها من كلّ جلد شحا تيأ ... وبَيْدَرتُها طراً وغصت بها البطحا
يبادر أمثال الروابي كأنها ... جبال تمطّت للعلى تطلب العليا
شوامخ لو أنّ ابن نوح يؤمّها ... لكان من الطوفان يبغي بها المنجا
يمثل إهرامات مصر سموّها ... ومخروطها لكن تلك بلا جدوى

قال المصحح: كان أضاع الزمان ضياع بعض الضعفاء بأنشاب أظفار بعض الأقوياء، فتذكرت قول من قال بمناسبة إهرامات، أين الهرمان من بنيانه، ما قومه ما يومه ما المصرع، تتخلف الآثار عن سكانها، حيناً ويدركها الفناء فتتبع، قال في كتابه العزيز: ﴿ولا تحسبنّ الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾ انتهى.

ولما تناهت في العلو تطاولاً ... أتيح لها الدرّاس فانقلبت صرعى
ومدت لها أيدي الذراة مذارياً ... لتنسِفَها نسفاً وتجعلها دكّا
وكاتبتكم فيها فلم يأت منكم ... جواب وأخبار بدت عنكم شتى
فمن قائل أيوب دارة داره ... ومن قائل للشام قد أزمع المسرا
فبينا أنا في الأمر إذْ جاء منكم ... كتاب إلى ابن الجابري الآلة الحدبا
وفوضتم فيه إليه أمورها ... وهل يجتني شَهْد مشور من الأفعى
ففاوضته فيها وقلت حذار من ... وكيل ابن طهَ إنّه حيّة رقطا
ولم أدرِ أنّ الصفر والبيض قد أتت ... إلى جيبه ليلاً مهرولة تسعى
ولما رآني قد خبرت ارتشاءه ... تزايد لؤماً وانتحى الفعلة الشنعا

قال المصحح قد شبّهوا المرتشي بالذئب والراشي (بالقبطي) الذي يرقص الذئب، و (البرطيل) حلقة في أنف الذئب، وطوق في جيده من فضة، أو من ذهب على قدر عظم الذئب، وقيمته، فإن مات الذئب قبل القبطي فيسعى المرقص على نزعهما ليعلق على ذئب

---

(١) قوزي نه يابه جق أويله قيون دشمني ظالمي مكر تحت الثرى طپارق طويوره.

آخر، لأنهما لا يتفاوتان بالدناءة، وإنْ مات المرقص قبل الذئب فيوجد مرقص آخر، وهذا يضعف الحلق والأطواق لسمن الذئب، لكي يقدر على ضبط الذئب كالمرقص الأول، وهذا دأب المرتكبين لأنهم ورثوا الخبثَ صاغراً عن صاغر، لا كابراً عن كابر، فلا تجد في تراجمهم حديثاً يعدلهم من المفاخر، ولما كانت الدنيا بهذه الحالة، وإلا تداركها السلطان محمود الثاني رحمه الله تعالى، وأزال الطغاة وأشبه الشبل الأسد، فأدام الله مولانا عبد العزيز لقد فاق الملوك بتمييز الغش من الإبريز، انتهى.

وأقبل يبدي لي المعاذير قائلاً ... لقد زاد في إيجارها أنّه أولى
فقلت أنا أولى بها منه قال لا ... لأنّي طريق الأولوية لا أرعى
فقلت إذا حكم البوار مآلها ... فقال وفي دار البوار لنا مثوى
فقلت إذا بارت تبور فلاحتي ... لأنّي لا أقوى على طلل أقوى
وإنّي من أهل العلم والأمر واضح ... فقال أما تدري بأنّا لكم أعدا
فقلت فأفراخي صغار فلا تدع ... حواصلهم خمراً بلا ما ولا مرعى
فقال وكم أطفال ميّت تركتهم ... جياعاً بلا مالٍ وأمّهم ثكلى
فراجعته فيها مراراً فلم يَفُه ... بخيرٍ وكان اللّوم في حقّه أغرا
فقلت على مثل المرادي ترتشي ... فقال نعم مثلي على أبه يرشى
فقلت له شُلّتْ يمينك مرتش ... فقال ارتشائي كلّه باليد اليسرى
تورُعُ كلب[1] أو تنسك مومس ... فقلت لقد أقذيت قال وما الأقذا
فقلت له تبّت يداك مخادعاً ... فآخر سطرٍ أنت من سورة الأعمى
وآجرها من مارق ماكر له ... أفانين ظلم تفلق الصخرة الصما
ولا عجب فالشبه منجذب إلى ... مشابهه والجنس مع جنسه يثنى
وسلمها للمجرمين خيانة ... وشاركهم في الإثم والحاصل الأوفى
فهل سمعت أذناك أن يبادراً ... تواجر من أفتى بذا الحكم من أفتى
وهذا جزاء لاصطناعكم له ... ومن بصنع المعروف مع مثله يجزى
فلا قدّس الرحمن يوماً صفاته ... وطهّر من أمثاله حلب الشهبا
ومن دأبه أكل الحرام صراحة ... وتبديل شرع الله بالعرض الأدنى
ويأكل أموال اليتامى جراءة ... على الله لا يرعاه فيهم ولا يخشى
وغير مخاز لا ندنّس طرسنا ... بها فالنّجا من كل ما يغضب المولى
أينكر منه أنْ يخون ويرتشي ... عليك ولا يخشى عتاباً ولا يخزي
وما هو إلا كاسري غير جابري ... وكم للمسمّى خالفت في الورى الأسما

---

(١) قالوا السوقية كالكلاب السلوقية كما شبهوا الرائش بالسلوقية والسلقية.

ويكفيـــــه أنَّ الله أخبـــــر أنـــــه سيصلـى سعيـراً مثـل مـن عَبَـدَ العـزّى

قال المصحح قصيدة على الدرويش التي تضمن ما تورّط ناظمها في مكائد بعض مشايخ القرى بشرقية مصر، قد أثبتوها في ديوانه المطبوع ليتشفّى المظلومون بها رحمه الله تعالى، كان يقول قصيدتي هذه اقرؤوها يا إخواني وقت السحر، ولا تنسوا في حق الذئاب مثل تفرقوا شذر مذر انتهى.

فـدونكهـا كـالعقـد فيـه زمـرد ودر ويـاقـوت يتيمتـه عصمـا
ممتعـة حـوراء مقصـورة لهـا جـزالـة ألفـاظ حـوت رقّـة المعنـى
حكـايـة حـالٍ بـل شكـايـة حـالـه ومن قبل قد قالوا ولا بد من شكوى
خـريـدة فكـر أقبلـت فـي خجـالـة أتـت تـرتجـي تقبيـل راحتـك اليمنـى
أبـوك علـيّ كـرّم الله وجهـه وجـاد تـرابـاً ضمّـه صيـب الـرحمـى
أيـاديـه كـم قـد قلـدتنـي مكـارمـا عقـدت بهـا عهـداً مـن الـودّ لا ينسـى
فـلا زلـت معمـور الـذرى طيـب الثنـا منيـع الحمـى تقفـو طـريقتـه المثلـى
تـزيـد علـى مـرّ الـزمـان نبـالـة ويصحبـك التـوفيـق والعـز والتقـوى
ولا زلـت مـرجـوّ النـوال مكـرم الخصـال إلـى أنْ ينقضـي أمـد الـدنيـا

ثم أتبعها بقوله نثراً: الجناب الأعظم والمقر الأشرف الأكرم بسّط الله ظله الوارف، وخار له في الظعن والإقامة وسر أولياءه، بما أقدمه عليه من النعمة السابغة والسلامة، وأطلع من وجهه الوضاح على محبيه ما ينكشف به الظلام والظُلامة:

بنعمـة جـاءت كمـا نشتهـي مـن عنـد ربّ العـرش مسـراهـا
أتـت وقـد جـرت ذيـول الهنـا بـأي شكـر نتلقـاهـا
فـالحمـد لله علـى أنّنـا نحمـد أولاهـا وأُخـراهـا

فلا شانت الأيام صفوها، ولا نحا الحدثان نحوها، لينتشر له من السعد ما هو كامن، ويجد به مقعد المعالي منحطّاً له ومتطامن، على أنّ هذا العبد الداعي لم يزل يخدم هذا الباب بدعاء بينه وبين القبول علائم، ويستمسك من أزج وداده بأعظم القواعد وأثبت الدعائم، ويبث ثناء لا يفعل بالألباب فعل المدام، فتقهقه منه المحابر وتضحك الأقلام، على أنّي أسأل الله أنْ يفيض ملابس إحسانه على من أمّ حرمه، ويجبر بعطفه على من كسره الزمان وحرمه، آمين. أما بعد فإنّ هذا الداعي القديم، والمحب الذي هو في أوطان محبتكم مقيم، لما جرى عليه من سوء الحدثان ما جرى تشبث في معاشه بأذناب البقر، واضطر إلى أنْ يجعل لها في منابيع إحسانكم مشرباً ومستقر، فاطلعت بهذه المناسبة على أحوال، وتعلقت أماني بآمال، فمن جملة ذلك ما رأيته من نفرة المزارعين في مزارعكم من الأكار، الذي هو الحاج أحمد آغا الخزينة دار المكّار بحيث أنهم عولوا على تركها ما دام خولياً،

وجعلوا صبرهم على غدره حولياً، وتحققوا أنهم خرجوا من سلفه إليه كمن فرّ من المطر إلى تحت الميزاب وصاروا من ذلك في نقض وإبرام، وإقدام على النقلة من ترك الزرع وإحجام، فأسرّوا بعد ذلك إليّ، وعولوا في آرائهم عليّ، لعلمهم بانتسابي إليكم، وسابقة احتسابي عليكم، وهنا أمور كثيرة لا أطيل بذكرها وخلاصة الأمر أنّهم في عام إحدى وتسعين الذي تتم به مدة إجارته والتزامه صمموا على أنْ يطبقوها زرعاً فلحانها والحصيد بناء على أنّهم يستوفون آثار العمل من الأرض، ولا يبقى لهم فيها عرض، فإنْ جدد الحاج أحمد الإجارة، أزمعوا على الرحيل ولحقوا بالغارة، فجاء المطر غزيراً في هذا العام، وقال أهل النظر سلمه السلام، ولم يظهر للإجارة خبر وأراد الحاج أحمد أنْ يضع يده فضولاً، التي هي في المظالم طولى، فبادرت إلى منعه، وأعملت الفكرة في دفعه، وذلك قبل إبان الحصاد، وقلت في نفسي أنا محسوب آل مراد، وهذه فرصة إقدامها بين يدي نحوي أملي، ووسيلة أشكر مساعيها لديكم في عملي، فوضعت النواطير والشحاني، ورضيت بذلك مشقتي وامتهاني، كل ذلك وأنا أنظر إلى المصلحة بعينين، وأسلك في طريقي بين جهتين، مراعياً بذلك مصلحة الزرّاع، وحفظ علاقة سيدي المطاع، وأملت أنْ أكون بعد ملتزماً للمزارع متعيشاً بها، ومستعيناً على الأيام التي خلبتني بأنيابها، فبينا أنا في هذا العمل ظهر من الجابري ما ظهر من منعي عنها، ودعوى الوكالة من طرفه واتفاقه مع الحاج أحمد، فإنّه آجره كالمعتاد أولاً بمائتين وستة وستين مواضعة، واشترك معه سرّاً، فلما رأى بحثي عنه ترقّى في الظاهر إلى أربعمائة، وقد أخبرت الجناب بأنَّ المزارع أقلبت بحيث إنّه يستوفى منها أجرة سنين، تزيد مبلغاً على خمسين مضروبة في خمسين، فهممت ولم أكد، ونهضت لمدافعته نهوض المقعد، وكنت كمن يطلب ظهور الفجر قبل السحر، أو ظهور الفجر قال المصحح: عبارته هنا ناقصة انتهى. من هذه الجيوب العلية، وأنا أحاشيك أنْ تجعلني كالمتمني أنْ يرى فلقاً من الصباح بعد هذا الأمل والارتياح، فالمرجو أنْ تؤثرني ولا تؤثر عليّ، وتوجرني المزارع ثلاث سنين، وتنقد أجرة منّي أسوة غيري وزيادة، وأدفع الأجرة سلفاً عن سنة كالعادة، وأما هذه السنة الشاغرة التي جمعت بيادرها، وأظهرت ببحثي عمن قبضها وغادرها، فهي موقوفة على آرائك، فلا يغرّك الغرور الجابري بالتّرهات، فإنه جالقي وقته وهيهات، فإني أعرف جزئيها وكليها كل ذلك عندي في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، فإنْ أردت وكلتني أخدمك بجمعها وتصحيحها، وأرسل ذلك إليك والأمر بعد ذلك إليك، فإنّ والله سروري بقدومك أذهلني أنْ أعطي الأدب حقّه، وأنْ أجلو المدائح المسترقة، انتهى.

وكان صاحب الترجمة من أفاضل عصره علماً وأدباً ولطفاً وديانة، وكُفَّ في آخر عمره، وقدم دمشق مراراً، وصار بينه وبين أفاضلها مباحث، وله آداب فائقة، وأشعار رائقة، دوّنت في مجاميعه، وكانت وفاته بحلب في اثنين وعشرين من ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومائة وألف، ودفن في مقبرة الحجاج خارج بانَ قوسه رحمه الله تعالى.

عبد القادر الكدك:

٣٥٤ ـ عبد القادر بن خليل المدني الحنفي، الشهير بالكدك، الشيخ الفاضل الأديب الناظم الناثر الأوحد المفنن أبو المفاخر زين الدين: قدمَ دمشق سنة تسع وسبعين ومائة وألف، واجتمع بوالدي وامتدحه، وألّف رسالة باسمه سمّاها «كيد الصروف عن أهل المعروف»، وله شعر لطيف ينبىء عن قدر في الفضائل منيف، منه قوله مادحاً والدي:

أرح العيس رفقة بفؤادي ... وانحها فقد وفدت بوادي
واخلع النعل فهو أقدس واد ... جئته في الورى وأشرف نادي
وتأدّب فذا مقام علي ... ومقام لديه كل مرادِ
قد علا ذكره بأوج علاء ... فلهذا بالندى إليه ينادي
حرم آمنٍ لمن حلَّ فيه ... وسواء لعاكف أو بادي
فتعلق بذيل كعبة مجد ... طاف قلب الورى بذاك السواد
كم رنّت في الورى إليه عيون ... واطمأنّت له قلوب العباد
حلَّ في داخل القلوب ولكن ... عن عيون الأنام بالمرصاد
كيف لا ينجلي بكل فؤاد ... وتجلّى لنا بسود العواد
قدسي حسنه الورى وتولّى ... في قلوب العباد والعباد
فترى حوله الورى دار طرا ... خاضعي الرأس ناكسي الأجياد
هم جميعاً لهم مقاصد شتّى ... وهو للكلِّ بغية المرتاد
عائد الكل منهم صلة المو ... صول حالاً من وصله المعتاد
فاصرف القصد نحوه في الورى ... ملتزماً ركن بابه باستناد
فهو باب السلام من كل صرف ... لصروف الزّمان والأنكاد
واسع نحو الصفا وهرْوِل لدى ... باب علي فذاك باب المراد
ربّ بيت ولا كبيت علي ... وعلى داخليه نور بادي
لا تحج القصّاد إلاّ إليه ... كيف لا وهو قبلة القصاد
قل لمن أمّ ذلك البيت ذا يو ... م المنى وهو أعيد الأعياد
ساعدتك الأيام بين الأنام ... اليوم والسعد جاء بالإسعاد
ولياليك كلّها ليالي القدر ... لدى عالي القدر ركن العباد
ولسان للحال أفصح شادياً ... بفصيح الإنشاء والإنشاد
قد وصلت الوادي المقدّس أرّخ ... خير وادٍ لديه جلّ المراد

وله غير ذلك من الأشعار والنظام والنثار، وارتحل لدار السلطنة العلية قسطنطينية المحمية، واجتمع برؤسائها وصار له منهم إقبال وافر، وإكرام متكاثر، ثم رجع إلى بلدته المدينة، وأفاد واستفاد، وكان من وجوه أهل المدينة ورؤسائها، وكانت وفاته بها سنة تسع

وثمانين ومائة وألف بتقديم تاء تسع، ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى.

السيد عبد القادر بن شاهين:

٣٥٥ ـ السيد عبد القادر بن شاهين، الشريف لأمه، الحلبي، الشيخ التقي الورع الزاهد: كان والده جندياً، ووالدته من ذرية الولي الكبير أحمد الرفاعي الشهير، من بيت الصياد المشهورين، وسيأتي ذكر أخيه عمر، وهذا المترجم ولد بحلب في سنة اثنين وتسعين وألف، واعتنى به والده وأقراه القرآن العظيم، وجوّد على الشيخ عامر المصري، ثم بعد وفاة الشيخ المذكور حفظ القرآن على الشيخ عمر المصري شيخ القراء، وقرأ الفقه على الشيخ المعمر قاسم النجار، وقرأ النحو والصرف على الشيخ عبد الرحمن العاري وتعلّم الخط المنسوب بأنواعه على الأستاذ الماهر مرتضى البغدادي الملقب بصدر الدين، وقرأ اللغة الفارسية والتركية على الشيخ عمر المعروف بالمقرقع القاطن بالمستدامية، وبرع في جميع هذه الفنون، وتوفّي والده وله من العمر أربعة عشر سنة، وترك تركة وافرة من المال والسلاح والعقارات، فلم يلتفت إلى شيء منها، وتسلّم الجميع أخوه الكبير، واشتغل هو بخويصة نفسه فاعتنى بها وخدمها، وذلك أنّه رأى نفسه أرضاً أنيقة، بكل خير وريقة، إلاّ أنه ألفاها مأوى لأسد الغضب ونمور الجهل وكلاب الحرص وحيات الظلم وعقارب الحسد، فنفى عنها هذه الآفات كلّها، وحفّها بأضدادها، فصارت خيراً محضاً، وأخذ طريق التصوّف عن العارف بالله تعالى الشيخ حسين الزيات القاطن في مسجد محلة سويقة الحجارين الذي صار الآن زاوية للسادة القادرية المواهبية، ولازم الشيخ المومىء إليه مدة حياته، فلما توفّي لازم الأستاذ العارف بالله تعالى الشيخ مصطفى المعروف باللطيفي في قدماته إلى حلب، وكان المترجم ممن حبّب الله إليه الطاعة والعزلة والاشتغال بالعلوم النافعة، واكتساب الكمالات، واجتناب مخالطة الناس واللهو واللعب، وكانت سيرته أنّه كان يقوم وقت الفجر فيذهب مع أخيه إلى درس النجار الشيخ صالح، وكان الشيخ يقرأ درس الفقيه قبيل صلاة الصبح في مسجده، ثم يأتي إلى البيت فيمكث إلى حين طلوع الشمس، ثم يذهب إلى مسجد الشيخ حسين المذكور فيطالع عليه في علم التصوف إلى أنْ يتعالى النهار، فيذهب إلى حانوت له في سوق البادستان[1] فيرد عليه متعلموا الخط، فيكتب لهم يعلمهم إلى قرب الظهر، فينزل إلى الجامع الكبير ويصلي، ثم يذهب إلى حجرة الشيخ عمر ويقرأ ما تيسر إلى قرب العصر، فيصلي في الجامع المزبور ويرجع إلى حانوته، فيأخذ ما يحتاج، وكان متقشفاً في مأكله وملبسه زاهداً ورعاً مع قدرته على التنعم والترفّه، متجرداً عن الزوجة والولد،

(١) بادستان يريد المؤرخ بزازستان وبزازستان مركب من بزاز كشداد عربي، وسِتان بكسر السين ظرف مكان مخصوص للكثرة، كما يقولون كلستان محل الورد أي بستان الورد، وصاحب الدرر المنخبان المنثورة، تصرّف بذلك وجعل البزاز كسحاب فارسية وباقي الكلام فيه، فأقول بزستان مركب من البز العربي وستان الفارسي فاختر ما شئت وأما بادستان محل الهوا.

وكان له تلاميذ يقرأون عليه القرآن، فيقريّهم ويتدارس معهم حتى يصلي العشاء، وفي مدة عمره لم يذهب إلى أحد، وكان بعض الصلحاء يقول لأخيه بعد وفاته إنَّ أخاك السيد عبد القادر كان من خواص الأولياء لكنّه لا يعرف أنّه ولي، مرض رحمه الله بمرض حمى الدق وطال مرضه، فكان يتحامل ويذهب إلى الحانوت لانتفاع الناس منه، ثم ثقل مرضه فانقطع في بيته نحو ثلاثة أشهر إلى أنْ توفي، وكانت وفاته في أوائل محرم سنة اثنين وعشرين ومائة وألف، وكان آخر كلامه يا رسول الله المدد والشهادتين، رحمه الله تعالى وأموات المسلمين أجمعين.

الشيخ عبد القادر التغلبي:

٣٥٦ ـ عبد القادر بن عمر بن عبد القادر بن عمر بن أبي تغلب[١] بن سالم التغلبي الشيباني الحنبلي الصوفي الدمشقي، الشيخ الإمام العالم الفقيه الفرضي الصالح العابد الناسك أبو التقي: ولد في دمشق سنة اثنين وخمسين وألف، وقرأ القرآن العظيم في صغره، ولزم الشيخ عبد الباقي الحنبلي الدمشقي، وولده الشيخ أبا المواهب، وقرأ عليهما كتباً كثيرة في عدة فنون، وأعاد للثاني درسه بين العشائين من ابتداء سنة ثلاث وسبعين وألف إلى أنْ توفي، ولازم الشيخ محمد البلباني، فقرأ عليه الفقه والفرائض والحساب، وأجازه بمروياته، وحضر دروس الشيخ محمد بن يحيى الخباز البطنيني الشافعي، واجتمع بالمحقق الشيخ إبراهيم الكوراني المدني في أحد حجّاته سنة أربع وتسعين، وأجاز له، وقرأ على الشيخ عثمان القطّان، ومحمد بن محمد العيثاوي، والشيخ سعودي الغزي، وجمال الدين بن علي الحمصاني وغيرهم، وقرأ أيضاً على النجم الفرضي، والشيخ منصور الفرضي، والشيخ محمد الدلجموني المصري، والشيخ محمد المكتبي، والشيخ محمد الكوافي، والشيخ إبراهيم الفتال، ومحمد بن أحمد العمري بن عبد الهادي، والشيخ شكر الله الهندي، ومحمد الإسكداري، وأحمد النخلي، وعلي بن القادري الحموي الخلوتي، وغيرهم من الأجلاّء الذين يجمعهم ثبته، وكان يرزق من عمل يده في تجليد الكتب، ومن مِلْكٍ له في قرية دوما، وبارك الله له في رزقه فحجّ أربع مرات، وكان يلازم الدرس لإقراء العلوم بالجامع الأموي بكرة النهار، وبعد وفاة شيخه أبي المواهب بين العشائين بالجامع الأموي أيضاً، وأخذ عنه خلق لا يحصون وانتفعوا به، وكان ديّناً صالحاً عابداً خاشعاً ناسكاً مصون اللسان، منوّراً بشوش الوجه، تعتقده الخاصة والعامة، ويتبركون به، ويكتب التمائم للمرضى والمصابين فينفعهم الله بذلك، ولا يخالط الحكّام ولا يدخل إليهم، وألجأته الضرورة مرة لأداء شهادة عند قاضي دمشق الشام، فدخل وجلس، فناوله الخادم فنجان القهوة، فتناوله ووضعه بقرب فمه وأوهم القاضي أنّه شربه، ثم أعطاه للخادم فعرف القاضي

(١) تغلب بكسر اللام والتغلبي بفتحها.

ذلك، لأنه كان يلاحظه فقال له: أراك تورّعت عن شرب قهوتنا فمن أين تكتسب؟ فقال: من عمل يدي في تجليد الكتب، وقد حججت بحمد الله تعالى أربع مرات، فقال له القاضي: كيف هذا؟ فقال له: إنَّ الله تعالى خلق آدم واحداً وبارك في ذريته حتى ملأوا الدنيا، كذلك يبارك الله تعالى في الرزق الحلال القليل، حتى يكون كثيراً، فأذعن القاضي لذلك وأثنى عليه، وصنّف شرحاً على دليل الطالب في مذهب الحنابلة، وكانت وفاته في ليلة الثلاثاء الثامن عشر من ربيع الثاني سنة خمس وثلاثين ومائة وألف، ودفن تحت رجلي والده بمقبرة مرج الدحداح رحمه الله تعالى ورضي عنه، وأعاد علينا من بركاته، وقال مؤرِّخاً لوفاته تلميذه الشيخ محمد الغزّي الدمشقي العامري بقوله:

كم من نعيم عند ربي قد خبى ... للشيخ عبد القادر التغلبي
علّامة الوقت ونحريره ... وشيخ أهل العصر في المذهبِ
الخاشع النّاسك ربّ الحجى ... القانت الراوي حديث النبي
قد كان ذا زهد وذا عفّة ... سليم صدر صافي المشرب
أصيب أهل الشام لما قضى ... أبو التقى ذو المسلك المعجب
فأي دمع ما همى مشبهاً ... صوب حيا منهمر صيب
جادت ضريحاً ضمّه ديمة ... تروي ثراه بالحيا المشعب
تاريخه دار البقى حلّه ... أبو التقى بالمنزل الطيب

عبد القادر الكردي:

٣٥٧ ـ عبد القادر بن عبدالله بن إسماعيل الشافعي العبدلاني الكردي نزيل دمشق القادري، الشيخ العالم المحقق الفاضل الورع الزاهد: كان محققاً عالماً ذا زهدٍ وتقشف، مع كمال الاجتهاد في الطاعة والعبادة، وله السلوك الوافر في طريق القوم، مع الفضيلة التامة، ولد في بلاده في سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف، وأخذ عن علماء بلدته، وأتقن العلوم الظاهرة والباطنة، ووفد إلى حلب في سنة أربع وستين، ومنها إلى الشام فاستوطنها، وأرسل فأتى بأهله من بلاده، وتزوج بابنة صغيرة لشيخه، وتلميذ والده الشيخ محمود الكردي نزيل دمشق، وارتحل إلى مصر والحرمين، واستجاز من علماء تلك الديار، وبيتهم بيت الولاية كما اشتهر، وأخبرني الشيخ حسن الكردي الصالح نزيل دمشق أنَّ للمترجم أخوة تنوف على ثلاثين، ومن التآليف كذلك، وأنّه كان ينظم الشعر، وكان للناس به اعتقاد وافر، وبالجملة فقد كان أحد أفراد أفاضل الأكراد بدمشق علماً وورعاً وزهداً، وكانت وفاته بها في يوم الأربعاء قبيل الظهر سادس عشر ذي الحجة سنة ثمان وسبعين ومائة وألف، ودفن بسفح قاسيون بصالحية دمشق رحمه الله تعالى.

السيد عبد القادر الصمادي:

٣٥٨ ـ السيد عبد القادر بن موسى بن إبراهيم بن مسلم، المعروف كأسلافه

بالصمادي، الشافعي الدمشقي السيد الأجلّ، القادري شيخ الصمادية بقية السلف، الشيخ البركة المجذوب التقي الصالح الخير: تفقّه بمذهبه وحصّل طرفاً من العلوم الإلّهية، وفضل ولزم زاويتهم بعد وفاة والده الكائنة بمحلة الشاغور الجوّاني، وجلس على سجادتهم، وأقام ذكرهم بها، وكان لا يبرح منها إلاّ في الجمعات ومواسم العيدين، وشهود بعض الجنائز، وتهنية حكام الشرع والسياسة عند القدوم أو أمر يتعلق بأهل البلد على العموم، مواظباً على الطاعة ومطالعة الكتب الفقهية، والرقائق الصوفية إلى أنْ توفّي، وكانت وفاته في يوم الخميس ثاني عشر ذي الحجة سنة أربع عشرة ومائة وألف، ودفن بباب الصغير بقرب سيدي بلال الحبشي رضي الله عنه، عن ولد صغير وأخ كبير يقال له السيد صالح، وكان عَهِدَ المترجم لولده، فبعد وفاته أجلسوا الأعيان أخاه المذكور مكانه، وسكن داره واستولى على جميع ماله رحمهما الله تعالى.

السيد عبد القادر الكيال:

٣٥٩ ـ السيد عبد القادر بن محيي الدّين الكيّال الشافعي الدمشقي: كان من الأفاضل الصالحين مع التقوى والديانة، خاضعاً سالماً قلبه من الحسد والبغض، ناسكاً، قرأ بدمشق على جماعة، وحصّل واجتهد وبرع، وأقرأ في جامع السنانية، وكان منعكفاً على طلب العلم، وعدم التردّد إلى أهل الدنيا، وملازماً درس العالم الصالح الشيخ علي السليمي الصالحي الدمشقي، وكانت وفاته في يوم السبت حادي عشر رمضان سنة تسع وثمانين ومائة وألف، ودفن بتربة الباب الصغير رحمه الله تعالى.

عبد القادر الديري:

٣٦٠ ـ عبد القادر بن محمد الشافعي الديري، نزيل حلب، الشيخ العالم الفاضل الفقيه النبيه الأصولي النحوي: كان من الفقهاء المتفوّقين، ولد بدير رحبة من أعمال بغداد في سنة عشرين ومائة وألف، وقدم لحلب في سنة ست وثلاثين ومائة، وقرأ الفقه على الشيخ عبد القادر بن عمر العرضي الحلبي، والفقه أيضاً والفرائض على الشيخ جابر الحوراني الحلبي، والنحو على السيد الشيخ عبد السلام الحريري، والنحو والفقه أيضاً على الشيخ حسين السرميني، والمعاني والبيان والنحو والفرائض والفقه أيضاً على الشيخ محمد الزمار، والشيخ محمود البادستاني قرأ عليه في المنطق والنحو، وأخذ الحديث عن الشيخ جابر والشيخ حسين المذكورين، وتفوّق، وأقرأ فنون العلم في حلب وانتفع به كثير من الطلاب، وجمع غفير، وكان مستقيماً على حالة مرضية حسنة، وهو من السادة الأشراف، إلاّ أنه لم يتتوج بالطراز الأخضر، وأغناه عنه نور النبوة الغناء الأوفر، وبالجملة فقد كان في الفقه إماماً، وأحرز في كل فنٍّ رتبة ومقاماً، رحمه الله تعالى.

عبد القادر بن يوسف نقيب ازاده:

٣٦١ ـ عبد القادر بن السيد يوسف الحلبي الحنفي نزيل المدينة المنورة، الشهير بنقيب

زاده، **الشيخ الفاضل الفقيه الأوحد البارع المفنن أبو المعالي زين الدين**: رحل إلى المدينة المنورة من بلدته حلب، وتوطنها سنة ستين وألف، ودرس بالمسجد الشريف النبوي، وصار أحد الخطباء والأئمة به، وانتفعت به الطلبة، وألّف مؤلفات نافعة، منها كتابه المسمّى «بلسان الحكام في الفقه» وكتاب «في معرفة الرمي بالسهام» وغير ذلك من الرسائل والفوائد، وكان من صلحاء المجاورين، شهماً هماماً عالماً عاملاً مفنناً، وأخذ بالمدينة المنورة عن الصفي القشاشي، وأخذ بدمشق عن شيخ الإسلام المنجم الغزي العامري، وعن الشيخ علاء الدين الحصكفي وعن غيرهما، ولم يزل على أحسن حال معتكفاً على الإفادة إلى أنْ توفي، وكانت وفاته سنة سبع ومائة وألف، ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى.

عبد القادر الصديقي:

٣٦٢ ـ **عبد القادر الصديقي البغدادي نزيل القدس، الشيخ العالم العامل الأستاذ العارف الصوفي الفاضل المعتقد**: كان جامعاً بين العلم والولاية، والكشف والدراية، وله تآليف منها شرح على قصيدة الأستاذ العارف الشيخ عبد الغني بن إسماعيل الدمشقي المعروف بالنابلسي التي مطلعها:

ومن أعجب الأمر هذا الخفا ... وهذا الظهور لأهل الوفا

ورسالة في وحدة الوجود، وتآليف غيرها في الحقيقة، وله كرامات وأحوال، منها ما أخبر به الشيخ السيد محمد بن عيسى الكردي الأصل القدسي، قال: كنت أرى من الشيخ المترجم كرامات ومكاشفات كثيرة، وكان يخبرني بأمور سرية تخطر في قلبي وأنا في مجلسه، فيزداد تعجّبي واعتقادي، ومما رأيته من كراماته أنّني زرتُ وإيّاه سيدنا داود عليه السلام، فأخبرني أنّه اجتمع بروحانيته، ووصفه لي فوقع في قلبي الشك، ثم نزلنا إلى مقبرة مأمن الله وزرنا ابن بطّال، وأبا عبدالله القرشي، وابن ارسلان، والشيخ البرماوي، وجماعة من أهل العلم، فأخذ ينعتهم لي ويقول: اجتمعت بروحانية هذا وهذا، فارتبت في أمره وكدت أنْ أتّهمه في الحيلة، حتى مررنا على قبر والدي ولم يكن يراه، ولم أخبره به قصداً، فوقفت ووقف معي وقرأت ما تيسّر من القرآن، فقال لي: هذا القبر فيه رجل شريف عالم عامل فَرِحَ برؤيتك وسرّ بوقوفك وقراءتك، واجتمعت بروحانيته، صفتُهُ كذا وكذا ونعته كذا وكذا، وهو والدك لما لم تخبرني، قال: فحينئذ تبتُ عن الإنكار، وقلت له لا حاجة للأخبار القصد الزيارة، قال: وقد عظم مقامه عندي، وكان له حال عجيب وكشف صريح، وكنت أسأله عن مشكلات فيطرق، ثم يقول: لعل الجواب كذا وكذا، فأرى جوابه شافياً للصدر، فأقول له: وأي حاجة لقولك لعله كذا وكذا، فيقول: لم أقف عليه مسطراً، وإنما هكذا يلقى في قلبي، فأقول، فقلت له: لكم يا بني الصديق مقام الولاية من جدّكم رضي الله عنه فإنه قال ﷺ: «إن يكنْ في أمّتي مُحدّثون[1] فأبو بكر وعمر منهم رضي الله عنهم»، وكان

(١) مُحدّثون بفتح الدال محدث على وزن محمد وفي الحديث ذروا العارفين المحدثين من أمتي.

يقول لي: هذا بركة الجد فلا يموت أحد منّا إلاّ وهو صالح، وإنْ كان مسرفاً لا يموت إلاّ على توبة، ولا يموت أحد منّا وهو فقير، وهي أيضاً ببركة دعوته لهم، اللهم أغن ذريتي لما خرج عن ماله وتخلل بالعبا، وقال له، سيد الكائنات: ما تركت لعبد الرحمن وأسما، فقال الله ورسوله، اللهم أغن ذريتي، وفي رواية وأعزهم فببركة دعوته حصل لنا ذلك، انتهى.

ومرض المترجم الأستاذ ثلاثة أيام، وقال للكردي المذكور: ادع لي ابن عمي السيد مصطفى الصديقي، قال الكردي: فدعوته له، فأخرج مفتاح صندوق، وقال: يا ابن عمي إنّي مرتحل لدار البقاء، فجهّزني أحسن الجهاز، وادفنّي إلى جانب قبر السيد عيسى الكردي، ويعني والد الراوي الكردي المذكور، فإنّ روحانيته كانت عندي في هذا الوقت، وأخبرني أنَّ مرقدي بالقرب منه، والرحلة عشية اليوم، وهذا العبد الأسود كتاب تدبيره في الصندوق، وبعد التجهيز ومهر الزوجة[1] حتى يحضر ولدي، فكان الأمر كذلك، وانتقل من يومه، وكان يوماً مشهوداً، وبالجملة فقد كان من الأخيار الأبرار، وكانت وفاته في سنة ثمان وأربعين ومائة وألف بالقدس ودفن بها رحمه الله تعالى.

عبد الكريم الشراباتي:

٣٦٣ ـ عبد الكريم بن أحمد بن علوان بن عبدالله، المعروف بالشراباتي[2]، الشافعي الحلبي، الشيخ الإمام الفاضل المحدّث، الشهير، علاّمة حلب الشهبا، وشيخ الحديث بها، العلامة المفيد ذو الهيبة والوقار: كان عالماً محافظاً على السنة الغرّاء، محبّاً لأهل الطريق والدراويش والعلماء، لا سيما لمن يقدم لتلك الديار أخلاقه حسنة وأوصافه مستحسنة، ولد بحلب في سنة ست ومائة وألف، وقرأ على والده وانتفع به، وحضر دروسه الحديثية والتفسيرية والفقه والعقائد والأصول والآلات، ثم قرأ على جمع كثير، منهم الشيخ مصطفى الحلبي، والشيخ أسد بن حسين، وإبراهيم بن محمد البخشي، وإبراهيم بن حيدر الكردي، وسليمان بن خالد النحوي، ومحمد بن محمد الدمياطي البدري، وابن الميت الشعيفي الحلبي، والعالم الشيخ زين الدين أمين الإفتاء، والمحقق المولى أبو السعود الكواكبي، والعلاّمة الشيخ يسن ابن السيد مصطفى طه زاده وغيرهم، وقدم دمشق أولاً في سنة إحدى وعشرين ومائة وألف، وأخذ عن جماعة، منهم الشيخ أبو المواهب الحنبلي، والأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي، والشيخ عبد القادر التغلبي، والمنلا إلياس الكردي نزيلها، والشيخ أحمد الغزي، والشيخ عبد الرحمن المجلد، والشيخ محمد بن علي الكاملي الدمشقي، وأجازه بفتح المتعال في النعال للشيخ أبي العباس المقري المغربي نزيل القاهرة،

---

(١) هكذا بياض في الأصل.

(٢) قوله شراباتي: هو الذي يصنع الشربة، لغة شامية، وهي المشربة يقال لها القلّة في مصر، كما في القاموس، والشراباتي: بالشام الذي يصنع المشروبات أيضاً.

عن المولى الفاضل أحمد الشاهيني الدمشقي، وهو عن المقرىء المؤلف، وتوجّه إلى الحج في سنة ثلاث وعشرين، وأخذ بالحرمين عن أجلّائها، منهم المحدث الكبير الشيخ أحمد النخلي، والمتقن الرحلة الشيخ عبدالله البصري، والشيخ أبو الطاهر بن العلّامة الرباني الشيخ إبراهيم الكوراني، والولي المشهور السيد جعفر وغيرهم.

ثم رجع إلى حلب وهو مكبّ على القراءة والإقراء مع قيامه بخدمة والده، إلى أن توفّي والده وذلك في سنة ست وثلاثين، وبعد أحد عشر يوماً كُفّ بصره فحمد الله وأثنى عليه، واسترجع عند المصيبتين، ولم يمنعه فقد بصره من الاشتغال بالعلم والحديث، بل ازداد حرصاً واشتغالاً، ثم في سنة ثلاث وأربعين حجّ ثانياً، وأخذ عن المحدّث الشيخ محمد حياه السندي، والعلامة الشيخ محمد دقاق وغيرهما، ثم رجع إلى بلده ودأب في الأخذ عن العلماء والأفاضل الواردين إلى حلب، ولما ورد الشيخ محمد عقيلة المكي، والسيد الأستاذ الشيخ مصطفى الصديقي الدمشقي، أخذ عنهما وبايعهما، وقبل الحجة الثانية دخل بلاد الروم، واجتمع بعلمائها وحصل عنه، وصار له إقبال، وله تعليقة على الشفاء الشريف، وتعليقة على كنوز الحقائق في أحاديث خير الخلائق، والعطايا الكريمة في الصلاة على خير البرية، ورسالة في ذكر بعض شيء من آثار الولي الكبير العارف الجدّ السيد الشيخ مراد الأزبكي نزيل دمشق، وله رسالة في تعزية المصاب، وله رسالة في الفرق بين القرآن العظيم والأحاديث القدسية الواردة على لسان النبي ﷺ، وله رسالة متعلقة بحزب البحر، ورسالة في قراءة آية الكرسي عقيب الصلوات المكتوبة، ورسالة سمّاها «المنح الكريمة الدافعة إنْ شاء الله تعالى كل محنة وبلية»، ورسالة متعلقة بحرز الإمام الشافعي رضي الله عنه، الذي قاله ﷺ يوم الأحزاب فكفاه الله شرهم، وله رسالة أخرى متعلقة باسميه تعالى الحي القيوم، ورسالة في أدعية السفر، وله ثبت جامع سمّاه «بإنالة الطالبين لعوالي المحدثين»، وكان رحمه الله تعالى انتهى إليه في زمنه علو الإسناد، وألحق بالآباء والأجداد والأبناء والأحفاد، مكبّاً على الإفادة، حتى صار له الاجتهاد طبيعة وعادة، وله همة في مطالعة كتب القوم، ومع ما فيه من الفضل الباهر، له كرم وله رحلات إلى الروم ودمشق عديدة، وعلى كل حال فقد كان مفيداً للطالبين بحلب حاضرها وباديها، وعلامة الشهباء وناشر العلم بناديها، توفّي في ضحوة يوم الأربعاء السابع والعشرين من جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

عبد الكريم الغزي:

٣٦٤ ـ **عبد الكريم بن سعودي بن محمد نجم الدين، المعروف بالغزي العامري الشافعي الدمشقي، الشيخ الإمام العالم العلامة الحبر الحجة الفهّامة الخاشع الناسك ولي الله تعالى**: ولد قبل الخمسين وألف ونشأ في ديانة وصيانة، وقرأ القرآن العظيم وجوّده، واشتغل بطلب العلم على شيوخ عصره، ولازم دروس جده شيخ الإسلام نجم الدين الغزي محدث

الشام، وقرأ على جدّه في الفقه، وعلى الشيخ محمد البطنيني، والشيخ محمد العيثي، وأخذ الحديث ومصطلحه عن الشيخ محمد البطنيني، والشيخ عبد الباقي الحنبلي، والنحو والمعاني والبيان عن جماعة، منهم المنلا محمود الكردي نزيل دمشق، والشيخ محمد الإسطواني وغيرهما، ومن مشايخه العلامة الشيخ منصور الفرضي المصري نزيل صالحية دمشق، وبرع في العلوم لا سيما في الفقه وأصوله، وأفتى وتولّى إفتاء الشافعية، ودرّس بالشامية البرانية في حجرته بالجامع الأموي، وأخذ عنه جماعة، وكان صدراً محتشماً ديّناً وقوراً، وله وجه مضيء كأنه القمر ليلة البدر، وشيبة نيّرة، بشوشاً متواضعاً، محباً لصالحي الناس، وللناس عليه إقبال عظيم واعتقاد كثير، وكان مؤثراً للعزلة عن الناس، محفوظاً عن الغل والحقد، والحسد والرياء، ومخالطة أهل الدنيا، ودروسه من محاسن الدروس يجري فيها بعبارة فصيحة واستحضار تام، وحافظة قوية، وله كرامات ومكاشفات، ولم يزل على طريقته المثلى وحالته المرضية إلى أنْ مات، وكانت وفاته في صبيحة يوم الجمعة الثاني والعشرين من جمادى الأولى سنة تسع ومائة وألف فجأة بعد أنْ خرج من الحمام واستلقى على قفاه في فراشه، وتشهّد وخرجت روحه، ودفن عند سلفه بتربة الشيخ أرسلان، وكثر بكاء الناس عليه وأسفهم، رحمة الله عليه.

عبد الكريم السمهودي:

٣٦٥ ـ عبد الكريم بن السيد عمر السمهودي المدني الشافعي، الشيخ الفاضل الصالح البارع عز الدين: ولد بالمدينة المنورة سنة ثمان ومائة وألف ونشأ بها، وحفظ القرآن العظيم، وقرأ على أبيه السيد عمر، وغيره جملة صالحة، وصار أحد الخطباء والأئمة بالمسجد الشريف النبوي، وبالجملة فهذا المترجم من بيت الصلاح والتقوى الشهيرين بذلك، ولم يزل على طريقته المثلى إلى أنْ توفّي، وكانت وفاته بالمدينة المنورة سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف بتقديم التاء، ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى.

عبد الكريم الداغستاني:

٣٦٦ ـ عبد الكريم بن عبد الرحيم بن إسماعيل بن محمد بن محمود الطاغستاني المولد والشهرة، نزيل دمشق الشافعي، الشيخ الفاضل العالم العامل الصالح: ولد في أواخر سنة خمس وعشرين ومائة وألف، وتلا القرآن العظيم، وأخذ في طلب العلم، وقرأ في بلادهم النحو والصرف على ابن خاله علي بن صادق الطاغستاني، وقرأ حصّة من المنطق على المحقق أبي الصبر أيوب الطاغستاني، ثم في سنة سبع وأربعين ومائة وألف خرج من بلده مع أهله بسبب فتنة طهماز الشهيرة، وجاء إلى ديار بكر وقرأ بها تصوّرات المنطق على العلامة عبد الكريم الديار بكري، ثم في أواخر سنة ثمان وأربعين بعد المائة والألف قدم دمشق وتوطّنها، وقرأ بها على ابن خاله المقدّم ذكره جملة من العلوم كالمعاني والبيان والأصلين والمنطق، وقرأ الإلّهيات من شرح المواقف على الشهاب محمود بن عباس

الكردي، وقرأ أوائل صحيح البخاري على الفاضل محمد بن أحمد قولقسز، وأخذ الفقه وشيئاً من علم الحديث عن العلامة الشمس محمد بن عبد الرحمن الغزي العامري المفتي، وقرأ الشمائل للترمذي على العالم حامد بن علي العمادي مفتي دمشق، وحضر دروس الفقه، وجمع للسبعة من طريق الشاطبية على الفقيه علي بن أحمد الكزبري، وحج مرتين، وأجاز له من المدينة محمد حياة السندي، ودرّس بالجامع الأموي، وبجامع الورد بسويقة صاروجا، وكانت وفاته ليلة نصف شعبان سنة ثمان وتسعين ومائة وألف، ودفن بسفح قاسيون قرب مدفن البلخي رحمه الله تعالى.

عبد الكريم الخليفتي:

٣٦٧ ـ عبد الكريم بن عبدالله الخليفتي العباسي الحنفي، العالم الفاضل الفقيه البارع الشاعر مفتي السادة الحنفية بالمدينة النبوية: ولد بها سنة سبعين وألف ونشأ بها، وأخذ بطلب العلم، فأخذ عن الشيخ أحمد بن ناصر الدرعي، وعبدالله أفندي البوسنوي، وحسن أفندي البوسنوي، والشيخ حسن التونسي، والشيخ إبراهيم البيري، والشيخ حسن العجيمي، والأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي، والشيخ محمد بن إبراهيم الدكدكجي، والشهاب أحمد بن محمد التخلي، والشيخ محمد بن سليمان المغربي محدّث الحجاز وغيرهم، وبرع وفضل حتى صار أفضل أهل بيته، وله من التآليف رسالة اختار فيها ترجيح قول الإمامين أبي يوسف ومحمد في حرمة توسد الحرير وافتراشه، وله فتاوى وتحريرات أخر، وله شعر لطيف، ومن شعره قوله مقرّظاً على رسالة للخطيب أبي الخير في مناقب أبي حنيفة رضي الله عنه:

جمع يفوق شقائق النعمان ... حسناً بذكر مناقب النعمانِ
نظمت فرائده أنامل كامل ... أضحى له ذكر عظيم الشأن
أعني أبا الخير المضارع أمره ... من قد مضى وعلا على كيوان
الفاضل السامي بحسن صفاته ... أبداً على الأشكال والأقران
فرع نشأ من دوحة المجد التي ... سقيت بماء الفضل والتبيان
هو أحمد الحاوي لوزن الفضل مع ... علمية جمعت شريف معاني
عين الأفاضل مبتدأ خبر الثنا ... عن كل ندب من بني الأزمان
خطبته أبكار العلى فأجابها ... وبه استقلّت عن حبيب ثاني
لا زال ذا الفرع العزيز وأصله ... في عز فخر عامر الأركان
ما قال من نظر الرسالة مادحاً ... جمع يفوق شقائق النعمان

وله غير ذلك من الأشعار والنظام والنثار، وكان صدراً محتشماً ورأساً رئيساً مثل: فتح

باباً في المدينة المنورة، وطار صيته في الآفاق، ووقع على تقدمه الاتفاق، وكانت وفاته في المدينة المنورة سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

السيد عبد الكريم ابن حمزة:

٣٦٨ ـ **السيد عبد الكريم ابن السيد محمد ابن السيد محمد كمال الدين الحسيني، المعروف بابن حمزة، الحنفي الدمشقي نقيب السادة الأشراف بدمشق، الفاضل العالم العلامة الأديب البارع الصدر الرئيس الصنديد الأجل**: كان مائلاً إلى التنعّم والدّعة والرفاهية، وعنده من لطف الأخلاق ومحاسن الشيم، وأدوات الظرف، ما فاق به أهل زمانه، وله شعر لطيف ونثر حسن، وكان سمح اليد كثير البذل، أبطأ عنه الشيب مع قوته ونشاطه، وحسن خَلقه وخُلقه، (بفتح الخاء وأحديهما بالضم) ولطف معاشرته، ولد في ليلة الثلاثاء قبل العشاء الأخيرة لخمس بقين من ذي القعدة سنة إحدى وخمسين وألف، ونشأ بها في ظل أبيه في غاية من بلهنية[1] العيش، وقرأ وحصل بدمشق على جماعة، منهم والده محدّث دمشق الشام المتوفّى في صفر سنة خمس وثمانين بعد الألف، والشيخ نجم الدّين الغزي، والأستاذ الشيخ محمد البلباني الصالحي، وأجاز له نزيله العلاّمة المشهور الشيخ محمد بن سليمان المغربي نزيل الحرمين، وكان نزيل داره بدمشق، ومنهم خير الدين ابن أحمد الرملي[2] مفتي الحنفية بها وغيرهم، وتولّى نقابة الأشراف بدمشق مرات عديدة، وتولّى تدريس القيمرية البرانية، وتردّدت إليه الناس لقضاء حوائجها، ورحل للروم، وأصيب بابن له نجيب فصَبَر واحتسب، وترجمه الأمين المحبّي في نفحته، وذكر له من شعره شيئاً، وقال في وصفه: هو بيت القصيد، وواسطة عقد المجد النضيد، تجسم من شرف محض، وكرم لا يحتاج خيره إلى خضخضة ومخض، إلى ما حاز من أشتات الكمال، والمعاني المربية على الآمال، وهو بعد أبيه النقيب، ومحله فوق المعلى والرقيب، فمهما ترقّى البدر فقاصر عن مراقيه، والبحر لو عذب لكان بعض سواقيه، وله مع النباهة روح الفضل وجسمه، ومن بشر أساريره ينهض أثره المجد ورسمه، وبيني وبينه ودّ مورث في الأعقاب، وحبّ خالد ما دامت الأحقاب، ولي في كل لحظة منه أمل ينشيه ويعيده، وفي مرأى وجهه نوروز إذا مضى أقبل عيده، وإذا أردت مدحه أرسلت نفسي وما تجودُ، فلا تنتهي عند وصف من أوصافه إلاّ وتقول أحسن الموجود، وأنا أرجو الله تعالى في كل ما يشاؤه، وأسأله من الخير ما يدوم به ممتلئاً رشاؤه، وقد أوردت من نفثاته السحرية، ونسماته

(١) بُلهنية بضم الباء، وفتح اللام، وكسر النون، رفاهية بتخفيف الياء فيهما قال في الأساس: لا زلت ملقى بتهنيه مبقي في بلهنيه.

(٢) خير الدين الرملي: هو شيخ جليل حتى أجاز لأحمد باشا ومصطفى باشا، وهما ابنا محمد باشا كوبريلي ترجمه المحبّي.

الشحرية، ما هو أحسن من نور تفتّحه الصبا، وأوقع من خلسة الوصل في عهد الصبا، انتهى مقاله فيه.

ومن شعره الباهر النضر قوله:

لقد دعانا إلى الربا الطرب ... فأجبناه حسبما يجبُ
واستبقنا والشوق يجذبنا ... كأنَّ أشواقنا لنا نجب
وملنا والحظوظ تسعدنا ... مجتمع سلك عقدتا الأدب
فحللنا منها بمرتبع ... هو للزائرين منتخب
وقد حبانا الربيع مقتبلاً ... بمزاياه والمنى نخب
فالروض مخضلة ملابسه ... يجمع فيها الحسن والأدب
وقد تناغت به بلابله ... فمنهم فاقد ومصطحب
وموكب الزهر في حدائقه ... منتزه بالعيون منتهب
تظل مغناه وهو من دهر ... فباب نور كأنها سحب
ينعشنا العرف من شمّها ... ومثل هذا العبير يكتسب
والمرج رحب الفناء مصطحب ... عليه ذيل النسيم ينسحب
تخاله من زبرجد نضر ... بحراً غدا بالنسيم يضطرب
يشوقنا حسنه ومنظره ... يسرّنا حيث زانه الخصب
ولانسكاب المياه حن صدأ ... يرقص عند استماعه الحبب
فمذ نعمنا بذا وذاك وقد ... تكنفتنا بفيئها القضب
أخصب ربع المنى وطاب به ... العيش لنا واستفزنا الطرب
فعادّ للوجد مدنف طرباً ... وهكذا مدنف الهوى طرب
ومال وفق الهوى وحق له ... ذلك إذْ ليس ما به لعب
وراح يملي غرامه ولهاً ... في غزل رق صوغه عجب
ومن يكن بالغرام ممتحناً ... لا غرو بالشوق قلبه يجب
يا بأبي مترف ألفت به ... الوجد وما غير محنتي السبب
أطعت فيه الهوى ومعدنه ... مغنطيس الجمال منجذب
جماله فتنة لذي نسك ... مهذّب زان حسنه الأدب
نمازج اللّطف والعفاف به ... كذا لمى الثغر منه والشنب
بدرٌ محياهُ ما به كلف ... برونق الحسن راح ينحجب
وقدّه السمهري من مرح ... ما اهتز إلاّ ازدهت به القضب
وما بطر في رنا لرامقه ... إلاّ وسهم اللّحاظ منتشب
شهي لفظ تكاد رقّته ... تسترقّ اللّب وهو محتجب

منطقــــه سكــــر لمستمـــــع وسكــرنــا مــن سمــاعــه طــرب
قــد منحــت بــالجمــال صــورتــه وقــد منحــت الهــوى ولا عتــب
أوسعنــــي فيــــه حبّــــه ولهـــاً وليــــس إلاّ هــــواه لــــي أرب
وقــد أبــى غيــر مهجتــي سكنــاً وهــي لــه مــرتــع ومنقلــب
فــلا خــلا مــن هــواه لــي خلــد وذاك بينــي وبينــه النســب

وقوله:

لا وصــدق أنتمــا المحــب الــودود لغــــرام سمـــا بــــه للسعــــودِ
ونــزول الحمــى وقــد طــال نــاي بــاشتيــاق نمــى مــن المعمــود
وارتضــاع لمــا جلتهــا أكــف خضبتهــا دمــاً ابنــة العنقــود
وارتشــاف اللّمــى ولثــم خــدود واعتنــاق الــدّمــى ذوات النهــود
مــا الهــوى بــي كمــا يظــنُّ جهــول بــل غــرامــي بمــا عليــه شهــودي

وقوله:

لســتُ إلاّ كِــلاّ علــى إشفــاقــك فبــر حمــاك جــد علــى عشّــاقِــكْ
وأعــد نظــرة الحنــان لقلبــي روع مــن لــم يــزل علــى ميثــاقــك
وارع وُدّاً[1] رضيتــه منــك حــاشــى نبــذ وداتــي علــى مصــادقــك
إنْ قلبــاً حللتــه عــرض أنــت بــه جــوهــر علــى إطــلاقــك
كيــف يــرضــى دون التملــي بلقيــا ك محــبُّ إقــالــة مــن وثــاقــك

وقوله:

امنــح الطــرف منــك طلــق العنــان لاجتــلاء الــورود فــي الأغصــانِ
وألْثِمَنْ (من اللثم) باللّحاظ منك خدوداً صبغهــا مــن صنــائــع الــرحمــن
واغتنــم طيــب وصلــه فلعمــري إنّــه غــرة بــوجــه الــزّمــان
فــانتهــز فيــه فــرصــة لأمــانيــك وحســب الشجــي نيــل الأمــانــي
حيــث وجــه الــزمــان طلــق وريعــان التصــابــي إقبــالــه متــدانــي
وبحيــث المنــى يســرك منهــا مــا تــدانــت قطــافــه للبنــان
واصطحــب للنــدام كــل مجيــد لقصــار الفصــول ذات المعــانــي
المعــي حلــو الحــديــث يجــاريــك بمــا يشتهيــه ذي تبيــان
واصطفــي للغنــاء كــل طــروب نــاعــم الصــوت متقــن الألحــان
يــوســع السمــع شــدوه طــربــاً والقلــب شجــواً بــأنــة الأشجــان

---

(١) وُدّ: بضم الواو وتشديد الدال.

واغـن يـا صـاح قبـل فـوتـك واستجـ ـــل عـروسـاً بمطـربـات الأغـانـي
واجتليهـا عـذراء كـأسـاً وكـأسـاً يتـلألأ حبـابهـا كـالجمـان
يتهـادى بهـا إليـك غـريـر خنـث اللّحـظ فـاتـر الأجفـان
ليـن العطـف يستبيـك إذا مـا قـام يختـال مثـل خـوط البـان
يشبـه النـور منـه رونـق وجـه وتـرى الخـدّ منـه كـالأرجـوان
واجتني للمشام من يامن يانع الزهر صنـوفـاً مـن روضـك الفينـان
وأطلـق العـودَ فـي المجـامـر والنـد مـان حـي بمـاء ورد القنـانـي
فلعمـري هـذا هـو العيـش فـاغنـم فسـوى الله كـل شـيء فـانـي

ومن المستجاد من شعره قوله:

ومهفهـف غـض الأديـم يـرقّ مـاء الحسـن فـي جسمـانـه الألمـاسِ
كـدنـا للطـف صفـاء خـدّيـه نـرى مـا مـرّ خلفهمـا مـن الأنفـاسِ

ومن ذلك للسيد الأمين المحبّي:

ومقـرطـق تـرف الأديـم تخـالـه كـالغصـن قـد عبـث النسيـم بقـدِّهْ
ويكـاد إنْ شـرب المـدامـة أنْ تـرى مـا مـرّ منهـا تحـت أحمـر خـدِّهْ

ومن ذلك للفاضل عبد الباقي السمّان الدمشقي أحد المدرسين بالقسطنطينية:

ومهفهـف لـولا جفـون عيـونـه خلنـا دم الـوجنـات مـن ألحـاظِـهْ
وتكـاد تقـرأ مـن صفـاء خـدوده مـا مـرّ خلـف الخـدِّ مـن ألفـاظِـهْ

ومن ذلك للأديب الشيخ صادق الخراط:

أفـديـه ذا خـدٍّ نقـي لـم تـزل منّـا العقـول تتيـه فـي مـرآتِـهْ
تكـادُ تنظـر عـذب ريقـة ثغـره تنسـاب حـول الـدر مـن صفحـاتِـهْ

ومن ذلك للأديب عبد الحي الخال:

تـرف الأديـم منعـم الجسـم الـذي سقـاه مـاء شبـابـه مـن وسمـه
فـي كـل عضـو منـه تنظـر كـل مـا أضمـرت قبـل وقـوعـه فـي وهمـه

ومن ذلك قول الأديب الشيخ سعيد السمّان:

بـأبـي وبـي تـرف اغـن مهفهـف وهـب الغصـون رفـاهـة مـن قـدِّهْ
فتكـاد تبصـر بـرد ريقتـه ومـا ينسـاب منهـا فـي صحـائف خـدِّهْ

وللمترجم:

وذي لطـف لـه شيـم رطـاب حكتهـا مـن ربـا نجـد نسيـمُ

تنكر بالتجافي قلت دعني ... من التمويه ذا لا يستقيم
فقال أمنكر ذا أنت حتماً ... فقلت نعم لما نقل النسيم

ومن ذلك قول الأديب السيد أسعد العبادي:

وبي ترف صافي الأديم مهفهف ... رأى الغصن يحكيه فأخجله قدّا
وأوهم أنّ الورد يحكي خدوده ... فأنبت ذاك الوهم في خدِّه وردا

ومن ذلك قول الذهبي:

ومحجب ساجي اللّجاظ كأنّه ... معنى توهم في الخيال إذا سرى
وتكاد تقرأ في أسرة وجهه ... وصقيل خدٌّ منه ما قد أضمرا

ومما رقّ وراق قوله في معنى آخر:

ربّ ساق أتى بماء قراح ... غب سقى المدام للندمانِ
قابل الخدّ منه بالكأس عمداً ... إذْ غدا الخدُّ منه كالأرجوان
فاكتسى من شعاعه الكأس حسناً ... لم نخله إلاّ مدامُ الدنان

وله فيه أيضاً:

يا بروحي ساق إذا ما أتانا ... بقراح خلال حث المدامِ
لم نخل غير خمرة إذْ شعاع ... الخدُّ قد مازج الأنا باحتكام

وكتب الأمين المحبي المذكور له يمدحه بقوله:

كتمتُ هوائي لو يفيد التكتم ... وكيف ودمعُ العين عنه يترجمُ
لك الله قلبي كم تقاسي لواعجاً ... لها في الحشا نارٌ من العشق تضرم
بليتُ بقاس لا يزال يذيقني ... من الصدّ ما لم يلقه قبلُ مغرم
فسلمتُ قلبي طائعاً غير أنّني ... أؤخّر رِجْلاً في الهوى وأقدّمُ
وما كنت أدري أنَّ للعشق فتنة ... وأنّ اجتناب الشرّ للحُرّ أسلمُ
فلما رأى وجدي عليه تغيّرت ... خلائقه ثم انثنى يتحكّم
وصدّ وجاز أنّي على الصدّ بالقلا ... وأعرض عنّي وهو بالحال يعلم
وبدّل ميثاقي وأضحى مجانباً ... يمرّ فيثني عطفه لا يسلم
وأغدق دمعي وهو ماء ممنّع ... وحلّل قتلي وهو أمرٌ محرّم
عفا الله عنه من بخيل بقربه ... وسامحه من ظالم ليس يرحم
أقضي به عمري مع البأس والمنى ... ولي من عذولي كلّ وقت مهيم
أبيت أعاني الوجد ليلة لم أكن ... بغير ثنا فرد الورى أترنّم
عنيت النقيب السيد السند الذي ... غدا مثل بسم الله فهو مقدم

وحيـد لـه الأفضـال طبـع وشيمـة | وفيـه انتهـى جـود الـورى والتكـرم
إذا كـان نـور الشمـس لازم جـرمهـا | فطلعتـه الـزهـراء مجسـم
ونـاديـه روض بـالفضـائل مـن مزهـر | لسـانـي فيـه البلبـل المتـرنّـم
تعطّـر هبـات النسيـم خـلالـه | فليسـت بعـرف غيـرهـا تتنسـم
ويفتـر عـن لآلاء بشـر كـأنّـه | مقبـل شـادي أليـس إذْ يتبسـم
أمـولاي أنـت النـاس يـا فـوق فـوقهـم | لأنـك للطـلاّب رزق مقسـم
هـواك بلبـي ليـس يبـرح لحظـة | بـه ابتـدى الـودّ الصحيـح واختـم
ولي في علاك الباهر المجد في الورى | عقـود كـلام بـالثنـاء تنظـم
قـواف إذا مـا أنشـدت بيـن أسـرة | فقـس لـديهـا بـالفصـاحـة أبكـم
ومـا هـي إلاّ الـزاهـرات فلـو بـدت | لقـامـت مقـام الـزهـر والليـل مظلـمُ
تمتّـع بهـا مـن مـادح ليس يـرتجـي | مـن الـدهـر شيئـاً غيـر أنّـك تسلـم
وحسبـك شكـري مـا بقيـت علـى المدا | وقلبـي وأعضـائـي تصـدق والفـم

فكتب المترجم إليه مراجعاً بقصيدة مغيراً للوزن لا القافية:

حسـب المنـى حيـث الحـوادث نـوم | وحـواسـدي وعـواذلـي واللّـومُ
وافتنـى الحسنـاء فـي داجـي ذوا | ئبهـا ولـلأشـواق فـي مخيـم
عـذراء وافـت وهـي تختـرق الضيـا | مـن وجههـا مُـذْ لاح فيـه تبسـم
فتعطّـرت منهـا الـربـوع وفـاض فـي | أنحـائهـا منهـا السنـا يتسنـم
ولطـالمـا راقبـت مـن ولهـي بهـا | طيفـاً يلـم بـزورة تتنعـم
ومـن اغتـذى ضـرع الهـوى هـل عينـه | يـومـاً بتهـويـم الكـرى تتنعـم[1]
كـلا إذا الأحشـاء خـامـرهـا الهـوى | قـدمـاً فـلاعجـه بهـا متضـرم
وافـت فحُـقّ لهـا الهنـاء بهـاكمـا | الـواشـون حُـقّ لهـم بـذاك تـرغـم
فغـدوت ذا طـرب قـريـر العيـن سلـك | الشمـل بـالأحبـاب لـي متنظـم
لا بـدع إنْ أسلـو إذا وأجـرّ ذيـل | العجـب تيهـاً والهـوى أتهكّـم
وأميـد نشـوانـاً بكـأس حـديثهـا | وثنـاء نـاظـم عقـدهـا أتـرنّـم
لـم لا أكـن بثنـاه متـرنّمـاً | وهـو الأميـن وبـالمنـى المتكـرم
الأريحـي المكـرمـات ومـن حـوى | حسـن الحـلا فيهـا عـدا يتـوسـم
ربّ الفصـاحـة والنّبـاهـة مـن غـدا | ولـه مـن الفضـل الجسيـم تجسّـم
مـا اللّطـف فـي النسمـات إلاّ مـن كـريـم | خـلالـه وبعـرفهـا يتنسـم

(١) تنعّم الرجل: ترفّه، وتنعم فلاناً بالمكان طلبه.

تخـذ التطـول بـالمكـارم عـادة فكـأنّـه كلـف بـذاك متيـم
لا غـرو إن مـلأت محـامـده المسـا مـع واستلـذّ سمـاعهـا المتـرنـم
يـا فـرع أبنـاء الكـرام ومـن لهـم فـي كـل مَحْمَـدٍ[1] رتبـة وتـدّم
بشـراك مـا أوتيـت مـن أجـرٍ بمـا عـاينـت مـن وصـب عـداك ييمـم
فتهـن مـأجـوراً ومسـروراً بعـا فيـة أتتـك فـلا عـدتـك تعمـم
وعـدتـك أسقـام عنتـك وللعـدى العـاديـن وافـت بينهـم تتقسـم
وبقيـت فـي ظـلٍّ التهـانـي سـالمـاً والعيـشُ مخضـرّ لـديـك مخيـم
وإليكهـا قسيـة ألفـاظهـا كـالـدرّ فـي سلـك الثنـاء تنظـم
جـادت بهـا منـي قـريحـة مـوقـن بجمـودهـا إذْ جـاء منـك مهيـم
فـاعـذر وكـن بثنـائهـا متمتعـاً حسـب المنـى حيـث الحـوادث نـوم

فكتب إليه الأمين معتذراً عن مراجعته بقصيدة لعارض المرض بقوله:

ليـس فمـي فيـك يبلـغُ الشكـرا مـن بعـد مـا قـد مـلأتـه درّا
بعثـتَ لـي بـالحيـاة فـي كلـم يـزيـد فـي العمـر لطفهـا عمـرا
مـن كـل لفـظٍ فـي اللّطـف أحسبـه ينفـث هـاروتُ منـه لـي سحـرا
لـم تصطنـع جبـرك القلـوب لمـن يـدعـوك إلاّ وتقتنـي أجـرا
يـا مـن هـو الـروض فـي خـلائقـه يعبـق مـن نسمـة النّـدى نشـرا
شـوقـي لتقبيـل راحتيـك لقـد جـاوز حتّـى لـم يبـق لـي صبـرا
لكـن عـذري لـديـك متضـح فـاقبـل حمـاك الإلّـه لـي عـذرا

فبعث إليه بهذه الأبيات:

أيهـا المـوسـع المنـى بشـرا دمـت تستنطـق النّهـي شكـرا
ودام ثغـر الـوداد يبسـم مـن بشـر محيـاك لافظـاً درّا
وحبّـذا منـك ذا لا تملـه فهـو لعمـري ينـاقـس السحـرا
لقـد منحـتَ المحـبّ منـك بمـا أثلـج منـه الفـؤاد والصّـدرا
مـن كـل لفـظ فـي اللّطـف أحسبـه ينفـثْ هـاروت منـه لـي سحـرا
فـدم لنـا روضـة نسـرُّ بهـا ومـن ربـاهـا نستنشـق العطـرا
وفيـك دامـت لنـا المنـى أمـمٌ إنْ نلتهـا كـان لـي بهـا البشـرى

وكتب المترجم يستدعي السيد محمد أمين المذكور إلى متنزه:

أنعـم الله للجنـاب صبـاحـه وبـإسعـاده أراش جنـاحـهْ

---

(١) محمد: كمجلس ومقعد.

وحبانا حسب المنى بأعا ... ليه وآداب فضله المستباحه
واقر العيون منا بما من ... غض آدابه أمجاد اقتراحه
يا أمين الكمال وابن ذوي الفـ ... ـضل وخدن العلى ورب الفصاحه
لا عَدِمْنَا الوفاء منك بأوفى ... صدق عهد يجدي إلى نجاحه
فأجب داعياً إلى منزل القـ ... ـصف[1] صباحاً لكي تنال رياحه
مسعداً حظه ببشر ولطف ... بهما الصدر راح يلقى انشراحه
وابق سلماً خديمك السعد ... ما أسعد خِلٌّ إلى الخليل صباحه

فأجابه في طلبه الأمين مرتجلاً:

أسعد الله من تكون صباحه ... فمحياك للصباح صباحه
بأبي أنت رائشاً لجناحي ... في زمان عدمت فيه نجاحه
كأنَّ قدما جوادٍ حظي جموحاً ... فلأنت الذي ألنت جماحه
قد أتتني أبياتك الغرّ تختال ... وقد أوتيت جميع الملاحة
مبدعات لا يبرح الطرف عنها ... فهي قيد النواظر اللّماحه
كل لفظ منها كوسطي نظام ... زيّن العقد منه جيد الفصاحة
قد دعتني إلى اقتسام عهود ... أنا منها في غبطة وارتياحه
ألف سمع وطاعة ولك الأمر ... الذي ما برحت أرجو نجاحه
وابق واسلم على المدا المحبّ ... لك يدعو غدوه ورواحه

وعزم يوماً على التنّزه في حديقة اتخذها مألف نشاطه، ومحل أنسه وانبساطه، فكتب إلى الأمين أيضاً يستدعيه إليها، (مألف محل الألْفة):

نتفداك مستماح الوداد ... ثابتاً في حفاظه كودادي
مستباح الجنى وطلق المحيا ... ذا جنان رحب وبشر بادي
يا كريماً خصاله تجذب الآما ... ل طبعاً لفضله المستجاد
إثمد للعيون بشرّ محيا ... ك فكنْ مفضّلاً بذاك مهادي
وأجب مسعداً بلقياك داع ... شفّه الشوق فهو بالمرصاد
وابق سلماً ممتعاً بأمانيك ... على رغم معطس الحساد
ما تداعت إلى التداني أمان ... من مشوق أشواقه في ازدياد

وللمترجم:

ما لقلبي عن الغرام براح ... إذْ هوى من أحب زاد وراحُ

---

(١) القصف: مولده بمعنى اللّهو واللّعب.

فعسى العاذل المفنّد يصغي ليريح المشوق بل يرتاحُ
من تسليه ليس يرجى فأنّى فيه يجدي من العذول اقتراح
والتسلّي دون التملّي لأمر من عميد وما سواه جناح
كيف يرجي سلوه وهو جسم والهوى الروح والحبيب النجاح
جل من الهم العظيم تسليه وفيه إلى الرضاع ارتياح
ويح من كامن الهوى بين جنبيه مقيم ومنه تندى الجراح
حيث دون المنى فياف وبيد[1] وهو يصبو وما لديه جناح
يا أخلاّي إنّ وجدي لعذري لجلي فخري به الافتضاح
وبه همّتي لتنمو وتسمو حيث صدري عراه منه انشراح
سائلي عن جلى وجدي وعما فيه فخري ما كل وجد رباح
إنّما الوجد ما حمدت به سيرك فيه إذا أتاك الصباح
فالمحبوّن في المحبة شتّى كل قلب بما حوى نضاح
فمعنى بمغنطيس جمال ومحب مرامه الأشباح
فحليف الهوى هواه هوان وأخو الوجد وجده مصباح
جل من أشغل القلوب بما أو دعها وهو بالمنى مناح
حسب ما شاء كل حزب إليهم صاح مغري بشامة مقداح[2]

الطرف: بسكون الطاء العين لا يثنى ويجمع، والطرف محرّكة الناحية: جمعه الأطراف (شفاء الغليل) فأطراف بقصد الجمع للطرف العين مولد:

كان من قلبه المحبة حلّت عنه ولت من الخصال الشحاحُ
وبدا روح أنسه لمحبّيه وبالروح تجذب الأرواح
إنّ من هام بالجمال سعيد ونجاح غدوه والرواح

وقال رحمه الله تعالى:

وذاكر شاقني منه تواجده والليل داج فضل الرشد واجدُهْ
أثار من كل معمود كمين هوى والوجد قد ظهرت فيه شواهده
يعطو بعاطل جيد أجيد طرباً والذكر لا غرو يشجي فيه رائده
ما راح من لينه في الذكر منثنياً إلاّ وطاش من الإيقاع شاهده

---

(١) فياف وبيد: جمع الفيفاء والبيداء.

(٢) إنّ الكبريت المخترع في القرن الثالث عشر على أنواع يوقد به الشمع والقنديل وغيره، حتى يورث احتراق الديار وليرى ضرره الخلق مالاً وبدناً فيوشك إن ينسى الحاضر والبادي المقداح.

ومـا التفـات بـدا منـه يعـاطفـه إلاّ وظـنَّ شـروق الصبـح جـاهـده
توسّط الجمع يحكي العقد منتظماً فكـان وسطـاه وانضمـت فـرائـده
فكـل صـب ثـوى فـي قلبـه أمـل فـي حبّـه وانثنـى كـل يكـابـده
وعـاد مـن كـان يهـواه يـراقبـه طـوراً وآونـة يغشـاه وارده
فجـل مـن أودع الأشبـاح تبصـرة سـر الجمـال ليفنـى فيـه عـابـده

وله أيضاً:

حبّـذا طيـب يـومنـا المشكـور بفنـا السفـح فـي ذرى المـأطـورْ
حيـث سـار النسيـم يهـدي لنـا عـر ف الخـزامـى مـن نفحـه المعطـور
ولـدينـا جـداول جعـدتهـا نسمـات تبـري أذى المخمـور
وبحيـث المنـى لنـا قـد تـدانـت فغـدا يـومنـا منـاط السـرور
يـا لهـا خلسـة بهـا سمـح الـدهـر فجـاءت كنفثـة المصـدور

وقال:

قـابـل الـورد حيـث حليـت وانظـر مـا يسُـرُّ القلـوب والأنظـارا
وتسلّـى بحسـن مـرآه عـن شبـه لـه إنْ لـه شممـت انتظـارا
عـل ينبيـه عنـك واشيـه كـي يغضبـه منـك قـاصـداً صـرارا
فيـوافيـك عـاجـلاً غيـرة منـه ويـأبـى المـزار إلاّ جهـارا

وقال:

يـا بـروحـي مـن الحبيـب طـرازه قـد سبـانـي مـن القـوام اهتـزازُهْ
أتفـداه مـن جميـل محيـا زان يـا صـاح خـدّه غمـازه
أبـرز العيـد لـي هـلال محيـا ه وعنـدي مـا العيـد إلاّ انبـرازه
فـاستبـانـي بطلعـة دونهـا البـدر بهـاء وليـس يخفـى امتيـازه
وحبـانـي ببشـره منجـزاً لـي سبـق وعـد يـا حبـذا إنجـازه

وقال:

إلـى متـى تحـث كـأس هـوى وتحتسـي للجمـال أكـؤسُـهْ
ومنـك لحـظ يصيـب مـن جسـدي مـن أسهـم الفتـك صـاح أرؤسـه
وكـم يـرجـى انعطـاف قلبـك لـي منـي فـؤاد وأنـت مـؤنسُـهْ
ألسـت طـوع اليميـن منـك وقـد أذقْتنـي مـن جفـاك أبـأسـه
أعـادة فيـك ذاك أمْ ولـع أمْ ذا الأمـر غـدوت تـوجّسـه
نـاشـدتـك الله هـل ذا أمـد بـه زمـان دنـا تنفّسـه

وهل لمضناك عند ذا طمع   برحمة أمْ أراك تبلّسه
رحماك فاكفف شبا جفاك فكم   يودُّ منك الوفا تيأسه
فقد غدا فاقداً لراحته   وغاله ذا الجفا تأنّسه
فجد بعطف له ونظرة إشفاق   تفدتك منك أنفسه
لعلّه يصحّ من خمار هوى   أنت حمياه بل وأكؤسه

وقال:

ومألف للربيع جدّد لي   هواي إذْ زرته وجلاّسي
أشجاره أينعت بخضرته   وبعض نور بقي على الراس
فخلتها من زبرجد قبباً   قد رصعتها صغا الماس

وقال:

وجنى ذي محيا   فيه أبدى الحسن جاشَهْ
ما اجتلته العين إلاّ   ازداد حسناً وبشاشه
ذهبيّ اللّون ألمى   الثغر يغري بي مراشه
إنْ زنا بالطرف يوماً   ألزم الصب اندهاشه
ما سوى ريقته الخمر   بها يروى عطاشه
ظبي أنس بابلي   الطرف مقبول الوراشه
إنْ وفى يوماً لمقتو   ل الهوى أبدى انتعاشه
غصنه ما اهتز إلاّ   أزم الردف ارتعاشه
ويزين الخدَّ منه   حجل أبدى رشاشه
قد أتاح الله مرعا   ه من القلب الحشاشه
وحباه الحسن حتى   تخذ الفتك معاشه
واخش يا غر الهوى   واحذر بأنْ تبغي احتراشه

وله قوله هذه القصيدة ممتدحاً بها بعض الكرام:

هواي عذري بربة الشنف   يا حبّذا دلها على ضعفي
مصونة لا يرام منظرها   دون خيال يلم بالطرف
ما رمته إنْ يلم في سنة   إلاّ ألمّ السهاد في طرفي
إنّي لطرفي كرى أراه غدا   ممنعاً في لحاظها الوطف
لهفي على نظرة أعلّلها   لعل أشفى بها من اللّهف
ذات جمال تزدان من مرح   فتزدري بالقضيب والحشف
قوامها السمهري ما خطرت   إلاّ وفي الحسن جل عن وصف

كخنصر خصرها وخاتمه ... منطقة تستوي على الردف
خضيبة الكفّ لثم راحتها ... يغني مدير المدام عن رشف
ألا بروحي شهي مبسمها ... فما بغير اللّمى الشفا ألفي
كأنما ريقها المدامة يستشفي ... بها من مدامها الصرف
فتّانة باللّحاظ جاد بها ... داع إليها رغماً عن الأنف
فمذ فؤادي أجاب ممتثلاً ... ولم أرى من سعى إلى الحتف
أيست إلاّ من البكاء لأستشفي ... لداءي وذاك لا يشفي
أطعت صرف الهوى بها ولهاً ... فمذْ وعت ذا انثنت إلى العسف
قد كنت من قبل هجرها أنفا ... ذا عزة لا أراع من حتفي
فصار ذلّي بها على رغم ... ونال من الغرام بالعنف
فمطمعي في وصال غادرة ... ما وعدها منجز سوى الخلف
تعلّة بل وضلة وعنا ... أنسب لا غرو فيه للسخف
أمطمع صاح بعد طود منا ... أمْ مأمل بعد سيد كهف
هو الكريم الذي خلائقه ... قد صاغها خيمه من اللّطف
الأريحي الذكي سؤدده ... الألمعي السخي بالعطف
من بشره في الجبين مؤتلق ... متفق لطفه مع الظرف
مولى حوى الفضل والحجى فغدا ... موحِّداً فيهما بلا خلف
مولاي يا من غدت مكارمه ... تمنح راجيه بالذي يشفي
أتاك عبد مؤمّلاً فعسى ... يعود حراً محسد الوصف
يودُّ تكرار داخل فيه ... يمتاز حكماً بذاك في الصفّ
وإنْ تكن رتبة مماثلة ... فهي اعتبار به لدى العرف
فجدْ بتحقيق مأملي كرماً ... فجود رحماك فوق ما يكفي
وحسن ظني بها على ثقة ... حاشى بأنّي أجاب بالكف
فلا برحت الزّمان طوع منّي ... منه على رغم مارنُ الصرف
آمالنا من علاك مخصبة ... بوكف جود لها على وكف
مكتسباً للثناء مغتنماً ... خير دعاء متابع الذرف

وقال:

بروحي من أفضت لسلبي خلائقه ... وذو الحسن مثل الصبح ينبيك صادقه
إذا طال ليلي مثل الشوق وجهه ... بدا فإخال[1] الصبح أبراه فالقُهْ

(١) إخال على غير قياس بكسر الهمزة.

تمثّل من نور جنى يكاد من لطافته يؤذيه باللّحظ رامقه
يجرد من لحظيه إنْ كان رامقاً لها روت سيفاً تستبينا بوارقه
يغنج بالتكحيل أجفان طرفه وقد زرفت بالعارضين شقائقه
وما قصده التحسين بالكحل إنّما لتحديد عضب لم يحد عنه عاشقه
فحاذر سهاماً فوقت عن حواجب من اللّحظ ريشت بالجفون رواشقه
وما فرعه المسود فوق جبينه سوى لاحق والصبح لا شك سابقه
ومسكي خال فوق مخضر شارب كشحرور روض شوقته حدائقه
وما السكر إلاّ من رضاب بثغره إذا مزج الصهباء من فيه ذائقه
فما البدر إلاّ ما أظلّت ذوائبه وما الشمس إلاّ ما حوته بنائقه[١]
إذا اهتز رمحاً أو تمايل بأنة وإن ماس تيهاً قلت قد جل خالقُهْ

وقال:

كأنا ركوب والليل منازل وأيامنا خيل البريد[٢] بنا تجري
وآمالنا تزداد ما جدّ سيرنا مطامعها ثم المصير إلى القبر

وقال:

ألقت على وجهه شمس الضحى جسداً شعاعها فغدا باليد مستترا
وذاك من غيرة إذْ فاتها شنب والشمس لا ينبغي أنْ تدرك القمرا

وللشيخ محمد سعيد الدمياطي اللقيمي:

غريب حسن أدار الراح في يده مذ أثرت لونها في خدّه أثرا
فخلته البدرّ يجلو الشمس في فلك والشمس لا ينبغي أنْ تدرك القمرا

ولابن نباتة مضمناً:

وافى إليَّ وكأس الراح في يده فخلتُ من لطفه أنّ النسيم سرى
لا تدرك الراح معنى من شمائله والشمسُ لا ينبغي أنْ تدرك القمرا

ولبعضهم مضمناً:

وفي الحبيب الذي أهواه من سفر والشمس في وجهه قد أثرت أثراً
فقلت لا تعجبوا شمساً على قمر والشمسُ لا ينبغي أنْ تدرك القمرا

---

(١) بنائق: جمع البنيقة الجربان.
(٢) لو كان الناظم من أهل هذا القرن لقال وهم الحديد بدلاً عن خيل البرد لأن الوهم الطرايق الواسع، وأهل مصر يقولون سكة الحديد وفي قسطنطينية شمندوفر.

وكانت وفاة المترجم في ليلة الثلاثاء مع الغروب رابع شهر رجب سنة ثمان عشرة ومائة وألف، ودفن بتربة مرج الدحداح في المقبرة الغربية، ورثاه الأستاذ عبد الغني النابلسي بقوله:

ما لي أرى البارق النجدي ما ومضا ... أشطت الدار أم ولي الفتى ومضى
من بيت حمزة نجم غاب تحت ثرى ... وكان مرتفعاً ويلاه فانخفضا
يا طالما أشرقت منه منازله ... فضاء من نوره في الخافقين فضا
عبد الكريم على الرب الكريم به ... قد أقبل المرض المستوجب المرضا
وغض من فقده طرف الكمال حياً ... والمجد قد شبّ في أحشاه جمر غضا
فيه الشهامة والطبع الأبي وقد ... رماه سهم منون وافق الغرضا
وكان سيفاً مصوناً في غلاف علي ... فاستلّه الآن مولاه العلى وقضا
إنْ لم نجد عوضاً عنه فإنَّ لنا ... في صنوه وابنه من بعده عوضا
وهاتف الغيب أضحى في مسامعنا ... يقول أرّخت انسل النبي مضى
هم الأمان لأهل الأرض في خبر ... عن النبي وهذا الحكم ما انتقضا
وكلما غربت شمس لهم طلعت ... شمس فلاتك يا ابن الدهر معترضا

هو من قول القائل:

نجوم علاء كلّما غاب كوكب ... بدا كوكب تأوي إليه كواكبُهْ
نقول هذا نسلّي فيه أنفسنا ... عن حكم رب علينا بالفراق قضى
يا كوكباً في دمشق الشام زاد به ... صدر الزمان انشراحاً كان فانقبضا
أوحشت أوج المعالي والمفاخر هل ... أوى بك الدهر من مولاك ما افترضا
إنْ غاب شخصك فالباقي به خلف ... ومن يغب جوهراً إذ لم يغب عرضا
يا آل بيت النّبي الحق إنّ بكم ... فيما قضى الله تفويضاً له ورضا
والموت سنّة كل الأنبياء غدا ... وذا على كل حي بعدهم فرضا
وميتكم يا بني الزهراء حي هدى ... إذا دعته مزايا جدّه انتهضا
عليه رحمة ربي دائماً وعلى ... الأسلاف ما بسط الداعي وما قبضا
وما استهلت عيوث في الرياض وما ... تفتّح الزهر من جفن وما غمضا

عبد الكريم الأنصاري:

عبد الكريم بن يوسف الأنصاري المدني، الشيخ الفاضل الأديب البارع: ولد بالمدينة سنة خمس وثمانين وألف ونشأ بها، واشتغل بطلب العلم، فأخذ عن والده، وعن السيد محمد بن عبد الرسول البرزنجي، والشيخ محمد الخليلي القدسي المشهور، والشيخ مسعود المغربي، والشيخ محمد الزرقاني شارح المواهب، والأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي،

والجمال عبدالله بن سالم البصري، وغيرهم من العلماء، وصار أحد الخطباء بالحرم الشريف النبوي، وكان يدرّس بالروضة المطهرة، حافظاً للوقائع والأخبار، متكلماً لا يعيى، وألّف بعض رسائل في فنون العلم، وله تحريرات لطيفة كان يكتبها على هوامش كتبه، وكان عالماً عاملاً تعلوه سكينة العلم ووقار العمل وأبّهة التقوى، ذا شيبة نيرة، ووجه وضيء، وكانت وفاته بمكة المكرمة سنة اثنين وستين ومائة وألف، ودفن بالمعلّى (المعلاة وزان مرماة مقبرة مكة المكرمة حَجُون بتقديم الحاء على الجيم على وزن صبور) رحمه الله تعالى وسيأتي ذكر ولده يوسف في محلّه إنْ شاء الله تعالى.

عبد الكافي الحلبي:

٣٧٠ ـ عبد الكافي بن حسين بن عبد الكريم، الشهير بابن حموده، الحلبي الشافعي الشريف الفاضل الورع الكامل إمام السادة الشافعية بأموي حلب: ولد بها سنة ثمان ومائة وألف، وقرأ القرآن العظيم على الشيخ أحمد الدمياطي وحفظه عليه، وقرأ العلوم على الشيخ حسن السرميني، والشيخ محمود الزّمار، والشيخ طه الجبريني، والسيد محمد الكبيسي، وأخذ الطريقة القادرية عن الشيخ صالح المواهبي، وارتحل إلى مصر سنة تسع وثلاثين ومائة وألف، وأخذ بها عن الشهاب أحمد الملّوي، والسيد علي الحنفي، والبدر حسن المدابغي، وحجَّ في هذه الرحلة وعاد لبلده، وأخذ بطرابلس عن الشمس محمد التدمري، وفي دمشق عن العارف الشيخ عبد الغني النابلسي، والشهاب أحمد بن عبد الكريم الغزي مفتي دمشق، والعماد إسماعيل بن محمد العجلوني وغيرهم، وكان له قدم راسخ في العبادات والمجاهدات والرياضات، وبالجملة فهو من الأفراد، وتزوّج وله ولد يُدْعى بمحمد أمين، وكانت وفاته يوم السبت عند طلوع الشمس ثالث شهر رمضان سنة ست وثمانين ومائة وألف، وصلّي عليه بالمصلى الكائن خارج باب المقام بحلب، ودفن هناك رحمه الله تعالى.

عبدالله باشا الجتجي:

عبدالله باشا بن إبراهيم، الشهير بالجتجي (جته جي) الحسيني الجرمكي نسبة إلى جرمك بلدة من أعمال ديار بكر: ولد في بلدته المذكورة عام خمسة عشر بعد المائة وألف، وجدّ في تحصيل العلوم، وقطف من زهورها أحسن قطف، وتقلبت به الأحوال، إلى أنْ بلغ في مرامه الآمال، واعتنى بتنميق الطروس بالقلم، فكان في الخط المفرد العلم، وحبى تواضعاً وبشاشة ومزيد وقار، وأعمال برٍ خلصت إنْ شاء الله تعالى خلوص النضار، ونفس أبيّة مرتاضة، وعزيمة قوية نهّاضة.

يكـاد مـن صحـة العـزيمـة مـا   يفعـل قبـل الفعـال ينفعـل

وسجايا تنجلي عنها الظلما وندى ينادي أيها الرائد سل عما:

يستصغر القدر الكثير لرفده ويظنُّ دجلة ليس تكفي شاربا

مع تخل عن معتاد الولاة من معاملة النفس بالإسعاف والإسعاد، وتحل في مأكله وملبسه وشأنه كله بالاقتصار والاقتصاد، لا يرفع للأمور الدنيوية رأساً، ولا يولي أعلامها المنشورة إلا طيّاً ونكساً، وإنما ينافس في المعالي، ويسهر في طلابها الليالي، اجتاز بحلب قبل الوزارة، وبعدها سنة سبعين لما ولي منصب طرابلس، ثم ولي حلب سنة اثنين وسبعين ومائة وألف، فنزل بالميدان الأخضر أواخر المحرم من السنة المذكورة، ثم ارتحل لجهة عين تاب وكلس، ثم عاد ونزل داخل البلدة، وكان الغلا قد عم، حتى بيع المكوك قال المصحح: المكّوك: على وزن تنّور بتشديد الكاف المكوك والمد والكيلجة والمن والرطل والبطمان والدانق كلّها في كتب اللّغات والأوقيانوس مطبوع، والصحاح والمصباح، وفقه اللّغة وكفاية المتحفظ أيضاً انتهى. الحلبي من الحنطقة بمائة وستين قرشاً، وكثرت الموتى من الجوع، فعزل من حلب وولي دمشق، وحج سنتين، وعزل من دمشق بسبب عزله شريف مكة الشريف مساعد ابن سعيد، وحج سنتين، وعزل من دمشق بسبب عزله شريف مكة الشريف مساعد ابن سعيد، وتولية الشريف جعفر بن سعيد مكانه، فلما قفل الحجيج من مكة عاد الشريف مساعد وأزاح أخاه عن الشرافة ووليها، وعرض للدولة العلية بذلك، فكان ذلك أقوى سبب في عزله، وولي ديار بكر فنهض إليها فدخلها، وهو متوعك[١] المزاج إلى أنْ توفّى بها في جمادى سنة أربع وسبعين ومائة وألف، وفي أول سنة من إمرته أذهب الله على يديه مردة طائفة حرب، وأفرد تلك الواقعة بالتأليف العلامة السيد جعفر البرزنجي، وسمّاه «النفح الفرجي في الفتح الجتجي»، وحصل وهو بدمشق سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف ليلة الثلاثاء ثامن ربيع الأول قبيل الفجر زلزلة، واتصلت بالقدس وغزة وتلك النواحي وصيدا وصفد وجميع بلاد ساحل الشام وحمص وحماه وشيزر وحصن الأكراد وأنطاكية وحلب، واتصلت في كل أسبوع مرتين وثلاثاً إلى ليلة الاثنين سادس ربيع الثاني من السنة المذكورة، فزلزلت بعد الفراغ من صلاة العشاء الأخيرة تلك المحال المذكورة بأسرها، واستقامت بدمشق ثلاث درج، وخرب غالب دمشق وأنطاكية وصيدا وقلعة البريج وحسية، وانهدم الرواق الشمالي من مسجد بني أمية بدمشق وقبته العظمى والمنارة الشرقية، وانهدم سوق باب البريد وغالب دور دمشق ومساجدها، ولم تزل الزلازل متصلة إلى انتهاء السنة المذكورة، وأعقب ذلك بدمشق قبل انتهاء السنة الطاعون الشديد وعمّ قراها وما والاها، وحصل لغالب مساجدها التعمير من وصايا الأموات، وعمر جامع دمشق والقلعة والتكية السليمانية بأموال صرفت من كيس الدولة العلية العثمانية.

---

(١) وجودي أورسلنمش ياخود يوزي كوزي ششمش آدمه متوعك ديرلرمي يوخسه موعوكمي ديمك ايستر.

عبدالله البري:

٣٧٢ ـ عبدالله بن إبراهيم البري المدني الحنفي، الشيخ الفاضل الخطيب المِصْقع[١]: ولد بالمدينة المنورة في سنة ثلاث وثمانين وألف ونشأ بها، وأخذ في طلب العلم، فقرأ على جملة من الشيوخ، منهم والده ويوسف أفندي الشرواني، والجمال عبدالله بن سالم البصري، والشيخ محمد أبو الطاهر بن إبراهيم الكوراني، والشيخ أبو الطيب السندي، ونبل وفضل وكتب كتباً كثيرة بخطه، منها حاشية شيخه الشيخ أبي الطيب السندي، على الدر المختار، وشرح التسهيل لابن عقيل، والفتاوى الغياثية وغيرها، وصار أحد الخطباء بالحرم الشريف النبوي، فكان لا يطلق الخطيب بوقته إلا عليه، وكان شهماً فاضلاً بارعاً متفوقاً، ولم يزل على أكمل حاله إلى أنْ مات، وكانت وفاته سنة خمس وسبعين ومائة وألف، ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى وأموات المسلمين.

عبدالله الشرابي:

٣٧٣ ـ عبدالله بن أحمد، المعروف بالشرابي، الشافعي النابلسي، الشيخ العالم الفاضل الفقيه المفرد الإمام النحرير المحقق الشهير الصافي المشرب الودود الصالح: ولد قبل المائة بأعوام، وقرأ القرآن وجوّده على والده، وقرأ على الشيخ عبد الحق ابن أبي بكر الأخرمي، ورحل إلى مصر وجاور، وجدّ واجتهد وتضلع من الفقه والتفسير والحديث، وعاد وتولى الإفتاء والتدريس، وتصدّر للإفادة وانتفع به وعليه كثير من الطلبة، وأخذ الطريقة الشاذلية عن الأستاذ المزطاري المغربي، وجد في التهجّد بأوراد سيدي الشيخ أبي الحسن الشاذلي، والصلاة المشيشية، واستجاز من الأستاذ الشيخ مصطفى الصديقي الدمشقي بها، وكتب شرحه عليها وكانت وفاته في رمضان سنة سبع وأربعين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

عبدالله الجعفري:

٣٧٤ ـ عبدالله بن السيد أحمد، المعروف كأسلافه بالحنبلي والجعفري، النابلسي السيد الفاضل الأديب الفرضي الكامل نقيب الأشراف بنابلس: أخذ العلم عن أفاضل كرام، وكان له قدم راسخ في العبادة واجتهاد في الإفادة، وكانت وفاته في أواخر سنة عشرين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

عبدالله الإسكداري:

٣٧٥ ـ عبدالله بن أسعد الإسكداري الأصل، المدني الحنفي الشيخ الفاضل العالم العامل الأوحد المفنن البارع: ولد بالمدينة المنورة سنة خمس وتسعين وألف ونشأ بها، وأخذ عن جملة من أفاضلها، منهم والده السيد أسعد، والشهاب أحمد المدرس، والشيخ

(١) المصقع كالمنبر بكسر الميم البليغ.

سليمان بن أحمد الأشبولي الذي يروي عن الشيخ علي الشبراملسي، والبرهان إبراهيم اللّقاني، والشيخ عبد الرحمن اليمني، والشهاب أحمد السبكي، والنور علي الأجهوري بأسانيدهم المعلومة، وتولّى صاحب الترجمة إفتاء المدينة المنورة بعد أخيه السيد محمد، ونيابة القضاء، وكان فاضلاً عالماً ذا جاه ووجاهة وصلاح، توفّي بالمدينة المنورة شهيداً بالبطن عقب وصوله من الحج، والحجاج إذْ ذاك بالمدينة سنة أربع وخمسين ومائة وألف ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى، وأموات المسلمين أجمعين آمين.

عبدالله الفراري:

٣٧٦ ـ عبدالله بن حسن باشا، الشهير بالفراري[1]، معناها الهارب، الحنفي الشريف: كان في دولة المرحوم السلطان محمود، ابن السلطان مصطفى خان الثاني أميراخور، ثم ولي جزيرة قبرس بالوزارة، ثم ولي آيدين، ومنها دعي للختام فدخل إسلامبول مختفياً إلى دار السلطنة، ودخل للعرض، وفوض له المرحوم السلطان محمود الوكالة المطلقة إذْ ذاك، ثم عزل منها وولي مصر القاهرة، ثم عزل عنها، وولي حلب ودخلها سنة، ثم ولي أورفة، ثم عاد إلى حلب سنة، ثم ولي ديار بكر، وكان بها الغلاء وعمّ تلك الديار، بل سرى في جميع البلاد حتّى بيع الشنبل من البر الحلبي بأحد عشر قرشاً، وأما نواحي ديار بكر وأورفة وماردين فإنهم أكلوا الميتة، بل أكل بعض الناس بعضهم، وثبت ذلك لدى الحكام، واشتد عليه وعلى أتباعه الخطب، واستولى عليهم المرض، ففرّج الله عنه وعنهم بالعزل منها، وولي حلب ثالثاً ودخلها مسروراً في رجب سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف، وكان رحمه الله سخياً حسن المعاشرة ذا معرفة واطلاع على كلام القوم، واستقام بحلب إلى أنْ توفّي يوم السبت في الساعة الرابعة من النهار سنة أربع وسبعين ومائة وألف، ذاكراً كلمة الشهادة جاهراً بها، ودفن بتكية الشيخ أبي بكر رحمه الله تعالى.

عبدالله يدي قله لي:

٣٧٧ ـ عبدالله بن حسن، المعروف بيدي قلي، الرومي السيد الشريف الكاتب، المشهور بحسن الخط، البارع الماهر: أخذ الخط وأنواعه عن الأستاذ حافظ عثمان، وأجازه بالكتبة المعروفة عند أرباب الخطوط، وصارت الناس تتنافس بخطوطه، وأخذتها وأقبلت

---

(١) السيد عبدالله تصدّر في ١٧ ش سنة ١١٦٠، وهو قد كان خلف ترباكي محمد، فخلفه في الصدارة دواندر محمد في ٢ ص سنة ١١٦٣، ووصل السيد عبدالله إلى مصر في رمضان سنة ١١٦٤ فكان سلفه أحمد في ولاية مصر، وخلفه محمد أمين الذي كان طلع إلى قلعة مصر وهو منحرف المزاج، فأقام محمد أمين هذا في الولاية قدر شهرين وتوفي إلى رحمة الله في خامس شوال سنة ١١٦٦، وخلفه مصطفى طلع إلى قلعة مصر في ١٣ ربيع الأول سنة ١١٦٧، ثم ورد الخبر إلى مصر في أوائل ربيع الأول سنة ١١٦٩ بعزل مصطفى، وتولية علي المشهور بحكيم أوغلي، وهي ولايته الثانية، فشكر فضله صاحب عجائب الآثار في التراجم والأخبار.

عليه بسبب ذلك، واتخذه السلطان أحمد خان الثالث معلماً للخط في دار السعادة السلطانية، وكان حليماً وقوراً محترماً عند السلطان المذكور، والرؤساء وأرباب الدولة وغيرهم، وكتب عدة مصاحف شريفة بخطّه الحسن وغيرها، وتوفّي بقسطنطينية سنة أربع وأربعين ومائة وألف، وجاء تاريخ وفاته، توفّني مسلماً وألحقني بالصالحين، ويدي قلي: نسبة إلى يدي قلّه.

مصحح دير كه قله: ضم قاف وتشديد لام، إيله أولوب مؤرّخ إستانبولده يدي قله لي عبد اللهي يدي قله يه نسبتده يدي قلي يازمغله، بورا ده عربلرك يدي قلي ديد يكنى تعريف ايده يوركه مرامي يدي قلّي تشديد لام إيله أوقونسون ديمكدر، لكن تركجه ده تشديد لامه بدل برولو علاوه سيله يدي قوله لي صوقوله لي ديرلر[١] انتهى.

عبدالله السويدي:

٣٧٨ ـ عبدالله بن الحسين بن مرعي بن ناصر الدين البغدادي الشافعي، الشهير بالسويدي، الشيخ الإمام العالم العلامة الحبر البحر المدقق الأديب الشاعر المفنن أبو البركات جمال الدين: ولد بمحلة الكرخ في الجانب الغربي من بغداد سنة أربع ومائة وألف، وتوفي والده وعمره ست سنوات فكفله عمه لأمّه الشيخ أحمد سويد، وأقرأه القرآن وعلّمه صنعة الكتابة، وشيئاً من الفقه والنحو والتصوف، وأجازه بما يجوز له، وهو أخذ عن مشايخ عدّة كالشيخ محمد بن إسماعيل البقري القاهري، وآلي أفندي الرومي القسطنطيني صاحب الثبت المشهور في الروم، وأخذ أيضاً صاحب الترجمة، العربية عن الشيخ حسين بن نوح المعمر الحنفي البغدادي، وعن الشيخ سلطان بن ناصر الجبوري الشافعي الخابوري، ثم ارتحل للموصل فقرأ على علمائها وأتم المادة في المعقول والمنقول، كالشيخ يّس أفندي الحنفي، وفتح الله أفندي الحنفي، ثم رجع إلى بلده بغداد مكملاً للعلوم العقلية والنقلية، وتصدّر للتدريس والإفادة في داره، وفي حضرة مزار الإمام أبي حنيفة النعمان، وفي حضرة مقام الكامل الشيخ عبد القادر الجيلاني، وفي المدرسة المرجانية، وانتفعت به الطلبة علماً وعملاً، واستمر عازياً عاكفاً على الإفادة، وقرأ في الفقه والأصول جانباً كبيراً على الشيخ محمد الرحبي مفتي الشافعية ببغداد، وأجاز له مكاتبة الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي، وأخذ في بغداد مشافهة عن الشهاب أحمد بن محمد عقيلة المكي وذلك حين قدم بغداد زائراً سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف، والشيخ محمد ابن الطيب المدني، قال المصحح محمد ابن الطيب: هو محشي القاموس، وأستاذ الزبيدي: شارح القاموس، انتهى. والعارف مصطفى بن كمال الدين البكري حين ورودهما لبغداد أيضاً للزيارة، وحج سنة سبع وخمسين ومائة وألف ذاهباً من بغداد إلى الموصل، ومنها إلى حلب، ومنها إلى دمشق، وأقرأ في حلب دروساً عامة وخاصة، وأخذ عنه بها خلق كثيرون،

---

(١) المقطع الأخير كتب باللغة التركية القديمة.

منهم الشيخ محمد العقّاد الشافعي، وأقرأ بدمشق أيضاً وأقبل عليه الطلبة لتلقي العلوم، وأخذ عنه بها جماعة، وأقرأ بالمدينة المنورة في الروضة المطهرة أطراف الكتب الستة، وحضره الأئمة الأفاضل، منهم العماد إسماعيل بن محمد العجلوني وأضرابه، وأخذ في ذهابه وإيابه عن مشايخ أجلّاء، وأخذوا عنه، ففي حلب عن الشيخ عبد الكريم بن أحمد الشراباتي، والشريف محمد بن إبراهيم الطرابلسي الحنفي مفتي حلب ونقيبها، والشيخ طه بن مهنا الجبريني، والشيخ محمد الزمّار، والشيخ علي الدّباغ، والشيخ محمد المواهبي الشافعي، وبدمشق عن العماد إسماعيل العجلوني الجراحي، والشهاب أحمد بن علي المنيني، وصالح بن إبراهيم الجينيني، والشيخ عبد الغني الصيداوي اجتمع به في دمشق، وبمكة المشرفة عن الشيخ عمر السقّاف سبط عبدالله بن سالم البصري، وعن سالم بن عبدالله بن سالم البصري، ثم رجع إلى بغداد وألّف المؤلفات النافعة، كشرح دلائل الخيرات المسمّى «بأنفع الوسائل في شرح الدلائل»، وحاشية على المغني جعلها محاكمة بين شارحيه كالدماميني والشمني وابن الملا والماتن، وألّف متناً في الاستعارات جمع فيه فأوعى، وسمّاها «الجمانات»، وشرحه شرحاً حافلاً، والمقامة المعروفة ضمنها الأمثال السائرة، وقرّظ له عليها أعيان علماء كل بلد وديوان شعر، ولما رحل إلى مكة ألّف لذلك رحلة سمّاها «بالنفحة المسكية في الرحلة المكية»، وغير ذلك من الفوائد، وفي سنة ست وخمسين ومائة وألف طلب إلى معسكر طهماز[1] للمناظرة، وقصتّها مشهورة مدونة، وله شعر لطيف منه قوله في مليح صائغ:

وشادن صائغ هام الفؤاد به ... وحبّه في سويدا القلب قد رسخا
يا ليتني كنتُ منفاخاً على فمه ... حتى أقبّل فاه كلما نفخا

وقوله مضمناً البيت الأخير:

إلى كم أنا أبدي هواكم وأكتم ... ونار الأسى بين الجوانح تضرمُ
كتمت الهوى حتى أضرَّ بي الهوى ... ولا أحد يدريه والله يعلم
لسان مقالي بالشكاية قاصر ... ولكنّ طرفي عن هواك يترجم
فيا ليت شعري هل علمت صبابتي ... فتبدي صدوداً أو ترق فترحم

وقال مداعباً لصاحبه السيد حسن، وذلك أنّه أهدى له في يوم واحد ثلاث هدايا، وكان له حبيب اسمه عطيّة فقال:

يا فاضلاً لا يجارى ... في البحث بين البرية
وسيداً ذا أياد ... بالشكر مني حريّة
غمرتني بالعطايا ... وكان حسبي عطيّة

---

(١) مقصودي طهما سيمدر.

وكانت وفاته ضحوة يوم السبت حادي عشري شوال سنة أربع وسبعين ومائة وألف، ودفن جوار سيدي معروف الكرخي رضي الله عنه.

عبدالله العجلوني:

٣٧٩ ـ عبدالله بن زين الدين العمري الحنفي العجلوني نزيل دمشق: قدم دمشق واستوطنها، وكان سيبويه زمانه، وفريد وقته وأوانه، عالماً فاضلاً نحريراً مشهوراً، قطن في مدرسة القجماسية، ودرّس بها وأفاد، وانتفع به خلق كثير، وكان آية الله الكبرى في النحو، وبالجملة ففضله شاع واشتهر، وكانت وفاته بدمشق في ثالث عشر شوال سنة اثنتي عشرة ومائة وألف، ودفن بمقبرة باب الصغير بالقرب من سيدي بلال الحبشي رضي الله عنه.

عبدالله البصروي:

٣٨٠ ـ عبدالله بن زين الدين بن أحمد، الشهير بالبصروي، الشافعي الدمشقي، الشيخ العلامة الإمام اللّوذعي الفاضل الكامل إدريسي العصر، وفرضي الدهر، وإخباري الزمان، وأثري الأوان: كان محققاً أوحد أخبارياً فقيهاً مؤرخاً، له في كل علم باع، وفي كل فن اطلاع، لا سيما الفرائض، فإنّه انفرد بها في وقته، وأمّا غيرها من العلوم فإنّه كان ممن لم يسمح الزمان بمثاله، وكان أحد الشيوخ الذين تباهت بهم دمشق زهواً وإعجاباً، وازدهت معالمها بهم، وله يد طائلة في أسماء الرجال والوفيات والمواليد وغير ذلك، بحيث لا يشذُّ عن خاطره شيء من ذلك القديم والحادث، مع معرفة أحوالهم وكيفيّاتهم، وكان قوّالاً بالحق يصدع الكبير والصغير ولا يبالي، شديداً جسوراً صلباً قدوة، ولد بقسطنطينية دار الخلافة في سنة سبع وتسعين وألف، وربّي يتيماً لكون والده توفّي وهو صغير كما قدمنا ذلك في ترجمته، وقرأ على جماعة بدمشق، وغالب مشايخه الشيخ أحمد المنيني، وأعظم قراءته على العلاّمة الشيخ عبد الرحمن المجلد، وقرأ وأخذ عن الشيخ علي المنصوري المصري نزيل قسطنطينية، وشيخ القراء بها، والشيخ إلياس الكردي نزيل دمشق والشيخ أبي المواهب الحنبلي، والشيخ محمد الحبّال، والشيخ عبد الجليل المواهبي، والشيخ محمد الكاملي، وعبد الغني بن إسماعيل النابلسي، والشيخ يونس بن أحمد المصري، وعبدالله بن سالم البصري، والشيخ عبد القادر التغلبي، (قال تَغْلِب بفتح التاء وكسر اللام وتغلبي بفتح اللام فتحوها في النسبة انتهى). والشيخ أحمد النخلي المكي، وتخرّج عليه جماعة من الفضلاء وزمرة من النبلاء، وأقرأ دروساً عامة وخاصة، وفي أول أمره كان يقرىء حذاء باب المنارة الشرقية في الجامع الأموي، ثم انتقل آخر عمره إلى حجرته في الباذرائية، وإلى داره في ظاهر دمشق بالمحلة الموسومة بطالع القبة من الباب الشرقي، وكانت الطلبة يهرعون إليه في المحلين، وكان عنده كتب كثيرة معتبرة جعلها للعارية، لا يمسكها عن مستفيد، ولكن كان فيه شائبة تعصّب لمذهبه واعتراضات على مذهب غيره، وكان يقرىء نهار الاثنين بعد الظهر حذاء مرقد سيدي يحيى عليه السلام، صحيح مسلم، وشرح منه جملة، وله ترجمة

للحافظ ابن حجر العسقلاني في مجلد، وألّف تاريخاً لأبناء العصر، وأخفته ورثته بعد وفاته ولم يبن له أثر، ودَاوَم على إقراء العلوم والمطالعة آناء الليل وأطراف النهار، وكان الناس يقصدونه في عمل المناسخات والفتاوى والواقعات، ولم يزل على حالته هذه إلى أنْ مات، وكانت وفاته في رجب سنة سبعين ومائة وألف، ودفن بتربة الشيخ أرسلان رضي الله عنه عن خمسة أولاد ذكور، مات منهم أربعة في طاعون سنة أربع وسبعين ومائة وألف، والخامس توفّي في سنة ست وثمانين ومائة وألف، وتفرقت كتبه أيدي سبا وضربتها يد الدهر رحمهم الله تعالى. (قال المصحح: وللدهر عادة في تفريق الكتب وحبسها بيد الجهال، وقد جرى ما جرى في دخول هلا كوخان إلى بغداد، وتفصيله في التواريخ وأحيا سنته من جاء بعده فإلى الله المشتكى انتهى).

عبدالله الحلمي:

٣٨١ ـ عبدالله بن محمد بن يوسف بن عبد المنان الحلمي الحنفي الإسلامبولي الفاضل المحدّث المفسر رئيس القرّاء: ولد سنة ست وستين وألف، أخذ أولاً عن أبيه، ثم عن قره خليل، ثم عن سليمان الواعظ، وأخذ الطريق عن إلياس السامري، وأخذ عن كثيرين، واجتمع بالسلطان أحمد، وبعده بالسلطان محمود وأكرماه وعرفا قدره على ما ينبغي، حتى جعله السلطان محمود مدرس دار الكتب التي بناها داخل السراي العامرة، وبقي مدرساً بها إلى أنْ مات، وله مؤلفات كثيرة، منها شرح على صحيح البخاري، وحاشية على البيضاوي، ومسلم لم يتمهما، ورسائل لا تحصى في مواد مشكلة، له شعر بالألسن الثلاث، وكانت وفاته في ذي الحجة سنة سبع وستين ومائة وألف، ودفن عند والده خارج طوب قپو.

عبدالله بن طرفة:

٣٨٢ ـ عبدالله بن طرفة المكّي الشافعي الفقيه المحدث المفسر النحرير أبو محمد جمال الدين: ولد بمكة ونشأ بها، وطلب العلم وجد واجتهد، وأخذ عن شيوخ أجلاء، منهم الشيخ عيسى الجعفري، والشيخ محمد بن سليمان، والشيخ محمد الشرنبلالي وغيرهم، وكان فاضلاً نبيهاً متفنناً في العلوم، تصدّر للتدريس بالحرم الشريف وانتفع الناس به، ثم انقطع في آخر عمره للعبادة في بيته فلا تراه إلاّ راكعاً أو ساجداً أو تالياً ليلاً ونهاراً، إلى أنْ توفّي، وترجمه الشمس محمد بن أحمد عقيلة المكّي في تاريخه المسمّى، «لسان الزمان في أخبار سيد العربان وأخبار أمّته خير الأنس والجان»، وهو مرتب على السنين، وصل فيه إلى سنة ألف ومائة وثلاث وعشرين، وأثنى على المترجم ثناء حسناً، وذكر له فضائل جمة، وأنّ وفاته كانت في سنة عشرين ومائة وألف، وصُلّي عليه بالمسجد الحرام بجمع حافل بالناس، ودفن بالمعلاّ رحمه الله تعالى وأموات المسلمين أجمعين.

عبدالله العلمي:

٣٨٣ ـ عبدالله بن عبد الرحمن العلمي القدسي: كان حسن الخلق على نهج السادة الصوفية، سالكاً طريق جدّه القطب العلمي، ملازماً للأوراد والصلوات، معتنياً بالخلوات، رافلاً في حلل العبودية في الجلوات، ولم يزل على هذه الحالة الحسنة إلى أنْ مات، وكانت وفاته في سنة إحدى وثمانين ومائة وألف، وعمره ثمانون سنة أو نحوها، ودفن بمقبرة مأمن الله رحمه الله تعالى.

عبدالله الجوهري:

٣٨٤ ـ عبدالله بن عبد الغفور، المعروف بالجوهري، وتقدم ذكر والده، الشافعي، النابلسي، الشيخ الفقيه النحوي الفرضي الصوفي: قرأ القرآن على عمّه الشيخ عبد المنان، وتفقّه على والده، وأخذ طريق الشاذلية عن الأستاذ المزطاري المغربي حين أجاز والده، قال عند ذكر إجازة والده: وأجزت ولده عبدالله بما آجزت والده به، حيث توسّمت نجابته الزائدة، ومن آثار المترجم حاشية على شرح الأجرومية للشيخ خالد في النحو، ورسائل في التصوف، وكانت وفاته في سنة سبع وثلاثين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

عبدالله القدسي:

٣٨٥ ـ عبدالله بن عبد اللّطيف بن عبد القادر القدسي، شيخ الحرم الشريف بها، السيد الشريف العالم الفاضل الصالح: كان معروفاً بالعلم والعمل، تاركاً للدنيا، زاهداً فيها بالكلية، عاكفاً على الطاعة والعبادة، له باع طويل في علم الدين، وفي علم الفلك، ولد بالقدس في سنة ثمان وخمسين وألف ونشأ في حجر والده نُشء[1] الصالحين ودأب في طلب العلم وتلقيه، ولم يتول نقابة الأشراف، وكان والده نقيباً على الأشراف في القدس، وكان صاحب همّة عالية وغيرة، مع خلق حسن، محبّاً للفقراء والضيفان، وتولّى بعد أبيه مشيخة الحرم القدسي، وله ثمانية أخوة كلّهم أماجد وأعيان، تقسّموا وظائف والدهم، من خدمات الأنبياء وفراشة السلطان وغير ذلك، وكان ممدوحاً مشهوراً، وتوفّي في عاشر جمادى الأولى سنة سبع ومائة وألف، ورثاه ولده المترجم بهذه القصيدة ومطلعها:

يا عين سحي دماء وأندبي سنداً ... كنز الوجود وبحر الخير والرشدا
عبد اللطيف الذي شاعت مكارمه ... حتى تناشدها الأصحاب ثم عدا
الهاشمي الحسيني سيد بطل ... من كان بالحلم فينا ملجأ سندا
من كان يبدي السخايا صاح من قدم ... وكفّه بالعطا والجود ما نفدا
مصادقاً للورى ما قطّ خانهم ... ولم يزل صادقاً بالقول معتمدا

(١) يقال نشأ في بني فلان نشأ ربى فيهم، والاسم النشء مثل قفل.

لله مـا كـان أحلـى طيـب مجلسـه أيـام دهـر مضـت فـي عيشـه رغـدا
قـد فـاق للنّـاس طـراً فـي محـاسنـه وسـادَ فـي النـاس فجـراً زائـداً ونـدا
وكـم مكـارم أخـلاق حبـاه بهـا مـولاي جـلّ تعـالـى حـاكمـاً صمـدا
تفكـروا يـا أولـي الألبـاب واعتبـروا وانـدبـوا جمعكـم هـذا الـذي فقـدا

وللمترجم غير ذلك من الشعر، وكانت وفاته في سنة اثنين وعشرين ومائة وألف، وأخوه السيد حسن كان لطيفاً كاملاً رشيداً فصيح اللسان وتوفّي في سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف، وسيأتي ذكر ابن عمّ المترجم السيد محبّ الدين، وقريبه السيد يونس في محلهما رحمهم الله تعالى.

عبدالله الجركسي:

٣٨٦ ـ عبدالله بن عبدالله الجركسي، تقدم ذكر ولده درويش، نزيل دمشق ورئيس جند أوجاق اليكجرية اليرلية وآغتهم، أحد الأعيان من الجند الأكابر المشاهير: كان شهماً شجاعاً بطلاً جسوراً مقداماً صاحب هيبة وأبّهة، ودولة وصولة ووجاهة، صالحاً تقيّاً عاقلاً صدراً رئيساً مهاباً معتبراً، له الرأي الرزين والعقل الوافر، هو في الأصل كان رقيقاً إلى الوزير بوزقي مصطفى باشا، أحد وزراء السلطان محمد خان بن إبراهيم خان، ثم لما رأى عليه بارقة الرشد لائحة وسمت[1] الفلاح والنجابة واضحة، أوهبه للسلطان محمد المذكور، فدخل السراي السلطانية العثمانية، وخدم بها، واستقام وتنقّل في خدمتها، وكان مقبولاً عند السلطان المذكور، محبوباً لديه، ثم في سنة ثلاث عشرة ومائة وألف طلع من السراي على عادتهم وكطريقتهم، بعد وفاة السلطان محمد المذكور بمنصب أغوية أوجاق اليرلية اليكجرية بدمشق مع قرية معلولة النصارى، وقرية قبر إلياس الكائنة في ناحية البقاع، وقرية رفيد، وقرية عيتا أنعاما، من السلطان مصطفى بن السلطان محمد المذكور، وقدم دمشق وتملّك بها داره الكائنة في محلة العقيبة تجاه جامع التوبة، ورأس بدمشق واشتهر، وأعطاه الله القبول والسمو، وبلغ الرتبة السامية من العلياء، ولم يزل عليه المنصب المذكور إلى أنْ مات، وعزل في المدة المزبورة مرتين، الأولى في سنة خمس عشرة بعد المائة قاموا عليه رعاع الوجاق وعزلوه لأمور كانت، والثانية بعدها، ولم يزل محترماً محتشماً حتى مات، وهو جدّ والدتي، لأن والدتها ابنته، وكانت وفاته بمنزلة رابغ بين الحرمين، وكان حاجاً في تلك السنة في الحجة أربعين ومائة وألف، ودفن بالمنزلة المزبورة رحمه الله تعالى وأموات المسلمين.

---

(١) السمت: الهيئة والسيرة، ومنه حديث عمر رضي الله عنه (فينظرون إلى سمته وهديه) أي إلى هيئته ومنظره في الدين، ثم السمة: هي العلامة فاختر أيهما أردت من السمت، والسمة التائي والميمي.

عبدالله البشمقجي:

٣٨٧ ـ عبدالله بن عبدالله الحنفي البشمقجي[١] القسطنطيني شيخ الإسلام، وصدر البلاد الرومية، المولى العالم الفاضل الصدر الرئيس المحتشم: صارت له الشيخة سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف، وعزل سنة أربع وأربعين وتوفّي مسموماً في بلدة قونية سنة خمس وأربعين ومائة وألف ودفن هناك رحمه الله تعالى.

عبدالله الخليفتي:

٣٨٨ ـ عبدالله بن عبد الكريم الخليفتي العباسي المدني الحنفي، الشيخ الفاضل العالم أبو محمد جمال الدين: ولد بالمدينة سنة أربع وتسعين وألف ونشأ بها، وأخذ في طلب العلم فقرأ على أبيه، وعلى الشهاب أحمد أفندي المدرّس وغيرهما، وولي إفتاء المدينة المنوّرة، وصار شيخاً على الخطباء والأئمة بالمسجد الشريف النبوي، ونسخ نسخة من الدرّ المختار، وصححها، وله شعر، ومنه ما كتبه على مجموعة له:

جزى الله خيراً كل من كان ناظراً   لمجموعتي هذي بستر القبائحِ
وأصلحَ ما فيها من العيب كلّه   فهذا الذي أرجوه من كل ناصحِ

وله غير ذلك من الأشعار، وكانت وفاته بالمدينة المنوّرة ليلة النصف من شعبان سنة أربع وخمسين ومائة وألف.

السيد عبدالله الحدادي:

٣٨٩ ـ السيد عبدالله بن علوي بن أحمد المهاجر بن عيسى بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق، بن محمد الباقر، بن علي زين العابدين بن السبط الإمام الحسين بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وابن البتول فاطمة بنت الرسول محمد الأمين ﷺ، الشهير كسلفه بالحداد، الفائق على الأمثال والأنداد، الذي شيّد ربوع الفضل وشاد، التريمي اليمني الشافعي: ولد رضي الله عنه ليلة الاثنين خامس صفر سنة أربع وأربعين وألف، بمدينة تريم مسكن السادة الأشراف آل باعلوي الحسينيين، وأرّخ مولده بعض الصالحين بقوله: ولد بتريم إمام كريم، وحفظ القرآن العظيم، واشتغل بتحصيل العلوم، وصحب أكابر العلماء، وأخذ عنهم، وكُفّ بصره وهو صغير، وتفقّه على جماعة، منهم القاضي سهل بن أحمد باحسن، وحفظ الإرشاد وعرضه عليه مع غيره، ومنحه الله تعالى حفظاً يسحر الألباب، وفهماً يأتي بالعجب العجاب، وفكراً يستفتح ما أغلق من الأبواب، ولازم الجد والاجتهاد، في العبادات وأضاف إلى العلم العمل، وشبّ في ذلك واكتهل، ورحل إلى الحرمين الشريفين سنة ألف وتسع وسبعين، وكان له اعتناء بزيارة

---

(١) بشمقجي زاده السيد عبدالله ولي الإفتاء بعد ميرزا راده، الشيخ محمد في سنة ألف ومائة وثلاث وأربعين، وخلفه داماد زاده أبو الخير أحمد في ٢٨ شعبان سنة ألف ومائة وأربعة وأربعين.

القبور، كثير الرحلة مبادراً إلى أماكن القرب، وألّف مؤلّفات عديدة، منها رسالة المعاونة والموازرة للراغبين في طريق الآخرة، و«إتحاف السائل بأجوبة المسائل»، وهو جواب أسئلة سأله عنها الشيخ عبد الرحمن بن عبدالله باعباد، وختمه بخاتمة تتضمن شرح أبيات الشيخ عبدالله ابن أبي بكير العيدروس التي أوّلها: هبتْ نسيم المواصلة، بلا اتصال ولا انفصال، والقسم الثالث في الكلام المنثور قال الملتقط: وهذا الكتاب إنما هو قسم من كتابه الجامع له، وللمكاتبات والوصايا والكلام المنظوم، إلاّ أنّ السيد أذن في تفريقها لمن أراده، انتهى.

ومنه قوله: الخلقُ مع الحق لا يخلو أحد منهم من أنْ يكون في أحد الدائرتين، إما دائرة الرحمة، أو دائرة الحكمة، فمن كان اليوم في دائرة الرحمة كان غداً في دائرة الفضل، ومن كان اليوم في دائرة الحكمة كان غداً في دائرة العدل، ما ترك من الكمال شيئاً من أقام بنفسه لربه مقام عبده من نفسه، النائم يوقظ والغافل يذكر، ومن لم يجد فيه التذكير ولا التنبيه فهو ميّت، إنّما تنفع الموعظة من أقبل عليها بقلبه، وما يتذكر إلاّ من ينيب، كيف يكون من المؤمنين من يرضى المخلوقين بسخط رب العالمين! وهو نحو كراس، قال الملتقط: وقد زاد عليه كثيراً وهو إلى الآن إذا حدث شيء زاده فيه، انتهى.

وله وصايا نافعة في طريق القوم مشهورة، وله ديوان عظيم المقدار، ومن نظمه القصيدة التي خمّسها صاحبنا الشيخ حسين بن محمد بافضل التي مطلعها:

يا زائري حين لا واشٍ من البشر ... واللّيل يحضر في برد من السحر
فقلت يا غاية الآمال ما سبقت ... منك المواعيد في التقريب بالخبر
ولو بعثت خيالاً منك تأمرني ... بالسّعي نحوك لاستبشرت بالظفر
فكيف إنْ جئت يا سؤلي ويا أملي ... فالحمد لله ذا فوز بلا خطر
ما كنْت أحسب أنّي منك مقترب ... لما لدي من الأوزار يا وزري
حتّى دنوتَ وصار الوصل يجمعنا ... والسرّ منك ومني غير مستتر
عن الكثيب من الوادي سقاه حياً ... من الغمام مدى الآصال والبكر

وله قصيدة تائية على وزن قصيدة ابن الفارض أولها:

بعثتُ لجيران العقيق تحيّتي ... وأودعتها ريح الصبا حين هبت
سحيراً وقد مرّت عليَّ فحرّكت ... فؤادي كتحريك الغصون الرطيبة
وأهدت لروحي نفحة عنبرية ... من الحيّ فاشتاقت لقرب الأحبّة

وهي طويلة، وله شعر كثير، وله كرامات كثيرة، منها: أنَّ أحد تلامذته وهو الشيخ حسين بن محمد بافضل كان مع صاحب الترجمة حين حجّ، واتفق أنّه لما وصل إلى المدينة مرض مرضاً أشرف فيه على الموت، وكشف السيد المترجم أنّ حياة الشيخ حسين قد

انقضت، فجمع جماعة من أصحابه واستوهب من كل واحد منهم شيئاً من عمره، فأول من وهبَهُ السيد عمر أمين، فقال: وهبته من عمري ثمانية عشر يوماً، فسئل عن ذلك فقال: مدة السفر من طيبة إلى مكة اثنا عشر يوماً وستة أيام للإقامة بها، ولأنها عدة اسمه تعالى حي، ووهبه الآخرون شيئاً من أعمارهم، وكذلك صاحب الترجمة، وهب له من عمره، فجمع ذلك وكتبه في ورقة، وتوجّه به إلى قبر النبي ﷺ، وسأله الشفاعة في ذلك، وحصل له أمر عظيم، ثم انصرف وهو مشروح الصدر، قائلاً: قد قضى الله الحاجة واستجاب يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب، فشفي الشيخ حسين من ذلك المرض وعاش تلك المدة الموهوبة له، حتّى إنّ السيد المترجم أشار وهو بتريم إلى أنّ الشيخ حسين يموت في هذا العام فمات كذلك في مكة المشرفة. وكراماته كثيرة لكنّه كان شديد الكراهة لإظهارها، بل كان ينكر وقوعها منه كثيراً، حتى إنّ بعض أصحابه سنة ثمان ومائة وألف أظهر له مصنفاً في أحواله، وفيه شيء من كراماته فشدّد عليه النكير، وأمره أنْ يغسله، وله أيضاً من المؤلفات، كتاب «النصائح الدينية والوصايا الإيمانية»، ورسالة المزيد، ورسالة المذاكرة، وفتاوى والفصول العلمية، وغير ذلك، وقد أفرد بالترجمة، وكانت وفاته ليلة الثلاثاء لسبع خلون من ذي القعدة سنة اثنين وثلاثين ومائة وألف.

عبدالله الطرابلسي:

٣٩٠ ـ عبدالله بن عمر بن محمد، المعروف بالأفيوني، الحنفي الطرابلسي نزيل دمشق أحد الأفاضل المجيدين الماهرين البارعين: كان أديباً شاعراً، له سرعة تحرير في الكتابة مع خط باهر، بحيث كان عديم المثيل في سرعته وبداهته، ولد بطرابلس الشام وبها نشأ، وارتحل مع والده إلى مصر، وكان والده من الأفاضل الفقهاء، وقدم ولده هذا إلى دمشق واستوطنها في المدرسة الباذرائية مدة سنتين، ثم ارتحل إلى حلب وذلك في سنة ثمان وأربعين ومائة وألف، واستقام بها سنتين ونصف ثم عاد إلى دمشق واستوطنها في مدرسة الوزير إسماعيل باشا العظم، ثم ارتحل إلى القدس بقصد زيارة الأستاذ الرباني الشيخ مصطفى الصدّيقي، ولم يمكث بها إلاّ مدة أشهر ثم عاد إلى دمشق وتوطنها إلى أنْ مات، وله من التأليف شرح على البردة سمّاه «الفيوضات المحمّدية على الكواكب الدرية»، و «العقود الدرية في رحلة الديار المضرية»، و «الزهر البسّام في فضائل الشام»، و «لوائح القبول» و «المنحة والإعزاز لزيارة السيدة زينب وسيدي مدرك والشيخ عمر الخباز»، و «الزهرة النديّة العبقة النديّة»، و «مختصر الإشاعة في أشراط الساعة»، و «رنّة المثاني في حكم الاقتباس القرآني»، و «فيض السر المداوي في بهجة الشيخ أحمد النحلاوي»، و «المنحة القدسية في الرحلة القدسية»، وتردد إلى والدي وأحسن الوالد بإكرامه ولطفه، وترجمه الأديب الشيخ سعيد السمّان في كتابه، وقال في وصفه: شاعر قريحته جيّدة، ومعانيه رصينة مشيّدة، بادر للأدب ولم تشد أوصالَه، وأكرمت فيه خلائقه وخصاله، فروى

حديثه المسلسل، وارتوى من عذبه السلسل، وأثقل كاهله بأعبائه، وأحكم فيه عقدة أنبائه، وافى الشام واستوطنها، وجنى أمانيها واستبطنها، ونزل منها منزلة الوسمي في الرياض، واعتاض بها عن وطنه بأحسن اعتياض، ففاح شذاه وعرفه، وخلص نقده وصرفه، وطلب وجد، ولم يعثر له جد، وأقبل على الدواة والأقلام، ولم يلوِ على من فنّد عليهما ولام، وصانَ بحرفتهما بذل ماء محياه، وقنع بمدادهما عن السوى ورواياه، فأرانا الأزهار في الروابي المطلولة، وتنمنم العذار في العوارض المصقولة، وله البداهة التي لا تسابق بل تسبق الغيوث الهطّالة، والفكرة التي لا تلاحق بل تلحق المعاذة من شائبة البطالة، والشعر الذي أطاعه فيه القلم وما استنكف، ودعاه لمرامه فجرى ركضاً وما انكف، إلاّ أنّ الزمان كرّ على عمر اقتباله، وصرف عن وجهة الشباب وجه إقباله، وقد أثبت له ما شاهَدَه عدل يبرهن عليه بالنقل والعقل، انتهى مقاله.

وقد اطلعت على ديوانه فاستحسنت منه ما ذكرته هنا فمنه قوله:

بجمالك الباهي المهيب ... وبقدِّك الغصن الرطيبْ
وبدر مبسمك الشهي ... وصارم اللّحظ الغضوب
وبقوسِ حاجبك البهي ... وسهمه البادي المصيب
وبعنبر الخالِ البهيج ... ومن به كلّ الخطوب
وبنون عارضك الذي ... من دونه شقّ الجيوب
وبجيدك اليقق السني ... وورد خدّيك العجيب
أرفق بصب هائم ... في الحب ذي دمع صبيب
وبقلبه نار ذكت ... بهواك زائدة اللّهيب
لم تبق منه يد الغرا ... م سوى المراجع والنحيب
وسقام مهجته لقد ... أعياه حقك للطبيب
فهل الهوى بفؤاده ... فعل السلافة بالشروب
مولاي أدنفت المتيّم ... فيك بالصد المذيب
وهواك قد أصمى الفؤاد ... كأنه راح القلوب
وأذاب قلباً في غرامك ... لا يقرّ من الوجيب
قد شاقه القمري في ... غصن من الروض الخصيب
ويلوح الفا نازحاً ... ألقاه بالهجر المشوب
بالله هي ساعة ... في الحي يا ريح الجنوب
وعجي طلول أحبتي ... وصفي شجون فتى كئيب
فسقى عهوداً باللّوى ... صوب من الغيث السكوب
يا قلب لا تكُ قانطاً ... لا بدّ من فرج قريب

وقال أيضاً:

أما وشهد رضاب زانه الضرب   وطلعة من سناها الشمس تحتجبُ
وعارض كبنان الآس طرز في   ورد من الخدّ كم في حسنه عجب
وصارم من سيوف الهند لاح لنا   من جفن لحظ به الأرواح تنتهب
ونقط مسك على صحن الخدود زهي   ودرّ ثغر نظيم زانه الشنب
ما كنت أصغي لعذال وإنْ نصحوا   فإنَّ صدقهم عندي هو الكذب
من لي بسلوان ظبي راق مبسمه   ومن محياه بدر التم يكتسب
إنْ ماس بالدّل تيهاً نحو عاشقه   فالطرف منسجم والقلب مكتئب
وإنْ دنا فسيوف اللّحظ فاتكة   بها مع العاشقين الجدّ واللّعب
مهفهف القدّ قد تمّت محاسنه   حال المراشف للآرام ينتسب
يفترُّ عن شنب رافت مدامته   يا حبّذا درر يا حبّذا ضرب
يا طاوي الكشح عن حلف الغرام ومن   إذا بدا ففؤادي رهبة يجب
عطفاً على دنف أودي الغرام به   وقلبه بلظى الأشجان يلتهب
له بحبّك وجد زاده كلف   ومدمع مثل ودق المزن ينسكب
هلاّ رثيت لقلب هائم وله   أمضه المؤلمان الشوق والوصب
صب تقلبه أيدي الغرام على   بسط الصبابة لما شقّه العطب
فما تغنّت على الغناء ساجعة   إلاّ وهاج به من شجوها الطرب
وإنْ سرت نسمات البان في سحر   يذكو بمهجته من نفحها اللّهب
يمضي الدّجى وعيوني لم تذق وسنا   حتى تسامرني في حبّك الشهب

وله أيضاً:

يميناً بما في الثغر من عابق الشّهْد   وما نظمت المباسم من عقدِ
وورد جنى غرسه يد البها   وبالعنبر الزاهي على صفحة الخدّ
وما علت في العاشقين ذوي الهوى   عيون ببتار تجرد عن عمد
وجيد أضاءت لامعات جماله   تستر في فرع من الشعر مسود
لئن لامت العذال فيك وفنّدوا   وحقّك لا أسلو ولو ضمّني لحدي
ومن لي بسلوان وقلبي مصطلى   على نارٍ وجد منك زائدة الوقدِ
فيا لائمي المذموم في شرعة الهوى   إليك فإنّ اللّوم في الحبّ لا يجدي
ودعني ومن أهوى فإنّ مسامعي   عن العذل اللاحين كالحجر الصلد
هو الحبُّ مهما شاء يفعل بالهنا   وها أنا في طوع الغرام كما العبد
ومن يعشق الغيد الحسان فإنّه   أسير العنا حلف المراجع والجهد

ومـن يـرتجـي وصـلاً يجـود بـروحـه ... وهـل يختشي مـن لسعة طالـب الشهـد
وإنّي على حكـم الهـوى نـائب الجوى ... معــذّب قلــب بــالصبـابـة والـوجـد
أطـارح ورقـاء الغصـون مـن الأسـى ... وما عندها من لوعة بعض ما عندي
وأهفــو إلــى مــرّ النسيـم سحيـرة ... إذا فـاح مـن أرجـائـه مـن شـذا النـدِّ
وأصبــو إليــه كلمــا لاح بـــارق ... وذكــرنــي الثغـر المنظّـم بـالعقـد
رعـى الله ليـلات مضـت بـوصـالـه ... بفرط سر ورجل في الوصف عن حدِّ
أويقـات حسـن بـالهنـاء اختلستهـا ... وقـد أنجـزت وعـدي وتـمّ بهـا سعـدي
رشفـتُ بهـا كـأس المسـرّة مترعـاً ... وأطفأت ما في القلب من حرقة البعد
فهـل يسمـحُ الـدّهـر الضنيـن بعـودهـا ... وتجلّـى بصبـح الـوصـل ليـلاً مـن الصدِّ
وإنْ ضمنـا ثـوب الظـلام كمـا نشـا ... ونحـن بـأمـن مـن رقيـب ومـن ضـدِّ
أبـثُّ لـه شكـوى التبـاريـح غبمـا ... أعـانـق مـا بيـن الـوشـاح إلـى الخـدِّ
وأقطـف ورد الخـدِّ لثمـاً بـلا عنـا ... وأرشـف مـن ذاك اللّمـا أعـذب الـورد
عسـى ينجلـي صبـح الهنـا بـوصـالـهِ ... وأرتـع فـي ظـلٍّ مـن الأنـس ممتـد

وقال:

لا ينتهـي فـي السقـم حـدُّهْ ... مـن شفـه فـي الحـبِّ وَجْـدُهْ
كيـف الهنـاء يـرى لقلـب ... زاد بـالتبـريـح وقـده
حتـى تـرقـب يـا فـؤاد ... الـوصـل ممـن طـال صـده
إلـى م تـرعـى النجـم والـ ... ـمحبـوب لـذّ لـديـه سهـده
أبـداً وإنْ كثـر الصـدو ... د ودام بـالهجـران فقـده
لا انتهـى لا ارعـوى ... وأنـا الكئيـب الصـب عبـده
بـأبـي العيـون الغـائـرات ... وسيفهـا المـاضـي فـرنـده
قمـر تجلّـى فـي سمـاء ... الحسـن لكـن تـمّ سعـده
دريّ ثغـر عـاطـر ... يشفـي سقيـم القلـب عهـده
نفـديـه منّـا بـالنفـوس ... وليـس ينجـز قـط عـده
مـا الظبـي عنـد نفـاره ... مـا الغصـنُ حيـن يميـس قـده
تـرك القلـوب ذوائبـا ... مُـذْ ضـمَّ مسـك الخـال خـده
ويسـل مـن طـرفيـه بتـارا ... كـأنَّ القلـب غمـده
يـا قلـب صبـراً فـي الهـوى ... لا بـد أنْ ينفـكَّ صـده

وله أيضاً:

فـؤاد مـن التبـريـح طـاب لـه الحتـف ... وجفـنُ مـن الأشـواق أنحلـه الـوكـفُ
ولـي كبـدٌ حـراء عـذّبهـا الجـوى ... وعيـن إذا مـا جـنَّ ليلـي لا تغفـو

معذّب قلبي في هوى الغيد هائم — وما لغرامي عند أهل الهوى وصف
قريح جريح أثخنتني جراحة — باء كناس شاقني منهم الظرف
ولي رشأ من بينهن مهفهف — فريد جمال بين سرب المها خشف
فمن لحظه سحر ومن قدّه قنا — ومن فرعه ليل ومن ردفه حقف
ترى كل قلب بالصبابة والهاً — إذا ما هوى في جيده ذلك الشنف
ألا بأبي ورداً بخدّيه يانعاً — رطيباً بماء الحسن يا حبّذا القطف
فيا آل دين الحب نصحاً إذا رنا — بأطراف لحظيه فمن دونها وكف
ولا تأمنوا من طرفه وقوامه — فهذا به طعن وذاك به حتف
إلى كم أقاسي في هواه صبابة — يذوب بها قلبي ويهمى بها الطرف
وإنّي إلى ذكراه أصبو تلهّفاً — كما ناحت الورقاء فارقها الألف
أطارحها شكواي والليل حالك — فمني تباريح ومن نحوها حقف
وما ضرّني إلاّ الملامة في الهوى — فتباً لعذال قلوبهم غلف
ترفّق عذولي فهو لا شكّ قاتلي — وما لفؤادي من محبته صرف
ودعْ عنك تعنيفي بعذلك واتئد — فهل في الهوى العذري ينفعنا العنف
ألا أيّها العشّاق عن شرعة الهوى — ودينُ التصابي لا يكن لكم عسف
فمن ذاق كأس الحبّ لذّ له العنا — وإنْ زاد في هجران معشوقه الحنف
عسى ولعلّ الحب ينجز وعده — وصادى الجوى بالوصل يدركه اللّطفُ

وقال:

من لم يرى ميل القدود وهزّها — كتمايل الأغصان بالأوراقِ
وتورد الوجنات حيث تلألأت — من خالها ببدائع الأشراق
وتسلسل الريق المبرد رقة — هو للسيب[1] بمنزل الدرياق
وتغازل الألحاظ لما جرّدت — سيف المنون لنا من الأحداق
ومباسماً قد نضدت بفوائد — تحكي وميض البارق الخفّاق
أوَ لم يذق طعم الشجون وفتكها — وبلابل الأحزان والأشواق
وهيام قلب في المحبة ذائب — جذبته أيدي الوجد بالأطواق
أوَ لم تساوره المنون فإنّه — لم يدرِ كيف مصارع العشّاق

وله أيضاً:

كم علينا تتيه في خطراتك — فالهوى قادني إلى خطراتكْ
يا فريد الجمال تفديك روحي — إنّ مضناك هام في لفتاتك

---

(١) للسيب: وذان للحبيب من اللسب يقال لسبته الحيّة وغيرها.

إنْ يكن لائمي تصدّى لعذلي لستُ أصغي لقوله وحياتك
كل حسن وبهجة وكمال ذاك يا بدرُ من أقل صفاتك
لمتى الصدّ والتجني فيكم ذا تختشي العاشقون من سطواتك
أنا نشوان في دلالك والقلب كليم من العيون الفواتك
فامْل لي الكأس يا حبيب طفاحاً فشفاء القلوب في كاساتك
يا فؤاد المشوق كم ذا التّمني إنّ هذا الحبيب باللّحظ فاتك
كم نقاسي من الغرام نحولاً وإلى كم تتيه في غمراتك

وله أيضاً:

قم تنبّه يا منيتي من نعاسك وامزج الشَهْد من لماك بكاسِكْ
واصطبح بالمدام بين الروابي وأدر كأسها على جلاّسك
واطرح[1] وحشة الهموم ودعنا من ضروب الأخماس في أسداسك
واسقنيها وقت الصباح ففيه تستعير النسيم من أنفاسك
خمرة أشرقت بلالآء درٍّ لستُ أصغي بها إلى لوم ناسك
عتقت من ألست في الدن قدماً قبل يا دير كنت مع شماسك
هيجتني يا دير منك نسيم سرقت من شذا لطيف غراسك
أيها العاذل الغبي رويداً لستُ أمشي على مراد قياسك
إنّما الراح راحتي وشفائي فاصغ كم أنت في غرور التباسك
كم سكرنا بها وعفنا سواها حيث قد كنت أنت مع أجناسك

وقال عند خروجه إلى بيت المقدس:

هلموّا بنا فألحان راقت مشاربه وجنح الدّجى للغرب أهوت كَوَاكِبُهْ
وجودوا بطيب الأنس قبل وداعنا فقد أزمع الحادي وسارت نجائبه
فهل مسعف يا قوم بالصبر لحظة فإنّ حليف الوجد ضاقت مذاهبه
خذوا مقلتي من قبل يخطفها الهوى فإنّي رأيت الوجد سلت مضاربه
ولا تعجبوا من أصهر الدمع إنّه فؤادي فمن جمر الهوى سال ذائبه
ولا تحسبوا إنّ المتيّم للنوى مطيعٌ ولكن جحفل الدّمع سالبه
وقد توجب الأخطار يا سعد فرقة لألف بهم للعب تدنو مآربه
خليلي أما الوجد فالبحر دونه حدوداً وأما الصبر ولّت كتائبه
فلا تنيا عني فإنّي أرى النّوى يجاذب عنّي مهجتي وأجاذبه

(١) من باب الافتعال.

وما كنت أدري والليالي كمينة ... بأني مسلوب الوصال مجانبه
ألا فَقِفَا نبكي معاهد جلّق ... سقاها الحيا صوباً تدوم سحائبه
ولا زال خفاق النسيم مصافحاً ... أكفّ رباها كلما اخضرّ جانبه
ولا برحت فوق الغصون طيورها ... تغنّي بما تحيى القلوب غرائبه
لدى المرجة الغنّاء يا سعد قِفْ عسى ... لك الشرف الأعلى تضيء جوانبه
وفي الربوة الفيحاء فاستنشق الصبا ... فنشر الغوالي للربا هو جالبه
ولا تنس سفح القاسيون وظلّه ... فقد أشرقت من كل فج كواكبه
فكم من نبي حلّ في هضباته ... وكم من ولي لا تعدّ مناقبُه
على أنّه روض من الخلد مشرق ... فضائله لا تنتهي وعجائبه
سلامٌ على تلك المعاهد والربا ... سلامٌ محبٌ أنحلته مصائبه
ومني على الأحباب ألف تحيّة ... يصافحها من كل نشر أطائبه
مدى الدهر ما حنّ الخليع تشوّقاً ... إليها وفاضت بالدموع سواكبه

ومن هذا البحر والقافية نظمت قصائد كثيرة قديماً وحديثاً.

ومن ذلك قصيدة لي كنت نظمتها حالة الطفولية وهي بعدم الإثبات حرية (مطلعها):

أطارحه ذكر الهوى وأخاطبه ... وليل التّصابي اكفهرّت كواكِبُهْ
وأنشده مني حديث صبابة ... يروق سماعاً عنده وأعاتِبُهْ
ولي في الهوى عهد يطول على المدا ... على أبد الأوقات تصفو مشاربه
ألا ليتَ شعري ما الذي كان موجباً ... لفرقة من أحببت إذ أنا راغِبُهْ

وهي طويلة.

وللمترجم:

تلك المنازل والخيامُ ... ينمو بذكراها الغرامُ
حيّا معاهد شعبها ... وربا منازلها الغمام
أصبو لها ما أومضت ... برق وما صدح الحمام
يا سارياً تطوي له ... منها المهامة والآكام
والعيس أطربها الغنا ... والرّكب هاج به الأوام
قف ريثما في الحي إنْ ... لاحت لناظرك الخيام
وسرت إليك نسيمها ... أو فاحَ رنداً أو خزام
فانشد فؤادي في الحمى ... قد ضلّ وهو المستهام
واذكر لهم أحوال صب ... في الدجنة لا ينام
لي مهجة قد شفّها ... حرّ اللواعج والهيام

وجـوانحـي وجـوارحـي بـالـوجـد داخلهـا اضطـرام
والحـبّ شـيء لا يطـاق وفيـه صبـري لا يـرام
فيـه الكـريـم يهـان وجـداً والعـزيـز بـه يضـام
وحشـاشتـي ذابـت ولـي جسـم تنـاهبـه سقـام
يـا سـاكنـي الـوادي المقـدّس مـن بهـم شـرف المقـام
هـلاّ منحتـم قـربكـم لفتـى بـه أودي الغـرام
أرضـى ولـو طيـف الكـرى إنْ زار أجفـانـي المنـام
قسمـاً بـأشجـانـي ومـا يلقـى الكئيـب المستهـام
وبمـا يقـاسـي العـاشقـون إذا لهـم جـنَّ الظـلام
مـا حلـت عـن شـرع الهـوى لـو حـق لـي منـه الحمـام
وعلـى الحيـاة لبعـدهـم منـي التّحيّـة والسـلام

وقال:

تبت يـدا مـن سـلا عـن حبّ ذي حـور حـالي الـرضـاب ظـريف الـدّل والشنبِ
ومـن يلمنـي سيصلـي فـي محبتـه نـاراً مـن الخـدّ ذات الـوقـد واللّهـب
مـن لـي بسلـوانـه يـومـاً ووجنتـه حمـالـة الآس لا حمـالـة الحطـب

وقال:

يا بديع الصفات يا من تسامى بجمـال يجـل عـن تشبيـهِ
إنّـي ذبْـتُ مـن هـواك فهـلاّ تمنـح الصـبّ منـك مـا يشتهيـهِ
فـرسـول الإلّـه قـال حـديثـاً اطلبـوا الخيـر مـن حسـان الـوجـوهِ

ومن ذلك قول القائل:

سيـدي أنْـتَ أحسـن النـاس وجهـاً كـن شفيعـي فـي يـوم هـول كـريـهِ
قـد روى صحبُـك الكـرام حـديثـاً اطلبـوا الخيـر مـن حسـان الـوجـوهِ

ومن ذلك قول الأستاذ عبد الغني النابلسي:

يـا أخـا البـدر قـد صفـا لـك ودّي وغـدا سـالمـاً مـن التمـويـهِ
إنْ طلبـتُ الـوصـال منـك فجـدْ لـي وأنلنـي منـك الـذي أشتهيـهِ
فهـو خيـر وفـي الحـديـث روينـا اطلبـوا الخيـر مـن حسـان الـوجـوه

وللمترجم:

لقلبـي أي شـوق والتهـاب بـدمـع فـي المحبّـة عنـدمـي
ومـا قلبـي أراه لـدى لكـن مـن التبـريـح أضحـى عنـدمـي

وله:

أفدي الذي ما انتضى سيف الجفون لنا … إلا وجندل منا بالرضاب طار
في خدّه ضرج في لحظه دعج … في فرقة بلج حتى الرضاب طلا

وله أيضاً:

أفدي الذي قال لي لما علقت به … بالله هل شمت مثلي في الملا حسنا
ناديت لا وجمال منك تيمني … بل أنت يا فاتني فقت الملاح سنا

وله أيضاً:

أقول لبدري قم ومِلْ مثل ميلة … الغصونِ إذا هزّ النسيم اعتدالها
وإيّاك أنْ تلهو إذا ما حكيتها … فقام وأندى بالغصون ومالها

وله:

تقول فتاة الحي إنْ رمت ترتقي … معالي الهنا يممْ معالم داري
فقلت مداري في الغرام على اللقا … ومن كان من قصد المعالي مداري

وقال:

دعْ تعاطي المدام فهو حرامٌ … يا نديمي وإنْ تكن كالزلالِ
فشفاء الفؤاد من كل صاد … برحيق من الرضاب حلالي

وقال أيضاً:

إنّ مدام الثغر يشفي العنا … منه ارتشف واهجر مدام الطلا
فخمرة العنقود قد حرّمتْ … ورشف خمر الثغر عندي حلا(ل)

أقول هذا من الاكتفاء، وأراد التورية بذلك، بين أنه حلا من الحلاوة، أو حلال، وهو ضد الحرام، واللام ترسم ولا تقرأ، وهذا الاكتفاء من أنواع البديع، وينقسم إلى قسمين: الأول: أنْ يكون بجميع الكلمة كقول ابن خلوف المغربي:

ملّ الحبيبُ ومال عن … ودّي مع الواشي وولى
فبكيت حتى رقّ لي … من كان يعرفني ومن لا

ولابن أبي حجلة:

يا ربّ إنّ النيل زاد زيادة … أدّتْ إلى هدم وفرط تشتتِ
ما ضرّه لو جاء على عاداته … في دفعه أو كان يدفع بالتي

والقسم الثاني: الاكتفاء ببعض الكلمة، ومنه بيتا المترجم، ومنه قول القاضي بدر الدين الدماميني:

الدمعُ قاض بافتضاحي في هوى ... ظبي يغار الغصن منه إذا مشا
وغدا بوجدي شاهداً ووشى بما ... أخفى فيا لله من قاض وشاهد

وفيه التورية أيضاً مع الاكتفاء.

ولابن مكانس:

نزل الطل بكرة ... وتوالى تجددا
والندامى تجمّعوا ... فاجل كاسي على الندا

ومثله قول البدر الدماميني:

يقول مصاحبي والروض زاه ... وقد بسط الربيع بساط زهر
تعالى نباكر الروض المفدى ... وقم نسعَ إلى ورد ونسري

وما ألطف قول بعضهم هذا المعنى:

شقائق النعمان ألهو بها ... إنْ غاب من أهوى وعنّ اللّقا
والخدُّ في القرب نعيمي وإنْ ... غاب فإنّي أكتفي بالشقائق

وللمترجم:

عن المقلة السوداء لاح مهنّد ... أتى لفؤادي حكم دين الهوى يبري
ومن حاجبيه فوق السهم للورى ... لقد سار أنْ يحمي به الخال في الصدرِ

وله:

بمهجتي بدر حسن لا مثيل له ... تحيّر في وصف معناه أولو اللّسنِ
رنا فلاحت سيوف من لواحظه ... ناديته منيتي قلبي يحدثني

وله:

ولما رأيت الحبّ أظهر جفوة ... إليّ وعني قد غدا ضارياً صفحا
نأيت وأبدت المحبّة بالقلا ... وأصبحت من ذكرى له طاوياً كشحا

وله:

يا بديع الجمال إنّ التصابي ... ساق للقلب من غرامك عيسا
عجباً كيف مغرم القلب يفنى ... فيك وجداً وأنت يا بدر عيسى

وله:

يا لقومي من مسعفي من غزال ... قد محى الصبر من تجنيه محيا
فدع اللّوم يا عذولي فقلبي ... ليس يحيى بدون منظر يحيى

وله:

وبـي رشـأ لـولا سقـام عيـونـه لما كان جسمي بالصّبابة يكمدُ
تـولـع قلبـي فـي اهتـزاز قـوامـه فهـا أنـا مـن سكـر الغـرام أُعَـزِيـدُ
أنعمـان خـدّيـه تـرى أنـت شـافعي إلـى مـالكـي إنّـي لفضلـك أحمـدُ

وله:

وبـي رشيـق القـوام ذو هيـف بـدا كـريـم عيـونـه نجـلُ
يبخل بالوصل لي وأعجب من شخـص كـريـم ودأبـه البخـلْ

وله معمياً في حسن:

وغـزال حـالـي المـراشـف ألمـى سهـم لحظيـه فـي فـؤادي صـائـبْ
رشـف القلـب فيـه خمـر هيـام حيـن تـمّ الجمـال منـه بحـاجـبْ

وله في سعيد:

وذي محيـا كبـدر التـم زيّنهـا فتيـت مسـك تـراه فـوق وجنتِـهْ
مهفهـف أدعـج الألحـاظ ذو هيـف شريف حسن بطرف فوق طرته

وله في إسماعيل:

وأغيـد سحـر الألبـاب أجمعهـم إنْ لاح مـن بـرق ذاك الثغـر وامضُـهْ
تشقـى لـذكـراه آذانـي ولا عجـب قـد زانـه الحسـن والتتميـم عـارضُـهْ

وقال مقتبساً:

واطلب على الصبر في الأحوال قاطبة ولازم الصـدقَ فهـو المنهـج الأطهـرِ
واطلـب مـن الـوالـديـن الأكـرمين رضـى ولا تقـل لهمـا أفٍّ ولا تنهـر

وله مقتبساً أيضاً:

أهـل الشقـاوة عـن نهـج اليقيـن عسـوا ولـن تـرى منهـم للحـقّ منتبهـا
لـن ينتهـوا عـن معـاصيهـم بمـوعظـة وإن يـروا آيـة لا يـؤمنـون بهـا

وله كذلك:

أعبـد الله لا تجـزع لضيـم وثـقْ بـالله تتضـح المسـالـكْ
وكـن جلـداً علـى صـرف اللّيـالـي فـإنّـك لسـتَ تـدري مـا هنـالـك
وايـم الله ذاك يهـون عنـدي لعـلَّ الله يحـدث بعـد ذلـك

وقال:

لضـرب السيـف أو خـوض المنـايـا وطعـن السمهـري علـى الصميـم

وأكل السمّ من كبد الأفاعي ... وقبض الجمر في يوم سموم
وايم الله ذاكَ يهون عندي ... ولا احتاج يوماً للئيمِ

وهو من قول بعضهم:

القدحُ في العين بالزناد ... والطعنُ بالرّمح في الفؤادِ
والمشي في مهمه بييد ... بغير ماء وغير زاد
ووضع كفٍّ في ثغر ليث ... ما بين أسنانه الحداد
وحفر بئر بغير فاس ... في يوم برد بقعر وادي
أهون من وقفة لنذل ... قدمه الحظ بالعناد

وكانت وفاته بدمشق في سنة أربع وخمسين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

عبدالله صبحي:

٣٩١ ـ عبدالله بن فيض الله بن أحمد صبحي، الملقب بعبدي، على طريقة شعراء الفرس والروم وكتابهم الحنفي القسطنطيني: كتخداء الدّولة وأحد الرؤساء المشاهير، الأديب الرئيس الكامل النبيل، أخذ الخط عن أساتذة بسائر أنواعه ومهربه، وصار أحد أعيان الكتاب وأرباب المعارف، وولي المناصب، توفّي في سنة سبع وسبعين ومائة وألف.

عبدالله بن فتح الله:

٣٩٢ ـ عبدالله بن فتح الله بن الحنفي الحلبي الأديب الشاعر البارع المنشي الفصيح الملقّب بأديب وأحد الدنيا بالمعارف: ولد بحلب في حدود المائة وألف تقريباً، ثم ارتحل به إلى إسلامبول، وكان سنه سبع سنين، وكان والده إذْ ذاك باش محاسبه جي، ونشأ بها تحت ظلّه، ثم صار رئيس الكتّاب، وكان له الرؤساء المشهورين، وتوفّي في إسلامبول سنة سبع عشرة ومائة وألف، ثم إنّ ولد المترجم عاد لحلب وصار بها تذكره جيا للخزينة الميرية، وكان شاعراً بالألسن الثلاثة، وله ديوان شعر منه قوله:

إذا ما نال شخص ما تمنّى ... من الأرذال يوماً مات منّا
فكنْ في خبرة من كل فرد ... متى ما ساء فعلاً ساء فنا

وكان يتكلم بأشياء عجيبة، واستولت عليه السوداء والجنون، ومع ذلك ينظم البليغ، وكانت وفاته في سابع عشر ذي القعدة سنة إحدى وستين ومائة وألف رحمه الله.

عبدالله الحلبي:

٣٩٣ ـ عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن أحمد بن محمد المجذوب، الشهير بابن شهاب، الشافعي التدمري الأصل، الحلبي المولد: ولد بحلب سنة ست عشرة ومائة وألف، ورُبّي في حجر أبيه ونشأ في طاعة الله تعالى، ودأب على تحصيل الكمالات، ففاز

منها بالقدح المعلّى، وقرأ على أجلاّء عصره من أفاضل الشهبا، كالعلامة محمد بن الزمار أحد أفراد الزمان، والعلامة حسن السرميني، والعلامة محمد المكتبي، والعلامة طه الجبريني، والعلامة علي الميقاتي بأموي حلب، وعلى عمدة المحدثين محمد المواهبي، وارتحل مع والده لدمشق سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف، ودخلها بعد ذلك مرّات، واستجاز علماءها الأعلام مثل الإمام الأستاذ الشيخ عبد الغني الشهير بالنابلسي، فقد أجازه عامة بالكتب العقلية والنقلية والتواريخ والدواوين والأدب، وكتب من تقدم من السادة الصوفية قدس الله أسرارهم، وكالعلامة عبد القادر بن عمر التغلبي الشيباني الحنبلي، والعلاّمة محمد بن إبراهيم الشهير بالدكدكجي، والولي الكامل الشيخ إلياس الكردي نزيل دمشق، والعالم الشيخ محمد الكاملي الدمشقي، والفاضل عبدالله الشافعي وغيرهم، وكان صاحب الترجمة شغفاً بمطالعة كتب الصوفية خصوصاً الفتوحات المكية، وغيرها من كتب تأليف قطب الزمان سيدي محيي الدين ابن العربي قدس الله تعالى أسراره، وله اليد الطولى بمعرف الروحانيات والأوفاق والتعاويذ، وانتفع به خلق كثير بسبب ذلك، واشتهر شهرة حسنة، وكان ديّناً عفيفاً صالحاً نقيّاً، وبالجملة فمن رآه أحبّه ورأى بارقة الصلاح عليه، وقد كان ممن جدّ واعتنى وحصّل نفائس العلوم واقتنى، وله من الشعر ما يشنف الآذان، ويرتاح له الولهان، فمنه قوله يمدح الولي الكبير سيدي أبا بكر الوفائي قدس الله سرّه العزيز:

إذا المرء لم يلقى مغيثاً لكربه ... وراشت له الأيام نبل التجارب
يلذّ بحمى قطب سما البدر رفعة ... غيور أتى برهانه بالعجائب
هو العارف المجذوب حقّاً وإنّه ... أبو بكر المسقى بأصفى المشارب
فلا زالت الأنوار تغشى ضريحه ... وتكسوه من جدوى عهاد السحائب
فيا أيها الغوث الذي نفحاته ... أفادت ذوي الأحزان كل الرغائب
ولم تزل الوراد تنحو لنحوه ... لدفع جيوش الهمّ من كل جانب
أما أنت فالموصوف بالصدق والوفا ... وكفّك ملآن بفيض المواهب
فلا تنس عبداً في ودادك صادقاً ... فجاهك معلوم بأهل المراتب
هو ابن شهاب قد أتى متوسّلاً ... بجاهك فامدده بنيل المآرب

ومن شعره:

بلبل الأوطان غنّى ... فشجا قلب المعنّى
وغدا يبدي شجوناً ... عن سماع العود أغنى
يذكر الأوطان شوقاً ... إذْ غدا مثلي معنى
قلت مهلاً يا مشوقاً ... زادني التذكار حزنا
قد نأى عني حبيبي ... والنّوى جسمي أضنى
نح قليلاً يا شبيهي ... إنّني أصغيت أذْناً

إنّ لـــي جسمـــاً ضعيفـــا   كلمـــا رددت يفنـــى
وكـــذا دمعـــي نمـــوم   فيضـه يـوليـه مُـزنـا
يـا بـريـق الحـيّ مهـلاً   قـد خطفـت القلـب منـا
إنّ طـرفـي غيـر لاه   عـن حبيـب زاد حسنـا

وله متوسّلاً:

يـا ربِّ إنّـي مسـرف   والعفـو قسـم المسـرفِ
فـاغفـر لعبـد خـائـف   مـن هـول يـوم المـوقـف

وله أيضاً:

يـا مـن أراد انصـرافـي   عـن مـذهـب الحبِّ جهـلا
قصّـر مـلامـك إنّـي   قـد بعـتُ روحـي طفـلا

وكانت وفاة المترجم في يوم الثلاثاء حادي عشر جمادي الأولى سنة ست وثمانين ومائة وألف، ودفن بالقرب من والده خارج باب الملك بالقرب من مرقد الولي الكبير محمد الزمار رحمه الله تعالى.

عبدالله التوني جوق:

٣٩٤ ـ عبدالله بن محمد، المعروف بألتوني جوق زاده الحنفي القسطنطيني: أحد صدور العلماء الأفاضل، وأركان الدولة أصحاب الرفعة والجاه والسمو، ولد بقسطنطينية وبها نشأ، وكان والده كتخداء الوزير عبدالله باشا، وقرأ وحصّل وبرع في العلوم، وحصل فضلاً ونبلاً، وقرأ على الأساتذة كالفاضل محمد المدني وغيره، ونظم الشعر بالتركية، وتفوّق وسلك طريق التدريس، ولازم على عادتهم، وأُعطي رتبة الخارج سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف، وترقّى بالمراتب حتى ولي قضاء القدس الشريف فوردها، وبعد إتمام المدة عاد للروم وأُعطي قضاء المدينة المنورة، فألقى بها الفوائد، وتأهل للتدريس والإفادة، ولزم جماعة من أهلها، واشتهر بين علماء الحجاز، وعظم لديهم، وعرفوا مكانه من العلم والفهم، وبعد قفوله استقام بدياره، ولما قدّر الله تعالى وحصل ما حصل بين دولتنا أدام الله نضرتها وحماها من البوائق (الدواهي)، وبين دولة النصارى بني الأصفر المشهورين بالمصقو، (شمدي مسقوه روسية دولتي ديرلر)[1]، اختير المترجم من طرف دولتنا قاضياً للمعسكر السلطاني، فارتحل مع الوزراء والأمراء قاضياً، وغدا بهذا الرتبة راضياً، وأعطي في آخر عمره رتبة قضاء عسكر أناطولي ترفيعاً لشأنه ومقامه، وكان فاضلاً محققاً فقيهاً عالماً بالفروع والأصول، خبيراً بالمسائل والفنون، وله من الآثار حواشي على تفسير القاضي البيضاوي، ورسائل أخر وتحريرات، وكانت وفاته سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف، ودفن

(١) مَصْقُوَ: هي دولة روسيا الآن.

بقسطنطينية عند قبر إبراهيم باشا السمين الكائن بالقرب من جامع السلطان عثمان، والتوني جوق زاده: معناه بالعربية ابن كثير الذهب، تلقب بهذا اللّقب والده لتزايد ثروته وتوفّر جاهه رحمهما الله تعالى.

عبدالله الشبراوي:

٣٩٥ ـ **عبدالله بن محمد بن عامر بن شرف الدين القاهري الشافعي، الشهير بالشبراوي، الشيخ الإمام العالم العلامة، والفاضل الهمام، البحر الفهامة، الناظم الناثر، الأوحد المفنن أبو محمد جمال الدين**: ولد سنة إحدى وتسعين وألف، وجدّه عامر مترجم في خلاصة الأثر للمحبّي(١)، وأخذ عن جملة من العلماء الأعلام، كالعلامة محمد بن عبدالله الخرشي المالكي، أجازه سنة وفاته، وهي عدد خرش، وعن أبي مفلح خليل بن إبراهيم اللّقاني، والشهاب أحمد بن محمد الخليفي، والإمام محمد بن عبد الباقي الزرقاني، والشهاب أحمد بن غانم النفراوي، والجمال منصور المنوقي، والعلم صالح بن حسن البهوتي الحنبلي، وعيد بن علي النمرسي، والجمال عبدالله بن سالم البصري وغيرهم، وبرع ورأس في العلم، حتى صار شيخ الجامع الأزهر، وتقدّم على أقرانه، وله مؤلفات نافعة منها ديوان شعره المسمّى «بمنائح الألطاف» ومنه قوله:

يفديك يا بدر صب ما ذكرت له ... الأعلى قدم شوقاً إليك وثبْ
لا تخشَ مني سلواً في هواك فقد ... تبتُ بدا عاذلي يا بدر فيك وتب

وقوله:

لا تعذلوني في اشتغالي به ... ليس على من هام فيه جناح
فإنّني سلطان أهل الهوى ... وذاك سلطان جميع الملاّح

وقوله:

بالروح أفدي حبيباً كان يمنحني ... وصاله حين كان الحبّ مستترا
وحين ماجت بودي أدمع هملت ... درى بعشقي له فاعتزّ واقتدرا

وقت درّي(٢) وله غير ذلك من الآثار والنظام والنثار، وكان ذا جاهٍ عريضٍ وحرمةٍ وافرة، وكانت وفاته سنة اثنين وسبعين ومائة وألف، ودفن بتربة المجاورين رحمه الله تعالى وإيانا.

---

(١) عامر ترجمه المحبي في الجزء الثاني من الخلاصة وعامر هذا أخص تلامذة أبي بكر الشنواني خال الشهاب الخفاجي.

(٢) إنّ المؤرخ أثبت (وقت دري) بعد أنْ كتب واقتدرا فهل دريت لطافة هذه الزيادة.

عبدالله الأنطاكي:

٣٩٦ ـ عبدالله بن محمود الأنطاكي، ثم الحلبي، الحنفي مدرس الرضائية، الشيخ الفاضل النبيل البارع: ولد بأنطاكية بعد الثلاثين ومائة وألف، وقرأ على والده ولازمه كثيراً، وله الذكاء المفرط والأدب الغض، والنظم العالي في اللغة الفارسية والتركية، صرف ذكاءه في الأدب ومعاشرة الأدباء، وعجز والده عن ردّه فتركه، فذهب بعد وفاة والده إلى إسلامبول ودفتر دارها يومئذ منيف أفندي الأنطاكي أحد تلامذة والده فأكرمه وأدخله بين كتبة الديوان، ثم خرج صحبة الوزير حسين باشا داماد الوزير الأعظم محمد راغب باشا من إسلامبول حين خرج المشار إليه بمنصب الرها، وكان عند كاتب ديوانه، فلما عزل الوزير المشار إليه من الرّها وصل معه لحلب، ومنها فارقه وذهب إلى إسلامبول، ودخل إلى القلم ثانياً، وتزوّج بإسلامبول، وشعره كثير موجود بأيدي الناس، وكانت وفاته في أواخر هذا القرن رحمه الله تعالى، وأموات المسلمين وإيّانا.

عبدالله اليوسفي الحلبي:

٣٩٧ ـ عبدالله بن يوسف بن عبدالله، المعروف باليوسفي، الحلبي الأديب الشاعر البارع الماهر الناظم الناثر المكثار: كان أوحد الشهباء في النظم والتاريخ والاختراعات العجيبة والأشعار الغريبة، ولزوم ما لا يلزم، والابتكارات في فنون الأدب من تواريخ وقصائد وغيرها، وله بديعية التزم فيها تسمية الأنواع، واخترع أربعة أنواع غريبة نظمها فيها وشرحها شرحاً جيداً، ولد بحلب وقرأ على والده مدة حياته، ثم على الشيخ حسن السرميني، وبعده على المحدث الشيخ طه الجبريني، ثم على الفقيه الشيخ محمود البادستاني، والشيخ محمد المصري، وعليه قرأ الأندلسية في علم العروض، وقرأه مع علم القافية على الشيخ علي الميقاتي، وعلى الشيخ قاسم البكرجي، والشيخ محمد الحصري، واشتغل بالأدب وقريض الشعر مدة على هؤلاء الفضلاء، وافترع (افترع: افتض) أبكار الأفكار، وصاغ قلائد المعاني نظيمة الأسلاك، وله أشعار ومدائح وتواريخ وأحاجي ومعميات، وغيرها شيء كثير، وامتدح الأعيان والعلماء وغيرهم، ووقعت له بين أبناء عصره المطارحات والمساجلات، وكان بحلب يتعانى بيع البنّ في حانوته الواقع بالقرب من جامعها الأموي، فلذا اشتهر بالبنّي، وكان في غاية من الفقر وضنك العيش، وقد عرض له قبل وفاته بثلاث سنوات صمم عظيم، وكان أولاً عارضاً له، فزاد حتى منعه من السماع بالكلية، بحيث صار الناس يخاطبونه بالإشارة، فحصل له من ذلك كدر عظيم، فبادر للاستغاثة بالجناب الرفيع النبوي بألف بيت راجياً الشفاء من ذلك ببركتها، وشرع فلم يتيسر له الإتمام، وخطب مدة في جامع البهرمية نيابة عن بني الشيخ طه، وسافر إلى طرابلس الشام ولاذقية العرب، وقدم دمشق ووفد إليها مراراً، واجتمع بوالدي وحباه من الإكرام والالتفات ما جاوز الحد والغايات، وامتدحه بقصائد وأشعار كثيرة، وجرى بينه وبين أدباء دمشق من المجاورات والمطارحات ما يفعم (يقال: أفعمه إذا ملأه) بطون الصفحات،

وبالجملة فهو فريد عصره بالاختراعات الغريبة، وفن التاريخ، وسرعة النظم والارتجال في التاريخ، (ومن شعره) مادحاً والدي ومهنّياً له بالإفتاء:

أيا جلقاً لا زلت باسمة الثغر ... بصيب أفراح تدوم مدى الدّهر
ولا برحت أنوار مجدك تنجلي ... مطالعها حسناً من اليُمْنِ واليسر
وما انفك مغناك يلوح مسرّة ... ودوحة علياك مضمخة[1] العطر
تسامت بقاع اليمن فيك بسادة ... لهم شرف يسمو على الأنجم الزهر
لهم في انتماء المجد خير أرومة ... وعلياهم تعلو على هامة النسر
ولا سيما منهم همام مكرم ... مجيد على الشان مرتفع القدر
هو السيد السامي الرفيع مكانة ... من الفضل يستجلي المحامد بالشكر
ومن هو بالأصل الرفيع تشامخت ... مراتبه العليا إلى ذروة الفجر
لقد شرف الإفتاء نير فضله ... ووفق إحكام المسائل في الذكر
وأودع أنواع العلوم براعة ... من الفضل لم تبرح بحضرته تجري
أما هو في عليا دمشق هلالها ... وكوكبها السامي على الكوكب الدري
كفى شرفاً إنّ المديح لمثله ... يطرز أنواع القريض من الشعر
ويزهو افتخاراً في نعوت كماله ... ويرتع في روض البلاغة في السر
خليلي بالعهد الذي تليت به ... صحائف آيات المحبة بالجهر
فنب عن بعيد الدار فضلاً ومنّة ... بتقبيل أيدٍ دونها صفة البحر
وبلغه عني أجزل المدح والثنا ... وخير دعاء لم يزل أمد الدهر
فلا زال محروس الجناب ممتعاً ... بإقباله يجني المكارم بالبشرِ

وقوله فيه:

سعد السعود بدا إنْ زارني قمر ... بحسنه كل أهل الحسن قد قمرا
جوري وجنته الحمراء مزدهر ... وقد حوى وجهه في مهده الزهرا
إنْ قابلته شموس في الضحى قهرت ... أو قابل النجم في إشراقه قهرا
وخاله عمه بالحسن فانبهرت ... عقول أهل الهواي إذ بالبها بهرا
إنْ رحت أحكي لحسن فيه قد شهرا ... قطعت دون بلوغي الدهر والشهرا
لي مقلة في هواه الليل قد سهرت ... وقد شكوت سقام الجفن والسهرا
وأصل عشقي له بالعين من نظر ... فليته لي بعين العطف قد نظرا
ومنذ أغنى لماه العذب عن سكر ... والعقل مني بزاهي حسنه شكرا

---

(١) مضمخة: يقال: ضمخ جسده بالطيب ضمخاً، من الباب الأول إذا لطّخه فتلطخ كما في الصحاح، والمصباح، وزاد القاموس الضمج والتضميخ: بمعنى الضمخ.

ما بتّ والقلب في لقياه منجبر ولا بجنح الدياجي باللّقا جبرا
لم أنسه قافلاً كالغصن من سفر وعن محيا حكاه البدر قد سفرا
وشمت ظبياً سطا بالطرف في نفر وكلما رمت منه وصله نفرا
راسلته برسالات ذرى سطر أبغي الرضى فحروف النفي لي سطرا
فبتّ أشكو الأسى والوجد مع عبر بها على شديد الحزن قد عبرا
علقته بعد طي السن في كبر وكان بالصدّ قبلي أهلك الكبرا
وخانني الصبر مُذْ أمسيت في ضجر ولم أزل في هواه ضيّقاً ضجرا
وبت من أمن خلّ خان في غدر وصاحبي الصادق المخبور لي غدرا
وبتّ أرعى نجوم اللّيل في سحر في عشق خشف بعنج الطرف لي سحرا
متيّماً والهاً والقلب في خطر والحبُّ بعد الجفا نحو العدا خطرا
وعندما الوجد في الأحشا نما وطرا ولم أكن قاضياً من أصله وطرا
وجار دهري وبي أفضى إلي عسر وللتخلص من أعبائه عسرا
وجهت وجهي إلى من زانه خفر وكم لمثلي بسامي عزّه خفر
من بالكمالات من قبل الصبا شعراً ومدح زاهي علاه أفحم الشعرا
أعيذه بالضحى والليل من شعر والأنبيا وسبا والنور والشعرا
شهم همام له من جوده بدر إليه من مهده الإسعاد قد بدرا
كم ألبسته يد العلياء من أزر حتى ارتدى برداء المجد واتزرا
لم يلوه عن غياث الملتجى فتر وعن سلوك سبيل الرشد ما فترا
جداه من راحتيه قد حكى نهراً فلم يخب سائلاً يوماً ولا نهرا
أوحت إليه معالي أصله فقراً لأنت دون البرايا ملجأ الفقرا
السيد المنقذ الملهوف من خطر وأزمة إذْ حوى الأفضال والخطرا
على قدر تولى رشده قدر يعفو ويصفح في حلم إذا قدرا
أقصى مرادي بقاه ما بقي دهر وما أضاء قمر في الأفق وازدهرا
ومن حواه حماه الرحب من ثمر ما أينع الدوح في أغصانه الثمرا
في رفعة مع صفا وقت بلا كدر مع السلامة مما يحدث الكدرا
بجدّه المجتبى من بشرت زبر به وفي صحف التنزيل قد زبرا
صلّى عليه إلّه فضله ذكراً مسلماً دون حصر كلما ذكرا
والآل ما لاح في أفق السما خطر والصحب من لم يزالوا دائماً خطرا
يا سيداً ساد في بدو وفي حضر ودام صدراً مهاباً أينما حضرا
خذها مهذبة من كف مبتكر كمثلها في مديح الغير ما ابتكرا
واسلم ودم راشداً حاوي العلا أمراً يعنوا لما شئته المأمور والأمرا

وله وأرسلها إلى والدي هي وما يليها من النثر:

أنــت للفضــل قلبــه وجنــانــه ولنشــر القــريــض حقــاً لســانــه
ولأوج الكمـــال خيـــر سمـــي ولحـــال الملهـــوف أنـــت أمـــانـــه
ولكـــل المـــداح خيـــر مجيـــد ولنـــور الأمنـــاح أنـــت بيـــانـــه
يـــا أخـــا المجـــد والبـــراعـــة واللّطـــف ومـــن بـــالعـــلاء شيّـــد مكـــانـــه
يـــا علـــيّ المقـــام هـــاك مـــديحـــاً مـــن محـــب قـــد ساعـــدتـــه بنـــانـــه
فتهنّـــى بمـــا حبيـــت مـــن الـــدهـــر سمـــواً ومـــا حبـــاك زمـــانـــه
وتهنّـــى شكـــراً بشهـــر صيـــام فهـــو شهـــر لقـــد تعـــاظـــم شـــأنـــه
ضـــاعـــف الله فيـــه كـــل جـــزاء وبمحـــو الـــزلاّت كـــان امتنـــانـــه
فهـــو شهـــر لـــدى الإلـــه عظيـــم فتحـــت فيـــه لـــلأنـــام جنـــاتـــه
لـــم يـــزل عـــائـــداً عليـــك بخيـــر كـــل عـــام يحلـــو لـــديـــك أوانـــه
أمـــد الـــدهـــر مـــا بـــك المـــدح يغـــدو فـــي نظـــام يـــزهـــو لعمـــري اقتـــرانـــه
إذْ بـــه اليـــوسفـــي يعـــرب شـــوقـــاً عنـــه يبـــدي لسنـــانـــه وجنـــانـــه
فعلـــى قـــدرك العلـــي ســـلام وثنـــاء يـــدوم فيـــك ضمـــانـــه

إن أحسن ما توشحت به ذاتك العليّة، وتوشحت به صفاتك البهيّة، واتضح به نور جمالك، وانبلج به سر كمالك، وأشرف ما ترجم عن حقيقة فضلك، وموّه بعظيم كنه قدرك، لسان الظهور والتبيان، وإقرار الطمأنينة القائمة بالجنان، الساطعة بنور البيان، والعطف ما جرت به الأقلام، من مخترعات القرائح والأفهام، من زواهر جواهر الإبداع، وفوائد فرائد الإيداع، وجنحت لنحوه القلوب، وسنحت إليه في عام الغيوب، بدائع اثنية بديعية، وحسن فقرات اختراعية، تعرب عن سنائك الأبهى، وصفائك الأزهى، وجوامع أدعية، قرعت باب التضرع والابتهال بأيدي الخلوص، وسلكت مهيع العموم والخصوص، فصادف مسراها جدير الوصول، وشام سواطع أنوار الأنس ومطالع القبول، وحقيقة شوق كابد لاعجه، وعرج منازل زفرات صعوده وقطع معارجه، كلفاً بذلك المحيا البديع الذي أحيى الله بمشاهدته القلوب، ونفى ببهجته حوالك الكروب، إذ هو عنوان المحاسن الأوحديّة، مهرجان الملائح الأبلجية، ومشكاة اليراعات النورانية، ونبراس الاختراعات التشبيهية والتمثيلية، تعرف منه فذلكة الفضائل بأقوى الدلائل، حيث امتاز طالعه الأسنى، بشرف ذاتك الحسنى، التي أحرزت من المحاسن أوفاها، ومن المحامد أصفاها، وأخذت من الحلم أحسنه، ومن العلم أبينه، ومن الوفا أعمّه، ومن السخاء أتمّه، فتسلسلت أحاديث شرفها المرفوعة، التي لا ضعيفة ولا موضوعة، وتجملت بشرف معلوماتك، وصحة مروياتك، وعرجت لسدرة منتهى علمك المهذّب، وفضلك المرتّب، إلى أنْ بلغت في الفتق والرتق، قصبات السبق، فاستنار بها الآلاء تقريرك وتحريرك وافتائك، وامتازت به مطالع

علياتك، فكمل له الشرف الأعلى، وراق له المورد الأحلى، فلعمري إنك لعلى المكارم، وجلى المراحم، وخاصة خلاصة الفضلاء المحققين، والعلماء المدققين، فلطالما تجلّت لك عرائس العلوم اللّدنيّة، وتحلت بفهمك الوقاد أجياد الفوائد العقلية والنقليّة، ولطالما افتخرت بوجودك الأقطار الدمشقيّة، والمواطن الجلّقيّة، حيث طلعت في سماء أهلها بدراً، وسموت بحسن آرائك شرفاً وقدراً، واستطردت خيول أوهامهم بتوفيقك، وفتحت لهم خزائن برك وتحقيقك، وطرزت ثياب خوفهم أمناً، وكسوتهم من فضلك شرفاً وحسناً، لا زالت شموس فضلك ساطعة أنواراً، كاملة أسراراً، ولا برحت قلوب الأنام بوجودك مسرورة، وأقسامهم بجنابك مبرورة، وما انفكت سوابغ النعم عليك وافدة، والسادة منقادة إليك واردة، ومتع الله جميع الأنام بطول بقائك ونور سنائك، إنّه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير، آمين. وبعد فالذي يعرضه العبد الداع ويرقه بقلمه، ويعربه بكلمة، إنّي أحمد الله تعالى إليك ملازم على وظيفة شكرك، مترنّم ببديع مدحك وبريع ذكرك أتذكّر زماناً منحني صفوه، وجذبني نحوه، وأراني صفاء وجهك الأنور، وجبينك الأزهر، فتشتعل بي الأشواق الكامنة، والأفكار الواهنة، حيث قذفتني يد القدرة في لجة البعاد، وأوثقتني بسلاسل العجز عن بلوغ المراد، فلم أظفر بالنعمة الكبرى، وهي النظر إلى وجهك مرة أخرى، فابسط كف السؤال، لمن يعلم الأحوال، واسأله بأشرف أسمائه، وأكرم أنبيائه، أنْ يبلغني ما أتمناه من مشاهدة وجهك الأسنى وما ذلك على الله بعزيز.

أيـا ملـك الحسـن فـي مـوكبـه ... واليُمْـنُ والسعـد فـي كَـوْكَبِـهْ
ويـا قمـر أضـاء فـي مغـربـه ... أمـا فـي البـريـة مـن يَنْتَبِـهْ
يهنـى بـك العـام إذ أنـت بِـهْ
وفقـت المهـا بـالعيـون الكحـال ... ملكـت البهـا إذْ حـويـت الكمـال
وحسنـك أمسـى بـديـع الجمـال ... وإنْ وقعـت شبهـة فـي الهـلال
فـأنـت علـى النـاس لا تشتبِـهْ

وامتدح والدي بهذه القصيدة مؤرخاً فيه العام:

عـامنـا عـام سعيـد ... حيـث وافـى بـالسـرور
مستهـلاً فـي هنـاء ... مقبـلاً فـي كـل خيْـر
دافعـاً إضمـار عـام ... كـان حلفـاً لشـروز
تحمـه نجـم تـراءى ... طـالعـاً فـي محصـن نـوز
فهـو غيـث وغيـاث ... مـع يمـن وحبـوز
بشـرت منـه ليـال ... إنـه خيـر دهـوز
حيـث زاد الخصـب وانـزا ... حـت مطـايـا كـل ضيْـر
قـالـت الأفـراح فيـه ... مـن كبيـر وصغيـز

فهـو عـام الخيـر والإقبـ ـال والـرزق والغـزيـز
شـرحـت فيـه صـدور مـن رؤوس وصـدوز
سيمـا أكـرم شهـم ذو البهـاء المستنيـز
مـن إذا ناديتـه فـي دفـع شـر مستطيـز
قلـت يـا خيـر منـادى بـل ويـا خيـر عشيـز
فـي زمـان ضـاع فيـه كـل مسكيـن فقيـز
يـا علـي القـدر يـا مـن قـام بـالأمـر الخطيـز
يـا مـرادي دون غيـر مـن مليـك وأميـز
أنـت لـي جنـة نصـر خيـر واق ونصيـز
كـل عـام أنـت راق لمقـامـات الأجـوز
كفـك العليـا إذا مـا رحـت أشكـو مـن عسيـز
ونـدى كفـك أزرى لسحـاب وبحـوز
دانـت العليـا ودامـت لقيـام ونشـوز
فـي فنـاك الـرحـب دهـراً وحمـاك المستنيـز
فهـو بـاب لنـوال وغيـاث المستجيـز
دم كمـا تختـار داع لهنـاء وبـروز
لا تخـف غـدر غـدور لا ولا مكـر مكـوز
سيمـا فـي عـام أمـن وأمـان مـن نكيـز
عـامنـا هـذا عطـاء مـن جـدّي الـرب القـديـز
سـاقـه منـا وفضـلاً فيـه جبـر للكسيـز
فلـذا قلـت مشيـراً حيـث وافـى بـالحبـوز
عـامنـا أرخـه بشـرى لهنـاء مـع سـروز

وحين قدم حلب الشهباء الفاضل الأديب الشيخ محمد سعيد البغدادي المعروف بالسويدي، امتدحه المترجم وجرت بينهما محاورات أدبية، منها ما كتب إليه السويدي يعاتبه بقوله:

يـا سيـداً سـاد فـي أفعـالـه البـؤس لمـا غششـت فـإنّ الغـشّ معكـوسُ
قـد قلـت إنّ الـذي نـرجـوه فـي شغـل مـدعـو بـأنـس وهـو داع ومـأنـوس
وعـدتنـي ثـانـي الأيـام إنّـك فـي الحـانـوت منتظـر والـوعـد تنفيـس
فمـذ أتيـت إلـى الحـانـوت مـا نظـرت عينـي سـوى الخلـف والأخـلاف تعكيـس
فسـرت سيـراً حثيثـاً نحـو مقتصـدي فمـا ظفـرت كـان القصـد تـأييـس
فقمـت أسـري إلـى دار ببحـرتهـا عـرش علـى المـاء منـه المـاء تـأسيـس

من حوله جنتا حسن وأحمده أضحى سليمان ملك منه بلقيس
ومذ وقفتُ أناجي فيض رحمته صاح الأوز صياحاً فيه تعبيس
لولا استغاثة ربي كنت مبتلعاً بجوف حوت أوز فيه تغطيس
يا صاحباً صاحب الغش العظيم لقد أورثتني موحشاً ما فيه تأنيس
حبست طبعي ثقيلاً مذ حجبت من الـ ـجنان شخصاً كما أداه إبليس
انصف ولم سوء صنع منك واسع إلى عذرٍ عن الغدر فالتغدير ترجيس

فأجابه المترجم معتذراً ومداعباً ومؤرّخاً بقوله:

أما وحرمة عهد قد جنيت به محبة ما بها والله تدليسُ
وقد أقمت على دعوى فضائلها أدلّة كم لها في الودّ تأسيس
ما كان مني قصور يقتضي سأماً ولا فتور ولا نقص ولا بؤس
ولا تخلّفت عمداً عن جنابك في إنجاز وعدله في الحكم تجنيس
بل كان سهواً وإنّ السهو معذرة كبرى وليس بها شكٌّ وتلبيس
ألا وعلمي يقيناً إنّ مخلفه وغد من الناس منحوس ومنكوس
ومنجز الوعد مستجلى مناقبه فكم حلا فيه تشطير وتخميس
هبني وإنْ قد جرى عمداً فمثلك لا يشينه في مقام الحلم تدنيس
أخا النباهة أجريت العتاب على حكم التّهكم هل أغراك إبليس
أمْ اعتمدت على فهم أراك به خلاف ما هو معقول ومحسوس
لو كنت مصطحباً للغش يلزم أنْ يكون منه ومدحي فيك محبوس
فإنْ عفوت عفونا حيث قابلنا منك الوداد وعم القلب تأنيس
لا زلت تسمو سماء الفضل في نعم وحيثما كنت محروس ومأنوس
ما امتاز ربع غرامي حين أرّخه وبيت صدق مرامي فيك ملموس

ثم كتب اليوسفي المترجم إلى السويدي في مجلس أحد أمجاد حلب ارتجالاً بقوله:

بغداد دار الفضل قد بزغت بها شمس الفضائل في رفيع علاءِ
سمحت بحسن سعودها لسعيدها ولقد أرته محاسن الشهباء
حيث استنار الفضل من إشراقه لما بدا في طالع لألاء
أوَ مَا ترى بقدومه الزاهي انجلت في طالع يزهو على الجوزاء
أهلاً به وبحسن بهجة فضله وبشعره السامي بحسن ذكاء
لا زالت الشهباء من أنواره بالفضل تستجلي أتمّ بهاء
ما اليوسفي بدر نظم قريضه يروي حديث بلاغة الفصحاء

فأجابها السويدي ارتجالاً أيضاً بقوله:

إنّي سعيد حيث نلْت سعادة ... في رؤيتي لمحاسن الشهباءِ
أنعم بها وبأهلها فلقد حوت ... حسناً لناظرها جميل بهاء
جلّت عن التشبيه ألا قولنا ... هي جنة الدنيا ونور الرائي
فالله أحمد حيث بدّل سفرتي ... عن تدمر بمدينة حسناء
فأنا السعيد وباغتنام اليوسفي ... قد صرتُ أسعد إذْ بلغت منائي
من درة في شعره من جوهر ... في نثره متلالىء اللألاء
شكراً لمجلس سيدي عثمان مُذْ ... بجلوسه مستجلب الآلاء
أكرم به وبربه وبصحبه ... درت عليه سحائب النعماء

ثم إنّ المترجم أنشد في مجلس نقيب حلب الكواكبي بقوله:

كواكب الفضل قد لاحت سواطعها ... ونال منها سعيد غاية الأربْ
فأحمد الله أنّي كنت عندهما ... أنزه الطرف في روض من الأدب
فيا لها ساعة قد أسفرت علناً ... عن كل ما تقتضيه بهجة الطرب

فأجابه السويدي وقال:

كواكب المجد في بحبوحة سطعت ... فزيّنت فوق حسن زينة الأدبْ
أنا السعيد لما عاينت نظرتها ... وحسنها اليوسفي بالأنس والطرب
وصرت أسعد مُذْ فخري لمفتخر ... كواكبي حيث عمتني منا الأرب

ومن شعر صاحب الترجمة قوله:

سكرت بعيني من أحب فلم أزل ... مدى الدهر نشواناً وعقلي ذاهلْ
سلوا مدمناً للخمر إنْ كان صادقاً ... تكون إلى الصهباء تلك الفعائل

وقوله:

حجبتك يا قمر السماء غمامة ... لم تدر ميلي للبدور كميلها
فكأنّها لما رأتني مغرماً ... غارت عليك وأخبأتك بذيلها

وهو منتحل من قول الفاضلة عائشة الباعونية الدمشقية:

وصيرت بدر التم مذ غاب مؤنسي ... أنيسي وبدر التم منه قريبْ
فحجبه عني الغمام بذيله ... فواعجباً حتى الغمام رقيب

وللمترجم غير ذلك من الأشعار والمقاطيع والألغاز والمعميات، وما يتعلق بذلك شيء لا يحصى ولا يعد، وكانت وفاته بحلب في صفر سنة أربع وتسعين ومائة وألف، ودفن

خارج أبواب الجنان، أحد أبواب حلب رحمه الله تعالى.

عبدالله البقاعي:

٣٩٨ ـ عبدالله الشافعي البقاعي ثم الدمشقي، الشيخ الفقيه الفاضل الماهر: أخذ العلم بمصر عن أجلّة من الأعلام، ومكث بالأزهر نحو ست سنين، ثم عاد إلى دمشق وقطن في السميساطية، وأقرأ دروس التحفة بالجامع الأموي بكرة النهار، ووعظ على كرسي في الجامع في شهر رمضان نيابة، وأمَّ في جامع المعلق أصالة، وصارت عليه بعض وظائف، وكان مواظباً على التعبّد والتنسّك والمطالعة، وإقراء الدروس، ولا يتردد على الحكام ولا على غيرهم، ولا يخلو من الصلاح وسلامة الصدر، وترك الانهماك في الدنيا، ومرض بالحمّى ومات، وكانت وفاته في الثاني والعشرين من ذي القعدة سنة سبع وعشرين ومائة وألف، ودفن بتربة مرج الدحداح رحمه الله تعالى.

عبدالله أنيس:

٣٩٩ ـ عبدالله الملقب بأنيس، الحنفي الأدرنوي، الكاتب الماهر المشهور، شيخ زاوية المولوية الكائنة بمصر: أخذ الطريق عن الأستاذ رجب المولوي الأدرنوي، والخط عن الكاتب محمد نوري المصري، واشتهر أمره، وحج وأقام بمصر، وصار شيخاً بها في الزاوية المرقومة، وكانت وفاته سنة تسع وخمسين ومائة وألف، قال المصحح: آدم شيخ زاوية غلطة، هو أيضاً مدفون بتكية المولوية بمصر كما هو مذكور في الخلاصة وسفينة المولويين، وأما ما في صحيفة ٩٢ من هذا الجزء الثالث (من هبة العمر) فهي لا تشبه بما وهبوا ليوسف آغا كتخدا الوالدة، لأنّ أحديهما محبّة، والأخرى بيعاً، فانظر بين أهل الحال، وبين أهل القال، انتهى.

عبدالله العجلوني:

٤٠٠ ـ عبدالله العجلوني: أحد الأبدال ظهرت له الكرامات العديدة والآثار الحميدة، حتى قيل إنّه خليفة خاطر الشامي المذكور في طبقات الأولياء، وكان يتردد على الأستاذ البكري مدة سكناه بنابلس، والأستاذ قدّس سره يحب الاجتماع عليه والخلوة به، حتى حكى الأستاذ عنه: إنّه رأى سيدي علي بن عليل يشير إليه بيده إلى صدره، فاستيقظ الأستاذ وأخذ في تأويل ذلك، فدخل الشيخ عبدالله المذكور عليه في تلك الساعة، وكان ابتداء كلامه سبحان الله يا صُحيْبي (تصغير صاحب) تأوّل ذلك على غير مراد السيد، مراده بإشارته عزيمتك لزيارته، فتوجّه الأستاذ للزيارة وهو صحبته، وأحبه المرحوم سليمان باشا الوزير لما ظهر له من الكرامات، وكانت وفاته في حدود الثمانين ومائة وألف رحمه الله تعالى، (نظم منام صالح لشاور في المقريزي).

عبدالله السفاريني:

٤٠١ ـ عبدالله السفاريني[١] الحنبلي، الشهير بابن الحطاب، أحد الأذكياء الفضلاء: قرأ على شيخه محمد السفاريني مدة وافرة، ثم رحل لدمشق واشتغل على الشيخ أحمد المنيني وعادت عليه بركته، ثم رجع وما زال منقطعاً في خدمة شيخه وملازمته، حتى اخترمته المنيّة، وكان نحيف الجسم، ومع ذلك كانت له قوة زائدة على التهجد وقيام الليل وتلاوة القرآن، وله فهم رائق، وشعر رقيق فائق، ومحاضرة لطيفة، تؤذن برتبة بالفضل منيفة، وكانت وفاته سنة سبع وثمانين ومائة وألف، ودفن بنابلس رحمه الله تعالى.

عبدالله المدرس:

٤٠٢ ـ عبدالله المدرس الموصلي شيخ الموصل بلا مدافع ولا ممانع، الشيخ الفاضل العامل: ولد في حدود سنة ستين وألف واشتغل بطلب العلم حتى صار آية من آيات الله بالعلم والعمل، وأخذ عنه أكثر علماء الموصل، كالمولى السيد موسى، والسيد يحيى المفتي، والسيد حمد الجوميلي وغيرهم، وفضله أشهر من أنْ يذكر، وكان متحاشياً عن معاشرة الحكام ومجانباً للظلّام، (ما مقصوده من لفظ للظلام هل أراد الظلمة جمع الظالم) مستجاب الدعوة، مكباً على التدريس خصوصاً الفقه والحديث والتفسير، لا يعتني بزخارف الحكماء، ودخل لدار السلطنة العليّة، ثم رجع وحج إلى بيت الله الحرام سنة سبع وأربعين ومائة وألف، وترجمه صاحب الروض وقال في حقّه: أحد الفحول، المعوّل عليه في الفروع والأصول، ورع الزمان عمان المعارف والإذعان، ذو الفنون الغريبة، والآثار المطربة العجيبة، الداخل بيوت البلاغة من أبوابها، والواصل معالم الفصاحة من رحابها، تسلق إلى طرق المعارف وسلكها، والتقط درر فرائد المعالي وسلكها، وعرف طرق الكمال فدخلها وجاز، وساغت له حقيقة الفضل والمجاز، انتهى.

وترجمه محمد أمين الموصلي أيضاً وقال: أحد أركان العلوم، ووحيد الوقت بطريق المنطوق والمفهوم، عالم هذه الأماكن، ونحرير هذه المساكن، قدوة أقرانه، علامة زمانه، قامع الجهل بفضله، قاشع الأشكال بفكره وفهمه، طرز حلل العلماء بفضائله وعلمه، وفتق نور الأدب بنسمات شمائله، حرست سماه مجده إذْ رجمت شياطين المعضلات بشرر أفكاره، وانجلت ظلمات البلادة بما أفاض على المستفيد من أنواره، وتضعضعت أركان الجهالة بما ألقى عليها من مناكب أنظاره، ومن لطيف آثاره، هذه المنظومة في الأشكال الأربعة وهي قوله:

حمـــداً لـــرب عـــالـــم جليـــل ... علّمنـــا طـــريقـــة التعليـــلْ

---

(١) سَفَارِ: اسم معدول عن مسافر، وهو منهل قبل ذي قار بين البصرة والمدينة، وقيل سفار بلد بالبحرين. معجم البلدان ٣/ ٢٥٢.

ثـم صـلاة وسـلامـاً كمّـلا　　على الـذي فـوق السمـوات عـلا
وآلـه وصحبـه ذوي الهـدى　　مـؤيّـدي الحـق ومهلكـي الـرّدى
وبعـده فـاعلـم مـريـد العلـم　　وبـاعثـي لنظـم هـذا النظـمْ
وسـائلـي ضـابطـة الاشكـال　　منظـومـة مـزيلـة الاشكـال
جـامعـة الشـروط والضـروب　　مـا بـه تـولّـد المطلـوبْ
فـاجـزم بـأنّ الأوسـط المكـررا　　فـي جـزئـي القيـاس يـا مـن أزهـرا
إنْ جـاءت الصغـرى وفيهـا بحمـل　　والعكـس فـي الكبـرى فـذاك الأوّل
وإن تجـده فيهمـا محمـولاً　　فـذلـك الثـانـي بلغـت السـؤلا
وإن تجـده فيهمـا مـوضـوعـاً　　فقـد وجـدت الثـالـث المصنـوعـا
وإن وجـدتـه بعكـس الأول　　فـذلـك الـرابـع فـاحفـظ تكمـلْ
والشـرط فـي الأول لـلإنتـاج　　أنْ تـوجـب الصغـرى لـلاحتجـاجْ
كـذاك فعليتهـا يـا مـن درى　　فاحفظ ودع سوء الجدال والمرا
والشـرط فـي الكبـرى مـن الكميـة　　فـي كـل حـال جعلهـا كليـة

وهي طويلة اختصرتها خوف الإطالة، وله غير ذلك من الأشعار، وكانت وفاته سنة تسع وخمسين ومائة وألف، ودفن بالموصل رحمه الله تعالى وأموات المسلمين أجمعين.

عبد اللطيف المكتبي:

٤٠٣ ـ عبد اللطيف بن أحمد بن علي، المعروف بالمكتبي، الشافعي الدمشقي نزيل مصر، الشيخ الإمام النحرير المعتقد الشهير: كان محققاً علاّمة فاضلاً، له اليد الطولى في العلوم، لا سيما في الحساب والفلك والهيئة والتقويمات، انفرد بهذه العلوم وكان بها إماماً، وكان مأنوساً فصيح اللسان، وجيهاً ظريفاً عشوراً، له مطارحة لطيفة ومذاكرة أنيسة، ولد بدمشق ونشأ بها مشتغلاً بطلب العلوم إلى سنة خمس وعشرين، ففيها رحل إلى مصر ثم عاد لدمشق واستقام سنة واحدة، وعاد إلى مصر واستقام بها إلى أنْ مات، وقرأ وأخذ بها العلوم عن مشايخها الجهابذة، ودرس وأفاد للطالبين وانتفع به، واشتهر فضله وعلا صيته، وصار شيخ رواق الشام بالجامع الأزهر (الجامع الأزهر فيه الأروقة يقال: رواق الصعايدة، رواق اليمنية، رواق الأتراك، رواق الشوام، رواق المغاربة، حتى فيه رواق العميان)، مدة من السنين، وشاع ذكره في الديار المصرية، ثم ترك ذلك ولزم داره وأسدل شعره، ولازم في كل سنة الذهاب إلى الحج، ويصير شيخ الركب المصري مع أي أمير خرج محافظاً للحج، ولازم ذلك حتى نال الوفاة بجبل عرفات، وكان معتقداً ملازماً للديانة والعبادة والصلاح، وكانت وفاته في سنة اثنين وستين ومائة وألف، ودفن بجبل عرفات نهار عرفة، وقبره معروف هناك رحمه الله تعالى.

السيد عبد اللطيف الكوراني:

٤٠٤ ـ السيد عبد اللطيف بن أحمد، المعروف بالكوراني، الحنفي الحلبي الشريف لأمّه الفاضل الأديب البارع النبيه الكامل: كان من محاسن الأدباء وظرفاء الأفاضل النبهاء، ذو صون من الوقار مغضوض، وطرف من الحياء مخفوض، جميل الصفات والأفعال، مسدد الآراء والأقوال، ولد بحلب وبها نشأ، وقرأ على أفاضلها كالمولى أبي السعود بن أحمد الكواكبي المفتي، والعالم الشيخ حسن التفتازاني وغيرهما، وظهر أدبه، ونظم ونثر ومهر بالعلم والفنون، وكانت له اليد الطولى على أحبابه، ووالده كان رئيس كتاب المحكمة الكبرى بحلب لدى قاضي قضاتها، واستقام بذلك مدة سنين مديدة، ثم تولّى إفتاء الحنفية بحلب، وكان فاضلاً فقيهاً، وولده المترجم أولاً تعانى الكتابة في المحكمة، ثم صار ايكنجي[1] رئيس الكتاب أيضاً، فلم يتعاط أمور الكتابة في المحكمة، ولزم الانزوا، والعبادة، وكان شاعراً، وشعره حسن مطبوع، ومن شعره ما كتبه جواباً عن قصيدة أرسلها إليه الشيخ قاسم البكرجي الحلبي وهي قوله:

جاءت تميس بقدّ دونه اللدن ... حوراء ما حلّ جفني بعدها الوَسَنُ
مهضومة الكشح عبل الردف ناعمة ... ومن سنا وجنتيها الشمس ترتهن
حوراء تختلس الأرواح طلعتها ... لها بكل فؤاد للورى سكن
ترمي لواحظها عن قوس حاجبها ... نبلاً تصون اللّمى والقلب مفتتن
جلت عليّ كؤوساً مراشفها ... وبددت نظم درٍّ كان يكتمن
وسرت القلب إذ أبدت مسائلة ... وخاطبتني فزال الهمّ والحزن
فهل حكت ظبية الوادي شمائلها ... كلا ولا اطلعت صَنْعَا ولا عَدنُ
مليكة الحسن قد عمت محاسنها ... كفضل مولاي ذاك الجهبذ اللّسن
طود الحجى قاسم من قد سما وعلا ... به على سائر الأزمان ذا الزمن
حلاّل كلّ عويص في مباحثه ... مهذّب الفهم إلا أنه فطن
لا عيب فيه سوى باهي مكارمه ... وحسن أخلاقه بالعلم يقترن
من رام شأو علاه ظلّ ينشدنا ... تجري الرياح بما لا تشتهي السفن
يا روضة الأدب الغض النضير ويا ... من نظمه درر لم يخصها ثمن
أتت إلى عقود أنت صائغها ... قد رصعتها يد ما شابها وهن
من كل معنى بديع راق مبتكر ... عرائساً يعتري حسّادها ضغن
وقد أجبت لعالي الأمر ممتثلاً ... لكنني في القوافي بأقل لكن
خذها إليك تجر الذيل من خجل ... وخشية في خلال الطرس تكتمن

---

(١) ثاني يرينه ايكنجي ديمسي يا أخي هو برنجي أو نباشي أيكنجي بلوك في اوچنجي أورته بطرف مبروك آغا يوزباشي دردنجي آلاي ديمك كبيدر.

ولا برحت مدى الأيام مبتكراً معاينا دونها العقبان تمتهن
ودم بعز قرير العين مبتهجاً بفضلك الدهر والأحباب والوطن
ما لاح برق وما هبّ النسيم وما سقى الرياض شابيب الحيا الدجن

وقصيدة الشيخ البكرجي المذكور هي قوله:

أبعْدَ سلمى يطيب العيش والوطن وهل يعود لصبّ ذلك الزمنُ
والجفنُ يهمى بدمع من سما مقل فسل محاجرها هل زارها الوسن
آهاً لأيام وصل لو تعاد لنا بذلت روحي لها لو أنّه الثمن
أيام كان حبي فيه طوع يدي والعيش صاف ونجم السعد مقترن
وبيننا ما إذا فهنا به وبدا إلى العذول علاه الهم والحزن
فيا له زمناً كان الشباب به في عنفوان الصبا والقلب مرتهن
بأهيف لو تبدى غصن قامته تطاير القلب لا يبقى له شجن
وقوس حاجبه المعوج كم رشقت من لحظه أسهماً قامت به فتن
ما سحر هاروت سحر عند مقلته كم غازلت وغزتنا وهي تكتمن
وثغره قد حوى دراً بمبسمه وعند رشف لماه الشهد يمتهن
وخاله عمه حسناً وزاد به لولاه كافور جيد منه لا يصن
والخصر منه دقيق دقّ في نظري كفهم مولاي ذاك العارف الفطن
عبد اللطيف الذي باللّطف منجيل[1] عن درك أوصافه قد قصر اللّسن
السيد الكامل ابن الكامل ابن ذوي الـ أفضال والعلم ندب وصفه حسن
من آل كوران بيت المجد نسل تقي فرع الكرام زكيّ الأصل مؤتمن
خدن السداد ومقدام الرشاد كذا أبو المعالي الذي أثرى به الزمن
بالعلم الفضل سدتم في زمانكم وتحسد العين في رؤياكم الأذن
قس بن ساعدة تلقاه باقلاً إذ ينشي الرسائل في بحث ويمتحن
سحبان يسحب ذيل الفضل منه حياً وامرؤ القيس في أشعاره غبن
يا ماجداً قد حوى في المجد منزلة ومن حوى رتبة لم يحوها فطن
وافاك ناظمها الغرّ الذي حكمت عليه ضيق القوافي أنه الجبن
وإن تكن قصرت في مدح سيدها لكن بمدحك منها طابت اللّسن
شنف مسامعنا من درّ بحرك إذ لا غرو فالدّر في الأبحار مكتمن
واسلم ودم وابق يا غوث الزمان لنا على مدى الدّهر لا يزري بك الزمن

وللمترجم أيضاً:

كأنَّ ذا الدهر روض ورد جناه من قبلنا خصيباً

(١) المنجيل: من الانجيال، فالمنجيل المختار والجائل من معانيه.

ونحـــن جئنـــا لنجتنيـــه فــراعنــا شــوكــه جـديبـا

وفي ذلك للشيخ قاسم البكرجي المذكور:

قـد اجتلـى الـدهـر أنـاس مضـوا مــن قبلنــا كــالبـدر فــي تمّــهْ
ثــم اجتــلاه بعــدهـــم فتيّــة مثـل هــلال الشـك فــي رسمـه
ونحـــن لـــم نلـــق هـــلالاً ولا بـدراً ســوى الأكـدار مـن غمّـهْ

وفي ذلك للأديب مصطفى بن محمد الحلبي المعروف بالبيري:

لقــد وردوا مــن قبلنــا ورد دهــرنــا نميــراً بــأنفــاس النسيــم مبــردا
وقــد وردوا مــن بعــدهــم منــه آجنـا يعـاف مسـاغـاً حيـن بـالحمـاة ارتـدى
ونحـــن وردنـــاه ســـرابـــاً بقيعـــة يغـرّك مـرأى وهـو لا ينقـع الصـدى

والأصل فيه قول المتنبي:

أتــى الـزمـان بنـوه فـي شبيبتـه فســرّهــم وأتينــاه علــى هــرم

وذيله الأديب السيد حسين بن كمال الدين الأبزر الحلي فقال:

وهـم علـى كـل حـال أدركـوا هـرمـاً ونحــن جئنــاه بعــد المــوت والعــدمِ

ومن ذلك قول ابن السماح:

صفـا الـدهـر مـن قبلـي ودرديـه أتـى فلم يصف لي مذ جئت بعدهم عمرُ
فجـاؤوا إلـى الـدنيـا وعصـرهـم مضـى وجئـت وعصـري مـن تـأخّـره عصـر

وقال أبو جعفر المحدث:

لقــي النــاس قبلنــا غــرّة الـدهـ ــر ولـم نلـق منـه إلا الـذنـابـي

وقال المعرّي:

تمتــع أبكــار الــزمــان بــأيــده وجئنا بوهن بعدما خرّف الدهرُ
فليـت الفتـى كـالبـدر جـدّد عمـره يعـود هـلالاً كلمـا فنـي الشهـر

وقال الآخر:

كــأنمــا الــدهــر مــاء كــان وارده أهـل العصـور ومـا أبقـوا سـوى العكـرِ

وذكر الجاحظ الحجازي في المسهب: أنه سأل عمّه أبا محمد بن إبراهيم عن أفضل من لقي من الأجواد في عهد ملوك الأندلس؟ فقال: يا ابن أخي لم يقدّر أن يقضي لي وطر وهم في شباب أمرهم، وعنفوان رغبتهم في المكارم، ولكن اجتمعت بهم وأمرهم قد هرم، وساءت بتغير الأحوال ظنونهم، وملوا الشكر وضجوا من المروءة وشغلتهم المحن والفتن،

فلم يبق فيهم فضل للأفضال، وكانوا كما قال أبو الطيب: أتى الزمان إلخ، وإنْ يكن أتاه على الهرم فإنّا أتيناه وهو في سياق الموت، ومع هذا فإنّ الوزير أبا بكر بن عبد العزيز كان يحمل نفسه ما لا يحمله الزمان، ويبسم في موضع القطوب فيظهر الرضا في حال الغضب، ويجهد أن لا ينصرف عنه أحد غير راض، فإنْ لم يستطع الفعل عوض عنه القول، قلت له فالمعتمد ابن عباد كيف رأيته؟ قال: قصدته وهو مع أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين في غزوته للنصارى فرفعت له قصيدة منها:

يا ليت شعري ماذا يرتضيه لمن ناداه يا موئلي في جحفل النادي

فلما انتهيت إلى هذا البيت، قال: أما ما أرتضيه لك فلستُ أقدر في هذا الوقت عليه، ولكن خُذْ ما ارتضى لك الزمان، وأمر خادماً له فأعطاني ما أعيش في فائدته إلى الآن، قال: فانصرفت به إلى المرية، وكان بها سكناه والتجاؤه بها، لكونها مينا لمراكب التجار من مسلم وكافر، قال: فكان إبقاء ماء وجهي على يديه، انتهى.

ولصاحب الترجمة الكوراني أشعار غير ذلك ما ذكرناها، وبالجملة فقد كان من الأدباء المشاهير أهل الكمال والعرض، وكانت وفاته في سنة خمسين ومائة وألف، ودفن بحلب في خارج باب المقام بمقابر الصالحين، وسبب ذلك أنه طولب بدين كان عليه بعنف، وكان يتّهم بالثروة مع أنّه صفر اليدين، ولكن نفسه تأبى الشكوى والتظاهر بذلك، ولما مات لم تف تركته بالدّين فبيع منزله في ذلك رحمه الله تعالى.

عبد اللطيف:

٤٠٥ ـ عبد اللطيف بن حسام الدين الحلبي الخلوتي نزيل دمشق، الشيخ الأستاذ المرشد المسلك العارف الكامل الأوحد الناسك: كان في طريق القوم ممن اشتهر وساد، مولده حلب، وخرج منها وسافر وطاف، وأخذ عن الأستاذ شيخه مصطفى الأدرنوي في مصر القاهرة سنة ثلاث ومائة وألف، وأقام عنده في جامع الجلّاد أربعة أعوام، واختلى به خلوات عديدة، وكانت إمداداتها وافرة جديدة، وهو أخذ عن شيخه الأستاذ المربي الأكمل علي المعروف بقره باش في مدينة أدرنة، ولهذا الأستاذ مؤلفات عديدة، ورسائل في الألسن الثلاثة مفيدة، وانتقل عن خلفاء وتلاميذ لا يحصون كثرة، وسنده معلوم عند الخاص لا العموم، ولصاحب الترجمة فضل وحصل على ما حصل، وهو شيخ ومربّي ومرشد الأستاذ العارف مصطفى الصديقي الدمشقي، لأنه أخذ عنه وتلمذ له، وقد ترجمه المذكور بكتاب حافل رتّبه على أبواب، وذكر ما اشتمل عليه صاحب الترجمة، وقد طالعته ورأيت للمترجم مقاماً عالياً وأطواراً وأحوالاً حسبما وجدته منقولاً في الكتاب المذكور، يدل ذلك على علو مقدار المترجم وشأنه، حتى إنَّ الأستاذ الصديقي المذكور سمعه مرة يقول: الجنيد لم يظفر طول عمره إلاّ بصاحب ونصف، فقال له الصديقي: وكم ظفرتم أنتم بمن يوصف بالتمام؟ فقال له: أنت إنْ شاء الله تعالى، وببركة أنفاسه عليه ظهر الصديقي للوجود، وصار من

أرباب الوجدان والشهود، وستأتي ترجمته بمحلها، وكانت وفاة المترجم بدمشق في أوّل رجب سنة إحدى وعشرين ومائة وألف، ودفن بتربة مرج الدحداح رحمه الله تعالى.

عبد اللطيف:

٤٠٦ ـ **عبد اللطيف بن عبد الحق، الشهير بالمغربي، الحنفي الطرابلسي، الشيخ الفاضل الفقيه الشهير**: كان هو وأخوه الشيخ محمد صنوي مجد وإتقان في فقه أبي حنيفة رضي الله عنه، تولّى كل منهم خدمة الشرع الشريف مع نصح وعفّة، وتحمل أثقال بلا كلفة، وأخذ كل منهما العلم مع تدبر كتبه ودراية نقله، وكان الشيخ محمد يلقّب بقارىء الدرر، لما أنه مهر في أبحاثها، والمترجم كان يدعى بزُفَر لاشتهاره بالفقه، وقد توفي الشيخ محمد في سنة أربعين ومائة وألف، وصاحب الترجمة بعده في سنة ثلاث وأربعين رحمه الله تعالى وأموات المسلمين.

عبد اللطيف:

٤٠٧ ـ **عبد اللطيف بن عبد الرحمن الشافعي العشاري البغدادي، نزيل طرابلس الشام، الشيخ الفاضل الصالح العالم العامل**: له فضيلة في غالب الفنون الشرعية وغيرها، لم يجنح في عمره لرفاهية، دأبه الإفادة والاستفادة، مثابر على التهجد والجماعة في صلواته، لم يعهد له خصلة ذميمة، قرأ في بغداد على الشيخ محمد بن مفرج البغدادي، والشيخ عبدالله السويدي البغدادي، وكان يستقيم ببغداد في المدرسة العمرية والمدرسة الزهيدية، ثم ارتحل إلى طرابلس واستقام بها إلى أنْ مات، وكان عارض بعض أهل الجذب، فأوعده وآذنه بالحرب، فجرح من ليلته بيده عند أخذه الموسى لعانته، وكان ذلك سبباً لموته وذريعة لتوبته، وكانت وفاته في سنة خمس وثمانين ومائة وألف، والعشاري: نسبة إلى عشارة قرية من قرى الموصل رحمه الله تعالى.

السيد عبد اللطيف:

٤٠٨ ـ **السيد عبد اللطيف بن عبدالله بن عبد اللطيف بن عبد القادر الحنفي القدسي، نقيب القدس، وشيخ الحرم بها ورئيسها، وعين أعيانها، السيد الشريف الجوّاد الممدوح الكامل السخي المعتبر، الشهير، اللطيف صاحب الفخر الأثيل، والمجد العريق الجميل**: كان أحد من تفرد بوقته بالجود والكرم، حسن الأخلاق، مهاباً رفيع القدر، سليم النفس، طيب الأعراق، زاكي الخصال، ذا بشاشة وفيّة، محباً للفقراء والضيفان، مسدي المعروف لأهله والإحسان، ولد في سنة خمس عشرة ومائة وألف، ونشأ في السيادة رافلاً، وفي السعادة راتعاً، وأسفر صبح معاليه، وطابت أيامه ولياليه، وتولى منصب نقابة الأشراف ومشيخة الحرم الشريف، واستبد مشيداً أركانه، ومؤطراً للواردين من الإكرام بنيانه، واشتهر وذاع، وملأ صيته الأفواه والأسماع، وأقبلت عليه من كل ناحية الورّاد، ووفدت إليه من كل

بقعة غرائب العباد، وهو يوسعهم إقبالاً وتبجيلاً، ويزيدهم مكرمة وتفضيلاً، وكان يتقدم لخدمة الضيوف بنفسه وأولاده، ويقابلهم بوجه ضحوك، ويعظم الضعيف قبل الشريف، ولما قدر الله تعالى على الحجاج ما قدر من نهبهم، وما جرى عليهم في زمن الوزير حسين باشا بن مكي الغزي، وردت الحجاج من كل فج إليه مشلحين بلا زاد ولا رداء أفواجاً وأفراداً، فكان يتلقاهم بصدر رحيب، ويوسع لهم الحباء ويمنحهم التقريب، وهو يكسو العاري، ويطعم الجائع، وأرفدهم بذلك بمزيد الاجتهاد من الإكرام، وكان نزيل ساحته ومسافره إذ ذاك الفاضل الأديب الشيخ محمد أبا النصر الطرابلسي، فقال يمدحه حاكياً هذه القصيدة بقوله:

بشـراك بـالإسعـاف والإسعـاد ... العـز والإقبـال والإمـدادِ
يـا سيـداً قـد حـاز كـل فضيلـة ... يـا كـوكبـاً لـذوي الحـوائـج هـادي
مـولاي بـل مـولـى الأنـام لطـائفـاً ... أحـرزتهـا مـن غيـر مـا ميعـاد
قـد قمـت لله العلـيّ جـلالـه ... حـق القيـام علـى مـدى الآمـاد
ومنحـت وفـد الله خيـر منـائـح ... وحبـوتهـم وشفيـت غلّـة صـادي
ورحمـت رغبتهـم بـأنـس زائـد ... وأزلـت عنهـم وحشـة الأبعـاد
وأنلتهـم لأجـل مـا قـد أملـوا ... فـأغنتهـم يـا مـأمـل القصّـاد
فغـدوا وكـلّ شـاكـر لـك حـامـد ... مثْـنٍ عليـك وقـد منحـت أيـادي
لكـم لقـد رفعـوا أكفّـاً بـالـدعـا ... يـا ربنـا كـن عـونـه يـا هـادي
وأعِـذْه يـا ربّـاه مـن شـر العـدا ... واكفـه شـرارَ الخلـق والحسّـاد
فـاشكـر علـى مـا قـد رزقـت مـن العطـا ... فـالشكـر للنعمـاء أفضـل زاد
واعلـم بـأنـك قـد بلغـت مطـالبـاً ... مـن غيـر مـا عـزم ولا استعـداد
فـابشـر وطـب واهنـأ بعـز شـامـخ ... لا زلـت تمنـح غـاديـاً مـع بـادي
وأرق العلـى أبـداً علـى رغـم العـدا ... مـع سـائـر الأحبـاب والأولاد
مـا غـرّدت قمـريـة فـي دوحهـا ... تشـدو فتطـرب رائحـاً مـع غـادي

وامتدح بقصائد وأبيات كثيرة، وممن امتدحه الشيخ سعيد بن محمد السمان الدمشقي، فقال من قصيدة يهنّئه فيها بزفاف ولديه ومطلعها:

إنّ المعـالـي والسيـادة والمنـن ... والمجـد والإجـلال والخلـق الحسنْ
نيطـت بـآل البيـت مـن سـادوا الـورى ... شـرفـاً وشـادوا فـي العلـى أقـوى سنـن
وتملكـوا الأعنـاق بـالجـود الـذي ... يـزري بـودق السـاريـات إذا هتـن
وسمـوا السمـاك بـلا مـدان وارتـدوا ... أزر التقـى وتقلّـدوا سيـف الفطـن
وتمنّعـوا عمـا يشيـن وأوسعـوا ... بشـرى لمـن فـي ظـل جـاههـم قطـن
وبجـدهـم نـالـوا الفخـار ومـا ارتضـوا ... زهـر النجـوم بـأنْ تكـون لهـم سكـن

فهـم الأولـى لا شـك نستسقـي بهـم | غيـث الغمـام إذا بنـا ضـاق العطـن
ويجبهـم نـرجـو مقـامـات العـلا | وبجاههـم نبغـي الخـلاص مـن الإحَـنْ
قـوم نـراهـم مـا جـرى ذكـراهـم | فـي محفـل إلا بـه افتخـر الـزمـن
فهـم النجـوم المهتـدى بضيـائهـا | إن عمّـت البلـوى وأزعجـت الفتـن
لا سيّمـا رب المكـارم والنـدى | ورئيسهـم مـن قـد حـوى الإجـلال عـن
مـن حـاتـم عنـد انسيـاب أكفّـه | هـو مـادر بـل بـالنـدى هيهـات أن
فـرد الـزمـان وتـاج مفـرق عـزه | والـدافـع الجـلاء والمـولـى المنـن
ومـن استعـار الغيـث فضـل نـوالـه | إذ رام يهمـى والسحـاب إذا ارجحـن
وحـوى المحـامـد واستبـدّ بجمعهـا | وعـن العيـون بكسبهـا زاوي الـوسـن
ورقـى معـاريـج الكمـالات التـي | مـن رامهـا قـالـوا لـه أنـت ابـن مَـنْ
لا عيـب فيـه غيـر أن نـزيلـه | ينسـى بـه ذكـر الأحبـة والـوطـن
فكـأنمـا كفـاه لـم تخلـق سـوى | لصنـائـع المعـروف سـراً أو علـن
فهـو الهمـام ابـن الهمـام المـرتجـى | وهـو الشـريـف ابـن الإمـام المـؤتمـن

وامتدحه غيره من دمشق وغالب الأطراف، وورد دمشق وتكرر منه الورود، وأقبلت عليه أهاليها ورؤساؤها وصدورها وعلماؤها، سيما والدي فإنه كان يجله ويحترمه، ويودّه ويعظمه، وبينهما مودة ومصافاً، وارتحل للديار الرومية، ولم يزل في القدس صدرها الذي عليه مدار رحاها، والمطمح الذي لذوي الحاجات والوراد نيل رجاها، إلى زمن الوزير عثمان باشا والي دمشق وأمير الحاج، فلعدم امتزاج أهالي تلك النواحي مع الوزير المذكور حصل له من طرفه صدع اضمحل به عزه، وأراد هتكه وإهانته، وأوقع أهل الفساد بينهما من المشاحنات ما أدى إلى البغض والعداوة، حتى إنه نبّه عليه أنْ يلزم داره ولا يتعاطى سوى أمور النقابة، ولم يزل على ذلك حتى عرّض بالنقابة لولده السيد عبدالله، واستقام على حالته الحسنة، ولم يتغير عن كرمه وترجيه وإسعافه الورّاد والقصّاد، وعن طريقته في ذلك، ولم يزل رئيساً معتبراً إلى أن مات، وكانت وفاته في يوم الأربعاء ثاني شهر ذي القعدة سنة ثمان وثمانين ومائة وألف، وسيأتي ذكر والده رحمه الله تعالى.

عبد اللطيف الزوائدي:

٤٠٩ ـ عبد اللطيف بن عبد القادر الزوائدي الشافعي الحلبي، خطيب جامع الخسروية بحلب: كان ملازماً خدمة العلاّمة صدر حلب أحمد الكواكبي[1]، ولما ولي قضاء طرابلس الشام أخذه صحبته وجعله قساماً، فأساء السيرة، فعزله، فقدم حلب ولازم خدمة والده

(١) قوله الكواكبي: بهامش الأصل يقال: ذهبوا تحت كل كوكب، أي تفرّقوا، والكوكب المسمار، ويقال في النسبة إليه: الكواكبي.

العالم المولى أبي السعود الكواكبي، فلما صار مفتياً جعله أمين الفتوى شركة مع الشيخ إبراهيم البخشي، وكان حفظ القرآن أولاً على الشيخ عامر المصري نزيل الحلاوية، وقرأ التفسير على الكواكبي أحمد المذكور، والفقه على الشيخ مصطفى الحفسرجاوي، والعربية والصرف على الشيخ سليمان النحوي، وكان فقيهاً حافظاً ذا صوت حسن شجي، خطاطاً، وقلَّ أنْ تجتمع هذه المحاسن في عالم، وكان أبوه عامياً فقيراً صباغاً، نشأ المترجم في الفقر الحالك المهلك، وكان يحث مخاديم أصحابه على اكتساب الكمالات، ويخبرهم عن نفسه أنّه كان فقيراً جداً لا يملك شيئاً، وإنّه من احتياجه لا تصل يده إلى شراء ورق لتعلم الكتابة، فكان يأخذ ألواح الغنم من عند القصّاب ويفركها بالرماد لتزول الزهومة منها، ويكتب عليها، ويأخذ أوراق البن فيلصقها ويصقلها ويتعلم الكتابة بها، فحسن خطّه وصار ينسخ بالأجرة، ويأخذ على الكرّاس الربعي قرشاً لجودة خطه واتساق سطوره، فانتعش حاله، ثم ارتحل من محلته إلى محلة باحسينا، وسكن في جوار بقية الكرام الشيخ أحمد العلبي، فاعتنى به وأسكنه داراً من دوره، وزوّجه، ثم انحلت خطابة الفرمانية فوجهها إليه مع الإمامة، لكون تولية جامع الفرمانية مشروطة على بني العلبي، واستقام حاله وقطن في حجرة داخل الجامع المذكور يقرىء وينسخ، ولازم صحبة العلبي المذكور، وصار لا يكاد أن يفارقه، فإنّ المترجم كان خفيف الروح، دمْث الأخلاق مزاحاً، صغير الجثة جداً، بحيث إنّه كان إذا وقف في المنبر لا يرى منه سوى العمامة، فاستقام بجوار المذكور إلى أنْ مات، فارتحل المترجم إلى محلته الأصلية، ثم انحلت خطابة الخسروية فوجهها له العلامة أبو السعود الكواكبي المذكور آنفاً، وكان له المعرفة التامّة في الوعظ مع جهارة الصوت، وكان يعظ في جامع قسطل الحرامي، وكانت له بقعة تدريس في الجامع الأموي بحلب، وكانت وفاته في أوائل سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف، ، فجأة بالقرب من باب النصر بحلب، سقط عن ظهر البغلة ميّتاً، ودفن بمقبرة جب النور بمحلة الشريعتلي رحمه الله تعالى. (شريعتلي، محله سي أوله جق).

عبد اللطيف الأطاسي:

٤١٠ ـ عبد اللطيف بن علي، المعروف كأسلافه بالأطاسي، الحنفي الحمصي: كان أحد الأفاضل الأدباء المتفوقين، حصّل في الأدب رتبة ونالها، وكان له من العلم القِدح المعلّى(١)، ومع ذلك يجنح إلى فنون أخر وعلوم، كالكيمياء والأوفاق وغير ذلك من الفنون الغريبة، ويتعاطى ذلك، وكانت له القصائد الفرائد والأشعار الحسنة، فمما وصلني من شعره قوله من قصيدة امتدح بها شيخ الإسلام مفتي الدولة بشمقجي زاده المولى السيد عبدالله حين عوده من الحج ومطلعها:

---

(١) قوله القدح المعلّى: بهامش الأصل القِدح بكسر القاف وإسكان الدال السهم، والمعلى كمعظم ضرب من ضروب القداح.

عبدالله أفندي سلفه محمد أفندي وخلفه أبو الخير أحمد أفندي
قد عادت الشمس تشريفاً إلى الحمل والسعد أقبل يسعى بالغ الأمل
وطلعة البدر ذات في علاه سنا والنجم في أفقه قد عاد في وجل
يودّ أنْ لو هوى يحظى ببغيته يقبّل الأرض مع أيد على عجل
وظبية السرب مرعاها فؤاد فتى أيدي الغرام به أودت ولم يمل
حليف وجد دهته أعين نجل مع ضعفها عجباً من أعين نجل
تزري بذي اللّب حتى لا يكاد يرى سقماً وتقتل في غنج وفي كحل
وذا الغزل الذي يفترّ عن شنب وعن أفاح وعن درّ وعن عسل
حكمته فجنى جوراً عليّ قلى وأحكم الطعن في أحشائي مع عللي
من منقذي يا لقومي من جفا رشا حلو الشمائل يحكي الغصن بالميل
سوى الإمام الذي شاعت فضائله في كل ناد وأحيا العلم بالعمل
صدر الشريعة كنز الفضل بحر هدى حاوي المفاخر مطفي ربقة الدخل
وجيز آياته عند البسيط لها كشف لأسرار ذي غمز وذي جذل(١)
هو الهمام الذي إنْ راحتاه همت تغني بسح نداها بائس المحل
هو الجوّاد الذي يسمو بهمته على السها والسما والنجم مع زحل
أضحت ذكاء لما قد حاز من شرف ومن فخار ومن مجد ومن نحل
ترنو إليه اغتباطاً وهي طامعة في أنْ تلازم جدوى بابه النهل
أقام للدين شأناً بعدما درست آثاره وهوى في قالب خمل
فاشتاقه البيت ناداه أجاب بلى وسار شوقاً لخير لخلق والرسل
وآب في دعة والسعد يقدمه واليمن يخدمه والطول مع طول
وأصبحت جنبات الكون مشرقة تثني وتحمد شكراً ربها الأزلي
حيث السلامة حفّت مع ملائكة لشيخ الإسلام عبدالله ابن علي
بحر النوال وبر الجود من برزت جدواه تمنح عاف قاصد النحل
ما أم أعتابه ذو حاجة وله إلاّ وبدله لطفاً من الخبل
وقد رجاك إمام الفضل ذو أمل كسير قلب فاجبر بالرجا خللي

وله من قصيدة ممتدحاً بها بعض مشايخ الإسلام في الدولة ومطلعها:

جاءت تميس تثني عطفها تيهاً لما بأسرارها تمت معانيها
وأظهرت عجباً لما لها حسدت قضب الربا وتزاهت في تجليها

---

(١) قوله ذي غمز وذي جذل: كذا بالأصل ولم يظهر معناه، ولعله محرف عن رمز وجدل بالراء في الأول والدال في الثاني. اهـ مصححه.

تخشى المحاق على الأقمار إنْ سفرت ... وتكسف الشمس إنْ وافت تحاكيها
ريم رمت بفؤادي من لواحظها ... سهم المنية مذ وافى يحييها
وأثملتني لما أنّها اتخذت ... تعاطي الكأس ممزوجاً بما فيها
كم عاقرت مغرماً فيه وكم فتنت ... خوداً وكم أسرت أسداً بناديها
رعبوبة من بني الأتراك غانية ... فلا يغرنّك فيها قول شانيها
بديعة الحسن إنْ أبدت غرائبه ... تسبي الأنام ولم يظهر تجنيها
لها احتكام عجيب في صناعتها ... تبدي التّسلي وفرط الشوق يسليها
ومُذْ توهّمت روض الخدِّ مفتكراً ... فأثّر الوهم من قلبي بخدّيها
وكنت أجني لورد الخدِّ ملتمحاً ... فسابقتني سيوف اللَّحظ نحميها
وقاسمتني دوام الودّ قلت لها ... مواعد الغيد لم يبلغ أقاصيها
قالت سرى البدر مستعط فجدت له ... بحلة من جمال يكتسى فيها
فقلت كلا فما للبدر من شبه ... فبكى وإن قسته لم أوف تشبيها
البدر في كل شهر من لوازمه ... شحوبة ومحياك ينافيها
قالت أتنسى لحاظاً قد فتنت بها ... وآية السحر منها علم تاليها
فقلت أنسى بلى في مدح من فخرت ... به المعالي وقد نالت أمانيها
بحر الفضائل من فيه لقد شرفت ... مراتب العز واستعلت بمفتيها
شيخ المشايخ والإسلام من شهرت ... علومه كذكاء في ترقّيها
حدّث بما شئت عن بادي مكارمه ... عجائب البحر لم يسطع تخفيها
آيات أفضاله كالمعجزات له ... ودر أبحاثه يهدي لقاريها
ما جال فكر ولا ورى لمشكلة ... إلاّ أرانا صباحاً من دياجيها
ما حلّ ناديه من أعيته حاجته ... إلاّ وهمته بالحال تقضيها
شمس الأفاضل بدر المجد من برزت ... نجوم جدواه تستدني موافيها

وامتدح الوزير الصدر علي باشا ابن الحكيم بقصيدة هي قوله:

صبح السرور لليل الهم قد هزما ... وحارس السمع شيطان العدا رجما
وآية النور آيات الظلام محت ... وكوكب الرشد أبراج الهدى لزما
ودوحة السعد قام العندليب بها ... يشدو خطيباً على الأغصان مبتسما
والغيمُ يسكب حزناً درا دمعه ... والروض يضحك فرحاً معجباً برما
والقضب تختال من مرّ النسيم بها ... والنور يبدي لها من حتفه شمما
والبدر أشرق في الآفاق فاعتذرت ... له النعائم والإكليل قد هضما
والشمس ردّت إلى الجوزاء بازغة ... واللّيث أنشب بالعذراء مصطلما
والظبي وافى وأوفى لي مواعده ... فصحتُ يا ليت قومي يعلمون بما

وزار حتّى كأنّ الهجر أحرقه لم تلف وضعاً ولا بدا ولا رقما
وسرني عاتباً لما أسرّ بما أفشاه من شجن دمعي وما كتما
وساءني راحلاً يوم الوداع وما أمر يوماً به دمع المحب هما
وقال لي داعياً أنسيت مجتمعاً والغيد والروض والواشي قد انهزما
والكأس والراح والساقي يدير بها أمْ كان ذاك خيالاً مرام حلما
أجبتُ كلاّ ولكن عنوة صرفت خواطري عن غرام كان لي رغما
لذروة قصرت من دون رتبتها أيدي المعالي وصارت للعلا علما
وسدة شرفت لا بالوزارة بل قد شرفتها وذات للعلوم سما
أرومة المجد ينبوع الفخار له في كل فن بدا سبق حوت حكما
شمس الأفاضل قد قامت مكارمه تدعو الوفود فمن وافى لها غنما
بدر المحافل مأوى كل مكرمة نادت أياديه للعاني اتخذ نعما
صدر الأماثل درياق الهموم جلا عين البصيرة محيي المجد والكرما
ليث العرين قوي البأس همته لو صادمت لبناء دك وانهدما
تخاله جحفلاً إنْ سلّ صارمه يوم النزال على الأبطال أو حجما
ما رامه فارس في يوم معترك إلاّ ورد على الأعقاب قد ندما
وما ألمّ بناديه ذوو أمل إلا السرور على آماله هجما
فبذله عسجد من غير مسألة وإنْ سألت غماماً واجتهدت فما
ابن الحكيم على القدر أنت فتى ملكت كل الورى بالبذل لا وغما
وسرت بالعدل سير البدر مع نفر هم الكواكب فاستوثق بهم ذمما
فابشر فإنَّ قلوب الفرس قد ملئت رعباً وسيفك جيش العجم قد قصما
وجاءك النصر والفتح المبين فلا تضيق ذرعاً ولا تحسبهم خصما
هم العوارك في الهيجا إذا برزوا وفي السلامة أعيار ترى شمما
هم الأراذل إنْ حلّت بساحتهم أسواط بطشك ذابوا واختشوا نقما
وإن يكن منهم أسد مروعة فعزة الملك فيكم والنبي حمى

ومنها:

وهاكها من بنات الفكر غانية فريدة تخذت كل الورى خدما
بديعة لو رأى حسان طلعتها لقال من عجب من ذا الذي نظما
فاقت على الدرّ في النظم البديع ولم ترضى سواك لها كفواً ولا رحما
نادتك جهراً ولم تلغى بما نطقت يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصرما
واسلم مدى الدهر في سعد السعود على رغم الحسود وما ثغر الشجي بسما
ولا برحت رجاء للوفود ولا زالت أياديك تبدي للورى نعما

وله من قصيدة مطلعها:

سلالي الصبا هل آذنت منهم عطفاً وهل سخر أمرت وهل بلغت وصفا
وهل ظبي ذاك الحي عند مروره تبدي فأبدى من صبابته لهفا
أم اجتاز من وادي العقيق مودّعاً أمْ ازدادَ بعداً أمْ تدانى أمْ استخفى
وهل خبلت منهم شجوناً تدلها على كبد حراً ظواهرها تخفى
وهل شاهدت طرفاً سقيماً بحاجر محاجرة تبدي الغرام مع الإغفا
وهل أكثرت شكوى الفراق توجّعا أمْ ابتسمت بالله أمْ أرّخت السجفا
وقولا لها تبدى حديث صبابتي لديها ونرجو أنْ تلين لنا عطفا
قضى الله لي بلوى الهيام بحبّها وما كان مقضياً فلا بد أنْ يلفى
تحملني ما لا أطيق من الجوى ولستُ بصب من لواعجه استعفى
وقد طالما قد كنت أرجو وعودها فتبعدني طوراً وطوراً أرى خلفا
إليها لقد أهوى عليل وشاجب ومحترض كل يروم بأنْ يشفى
فكم أثملت قبلي بخمر لحاظها أولي نسك شتى ولم تسقهم صرفا
شكا البدر منها مذ أماطت نقابها مفاخرة واسترهب السدف والخشفا
فيا ليت لا ألقى الجمال اكتماله عليها ولا أهدى إليها لها ظرفا
ولله ما ألقى إذا ما رأيتها تميس وقد مالت وأنكرت العرفا
وألقت بأحشائي لهيب صدودها وشدّت وشاحيها ورددت الردفا

ومنها:

وناجيت قلبي فوق طور اشتياقه سلوا فلم يبرح يمدُّ لها كفّا
بليل بهيم قد أمدت سدوله ستور من الظلماء حالكة سدفا
أراعي بجنحيه نجوماً ثوابتاً فطالعه صفا وغاربه صفا
كأنّي وإياها إذا ما وجدتها فقيد فؤاد ذا هل ترك الحقفا

وله مذيلاً:

إذا اسودّ جنح الليل فلتأت ولتكن خطاك خفافاً إنّ حرّاسنا أسدا
وإياك من قوم عليك صدورهم من الغيظ باتوا مضمرين لك الحقدا
ولا تأتني جهراً فإنَّ رماتهم بذات الحمى والشيخ قد أحكموا الرصدا
ومن كان متبولاً بذات لواحظ مراض دعته إنْ يهان وإنْ يودى
فلا تبد سلوانا وإن أظهر الجوى خوافيك داري من عرفت ومن أردا
فمن سره تذليل صعب مرامه تحمل أثقال الغرام وما أكدى
ومن رام أنْ بلوى سواد بنانه على الجيد لا يخشى سناناً ولا حدّا

وله غير ذلك، وبالجملة فقد كان أديباً فاضلاً، ولم أتحقق وفاته في أي سنة، غير أنّه في سنة ست وأربعين ومائة وألف كان موجوداً رحمه الله تعالى، (حكيم أوغلي الممدوح ولي على مصر مرتين، وتولّى الصدارة أيضاً، وكان بعد عثمان، وقبل إسماعيل، وتصدّر ثانياً، وكان في هذه الدفعة سلفه أحمد فخلفه سيد حسن، وولي الصدارة ثالثاً بعد باهر مصطفى، وعزل في سنة ١١٦٨ وجاء مكانه نائلي عبدالله انتهى).

السيد عبد اللطيف الكيلاني:

٤١١ ـ **السيد عبد اللطيف بن فتح الله، المعروف بالكيلاني، الحنفي الحلبي**: نزيل قسطنطينية وأحد المدرسين بها، وهو من أسباط بني الكيلاني المقيمين في حماة، كان والده بحلب يتعاطى صنعة السراجة، وهو أيضاً في أول أمره، فلذلك اشتهر في بلدته بابن السراج، (السرّاج: من يصنع السرج، والسِرَاجة ككتابة، هي الحِرْفة، وكان عبد الباقي شاعر الروم يتعانى حرفة السروج في مبدأ أمره، ثم أدركته حرفة الأدب، ويحدّثون عنه بنكات كانت تصدر عنه من ألطف ما يكون، ومن أحسنها موقعاً، ما اشتهر عنه أنّه كان نظم قطعة من الشعر في غلام، فلما سمع الغلام القطعة أعجبه ما فيها من التخيّل، وأقسم أنّه يقبل رجله إذا رآه، فاتفق أنّه صادفه في بعض أسواق قسطنطينية، وباقي راكب وجماعته في خدمته، فدخل الغلام وأراد أنْ يقبّل رجله فمنعه من ذلك، وقال ما حملك على هذا ألك حاجة؟ فقال: لا، وأخبره باليمين الذي حلفه، فقال له: أنا نظمت الشعر بفمي ولم أنظمه برجلي)، (وقالها أبو بكر العمري في ديوانه، وقد نظمها أبياتاً فقال: قال: لما وصفته ببديع الحسن، ظبي يجل عن وصف مثلي، مكن العبد أنْ يقبل رجلاً، لك كيما يجيز فضلاً بفضل، قلت انصف فدتك روحي فإني، بفمي قد نظمته لا برجلي، وقريب من هذا قول الصاحب ابن عباد، وشادن جماله، تقصر عنه صفتي، أهوى لتقبيل يدي، فقلت لا بل شفتي، انتهى) قرأ على الشيخ طه الجبريني، والشيخ علي الدباغ، ثم إنّه قدم إلى الروم في دعوى استحقاق والدته في وقف بني الكيلاني، ثم أخذ تولية الوقف ببراءة عسكرية، ثم رأى لها قيداً في محاسبة الحرمين، فنقل البراءة العسكرية إلى الحرمين، ثم ساعدته المقادير فعمل عليها في زمان السلطان الأعظم محمود خان خطاً شريفاً، ثم في أثناء قدومه خدم شيخ الإسلام المولى مصطفى المعروف بالدرّي قبل أنْ يصير قاضياً بالعساكر بأنا طولي في مقابلة الكتب، وهو الذي ساعده في عمل الخط الشريف، ولازم منه لما تولّى إفتاء الدولة شيخ الإسلام المولى عبدالله وصّاف المعروف بالإيراني، وكان مميزه الشيخ إبراهيم الحلبي، دخل إلى الامتحان برجاء الدرّي المذكور وبمعرفة الحلبي، وسلك طريق المدرسين والموالي، وقطن قسطنطينية واستقام بها، وتنّقل بالمدارس على قاعدتهم، ولما توفّى كان في موصلة السليمانية المتعارفة بينهم، وكان يتعاطى بيع الكتب وصنعة الصحافة في مدة إقامته، وله فضيلة بالعلوم ومعرفة، ولما ارتحل إلى الروم الفاضل سليمان المحاسني

الدمشقي خطيب الأموي وإمامه، دعاه إلى المبيت بداره ثمة المترجم فامتدحه بقوله:

ألا يـــا دار حيّتـــك الفـــؤادي بكـل كـرامـة فـي طـول عمـرِ
ودام وجـــودك يسمـــو بمـــولـــى كـريـم الطبـع ذو شـرف وفخـر
هـــو المفضـــال مـــن كيـلان يغـدو بكـــل مـــزيـــة فـــي طيـــب بشـــر
لطيـــف الطبـــع دام بكـــل مجـــد علـــى أمـــد الـــدهـــور ليـــوم حشـــر

وكانت وفاته بقسطنطينية في شعبان سنة إحدى وتسعين ومائة وألف ودفن بالتربة المعروفة بمحمود باشا رحمه الله تعالى.

عبد اللطيف العمري:

٤١٢ ـ **عبد اللطيف بن محمد بن محمد بن أحمد العمري، الشهير بابن عبد الهادي، الشافعي الدمشقي القادري الخلوتي، الشيخ الصالح الدين المعتقد الفالح التقي النقي**: كان من المشايخ المعتقدين، مبجلاً محترماً عند الناس، وموسوماً بالصلاح والديانة، ولما توفّى شيخ الخلوتية بدمشق الشيخ عبد الوهاب الغراوي الغميان، ترك ولداً يُسمّى الشيخ محمد ويلّقب بالملك، عرضت المشيخة على صاحب الترجمة فلم يقبلها لوجود ولده، ثم بعد مضي ستة أشهر توفّي الشيخ محمد ولده فعرضت ثانياً على المترجم فأبى عنها، فالزمه جمع غفير من العلماء والمشايخ الخلوتية السابقين، وحج إلى بيت الله الحرام، وكانت وفاته في سنة أربع وسنين ومائة وألف عن نيف وسبعين سنة، ودفن بتربة مرج الدحداح رحمه الله تعالى.

عبد اللطيف الادلبي:

٤١٣ ـ **عبد اللطيف الحنفي الإدلبي، الكاتب العارف بصنعة الرمل**: مولده تقريباً بعد العشرين من هذا القرن في إدلب الصغرى، ونشأ بها، ورحل إلى طرابلس الشام، قدم حلب سنة خمس وخمسين ومائة وألف وقرأ على فضلائها، منهم الشيخ طه الجبريني، والسيد علي العطار وغيرهما، وكان يكتسب بالرمل لضعف حاله، وله فيه معرفة تامة، وشوهد له فيه أمور عجيبة، منها أنّه كان له انتساب ومحبة مع ابن الخنكار لي أحد أعيان حلب، وكان المذكور مع مخدومه الوزير عبدالله باشا بجزيرة قبرس، وصاحب الترجمة أراد أنْ يسبر (قال م ح السبر: من باب قتل، وفي لغة: من باب ضرب، تقول: سبرتُ القوم تأمّلتهم واحداً بعد واحد لتعرف عددهم، والسبر: بالتركي يوفلامق انتهى). من القواعد كيفية حال المذكور، فظهر له أنّ محلاً بمنزلة في الجزيرة المذكورة متهدّم، وأنّه يسقط، وإنّ المحل مرتفع فحرر مكتوباً إلى المذكور، وأخبره: إنّ في منزلك محلاً عالياً صفته كذا لا تدخل إليه، فلما وصل الكتاب امتنع ابن الخنكارلي المذكور من الدخول لذلك المكان، لما يعلم من معرفة صاحب الترجمة، فما مضى مدة يسيرة من الزمان إلاّ وسقط المحل، ولم يصب ضرره لأحد من أهل المنزل، وله من هذا القبيل أشياء كثيرة، وكان قوي الحافظة بحفظ متن

القدوري، وأكثر شرح المنية، وغير ذلك، ولما أجدى حالة ترك معاناة الرمل[١]، واشتغل بحفظ شفاء القاضي عياض، فلما أشرف على إكمال هذا الكتاب، دعاه داعي المنية فأجاب ولم يتيسر له الإتمام غير أنّه فاز بحسن الختام، وله نظم. فمنه قوله مشطراً موجهاً في صنعته:

وشقائق قالت لنا بين الربا ... يا من له في الاتصال مرامُ
منا طريق الاجتماع فإن ترد ... دع وجنة المحبوب فهي ضرام
هل أنبتت قبل العوارض مثلنا ... نبتا بحمرة شكله المام
أمْ هل يضاهينا النقي بحده ... قلت اسكنوا لا يسمع النّمام

وشطّرهما الشيخ علي الميقاتي الحلبي فقال:

وشقائق قالت لنا بين الربا ... وبنا إلى ورد الخدود غرامُ
والميل يحدث للنظائر غيرة ... دع وجنة المحبوب فهي ضرام
هل أنبتت قبل العوارض مثلنا ... نبتاً له عند امموك مقام
ويماثل النعمان آس عذارها ... قلت اسكتوا لا يسمع النمّام

وشطرهما الشيخ أحمد الحلوي الحلبي فقال:

وشقائق قالت لنا بين الربا ... لما زها نوارها البسامُ
إنْ كنت من أهل المعارف والذكا ... دع وجنة المحبوب فهي ضرام
هل أنبتت قبل العوارض مثلنا ... نوراً تحار بنوره الأفهام
أم صبغها أضحى يحاكي صبغنا ... قلت اسكتوا لا يسمع النمّام

وكانت وفاته في سنة اثنين وستين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

عبد المحسن الإسكداري:

٤١٤ ـ عبد المحسن بن السيد محمد بن السيد أسعد أفندي الإسكداري المدني الحنفي الشيخ الفاضل العالم الكامل: ولد بالمدينة سنة ثمان وعشرين ومائة وألف، ونشأ بها، وطلب العلم، فأخذ عن الشيخ محمد حياه السندي، والعلاّمة محمد بن الطيب المغربي الفاسي، ومحمد أفندي أبي الخير الشرواني[٢]، وعلى أفندي الخطاط، وغيرهم، وأخذ

(١) رحم الله المترجم حيث تعفف عن الاحتيال بالرمل وترك شبكة معاشه الرملية لأنه أثرى، يعني: زنكين أولدقدن صكره ذوقه بي يوتدير مقدن اتقا وصنعتني نظماً أجرا إيله اكتفا تيمش ورمله اينانان ارتق قومده چلك أو يناسون ديمش أوله يور.

(٢) شرواني محمد رشدي باشا كان تصدّر في صفر سنة ١٢٩٠ بعد أسعد باشا، وهو واحد وثمانون ومائة من صدور الدولة العلية، وعزل في أواخر ذي الحجة من السنة المذكورة، وخلفه حسين عوني باشا، ثم =

أيضاً عن الشيخ زين الدين مصطفى بن محمد الأيوبي الرحمتي، وتولّى إفتاء المدينة المنورة بعد عمه السيد عبدالله نحواً من ثلاثين سنة، وكان فاضلاً وجيهاً ذا عقل وفطنة، حسن المحاضرة، لطيف النكتة والنادرة، وكانت وفاته في تاسع عشري محرم الحرام افتتاح سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف رحمه الله تعالى وإيانا.

عبد المعطي الفلاقنسي:

٤١٥ ـ عبد المعطي ابن السيد محمد ابن السيد محمود الفلاقنسي الأصل، الدمشقي المولد: تقدم ذكر والد ابن عمه أحمد، وكان هذا أحد رؤساء دمشق المشهورين بحسن الرأي والتدبير، وأعيان كتّابها وأجل ذوي الأقلام الدفترية، صدراً معتبراً موقراً ذا حشمة وأبهة، ولد بدمشق في حدود الخمسين وألف، وترقّى في المناصب الدفترية وغيرها، وصار محاسبجياً (مرامي محاسبه جي) بالخزينة الميرية بدمشق، وتولّى نظارات كثيرة في أوقاف الحرمين والمصريين، وولي عثامنة كثيرة، وكان له تعلقات وأوقاف وتجارات وأملاك وإقطاعات وغير ذلك شيء كثير، وكانت داره أحسن دار بدمشق، وكان من أفراد الزمان المترفّهين بالنعم والتخول، بحيث إنّ الذي يوجد عنده من المأكولات والملبوسات ونحوها لم يوجد عند غيره، وآلات السماع وألحان الغناء دائماً تضرب عنده وفي مجلسه، وأتقن آلات الاحتشام وإظهار النعم من كل حيثية، وكان ذا عقل ورأي وتدبير، مع أدب وكمال وتأنّي وتربّص في الأمور، وحسن اعتقاد على المشايخ والصلحاء والسادة، ولا يسفّه أحداً أصلاً، ولا يجهر في غيظه على أحد، ولا يتطاول، بل تكلمه في حالة الغضب كحالة الرضى، ولم يكن أحد في وقته مثله من أهل الثروة والإتقان في تدبير المنزل خصوصاً لما كان أمين كيلار الحج، فأتى بما لم يسبق إليه، وتولّى تولية الجامع الأموي أصالة ووكالة، وكان متوليه في الروم رجل مغربي معتقد صاحب الدولة الوزير الأعظم اسمه الشيخ مسعود تارة، يوكل المترجم وتارة غيره، وتولاّه المترجم أصالة أيضاً واجتهد في تعميره وتنظيمه، وفي سنة اثنتي عشرة ومائة وألف بني الحمام بالقرب من الجامع الأموي المعروف بحمام الذهبية، (مصر منصورة سنده دخي حمام الذهب واردر) وصرف عليه من ماله مبلغ تعميره، وأضافه لأقلام الجامع المذكور بعد اقتطاع ما صرفه عليه، وكان قبل ذلك سوقاً لدق ذهب الطواقي والطشاطي، (قال م ح: لعلها شيء يشبه الطست كانت تلبسها النساء، وقد حرفتها العوام وقالوا طشطية، والطست معرب تشت انتهى) التي كانت تلبسها النساء في ذلك الزمان بدمشق، ثم بطل هذا الزي في سنة سبع ومائة وألف، وفي آخر أمر المترجم حصل له داء في رأسه كان يغيب عنه درجة، ويعود إليه، وكان يتكرر ذلك عليه كثيراً حتى أنحله ونغص عليه عيشه الرغيد، وبقي فيه مقدار خمسة عشر سنة، وصرف على دفعه وعلاجه مالاً كثيراً،

= تولّى محمد رشدي باشا الشرواني هذا ولاية حلب، وتعين بعد برهة على ولاية جدّه، وتوفّي في الطائف في ١١ شعبان سنة ١٢٩١ وسني عمره ستة وأربعون، وما تدري نفس بأي أرض تموت.

وعالجه خلق كثير من حكماء الأشباح والأرواح فلم يفده شيئاً إلى أنْ مات، حتى أخبرت أنّه كان مرة جالساً في قصره والآلات تضرب والخدم وقوف لديه، والناس وفود إليه وهو في نعمة متخول، وعلى سرير جاهه، وعزه مترنح، وبسربال السعود مكتسى إذْ عاد إليه الداء المذكور، فعاد لأنينه وتأوّهه وحنينه وشكواه وتوجّعه فرأى وهو في هذه الحالة تحت القصر رجلاً زبّالاً ويجانبه رفيق له، وهما يتحادثان بما فعلا من الأكل وغيره، ويحمدان حالهما وهما منشرحان يترنمان بذلك، ويكرران الحديث ويختالان في صحتهما وعافيتهما مع أنهما في هيئة رثّة وفقر زائد، فتعجّب من صنع الإلّه جل شأنه! ثم إنّه استعذب ذلك منهما فأمر أحد خدامه بإحضارهما إليه، فلما حضرا لديه قال لهما: أخبراني بما كنتما تتحادثان به الساعة؟ فسكتا فكرّر السؤال عليهما، فقالا: قلنا كذا وكذا، فقال: لبعض أتباعه: ادفع لهما كذا وكذا من الدراهم، فصرفهما بالإكرام ثم قال: والله إني لأتمنى أنْ أكون مثلهما في حالتهما هذه، ولا أكون في هذا التخول والثروة مع هذا الداء، فللّه الحكم الباهرة والأحكام القاهرة، لا إلّه إلاّ هو، وكانت وفاة المترجم في يوم الأحد الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة اثنين وعشرين ومائة وألف ودفن بتربة الشيخ أرسلان رضي الله عنه ورحمه الله تعالى.

عبد المعطي الخليلي:

٤١٦ ـ عبد المعطي ابن محيي الدين الشافعي، الخليلي الأصل والوطن، القدسي المأوى والسكن: رحل من بلدة الخليلي للجامع الأزهر، فجدّ ودأب وسهر الدياجي، ولازم كل همام علامة، وباحث وناظر أقرانه، وتضلع من مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه، وأخذ من العلوم التفسيرية والحديثية والفقهية، وشيوخه الذين أخذ عنهم، منهم الشيخ يونس الدمرداشي الأزهري، ومنهم الشيخ عبد الرؤوف البشبيشي، وهما من علماء الشافعية، ومنهم العلامة الشيخ أحمد النفراوي الأزهري من المالكية، ومنهم الشيخ أحمد الخليفي الشافعي، والعلامة الشيخ أحمد ابن محمد الملقب بالفقيه الشافعي، والشيخ إبراهيم الفرضي الدلجي، ومنهم الشيخ محمد الكاملي الشافعي الدمشقي المدرس بجامع بني أمية، وأخذ الإجازة من محدث البلاد الحجازية الشيخ محمد عقيلة المكي، وأجازه بثبته المشهور، ومنهم الشيخ محمد الخليلي القدسي، وما انفك يستفيد ويستزيد، حتى ظفر بالطارف والتليد، واستجاز شيوخه فأجازوه بمروياتهم، وكانت له متانة في الفروع الفقهية، شديد المحاضرة على سرد مسائلها البهية، تولّى إفتاء الشافعية بالقدس أكثر من خمسة وعشرين سنة بلا طلب، بل ألزمه فيها شيخه الخليلي المتقدم وأهل القدس، لحسن إطلاعه على فروع المذهب، وله فتاوى في مجلد حسنة مجموعة محبوكة مستحسنة، فأقلامه تنثر جواهر الدرر، ويراعه يجري بلطائف الغرر، وله رسائل كلها منتخبة، فوائدها ظرائف مستعذبة، منها رسالة كبيرة في سيدنا موسى الكليم عليه السلام، وله نظم متوسّط، فمنه قصيدة أنشدها حين توجه مع جملة من الفضلاء صحبة الشيخ محمد الخليلي إلى زيارة سيدنا موسى عليه السلام، وأخذوا كتاب الإمام مسلم وقرأوه هناك.

وهي قوله:

هلموا بنا يا سادة الوقت والعصر إلى سفح غور القدس من شرقه نسري
نشاهد أسراراً وروحاً وراحة ونزداد خيراً من حمى عالي القدر
فليس لنا من دهرنا وزماننا ليالي وصل دون قطع ولا هجر
سوى مدة في روضة مستطابة عليها جلال رائق في ربا الزهر
فهي لكليم الله نوراً وهيبة وأمناً وأنواراً تلوح مع الفجر
فكم نالنا من فضله وكماله لطائف أسرار تجل عن الحصر
لقد كان من فوق السموات راحماً لأمة خير الخلق طه النبي الطهر
فكان رسول الله ليلة إنْ سرى إلى ربه ذي العرش والعز والنصر
يناجيه في أمر الفريضة يا لها مناجاة محبوب بلطف مع البشر
فناداه بالخمسين قد صار أمرنا على الخلق فامضي يا رسول ذوي القدر
فجاء إلى موسى بن عمران مسرعاً وأخبره بالفرض من عالم الأمر
فقال له ارجع يا حبيباً محبّياً وسل ربك التخفيف يا مخجل البدر
فإنّي بلوت الخلق يا خير مرسل بما فرض الله الكريم من الذكر
فما صبروا بل بدّلوه وغيروا فباؤوا بآثام من الله والوزر
وأمّتك الغرّ الكرام ضعيفة تقصر في الخمسين من شدة الأصر

إلى آخرها، وهي طويلة، وكان ديدنة التقشف في الملبس والتخشن في المأكل، عما عليه الناس من حب التزين، مهاباً صادعاً بالحق، طارحاً للتكليف، لم تتعلق نفسه بدر ولا صدف، منزوياً عن حكام السياسة، مغتنماً لأوقاته، له حظ وافر من قيام الليل لا يتركه، وكان مقيماً في المسجد الأقصى ليلاً ونهاراً، وهو من الذين هم عن اللغو معرضون، وكانت وفاته في سنة أربع وخمسين ومائة وألف، وقد جاوز السبعين، ودفن بمقبرة باب الرحمة بقرب الصحابي سيدنا شداد بن أوس الأنصاري رضي الله عنه.

عبد المعطي بن معتوق:

٤١٧ ـ عبد المعطي بن معتوق الحلبي البيري، نسبة إلى بيرة الفرات، الحنفي الصالح الورع: كان صاحب ثروة، ثم قعّد به حاله، فاشتغل بالنسخ وتجويد الخط، فكان له الخط الحسن، أخذ ذلك بدمشق عن الرجل الصالح الشيخ محمد العمري الدمشقي المشهور، وعاد لحلب وانتفع في الخط به الكثير، وكان شكلاً حسناً، وله المنادمة العجيبة والمطارحة الغريبة مع الصلاح والتقوى والتخلي للعبادة، وكان له في يديه ورجليه أصابع زائدة قطع بعضها، وهذه الزيادة في الأصابع استمرت في عقبه أيضاً، وكان يكتب عن نفسه الشهير (بألتي برمق) ومعناها بالعربية: ست أصابع، وكانت له الحظوة عند الولاة فمن دونهم، توفي رحمه الله تعالى ـ ونفعنا به ـ بداره الكائنة بمحلة الجلوم ثامن عشر ربيع الثاني يوم

الأربعاء سنة أربع وسبعين ومائة وألف، ودفن خارج باب قنسرين في التربة التي فيها مزار الولي المشهور غفير حلب الشيخ عبد الرزاق أبي نمير، بعد ما صُلّي عليه بالجامع الأموي، وكانت له جنازة حافلة وأصابها المطر الغزير رحمه الله تعالى وإيانا آمين.

السيد عبد المعطي الدمشقي:

٤١٨ ـ السيد عبد المعطي الحنفي الدمشقي نزيل قسطنطينية، وأحد المدرسين بها: ولد بدمشق وظهر بها، ودخل سلك العلماء والأفاضل، ثم ارتحل إلى الروم ووصل إلى قسطنطينية، ولازم من علمائها، وللتدريس صار عازماً، وتنقّل كجاري عادتهم بدور المدارس، فلما انفصل عن أربعين عثماني، وكان ابتداء الأحداث في رجب سنة ست ومائة وألف أعطي مدرسة ذي الفقار، ورؤي لائقاً لها، وفي سنة اثنتي عشر ومائة وألف في شوّال صار مكان أحد المدرسين المولى السيد محمد، وتحرّكت رتبته إلى مدرسة اينجه قرة وفي سنة ست عشرة ومائة وألف في ربيع الثاني صار مكان كواكبي زاده المولى أحمد بمدرسة طوطيء لطف، وفي سنة ثمان عشرة ومائة وألف في ربيع الأول التاسع منه يوم الأحد توفّي إلى رحمة الله تعالى في قسطنطينية، وعن محلوله وجهت المدرسة المرقومة إلى شعبان زاده المولى محمد عازم، وكان المترجم له في العلوم والمعارف خصوصاً بفن التحريرات والصكوك، وكان مشتغلاً بكتابة القسمة العسكرية بالمحكمة رحمه الله تعالى.

عبد الملك العصامي:

٤١٩ ـ عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي المكي، الشهير بالعصامي، الشيخ الفاضل الأديب العالم الفهامة الشاعر الناظم الناثر: ولد بمكة سنة تسع وأربعين ومائة وألف، ونشأ بها واشتغل بفنون العلوم، وبحث عن المنطوق والمفهوم، وله شعر لطيف، منه قوله مادحاً الشريف بركات أمير مكة بقصيدة مطلعها:

سعدت بيمنك والسعود المقبل ... وانجاب عنها النحس بالحظ الجلي
وتتابعت أيدي السرور ترادف الـ ... إقبال بالبشرى لكل مؤمّل
وأطاع أمر الله ما تختاره ... وبذروة فلك السماء المعتلي
لأبي زهير مليكنا بركات را ... عيها مملكها الشريف الأفضل

وهي طويلة جداً، وألف صاحب الترجمة تاريخاً في أبناء عصره، وكان فاضلاً نبيهاً ذا مشاركة في العلوم ومعرفة بالأدب والشعر تامة، وله إنشاء لطيف، وجد واجتهد وتصدّر للتدريس في المسجد الحرام مدة عمره، وكانت وفاته سنة إحدى عشر ومائة وألف ودفن بمكة رحمه الله تعالى.

عبد المنان الخماش:

٤٢٠ ـ عبد المنان بن محيي الدين الخماش (الخماش الخداش وزناً ومعناً) الحنفي

النابلسي: أحد الأفاضل الأتقياء، ولد بعد السبعين وألف، وقرأ القرآن على والده، وتفقّه على الشيخ أبي بكر، ورحل للقدس هو والشيخ عبد الفتاح التميمي، وقرأ على الشيخ السيد عبد الرحيم اللطفي القدسي عالم تلك الديار وفقيهها، والشيخ محمد السروري القدسي، وبلغ الغاية في الفقه والنحو والعروض، ومع ذلك لم يتفق له نظم بيت واحد، وشهد له بالفضل جملة أفاضل، حتى قال التميمي: سبقني عبد المنان بمراحل، وكانت وفاته في يوم الجمعة عاشر محرّم بعد صلاة الصبح، ونيته صوم ذلك اليوم، وهو ممتع بحواسه، سنة سبع عشرة ومائة وألف رحمه الله تعالى.

السيد عبد المنعم ابن الأشرف:

٤٢١ ـ السيد عبد المنعم بن خضر السيد، المعروف بابن الأشرف، الحنفي الحمصي: هو من بيت بحمص مشهورين بصحة النسب والحسب، ولد بحمص ونشأ بها، وارتحل إلى مصر القاهرة وأخذ بها عن علمائها الفحول، كالعلامة المشهور السيد علي الضرير وتلمذ له، وغيره، ثم ارتحل إلى دار الخلافة إسلامبول في الروم، وكان إذْ ذاك وزير الدولة، الوزير الشهير علي باشا، المعروف بابن الحكيم، فأهدى إليه المترجم شرحه الذي ألّفه على بدء الأمالي، وقابله بإكرامه وجدواه، وصارت له من شيخ الإسلام إذْ ذاك رتبة مع تدريس الأشرفية في حلب، وأعطي إفتاء طرابلس الشام إلى أنْ مات، وكان من العلماء المحققين الأفاضل، له يد في غالب العلوم والفنون، عالماً فاضلاً متقناً، وكانت وفاته في طرابلس الشام تقريباً في حدود الستين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

عبد المولى السيري:

٤٢٢ ـ عبد المولى المعروف بالسيري، الشافعي الأشعري الطرابلسي مفتي الشافعية بطرابلس: كانت له يد في العلوم لا سيما في الطبيعيات والنجوم، حتى قيل: إنه وصل بمعارفه عند توسط كيوان إلى استحالة بعض العناصر إلى بعض، وإلى تقاويم عند أخذ العرض تنبي عن استخراج مجهولات، وكان له قدم ثابت في إرصاد الثوابت، كما أنّ له باعاً طويلاً فيما إليه يميل، وكانت وفاته في سنة ست وثلاثين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

عبد النبي النابلسي:

٤٢٣ ـ عبد النبي النابلسي الأديب الشاعر البليغ أحد الأذكياء: كان له معرفة تامة في التاريخ والأدب، وحفظ زائد في أنساب العرب، وله ديوان في الشعر الفائق والنثر الرائق، وكان ممن تقمّص بجلباب الآداب، وخاط من المعاني برود إضافية، واجتنى زهرات المعارف من رياض الكمالات، ومن شعره قوله يمدح صالح باشا النابلسي ابن طوقان حاكم بعلبك ويذكر واقعته فيها ومطلعها:

سعدك إقبال له العز يخدم ... لذا بعلبك لم تزل تتبسمُ
بدا منك حلم مثل حلم ابن مريم ... فمن كان ذا فقر علاه التنعم

عدلت فكل المترفين تظاهروا ... على من بغى بالجور والشر أبرموا
نووا فتنة خابو بقلة عقلهم ... وقد أظهروا العصيان والنار أضرموا
ومذ جاءهم عكس وظنّوا بجهلهم ... كظنّ الزرازير الذين توهموا
أرادوا فساداً للعباد بظنّهم ... فأوقعهم في العكس كي يتصرموا
وقد مكروا مكراً فحاق بجمعهم ... ومزقّهم ربي وما شاء يحكم
وكم من ليال بالسرور لهم مضت ... وأطغاهم الشيطان حتى تظلموا
وشاهدت فيهم من يقول بجهله ... أيا عصبتي أنّي على الموت أقدم
وما منهم إلا الغرور أغره ... إذا ما رأى عضباً يولّى ويهزم
فمن جهلهم راموا الحساب فنوقشوا ... ومُذْ عاينوا حدّ الحساب تندموا
فوالله ما أدري جنون أصابهم ... أمْ أعمارهم قد رام إبليس يصرم
إذا بعلبك قد تعدّى سفيهها ... فصالح هذا العصر للظلم يهدم
همام له مجد تسامى بذكره ... وحكم بأنصاف إذا رام يحكم
تطوق بالفخر الجميل تطوّقاً ... وطوق بالأصفاد من كان يظلم
فمن أين في مصر كمثل جنابه ... عفو حليم راحم يترحم
حقيق ولاة الأمر من رام خلفها ... فهيهات من حدٌ المهنّد يسلم
فيا أهل بعل ما رعيتم لنعمة ... وأظهرتم الطغيان لما عصيتمو
بغيتم فجوزيتم وأضحى شقيكم ... على الأرض ملقى والنوادب تلطم
فهذا جزا من كان في طيب نعمة ... ولم يرعها بالشكر لا بد يندم
فهل دبب الأطلال تقهر قسوراً ... وقِط[1] الفلا غاب الغضنفر يهجم
فهذا الذي قد صار منكم جهالة ... عصيتم ولي الأمر لم لا أطعتم
أما عندكم علم بشدة بأسه ... وعن قتله العريان لم لا سألتم
فوقعتهم قد شاع في الكون ذكرها ... وقصتّهم في الناس تروى وتفهم
أيا وقعة قد صال فيها على العدا ... رأينا روس القوم للأرض ترجم
ولما رأى العربان فتك حسامه ... فولّوا حيارى والهزيمة مغنم
ولما انتهى من حربهم وقتالهم ... وكان الذي قد كان منه ومنهم
بني في فلسطين الرؤوس صوامعاً ... فهل هذه الأخبار ضلّت عليكم
ففي كل أرض قد تناقل ذكرها ... وكم شاعر أضحى بها يترنّم
إذا العرب قد ذلّت وماتت بحسرة ... فمن أنتم حتى على الشر تعزموا
وتعصوا ولي الأمر عمداً بجهلكم ... ولم تدروا إنّ البغي للمرء يقصم
فيا أهل بعل لا تلوموا الصالح ... وأنفسكم لوموا على ما فعلتم

---

(١) القِط: بكسر القاف وجمعه قِطاط وقِططه ووزنه: كلاب وعِنبه.

وتوبوا إلى الله الكريم وخالفوا هوى النفس إنْ رمتم من القتل تسلموا
أيا واحداً في العصر كلم لمن بغى وعند سواه في الحقيقة مرهم
فإن جميل الحلم في البعض ضائع ومن كان ذا جهل له البطش أقدم
فدم سالماً صدراً كريماً مؤيداً وضدك في نحس وللنحس أنجمُ

ولم يصلني من شعره سوى هذه القصيدة، وكان حجّ، ففي العود حصلت له الغرقة المشهورة في زمن الوزير سليمان باشا العظم والي الشام وأمير الحاج للحجاج، وذلك في سنة أربع وخمسين ومائة وألف، فغرق المترجم مع من غرق بما معه من كتب وأسباب، ومات رحمه الله تعالى، إنّ المؤرّخ اتّبع غلط العوام، وعبّر عن الأثوابِ بأسباب.

عبد الهادي الحمصي:

٤٢٤ ـ **عبد الهادي الحمصي**: كان من المباركين المتغفلين، وأحد المجاذيب أصحاب الكرامات المعتقدين، اجتمعت به حين ذهبتُ للديار الرومية بدار مفتي حمص الفاضل الشيخ عبد الحميد السباعي، فرأيته من المغفلين الصلحاء، وأخبرني عنه المزبور بأشياء وكرامات، وكان بحمص معتقداً، وأخبرني من أثق به من أهالي دمشق بكرامة ظهرت من المترجم معه مشاهدة بالعيان، وكان يسمّى حاله الشيخ أحمد، وبالجملة فقد كان من الأخيار، وكانت وفاته في رجب سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف، ودفن بتربة الشيخ سليمان، أخبرني المفتي المذكور وغيره من أهالي حمص: أنه حين وفاته ظهرت له كرامة عجيبة، وهي أنّ الذين كانوا في جنازته، وكانت حافلة، أرادوا دفنه في مكان معين، فلما وصلوا إلى المحل وأرادوا عطف جنازته وقيامها، لم يكن قيام النعش، وتزاحمت الأيدي على ذلك، فلم يفد فلما أرادوا أخذه إلى مكان آخر، وهو تربة الشيخ سليمان، وكان قبر أخيه الشيخ حسن هناك سارت معهم الجنازة إلى أنْ وصل إلى عند قبر أخيه ووقف النعش هناك، ودفن ثمة رحمه الله تعالى.

عبد الهادي المصري:

٤٢٥ ـ **عبد الهادي المصري نزيل حلب**: كان من العلماء العاملين والورعين الزّهاد، مهذباً فاضلاً تقيّاً صالحاً، قدم لحلب واستوطنها وتأهل بها، وصار مدرساً بالدروس الحديثية بالمدرسة الأحمدية، وأقرأ بها الشفا للقاضي عياض، وفي النحو، وفي العقائد، وفي العربية، وفي غير ذلك وانتفع به، واشتهر فضله وعلمه، ولم تطل مدته بها ومات، ولم أتحقق وفاته في أيّ سنة كانت رحمة الله تعالى.

عبد الوهاب السواري:

٤٢٦ ـ **عبد الوهاب بن مصطفى بن مصطفى السيد الشريف الدمشقي الشافعي**،

المعروف بابن سوار[1]: الشيخ الفاضل الصالح البارع بقية السلف، بركة الخلف، شيخ المحيا الشريف النبوي بعد والده، ولد بدمشق ونشأ بها وأخذ عن جملة من العلماء، كالشمس محمد بن عبد الرحمن الغزي العامري، والعماد إسماعيل بن محمد الجراحي العجلوني، والشيخ محمد بن خليل العجلوني، وبرع وفضل، ولما توفّي والده صار مكانه شيخاً على سجادة المحيا الشريف بالمشهد الشرقي من الجامع الأموي، وفي جامع البزّوري، وكانت وفاته غرة جمادى الآخرة سنة ست وثمانين ومائة وألف.

عبد الوهاب العكري:

٤٢٧ ـ **عبد الوهاب بن عبد الحي بن أحمد بن محمد، المعروف بابن العماد العكري، الحنفي الصالحي الدمشقي، الشيخ الفاضل المتفوق المحصل**: كان خطّاطاً كاتباً فرضياً مورقاً[2]، مجدّاً بارعاً فهماً، ولد بدمشق تقريباً بعد الستين وألف وبها نشأ، وقرأ على علماء عصره ومهر، وكان حنبلياً فتحنّفْ هو وأخوه الشيخ محمد، وكان والده من العلماء المشاهير، له من التصانيف شرحه على متن المنتهى في فقه الحنابلة، وله التاريخ الذي صنّفه وسمّاه «شذرات الذهب في أخبار من قد ذهب»، وله غير ذلك من رسائل وتحريرات، وانتفع به كثير من أبناء عصره، وكان أغرز الأفاضل إحاطة بالآثار وأجودهم مساجلة، وتوفّي في ذي الحجة سنة تسع وثمانين وألف، وذلك في مكة، ودفن بالمعلاة، لكونه كان حاجّاً في تلك السنة، وولده المترجم تفوّق ولزم الكتابة أولاً في محكمة الصالحية، ثم في محكمة الميدان، ثم في المحكمة الكبرى، وتولّى المدرسة دار الحديث الأشرفية بصالحية دمشق، وكذلك المدرسة الضيائية بها أيضاً، وكانت عليه بعض وظائف، ودرس وأفاد ولزمه الطلبة، وأخبرت أنّ له شرحاً على الأحاديث الأربعين النووية، وبالجملة فقد كان من الأفاضل المعلومين.

عبد الوهاب الغميان:

٤٢٨ ـ **عبد الوهاب بن خليل بن سليمان الدمشقي الشافعي، الشهير بالغميان، الشيخ الصالح المعمر البركة الدين الخير الصوفي**: ولد بدمشق في محرم سنة ثلاث وثمانين وألف، وأخذ عن أفاضلها، وأخذ الطريقة الخلوتية عن الشيخ الصالح محمد الغراوي الدمشقي، ولما توفّي شيخه المذكور جلس مكانه على سجادة المشيخة، وأخذ عن صاحب الترجمة الطريقة المزبورة، الشيخ عبد اللطيف بن محمد العمري الشهير بابن عبد الهادي، وتخلّف بعده على السجادة، وكانت وفاته في محرم سنة اثنين وستين ومائة وألف رحمه الله تعالى ودفن في مرج الدحداح.

---

(١) سواري بضم السين فارسي بمعنى الخيال وسوار ككتاب وغراب القلب بضم القاف معرب من دستوازه.

(٢) أي كثير المال.

عبد الوهاب العفيفي:

٤٢٩ ـ عبد الوهاب بن عبد السلام بن أحمد بن حجازي بن عبد القادر بن أبي العباس ابن مدين ابن أبي العباس بن عبد القادر بن مدين بن محمد بن عمر المرزوقي المصري الشافعي، الشهير بالعفيفي، الشيخ القطب الكامل الولي الصوفي المحقق العارف: أخذ عن أحمد بن مصطفى الإسكندري، الشهير بالصباغ، وسالم بن أحمد النفراوي، وأخذ الطريقة الشاذلية عن سيدي محمد التهامي، رآه العلامة عيسى البراوي في عرفات حين حج، مع أنه لم يخرج من مصر، وله غير ذلك من الكرامات التي لا تعد، وكانت وفاته سنة اثنين وسبعين ومائة وألف، ودفن بتربة المجاورين، وقبره يقصد للزيارات لقضاء الحاجات رحمه الله تعالى.

عبد الوهاب الدمشقي:

٤٣٠ ـ عبد الوهاب بن مصطفى بن إبراهيم بن محمد الحنفي الدمشقي نزيل قسطنطينية الشيخ الفاضل الماهر الأديب البارع: كان له مهارة بالعلوم، وألّف رسائل كثيرة، وكانت له مداعبة ومجون مع حدة اللّسان، وهو من تلاميذ وأتباع الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي، فلذلك كان مشتهراً بتلميذ الشيخ عبد الغني، وكانت استقامته في إسلامبول في مدرسة الوزير علي باشا المعروف بالچورلي[1]، وكانت أبناء دمشق وغيرها تجتمع عنده على مذاكرة ومداعبة، ورأيت له من النظم أبياتاً أجاب بها الفاضل الأديب السيد محمد العطّار الدمشقي، عن لغز نظمه وأرسله إلى العلامة الشيخ إبراهيم الحلبي والأبيات قوله:

أيا فاضلاً حاز البراعة بالقلب ... وصاغ فنوناً في البلاغة كالقلبِ
وفاق بنظم الشعر سحبان وائل ... وقس إياد في القريض على القرب
نظمت عقود الدّر في سمط رقة ... وقلدتها جيد الخرائد من عرب
ولا عجب إذ أنت في الفضل سيد ... كجدّك ذي التحقيق في الشرق والغرب
أتيت بلاد الروم ضيفاً وطارقاً ... من الشام من أرض مقدسة الترب
تروم لنيل العز من دولة علت ... برفع منار العلم والشرع كالشهب
أدام لها المولى نظام كمالها ... وأيّد سلطاناً بها مصطفى ربّي
سألت عن اسم قد لغزت حروفه ... ثلاثاً تروم الجبر للكسر في القلب
وعن مشكل لا يهتدي لمثاله ... أولوا اللّب في فن الحساب وفي الطب
ورابعها تربح بتصحيف ما بقي ... وصفها لباقيه تراح من الكرب
وأوّله حرف بأحمد عدة ... وطه رسول الله في الحمد قد نبي
وثانيه باسم الله جل جلاله ... تقدس رحماناً تبارك من رب

(١) چور ليلى.

وتصحيفــه زاد الــوحــوش بحبّــه ومطبـوخـه للنـاس فـي سـورة اللّهـب
وأيضـاً فمـال فـي الـوصيـة قـد أتـى بقـرآننـا السـامـي علـى سـائـر الكتـب
ومعنـى حـديـث للنبـي كمـا بـه سـرور وبشـرى إذ مضـارعـه ينبـي
وأوّلـه أخـر بـه الشمـس تنـزوي وخنسهـا أيضـاً تسيـر كمـا السحـب
فهـذا جـواب عـن سـؤالـك نـاطقـاً بملغـزك المـرمـوز مـن غيـر مـا عجـب
أجـابـك شـامـي كمحتـدك السنـى ثوى في بلاد الروم من سائر الحقب
أقـام بهـا سبعـاً وعشـريـن حجـة فصـار كـأهليهـا يعـد مـن العـرب
ويـدعـى بعبـد لـلإلّـه الـذي لـه نهـايـة إكـرام وذي الجـود والـوهـب
لعبـد الغنـي السـامـي لنسبـة خـدمـة ونـابلسـي الأصـل ينعـت فـي القطـب
فمـا اسـم ثـلاثـي تـراه بمـا مضـى وقلـب لـه لا يستقـرٌ مـن الحـبٌ
يهيـم بـه كـل امـرء لنـوالـه ويكـدح فـي مـرآه فـي طلـب الكسـب
وأولـه ذل الهـوان وذيلـه بجـد وكـدٍّ فـي لقـاه وفـي كـرب
وتصحيفـه عطـر يفـوح شميمـه بمسـك وطـب يقتنيـه ذوو الطـب
وعيـن مـن الأعيـان يـرعـاه طلسـم وجسـم لـه عـار يعـار بـلا ثـوب
وتقميصـه لا زال فـي كسـوة لـه وتلقـاه فـي أعلـى المنـازل والتـرب
أجـب عنـه يـا خِلّـي لتحظـى بنيلـه من الواهب الداني يزيد على السحب
ودونـك أبيـاتـاً تخجـل نـاظمـاً لتقصيـرهـا عنـد الأديـب ذوي اللّـب
فـاسبـل عليهـا سـتـر عفـو سيّـدي فمثلـي ذي التقصيـر والعـي والعتـبِ

فأجابه العطّار بديهة مغيراً للوزن لا القافية:

لله درّك يـا ذا العلـم والأدب ومـن أقـرّ لـه التحـريـر فـي الكتـب
لأنـت فهـامـة فـي كـل مشكلـة إذا حللـت لهـا وفيـت بـالأدب
فـإنْ كشفـت قنـاعـاً كـان مستتـراً مـن تحتـه لغـزي مـا ذاك بـالعجـب
وقـد أجبـت بمـا يشفـى الفـؤاد بـه من فكرة في دجى الأشكال كالشهب
وجئـتَ تسـأل عـن لغـز عقـدت بـه عقـد أمـن الـدر فـي سلـك مـن الـذهـب
لكـن بـأولـه ذل الهـوى وبـه هـاء الهـويـة تغـري الصـب بـالـوصـب
يهـدي إلـى طـرق الفـردوس صـاحبـه وطـال مـا جـر أقـوامـاً إلـى اللّهـب
لا زلـت خيـر رفيقيـه وقـد هطلـت منـه عليـك غيـوث الفيـض كـالسحـب

واللغز الذي نظمه العطّار شرحه الحلبي المذكور في رسالة قليلة، وهي عندي، وهو لغز في جبر، واللغز الثاني في ذهب، وكانت وفاة المترجم في إسلامبول سنة تسع وثمانين ومائة وألف ودفن بتربة قاسم باشا رحمه الله تعالى.

السيد عبد الوهاب الحلبي:

٤٣١ ـ **السيد عبد الوهاب بن محمد قرط ابن الشيخ مراد، المعروف بالعدّاس، الحلبي العالم الفقيه الأصولي النحوي النبيه المجتهد في الإفادة**: انتفع به خلق كثير، وكان مكبّاً على إفادة الناس، ولد بحلب في سنة سبع وتسعين وألف، واشتغل بها في طلب العلم، فقرأ على الشيخ قاسم النّجار في الفقه، وقرأ النحو على العالم الشيخ سليمان النحوي، والعروض والحساب وآداب البحث والمنطق على السيد علي الباني، وقرأ المعاني على أبي السعود الكواكبي، وكانت وفاته في ليلة الأحد العاشر من شوال سنة ست وستين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

عبد الوهاب الموصلي:

٤٣٢ ـ **عبد الوهاب الموصلي الشافعي الإمام في حضرة النبي جرجيس عليه السلام**: ولد في سنة تسع وعشرين ومائة وألف ونشأ بالموصل، وقرأ بها، وكان رحمه الله تعالى خطيباً مصقعاً، وبليغاً ملسناً، حسن الكلام، حلو النظام، ذا فصاحة ونطق، وبلاغة وصدق، وكان عارفاً بأمور الناس وأحوالهم، فكان يلاقي كل إنسان بما يقتضيه حاله ويناسبه مقامه، مع طلاقة وبشاشة وخبرة تامة، وكان عنده من كل فن نبذة، ومن كل ظرافة فلذة، وكان أولاً إماماً بالحضرة الجرجيسة، وكيلاً من جهة ابن أخيه، ثم عزل فصيّره الوزير المكرم محمد أمين باشا إمام جامعه وخطيبه وواعظه، وولاه المدرسة أياماً بعد موت ملا أحمد الجميلي، ثم عزله وولاها للسيد موسى العالم المشهور، وله شعر لطيف منه قوله مادحاً للنبي ﷺ:

بطيبة طابت نفسنا من سقامها ... وهل مثلها في سائر الكون يوجدُ
فما تربها إلاّ شفاء قلوبنا ... وكيف لا نشفى وفيها محمد
نبيٌ بشيرٌ شافعٌ لعصاتنا ... نصوحٌ أمينٌ شاهدٌ ومجاهدُ
رسولٌ له الخلق العظيم سجية ... به جاءت الآيات وهو المؤيّد
رسولٌ رقى السبع الطباق بنعله ... وخاطبه المولى العظيم الممجّد
رسولٌ أتانا بالهدى بعد غيّنا ... ويشفع فينا يوم حشر ويسجدُ

ومنها:

فيا فوز قوم يحمدون جنابه ... ينادونه يا غوثنا أنت أحمدُ
عليك صلاة الله ما هبّت الصبا ... وما صاح قمري الحمام المغرّد

وقال مخمّساً:

ظبية الحي مهجتي في يديها ... وفؤادي لا زال يصبو إليها
ثم لما أنْ صار قلبي لديها ... حاولتُ زورتي فنمّ عليها
قرطها في الدجى ومسك الغلالة

يــا لهــا زورة لقــد طهــرتنــي بــل وبعـد الجفـا لقـد أظهـرتنـي
وبعهــدي القــديـم قــد خبـرتنـي ثــم لمــا أنْ سلمــت ذكــرتنــي
مــدح مــن سلمــت عليــه الغــزالــهْ

وحجّ صاحب الترجمة في سنة خمس وستين ومائة وألف، وكانت له لطائف عديدة وظرائف مديدة، وكان يدعي أنّه أجيز له رواية الحديث، وربما روى الحديث بسنده متصلاً ومعنعناً ومسلسلاً، وكان حسن الوعظ، جيد المباحثة، وله أشعار أنيقة، ومنظومات رشيقة، وكانت وفاته سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

عثمان النحاس:

٤٣٣ ـ عثمان بن أبي بكر الشهير بالنّحاس، الشافعي الدمشقي، الشيخ العالم الفقيه النحوي الفرضي المفيد: كان أحد العثامنة (العثامنة جمع عثمان) الأربع الذين كانوا في وقت واحد في بلدة واحدة، وكل منهم عالم فاضل، وهم الشيخ عثمان القطّان، والشيخ عثمان الشمعة، والشيخ عثمان بن حموده، والشيخ عثمان النّحاس، وقد جمع تاريخي هذا هؤلاء الأربع، وستأتي تراجم الباقين إن شاء الله تعالى، وكان المترجم عليه وظائف منها إمامة جامع الآغا وخطابة النطاعين وبعض عثامنة (عثامنة اقجه)، ومؤيدي (پاره) وريال تسعون مؤيدي يعني (طقسان پاره) وكل هذه في الاصطلاحات القديمة، وأجزاء، وكان لا يخلو من ثروة ودرس، وأفاد وانتفع به جماعة، وأخذ وقرأ على جماعة كثيرين، فأخذ الفقه والحديث، وأجيز بسائر الفنون عن أبي المواهب الحنبلي، وقرأ الفقه والحديث، وحضره وأخذ عنه محمد بن علي الكاملي، وأخذ عن إبراهيم الكوراني، وأجازه ومحمد بن محمد بن سليمان المغربي، ومحمد بن داود العناني، وخليل بن إبراهيم اللجقاني القاهري، وصافحه أحمد بن محمد المرحومي المصري، وعطية الأزهري، ومحمد الشرنبلالي، ومحمد بن حسن العجلاني النقيب، وإسماعيل بن علي الحايك، (المفتي الحائك بالهمز وحايك بالياء بمعنى واحد لأنّ المادة واوية ويائية) وغيرهم من أهل دمشق وغيرها، وأجازوه إجازات عامة، وكانت وفاته في يوم الأربعاء خامس عشر جمادي الآخرة سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف، ودفن بتربة باب الصغير رحمه الله تعالى.

عثمان بن صادق:

٤٣٤ ـ عثمان بن أحمد باشا بن صادق الحنفي القسطنطيني، وتقدّم ذكر والده: أحد الأفاضل المشهورين من المدرسين والموالي في الدولة، كان عارفاً أديباً فاضلاً ماهراً بالعلوم والفنون، دخل الحرم السلطاني وصار من غلمانه على عادتهم، وخدم به، وقرأ وحصّل، وانتفع بالشيخ محمد بن حسن بن همّات (همّت أولملي) الدمشقي معلم الغلمان في الحرم السلطاني، والفاضل عثمان نيشنجي زاده (نشانجي)، وجعله السلطان مصطفى خان معلماً لولده السلطان محمد، وانتقل للأودة الخاص، وتملّك كتباً نفيسة، ثم خرج بالتدريس في

سنة ست وثمانين وتنقّل بالمدارس والفنون، حتى وصل للثمان، وخرج منها بقضاء بلدة أزمير، وارتحل إليها ولم تطل مدته هناك، ومات وكانت وفاته في محرم سنة ست وتسعين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

عثمان بن حسين الألاشهري (الأشهرلي):

٤٣٥ ـ عثمان بن حسين الألاشهري الحنفي نزيل قسطنطينية وأحد العلماء أرباب الشهرة والمدرسين بها: كان علامة فاضلاً عالماً محققاً، مشهوراً بالنبل والفضل، أخذ وقرأ على أجلّاء عصره، وأجلهم الفاضل محمد الدارندوي (دارنده لي) انتفع به، وله من التآليف رسالة في المنطق، ورسالة في آداب البحث، ورسالة في النحو، وأخرى في الصرف، ورسالة في دخان التبغ المعروف بالتتن، واشتهر بدار الخلافة وكبر صيته، وأخذ عنه الأفاضل، وأقرأ ولازم الإفادة، ولازم على عادتهم وسلك طريق المدرسين، ثم تقاعد باختياره بمدرسة السلطان أحمد خان، وكانت وفاته بقسطنطينية في رجب سنة تسعين ومائة وألف رحمه الله تعالى، والألاشهري: بألف مفتوحة، ولام ألف، وشين مفتوحة، وهاء، وراء، وياء، نسبة إلى قصبة تابع يدين تسمى الأشهر، إلاّ أنّه قرأ الضاد بالظاء، وأنكر الصوفية (قد قامت القيامة على من قرأ الضاد بالظاء، وأخمدت نار النزاع، وتجددت هذه الدعوى مراراً، وأنكرت ونسيت وتنوسيت، كما تنبئك كتب التواريخ، ولها رسالة جديدة في مصر في هذا القرن فاطلع عليها) تحريراً في سنة ١٢٩١ في رمضان.

السيد عثمان الفلاقنسي:

٤٣٦ ـ السيد عثمان بن سعدي بن عثمان بن علي خان، المعروف بالفلاقنسي: لكون والدة والده أخت المولى فتح الله الدفتري الفلاقنسي الآتي ذكره في محله الدمشقي، كان من رؤساء الكتاب أديباً بارعاً كاتباً نبيهاً فطناً، تولّى كتابات بدمشق، منها كتابة العربي بديوان دمشق الشام، وكذلك في وقف الحرمين، وكذلك وقف المدرسة الشامية، وصار محاسبه جي الخزينة الميرية السلطانية بدمشق، ونشأ متفيأ ظلال نعم قريبه الدفتري المذكور، محتسياً لكؤوس من المنى من حان دولته، وكان له معرفة بالأدب واطلاع، وحسن مطالعة مع المعرفة بأنواع الخطوط، ولازم العارف الشيخ حسن البغدادي نزيل دمشق، ولما حصل على دمشق ما حصل من مجيء العساكر المصرية، وواقعة ذلك شاعت وذاعت، ولا يمكن إحصاء ما جرى من الأمور وغيرها الصادرة في تلك الوقت، أرسل خلف المترجم أمير العساكر الأمير الكبير محمد بيك المعروف بأبي الذهب، وطلب منه دفاتر إيراد دمشق والعائد إلى حكامها العرفية، فأحضرهم إليه وسلك عنده، ونسب لأمور في ذلك وهو فيما أعلم بريء عنها، فبعد ارتحال العساكر من الديار الشامية وعودهم للديار المصرية تحسب ـ كان المؤرخ قصد معنى التوهم ـ من أشياء ودخل عليه الرعب، ولم تطل مدته ومات،

ورأيت له من الشعر هذه القصيدة امتدح بها قريبه الدفتري المذكور وهي قوله:

هذا الحمى ما بال دمعك قد جرى … وازداد وجدك واللّهيب تسعّرا
أذَكَرْتَ أيّاماً مضين بسفحه … هيجن شوقك أم ظباه النفرا
فسكبتَ دمعاً من محاجر مقلة … مقروحة الأجفان حار بها الكرى
وهتكتَ ستراً للحبيب وكنت لا … تبدي الصبابة خيفة أنْ تظهرا
وأمرتَ قلبك كتمه فأذاعه … منك النّحو كفى بذلك مخبرا
فالدّمع فضّاحٌ لكلّ متيّم … تركته غزلان العقيق كما ترى
من كل فتّان اللّحاظ تخاله … غصناً يحرّكه النسيم إذا سرى
يسبي المهاة بجيده وبطرفه … فإذا رنا يصطاد آساد الشرى
يا هاجري هل أنت باقٍ مثل ما … عهدي وثيق أم تصرّمت العرى
إن كان هجرك لي بوشي مزوّر … إنّي سلوت فإنّ ذلك مفترى
لا تجنحن لكلّ واشٍ لم يمل … عذل المتيّم والحديث المنكرا
لم يكفني هجر الحبيب وصدّه … حتى نأى وحدي به حادي السرى
كلّ الخطوب أطيق إلا بينه … قلبي على أثقاله لن يقدرا
يا عاذلي دعْ ذكر أيام مضت … واجهد بمدحك ذا الجناب الأخطرا
الفتح من شاد المفاخر والعلا … بفضائل شهدت بها كلّ الورى
مولىً إذا ضنّ الغمام بقطره … جادت سحائب راحتيه أبحرا
قد حاز كل المكرّمات فلم يدع … للغابرين محامداً أنْ تذكرا
وحوى النّدى بمآثر لو كلّفوا … سحبان يحصيها الردّ مقصّرا
فرويتُ بيتاً قاله قبلي من الـ … ـماضين ندب فيه حقاً لأمخرا
لا تطلبن حديث شهم غيره … يروي فكل الصيّد في جوف الفرا
قل للذي قد رام يبلغ شاوه … هيهات كم بين الثريا والثرى
من يأته سلماً جباه أمانيا … ومعانداً ولّي فراراً مدبرا
مولاي قدرك قد علا عن درك مدّ … اح فعذراً إنْ أتيت مقصرا
وعلمت أنّي عاجز عن درك ما … قد حزته ويحقّ لي أنْ أعذرا
وقد اقتحمت وصفت فيك قوافياً … جاءت تفوح لديك مسكاً إذ فرا
فاسلم ودمْ ما فاه تال منشداً … هذا الحمى ما بال دمعك قد جرى

وكانت وفاته في سنة خمس وثمانين ومائة وألف ودفن بتربة الشيخ أرسلان رضي الله عنه آمين.

عثمان ثروت:

٤٣٧ ـ عثمان بن صالح، الملقب بثروت، على طريق شعراء الفرس والروم، الحنفي

القسطنطيني: أحد الكتاب البارعين بالفنون والآداب، نشأ بدار السلطنة المذكورة، وأخذ الخط عن الكاتب أحمد خواجه زاده المشهور، وأتقن الأدب والإنشاء، حتى صار كاتباً لمعتمد الملوك بشير ضابط الحرم السلطاني في دولة السلطان محمود بن مصطفى خان، وبعد قتله وتفرّق أتباعه صار من أعيان كتّاب الديوان السلطاني المعروفين بالخواجكان، وله نظم بالتركية كثير، وكان أولاً يلقّب بحنيف، وجمع ديواناً من شعره باللّقب المذكور، وقد طالعته ورأيته في دار الكتب التي جمعها ووقفها سلطان زماننا السلطان عبد الحميد بن أحمد خان، ولما عدل عن اللّقب المذكور، وتلقب بثروت، جمع ديواناً آخراً من شعر جديد نظمه، ولما تمّ وافق تاريخه ديوان ثروت، وذلك سنة سبع وسبعين ومائة، وقد طالعته لما تملّكته، وهو الآن من كتبي، وفيه كل معنى لطيف تشربه الأسماع بفم الاشتهاء، وكانت وفاته في صفر سنة ثمانين ومائة وألف.

عثمان العقيلي:

٤٣٨ ـ عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الرزاق بن إبراهيم، وينتهي إلى الولي الكبير والقطب الشهير الشيخ عقيل المنبجي: فلذلك كان معروفاً بالعقيلي العمري الشافعي الحلبي، الشيخ الإمام العالم الفاضل، كان صالحاً عالماً عاملاً زاهداً، وله سلوك حسن الأخلاق والسير، ولد في سنة خمس وثلاثين ومائة وألف، وحفظ القرآن وهو ابن اثنتي عشرة سنة، ثم حفظ الشاطبية والدرّة، واشتغل بالطيبة في القراءات العشرة، وجمع القرآن من طريق السبعة والعشرة، وكان شيخه العالم العابد الشيخ محمد الحموي الأصل البصري، وكذلك العلامة الشيخ محمد العقاد في غيرها، وأخذ من العلوم ما بين تفسير وحديث وأصول وفقه ومعان وبيان ونحو وصرف وغير ذلك عن شيخه الأستاذ العلامة الشيخ طه الجبريني، ومن مشايخه الفاضل الكبير الشيخ محمد بن الطيب (محشي القاموس) المغربي نزيل الحرمين، ومنهم العالم المحدّث الشيخ عبد الكريم الشراباتي، والفقيه المتقن الشيخ عبد القادر الديري، ومنهم الإمام العالم المحدث الشيخ محمد الزّمار حضر عليه في كثير من العلوم، وكذلك النحرير الشيخ السيد علي العطار قرأ عليه في الفقه والنحو والفرائض وغير ذلك، وارتحل إلى الحج في سنة ست وسبعين ومائة وألف، واجتمع بغالب من كان حينئذ بالحرمين، وأخذ عنهم، فمنهم العارف الشيخ محمد بن عبد الكريم السمّان المدني، أخذ عنه الحديث وأجازه، وأخذ عنه الطريقة القادرية، ومنهم العلامة الشيخ محمد بن سليمان الشافعي المدني، والشيخ محمد بن عبدالله المغربي، والعلامة الشيخ أبو الحسن السندي شارح شرح النخبة في مصطلح الحديث للعلامة ابن حجر، ومنهم الفاضل الشيخ يحيى الحباب المكي، والشيخ عطاء الله الأزهري نزيل مكة، وأخذ بدمشق عن العلامة المحقق الشيخ علي الدغستاني، وله مشايخ نحو الخمسين، وكان بحلب مقيماً على الاشتغال بالعلم يقرىء كتب الحديث والفقه والآلات في أموي حلب وغير ذلك، ولزمه جماعة، وكان ملازماً ومواظباً على الاعتكاف في كل سنة أربعين يوماً، وهي المسمّاة عند أهل الطريق

بالخلوة، فإنّه يعتكف مع جماعة من إخوانه هذه المدة ويشتغلون فيها بالصيام والقيام والذكر، وبالجملة فهو أحد من ازدانت بهم الشهباء من الأفاضل في زماننا، وكانت وفاته يوم الأحد ثاني عشر محرم سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

عثمان الدوركي:

٤٣٩ ـ عثمان الوزير بن عبد الرحمن باشا ابن عثمان الدوركي الأصل، الحلبي المولد والمنشأ: انتقلت بوالده الأحوال إلى أنْ صار في الباب العالي رئيس الچاويشية، ـ چاوشباشي يه صكره دعاوى ناظري ديررايدي سمدي اجرا جمعيتي رئيسيدر ـ وهي رتبة قعساء، (يقال: رجل أقعس أي منيع، فقوله: رتبة قعساً: أي عالية). لا ينالها إلاّ من هو مجرّب في معرفة قوانين الدولة، ومنها أنعمت عليه الدولة بمنصب حلب برتبة روملي، ورحل من إسلامبول إلى مقر حكومته حلب، ففي الطريق ناداه داعي المنون فأجاب، فامتحن صاحب الترجمة، ثم ترقّت أحواله إلى أنْ صار محصل الأموال الميرية بحلب، وكانت له دربة في الأمور فجمع الأموال، وبنى وشيّد ورأس، وساعده الوقت، وبنى داره الكائنة بمحلة داخل باب النصر على شفير الخندق وهي أحد الدور العظام في الارتفاع والإحكام، وبشرقيها كان سور باب الأربعين قديماً، وهذا كان أبواب مدينة حلب، ومحله عند مسجد الأربعين المعروف الآن بزاوية القرقلار، (قرقلر زاويه سي) يسنكها مشايخ الطريقة النوربخشية قدس الله أسرارهم، وسيأتي إنْ شاء الله تعالى بيان سبب تسمية باب الأربعين قديماً، وعدد أبواب حلب، وما كانت عليه قديماً، وذكر مشايخ هذه الطريقة العليّة، وشرقي دار المترجم أيضاً العين المعروفة (بالعونية) يقصدها المرضى يوم السبت قبل طلوع الشمس يغتسلون بها، ولها ذكر في الخواصات التي بحلب ـ مولانا خواصات ديمش جمع الجمع يابه يور ـ ثم إنّ المترجم شرع في عمارة جامعه المعمور لصيق داره أوائل سنة إحدى وأربعين ومائة وألف، فاشترى الدور التي كانت في محل الجامع من أهلها بالأثمان المضاعفة، (عثمان باشا هذا خالف سنة الظلمة وأغضب روحي بشتاك وجمال الدين انظر صحيفة ٧٠ من الجزء الثاني من كتاب المواعظ) وكان يقترض المال من التجار أهل الخير والصلاح المعروفين بحل المال، ويصرفه في عمارة الجامع ويوفيهم من ثمن حنطة كانت عنده، إلى أنْ فرغ بناء الجامع وتم على أكمل الوجوه، ولما انتهى حفر أساس الجامع، وحررت القبلة بتحرير العلامة الشيخ جابر الحوراني الأصل، والعلامة الشيخ علي الميقاتي بأموي حلب، نزل صاحب الترجمة بنفسه إلى الأساس واستدعى بطين فوضعه، ووضع عليه حجراً ووضع بينهما صرة صغيرة لا يدرى ما هي، وصعد وشرعوا في البناء بالأحجار الهرقلية الهائلة، وأبطل العمل شتاءً إلى أنْ كمل سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف، ووضع فيه منبراً من الرخام الأصفر الفائق، ـ سُرِقَ منبر مصنع من جامع شهنشاه بمصر بعد سنة ١٢٨٠ وخبر أهل الخبرة بأنّ المنبر المذكور كان مثل منبر الجامع الذي يقال له اليوم جامع الشيخ أبي حريبة، وقوّموه بألف وخمسمائة ليراً، وكل لير بأربعة آلاف مؤيدي

بعيار دار الضرب بمصر، ثم هدمت مئذنة الجامع خوفاً من سقوطها على رؤوس المارين، والجامع المذكور لصيق بدار سليمان آغا الوكيل بباب الخرق ـ وفي صحنه حوضاً من الرخام الأصفر طوله أربعة عشر ذراعاً في مثلها، وفي شماله مصطبّة مرخمة بالرخام الأصفر بقدر الحوض، وبني فيه إحدى وأربعين حجرة منها ثلاثون للمجاورين، والباقي لأرباب الشعائر، وعيّن له خطيباً شكري محمد أفندي البكغلوني، وهو أول خطيب خطب به، لأنه كان مرغوباً عند الأتراك التمطيط ـ التمطيط أكبرده برالف زيادة ايدوب اكبار ديمك ايسه بوني جاهل مؤذنلر يپار استانبولده اربه چبلر جامعي خطيبي تمطيط مؤرخ اتيميور بورادة تمطيطدن مرامي مداتيمك كه حروفي چكمك أولملي طاش قصابده ملا كوراني مؤذني تمطيط اتيميور ايديسه ده بوسنه حجه كتدي ـ في الخطبة على عادة خطباء إسلامبول، وعين له مدرساً تاتار أفندي العينتابي فاستقام أربعة أشهر ثم استعفى، فنصب مكانه العلاّمة محمود أفندي الأنطاكي وعين السيد محمد أفندي الكبيسي محدثاً، وعين عبد الكريم أفندي الشرباتي واعظاً عقب صلاة الجمعة.

استطراد ذكر الأذان بمصر وما كان فيه من الاختلاف.

اعلم أنّ أول من أذّن لرسول الله ﷺ بلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما بالمدينة الشريفة، وفي الأسفار وكان ابن أمّ مكتوم واسمه عمرو بن قيس بن شريح من بني عامر بن لؤي، وقيل اسمه عبد الله وأمّه أم ولد واسمها عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة من بني مخزوم، ربما أذّن بالمدينة، وأذّن أبو محذورة واسمه أوس، وقيل سمرة بن معير بن لوذان بن ربيعة بن معير بن عريج بن سعيد بن جمح، وكان استأذن رسول الله ﷺ في أنْ يؤذّن مع بلال فأذن له، وكان يؤذن في المسجد الحرام، وأقام بمكة ومات بها، ولم يأت المدينة، قال ابن الكلبي: كان أبو محذورة لا يؤذّن للنبي ﷺ بمكة لا في الفجر، ولم يهاجر وأقام بمكة، وقال ابن جريج: علّم النبي ﷺ أبا محذورة الأذان بالجعرانة حين قسّم غنائم حنين، ثم جعله مؤذّناً في المسجد الحرام، وقال الشعبي: أذّن لرسول الله ﷺ بلال، وأبو محذورة، وابن أم مكتوم، وقد جاء أنّ عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يؤذّن بين يدي رسول الله ﷺ، عند المنبر، وقال محمد بن سعد عن الشعبي: كان لرسول الله ﷺ ثلاثة مؤذّنين بلال، وأبو محذورة، وعمرو بن أمّ مكتوم، فإذا غاب بلال أذّنَ أبو محذورة، وإذا غاب أبو محذورة أذّن ابن أمّ مكتوم، قلت: لعلّ هذا كان بمكة، وذكر ابن سعد أنّ بلالاً أذّن بعد رسول الله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه، وأنّ عمر رضي الله عنه أراده أنْ يؤذّن له فأبى عليه، فقال له: إلى من ترى أنْ اجعل النداء، فقال: إلى سعد القرظ، فإنّه قد أذّن لرسول الله ﷺ، فدعاه عمر رضي الله عنه، فجعل النداء إليه وإلى عقبة من بعده، وقد ذكر أنّ سعد القرظ كان يؤذّن لرسول الله ﷺ بقباء (قبا بضم الأول)، وذكر أبو داود في مراسيله والدارقطني في سننه قال بكير بن عبدالله الأشج كانت مساجد المدينة تسعة سوى مسجد

رسول الله ﷺ، كلّهم يصلون بأذان بلال رضي الله عنه، وقد كان عند فتح مصر الأذان إنما هو بالمسجد الجامع المعروف بجامع عمرو، وبه صلاة الناس بأسرهم، وكان من هدي الصحابة والتابعين رضي الله عنهم المحافظة على الجماعة، وتشديد النكير على من تخلّف عن صلاة الجماعة، قال أبو عمرو الكندي في ذكر من عرف على المؤذنين بجامع عمرو بن العاص بفسطاط مصر: وكان أول من عرف على المؤذنين أبو مسلم سالم بن عامر بن عبد المرادي، وهو من أصحاب رسول الله ﷺ، وقد أذّن لعمر بن الخطاب، سار إلى مصر مع عمرو بن عاص يؤذن له، حتى افتتحت مصر فأقام على الأذان، وضم إليه عمرو بن العاص تسعة رجال يؤذّنون وهو عاشرهم، وكان الأذان في ولده حتى انقرضوا، قال أبو الخير: حدثني أبو مسلم، وكان مؤذناً لعمرو بن العاص أنّ الأذان كان أوله لا إلّه إلاّ الله، وآخره لا إلّه إلا الله، وكان أبو مسلم يوصي بذلك حتى مات، ويقول: هكذا كان الأذان، ثم عرف عليهم أخوه شرحبيل بن عامر، وكانت له صحبة، وفي عرافته زاده مسلمة بن مخلد في المسجد الجامع، وجعل له المنار، ولم يكن قبل ذلك، وكان شرحبيل أول من رقى منارة مصر للأذان، وأنّ مسلمة بن مخلد اعتكف في منارة الجامع، فسمع أصوات نواقيس عالية بالفسطاط، فدعا شرحبيل بن عامر فأخبره بما ساءه من ذلك، فقال شرحبيل: فإنّي أمدد بالأذان من نصف اللّيل إلى قرب الفجر، فانههم أيّها الأمير أنْ ينقسوا إذا أذّنت، فنهاهم مسلمة عن ضرب النواقيس، وقت الأذان، ومدّد شرحبيل ومطط أكثر الليل، إلى أنْ مات شرحبيل سنة خمس وستين، وذكر عن عثمان رضي الله عنه أنّه أول من رزق المؤذنين (رزق من الباب الأول) فلما كثرت مساجد الخطبة أمر مسلمة بن مخلد الأنصاري في أمارته على مصر ببناء المنار في جميع المساجد، خلا مساجد تجيب وخولان، فكانوا يؤذّنون في الجامع أولاً فإذا فرغوا أذّن كل مؤذن في الفسطاط في وقت واحد، فكان لأذانهم دويّ شديد، وكان الأذان أولاً بمصر كأذان أهل المدينة، وهو: الله أكبر الله أكبر وباقيه كما هو اليوم، فلم يزل الأمر بمصر على ذلك في جامع عمرو بالفسطاط، وفي جامع العسكر، وفي جامع أحمد بن طولون، وبقية المساجد إلى أنْ قَدِم القائد جوهر بجيوش المعزّ لدين الله، وبنى القاهرة، فلما كان في يوم الجمعة الثامن من جمادي الأولى سنة تسع وخمسين وثلثمائة، صلّى القائد جوهر الجمعة في جامع أحمد بن طولون، وخطب به عبد السميع ابن عمر العباسي بقلنسوة، وسبني[1] وطيلسان دبسي، وأذّن المؤذنون حي على خير العمل، وهو أول ما أذن به بمصر، وصلّى به عبد السميع الجمعة، فقرأ سورة الجمعة وإذا جاءك المنافقون، وقنت في ركعة الثانية، وانحطّ إلى السجود ونسي الركوع، فصاح به علي بن الوليد قاضي عسكر جوهر بَطُلَتِ الصلاة أعِدْ ظهراً أربع ركعات، ثم أذّن بحي على خير

(١) سبني محركة على وزن زمني ثوب منسوب إل سبن قصبة بإيالة بغداد.

العمل في سائر مساجد العسكر[١] إلى حدود مسجد عبدالله، وأنكر جوهر على عبد السميع أنّه لم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في كل سورة، ولا قرأها في الخطبة، فأنكره جوهر ومنعه من ذلك، ولأربع بقين من جمادي الأولى المذكور أذّن في الجامع العتيق لحي على خير العمل، وجهروا في الجامع بالبسملة في الصلاة، فلم يزل الأمر على ذلك طول مدة الخلفاء الفاطميين إلاّ أنّ الحاكم بأمر الله في سنة أربعمائة، أمر بجمع مؤذني القصر وسائر الجوامع، وحضر قاضي القضاة مالك بن سعيد الفارقي، وقرأ أبو علي العباسي سجلاً فيه الأمر بترك حي على خير العمل في الآذان، وأنْ يقال في صلاة الصبح الصلاة خير من النوم، وأنْ يكون ذلك من مؤذني القصر عند قولهم السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله، فامتثل ذلك، ثم عاد المؤذنون إلى قول حي على خير العمل في ربيع الثاني سنة إحدى وأربعمائة، ومنع في سنة خمس وأربعمائة مؤذنوا جامع القاهرة، ومؤذنوا القصر من قولهم بعد الأذان السلام على أمير المؤمنين، وأمرهم أنْ يقولوا بعد الأذان الصلاة رحمك الله، (ولهذا الفعل أصل) قال الواقدي: كان بلال رضي الله عنه يقف على باب رسول الله ﷺ فيقول السلام عليك يا رسول الله، وربما قال السلام عليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله، حي على الصلاة حي على الصلاة، السلام عليك يا رسول الله، قال البلادري: وقال غيره كان يقول السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، حي على الصلاة، حي على الفلاح، الصلاة يا رسول الله، فلما ولي أبو بكر رضي الله عنه الخلافة، كان سعد القرظ يقف على بابه فيقول: السلام عليك يا خليفة رسول الله ورحمة الله وبركاته، حي على الصلاة، حي على الفلاح، الصلاة يا خليفة رسول الله، فلما استخلف عمر رضي الله عنه، كان سعد يقف على بابه فيقول: السلام عليك يا خليفة خليفة رسول الله ورحمة الله وبركاته، حي على الصلاة، حي على الفلاح، الصلاة يا خليفة خليفة رسول الله، فلما قال عمر رضي الله عنه للناس: أنتم المؤمنون وأنا أميركم، فدُعي أمير المؤمنين استطالة لقول القائل يا خليفة خليفة رسول الله، ولمن بعده خليفة خليفة خليفة رسول الله، كان المؤذن يقول: السلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، حي على الصلاة، حي على الفلاح، الصلاة يا أمير المؤمنين، ثم إنّ عم رضي الله عنه أمر المؤذّن فزاد فيها رحمك الله، ويقال: إنّ عثمان رضي الله عنه زادها، وما زال المؤذنون إذا أذّنوا سلّموا على الخلفاء وأمراء الأعمال، ثم يقيمون الصلاة بعد السلام، فيخرج الخليفة أو الأمير فيصلّي بالناس، هكذا كان العمل

(١) كان مكان العسكر في صدر الإسلام يعرف بعد فتح مصر بالحمراء القصوى، فقال في كتاب المواعظ والاعتبار: العامر الآن من العسكر جبل يشكر بذي فيه جامع ابن طولون وما حوله إلى قناطر السباع، فأقول: هذا المكان الذي كان سمّى بالعسكر كان خرب بعد زمن المقريزي بأكثر من أربعمائة سنة، فأخذ في العمارة من أواسط قرن الثالث عشر والآن قد جعلت من بعض حقوق جامع ابن طولون داراً للفقراء.

مدّة أيام بني أمية، ثم مدّة خلافة بني العباس أيام كانت الخلفاء وأمراء الأعمال تُصلّي بالناس، فلما استولى العجم وترك خلفاء بني العباس الصلاة بالناس، ترك ذلك كما ترك غيره من سنن الإسلام، ولم يكن أحد من الخلفاء الفاطميين يصلّي بالناس الصلوات الخمس في كل يوم، فسلّم المؤذنون في أيامهم على الخليفة بعد الأذان للفجر فوق المنارات، فلما انقضت أيامهم وغيّر السلطان صلاح الدين رسومهم لم يتجاسر المؤذنون على السلام عليه احتراماً للخليفة العباسي ببغداد، فجعلوا عوض السلام على الخليفة السلام على رسول الله ﷺ، واستمر ذلك قبل الأذان للفجر في كل ليلة بمصر والشام والحجاز، وزِيْد فيه بأمر المحتسب صلاح الدين عبدالله البرلسي الصلاة والسلام عليك يا رسول الله، وكان ذلك بعد سنة ستين وسبعمائة، فاستمر ذلك، ولما تغلّب أبو علي بن كتيفات بن الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي على رتبة الوزارة في أيام الحافظ لدين الله أبي الميمون عبد المجيد بن الأمير أبي القاسم محمد بن المستنصر بالله في سادس عشر ذي القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة، وسجن الحافظ وقيّده، واستولى على سائر ما في القصر من الأموال والذخائر، وحملها إلى دار الوزارة، وكان إمامياً متشدِّداً في ذلك، خالف ما عليه الدولة من مذهب الإسماعيلية، وأظهر الدعاء للإمام المنتظر، وأزال من الأذان حي على خير العمل، وقولهم: محمد وعلي خير البشر، وأسقط ذكر إسماعيل بن جعفر الذي تنتسب إليه الإسماعيلية، فلما قتل في سادس عشر المحرم سنة ست وعشرين وخمسمائة عاد الأمر إلى الخليفة الحافظ، وأعيد إلى الأذان ما كان أُسقط منه، وأول من قال في الأذان بالليل: محمد وعلي خير البشر، الحسين المعروف بأمير كابن شكنبه، ويقال: اشكنبه، وهو اسم أعجمي معناه الكرش، (شِكَنَبه بكسر الشين وفتح الكاف والباء، الكرش واشكنبه بالتركي محرف منه) وهو علي بن محمد بن علي بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وكان أول تأذينه بذلك في أيام سيف الدولة بن حمدان بحلب في سنة سبع وأربعين وثلثمائة، قاله الشريف محمد بن أسعد الجواني النسابة، ولم يزل الأذان بحلب يزاد فيه حي على خير العمل ومحمد وعلي خير البشر، إلى أيام نور الدين محمود، فلما فتح المدرسة الكبيرة المعروفة بالحلاوية، استدعى أبا الحسن علي بن الحسن بن محمد البلخي الحنفي إليها، فجاء ومعه جماعة من الفقهاء، وألقى بها الدروس، فلما سمع الأذان أمر الفقهاء فصعدوا المنارة وقت الأذان وقال لهم: مروهم يؤذّنوا الأذان المشروع، ومن امتنع كبُّوهُ على رأسه، فصعدوا وفعلوا ما أمرهم به، واستمر الأمر على ذلك، وأما مصر فلم يزل الأذان بها على مذهب القوم، إلى أنْ استبدّ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بسلطنة ديار مصر، وأزال الدولة الفاطمية في سنة سبع وستين وخمسمائة، وكان ينتحل مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه، وعقيدة الشيخ أبي الحسن الأشعري رحمه الله، فأبطل من الأذان قول حي على خير العمل، وصار يؤذن في سائر إقليم مصر والشام

بأذان أهل مكة، وفيه تربيع وترجيع الشهادتين، فاستمر الأمر على ذلك إلى أنْ بنت الأتراك المدارس بديار مصر، وانتشر مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه في مصر، فصار يؤذّن في بعض المدارس التي للحنفية بأذان أهل الكوفة، وتقام الصلاة أيضاً على رأيهم، وما عدا ذلك فعلى ما قلنا إلاّ أنّه في ليلة الجمعة إذا فرغ المؤذّنون من التأذين سلّموا على رسول الله ﷺ، وهو شيء أحدثه محتسب القاهرة صلاح الدين عبدالله بن عبدالله البرلسي بعد سنة ستين وسبعمائة، فاستمر إلى أنْ كان في شعبان سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، ومتولّي الأمر بديار مصر الأمير منطاش القائم بدولة الملك الصالح المنصور أمير حاج المعروف بحاجي بن شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون، فسمع بعض الفقراء الخلاطين سلام المؤذنين على رسول الله ﷺ في ليلة الجمعة، وقد استحسن ذلك طائفة من إخوانه فقال لهم: أتحبون أنْ يكون هذا السلام في كل أذان؟ قالوا: نعم، فبات تلك اللّيلة وأصبح متواجداً يزعم أنّه رأى رسول الله ﷺ في منامه، وأنّه أمره أنْ يذهب إلى المحتسب ويبلّغه عنه أنْ يأمر المؤذنين بالسلام على رسول الله ﷺ في كل أذان، فمضى إلى محتسب القاهرة هو يومئذ نجم الدين محمد الطنبدي ـ وكان شيخاً جهولاً وبلهاناً مهولاً سيء السيرة في الحسبة والقضاء متهافتاً على الدرهم، ولو قاده إلى البلاء، لا يحتشم من أخذ البرطيل والرشوة، ولا يراعي في مؤمن إلاّ ولا ذمّة، قد ضرى على الآثام وتجسد من أكل الحرام، يرى أنّ العلم إرخاء العذبة، ولبس الجبة، ويحسب إن رضى الله سبحانه في ضرب العباد بالدرة وولاية الحسبة لم تحمد الناس قط أياديه، ولا شكرت أبداً مساعيه، بل جهالاته شائعة وقبائح أفعاله ذائعة، أشخص (أشخص: أزعج) غير مرة إلى مجلس المظالم، وأوقف مع من أوقف للمحاكمة بين يدي السلطان من أجل عيوب فوادح، حقق فيها شكاته عليه القوادح، وما زال في السيرة مذموماً، ومن العامة والخاصة ملوماً ـ وقال له: رسول الله يأمرك أنْ تتقدم لسائر المؤذنين بأنْ يزيدوا في كل أذان قولهم الصلاة والسلام عليك يا رسول الله كما يفعل في ليالي الجمع، فأعجب الجاهل هذا القول، وجَهِلَ أنّ رسول الله ﷺ لا يأمر بعد وفاته إلاّ بما يوافق ما شرعه الله على لسانه في حياته، وقد نهى الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز عن الزيادة فيما شرعه، حيث يقول: ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾ الآية وقال رسول الله ﷺ: «إياكم ومحدثات الأمور». فأمر بذلك في شعبان من السنة المذكورة، وتمّت هذه البدعة واستمرت إلى يومنا هذا في جميع ديار مصر وبلاد الشام، وصارت العامة وأهل الجهالة ترى أنّ ذلك من جملة الأذان الذي لا يحلّ تركه، وأدّى ذلك إلى أنْ زاد بعض أهل الإلحاد في الأذان ببعض القرى، السلام بعد الأذان على شخص من المعتقدين الذين ماتوا، فلا حول ولا قوة إلا بالله وإنا لله وإنا إليه راجعون، وأما التسبيح في الليل على المآذن فإنّه لم يكن من فعل سلف الأمّة، وأول ما عرف من ذلك أنّ موسى بن عمران صلوات الله عليه، لما كان ببني إسرائي في التيه بعد غرق

فرعون، وقومه اتخذ بوقين من فضة مع رجلين من بني إسرائيل ينفخان فيهما وقت الرحيل، ووقت النزول، وفي أيام الأعياد، وعند ثلث اللّيل الأخير من كل ليلة، فتقوم عند ذلك طائفة من بني لاوي سبط موسى عليه السلام، ويقولون نشيداً منزلاً بالوحي، فيه تخويف وتحذير وتعظيم لله تعالى وتنزيه له تعالى إلى وقت طلوع الفجر، واستمر الحال على هذا كل ليلة مدة حياة موسى عليه السلام، وبعده أيام يوشع بن نون ومن قام في بني إسرائيل من القضاة إلى أنْ قام بأمرهم داود عليه السلام، وشرع في عمارة بيت المقدس، فرتّب في كل ليلة عدة من بني لاوي يقومون عند ثلث الليل الآخر، فمنهم من يضرب بالآلات كالعود والسنطير والبربط والدف والمزمار ونحو ذلك، ومنهم من يرفع عقيرته بالنشائد المنزلة بالوحي على نبي الله موسى عليه السلام، والنشائد المنزلة بالوحي على داود عليه السلام، ويقال: إنّ عدد بني لاوي هذا كان ثمانية وثلاثين ألف رجل، قد ذكر تفصيلهم في كتاب الزبور، فإذا قام هؤلاء ببيت المقدس قام في كل محلة من محال بيت المقدس رجال يرفعون أصواتهم بذكر الله سبحانه من غير آلات، فإن الآلات كانت مما يختص ببيت المقدس فقط، وقد نهوا عن ضربها في غير البيت، فيتسامع من قرية بيت المقدس، فيقوم في كل قرية رجال يرفعون أصواتهم بذكر الله تعالى حتى يعمّ الصوت بالذكر جميع قرى بني إسرائيل ومدنهم، وما زال الأمر على ذلك في كل ليلة إلى أن خرّب (بُخْتُ نُصّر) بيت المقدس، وجلا بني إسرائيل إلى بابل، فبطل هذا العمل وغيره من بلاد بني إسرائي مدة جلائهم في بابل سبعين سنة، فلما عاد بنو إسرائيل من بابل وعمّروا البيت العمارة الثانية، أقاموا شرائعهم، وعاد قيام بني لاوي بالبيت في الليل، وقيام أهل محال القدس، وأهل القرى والمدن على ما كان العمل عليه أيام عمارة البيت الأولى، واستمر ذلك إلى أنْ خرّب القدس بعد قتل نبي الله يحيى بن زكريا، وقيام اليهود على روح الله ورسوله عيسى ابن مريم صلوات الله عليهم على يد طيطش، فبطلت شرائع بني إسرائيل من حينئذ، وبطل هذا القيام فيما بطل من بلاد بني إسرائيل.

(وأما في الملة الإسلامية) فكان ابتداء هذا العمل بمصر، وسببه أنّ مسلمة بن مخلد أمير مصر بنى مناراً لجامع عمرو بن العاص، واعتكف فيه، فسمع أصوات النواقيس عالية فشكا ذلك إلى شرحبيل بن عامر عريف المؤذنين، فقال: إنّي أمدّد الأذان من نصف اللّيل إلى قرب الفجر فانههم أيها الأمير أن ينقسوا إذا أذّنت، فنهاهم مسلمة عن ضرب النواقيس، وقت الأذان، ومدَّد شرحبيل ومطط أكثر الليل، ثم إنّ الأمير أبا العباس أحمد بن طولون، كان قد جعل في حجرة تقرب منه رجال تعرف بالمكبرين، عدّتهم اثنا عشر رجلاً يبيت في هذه الحجرة، كل ليلة أربعة يجعلون اللّيل بينهم عقباً، فكانوا يكبرون ويسبّحون ويحمدون الله سبحانه في كل وقت، ويقرأون القرآن بألحان، ويتوسّلون ويقولون قصائد زهدية، ويؤذنون في أوقات الأذان، وجعل لهم أرزاقاً واسعة تجري عليهم، فلما مات أحمد بن

طولون، وقام من بعده ابنه أبو الجيش خمارويه أقرهم بحالهم وأجراهم على رسمهم مع أبيه، ومن حينئذ اتخذ الناس قيام المؤذنين في الليل على المآذن، وصار يعرف ذلك بالتسبيح، فلما ولي السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب سلطنة مصر، وولي القضاء صدر الدين عبد الملك بن درباس الهدباني الماراتي الشافعي، كان من رأيه ورأي السلطان اعتقاد مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري في الأصول، فحمل الناس إلى اليوم على اعتقاد حتى يكفّر من خالفه، وتقدّم الأمر إلى المؤذنين أنْ يعلنوا في وقت التسبيح على المآذن بالليل بذكر العقيدة التي تعرف بالمرشدة، فواظب المؤذنون على ذكرها في كل ليلة بسائر جوامع مصر والقاهرة، إلى وقتنا هذا، ومما أحدث أيضاً التذكير في يوم الجمعة من أثناء النهار بأنواع من الذكر على المآذن ليتهيأ الناس لصلاة الجمعة، وكان ذلك بعد السبعمائة من سني الهجرة، قال ابن كثير رحمه الله: في يوم الجمعة سادس ربيع الثاني سنة أربع وأربعين وسبعمائة، رسم بأنْ يذكر بالصلاة يوم الجمعة في سائر مآذن دمشق كما يذكر في مآذن الجامع الأموي ففعل ذلك، (من المقريزي انتهى) وعيّن السيد عبد الغني الصباغ إمام الجهرية، والعلامة الشيخ جابر إمام السريّة، وعيّن له أربعة مؤذنين، وعيّن شعالين وفراشين، وقارىء يقرأ النعت، وكناسين، ولكل باب من أبوابه الثلاثة بوّاباً، وأسكن الثلاثين حجرة ثلاثين رجلاً من أهل البلدة، أو من غيرها، وشرط عليهم البيتوتة في الجامع، وملازمة الصلوات الخمس، وقراءة جزء من القرآن العظيم بعد صلاة الصبح، وفي أثناء الجامع صار متسلماً بحلب، وجاءته رتبة روملي، ثم أنعمت عليه الدولة برتبة الوزارة، ومنصب طرابلس ثم عزل عنها، وولي سيواس ثم دمشق، وحج منها أميراً للحاج، ثم ولي حلب فدخلها سنة خمسين ومائة وألف، وشرع في عمارة المطبخ المسمّى بالعمارة على باب جامعه الشرقي، ثم ولي آدنة (وفي هذا الآن تكتب أطنه) ثم بروسة، وعيّن لمحافظة بغداد، ثم ولي إيالة صيدا، ثم ولي جدة ومشيخة الحرم المكي، فأقام بمكة المشرفة إلى أنْ توفّي في ذي القعدة سنة ستين ومائة وألف ودفن هناك رحمه الله تعالى.

عثمان الحلبي:

٤٤٠ ـ عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الرزاق بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الرزاق بن شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عقيل بن تقي الدين أبي بكر عبد الرحمن بن برهان الدين بن إبراهيم ابن أبي عبدالله محمد بن أبي حفص أحمد بن زين الدين سويدان بن شهاب الدين أحمد بن القطب الشيخ عقيل المنبجي، (مِنبج على وزن مجلس، وفي النسبة منبجاني وانبجاني) قدس سره ابن الشيخ شهاب الدين أحمد البطائحي بن الشيخ زين الدين عمر بن الشيخ عبدالله البطائحي، بن الشيخ زين الدين عمر بن الشيخ سالم بن الشيخ زين الدين عمر ابن سيدنا ومولانا الإمام الزاهد عبدالله رضي الله عنه ابن سيدنا ومولانا أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه العالم العامل المسلك المرشد

الشافعي الحلبي: ولد في منتصف شهر ربيع الأول سنة خمس وثلاثين ومائة وألف، وحفظ القرآن وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وأخذ الطريقة العقيلية عن آبائه مسلسلة إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأخذ العلوم عن عدة من الشيوخ، كالشيخ طه الجبريني، والشيخ عبد الكريم الشراباتي، والشيخ عبد القادر الديري، وأجاز له الشيخ محمد ابن الطيب المغربي المدني، وحج سنة ست وسبعين، فأخذ بالمدينة عن الشيخ محمد بن عبد الكريم السمّان، والشيخ محمد بن عبدالله المغربي المدني، والشيخ محمد بن سليمان المدني، وأخذ بدمشق عن العلاّمة علي بن صادق الطاغستاني.

عثمان العرياني:

٤٤١ ـ عثمان بن عبدالله، الشهير بالعرياني الحنفي الكليسي[١] الأصل، الحلبي المولد، نزيل قسطنطينية العالم الفاضل البارع: له من التآليف شرح الهمزية، وشرح النونية في العقائد لخضر بيك، وشرح الحزب الأعظم لعلي القاري، (علي القاري في الخلاصة) وغير ذلك، وقد اطلعت على هذه المؤلفات له، وأنا في الروم، قطن الديار الرومية مدة، وأعقب بها، ثم ارتحل للحرمين وجاور بالمدينة المنورة، وتوفّى بها، وكانت وفاته في سنة ثمان وستين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

عثمان المجذوب:

٤٤٢ ـ عثمان بن عبدالله المجذوب نزيل قسطنطينية: كان في الأصل من أرقاء المولى محمد سعيد قاضي العساكر في الدولة العثمانية ورئيس الأطباء في المعهد المحمودي، ثم حصل له جذب إلّهي، وكان قرأ القرآن وشيئاً من العلوم، وتعلّم الخط فترك الجميع، واستغرق وظهرت له أحوال خوارق، وحصل على الولاية واعتقده العام والخاص، حتى سلطان وقتنا السلطان عبد الحميد خان اعتقده، وظهرت له كرامات، حتى إنّني في رحلتي الأولى للدولة شاهدتُ منه كرامة ظاهرة، وكان مستقيماً في اقميم حمام السلطان أبي يزيد خان، وكانت وفاته في يوم الثلاثاء ثالث جمادي الآخرة سنة سبع وتسعين ومائة وألف، وجاء تاريخه (موت مجذوب)، ودفن لصيق باب الأوض (اسكي أوطه لر) العتيقة، المعدّة للينكجرية، بالقرب من جامع الشاه زاده، بأمر من السلطان المذكور، وحجّر قبره (من التحجير)، ووضع عليه هيئة كسوته المولوية التي كان يلبسها رحمه الله تعالى.

عثمان باشا الوزير:

٤٤٣ ـ عثمان باشا بن عبدالله الوزير الكبير الصدر الشهم الدستور المعظم صاحب الخيرات والمآثر الجميلة: كان من موالي الوزير الكبير أسعد باشا ابن العظم، فجعله متسلماً عنه في حماة، ثم بعد ذلك لما عزل الوزير المرقوم عن دمشق وولي سيواس واستشهد بها

---

(١) لم أجده في معجم البلدان.

بأمر الدولة، قبض على صاحب الترجمة، وأُخذ إلى الروم يؤدي حسابات للدولة بخصوص تركة المرحوم أسعد باشا، فلما وصل إلى قسطنطينية أدركته العناية، فتخلّص من ذلك، وأعطته الدولة كفالة دمشق بثلاثة أطواغ، وجهت له بدمشق وإيالتها، فرجع ودخل الشام في ثالث جمادي الأولى سنة أربع وسبعين ومائة وألف، وكانت أيامه أيام فرح وسرور وأمان ودعة، في سابع عشري جمادي المذكور من السنة المرقومة ـ بولادة السلطان الأعظم سليم خان بن السلطان مصطفى خان أيد الله كلمتهم وأبّدَ دولتهم هو السلطان سليم الثالث الشهيد رحمه الله تعالى ـ قام المترجم بعمل زينة في دمشق، فصارت زينة عظيمة في سبعة أيام، وبذل صاحب الترجمة في ذلك أموالاً عظيمة، وكان له يد طولى في تعمير طريق الحاج الشامي، فعمّر عدة قلاع، وشيئاً كثيراً في الطريق، وعمل ذلك بالأحجار والصخور، وفي سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف بنى قناة داخل صحن الجامع الشريف الأموي، وأجرى لها الماء من نهر القنوات، وصرف على ذلك أموالاً كثيرة، وصار بها فرج للناس عند انقطاع نهر بانياس[1]، وكان متولي الجامع إذْ ذاك والدي فأرّخ ذلك بقوله:

لقد جاء الوزير بخير بر ... لجامع شامنا من غير سوْ
فيجزيه الإلّه بكل خير ... على فعل المبرة بالنمو
وما مفتي دمشق أتى ببيت ... بتاريخين يعلن بالسمو
لعثمان الوزير سبيل وسع ... لمسجد سعده لأجل الوضو

ثم في سنة خمس وثمانين بعد قدومه من الحاج، جاء لدمشق محمد بيك الملقّب بأبي الذهب وحاصرها وأخذها، كما قدمنا ذكر ذلك، ثم في تلك السنة عزل صاحب الترجمة عن دمشق وتوفّي سنة ست وثمانين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

عثمان البقراصي:

٤٤٤ ـ عثمان بن عمر البقراصي الحنفي الحمصي: كان فاضلاً فصيحاً تولّى إفتاء حماة، واستقام مدة بها، وكان صالحاً، وقد انتفع به جماعة، وتوفّى بحماة في نيف وسبعين ومائة وألف ودفن خارجها بباب المدرج رحمه الله تعالى.

عثمان ابن بكتاش الموصلي:

٤٤٥ ـ عثمان بن عمر، المعروف ببكتاش زاده، الموصلي الشاعر الأديب الناظم الناثر: ترجمه بعض فضلاء الموصل وقال في حقه: هذا الأديب، والشاعر المصيب، والفصيح بقوله وحلاوته، والمبتكر للمعاني بطلاوته، دبّج القراطيس بمداد تأليفه، وروّج سعر الشعر بحسن سبكه لدرر الألفاظ وترصيفه، جدير بأنْ يشار إليه بالبنان، بين الشعراء

(١) يزيد وثوره وبرده وبانياس وقنوات وقناة المزة أنهار بدمشق.

والأقران، فله قصائد عديدة، فمن نظمه قوله يمتدح المرحوم السيد عبدي أفندي عندما ولي إفتاء الموصل يهنّيه كل شطر منها تاريخ، وقد شهدت بقوة طبعه ومهارته في فن الأدب، وسلامة قريحته، فأبدع وأغرب حيث قال:

على قمر الإقبال في أفق اليسر ... وزان بإكليل الهنا جبهة البشر
تلألأ بالفتح المبين هلاله ... فباهى به المشكاة كوكبها الدرّي
كسى بالفتاوى عابداً حلّة الهدى ... وألبس عطفيه العلى حلة القدر
فأضحى باب المدح لما زهى الولي ... على عبيد الله منشرح الصدر
فتى أوجز الفتوى بمنهاج مجده ... وزاد عليها علّة الكسر والجبرِ
تبقر في علم الولي وهو يافع ... وأدنى مقاليد الثنا وهو في الحجر
يلخص في أوفى المعاني بيانه ... بديع طوايا رفده الفائق النشر
سريع العطايا مدها متداركي ... ببحر ندى لم يجزر الوعد عن قصر
جوّاد عطاء لو تجاريه دجلة ... لجالت عيون من لجين على الجسر
ولو قهر الإكرام أيتام نيله ... لحطّ نداه سائل التبر في نهر
تكاد البحار السبع جداً ببذله ... يفجّرها من بسط أنمله العشر
أبى الله أنْ تستنكح السحب جوده ... لتطرح ماء حملها لؤلؤ القطر
تناسيت أحبابي زماناً ومنزلي ... بدعواه ما جاءت قفا نبك في ذكري
سلالة أبناء ولاة أكابر ... جمانة أبناء أطايبة طهر(١)
حليف النّهي والحلم والعدل والسخا ... أخو المجد والآلاء والعفو والبر
له أخوة حازو وأبناهم هذا ... بأجدادهم أهل النوال بني الفخر
مدارس علم الله خزان جوده ... معاجزه الأبرار في السر والجهر(٢)
فمن مثلهم أصلاً وحيدر جدهم ... حليم محل الحلم صنو الفتى الطهر
فيا شرفاً يزهو ببطحاء مكة ... ويا نسباً دار له شرف البدر
أبوهم بهاء المجد هم بهجة الثني ... بنوهم أكاليل الهدى جدّهم فخري
أمولاي يا مولاي دعوة شاكر ... لأنعمكم شاكي إليكم جفى الفقر
يأرّخها داعيك يا جوهر البها ... مدى كل شطر عم حسناً على الدر
فلا زلت في مجد الولاية زاهياً ... بإقبال سعد مسبل مدة العمر

وله أيضاً كل شطر تاريخ في وفاة المرحوم السيد يحيى أفندي مفتي الموصل في تلك السنة:

---

(١) أطايبة أطيب جمعه أطايب.

(٢) يقال عاجز فلان إذا ذهب فلم يوصل إليه (القاموس).

حيّتك يا مرقداً وارى هلال هدى … سحابة الفوز بالحسنى مع الرّسلِ
وآنستك بهام هامل ونعت … نفس الفتاوى أنيس العلم والعمل
لقد حويت حسيباً طالما سجدت … في البيت جبهته الفيحاء للأزل
عزّ فللناس أسخى سيد سند … زين بأبهى برود المجد مشتمل
طوبى له فاز بالأخرى بنيل علا … من رحمة الله لم يوصف ولم ينل
وحلّ أعلى محل شامخ وبدا … يطوف في جنة الفردوس في حلل
فليبك جزماً على الفتوى اليراع دماً … لفقده وليرثيه فم الوكل
همي بحسن قبول حين أرّخه … بكل شطر يراع الوافدين جلي
يا مَنْ يروم مثيلاً بالمقام له … مهلاً فما لسداد العقل من مثل
بمن تشبه يحيى في الصلاح وقد … سعى إلى الخلد في يحيى الإمام علي

وله غير ذلك، وكانت وفاته في أواخر هذا القرن، أعني الثاني عشر رحمه الله تعالى وأموات المسلمين أجمعين.

عثمان الحافظ:

٤٤٦ ـ عثمان بن علي، المعروف بالحافظ، الحنفي القسطنطيني الكاتب المشهور أحد أفراد الدهر: كان والده مؤذناً بأحد جوامع قسطنطينية، وولد المترجم في حدود سنة اثنين وخمسين وألف ونشأ بالبلدة المزبورة، وأخذ الخط وأنواعه عن درويش علي، الكاتب الرومي المتوفى سنة أربع وثمانين وألف، وبإذنه عن صويولجي (إن صويولجي هو المأمور على تقسيم المياه، وإصلاح طرقها، وإعطائها إلى الدور والمحلات، وفي الشام يقال له شاوي، وأوصاف هذه الطائفة يذكرونها في أوراق الحوادث التي تطبع في زمن قلة المياه، وعدالتهم بها على حسب قوة أصحاب الحق وضعفهم، فلا تظن مكرهم أخفى من الماء تحت الرفة، وكانت مياه مصر بيد السقاة، وإلا سهلها ولاة مصر بالإسكندرية والقاهرة لإطفاء حرّ أكباد الضعفاء من السقاة انتهى). زاده مصطفى، وإسماعيل نفس زاده الكاتبين المشهورين، وبرع ومهر بالخطوط وأنواعها، وأعطاه الله الشهرة التامّة، والتفوّق على أهل عصره، واشتهر اشتهار الشمس، وتنافس الناس في خطّه، وبيع بالثمن الغالي، ورغبت فيه الناس، وفاقت شهرته على خط ياقوت، وإلى الآن يتداول بين أيدي الناس بالقبول والرغبة، وانتسب في أوائل أمره المترجم للوزير مصطفى باشا الكبرى (كوبريلي) الصدر الشهيد، وفي سنة ست ومائة وألف صار معلماً للسلطان مصطفى خان ابن السلطان محمد خان، وأعطي قضاء ديار بكر، وبعد عزله أعطي قضاء آخر على وجه التأبيد، كما هو دأب الدولة العثمانية، وأحبّه السلطان المذكور، وأخذ عنه الخط النسخي، والثلث، وغيرهما أناس كثيرون، وفاق واشتهر أمره مقدار أربعين سنة، وقبل وفاته بثلاث سنوات عطل بداء الفالج، وكان مع هذه الشهرة صاحب ملاطفة وانطراح وتودّد، وتغلّب عليه الصلاح والديانة، قيل

كتب بخطه المرغوب الحسن خمساً وعشرين مصحفاً شريفاً، تغالى الناس بهم، وحصلت له الشهرة التامة، وكانت وفاته بقسطنطينية سنة عشرة ومائة وألف رحمه الله تعالى (صاحب ترجمة حافظ عثمان أوله يور).

عثمان العمري الموصلي:

٤٤٧ ـ عثمان بن علي العمري الموصلي صاحب الفضائل والفواضل أبو النور عصام الدين الأديب الشاعر البارع المفنن الناظم الناثر: له في الأدب النوادر الغضّة، والمحاسن التي هي أنقى وأظرف من الفضّة، ولد في حدود سنة أربع وثلاثين ومائة وألف، وقرأ على الشيخ درويش الكردي، والعلاّمة جرجيس الإربلي، وسافر إلى صوران، (على وزن سحبان، قرية باليمن)، فقرأ على عامة علمائها، كالشيخ الصالح فضل الله الحيدري، والشيخ فتح الله، والشيخ صالح وغيرهم، ورجع فاستخدمه الوزر حسين باشا، ورحل معه إلى القرص ووان[1]، وولاّه بعض البلاد الصغيرة، كأرويش، وما زال مكرماً عنده حتى عاد قبل السبعين فاستخدمه الوزير الكبير محمد أمين باشا، ومكث عنده سنين ثم رحل إلى القسطنطينية، فولي حساب بغداد ودفتر قلاعها، وأراضيها ومياهها، فمكث على ذلك قدر أربع سنين إلى أنْ ولي الوزارة علي باشا فحبسه وأذاه، ثم أطلق وعاد إلى الموصل راجعاً، فقبض عليه ثانياً في قلعة كركوك، ثم أطلق وعاد إلى الموصل ومكث فيها قريباً من سنة، ثم رحل في رمضان في سنة ست وسبعين ومائة وألف إلى القسطنطينية، وركب في البحر، وفي الطريق صادفه بعض خدّام النواب الأعظم، وعندها أمر له بالعود إلى بغداد لمحاسبة أهلها، وقد مات وزيرها علي باشا، ووجهت إلى عمر باشا، ولما وصل ماردين منع من العود، وبقي فيها برهة، ثم أطلق سبيله فعاد إلى الموصل فلم يدخلها، حتى وصل إربل فلم يتمكن من مجاوزتها، ومكث مدة ثم أمر به إلى قرية في قرب بغداد تعرف بالدجين، ومكث هناك يسيراً، ثم أمر به إلى الحلة، وقد قاسى الأهوال العظيمة، وكان بعد موت سليمان باشا قد جعل نائباً في الحكومة، والإمارة قائماً مقامه، حتى ورد الأمر الشريف بعزله، وولي ذلك الوزير المكرم أمين باشا، ومعادات الوزراء له، سببها ولايته أمر بغداد وبذله الأموال، حتى صار في الكرم والسخاء، حاتم زمانه، ومأمون أوانه، وقد مدحه من الشعراء الجم الغفير بالقصائد البديعة، وبعد انقضاء أيام الحصار، وكشف تلك الغمّة سافر صحبة الوزير محمد أمين باشا إلى القسطنطينية، وفي عوده منها دخل حلب الشهباء، وبالجملة فقضاياه ومناقبه تحتمل أسفاراً عديدة، وله مؤلف حافل في تراجم أبناء العصر، سمّاه «الروض النضر» حذا فيه حذوَ الريحانة، والنفحة، وله شعر كثير فمن ذلك قوله من قصيدة يتشوّق بها إلى بلدته الموصل:

---

(١) قَرْص: بفتح القاف، مدينة أرمينية من نواحي تفليس، يجلب فيها الإبريسيم. معجم البلدان ٤/ ٣٦٧.
وان: قلعة بين خلاط ونواحي تفليس. معجم البلدان ٥/ ٤٠٩.

ما فاح نشر صبا تلك المعالم لي | إلا وأذريت دمع العين في وجلِ
ولا شدّ الورق في أيك على فنن | إلاّ وصربتُ لشوقي جاري المقل
ولا تذكرتُ أوطاني ومنزلي | إلاّ وأيقنت أنّ العز بالنقل
أين العراق وتلك الدار أين سنا | تلك الجنان ففيها قد حلا غزلي
أين الأهيل أصيحا بي بنوار بي | يا حسرتا لفراق الأهل والخَوَلِ

ومنها:

لله إذْ كنت فيها في صفا وهنا | وطيب عيش مضى أحلى من العسلِ

ومنها:

الغيثُ فيها لذيذ قد حلا وغلا | ونلت فيها مني خال من الزللِ
والدّهر قد ضمنت أيامه جدلاً | وأكمنت لي ليالي السود للجدلِ
فما شعرت بقدر الدهر من سفه | وما انتبهت له حتى تنبّه لي
فصار يلفظني أيدي سبا حنقاً | على معاملتي إياه في الأزل
يوماً بحزوي[١] ويوماً بالعقيق وبال | حزون يوماً ويوماً ذروة الجبل
والعز يوماً ويوماً رفعة وعلا | والذّل يوماً ويوماً رتبة السفل
فانحل عقد اصطباري لوعة وغدا | صحيح حال محل الفكر والعلل
كيف الوصول وهذا الدهر يقعدني | عن النهوض إلى لذاتنا الأول
بذلت جهدي فلم تنفع مجاهدتي | واحتلت فيه فلم تنفع به حيلي

ومنها:

واشدد لها حزم صبر غير مضطرب | واسلك لنيل مناها أصعب السبل
وانهض لنيل العلا واركب لها خطراً | ولا تكن قانعاً في مصّة الوشل
فهامة المجد عندي ليس يركبها | من كان يقنع من دنياه بالبلل

وله غير ذلك من القصائد الفائقة والرسائل الأنيقة الرائقة.

عثمان الصلاحي:

٤٤٨ ـ عثمان بن علي الصلاحي العلمي الحنفي القدسي خطيب المسجد الأقصى وإمام الصخرة المشرفة: نشأ في حجر أبيه وقرأ عليه كتباً عديدة، وكان والده من الأفاضل، ويغلب عليه معرفة العلوم العربية، ولزم درس الشيخ علي اللطفي، وكان يلازم المطالعة في داره، ويباشر الخطابة بنفسه، وله صوت جيد تميل إلى سماعه أهل بلدته، حتى إنّ يوم خطبته

(١) حزوي: كقصوى: اسم محل.

يمتلىء الأقصى ناساً لسماع خطبته، وسافر إلى مصر مراراً، وكانت عليه وظيفة جباية أوقاف المصريين التي بمصر، فيذهب غالباً بنفسه ويأتي بها، وبعض السنين يرسل من ينوب عنه فيها، ثم نازعه السيد علي بن جار الله في وظيفة الإمامة، فسافر بسبب ذلك إلى الروم وجاء بأمر سلطاني، ورفع يده عن الوظيفة، وعدل عن التردد إلى مصر، واستقام على حالته إلى أنْ مات، وكانت وفاته كما أخبرت في سنة ثمان وستين ومائة وألف، ودفن في مأمن الله بتربة الصلاحية رحمه الله تعالى.

عثمان الشمعة:

٤٤٩ ـ عثمان بن محمد بن رجب بن محمد بن علاء الدين، المعروف بالشمعة، الشافعي البعلي الأصل، الدمشقي الشيخ الإمام العلامة الحبر المفنن النحرير: ولد قبل الثمانين وألف بقليل، واشتغل بطلب العلم على جماعة من العلماء الأجلّاء، منهم الشيخ إسماعيل المفتي، والشيخ نجم الدين الفرضي، والسيد حسن المنير، واليخ عبد القادر بن عبد الهادي العمري، الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي، والشيخ أبو المواهب الحنبلي وغيرهم، وبرع في العلوم، وكان له ذهن ثاقب وذكاء مفرط، ففاق في إحراز الفنون والمعارف، وتفيّأ من الكمالات في ظلها الوارف، واشتهرت براعته وظهرت سيادته، وجلس لإفادة العلوم بالجامع الأموي، وعكف عليه نجباء الطلبة في كل فن من العلوم النافعة، فكان يقرىء في أكثر من عشرة علوم، وفي أصول الدين، والفقه وأصوله، والفرائض، والحساب، والنحو والصرف، والمعاني والبيان والبديع، ومصطلح الحديث، والمنطق، والحديث، مع براعته في التفسير والقراءات، ورزقه الله تعالى الذهن السيال، والخلق الرضي، والديانة التامة، والعفة الكاملة، والانجماع[1] عن الناس، والقناعة بما رزق، وطهارة اللسان، وسعة الصدر على طلبته مع كثرتهم واختلاف أفهامهم، فلم يكن يعنّف بلد اذهن ولا يصدع خاطره بكلمة، بل كان يقرّر له بلطف ويعيد العبارة ثانياً وثالثاً إنْ لم يكن فهم من أوّل مرة، وكان جلوسه من طلوع الشمس إلى الظهر غالباً صيفاً وشتاء، ولا يضجر ولا يقوم من مجلسه، بل إذا جئته في آخر وجدته في غاية النشاط، وكانت تعدّ هذه الحالة من كراماته، وكان يعظ في جامع السنانية، وحج إلى بيت الله الحرام في سنة ثلاث ومائة وألف، وارتحل إلى مصر أيضاً، وكانت وفاته في ليلة الثلاثاء تاسع عشر صفر سنة ست وعشرين ومائة وألف، ودفن بتربة باب الصغير بالقرب من ضريح سيدنا أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه، وسيأتي ذكر والده محمد إنْ شاء الله تعالى في محلّه.

عثمان القطان:

٤٥٠ ـ عثمان بن محمود بن حسن خطاب، الكفرسوسي، الشافعي، الشهير بالقطّان،

---

(١) لعل المؤلف يريد الاجتماع فعبر بالانجماع.

معيد درس السليمانية بدمشق، الشيخ الإمام العلامة المحقق المدقق الفهامة: كان محقق وقته في العلوم النقلية والعقلية، ولد في سنة إحدى وأربعين ومائة وألف، وطلب العلم، فقرأ على جماعة، منهم الشيخ إبراهيم الفتّال، والشيخ محمود الكردي نزيل دمشق، والشيخ مصطفى ابن سوار شيخ المحيا، وإبراهيم الكوراني، ومحمد البطنيني، والشيخ محمد البلباني الصالحي، والشيخ منصور الفرضي المحلي، والشيخ يحيى الشاوي المغربي، وكان بدمشق ممن اشتهر فضله وعلمه، ودرس بالجامع الأموي، وبالمدرسة العادلية الكبرى، وانتفع به جماعة من العلماء والأفاضل، ولما ولي دمشق الوزير الفاضل أحمد باشا كوبريلي عرف مقامه، ولم يعجبه غيره، ونفي من دمشق هو والمولى السيد عبد الكريم ابن حمزة ونقيب السادة الأشراف بدمشق إذ ذاك، ومكثا بقـ س مدة إلى حين سفر والي دمشق إلى بلاد النصارى، وكان مفتي الحنفية بدمشق يومئذ المولى علي العمادي، والخطيب الشيخ إسماعيل الحائك، والقاضي المولى سليمان الرومي، وترجم المترجم خاتمة البلغاء السيد محمد أمين المحبّي في نفحته، وقال في وصفه: فتى الفضل وكهله، وشيخه الذي يقال فيه هذا أهله، أطلع الله في جبينه غرّة السناء، فثنى إليه من البصائر أعنّة الثناء، مأمون المغيب والمحضر، ميمون النقيبة والمنظر، فهو كالشمس في حالتيها يبدو نورها، فينفع ظهورها، وتحتجب أرجاؤها، فيتوقع ارتجاؤها، فعلى كل حال هو إنسان كله إحسان، وكل عضو في مدحه لسان، به الفتوة يسهل صعبها، ويلتئم شعبها، وهو في صدق وفائه، ليس أحد من أكفّائه، وقد اتّحدت به منذ عرفت الاتحاد، فما رأيته مال عن طريق المودّة ولا حاد، وله على مشيخة أنا من بحرها أغترف، وبألطافها الدائمة أعترف، وكثيراً ما أرد ورده، وأقتطف ريحانه ووردِه، فأتنشق رائحة الجنان، وأتعشّق راحة الجنان، بمحاضرة تهزّ المعاطف اهتزاز الغصون، ورونق لفظ لم يدع قيمة للدر المصون، إذا شاهدته العيون تقر، وإذا ذوكرت به نوب الأيام تفر، في زمن انغمضت من أعلامه تلك العقود، ولم يبق فيه إلاّ هو آخر العنقود، فإنْ شئت قل جعله الله خلفاً عن سلف، وإن أردت قل أبقاه الله عوضاً عن تلف، فمما أخذته عنه من شعره الذي قاله في عنفوانه، وجاء به كسقيط الطل على ورد الرياض وأقحوانه، انتهى مقاله.

فمن شعره قوله:

بـأبـي مـن مهجتـي جـرحـاً ... وإليـه الشـوق مـا بـرحـا
دأبـه حـربـي وسفـكُ دمـي ... ليتَـهُ بـالسلـم لـو سمحـا
غصـن بـان مثمـر قمـراً ... يتهـادى قـدّه مـرحـا
مـن تثنـي غصـن قـامتـه ... عنـدليب الـوجـد قـد صدحـا
أي حيـن دار نـاظـره ... مـا سقـى عقـلاً فمنـه صحـا
إنْ رآنـي بـاكيـاً حـزنـاً ... ظـلّ عجبـاً ضـاحكـاً فـرحـا

إنْ يكــن حــزنــي يســرّ بــه ... فــأنــا أهــوى بــه البــرحــا
وعــذولــي جــاء ينصحنــي ... قلــت يــا مــن لامنــي ولحــا
ضــلّ عقلــي والفــؤاد معــاً ... ليــس لــي وعــي لمــن نصحــا
جــد وجــدي عــادم جلــدي ... غــاض صبــري والهــوى طفحــا
لــم يــزل طــرفــي يشــحّ دمــاً ... إذ بــه طيــر الكــرى ذبحــا

هذا معنى متداول منه قول الشهاب:

ولــو لــم يكــن ذابحــاً للكــرى ... لمــا ســال مــن مقلتــي النجيــع

ومنها:

آهِ واشــوقــاه مــتُّ أســى ... هــل دنــو للــذي نــزحــا
إن شــدّت ورقــاء فــي فنــن ... شــدوهــا زنــد الهــو قــدحــا
وإذا مــا شــام طــرف الشــا ... م طــرفــي للــدمــاء سفحــا
يــا سقــي وادي دمشــق حبّــاً ... طــاب مغتبقــاً ومصطبحــا

وكتب إليه الأمين المحبّي المذكور من مصر حين كان بها: سيدي الذي له دعائي وثنائي، وإلى نحوه انعطافي وانثنائي، لا عدمت الآمال توجهها إليه، وكما أتم الله النعمة به فأتمها عليه، أنهي إليه دعاء يتباهى به يراع ومهرق، وثناء يجعل طيبه فوف سالف ومفرق، متمسكاً من الودّ بحبل وثيق، ومن العهد ما يستعطر به النشر الفتيق، ومتذكراً عيشاً استجليت سناه واستحليت ثناه، وإني أتلهّب على طول نواه، وحرِّ جواه، وقد وسمت بإقبالك أيامي الغُفل، وفتحت بمذاكرتك عن خزانة قلبي القُفْل، إلى أنْ صرف الدهر بحدثانه، وحكم على ما هو شأنه بعدوانه، وأعاد العين أثراً، والخير خيراً، واللّقا توهّما، والمناسمة توسّما، فتذكري لأيامك التي لم أنس عهدها، تركتني لا أنتفع بأيام الناس بعدها، وإني لا أرتاح إلاّ بذكر فضائلك، ولا أستأنس إلاّ بكرم شمائلك، امزج بها الضحايا فتتبسم، واستدعي بها صبا القبول فتتنسم.

ولــولا اشتعــال النــار فــي جــذوة الغضــا ... لمــا كــان يــدري المــرء مــا نفحــة النــدّ

وأما الأشواق فإن القلب مستقرها ومستودعها، ومحلها ومجتمعها، وهو عند مولاي فليسأل به خبيراً، وأما الأثنية فإنها على ألسنة الركبان فينشر بها حبيراً، وإلى مثلك يتقرّب بإخلاص الوداد، ومن فضلك يجتني ثمرة حسن الاعتقاد، فسلامي على هاتيك الشمائل، سلام النّدى على ورق الخمائل، وتحيّتي لتلك الحضرة، تحيّة النسيم للماء والخضرة، وأما دمشق فشوقي إليها شوق البلبل إلى الورد، وامرىء القيس إلى الأبلق الفرد، وأنا مهد تسليماتي إلى كل يابس من دوحها وأخضر، ومتبرج من ثمراتها في قباء رواء أنضر، واشتاق عهدها والعمر ربيع نضر، والروض جر عليه ذيله الخضر.

وما أنس أيامها والصبا | أرن[1] يجرّ ذيول الجدلِ
ومس رقيق رداء النسيم | على عاتق الروض بعض البللِ
إذ الدّهر ميت النوى واللّحا | ظ عناه واحدته تعتقل
وذنبي فيه أمير الذنوب | ودولته فوق تلك الدول

وأرجع فأقول:

إنّ حبِّي دمشقَ إنْ عُدَّ ذنباً | فَذُنُوبِي أجَلُّ من طاعاتي

مدحي لها لا ينقطع إلا أنْ تنقطع المدائح، وأثنيتي عليها لا تمل ولو ملت التغريد، الحمائم الصوادح، وأنا مؤمل أوبة قسر، فيتمتع الناظر بتلك الوجوه الغر، والمناظر الزهر، وأنشد بلسان المقال، إذا استقامت الحال.

إنّ ذنوبَ الدّهر مغفورة | إنْ كان لقياك لها عذرا

وكانت وفاة صاحب الترجمة في يوم الأحد حادي عشر شوال سنة خمس عشره ومائة وألف، ودفن قرب أويس رضي الله عنه في التربة المقابلة للصابونية رحمه الله تعالى.

عثمان بن ميرو:

٤٥١ ـ عثمان بن يحيى بن عبد الوهاب بن الحاج ميرو الشافعي الكامل: ولد بمكة وأمّه أمْ ولد كرجية، مولده قبل الثمانين، وبعد وفاة والده بمكة نقله عمّه حسين لحلب مع إخوته، وهم أبو بكر لأبويه، ومحمد وعمر لأبيه، وسافر المترجم إلى جهان أباد من الهند واستقام بها مدة، ثم عاد حلب وتزوّج بابنة عمه عائشة بنت مصطفى الميرو، ومولدها مدينة إسلامبول، وكان أتى بها لحلب بعد وفاة والدها عمّها باحسين أيضاً، وولدت بنتاً وتزوّجت وماتت في حياة أبويها، ثم تسرى بجارية، وانقطع في داره منعكفاً (يريد معتكفاً) على تلاوة القرآن، والتقوى والصلاح، وحضور المسجد، وكتب بخطه الكثير من الكتب، وكانت وفاته سنة خمس وأربعين ومائة وألف، ودفن بالتربة الأمينية بحلب.

عثمان الخطيب الموصلي:

٤٥٢ ـ عثمان الخطيب الموصلي، الشيخ الصوفي الزاهد العالم الربّاني الأوحد الشاعر البارع: لم يسمع له في عصره بمناظر له في الفضل والبلاغة، حجّ في سنة سبع وأربعين ومائة وألف، مع الشيخ عبدالله المدرس، واجتمع بالأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي، وكتب ديوانه، وترجمه صاحب الروض فقال: فارس ميدان رهان الأذهان، العابث بأنواع المعاني والبيان، ديمة الفضل والحكم، لسان السيف والقلم، نتيجة الأعصار، وشهاب جميع الأمصار، سراج الزوايا، ونفائس الخبايا، الزند القادح، والنسيم الطيب البارح،

---

(١) من الرنين.

صاحب الأنفاس القدسية، والملكات الأنسية، فاتح أبواب اللاهوت، معمر آثار ربع الناسوت، جمع الجمع، ونفس البصر والسمع، انتهى.

ومما يدلّك على فضله الباهر، قوله في مدح النبي المكرّم زكريا صلى الله على نبينا وعليه وسلم، (قوله البارح كأنه طيبه بلفظ الطيب انتهى).

سربنا صاح راشداً مهديا ... وتهيا وناد بالركب هيّا
ثق بوعد الإلّه فهو كريمٌ ... إنه كان وعده مأتيّا
واستعن بالقوي في كل أمر ... إنّه كان بالضعيف حفيّا
وتقدّس عن السوى وتطهّر ... واذكر الله بكرة وعشيّا
خفف السير يا خليلي وانزل ... في مقام الخليل وامكث مليّا
وتيمم مقدس الترب واشرب ... من زلال الفرات عذباً رويّا
وإذا ما حللت في حلة الشهبا ... ء فاقصد هناك بدراً بهيّا
قف وسلّم وحيّه فهو حيّ ... وإذا حلّ طيفه الحيَّ حيا
قبّل الأرض عنده واتل جهراً ... ذكر مولاك عبده زكريّا
وترج الندى فأنت لدى من ... لم يكن بالدّعاء قط شقيّا
خاف من بعده ضلال الموالي ... فدعا ربّه دعاء خفيّا
وهنَ العظم وامتلأ الرأس شيبا ... يا إلّهي فمنك هبْ لي وليّا
يرثُ العلمَ والنّبوة منّي ... ولدى ربّه يكون رضيّا
فاستجاب الدّعا وبشّره من ... لم يزل محسناً جوّاداً غنيّا
بغلام كبدر تم ولم يجـ ... ـعل بديع السما ليحيى سميّا
قال من أين لي يكون غلام ... ومن الكبر قد بلغتُ عتيّا
قال ذو الكبريا كذلك لكن ... قال مولاك هيّن ذاك عليّا
إنّني قادر على كل شيء ... لم أجد قبله بخلقك عيّا
وله الحمد حيث جاء بمن قد ... أوتي الحكم والرّشاد صبيّا
حبّذا الفرد في المحاسن يحيى ... حبّذا الوالد الكريم المحيّا
يا حماة الحمى غريب وقد فا ... رق أحبابه فعاد شجيّا
وكئيب فقابلوه ببشر ... وبمعروف اجعلوه سريّا
واحفظوا سادتي نزيل كرام ... والحظوا يا أحبّتي الموصليا
وصلاة الإلّه تغشى دواماً ... سيد الرسل أحمد العربيا
وعلى السّادة النبيين طرا ... سيما البدر سيدي زكريا

وله أيضاً:

إنّ قلبي من الهوى يا خليلي ... لكليم وأنت خير طبيبِ

وخطيب الوصال فيك كئيب　　فتعطف على الخطيب الكئيبِ

وله أيضاً:

حين أشكو إليك قرحة قلبي　　لا تلمني على طويل الحديثِ
يا حبيبي وأنت خير خبير　　ما قديم الغرام مثل حديث

وله:

الله يعلم إنّني　　بك مغرم يا فاتني
لو كنت تعرف حالتي　　ما كان وصلك فاتني

وله:

أخفيت حبّك في الحشا　　حتى فشا في ظاهري
ما آن أن تدع الجفا　　أو ما كفى يا هاجري[1]

وله غير ذلك، وكانت وفاته في حدود سنة أربع وأربعين ومائة وألف عن ثمان وخمسين سنة.

عثمان بن حمودة:

٤٥٣ ـ عثمان بن حمودة الرحيبي ثم الدمشقي الشافعي إمام السادة الشافعية بمحراب المقصورة: الشيخ الفقيه الصالح العالم الكامل، ترجمه الشمس محمد بن عبد الرحمن الغزي في ثبتة المسمّى «بلطائف المنّة» فقال: طلب العلم على كبر، واشتغل على جماعة، منهم الشيخ حسن المنير، وبالحديث والقراءات على شيخنا الشيخ محمد أبي المواهب، وفي المعقولات على الشيخ إبراهيم الفتال وغيره، وبرع في الفقه، ودرّس بالجامع الأموي، فأقرأ شرح الغاية للشربيني، والمنهاج للنووي، وشرح المنهج لشيخ الإسلام، وحضرتُ عنده في قراءة شرح المنهاج من باب زكاة المعدن والرّكاز والتجارة إلى الجنايات، وقرأتُ عليه شرح الغاية لابن قاسم، وشرح التحرير لشيخ الإسلام زكريا، وحضرتُ دروسه بين العشائين في الجامع الصغير، وأجاز لي رواية مروياته، وكان صالحاً متعبّداً قانعاً عفيفاً، انتهى. ولم يزل صاحب الترجمة مكباً على الاشتغال بالعلم، معتكفاً على التدريس والإفادة، إلى أنْ توفّي في شهر ربيع الثاني سنة عشرين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

عمر شفائي:

٤٥٤ ـ عمر بن حسن بن عمر، الملقب بشفائي، على طريقة شعراء الفرس والروم وكتابهم، الحنفي السينوبي رئيس الأطباء في بلدة بروسا، الطبيب الحاذق الماهر الأديب

---

(١) لبعضهم نقل السحاب عبارة عن أدمعي، والله ما نقل الحديث كما جرى فسألت دمعي إنْ يفيض فقال لي أو ما كفى يا ظالماً ما قد جرى.

العارف: كان من أفراد وقته في علم الأبدان، وألّف كتاباً في الطب سمّاه «الطب الجديد» في ثمان مجلدات، وكتاباً آخر في الكحالة، ورسائل لا تحصى، كما أخبرني صاحبه شيخنا المتقن أبو المواهب سليمان بن محمد بن مستقيم القسطنطيني، كان من أفراد الزمان، وينظم الشعر بالتركية والفارسية، وأطلعني على آثاره، وقدم المترجم قسطنطينية مراراً ولم يزل على حالته إلى أنْ مات، وكانت وفاته ببروسا سنة تسع وخمسين ومائة وألف، ودفن بمقابلة الزاوية المولوية الكائنة في البلدة المرقومة رحمه الله تعالى.

عمر اللبقي:

٤٥٥ ـ عمر بن حسين بن عمر، الشهير باللبقي، الحنفي الحلبي الفاضل الأديب: كان ذكياً له يدٌ ومعرفة بفنون الأدب، حسن الأخلاق، سهل المعاشرة، لطيف الخلال، ولد في سنة ست عشرة ومائة وألف، وقرأ على عبد الوهاب العدّاس، وعبد السلام الحريري، ومحمد بن إبراهيم الطرابلسي نزيل حلب ومفتيها، وسافر إلى إسلامبول، ثم عاد إلى حلب وتولى نيابة القضاء في محاكمها الأربع، وارتحل إلى طرابلس الشام، وإلى الموصل مع حاكمها الوزير أحمد، ثم قدم حلب ومكث بها، ثم ارتحل للقدس ثانياً في زمن قاضيها المولى أحمد بن الشيخ طه، وأخذ الحديث عن الشيخ محمد التافلاتي، وفي مروره مع القاضي المذكور على دمشق نزلا في دارنا واستقاما مدة عندنا، وكان بين والدي وبين القاضي المذكور مودة ومحبة، وكان والد المترجم من التّجار المشاهير بحلب، والرؤساء أرباب الشهرة والشأن، وولده صاحب الترجمة اشتهر بالأدب والكمالات، وكانت تجري بين أدباء عصره ومصره، وبينه المحاورات والمطارحات، وفي آخر أمره ترك تعاطي أمور الأحكام، ولازم ما لا بدّ منه، وله شعر مقبول رأيت أكثره، فمن ذلك قوله لما أصاب حلب من الزلزال ما أصاب:

سنا نور سر الذات أشرق في الحشا ... فزال بذاك النور عن طرفي الغشا
وشاهدتُ أنْ لا شيء دون وصالها ... وأيقنت فضل الله يؤتيه من يشا
ونزّهْت طرفي في رياض جمالها ... فعادَ بريا نشرها القلب منعشا
فحيا شذاها ميت قلبي وحبّها ... تملك أحشائي وفي اللّب عرشا
ومُذْ علمت أنّي أسيرٌ بحبّها ... فجادت بما أبغيه منها وما أشا
وبتُّ بنادي القرب أرشف ثغرها ... فأصبحت نشواناً وسرّي قد فشا
وذاعَ لدى العشّاق أمري وإنّني ... خلعتُ عذاري واسترحتُ من الوشا
وبادرت نحو ألحان من فرط شوقها ... أنادي أيا خمار كنْ لي منعشا
فجاء بها عذراء بكراً قديمة ... وقال لي افضض ختمها كيفما تشا
تعاطيتها صرفاً ومزجاً مشاهداً ... بها كشف أسرار لعقلي أدهشا
عرفتُ فلما إنْ أفقت سمعت من ... فؤادي منادٍ عجَّ من داخل الحشا

أيا مفزع الجاني وأكرم شافع وأعظم مبعوث وأشرف من مشا
إليك أنيناوالتجأنا فنجّنا من الخطب والأهوال فالرّعب قد غشا
فأمن بحقّ الحقّ قلبي لأنه من الخسف والزلزال قد خاف واختشى
عليه واسبل ذيل أمنك واكْفِه بجاهك عند الله في الصبح والعشا

وله وقد أخذ المعنى من شعر فارسي وعرّبه:

في المرء إنْ لم يكن شيء يميّزه عن جنسه بذكاء الفهم والأدب
كما إذا لم تكن في العود رائحة لكان لا فرق بين العود والحطبِ

وله مضمناً:

وما كلُّ ذي رأي مصيب برأيه ولا كلُّ رآءٍ في الحقيقة باصرُ
لعمري ما الأبصار تنفع أهلها إذا لم يكن للمبصرين بصائر

وله:

وشادن قلت له دعني أُقبّلُ شَفَتَكْ
فقال لي كم مرة قبلّتها ما شَفَتَكْ

وله مخمّساً أبيات الإمام الشافعي رضي الله عنه:

مُذْ مقلتي كشفت لها أسْتَارُهْ وتلألأت بجوانحي أنْوَارُهُ
طرفي بكى فحكى الحيا مِدْرَارُهْ قالوا أتبكي مَنْ بقلبكَ دَارُهُ
جهل العواذلُ داره بجميعي
فأنا المقيم بحانِهِ وبديره تملأ أجول بفضله وبخيرِهِ
وأقول للاحي المجد بسيره لم أبكه لكن لرؤية غيرِهِ
طهرتُ أجفاني بفيض دموعي

وله مشطراً:

والطلُّ في سلك الغصون كلؤلؤ قد شنفوا فيه الحسان وقرطوا
فتراه كلل كل غصن يانع رطب يصافحه النسيم فيسقطُ
والورق تقرأ والغدير صحائف والروض يستملي الحديث ويضبط
والظلُّ قد مدّ المداد يراعه والريح يرقم والغمام ينقط

وله في كتاب الشفاء الشريف:

دَعْ الدّواء وداوي بالشفاء إذا أعيى العليل عضال الداء من ألَمِ
فإنّه برء كل المعضلات بلا شكٍّ وفيه زوال البؤس والسَقَمِ

وله في النعل الشريف:

لنَعْــل خيــر البــرايــا على الــرؤوس ارتفــاعُ
بحملــه الــرأس يبــرا إن اعتـــراه الصـــداع

وله مشطراً:

إذا كـانـت الأعـراب تخفـر ذمـة وتحمـي أنـاسـاً مـال عنهـا نصيـرهـا
وتسمـح عـن ذنـب ولـو أوجـب القـلا وتصفـح عمـن أمّهـا يستجيـرهـا
فكيـف ومـن فـي كفّـه سبـح الحصـا شفيـع ذوي الآثـام وهـو بشيـرهـا
فحاشى عريض الجاه في موقف الجزا يخيّـب بنـي الآمـال وهـو غفيـرهـا

وله مشطراً أيضاً:

أشرب على نغمة الدولاب كأس طلا تمحـو الـذنـوب بهـذا جـاءنـا الخبـرْ
فرضاً غدا شربها يا صاحِ حين بدا يسعـى بهـا شـادن فـي طـرفـه حـور
وامدح فديتك مـا بـالـراح مـن ملـح فبعـض حكمتهـا الأشخـاص والصـور
بـادر إلـى حـانهـا واشـرب بـلا جـزع ومـا عليـك إذا لـم تفهـم البقـر

وله مشطراً:

ولي عصاً من جريذ النخل أحملها بـراحتي وهي عونٌ لي على هرمي
وراحتـي هـي فـي سيـري ومعتمـدي بهـا أقـدّم فـي نقـل الخطـا قـدمـي
ولـي مـآرب أخـرى إنّ أهـشُّ بهـا علـى جيـوش همـوم قصـرت هممـي
ومقصدي الهش في القول الأصح بها علـى ثمـانيـن عـامـاً لا علـى غنمـي

وله:

يـا مَـنْ عـلا متـن البـراق ورقـى وأتحـف بـالتّـلاقْ
قـد صـحّ سـارّ بجسمـه وسمـا إلـى السبـع الطبـاقْ
سهّـل أمـور معـاشنـا فـالصبـر مـرٌّ فـي المـذاقْ
وأجبـر كسيـر قلـوبنـا فضـلاً فقـد ضـاق الخنـاق
ثـم الصـلاة علـى الـذي لمـا أتـانـا الـوقـت راق
ومحـا بنـورِ جمـالـه ظلـم الضـلالـة والشقـاق

وله مشطراً:

قـدّر الله أنْ أكـون غـريبـاً بيـن قـومٍ أغـدو مضـاعـاً لـديهـا
ورمتنـي الأقـدار بعـد دمشـق فـي بـلاد أسـاق كـرهـاً إليهـا
ويقلبـي مخـدرّات معـان حيـن تبـدو تختـال عجبـاً وتيهـا

صـرتُ إنْ رمـت كشفهـا فـأراهـا نـزلـت آيـة الحجـاب عليهـا

وله في حلب:

شهبـا العـواصـم لا تخفـي محـاسنهـا فـالله يكلـؤهـا مـن كـل ذي عـوج
يمـمّ حمـى حلـب تلقـى السـرور علـى جبيـن أبنـائهـا النيّـر البهـج
فعـج ولـج وتـأمّـل بلـدة شملـت بـاب الجنـان وبـاب النصـر والفـرجْ

وللفاضل الرئيس يوسف بن حسين الحسيني الدمشقي نقيب الأشراف بحلب ومفتيها ما يقرب من ذلك وهو قوله:

قـل لمـن رام النّـوى عـن بلـدة ضـاق فيهـا ذرعـه مـن حـرجْ
علـل القلـب بسكنـى حلـب إنّ فـي الشهبـاء بـاب الفـرج

وللمترجم مخمّساً:

زاد فـي الصـدّ للشجـيّ المعنّـى وأذاب الفـؤاد ظلمـاً وأضنّـى
قلـتُ مُـذْ مـاس معجبـاً يتثنّـى أيهـا المعـرض الـذي صـدّ عنّـا
بجفـا لا يُـرى لـه أسبـابُ

أصبّـح القلـب مـن جفـاك كليمـاً وصبـوراً متيّمـاً مستقيمـا
عـاتبـاً سـوء حظّـه وعليمـاً رح معـافـى مـن العتـاب سليمـا
فعلـى الحـظ لا عليـك العتـابُ

وله غير ذلك، وكانت وفاته بحلب في ربيع الأول سنة تسع وثمانين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

عمر بن دلاور:

٤٥٦ ـ عمر بن دلاور الحنفي القسطنطيني، رئيس الكتاب في الديوان السلطاني العثماني، وأحد الرؤساء بين أرباب الأقلام والكمالات: ولد بقسطنطينية، وأخذ الخط عن الأستاذ عبدالله يدّي قلي، المشهور، (يدّي قله لي) وأتقن صناعته، ومهر بأنواعه، واشتهر بحسن الخط، ولازم مجالس الكتّاب، وكتب المناشير السلطانية، ومهر بالأدب والإنشاء، وصار أحد رؤساء الكتّاب في الدولة المعروفين بالخوجكان، وولي بعض المناصب كالروزنامة الصغير وغيرها، وترقّى حتى صار رئيس الكتّاب، واشتهر بين أقرانه، وكان حسن الخصال منشئاً أديباً معتبراً موقراً، ومن آثاره تذييل كتاب حديقة الوزراء للأديب أحمد، (حديقة الوزراء لأحمد تائب وذيّلها للمترجم وذيّل الذيل لسعيد، ثم لأحمد جاويد ثم لرفعت) وكانت وفاته في ذي القعدة سنة اثنين وسبعين ومائة وألف ودفن خارج طوب قبي (قپو) أحد أبواب قسطنطينية.

عمر بن شاهين:

٤٥٧ ـ عمر بن شاهين الحنفي الحلبي الفاضل المتقن الضابط المقري: كان والده جندياً، ولد بحلب سنة سبع ومائة وألف بعد وفاة والده بخمسة أشهر، وهو شريف لأمّه، قرأ القرآن العظيم، ولما بلغ من السن عشر سنين قرأ على المقرىء الشهير عامر المصري نزيل المدرسة الحلاوية، من أول القرآن العظيم إلى آخر سورة إبراهيم عليه السلام، ثم توفّي الشيخ المذكور، فقرأ على عمر المصري شيخ القرّاء ختماً كاملاً بالتحقيق والتجويد، ثم شرع في حفظ القرآن العظيم على الشيخ المذكور في تلك السنة، فحفظه في مدة قليلة، والتزم الشيخ المذكور، فصار يصحبه مراراً ويتدارس معه ويعلمه كيفية القراءة بالألحان مع مراعاة التجويد، ثم قرأ الأجرومية وحصة من شرح القطر على الإمام عبد الرحمن بن محمد العاري، ثم قرأ على عبد اللطيف بن عبد القادر الزوائدي، وقرأ الفقه على الفاضل المعمر قاسم النجار، وحضر دروس محمود بن عبدالله الأنطاكي في التفسير، من أول سورة الأنفال إلى آخر سورة الفرقان، ولم يفته شيء، وسمع على المذكور غالب الجامع الصحيح بالمدرسة المذكورة، وكتب بخطه شرح السفيري على بعض أحاديث من الصحيح، وقرأه على المتقن حسن الطباخ، وقرأ السيرة الحلبية على أحمد الشراباتي، وكتب بخطه الهدي للعالم أبي الوفا العرضي، وطالعه مع الشيخ العارف محمد صلاح، وقرأ الكثير، وفي سنة ستٍ وأربعين بعد المائة كتب حرز الأماني وعرضها بعد حفظها على الماهر المقري محمد بن مصطفى البصيري، وقرأ عليه القرآن العظيم من طريقها جمعاً وإفراداً لكلِّ راوٍ ختمة في مدة ستة أشهر، وأجازه الشيخ المذكور بالقراءة والإقراء، وشهد له بالأهليّة، ثم في سنة ثمان وأربعين وجّهت له وظيفة إمامة الصلوات الجهرية بجامع الوزير عثمان الكائن بحلب المشهور بالرضائية، فباشرها مع بُعْدِ داره عن الجامع المذكور، وطلب منه محمود الأنطاكي المدرّس المذكور أنْ يقرأ القرآن العظيم في صلوات الصبح على التأليف الشريف ليسمع العوام الذين لا يقرأون في الصلوات، وفيه نفع وفائدة، فشرع صاحب الترجمة يقرأ في صلاة الصبح كما طلب المدرس المذكور، فكان يقرأ في كل سنة ختمتين ونصف ختمة أو أقل من ذلك، ويُهرع (بضم الياء) إليه الناس في صلاة الصبح من محلات بعيدة من الجامع، لحسن صوته[1] وقراءته، وطيب ألحانه مع مراعاة الأحكام، وأتقن كثير من المصلين قراءتهم من السماع، وصار لذلك نفع عظيم، واقتدى بذلك جماعة من أئمة الجوامع، فصاروا يقرؤون القرآن العظيم في صلاة الصبح على التاليف الشريف، ثم إنّه بعد صلاة الصبح يجلس في حجرته يقرأ القرآن العيم لمن يريد القراءة، ولا يردّ أحداً سواء كان من أهل البلدة أو من الغرباء، ويحصل له المشقة العظيمة في تعليمه الأتراك وتعديل ألسنتهم في مخارج الحروف والنطق بها، ويزدحمون على الأخذ عنه، لأنه يقرر لهم باللغة التركية ما

---

(١) ضد صوت مؤذن الجامع المجاور إلى محكمة غلطة.

يفهمونه، فلذلك كثر الآخذون عنه من الأتراك وغيرهم، فلا تخلو بلدة من بلاد الروم من تلميذ له أو تلميذين أو ثلاثة، وفي سنة إحدى وستين وجّه له الوزير إسماعيل كافل حلب خطابة جامعه الذي أنشأه بمحلة ساحة بزه بعشرين عثمانياً، ثم انحطّت بعد موت الوزير المشار إليه إلى ثمانية عثامنة، واستمر صاحب المترجم يباشر إمامة جامع الرضائية على الوجه المشروح إلى سنة خمس وسبعين، فاعتراه الضعف الطبيعي والعجز عن المجيء إلى الجامع، فوكّل وكيلاً، وانقطع في بيته يتلو كتاب الله تعالى، ويقري من شاء أنْ يقرأ، لا يغلق دون مستفيد باباً، ولا يخرج إلاّ إلى الصلاة في المسجد المجاور لبيته بمحلة قسطل الأكراد. وقد امتدحه تلميذه الأديب أحمد الورّاق الحلبي بقوله:

دَعْ عنك ذكر مهلّب والطّائي ... وانزل بساحة مصقّع الخطباءِ
ذي الفضل والجود اللذين عليهما ... دارت رحى المعروف والإسداء
من لم يزل يندى سحاب نواله ... يروي الظماة فماروا الوطفاء
والجهبذ الفرد الذي بعلومه ... ساد الرواة بسائر الأرجاء
وإمام من يتلو القرآن مرتّلاً ... بفصيح نطق عزّ من تلاء
فكأنّ جلّ الله باري خلقه ... سوّاه من لطف الهوى والماء
وحباه كل مزيّة يختارها ... وأقامه عَلَماً على الإهداء
حتى غدا وكأنّه عَلَمٌ به ... نار أضاءت في دجى الظلماء
لا بل هو الشمس التي بضيائها ... موت فيافي حلقة الغبراء
أفديك يا من فيه أحجمت القرا ... ئح إنْ تخيّل بعض وصف ثناء
ومكمّلاً يستعبد الأحرار بالـ ... إنعام والإعطاء والإسداء
قلدت جيدي من نوالك أنعماً ... تزري بحسن الدرّة البيضاء
فأنا هو العبد الذي ما رقّ يو ... ماً للعتاق ولا انتمى لسواء
فاسلم ودمْ لي مانحي ما أرتجي ... وابق المرجى في بني الشهباء

وكانت وفاة المترجم بحلب سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف.

عمر الطرابلسي:

٤٥٨ ـ عمر بن عبد الحي الحنفي الطرابلسي نزيل قسطنطينية: كان ذا فهم ثاقب ورأي صائب، كثير الفنون حتى في المجون والمداعبة، تفقّه في بلدته طرابلس الشام على كبار علمائها، وذهب إلى الديار الرومية، فأدرك المراد والأمنية، وسلك طريق الموالي بها، وكان فاضلاً له شرح على الأربعين النووية، سمّاه «الدرر السنيّة» له فيه عبارات رقيقة، ولطائف إشارات دقيقة، ثم إنّه توجّه لوطنه متقلّداً قضاء بلدته طرابلس، ثم إنّه بعد تمام حكومته وافق عزله موته، وكانت وفاته في سنة سبع وأربعين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

عمر البغدادي:

٤٥٩ ـ عمر بن عبد الجليل بن محمد جميل بن درويش بن عبد المحسن الحنفي البغدادي القادري نزيل دمشق، العالم العلامة الفهامة المتفوق الفاضل العارف الصوفي الكامل الصالح المؤلف المحرر المحشي الفقيه المفسر: كان حسن الأخلاق طيب السلوك، عارفاً مجيداً حسن التقرير والإفادة، محققاً مدققاً صافي المشرب، معتقداً عند الخاص والعام، حسن الملقى، له احترام بين الناس وتبجيل، ولد في بغداد سنة خمس وخمسين ومائة وألف ونشأ في كنف والده، وقرأ عليه، وكان والده صالحاً تقيّاً متعبّداً فقيهاً مشهوراً بين أبناء بلدته بالصلاح والعبادة، ثم قرأ على الشيخ محمد بن طه البغدادي، وعلى الشيخ عبد الرحمن السراجي الحنفي، والشيخ محمد الكردي، والشيخ محمد الحنفي البغدادي ابن العشي، وعلى العالم الشيخ حيدر الكردي، ثم البغدادي، وعلى والده العلامة الكبير الشيخ صبغة الله الكردي الشافعي، وعلى تلميذه الشيخ أحمد كاتب والي بغداد، وكان من العلماء، وبرع وظهرت شمس فضله بازغة منيرة، وحقّق ودقّق وتسنم ذرى الفضائل، وأحرز قصب السبق في مضمارها، ومهر واجتاز من العلوم ما اجتاز، وحاز من المعارف ما حاز، وأينع روضه، وراق حوضه، وسطع هلاله، وظهر فضله وكماله، فألوى لدمشق العنان وطوى مشقة الأسفار، وألقى بها عصا التسيار، واستوطنها وتزوّج بها ابنة الشيخ حسن البغدادي المقدم ذكره، وسكن في داره، ومكانه الكائن لصيق مقام سيدي زين العابدين رضي الله عنه داخل مشهد المحيا بالجامع، واستقام على الإفادة والإقراء والتحرير وإيضاح المشكلات وحل العبارات، وألّف وصنّف، فمن تآليفه: شرح القدوري بالفقه، وحاشية على المغني في النحو، وحاشية شرح النونية في علم الكلام للخيالي، وشرح الصلوات المحمديّة للشيخ الأكبر محيي الدين العربي قدس سره، وقبل وفاته ألّف حاشية على حاشية العلاّمة علي بن سلطان محمد القاري المكي، المسمّاة بـ «الجمالين على الجلالين»، وسمّاها بـ «الكمالين»، وصل فيها إلى قوله تعالى في أوائل سورة آل عمران: ﴿يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ فجاءت في نحو ثلاثين كرّاسة، فتوفّي ولم يكملها، ومن تآليفه: حاشية على رسالة وحدة الوجود، ورسالة في الإعلام بالتكبير، ورسالة في الأضحية، ورسالة في معنى لا إلّه إلا الله، وحاشية في الاستعارات، جعلها محاكمات بين العصام والملوي، ورسالة صغيرة في توحيد الأفعال وبيان معنى الكسب، ورسالة في مسألتين لغويتين وقعتا في القاموس، الأولى: في قولهم السرور توقيع جائز، والثانية: في بيان أنّ العشر في ظمأ الإبل هو اليوم التاسع أو الثامن (انظر الأوقيانوس)، وغير ذلك من حواشٍ وتعليقات على هوامش الكتب تتضمن حل إشكالات، ودقائق عويصات، وكان له شعر قليل متوسط، وأما تآليفه فجرى فيها مجرى التحقيق والتدقيق، وانتفع به الطلبة، وكان له جماعة ملازمون لدروسه، ولا تبطل القراءة عنده في جميع أيام الأسبوع، فيقرىء

الدروس في سائر الفنون من العلوم خاصة وعامة، حديثاً وتفسيراً، وكلاماً وفقهاً، ونحواً وتصوفاً، وأدباً ومعاني وبيان وغير ذلك، ومع هذا كانت له يد طولى في علم الحقيقة، حتى إنّه كان يقرىء الفتوحات المكيّة، وشراح فصوص الحكم وغير ذلك من كتب الحقيقة، وكان يقيم الذكر ليلة الثلاثاء وليلة الجمعة، وكان يحصل له في حال الذكر وجد وهيمان[١]، وكان له ولوع في الذكر، وشغف، وفي آخر أمره حصل له إقبال تام من الوزراء والقضاة والحكام، وسائر الخاص والعام، واشتهر صيته في البلاد، وأقبلت عليه الناس، وحصل له إجلال وتوقير زائد، خصوصاً من الوفّاد (وفاد كرمان جمع وافد) لدمشق، واعتقدته العالم، وحجّ إلى بيت الله الحرام مرتين، وملك كتباً نفيسة، وكانت تجلّه أهالي دمشق وغيرها، ويعتقدونه ويتبركون به، ومع هذا فلم يتولّ وظيفة ولا العثماني، نِعْم الرجل الفرد، وصار له اشتهار عظيم فاق به، وسما شأنه، مع انطراح منه واستقامة، وفضل باهر، ولم يزل على حالته واستقامته إلى أنْ مات، وذوي (ذوي: كرمي) غصن عمره قبل نموّه، وأفل بدره قبل اكتماله، وكان مرضه ثمانية عشر يوماً، وكانت وفاته ليلة الخميس عند طلوع الفجر لعشرين من شوال سنة أربع وتسعين ومائة وألف، ودفن يوم الخميس في الصالحية بمقبرة بني الزكي الكائنة لصيق مرقد سيدي الشيخ الأكبر محيي الدين العربي قدس سره، بوصية منه، وأوصى أيضاً أنْ لا يعلم له في المنابر وأنْ يقال عند الصلاة عليه الصلاة على العبد الحقير المفتقر إلى رحمة مولاه فلان، من غير أنْ ينوّه به، ففعل كما أوصى عند الصلاة عليه بالجامع الأموي، ورُثي بقصائد وتواريخ، من ذلك قصيدة تلميذه الفاضل الألمعي السيد عبد الحليم بن أحمد اللوجي ومطلعها:

ما خِلْتُ أنَّ عقود الشمل تنتثر ... وأنّ صدع فؤادي ليس ينجبرُ
وأفيض دمعاه واحزناه وآسفاً ... طالت شجون وعز اليوم مصطبر
يا كوكباً أفلت أنوار طلعته ... فأظلمت بعدها الآصال والبكر
قد كان وقتك مجلى للسرور كما ... قد كنت مورد صفو ما به كدر
جاشت لفقدك أحزاني وثورتها ... واعتادني المسقمان الفكر والسهر
كحلت بالسهد عيناً كان إثمدها ... مرآك إذْ كان يجلي وجهك النضر
ونالني خطبك المردي بداهية ... دهياء يعجز عن أعبائها البشر
فالعين بعدك عبري والفؤاد شج ... والنفس حسرى ونار الوجد تستعر
أزمعت للقدس ترحالاً فكان إلى ... حظيرة القدس حقاً ذلك السفر

يشير بهذا البيت إلى أنّ الشيخ المترجم كان قبل وفاته عازماً على زيارة بيت المقدس،

---

(١) الوِجْدَان: هو ضرب من الحالات النفسية من حيث تأثّرها باللذة أو الألم في مقابل الحالات الأخرى تمتاز بالإدراك والمعرفة وهيمان: العطشان أشدّ العطش. (المعجم الوسيط جـ ٢/ ١٠٠٥).

فعاقته المنية عن نيل هذه الأمنية، فلذلك ذكر الراثي ذلك ثم قال:

لئن غدوتَ عن الأبصار مرتحلاً ... فإنّ مأواك مني القلب والفكرُ
آسى[1] عليك على علمي بأنك في ... دار الكرامة لا بأس ولا ضرر
لكنما جذبات الطبع تغلبني ... على الأسى فيكاد القلب ينفطر
يا روضة أينعت بالفضل ثم ذوت ... أفنانها قبل أنْ يستكمل الثمر
لم يبلغ السن منك الأربعين وقد ... سارت علومك في الأقطار تنتشر
مصنّفات وتحقيقات أسئلة ... من العلوم لها الألباب تنبهر
كم قد كشفت قناعاً عن غوامض في ... فهم النحارير عن إدراكها قصر
هذي مآثرك الحسنى مخلّدة ... والعين إنْ فقدت لا يفقد الأثر

ومنها:

أبكيك ما طلعت شمس وما غربت ... واسودّ جنح ظلام وانجلى سحرُ
أبكيك ما نحبتك الصحف حين جرى ... في وجنة الطرس دمع النقس ينحدر
أبكيك ما صرّت الأقلام شاكية ... إلام فقدك والمقدور مستطر
أقمت مأتم أحزاني وسرت إلى ... أفراح دار نعيم ليس يندثر
وجئتَ مولاك مشتاقاً إليه ويا ... طوبى لمن سرّه من ربه النظر
فاهنأ بعيشك في أكناف ربّك لا ... خوفَ عليك لديه لا ولا حذر
سقتك من صيب الرضوان وادقة ... ينهل شؤبوبها والعفو ينهمر
ما قال داعي الرضى فيما يؤرّخه ... دار النعيم لعمري قد حوى عمر

عمر الأرمنازي:

٤٦٠ - **عمر بن عبد القادر الشافعي الأرمنازي الأصل، الحلبي المولد المقري الفرضي العالم العامل الفاضل الكامل:** ولد بحلب في سنة خمس ومائة وألف، وكان والده ورعاً صالحاً وخطيباً وإماماً بجامع قسطل الحرامي بحلب، فنشأ ولد المترجم وقرأ القرآن على والده، وقرأ الفقه والنحو وعلم الفرائض على جابر ابن أحمد الحوراني، وعبد اللطيف بن عبد القادر الزوائدي، وبرع في ذلك، وقرأ علم الميقات على مصطفى بن منصور الطبيب، وأخذ الحديث عن محمد بن عقيلة المكي حين قدومه إلى حلب، وأخذ العربية والصرف والمعاني والبيان والأصول على عدة شيوخ، وكان رأساً في كتابة الوثائق الشرعية، بحيث أنّ شهود المحاكم عادوه لذلك، وراموا منعه مراراً، فلم يقدروا إلى أنْ قدم الفاضل الأديب حسين بن أحمد الشهير بالوهبي، (غالباً بوقاضي سرور ينك ممدوحي اولان شاعر وهبينك پدري ياخود جدّي أولمليدر) الرومي قاضياً لحلب، فوصل إليه وثيقة إبراء بين ذميين بكتابة

---

(١) يقال آسى عليه أي: حزن من الباب الرابع.

المترجم، فلما رآها القاضي قال: ما أبقى هذا الكاتب حيثية للمحكمة، فوجد الكتاب فرصة، وَوَشُوا به إلى القاضي، وقالوا: إنّه قد سدّ أبواب المحاكم، وتعطّل حالنا، فأحضره القاضي وهدّده بعد التوبيخ التام بقطع أصابعه إنْ كتب مرة أخرى وثيقة لأحد، فحلف له على ذلك، ثم قال للقاضي: يا سيدي أرجو من فضلكم أن تأمروا بتحرير تاريخ هذا التنبيه عليَّ في السجل المحفوظ، ربما تقفوا على وثيقة مقدّمة فيصير معلومكم أنّها كتبت قبل أمركم بمنعي، وإلاّ فتذهب أصابعي ظلماً، فضحك القاضي وأعجبه، وأمر له بالجلوس، وهشّ له وبش، وقال له: يا شيخ أنت تحرم نفسك (قوجه قاضي بابا) وتحرمنا المحصول، فلو أخذت كثيراً كان أنفع لك، ثم أسرّ إليه أنْ أضرب بكلامي الحائط، واكتب ما شئت، وخذ كثيراً ولا عليك من هؤلاء الجهلة، يعني الكتّاب، فخرج من عنده وامتنع من كتابة الوثائق، ولم يغتر بكلام القاضي، لأنه كان يتلوّن كالحرباء، (كاتب ذوقه بي يوتمامش) ثم إن صاحب الترجمة حفظ القرآن العظيم قبل وفاته بعامين أو ثلاثة، وحفظ الشاطبية على الأستاذ محمد بن مصطفى البصيري، ثم شرح الشاطبية شرحاً مختصراً سمّاه «الإشارات العمرية في حلّ رموز الشاطبية»، لكن أعجلته المنية عن إتمامه وتبييضه، فبعد وفاته أتمّه وبيّضه المتقن عمر بن شاهين إمام الرضائية، وهو شرح لطيف نافع للمبتدي، ولاستحضار المنتهي، وجرت للمترجم محنة عظيمة قبل وفاته، وكانت سبباً لمرضه الذي مات فيه، وذلك أنّه لما كان سنة سبع وأربعين بعد المائة صار بحلب غلاء، وقلّت الأقوات، فتحركت العامة والرعاع يوماً لِيَنْهَبُوا الخبز من الأفران، فصادفوا خليل المرادي دائراً على الأفران يقبض ثمن الطحين، ورأوا معه دراهم كثيرة، فطمعوا في أخذها ولحقوه، فساق دابّته فأدركوه عند جامع قسطل الحرامي، فنزل عن الدّابة ورام الدخول للجامع المزبور ليحتمي به، فمنعه المؤذن والقيّم وغيرهما، وكان صاحب الترجمة أمرهم بمنعه خوفاً أنْ يقتل في الجامع، وأغلقوا باب الجامع في وجهه ففرّ نحو البرية فأدركوه هناك وقتلوه، ولم يعلم له قاتل، وفي تلك الغضون قدم إلى حلب كافلاً وحاكماً الوزير أحمد بن برهان الشهير بالبولاد، فاشتكى أولاد خليل المذكور على أهل المحلّة عموماً، وعلى صاحب الترجمة والمؤذن والقيّم خصوصاً، فاختفى صاحب الترجمة عند بعض أصحابه مدّة، والطلب بالتفحّص الشديد عليه، إلى أنْ قضيت القضية، وأخذ المذكور جريمة كثيرة (يشبه هذا الأمر بواقعة الحريق بحارة الباطلية، وانطفت نار الظلم بأخذ الدراهم، وتفصيل الأمر في صحيفة من الجزء الثاني من الخطط، فشباك الغدر متنوعة) من أهل المحلة، فظهر المترجم لكن أثّر فيه الرعب بحيث أنّه كان يمرض مدة ويبرأ مدة، حتى دنا أَجَلُه وكانت وفاته في أوائل شعبان سنة ثمان وأربعين ومائة وألف، ودفن بمقبرة جب النّور رحمه الله تعالى.

عمر الجوهري:

٤٦١ ـ عمر بن علاء الدين، المعروف بالجوهري، الحنفي النابلسي الشيخ الفاضل

الفقيه: ولد في سنة خمس ومائة وألف، وحفظ القرآن وجوّده على عم أبيه الشيخ شمس الدين الخماش، واشتغل بطلب العلم، وتفقّه على عمه الشيخ عبدالله الجوهري، ثم لازم الشيخ عبدالله الشرابي وانتفع به، وقدم دمشق وقرأ بها على صالح بن إبراهيم الجينيني، وأحمد بن علي المنيني، وعلي بن أحمد كزبر، وحضر دروس إسماعيل بن محمد العجلوني، وأخذ عنه، وروى البخاري عن محمد المكّي المعروف بعقيلة قراءة عليه، وسماعاً منه من أوله إلى كتاب الحج، وأخذ الطريقة الشاذلية عن عمه الشيخ عبدالله المذكور، وجمع بين العلم والصلاح، وكان كثير الاعتناء بتلاوة القرآن، لا تجده غافلاً عنه، وكانت وفاته في شوّال سنة إحدى وثمانين ومائة وألف رحمه الله تعالى وإيّانا.

عمر السكري:

٤٦٢ ـ عمر بن علي، الشهير بابن السكري، الدمشقي الصالحي، الشيخ الفاضل الفقيه المبارك: كان ينظم الشعر، وعنده سلامة الصدر، قرأ في الفقه وطرفاً من النحو والعقائد، وكان فقيراً، ومرض ولم ينقطع في داره غير ثلاثة أيام، ومات وكانت وفاته في يوم الاثنين خامس صفر سنة تسع وعشرين ومائة وألف، ودفن بسفح جبل قاسيون بصالحية دمشق رحمه الله تعالى.

عمر السمهودي:

٤٦٣ ـ عمر بن علي السمهودي المدني الشافعي، الشيخ الفاضل الأديب العالم الكامل البارع: ولد بالمدينة المنورة سنة خمس وثمانين وألف، ونشأ بها، وأخذ عن الشيخ أبي الطاهر ابن المنلا إبراهيم الكوراني، وعن أحمد أفندي المدرس وغيرهما، وصار أحد الخطباء والأئمة بالمسجد النبوي، وكان فاضلاً أديباً له مشاركة في كثير من العلوم، ذا شهامة عظيمة وعقل زائد، وحرمة وافرة، بليغاً متقناً فصيحاً، وألّف خطباً أنشأها بديعة في بابها، وله نظم نثر وفضائل كثيرة، ضَرَبْنا (ضربنا عرضنا) عن ذكرها خوف التطويل، وكانت وفاته بالمدينة سنة سبع وخمسين ومائة وألف، ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى وإيّانا.

عمر الظاهر الزيداني:

٤٦٤ ـ عمر بن صالح الملقّب بالظاهر الصفدي الزيداني، حاكم مدينة عكا وشيخ شيوخ البلاد الصفدية، صاحب المواقع الشهيرة الخارج عن طاعة الدولة العثمانية: مولده بصفد سنة ست ومائة وألف، ومن غريب الاتفاق أنّ هذا التاريخ، أعني تاريخ مولده مواق لعدد لقبه ظاهر، (بوضاهر طاهر أولمبوب ظاهر ايمش ظاهره ضاهر ديملري ايسه مصر ده ظاهر به قرية سنه ضهرية ديملري كبدر كه بانيسنك ترجمه سي خططده در) وكان والده وجدّه وأعمامه حكّاماً بصفد وعكا، ويُعْرفون ببني زيدان، وهم حمولة كبيرة، لكن صاحب الترجمة نبغ نبغةً ما سبقه إليها أحد من عشيرته، واشتهر في أواخر أمره وطار صيته بالبغي

والتعدّي على هاتيك الديار، هو وأولاده صُلَيْبي وعلي المقتولَيْن (صليبي مشكولة بصيغة التصغير، والمقتولين بشكل التثنية) وعثمان الشاعر، وأحمد، وكان الوزير الكبير سليمان باشا العظمى جهّز عليه عسكراً وركب عليه بعد أنْ قبض على أخيه مصطفى الزيداني وشنقه بدمشق، فلما وصل الوزير المرقوم إلى قرب عكا بقصد حصاره رشا عليه بعض أتباعه فأدخل عليه السم في طعامه فمات، وجيء به إلى دمشق ميّتاً شهيداً، وبلغ من تجرّي صاحب الترجمة أنّه أركب آخر أمره مع أبي الذهب أولاده وعساكره لأخذ دمشق من الدولة العثمانية في أمور يطول شرحها، ولم يتمّ الأمر على مراده، ورجعت صفقته خاسرة، وكان قتله في سنة تسعين ومائة وألف عن يد الوزير حسن باشا القبودان رئيس السفن السلطانية، واندثرت دولتهم ولم يبق لهم أثر.

استطراد: سنة تسع وثمانين ومائة وألف فيها عزم محمد بك أبو الذهب على السفر والتوجه إلى البلاد الشامية بقصد محاربة الظاهر عمر واستخلاص ما بيده من البلاد، فبرز خيامه إلى العادلية، وفرّق الأموال والتراحيل على الأمراء والعساكر والمماليك، واستعد لذلك استعداداً عظيماً في البحر والبر، وأنزل بالمراكب الذخيرة والجبخانة والمدافع والقنابر والمدفع الكبير المسمّى بابومايله، الذي كان سبكه في العام الماضي، وسافر بجموعه وعساكره في أوائل المحرم، وأخذ صحبته مراد بك وإبراهيم بك طنان، وإسماعيل بك تابع إسماعيل بك الكبير لا غير، وترك بمصر إبراهيم بك وجعله عوضاً عنه في إمارة مصر، وإسماعيل بك وباقي الأمراء والباشا الذي بالقلعة (تنديسه صفت)، وهو مصطفى باشا النابلسي، وأرباب العكاكيز والخدم والوجاقلية، (أوجاقلي) ولم يزل في سيره حتى وصل إلى جهة غزة، وارتجّت البلاد لعدوده[1]، ولم يقف أحد في وجهه، وتحصّن أهل يافا بها، وكذلك الظاهر عمر تحصّن بعكا، فلما وصل إلى يافا حاصرها وضيّق على أهلها وامتنعوا هم أيضاً عليه، وحاربوه من داخل، وحاربهم من خارج، ورمى عليهم بالمدافع والمكاحل والقنابر عدة أيام وليال، فكانوا يصعدون إلى أعلا الصور ويسبّون المصريين وأميرهم سبّاً قبيحاً، فلم يزالوا بالحرب عليها حتى نقبوا أصوارها وهجموا عليها من كل ناحية، وملكوها عنوة ونهبوها، وقبضوا على أهلها وربطوهم في الحبال والجنازير (زنجيرلر)، وسَبُوا النساء والصبيان، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، ثم جمعوا الأسرى خارج البلد ودوّروا فيهم السيف، وقتلوهم عن آخرهم، ولم يميزوا بين الشريف والنصراني واليهودي والعالم والجاهل والعامي والسوقي، ولا بين الظالم والمظلوم، وربما عوقب من لاجني، وبنوا من رؤوس القتلى عدة صوامع وجوهها بارزة تنسف عليها الأتربة الرياح والزوابع، ثم ارتحل عنها طالباً

---

(١) العِدَّة بالكسر الجماعة تقول: عنده عدة رجال، والعُدّة بالضم: الاستعداد والتأهب (فتأمّل) معنى العدود التي كتبها الجبرتي انتهى.

عكا، فلما بلغ الظاهر عمر ما وقع بيافا اشتدّ خوفه، وخرج من عكا هارباً وتركها وحصونها، فوصل إليها محمد بك ودخلها من غير مانع، وأذعنت له باقي البلاد ودخلوا تحت طاعته، وخافوا سطوته، وداخل محمد بك من الغرور والفرح ما لا مزيد عليه، وما آل به إلى الموت والهلاك، وأرسل بالبشائر إلى مصر، والأمر بالزينة فنودي بذلك، وزيّنت مصر وبولاق والقاهرة وخارجها زينة عظيمة، وعمل بها وقدات وشنكات (دوننمو نلك ديمك ايستر) وأفراح ثلاثة أيام بلياليها، وذلك في أوائل ربيع الثاني، فعند انقضاء ذلك ورد الخبر بموت محمد بك، واستمر في كل يوم يفشو الخبر وينو ويزيد ويتناقل ويتأكّد حتى وردت السعاة بتصحيح ذلك، وشاع في الناس، وصاروا يتعجّبون ويتلون قوله تعالى: ﴿حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون﴾ وذلك أنّه لما تمّ له الأمر وملك البلاد المصرية والشامية وأذعن الجميع لطاعته، وقد كان أرسل إسماعيل آغا أخو علي بك الغزاوي إلى إسلامبول يطلب أمر مصر والشام، وأرسل صحبته أموالاً وهدايا فأجيب إلى ذلك، وأعطوه التقاليد والخلع واليرق والداقم (لعله بيرق وطاقم)، وأرسل له المراسلات والبشائر بتمام الأمر، فوافاه ذلك يوم دخوله عكّا فامتلأ فرحاً وحمّ بدنه في الحال، فأقام محموماً ثلاثة أيام، ومات ليلة الرابع ثامن ربيع الثاني، وافا خبر موته إسماعيل آغا عندما تهيأ ونزل في المراكب يريد المسير إلى مخدومه، فانتقض الأمر وردّت التقاليد وباقي الأشياء، ولما تمّ له أمر يافا وعكّا وباقي البلاد والثغور، فرح الأمراء والأجناد الذين بصحبته برجوعهم إلى مصر، وصاروا متشوقين للرحيل والرجوع إلى الأوطان، فاجتمعوا إليه في اليوم الذي نزل به ما نزل في ليلته فتبيّن لهم من كلامه عدم العود، وأنّه يريد تقليدهم المناصب والأحكام بالديار الشامية وبلاد السواحل، وأمرهم بإرسال المكاتبات إلى بيوتهم وعيالهم بالبشارات بما فتح الله عليهم، وما سيفتح لهم، ويطمنّونهم ويطلبون احتياجاتهم ولوازمهم المحتاجين إليها من مصر، فعند ذلك اغتموا وعلموا أنّهم لا براح لهم، وأنّ أمله غير هذا، وذهب كل إلى مخيّمه يفكر في أمره، قال الناقل: وأقمنا على ذلك الثلاثة أيام التي مرض فيها، وأكثرنا لا يعلم بمرضه ولا يدخل عليه إلاّ بعض خواصّه، ولا يذكرون ذلك إلاّ بقولهم في اليوم الثالث إنّه منحرف المزاج، فلما كان في صبح الليلة التي بات بها نظرنا إلى صيوانه وقد انهدم ركنه، وأولاد الخزينة في حركة، ثم زاد الحال وجرّدوا على بعضهم السلاح بسبب المال، وظهر أمر موته وارتبك العرضي (أردو) وحضر مراد بك فصدّهم وكفّهم عن بعضهم، وجمع كبراهم وتشاوروا في أمرهم، وأرضى خواطرهم خوفاً من وقوع الفشل فيهم، وتشتتهم في بلاد الغربة، وطمع الشاميين وشماتتهم، واتفق رأيهم على الرحيل، وأخذوا رمّة سيدهم صحبتهم، لما تحقق عندهم إنْ هُمْ دفنوه هناك في بعض المواضع أخرجه أهل البلاد، ونبشوه وأحرقوه، فغسّلوه وكفّنوه ولفّوه في المشمعات، ووضعوه في عربة، وارتحلوا طالبين الديار المصرية، فوصلوا في ستة عشر يوماً ليلة الرابع

والعشرين من شهر ربيع الثاني أواخر النهار، فأرادوا دفْنَه بالقرّافة، وحضر الشيخ الصعيدي فأشار بدفنه في مدرسته تجاه الجامع الأزهر، فحفروا له قبراً في الليوان الصغير الشرقي، وبنوه في الليل، ولما أصبح النهار عملوا له مشهداً وخرجوا بجنازته من بيته الذي بقوصون، ومشى أمامه المشايخ والعلماء والأمراء وجميع الأحزاب والأوراد أولاد المكاتب، وأمام نعشه مجامر العنبر والعود، ستراً على رائحته ونتنه، حتى وصلوا به إلى مدفنه، وعملوا عنده ليال وختمات وقراءات وصدقات عدة ليال وأيام نحو أربعون يوماً، واستقر أتباعه أمراء مصر ورئيسهم إبراهيم بك ومراد بك، وباقيهم الذين أمرهم في حياته، ومات عنهم يوسف بك، وأحمد بك الكلارجي، ومصطفى بك الكبير، وأيوب بك الكبير، وذو الفقار بك ومحمد بك طوپال، ورضوان بك، والذين تأمّروا بعده أيوب بك الدفتردار، وسليمان بك الآغا، وإبراهيم بك الوالي (المحتسب)، وأيوب بك الصغير، وقاسم بك الصغير، وعثمان بك الشرقاوي، ومراد بك الصغير، وسليم بك أبو دياب، ولاچين بك، وسيأتي ذكر أخبارهم. (انتهى ما نقلناه من عجائب الآثار بحروفه، وقوصون: محلة بمصر كما هو مذكور في كتاب المواعظ بمناسبة اصطبل الأمير قوصون، وقد سمّاها عبّاس باشا حفيد محمد علي باشا المشهور صاحب المجد الحلمية حينما بنى الدار هناك الأنيقة، وعباس باشا هذا أدركه الأجل في بنها العسل، ثم حمل على العجلة، وأدخل نعشه ليلاً إلى داره في العباسيّة التي كان اسمها الحصوة، فغسّلوه وحملوه إلى قبره بالقرّافة بمجامر العود والعنبر، وكانت وفاته خارج مصر، مثل محمد بك أبي الذهب رحمهم الله تعالى.

عمر السفرجلاني:

٤٦٥ ـ **عمر بن إبراهيم بن عبد الكريم أبي بكر السفرجلاني الدمشقي الشافعي**: أحد التّجار المشاهير بدمشق، وأصحاب الثروة، كان ذا وجاهة ومال زائد، وله يد طائلة في فعل الخيرات، ومسارعة إلى صنائع المعروف والمبرات، بنى في دمشق أربعة مساجد أحدها بمحلة القنوات، وبنى له منارة، والثلاثة بقرب داره، اثنان منهما لهما منارة، ورتّب لهذه المساجد وظائف وشعائر وربعات من القرآن العظيم، تقرأ كل يوم، وكان مشهوراً بفعل الخير، وكانت وفاته سابع عشر شعبان سنة اثني عشر ومائة وألف، ودفن بتربة الباب الصغير، وأعقب من المذكور تسعة بنين، ومن الإناث ثلاث عشرة بنتاً، ومن النقود خمساً وستين ألف قرش، ما عدا العقارات والبضاعات والأملاك رحمه الله تعالى وأموات المسلمين.

عمر الكيلاني:

٤٦٦ ـ **عمر بن ياسين بن عبد الرزاق بن شرف الدين بن أحمد بن علي القادري، المعروف كأسلافه بالكيلاني، الحموي الشافعي السيد الشريف**: كان موقّراً معتبراً مبجّلاً، صاحب حال، وكان ممدوح الخصال، تعلوه هيبة الصلاح ووقار التقوى، سخي الطبع،

محمود الحركات والسكنات، صدراً من الصدور، وهيكلاً متهللاً بالبهجة والنور، ولد بحماة سنة سبع وعشرين ومائة وألف ونشأ بها في كنف والده، ثم في سنة ثلاث وأربعين قدم مع والده وابن عمه الشيخ عبد القادر وأولادهم وعيالهم لدمشق مهاجرين إليها، ثم سافر صاحب الترجمة بعد وفاة والده بدمشق، وساح فدخل بغداد والرقة وحلب مراراً، وجلس على سجادة مشيختهم، واستقام على أحسن سيرة، وعمّر داراً بدمشق في محلة القباقبية العتيقة، كانت أولاً لبني عبادة، وصرف في عمارتها أموالاً جمّة، وسافر من دمشق قبل إتمامها إلى جهة الروم بخصوص، فقرأ أهل بلدة حماة لدفع مظلمة كانت عليهم، فنال مطلوبه فوق مرامه، وذلك في زمن السلطان الغازي مصطفى خان، وحصل من الدولة إكرام واحترام، ثم في آخر أمره توطّن مدينة حلب، وترك بلدته حماة لتغلب حكامها، وتخالف الأحوال عليه، وتوفّي بحلب في ثاني عشر صفر سنة خمس وثمانين ومائة وألف، ودفن خارجها في تربة الصالحين بالقرب من الشيخ الدبّاس رحمه الله تعالى[1].

عمر السيري:

٤٦٧ ـ **عمر السيري، الطرابلسي الحنفي الشيخ الفاضل العالم الصدر المحتشم:** ترجمه بعض الفضلاء، فقال في حقّه: همام ذو فهم ثاقب، في المعارف والمناقب، وإنشاء عجيب، في المحاولة لكل أمر غريب، تميل إليه الناس، رعاعهم والأكياس، في نجاح مقاصدهم، وبلوغ حوائجهم، ولم يزل في الناس كذلك، سالكاً أحسن المسالك، إلى أنْ تقلّد بسيف القضاء، وقطع به ما كان به مرتضى، فانقطع حبله، وفلّ وصله (أي أفلس)، ودارت عليه الدوائر، إلى أنْ زار المقابر، ولقد اطلعت له على نميقة، تؤذن بحرية ألفاظه الرقيقة، وعلو رتبة منشيها، على أرائك معاليها، انتهى.

وكان له فضل غزير، وأدب غض، وصار أحد أعيان طرابلس وصدورها، وكانت وفاته بها سنة تسع وخمسين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

عمر الأفيوني:

٤٦٨ ـ **عمر بن محمد الطرابلسي الحنفي، الشهير بالأفيوني:** وتقدّم ذكر ولده عبدالله الشاعر المشهور، الشيخ الفاضل البارع الكاتب الفقيه العالم النحرير، ترجمه بعض فضلاء طرابلس، فقال في حقّه: فقيه فاضل، له فكر سائل، إذا سأله سائل، يملأ له الإناء من المسائل، وله في رياض الفقه النعماني رياضة، ومن حياضها استفاضة، كان غالب كتبه بخطه، مزيّنة بصحيح ضبطه، انتهى.

---

(١) أتهزؤ بالدّعاء وتزدريه ... وما يدريك ما فعل الدعاءُ
سهام الليل لا تخطىء ولكن لها أمدٌ وللأمد انقضاءُ.

وكان المترجم موصوفاً بالنبل، مشهوراً بمعرفة المسائل الفقهية وغيرها، أخذ عن جملة من الشيوخ، كالشيخ عبدالله الخليلي وغيره، وكانت وفاته بطرابلس سنة إحدى وعشرين ومائة وألف، ودفن بها رحمه الله تعالى، ورحم من مات من المسلمين.

عمر بن محمد البصير المصري:

٤٦٩ ـ **عمر بن محمد البصير الشافعي المصري نزيل حلب المقري المتقن العارف باختلاف القراءات ووجوهها، النحوي الكامل العالم العامل**: قدم حلب في سنة خمسة عشر ومائة وألف، فاعتنى به الرجل الخير مصطفى الكردي العمادي، وأنزله في المسجد الذي تحت الساباط[1] في أول زقاق بني الزهرا، ويعرف قديماً بدرب الديلم، بالقرب من داره، فكان يقرىء القرآن العظيم في المسجد المذكور، وكان حديث السن، وقد جمع الله فيه المحاسن والكمالات، انفرد بحسن الصوت والألحان الشائقة، والعلم التام بتحقيق التجويد ومخارج الحروف والإتقان، وسرعة استحضار عند جمع وجوه القراءات، وطول النفس، لكنه كان ضنّيناً بتعليم القراءات السبع، لم يقرىء أحداً بذلك، وكل من طلب منه الإقراء بغير قراءة حفص يسوفه ويماطله ولا يقرئه، أخبر تلميذه المتقن عمر بن شاهين إمام الرضائية، قال: حفظت عليه القرآن العظيم وسنّي اثنا عشر سنة، والتزمتُ خدمته، وكنت أقيم أكثر أوقاتي عنده، ويأخذني معه إلى القراءات، وكنت أقوده إلى أيّ مكان يريد، وكان يتفرّس فيَّ النجابة، وبعد القراءة يعلمني الألحان من رسالة كانت عنده، ويعلمني كيفية الانتقال من نغم إلى نغمْ ويقول إنّ ذلك يلزم من كان إماماً وأنت ربما تصير إماماً، وكان يعلمني كيفية قراءة التحقيق والترتيل والتدوير والحدر والوقف والابتداء، ويباحثني في طول النفس، لأنه كان يدرج ثلاث آيات أو أربعاً من الآيات المتوسطات في نَفَسٍ واحد، وكان يقرأ آية المداينة في ثلاثة أنفاس من غير إخلال في الحرف ولا في مدّه، وكان يصلي التراويح إماماً بالمولى الرئيس طه بن طه الحلبي في الرواق الفوقاني من جامع البهرامية، ويقرأ جزءاً من القرآن درجاً صحيحاً بقصر المد المنفصل، والإمام الراتب يصلي في القبلة الصلاة المتعارفة بين أئمة التراويح، فكان يسبقه الإمام بالوتر فقط، وكان ذكيّاً متيقظاً أذكى من تلميذه الشيخ محمد الدمياطي، قال: وجرى لي معه مرة واقعة، وذلك إني أتيت يوماً لأقرأ، وكنت لم أحفظ ما تلقيته، وألزمني بالقراءة، ولم يكن ثَمّ أحدٌ غيري، فأخرجتُ مصحفاً صغير الحجم، فظهر له أنّي أقرأ عن ظهر قلبي، فأصغى إليَّ هنيئة، ثم وثَبَ عليَّ ورمى بنفسه عليّ وقبض على المصحف من يدي، فارتعت، وشرع يضربني ويقول: يا خبيث تدلّس عليّ وتغش نفسك، فحلفتُ له أنّي لم أفعلها إلاّ هذه المرة، فتركني حينئذ، فلما سكن رَوْعي قبّلتُ يده، وقلتُ له: بحياتك من أين علمت أنّي أقرأ بالمصحف، فقال:

---

(١) ساباط معرب بلاس آباد لو عرّب من شاه آباد لكان أحسن من تعريبه من بلاس آباد.

سمعت صوتك يأتي من سقف المحل، فعلمت أنّ في يدك شيئاً يمنع مجيء الصوت مواجهة، ومرة أخرى كنت أذهب معه إلى دور بعض أحبابه، وكان في الطريق بالوعة إذا وصلنا إليها أُخبِرُهُ بها فيتخطاها، فبعد مدة سترت تلك البالوعة بالطوابق، فلما مررت به من ذلك الطريق بعد مدة وصل إلى موضعها وتوقّف ثم تخطّى، قلت له: لم تخطّيت قال أليس هنا بالوعة؟ قلت: بلى كانت، ولكنها من مدة زالت، انتهى.

قلت: ومثل ذلك ما حكي عن أبي العلاء المعرّي (شرح السقط طبعناه) أنّه كان سافر مع رفيق له إلى جهة، فمرّا في طريقهما بشجرة، فلما قرّبا منها قال له رفيقه: إيّاك والشجرة أمامك، فانحنى حتى تجاوزها، فلما رجعا من ذلك الطريق أيضاً انحنى أبو العلا لما قرّب من مكان الشجرة، ورفيقه ينظر إليه، ويحكى عن حذق أبي العلاء المذكور أنّه أنشده المنّازي أبياتاً بالشام، فقال له: أنت أشعر مَنْ بالشام، ثم اتفق اجتماعهما بالعراق بعد سبع سنين فأنشده المنّازي أبياتاً أخر، فقال له: ومن بالعراق، ومثله ما حكي عن داود الحكيم الأنطاكي صاحب التذكرة[١] وغيرها، أنّ رجلاً دخل عليه، وقال له: أي شيء يقوم مقام اللّحم؟ فقال: البيض، فغاب عنه سنة وجاءه فرآه منهمكاً في تركيب معجون، وهو يجمع أجزاءه، فقال له: بأي شيء يُقْلى؟ فقال بالسمن، وحكايات حَذْقه كثيرة، ذكره من ترجمه، ثم إنّه أعني صاحب الترجمة في آخر عمره ترك الإقراء وخرج من ذلك المسجد، واشترى له داراً بالقرب من المحلة الكبرى، وكانت وفاته بحلب في سنة سبع وثلاثين ومائة وألف، ودفن بمقبرة العبّارة خارج باب الفرج، ولم يعقب غير بنت، وخلّف مالاً كثيراً رحمه الله تعالى.

عمر الوحيد:

٤٧٠ ـ **عمر بن مصطفى بن مصطفى الملقّب بالوحيد، كما أنّ والده كان يلقّب بالعاطف، (عاطف أفندي هذا له مكتبة في ميدان وفا، وقد رأيت بصائر صاحب القاموس بها، وهذه المكتبة محرومة عن نسج العنكبوت لوجود من يعتني بأمرها من بيت الواقف، وأما مكتبة بشير آغا فعليها قفل عظيم مصون عن الفتح تحاكي مكتبة جامع شهزاده) الحنفي القسطنطيني أحد أعيان الدولة ورؤسائها أرباب الشهرة والصولة الكاتب الماجد المحتشم المعتبر الرئيس النبيل الدين العمدة**: ولد بقسطنطينية دار السلطنة ونشأ بكنف والده، وكان والده من رؤساء الدولة وأعيانها، وسيجيء ذكره في محله، وقرأ القرآن، ودأب على التحصيل والكتابة والإنشاء، وحسن الخطوط، فبرع ومهر وأتقن الخطوط، ولازم الديوان العثماني، وباشر كتابة المناشير والتواقيع السلطانية، وولي المناصب الديوانية، وعلت كلمته، وتوفرت حرمته، واتسعت دائرته، ونمت ثروته، ثم بعد توليته المناصب واستخدامه

(١) داود الأنطاكي ترجمة المحبّي في الخلاصة.

بأمور الدولة، صار رئيس الچاويشية ورئيس الكتاب، (خارجية ناظري) وأمين السقايين السلطانية، وأمين الدفتر وطغرابي الدولة، (نشانجي طغراكش) ومستوفيها، الذي هو وكيل بيت المال المعبر عنه في الاصطلاح العثماني بالدفتري والدفتردار (مالية ناظري)، وكتخداي الوزير الأعظم (مستشار)، وتكرر ذلك له، واشتهر بين الناس ورجال الدولة بالأمانة والخير والديانة، وشدة البأس، وعدم المحاباة، واعتمد عليه في الأمور وتمشيتها، وصار المستشار في مهام الدولة والمستخدم بمناصبها، واعتبره الوزراء، واشتهر كما اشتهر أبوه، ولم يزل في عزّه وجاهه بين أقرانه وأشباهه، حتى مات، وكنت لمّا ارتحلتُ لدار السلطنة المذكورة قسطنطينية، ودخلتها في سنة اثنين وتسعين ومائة وألف، اجتمعت بالمترجم، وكان إذْ ذاك رئيس الكتّاب وجرى بيني وبينه محادثة وملاطفة، ورأيت منه من التوقير والتعظيم ما لم أره من غيره، وكانت بينه وبين والدي وجدي حقوق ومودة ذكرها لي عند الاجتماع به، ولما دخلت دار السلطنة ثانياً سنة سبع وتسعين ومائة وألف، بلغني بعد دخولي إليها خبر ضعفه وتزايد مرضه، وكنت عزمتُ على عيادته، فلم تطل مدته ومات، وكانت وفاته وأنا بدار السلطنة في ليلة الثلاثاء ثالث عشر جمادي الأولى من السنة المرقومة، وسيأتي ذكر والده مصطفى العاطف في محله رحمهما الله تعالى.

عمر الرجيحي:

٤٧١ ـ **عمر بن مصطفى، الشهير بالرجيحي، الدمشقي الأديب الأريب الكاتب الماهر البارع**: كان لطيف الذات، حسن السمات، من الظرفاء الكمّل المشاهير، متقن النظم والنثر، وهو من ذوي البيوت القديمة بدمشق، ولهم أوقاف وشهرة، ومن شعره قوله:

وافى الربيع فحبذاك أوان ... سرت به الأرواح والأبدانُ
وافى الحبيب لدوح روض نوره ... ما الدرّ ما الياقوت ما المرجان
فجرى القراح مبشراً بقدومه ... سلكاً سعت لنظامه الخلّان
لمّا تفوّه بالبشارة معلناً ... نشرت عليه حليها الأغصان

وقوله:

البدر يعزي لحسن طلعته ... والغصن يحكي للين قامتِهْ
وللثنايا الجمان منتمياً ... والليل من بعض فرع طرته
محجب كم أروم زورته ... والموت للصبّ دون زورته

وقوله:

أمسيت في عصر قوم لا خلاق لهم ... من صحبتي لهم قد ساءني التعبُ
إنْ يسمعوا الخير أخفوه وإنْ سمعوا ... شراً أذاعوا وإنْ لم يسمعوا كذّبوا

(سبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله) وله غير ذلك، وكانت وفاته في غرّة ذي القعدة

سنة ثلاثين ومائة وألف ودفن بمقبرة الباب الصغير رحمه الله تعالى.

عمر الوزان:

٤٧٢ ـ عمر بن مصطفى الوزّان، الحنفي الدمشقي الفاضل الصالح: كان من أهل العلم والفضل، وله حسن أخلاق وتودد ومنادمة، ولد بدمشق سنة إحدى وستين وألف، وقرأ العلوم وأخذها، وجلُّ انتفاعه على محمد علاء الدين بن علي الحصكفي مفتي الحنفية، وقرأ على غيره، وكانت وفاته في يوم الخميس خامس عشري شعبان سنة تسع وثلاثين ومائة وألف، ودفن بمقبرة مرج الدحداح رحمه الله تعالى.

عمر الطوراني:

٤٧٣ ـ عمر بن مصطفى البغدادي، الشهير بالطوراني، مفتي السادة الحنابلة ببغداد، وخادم ضريح القطب الرباني سيدي عبد القادر الكيلاني: الشيخ الفاضل الفقيه العالم الصالح البارع، طلب العلم وأخذ الفقه وغيره، عن كل من الجمال عبدالله بن الحسين السويدي الشافعي، والشيخ ياسين الهيتي، ثم توجّه إلى القسطنطينية وتوطّنها وتزوج بها، وأقام هناك إلى أنْ توفي في حدود سنة أربع وثمانين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

عمر كرامة:

٤٧٤ ـ عمر بن مصطفى بن أبي اللّطف الحنفي الطرابلسي، الشهير بابن كرامة، الشيخ الفاضل الأديب المفنن العالم الفاضل: كان من العلماء الأفاضل، قرأ بمصر ودرس بطرابلس في جامعها، وولي إفتاء طرابلس، وله من المؤلفات، نظم متن السراجية وشرحها، وله رسائل في العروض وغيره، وصحب أخاه في الرحلة إلى مصر، وكانت وفاته بطرابلس بعد الستين ومائة وألف، عن مائة وخمس عشرة سنة رحمه الله تعالى وإيّانا.

عمر اللاذقي:

٤٧٥ ـ عمر بن عبد الرحمن بن حسين بن علي اللاذقي الحنفي الشيخ الفاضل البارع الأديب الأوحد الشاعر السيد الشريف: ولد سنة اثنين وستين ومائة وألف بلاذقية العرب، ونشأ بها في حجر أبيه، وكان والده المرقوم مفتياً بها، وكان يلقّب بملا جامي، وكانت وفاة المترجم بمدينة حلب، ذهب إليها ليزور شقيقته زين الشرف زوجة إبراهيم آغا بن يعقوب آغا متولي وقف السلطان إبراهيم بن أدهم سابقاً، فمات عندها قبيل ظهر يوم السبت حادي عشر شعبان سنة تسع وتسعين ومائة وألف بتقديم التاء المثناة فيهما رحمه الله تعالى.

عمر الأرزنجاني:

٤٧٦ ـ عمر بن مرتضى الحنفي الأرزنجاني، نزيل قسطنطينية، الشيخ العالم الفاضل المحقق: قدم دار الخلافة المذكورة، ولازم على طريقتهم، وأعطي التدريس من شيخ الإسلام مصطفى بن محمد الدرّي، (مصطفى ولي الإفتاء وكان سلفه وخلفه فيض الله وتولاه

ثانياً، وسلفه أحمد، وخلفه ولي الدين، وفي دفعته الثالثة سلفه محمد، وخلفه إبراهيم بن عوض وأما والده محمد كان سلفه إسحاق، وخلفه مصطفى بن فيض الله) مفتي الدور، وأقرأ وأفاد ولازم الطلبة، واشتهر بين علماء الدولة، وصار أحد المعلمين لغلمان دار السعادة السلطانية، وتنقّل في المدارس على عادتهم، وكانت وفاته مطعوناً في رمضان سنة سبع وتسعين ومائة وألف، والأرزنجاني: نسبة إلى أرزنجان.

عمر الطحلاوي:

٤٧٧ ـ عمر بن علي بن يحيى بن مصطفى المالكي المصري الأزهري، الشهير بالطحلاوي، الشيخ الإمام المحدِّث الفقيه المعمر الأصولي المسند أوحد عصره أبو حفص سراج الدين: أخذ عن جملة من الأئمة، كالشهابين أحمد البلابلي وأحمد بن أحمد بن عيسى العمادي، وسالم بن أحمد النفراوي، وأحمد بن الفقيه، ومنصور المنوفي، وعلي بن أحمد بن عبدالله الحريشي، ومحمد الورزازي برواية البلابلي، وكذلك العمادي عن سيدي محمد الزرقاني وعن غيرهم، وصار له الفضل العظيم والعلم الغض، والفضل التام، وتصدّر للتدريس والفتوى، وأقبلت عليه الأفاضل وانتفعوا به، فمن جملة من أخذ عنه المحقق عبدالله بن حجازي الشرقاوي، ومحمد بن عبد المعطي الحريري، والشهاب أحمد بن يونس الخليفي، والسيد محمد أبو الأنوار الوفائي وغيرهم، وكانت وفاته سنة إحدى وثمانين ومائة وألف، ودفن بمشهد عظيم بتربة المجاورين رحمه الله تعالى وأموات المسلمين.

عمر البقراصي:

٤٧٨ ـ عمر بن يوسف الحنفي البقراصي نزيل حمص، الشيخ الإمام العالم الفاضل الكامل: كان محققاً في العلوم العقلية والنقلية، جاء من بقراص بلدة في الروم، وقطن في مدينة حمص، وعمّر الجامع المشهور بجامع النخلة بعدما خرّب ودثر، (صالح ابن أيوب كان خرب جوامع الروضة بمصر، ولم يتيسر له الإقامة فيما بنى بها من القصور إذ أدركته المنية بالمنصورة، وتركت شجرة الدرّ جثته فيما بناه مدة، حتى جهزوا له حفرته ونقلوه إلى مدفنه في مدرسته) وبنى نحو الثلاثين حجرة لطلبة العلم(*)، وكان متصدِّياً لقراءتهم، وقراءة الدروس العامة، وإحياء العلم في حمص، وانتفع به كثير، وكان ورعاً كثير العبادة متهجّداً في الليالي، صوّاماً زاهداً عفيفاً جرياً في التكلم بالحق، توفّي بحمص في سنة اثنين وخمسين ومائة وألف، ودفن في الجامع المذكور تحت منارته رحمه الله تعالى.

عمر الشهير بعميرة:

٤٧٩ ـ عمر الشهير بعميرة الدمشقي أحد مجاذيب دمشق المتقدمين: كان من كبار

(*) لبعضهم: بنيتَ لأرباب العلوم مدارساً، لتنجو بها من هول يوم المهالك، وضاقت عليك الأرض لم تلق منزلاً، تحلّ به إلا إلى جنب مالك.

الأخيار، له الشهرة التّامة في الولاية، لازم دروس المحدّث الإمام إسماعيل بن محمد العجلوني، تحت قبة النسر بالجامع الأموي في صحيح البخاري، واشتهر بين الناس بالولاية والكشف، وذكره الأستاذ مصطفى بن كمال الدين الصديقي الدمشقي في بعض تآليفه، وأثنى عليه، وقال: قال لي الأخ الشيخ عبد الرحمن السمان عنه: أنه مخلص الأيادي، يعني أنّ تصرفه تام النهايات والمبادي، وأخبرني الأخ الشيخ مصطفى يوماً من الأيام قال: كنتُ اليوم عند السمّان في الحمام، فجاء الشيخ عميرة إلى جانبي، وأنا خارج من الداخل، ثم تقدّم لقربي الشيخ عبد الرحمن، وقال: بالأمس هذا قال لي ضعْ يدك على كتفي فوضعتها، وسار إلى بلاد وأماكن عجيبة، ودار بي في منازل غريبة، وأظنّه ذكر جبل قاف، قال: ورجع بي قال الشيخ مصطفى: فأردت أنْ أتثبّت في تحقيق هذه الواقعة، فقلت للشيخ عميرة: هكذا جرى مثل ما أخبر؟ قال: نعم سيدي نعم سيدي، وقد شوهدت له كرامات كثيرة ومقامات خطيرة، وجاءني مرّة فذكرت له قصة تورث غصّة، فبشّر بالخلاص من ضيق هاتيك الأقفاص، فقلت له: إنْ حصل ما أشرت به من المعروف أعطيتك هذا الصوف، وأَرَيْتُهُ صوفاً كان عندي، فجاء بعد أيام قلائل، وطلبه فأعطيته إياه، ولم أعد ولم أبدي، وتحققت أنّ المطلوب سيكون، والصعب يهون، فكان كذلك بعد مضي أشهر مما هنالك، وأضافنا الشيخ عبد الرحمن مرة في جنينة الشيخ مسعود، وصحبتنا جماعة من أهل الحب والجذب أولي الطالع المسعود، فرأيت المترجم ضرب ابن سراج المقدم على رأسه، فالتفت إليه وقال: مجنون؟ فتحققتُ إشراق نبراسه انتهى ما قاله. وكانت وفاته بعد الخمسين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

عمر العينوسي:

٤٨٠ ـ **عمر بن أحمد، الشهير بالعينوسي، الشافعي النابلسي، الشيخ الفقيه الصالح الفرضي**: حفظ القرآن وأتقنه بتجويده وأحكامه، ورحل لمصر وقرأ على الشيخ العزيزي وعادت عليه بركته، ولما حضر لوطنه انقطع في خدمة الأستاذ السيد مصطفى البكري وانتفع به أتم الانتفاع، وأخذ عنه طريقة الخلوتية وألبسه الكسوة، وتصدّر وتصدّى لإرشاد المريدين، واجتهد في عبادته حتى مات، ولم أتحقق وفاته في أي سنة رحمه الله تعالى.

عمر العنز:

٤٨١ ـ **عمر المعروف بالعنز الإدلبي، نزيل حمص الأديب الفاضل المنجم العارف**: كان ماهراً بالأدب والعلم والطب، ولكنه كان في غاية من النحوسة (والنادر لا حكم له) أدركته حرفة الأدب، وقد استقام في حمص واشتهر، يقرىء ويفيد، وله ديوان شعر، ومن شعره هذه النبوية ومطلعها:

للحبِّ آيات حق للمحال محت ... وأثبتت حب مَنْ بالطرف قد لَمَحَتْ
واستحكمت حيث جاءتنا مبينة ... بنسخها لدواوين الهوى شرحت

فمن يكذب ولم يؤمن بمحكمها ... فنفسه عن طريق الحق قد جمحت
بها أتانا رسول كان مبعثه ... عن ربة الحسن والحسنى التي رجحت
لما تلاها على أرواحنا سجدت ... طوعاً أجابت وبالأحكام فانصلحت
ومُذْ دعاها إلى دين الهوى زمراً ... سعت إليه على رأس لما انتصحت
مستسلمات أتت في شرع ملته ... باءت بخزي وأنكال وما ربحت
يا ويل قوم دعاهم للغرام أبوا ... تبّاً لهم فئة للسلم ما جنحت
لكنّ نفسي تسامت في إجابته ... قدراً رقت لسماء العشق فانفسحت
والحمد لله ربي حيث نسبتها ... صحت بحب فتاة شمسها اتضحت
لما بدت من خفي خدر الجمال سبت ... عقول أهل الهوى تيهاً وقد فضحت
لم لا يتيه بها العشاق قاطبة ... لأنها نحو أرباب الغرام نحت
سلّت سيوفاً من الألحاظ فاتكة ... وأسبلت حالكاً في ليله اتشحت
سبَت عقول الورى بالطرف إذ نظرت ... أبدت عجاباً وعجباً حيثما لمحت
حلّت قلوباً وكم من ذي الجمال جلت ... ظلمات وهم بالنور التي رشحت
وأنفذ الحسن سهماً من حواجبها ... تصمي حشاة صبّ طالما جرحت
نحرشي بهواها لا هوان به ... يا ليتها لفؤاد الهاوي قد شرحت
حاولت أطلب عمداً وصلها فلوت ... عني وولّت ولا بالوصل ما سمحت
جازت لتنظر ما أبقت لعاشقها ... من حرّ نيران وجد بالحشا لفحت
حارت وحازت قلوباً ملأ قبضها ... ويا لها منة فيهم إذا منحت
أذكت سعيراً تلظّى والوقود له ... من الحنايا ضلوع نارها لفحت
صفحت عن ذنبها عفواً ومكرمة ... مع أنها عن ذنوبي قط ما صفحت
كفاك يا علو إعجاباً وبحترة ... كفى فواكف أماقي لقد نزحت
لقد أطلت عذاب العاشقين ولم ... ترثي لمن بالحشا أحشاؤهم فتحت
حرقت أكبادهم لما إليك صبّوا ... واستعبروا بدماء طالما نضحت
تعالى مني وجودي واسمحي بلقا ... واستعملي الرفق فيمن نفسه طمحت
إن لم تجودي ولم ترثي لذي شجن ... فعنك لي عوض من ذاته رجحت
على الخلائق بالتقوى فزاد علا ... على الأنام بأيديه التي منحت
محمد من رقى السبع الطباق وقد ... أتى بشرع قويم شمسه اتضحت
عمّت مكارمه العافين فانتهلوا ... من بحر فيض عطاياه التي رشحت
أبو المفاخر عمّ الجود وابن عطا ... حمد النوال أخو التقوى التي اصطلحت
غيث الندى مقصد المداح نعم فتى ... رقى العلا ذو إياد للنوال دحت
له السيادة حقّاً والكمال معاً ... والفضل والحلم والنفس التي صلحت

مـن أمّ نـاديـه يـرجـوه لمعضلـة	ينل من الخير من حاجاته اجترحت
كهـف مـلاذ غيـاث ملجـأ سنـد	أفكـاره مـن علـوم الغيـب قـد طفحـت
آيـاتـه وسجـايـاه وخلقتـه	عن وصفها كلّت الأفكار مذ شرحت

وله غير ذلك، وكانت وفاته في حمص سنة خمس وسبعين ومائة وألف رحمه الله تعالى وأموات المسلمين.

علي العمادي:

٤٨٢ ـ علي بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن عماد الدين الحنفي الدمشقي، المعروف كأسلافه بالعمادي، صدر صدور دمشق: كان مهاباً محتشماً وقوراً عالماً علامة نحريراً فقيهاً أديباً ماهراً حاذقاً فائقاً، ولد في دمشق ليلة الاثنين ثالث شعبان سنة ثمان وأربعين وألف ونشأ بها، وقرأ على والده، وعَميّه شهاب الدين، وكمال الدين، العالمين الفاضلين، وعلى جماعة منهم الشيخ محمود الكردي، والعالم الشيخ إبراهيم الفتال، والفرضي الحيسوب الشيخ رجب القصيفي الميداني وغيرهم، وتولّى تدريس المدرسة السليمانية في الميدان الأخضر، وإفتاء الحنفية بدمشق، وعزل عنها وسلك بها سلوك سلفه المتقدمين، وبالجملة فقد كان من الأعيان الأفاضل مرجعاً في الأمور ومحترماً، وترجمه السيد محمد الأمين المحبّي في نفحته، وذكر له من شعره، وقال في وصفه: هو الآن في الحضرة الخضرة، متعين في نظرائه بالمعالي النضرة، فيكاد يشير إليه من يغمض عينيه، ومن أراد أنْ يكون السعد من خدمه، فليضع قدمه مكان قدمه، فالإقبال كأنما خلق لأجله، واليمن في مواطئه بخيله ورجله، وهناك جد لو كان بظبة صارم ما نبا غراره، وبشر لو سال بصفحة البدر ما خيف سراره، وأنا إذا جئت أصفه، ولا أقدر أني أنصفه، قلت أعلى الله مكانه، وشيّد في أفق النباهة أركانه، فما زال الأمن يواصل هدوّه، والجذل بصاحب رواحه وغدوَّه، وله السلامة التي يهنا بها ويحيى، والدنيا التي لم تزل غضة العهد طلقة المحيا، وله عندي وراء ذلك وداد بري من الكلف، وامتداح لو ناله البدر لانجلى عنه الكلف، وهو في الفضل كأبيه وجدّه، وإذا قيس بهما فقد انتهى لأقصى حدّه، وأما أدبه فقد حلّ من البراعة مكاناً علياً، وهمى ودقة على ربا الإجادة وسميّا ووليّا، فإذا أجال يراعه، ملأ القرطاس بلاغة وبراعة، وإذا وشى الصحائف من حبائر بديهته وإملائه، فكأنما أفاض عليها من أنواره ولألائه، وقد أثبت له ما يهيج الأدب ويزيّنه، وإذا وزن به الشعر رجحت موازينه، فمنه قوله فيما كتبه إلى الأستاذ الكبير زين العابدين الصديقي يستدعيه لدمشق:

قـد ألبـس الـروض أنـواعـاً مـن الحبـر	وتـوّج الغصـن إكليـلاً مـن الـزهـرِ
ومـدّت الأرض وسـط الـروض جـاشيـة	مـن الـزمـرّد فـي مستنـزهٍ نضـر
وقـام كـلّ خطيـب فـي الـريـاض شـدا	بلحـن معبـد وقـع النـاي والـوتـر
وفـاح نشـر عبيـر فـي دمشـق غـداً	يغنـيّ بطيـب شـذا عـن عنبـر عطـر

كأنّ عطر غوان قد ضمخن به أتت به من بخور نسمة السحر
وراقبت فرصة الإخفاء فانغسلت كالسحر بين مقرّ الجن والشعر
فاستبضعت كلّ لطف مع لطافتها واستصحبت كل عرف طيب الأثر
فقمت أنشق رياها وقلت لها جودي عَلَيَّ فإنّي لات مصطبري
وخبريني أهذا العرف منشأوه عن طيب مخبرٍ أم أطيب الخبر
قالت أعيذك من هذا النباء أما كفاك رونق هذا العام من خير
فالشام سامية والأرض نامية والسحب هامية بالطل والمطر
من أجل أنّ إمام الوقت أعني به زين الأنام وكهف البدو والحضر
ذاك الإمام الذي بالمجد قد بهرت آيات محتدة الزاهي على الزهر
وابن الإمام الذي ما مثله أحد إذْ كان في الغار ثاني سيد البشر
يروم جلّق قصداً إنْ يشرفها بالبشر منه فتضحي نزهة البصر
فقلت أهلاً بما أديت من نبأ أودعت في السمع منه أنضر الدرر
وصرت ألثم فاهاً فرحة وهوى ومنطقاً ورده أحلى من الصدرِ
فانجز الوعد لطفاً منك سيدنا فالشام إنْ جزت صينت عن يد الغير
فأعين الزهر وسط الروض شاخصة لكي تراك فتحظى منك بالنظر

ومن شعره قوله مخمّساً:

إذا رأيت ليالي الوصل مقبلة من الحبيب فأحسنها معاملَةْ
وقل له إنْ ترم مني مُنَادَمَةْ أصحب نديمك أقداحاً مسلسلَةْ
من الرحيق واتبعها بأقداحِ
واسقهِ أنت بغياه وطلبته لتجمع الراح والأفراح ليلتَهْ
ولا تلمه فإنّ الشرب نشأته من كفّ ريم مليح الدل ريقته
بعد الهجوع كمسك أو كتفاحِ

فالراح كالريح نعم القول من نبأ وقد روته بنو العباس عن ملأ
وقال اسحقهم ناهيك من فتأ لا تشرب الراح إلا من يدي رشأ
تقبيل وجنته أشهى من الراحِ

قوله فالرّاح إلى آخره هو ومن قول بعضهم:

الرّاح كالريح إنْ مرت عطر تذكو وتخبث إنْ مرت على الجيفِ

ومن بدائعه قوله:

عزّ هذا العزيز في سلطانه ومضى والمطال أكبر شانِهْ
وأرانا من سحر عينيه هارو تَ وماروتَ من شبا أجفانه

فاستمال القلوب نحو محيا كان سلب العقول من برهانه
وحبانا من جل ما نتمنى غصن شذا ورده ومن ريحانه
وأرانا برق الثنايا اختلاساً خوف واشٍ وحاسدٍ يريانه
ورأيت الغرام من فيه لمّا لاح فرق اللما وضوء جمانه
فشهدت المدام في الكون طراً من لماه والسكر من لمعانه
وضروب الجمال قد جمعت فيه وفي شكله وفي ألوانه
قدّه كالقضيب من فوق ردف ذي اهتزاز يميس في أعكانه
تحت وجه كالروض أودع فيه كل معنى يروق في إبانه
خدّه كالشقيق في اللّون والصد ع كأس الرياض في عنفوانه
تحت جيده الذي حلّ فيه خاله مختف لجل مكانه
فافتتنا بقامة وبجيد وسبانا زمردي هميانه

وقوله:

وكأنما المصباح وسط حديقة محفوفة بالورد والنسرينْ
بدرٌ بدا تحت السحاب أحاطه قزح بقوس محكم التكوين
أو غادة قد ألبست لبهائها حلل الجمال بديعة التلوين
أو شادن قد خطّ تحت جبينه بالطرة العجماء تحت السين

وقوله:

باكر صبوحك من فيه مشعشعة تضيء إنْ رشفت منه كمصباحِ
بيضاء مثل نهار الوصل رؤيتها وحالة الرشف تكسى لون تفّاح
لأن نسبت در الثغر حالتها ودنها من عقيق اللون وضّاح
وعاذل قال ما في الراح معتبة فاستغن عنها بكاسات وأقداح
فقلت يا جاهلاً في الحب معرفتي إليك عنّي فلا أصغي إلى اللاّحي
لا أشرب الراح إلاّ من مقبل من تقبيل راحته أشهى من الراح

وله في العذار:

ما كنت أحسب قبل نبت عذاره أنّ العذار لحسنه تأكيدُ
حتى بدا في خدّه متجعداً كفتيت مسك لا يلين جديد
فكأن محمر الخدود شقائق عن لثم أفواه الأنام تحيد
وكأنّ معوج العذار بصدغه شرك لحبات القلوب يصيد

وله في البيت الأخير الاستخدام:

وعاذل قال عقرب لدغت أحمد نوع الجمال سيّدُهْ

قلت عجيب لها أما رهبت   عقرب صدغ رأت محدّده
قالوا رأته وأنت تخبره   ذاك للسع القلوب ترصُدُهْ
فقلت إذْ بان أنَّ عقربكم   لما أتته رأت تأوّده
خافت على قلبها يمزّقه   فزحزحته وقبّلت يده

وكتب إليه الأمين المحبّي المذكور يستأذنه في التنزّه أياماً بقصره الذي أحاطت به السراء إحاطة النطاق بخصره: سيدي وسندي أنقذ الله على يديك الخواطر من همومها، وجلا عنها بحسن توجّهك غياهب عمومها، الزمن وما أدريك، لم يبق لنا فيه إدراك، من نكبات لولا طيش وصالها لاتصلت اتصال الشؤبوب، (شؤبوب وذان أسلوب الدفعة من المطر وغيره، وله معان أخر (لسان العرب) (انتهى) وصدمات لولا تكسر نصالها لكانت كالرمح أنبوباً على أنبوب، (أنبوب ما بين كل عقدتين من القصب، وكعوب الرمح: النواشز في أطراف الأنابيب (الصحاح) فلا يعتمد ما في المصباح والقاموس عن تفسير الكعب، كما نبّه عليه تاج العروس انتهى. ولكن ثم نفوس من الفكر طائشة، لا تحسبها إلا من ناهل الحمام عائشة، فهي تستدعي بعض مألوفاتها لا عن رويّة، طامعة في حسوة من الأماني أما قذية أو روية، وذلك لدفع صائل، لا لتوقّع طائل، وإلاّ فكلنا يعرف زمانه، ويعلم أنّ النهوص فيه زمانه، وقد طلبنا فلم نجد غير قصرك البهي من النوازل مفرّاً، ولا مثل ساحته للأمن من الغوائل مفرّاً، إذ هو القصر الذي أقرت له القصور، ولبست منه الشعرى العبور، ثوب الغيور، فعسى ما عزّ على العيان من لقياك، ستنشق فيه من مواطئك عرف رياك. فإن أذنت فمثلك مبرّه عن التقاضي، ومثلنا مولّه بالتقاضي، ولك الفضل الذي إذا كشّر الدهر عن نابه، تكشّف الجو أدت عنابه، والثناء على سجيتك ثناء الروض المونّق، على الغدير المغدق، والسلام على خلقك العاطر، سلام النسيم على الغصن الناضر.

وبقيت في يوم أغر مبشر   بسعادة غرّاء تطلع في غدِ
لتقيم كل مأوّد وتنيم كل   مسهد وتضم كل مبدّدِ

وللمترجم:

ومنذ حللنا مصبحين بروضته   وقابلنا سلسالها بصفائِهْ
وهبّ نسيم الغرب يسحب ذيله   بنفحة طيب فاح عرف ذكائه
وقام للقيانا خطيب هزارها   على فنن يتلو ضروب غنائه
وأفرشنا فيها الربيع مطارفاً   وجرّ علينا اللّهو فضل ردائه
تراقصت الأغصان في جنباتها   وصفّق فوق النهر راحة مائه
وأسكرنا من طيب راح حديثه   نديم ندامى جمّلوه برائه
أكبّ إلى أنْ قلدته عقودها   مدامة شمس أشرقت بسمائه

وجـاء لنـا يلقـي نثيـر حبـابهـا　　فشنـف منّـا السمـع عنـد لقـائـه
ورحـت ومـن أنفـاسـه بـي نشـوة　　كنشـأتـه بـالـراح عنـد جـلائـه

وله:

خلـت سـواداً فـي بيـاض خدّ مـن　　أربـى علـى الشمـوس فـي إشـراقِهْ
حيّـرنـي ثـم أضـاء ثغـره　　رأيتـه الأهـداب مـن عشّـاقِـهْ

وله في مقام السيدة زينب رضي الله عنها:

جئـتُ بـالـذّلّ للـزيـارة يـومـاً　　راجيـاً محـوَ زلّتـي وذنـوبـي
وتشفّعـت بـابنـة ابنـة طـه　　سيّـد الـرسـل ملجـأ المكـروب
جـازمـاً أنْ أنـال منـه مـرادي　　آئبـاً مـن عطـاه بـالمطلـوبِ

وله مشجّراً:

سلـوه لمـاذا يستبيـح دم الصـبِّ　　أيحسـب أنَّ الحـبَّ فيـه مـن الـذنـبِ
يضـل ويهـدي مـن يشـاء كمـا غـدا　　يميـتُ ويحيـي بـالتبـاعـد والقـرب
دعـا لهـواه القلـب مـرسـل صـدغـه　　فـراح يلبّيـه الفـؤاد مـن اللّـب
يبيـت بـه جفنـي القـريـح مسهّـداً　　ويصبـح فيـه الطرف أحيـر مـن ضبّ(١)
بمـن جعـل الـورد الجنـي مسيجـاً　　بـآس عـذار طيـب نفحـه طبـي
كفيـت عنـائـي فيـه داوي بلثمـه　　حـريـق لظـى وجـد تسعّـر فـي القلـب
ربيـب فـؤادي إنّ صبـري خـانـنـي　　وضـاق لفـرط الـوجـد فيـك فصـار حبي
يقيـك إلّهـي لـوعتـي وتـولّهـي　　بحبّـك فـرّج بـالإجـابـة لـي كـربـي

وللمترجم غير ذلك، وكانت وفاته في ليلة الجمعة، وقت السحر في منتصف ذي الحجة سنة سبع عشرة ومائة وألف، ودفن بمقبرتهم بباب الصغير رحمه الله تعالى.

علي الشرواني:

٤٨٣ ـ علي بن إبراهيم بن محمد أكمل الدين الزهري الشرواني، المهاجر إلى المدينة المنورة، الشيخ الكامل الفاضل الورع الزاهد الحنفي الصوفي النقشبندي: قدم المدينة المنورة من بلاده سنة ثمان وسبعين وألف وتوطنها، وكان ملازماً للجماعة مواظباً على إقراء الدروس، لا يحبّ مجالسة أهل الدنيا، ودرس بالمثنوي في الروضة المطهرة، وكان يقرّبه بمعرفته باللسان الفارسي، ولما تولّى مشيخة الإسلام بدار السلطنة ابن خال أبي المترجم فيض الله أفندي الشرواني، أرسل إليه منصب إفتاء المدينة المنورة، فلم يقبلها وردها إليه، وألّف مؤلّفات نافعة، منها جامع المناسك، ومهمات المعارف الواجبة على العباد في أحوال

(١) وفي المثل: أضل من ضب أيضاً لأنه إذا فارق حجره لم يهتد للرجوع.

المبدأ والمعاد، و «دليل الزائرين وأنيس المجاورين في زيارة سيد المرسلين»، و «أقصى المطالب» و «خلاصة التواريخ»، وغير ذلك من المؤلّفات، وكانت وفاته بالمدينة في جمادي الآخرة سنة ثمان عشرة ومائة وألف، ودفن خلف سيدنا إبراهيم بالبقيع رحمه الله تعالى.

(رحم الله المترجم خاف عن أعباء الإفتاء).

السيد علي العطار:

٤٨٤ ـ السيد علي بن السيد إبراهيم بن السيد جمعة العبسي سبط الكيلاني، الشهير بالعطّار الحنفي الحلبي العلامة الفاضل الفقيه: ولد في حلب سنة ست ومائة وألف ونشأ بها، وقرأ النحو على الشيخ سليمان النحوي، والفقه والحديث على السيد محمد الطرابلسي مفتي حلب، والشيخ قاسم البخاري، والشيخ محمد الزمار، والشيخ جابر، وقرأ التصوّف على الشيخ محمود الكردي، والأصول على الشيخ علي الداغستائي، وأخذ عن الشيخ صالح الجينيني الدمشقي، وقرأ علم الفلك على الشيخ عبد القادر المغربي، وسافر إلى جهة العجم، وقرأ على علماء الأكراد بها، وحج خمس مرات، وجاور سَنَة، وأخذ عن علماء المدينة الحديث وغيره، وأخذ عن الشيخ محمد حياه السندي، ثم عاد إلى حلب، وكان بحلب يقرىء الدروس، ولازمه جماعة وأخذوا عنه، منهم الشيخ محمد العقاد، والشيخ السيد عبد اللطيف الكيلاني، والشيخ عثمان العقيلي، والشيخ عبد القادر البانقوسي، وأخذ عنه في الحرمين حين المجاورة جملة من الطلاب والأفاضل، منهم العلامة المحدث أبو الفيض محمد السيد مرتضى اليمني، (شارح القاموس) نزيل مصر، والشيخ حسين عبد الشكور الطائفي، والسيد محمد باحسن جمل اللّيل (لعله جمال الليل)، اليمني، والشيخ عبد الرّحمن الفتني الطائفي حضروه في إقرائه فصوص الحكم تجاه مزراب الرحمة خارج المطاف بجانب مقام الحنفي، وكان بحلب يقرىء الهيئة والصرف والمنطق والمعاني والبيان والفرائض والفقه والفلك وغير ذلك في الأيام، وبالجملة فقد كان من الأفاضل الأجلّاء، وكانت وفاته في ليلة الاثنين خامس محرم سنة إحدى وسبعين ومائة وألف، ودفن خارج حلب في مقابر الحجاج بالقرب من جامع البلاط، ورثاه بعض الأدباء من تلاميذه بقصيدة بيت تاريخها قوله:

فإذا البشرى تنادي أرّخوا ... في جنان الخلد قد صحّ علي

علي التدمري:

٤٨٥ ـ عي بن أحمد التدمري الشافعي الدمشقي، الشيخ المفنن العلامة الفقيه النحوي الصرفي الأصولي الفرضي: كان فقيراً ثم انتمى إلى بعض الأعيان، وعيّنه لتعليم أولاده، وأخذ له مكاناً، وعيّن له تعييناً، ودرّس بالجامع الأموي مدة، وله رسالة في العروض، ومن شيوخه الشيخ السيد نور الدين الدسوقي، وغيره، وكان من العلماء العاملين وعباد الله الصالحين، فرضيّاً طيب النفس، ملازماً للطاعة والعبادة، قال بعض أصحابه وأخبرني قبل

وفاته بأشهر أنّه يموت هذه السنة، وقال له: أنا أعلم علوماً غريبة أريد أنْ أعلّمك إيّاها، لأن عمري خلص، هذه السنة آخر سنيني، مثل علم الحرف والزايرجة والوفق، ولم يكن شهيراً لديانته وورعه، وعدم إقراره، لأحد بها قال: وأنا ما أكمل السنة، فكان الأمر كذلك، توفّي يوم الثلاثاء ثاني عشر صفر سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف، ودفن بباب الصغير رحمه الله تعالى.

علي الواعظ البرادعي:

٤٨٦ ـ **علي بن أحمد بن محمد بن جلال الدين، المعروف بالبرادعي (البردعة والبرذعة بمعنى)، البعلي ثم الدمشقي الصالحي الشيخ العالم الفاضل العلامة**: كان من أفراد الوعّاظ، ولد ببعلبك في سنة اثنين وتسعين وألف، وبعد ثلاث سنين جاء والده وجدّه إلى الصالحية بدمشق وسكناها، وأخذا لهما داراً بالشراء واستوطناها، وكان والده وجدّه من الحفظة، وجده الأعلى جلال الدين من العلماء الأجلاء بمدينة بعلبك، وهم طائفة كبيرة، ويقال لها بيت جلال الدين، والمترجم قرأ القرآن وحفظه على السبع، وكان يقرؤه في كل يوم وليلة مرة، وفي رمضان يختم ليلاً ونهاراً أربعة وستين ختماً، وفي صلاة التراويح ختماً، تفقّه بشيخه أبي المواهب الحنبلي الدمشقي، وقرأ عليه كثيراً، وكان لا يفارق دروسه في غالب أوقاته فانتفع به، وقرأ على السيد إبراهيم بن حمزة النقيب في الحديث والمعقولات والمعاني والبيان وانتفع منه كثيراً، وقرأ أيضاً على الشيخ إلياس الكردي نزيل دمشق في المعاني والبيان والتصريف والمعقول والمنقول، وقرأ جامع الصغير والبخاري على الشيخ يونس المصري مدرس قبة النسر، وأخذ عنه الحديث، وقرأ عليه كثيراً، ولازم درسه حتى مات، وكان يحبّه كثيراً، وقرأ على الشيخ إسماعيل اليازجي الدمشقي، وأخذ عنه على الفرائض، وكذلك على الشيخ عبد القادر التغلبي الدمشقي، واجتمع بعلماء كثيرين، وأخذ العلم وسائر الفنون عن شيخه الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي، فإنه كان يحبّه وينسرُّ للقائه، (قوله وينسرُّ لعله يريد يسر للقائه على ما لم يسمّ فاعله) ويقرىء ولدي ابنه الشيخ إسماعيل، وهما الشيخ طاهر، والشيخ مصطفى بأمر منه، ولما توفّي الأستاذ غسّله الشيخ علي بيده وكفّنه وآواه التراب بوصية منه، وأقرأ الشيخ على المترجم في مدرسة العمرية، وفي داره وبين العشائين في الجامع الجديد، فأخذ عنه أناس كثير وقرأوا عليه، وكان له مجلس وعظ تحت القبة على باب المقصورة بعد صلاة الجمعة صيفاً وشتاء وخريفاً وربيعاً، وكان يخطب في جامع السنانية ويؤم بالمدرسة العمرية، وكان إذا وعظ يجتمع عنده خلق كثير من أهالي دمشق، ومن الغوطة والضياع يقصدون الحضور للسماع، وكان صوته عالياً إذا وعظ يسمعه غالب من في الجامع، وهو يعظ من غير كتاب ولا يخطىء ولا يغيب عن ذهنه شيء لشدة حفظه، وإذا قرأ العبارة مرة واحدة يحفظها، ولا تغيب من حفظه، ولم يزل على حالته هذه إلى أنْ مات، وكانت وفاته في سابع عشر ذي الحجة سنة خمس وخمسين ومائة وألف، ودفن بسفح قاسيون في مكان يقال له الروضة في جانب الداودية تجاه مرقد

سيدي الشيخ مسعود في أعتابه عند بابه بوصية منه، وسيأتي ذكر ولده في محلّه رحمهما الله تعالى.

علي المنيني:

٤٨٧ ـ علي بن أحمد بن علي الحنفي المنيني الأصل، الدمشقي المولد، الأديب الفاضل الفائق: ولد بدمشق في حدود سنة سبع عشرة ومائة وألف، وقرأ القرآن على الشيخ علي المصري، وقرأ على والده المقدم ذكره، ولما رحل والده للروم تصدّر في غيبته للإقراء في العادلية، وترجمه الشيخ سعيد السمّان في كتابه وقال في وصفه: بدر النادي الطالع من أفق الكمال، والمجمع على نباهته بالتفصيل والإجمال، ورد الفضل يافعاً، فحياه علماً نافعاً، وريحانة شبابه ترف، وعيشه ناعم ترِف، (ترف الأولى: مضارع من الرف التلالاء، والثانية: كفرِح بكسر الراء من الترِف بمعنى الرفاهية والتنعم) وهمته تتخير من الأدب اللباب، وتتناول منه ما تقطّع دونه الأسباب، حتى حلّ بحبوحة حوزته المنيعة، وأتقن في استحساناته مسلكه وصنيعه، ولبس من الذكاء البرد المشهر، وجمع بين الحياء والعرض المطهر، إلى أخلاق لم تدنّس بالشهائب، ولطافة عليها حبات القلوب ذوائب، تحسد الصبا طبعه، ولا تكدّر صروف الزمن نبعه، ولم يزل بين روح وريحان، وميزان نموّه كل يوم في رجحان، إلى أنْ فَجَأهُ الأمر الذي لم تنفع معه الرقى والتمائم، وغابت تلك المحاسن التي أزرت بزهر الكمائم، فسقى صيب الرحمة تربة ضمته حتى تروى، وتلك السجايا التي بأفواه الثنا تروي (تروي الأول: من الري، والثانية: من الرواية) وله شعر معدود، وهو بالإجابة محدود، فمن نفثات كلامه، ورشحات أقلامه، الذي اطلعت عليه بعده، وجعلته سميري في الوحدة، انتهى مقاله.

ومن شعره قوله:

نسيم الصبا قد نبهت أعين القمري ... وقد حركت أغصان عنبرها الشجري
وأكست رياض المجد رونقها التي ... تجرّ على النكبا ذيولاً من الفخر
تبث اشتياقي كلما هبّ شمائل ... يفوح لناديه شذاه من العطر
لعمرك إنْ جزتي سحيراً فبلّغي ... رسالة أشواق تنوء عن الفكر
إلى صاحب الأفضال والمجد والتقى ... وأحمد كل الناس ذي الشيم الغر
أخي همم علياء في كل حاجة ... يفك عقود القول بالفهم كالدر
صقيل حسام أروعَ باسل غدت ... له سائر الأقطار ناشرة الذكر
إمام رقى للمجد صهوة باذخ ... فنال علاً حتّى يعز على الزهر
فلا تسمح الأيام قط بمثله ... وقد غدت الأعصار تحسد للعصر
فهاكها يا كنز العلوم الوكة ... أتت عن ضعيف يرتجى منك للستر
فلا زلت طول الدهر تبدي محاسناً ... من الفضل والأفضال والبذل والبر

مدى الدهر ما ركب سريّ في الفلا وما نسيم الصبا قد نبهت أعين القمري

وله غير ذلك، وكانت وفاته مطعوناً في سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف، ودفن بتربة مرج الدحداح رحمه الله تعالى.

علي كزبر:

٤٨٨ ـ **علي بن أحمد بن علي، الشهير بابن كزبر، الشافعي الدمشقي الإمام الهمام الحجة الرحلة البركة العالم العلامة المقري**: كان من علماء دمشق المشهورين، وفقهائها المتفوقين، إماماً بارعاً في فنون كثيرة، متقناً فهامة صالحاً عابداً تقياً نقياً تاركاً للدنيا مقبلاً على الطاعة والديانة، له اليد الطولى في القراءات وغيرها، وبالجملة فقد كان واحد الدهر علماً وعملاً، ولد في أواخر المائة بعد الألف، وقرأ على جماعة وتفقه، منهم الشيخ إلياس الكردي نزيل دمشق، والأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي، والشيخ عثمان القطان، والشيخ عثمان بن حمودة، والشيخ محمد الكاملي وأضرابهم، وارتحل إلى مصر إلى الجامع الأزهر وجاور به مدة، وأخذ وقرأ على جماعة، منهم الشيخ منصور المنّوفي، والشيخ محمد بن عبدالله المغربي الفاسي، والشيخ أحمد الملوي، والشيخ عبد الجواد الميداني المصري، والشيخ عبد ربه الديري، والشيخ عبد الرؤوف البشبيشي، وأخذ القراءات عن البقري وغيره، وعاد إلى دمشق واستقام على إقراء الدروس والإفادة في الجامع السنانية، ولازم جماعة، وأخذ عنه أناس كثيرون وألحق الأحفاد بالأجداد، واشتهر وشاع فضله، ولما قدم دمشق المحدث الشيخ محمد عقيلة المكي أخذ عنه طريق القوم واستخلفه بدمشق، ولم يزل مفيداً للطالبين، مرشداً للكاملين، ناهجاً منهج الأتقياء والصالحين، والعلماء العاملين إلى أنْ مات، وكانت وفاته في سابع عشر ربيع الأول سنة خمس وستين ومائة وألف، ودفن بتربة باب الصغير رحمه الله تعالى.

علي الحريشي:

٤٨٩ ـ **علي بن أحمد المالكي المغربي الفاسي نزيل المدينة المنورة، الشهير بالحريشي، الولي الصالح الكامل شيخ الشيوخ، صاحب القدم والرسوخ**: ولد في حدود سنة اثنين وأربعين وألف، وكان شيخاً فاضلاً زاهداً عابداً محدثاً عالي الإسناد، يروي الكتب الستة وغيرها عن العلامة المشهور في القطر الغربي الشيخ عبد القادر ابن علي الفاسي، وله مشايخ غيره، وله تصانيف عديدة، منها شرح الشفا في ثلاثة مجلدات كبار، وشرح الموطأ في ثمانية مجلدات كبار، وشرح منظومة ابن زكري في مصطلح الحديث، وغير ذلك من رسائل والفتاوى والفوائد، وكانت وفاته بالمدينة المنورة في غرة جمادي الأولى سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

علي الصعيدي:

٤٩٠ ـ **علي بن أحمد بن مكرم الله المنسفيسي العدوي المالكي الأزهري، الشهير**

بالصعيدي: أحد الأئمة الشيوخ الأعلام، العلامة المحقق المدقق النحرير المتكلم، روى عن جماعة من الأئمة وأخذ عنهم، منهم سالم النفزاوي، ومحمد بن عبدالله الكنكسي، وعمر بن عبد السلام التطاوني، وعبد الوهاب الملوي، وشلبي البراسي، ومحمد بن زكري، ومحمد السجيني، وعيد النمرسي، وأحمد الديري، ومصطفى العزيزي، ومحمد سيف، وأحمد الأسقاطي، وأحمد البقري، ومحمد الدفري، ومحمد بن عبد السلام البناني الفاسي، والسيد محمد السلموني المالكي تلميذ الخرشي، وإبراهيم بن موسى الفيومي، والشهاب أحمد الملوي، ومحمد العشماوي، وأجاز له الشمس محمد بن أحمد عقيلة المكي في مسلسلاته، ولبس الخرقة الأحمدية من الشيخ الصالح علي بن أحمد الشناوي وغيرهم، وصار أحد صدور الأزهر، وألف حاشية على شرح الجوهرة للشيخ عبد السلام، وحاشية على شرح السلم للأخضري، وغير ذلك من التآليف، وتوفي سنة تسع وثمانين ومائة وألف بتقديم تاء تسع رحمه الله تعالى.

علي باشا الكور:

٤٩١ ـ **علي باشا الوزير ابن كور أحمد باشا الوزير**: دخل حلب والياً تاسع عشر ذي القعدة سنة ثمانين ومائة وألف وفي نهار السبت اليوم الرابع عشر من ذي الحجة من السنة المذكورة أحسنت له الدولة بمنصب القارص، ونهض من حلب رابع المحرم سنة إحدى وثمانين ومائة وألف، وكان متحجباً عن الناس، وفي زمنه طرد من كتابتي القسمة العسكرية والبلدية من محكمة حلب أحمد وولده أحمد أيضاً البكفالوني، بموجب أمر عالي سعى بإصداره بعض أهل الخير من أهل حلب المقيمين بدار الخلافة جزاهم الله خيراً، وتوفّي الوزير المترجم في بندر في سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف، وكان ذا حشمة ووقار وسكينة محبّاً للعلماء ومكرماً لهم رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

علي العجلاني:

٤٩٢ ـ **علي بن إسماعيل بن حسن بن حسن بن حمزة بن حسن بن حسن الحسيني، المعروف كأسلافه بالعجلاني الحنفي الدمشقي نقيب الأشراف بدمشق، السيد الشريف الحسيب النسيب الرئيس العاقل الكامل المتفوق**: كان من أعيان دمشق المنوّه بهم، والرؤساء المشار إليهم، صاحب وجاهة ونباهة، حسن الخصال، لطيف الصحبة والعشرة، عذب المفاكهة والمداعبة، له عقل وافر ودربة في الأمور، يحرص على الكمالات، ويتحرز مما يشين عرضه ويزريه، ولكثرة عقله كان يتوهم كثيراً، ويتخيل في الأشياء أموراً كأنّما كان بها بصيراً، ولد بدمشق وبها نشأ، وتوفّى والده وهو صغير، وذلك في يوم السبت عاشر رجب سنة اثنين وثلاثين ومائة وألف، وجدّه بعده أيضاً في سنة أربعين، وكان نقيب الأشراف بدمشق، ومن صدورها الأخيار، فنشأ المترجم في كنف مفتي دمشق المولى حامد العمادي، وبينهم قرابة، وهي أنّ والدة والد المترجم المذكور، ابنة المولى علي العمادي المفتي والد حامد العمادي

المذكور، فيكون العمادي حامد المذكور خال والده، ثم المترجم بعد التمييز نَبُل وتفوّق، وأعطاه الله القبول من صغره، فتولّى نقابة دمشق مع وجود عم والده السيد عبدالله العجلاني، وكان ذلك في سنة خمسين ومائة وألف، ثم عزل عنها مرات، وآخراً استبدّ بها من حدود سنة اثنين وسبعين إلى أنْ مات، وكان في تلك الأوقات نقيباً السيد حمزة بن يحيى بن حمزة الحسيني، ففي أثناء الفتنة بين الينكچرية اليرلية والقبيقول (يرلي يكيچر يله قپو قوي بينده برفتنه أولمش ايمش)، وما جرى في تلك الأيام في أيام الوزير حسين باشا ابن مكي الغزي، كان النقيب ابن حمزة المذكور هو المشار إليه والمعول عليه، فبعد انتظام الأمور وتهميد الفتنة، ومجيء الوزير عبدالله باشا شته جي حاكماً لدمشق وأميراً على الحاج، وجّهت النقابة إلى المترجم، وبقيت عليه إلى أنْ مات، ولم يعزل بعدها، وعلت حرمته ونفذت كلمته، وتوقاه العالم واحترمته الوزراء والحكام والقضاة، وكان مقبول الشفاعة عندهم، محترماً بين الناس نافذ الأمر عالي الكلمة، تتردد إليه الناس وهو يكرمهم ويقوم بواجبهم من الاحترام والتودد، وأعطاه الله القبول، وأنشأ عقارات ودوراً وأملاكاً كثيرة، وعمّر بيتهم، وأنارَ سِراجهم، وزاد جاههم، بحيث لم يصل أحد من بني عجلان إلى ما وصل إليه من متاع الدنيا والثروة، وكان بدره سعداً منيراً، وكوكب حظه ظهيراً، وتولّى وظائف وتداريس ومدارس كثيرة، وكانت عليه إقطاعات وقرى بطريق المالكانة، كذلك هو نالها بجهده وجِدّه، وكانت عليه رتبة موصلة السليمانية المتعارفة بين الموالي الرومية، وجمع كتباً نفيسة حسنة، وغالبها هو استنسخها، وكان في أمر المعاش متقناً، وفي أمور الدنيا وافر التدبير، وكان في أمور القرى والزراعة والحراثة مجداً، بحيث إنّ قراه وحوانيته جميعها معمورة، ويضرب بها المثل في دمشق بين أرباب الفلائح (لعله يريد بالفلاحة)، وكان نقيّاً من نقيصة في عرضه ودينه، وكان لوالدي كالأخ الشقيق، ونشأ هو وإياه سوية، وكل منهما يحبّ الآخر ويحترمه ويودّه، بحيث لا يصغي أحدهما إلاّ للآخر، ولم يثنهما عن بعضهما تخالفات الأيام والأحقاب، وكانا متّحدين من وجوه، أولها: موافقة الاسم، ووجود السيادة والمجد، وثانياً: الشكل والمهابة ولطف الأخلاق، فإنّهما كانا متشابهين في ذلك، وثالثها: السنّ فإنّهما كانا متساويين في العمر، إلاّ أنَّ العجلاني المترجم كان أكبر من والدي بشيء قليل، ومن الاتفاق أنّ والدي مات بعد وفاته بسنة وأشهر، وكان هو لوالدي مطيعاً سميعاً لما يريد ويرضى، متفقاً على رأيه منقاداً لاستحسانه وأمره، وكان والدي يجلّه، وله عنده رتبة رفيعة، ولم يزالا كذلك إلى أنْ توفّى المترجم ولحقه الوالد، وماتا رحمهما الله تعالى، وتولّى المترجم نيابة محكمة الباب سنة خمس وسبعين ومائة وألف، وحج إلى بيت الله الحرام، وبالجملة فكان أحد صدور دمشق ورؤسائها، وكانت ولادته سنة سبع وعشرين ومائة وألف، وتوفّى سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف، ودفن بمقبرتهم الخاصة بهم، الملاصقة لمسجد الدبّان بمحلة السويقة المحروقة، ورُثي بالقصائد العديدة، وكثر الأسف عليه، وكان جدّه السيد حسن من صدور دمشق، له الشهرة التامة، تولّى النقابة مراراً

وتصدّر كأسلافه، ولم يزل كذلك حتى توفّى وتولّى النقابة بعده أخوه السيد عبدالله مدة، وبالجملة فبنو عجلان طائفة شرفٍ وسيادة قديماً وحديثاً، والمترجم من وجوههم رحمهم الله تعالى.

علي الأسدي:

٤٩٣ ـ علي بن أسد الله بن علي: كان عالماً نحريراً وفاضلاً كبيراً، ولد سنة ثمان وأربعين وألف، وقرأ على جماعة من العلماء، منهم الشيخ سعيد أفندي نقيب زاده، والشيخ العالم العلامة السيد محمد أفندي الكواكبي، وكان جلّ قراءته على الشيخ العالم العامل أبي الوفاء العرضي، وتولّى إفتاء الحنفية بحلب مدة خمس عشرة سنة إلى أنْ مات، وكان إذْ ذاك متولّياً على جامع بني أمية بحلب، وفي أيام توليته عليه أمر بمرمات الجامع المذكور، ومرمات بعض حيطانه، فظهر من أحد الحيطان لمّا قشّروا عنه الكلس رائحة تفوق المسك والعنبر، وإذا فيه صندوق من المرمر مطبجق ملحوم بالرصاص، مكتوب عليه هذا عضو من أعضاء نبي الله زكريا عليه الصلاة والسلام، فاتخذوا له هناك في ناحية القبلة في حجرة قبراً في مكانه الآن، وحمل الصندوق إليه جميع العلماء والصالحين بالتعظيم والتبجيل والتوقير والتكبير، وذلك سنة عشرين ومائة وألف وكانت وفاة المترجم سنة ثلاثين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

علي بن حبيب الله القدسي:

٤٩٤ ـ علي بن حبيب الله بن محمد بن نور الله ابن أبي اللطف الشافعي القدسي مفتي الشافعية بالقدس: عالم ابن عالم وفاضل ابن فاضل خبرني ولده الفاضل الشيخ حسن قاضي الشافعية بدمشق بالمدرسة الحسنية في سنة اثنين وثمانين بعد الألف، وقرأ على والده بالعربية، واشتغل بحفظ المتون، ثم توفّي والده فسافر إلى مصر، ومكث بالجامع الأزهر مدة تزيد على خمسة عشر سنة، وجدّ واجتهد، وفاق أقرانه إذْ ذاك، وغلب عليه علم الحديث، وألّف شروحاً على بعض متون في فقه الإمام الشافعي، ورسائل غيرها، وسافر إلى الروم، وصحبه رفيقه في المجاورة الشيخ أحمد التمرتاشي الغزي، ولزم إقراء صحيح البخاري بجامع أياصوفية تجاه السدة، وكان الشيخ أحمد المذكور معيداً لدرسه، وتزوّج ببنتٍ والشيخ أحمد بأمها، ومكث في المحل المزبور مدة خمسة وعشرين سنة، واشتهر في بلاد الروم، وفي بلدته بالمحدث، واتسعت عليه الدنيا وجدّدَ له السلطان أحمد أربعين عثمانياً في وقف الشاه زادات (لعله برير شهزاده)، ربطها بإقراء الكتب الستة بعد العصر في الجامع المرقوم، ولما أراد المجيء إلى بلدته فرغ عنها للشيخ أحمد العقرباوي، ووجّه له شيخ الإسلام إذْ ذاك المولى عبدالله حين سفره من الروم للقدس تولية المدرسة الصلاحية، وكانت على ابن عمه السيد محمد جار الله، وقراءة الحديث بها، وتولية المدرسة الحنفية وإفتاء الشافعية ببلده، وبعد خروجه من قسطنطينية جلس رفيقه الشيخ أحمد المذكور في

مكانه يقرىء البخاري إلى أنْ توفّي، وكانت عليه وظائف جليلة تلقّاها عن والده، منها تدريس بالمدرسة المأمونية وثبت مشيخة المدرسة الملكية، ونزل في القدس بالمدرسة الحسنية المذكورة سابقاً، وجعل له وقتين للتدريس، وقت الضحى بباب الأقصى للفقه، وبعد المغرب تجاه الحجرة الجنبلاطية فوق سطح الصخرة، يقرأ فيه الجامع الصغير، واستمر على هذه الحالة إلى زمن موته، ولم يكن لإفتاء الشافعية إيراد قبل توليته لها، فلما قدم من الروم مفتياً كان عمه أخو والده لأمه السيد محب الدين النقيب هو المرجع في بلدته ورئيسها، فرتّب له على الثلاثة ديورة في كل شهر من كل دير مائة مصرية، واستمر ذلك إلى وقتنا، ثم تحوّل من المدرسة الحسنية إلى المدرسة الفنارية، فلم تطل مدته ومات، وكانت وفاته في سنة أربع وأربعين ومائة وألف، ودفن بباب الرحمة رحمه الله تعالى.

علي الدفتري:

٤٩٥ ـ علي بن حسن الحموي، المعروف بابن قنبق، نزيل دمشق، والدفتري بها، الشريف لأمّه، تقدم ذكر والده حسن في محله، الصدر الشهم المعتبر الأديب البارع المنشىء الماهر الشاعر الكاتب الرئيس صاحب الشأن والمهابة أوحد الدنيا بالمعارف والإنشاء: ولد بحماة في سنة خمس وستين وألف، ونشأ في حجر أبيه، ثم لما توجّه والده إلى الدولة العلية استصحبه معه، وهو حديث السنّ، فدخل للسراي العثمانية مع والده، وأكبَّ على تحصيل العلم والمعارف إلى أنْ حصلت له ملكة في فنون الأدب والكتابة والإنشاء والشعر، ومعرفة القوانين العثمانية، ومهر في ذلك حتى صار يشار إليه بالبنان، وتلقّب بعلوي على قاعدة شعراء الروم والفرس، وله أشعار كثيرة باللسانين، وفي العربي أيضاً ثم إنّ أباه خرج برتبة الخواجكانية، وابنه المرقوم باقٍ في داخل السرايا، فلما أخذ التزام حمص استأذن لابنه أنْ يكون بصحبته، فلما وصلا لحمص مرّ عليهم حسين باشا والي الشام وأمير الحاج المعروف بصاري حسين باشا، فطلب المترجم الإذن من والده للحج، فقال الوزير المشار إليه له: أنت كاتبي وأنا أحتاج لمثلك، فجعله كاتب خزانته، ونال الحج صحبته، وبعد ذلك عاد للدولة لخدمته المعيّنة له، ثم دخل خاص أوضه وترقّى إلى أنْ صار ركابدار للسلطان محمد خان متقرباً إليه غاية التقرب، ثم طلع بجلوس السلطان سليمان خان في سنة تسع وتسعين وألف برتبة الخوجكانية على قاعدة الأروام بمنصب الوقوفات بعد أنْ عرض عليه رتب سامية، فلم يرض إلاّ بالخواجكانية المرقومة، وهي رتبة متعارفة بين رؤساء الكتّاب في الدولة، وسافر الأسفار السلطانية، وتقرّب للسلطان مصطفى خان، بحيث لم ينفك عنه في غالب الأوقات، خصوصاً في زمن السفر، ونال بذلك رفعة تامة، وصار تذكره جي الديوان أول وثاني، وباش محاسبه جي وغيرها، وكان ثلاثة من الكمالات متعاصرين في ذلك الوقت تضرب بهم الأمثال أحدهم: رامي محمد باشا كان صدراً عظيماً (رامي باشا آخر صدور الدولة في زمن السلطان مصطفى الثاني وهو خلف مصطفى باشا دا طبان، وسلف

قورانوز أحمد باشا الذي كان تصدّر قوانوز هذا ثلاثة شهور، وقوانوس: الجرة الحضرة هي من أخوات القارورة) حين جلوس السلطان أحمد خان سنة خمس عشرة ومائة وألف، والثاني: المترجم المذكور كان وكيل رئيس الكتاب إذْ ذاك، والثالث: أبي يوسف (ديوانه مطبوع) الرهاوي الشاعر المنشي المشهور، كان من الخوجكان، ثم لما صار الجلوس الأحمدي المذكور، كان المعسكر السلطاني في أدرنة، فلزم الأمر اختفاء المترجم مقدار ستة أشهر، حتى سكنت الفتنة، ثم ظهر ونفي إلى مكان يقال له (بعجه اطه) مدة ستة أشهر، ثم عفي عنه وأعيد إلى إسلامبول، وصار أمين الشعير السلطاني، ثم بعد سنتين عزل ونفي ثانياً إلى حماة مقدار سنة، ثم أعيد للدولة، وصار ثانياً أمين الشعير السلطاني، وذلك في سنة إحدى وعشرين واثنين وعشرين بعد المائة، ولما صار الوزير إبراهيم باشا المقتول صدراً أعظم (إبراهيم باشا سلفه محمد، وخلفه محمد، فمدّ صدارة إبراهيم باشا اثني عشر سنة وتسعة شهور وعشرة أيام) وصاهر السلطان أحمد أظهر بعض قوانين في الدولة، وصار ينفي الرجال القدماء في الدولة، ومن جملتهم أحضر المترجم المذكور على حين غفلة، وألبسه خلعة دفتردارية الشام، وأمره أنْ يأخذ حريمه وأولاده، ويقطع العلاقة من إسلامبول أذيّة وإضراراً له، وكان ذلك في سنة تسع وعشرين ومائة وألف، فجاء إلى الشام وضبط المنصب إلى سنة ثمان وأربعين، وتحلّل له مرتين، ثم في السنة المذكورة عزل وولّي مكانه السيد فتح الله الفلاقنسي الآتي ذكره، ومكث بعد العزل أربع سنين عليلاً في سن الشيخوخة، وتملّك دار الوزير نصوح باشا الكائنة بالقرب من السراي، وحصل له في أول أمره بدمشق الرفعة والشأن والإقبال والاحترام الوفير، ثم غدر به الزمان ورماه في أرض الهوان، واستقام منزوياً في داره، وتراكمت عليه الخطوب، واغتدى من الهم ومصائب الدهر ملآن الذنوب، (الذنوب كصبور الدلو الملأى ماء) وحاصل القول إنّه من أفراد دهره وعصره في المعارف والإنشاء، حتى إنّ الأروام ورؤساء الدولة كانوا يتنافسون في تحريراته التركية، وإنشاءاته الفارسية، وهي كمكاتبات الخوارزمي، وابن العميد في اللغة العربية، لما فيها من الاستعارات واللطائف، مع أنّه طرأ عليه اللّسان واللغة، فسبحان الواهب، وكان محبّاً للعالم محبوباً عندهم، كريم الطبع، لطيف المحادثة، صاحب نوادر ونكت، حسن المذاكرة والمطارحة، يعرف علم الموسيقى حق المعرفة، مع ما فيه من المعارف، يراجع في القوانين العثمانية، محترماً عند الجميع، ولما كان دفترياً بدمشق رفع القلمية التي كانت معيشة لكل من صار دفترياً، وهو باختياره ذهب للمحكمة، ومنع نفسه بدعوى أصحاب المالكانات، وأرباب الميري رضاءً واختياراً ـ نِعْم الرجل ـ واستقام هذا الأمر إلى أنْ صار دفترياً بدمشق فيض الله الرومي أحد خواجكان الدولة في عهدنا الأخير في سنة تسعين ومائة وألف، فأجراها بأمر سلطاني مع تغافل بعض الرؤساء عن ذلك، (فوجه فيض الله تجديد سيئه ايلمش ايمش)، وجرت وعادت، ومن إنشائه العربي ما كتبه إلى الوزير سليمان باشا لمّا كان حاكماً

بصيدا ابن العظم، يعتذر إليه ويستسمحه لأمر صدر، ويرتجيه بمرام، وهو قوله: ممن دهش وحار، وفقد الصبر والجلد والقرار، عندما تمادت عليه الهموم والأكدار، التي هي أشد من حرارة النار، حتى صار لا يميّز الباغم والصادح، ولا يبين المشكل من الحال والواضح، جريح الفؤاد، مهجور الرقاد، محروم المرام والمراد، وكل ذلك في نمو وازدياد، إلى الحضرة التي يجب لها التضرع والخضوع، ويستحب أنْ تنشر على بساط رياستها مياه الدموع، من كل قلب موجوع، وكبد مصدوع، من لها من الفتوة والمكارم النهاية، ومن مكارم الأخلاق والمحامد أقصى الغاية، آيات شكرها تتلى بألسنة الأقلام، في محاريب الطروس على رؤوس الليالي والأيام، أعني بها السدّة السنيّة السليمانية، والحضرة البهية الأريحية، فهي لعمري ملتجأ الأحرار، وملجأ المستجير من طوارق الأكدار، حرسها الحفيظ الرحمن، ولا زالت في علو وترف مدى الزمان، وسميه نبي الله سليمان، عليهما الصلاة في كل آن، وبعد تمهيد مراسم التعظيم، وتشييد لوازم الإجلال والتفخيم، أسأل المولى الكريم، أنْ يحفظ تلك الذات العليّة، والطلعة البهيّة، ويديم له الدولة والنعم، بنون والقلم، وأبثّ شوقي واشتياقي لديه، فإنّ كان معولي على الله ثم عليه، ويعرض هذا المخلص الداعي الذي حطّ رحال آماله في ناديكم، وعند مهماته يلوذُ بكم، وإن بعد عنكم يناديكم، الشاكر في كل حين لأياديكم، قد ضاق صدره للحوادث المتوالية، والكروب المعضلة المفادية، واعلم سيدي وسندي، ومن عليه جل معتمدي، لا أعلم ذا جناية عوقب بمثل عقوبتي حيث طالت مدتها، ولم تقبل بوجه من الوجوه توبتها، ولولا الجنايات لما كان للعفو مزية، فهبني أني قد أسأت وأخطيت، ولحدي غروراً بالأيام تعديت، أما كان لي على بساط العفو بقعة أجلس فيها، أو زاوية من زوايا الحلم آوي إليها، ولو تفحصتم صحائف الأعمال لما وجدتم غير جاني إلاّ من أنزلت عليه السبع المثاني، وإخوانه من الأنبياء، عليهم أفضل التحيّة والثناء، فيا سيدي ليس الآن بعد الله سواك، ولا أقصد في كل أموري إلاّ إياك، فأنا بك لائذ ومستجير، فكن لي معيناً ونصير، فبحرمة الحقوق الإسلامية، والنسبة الترابية، إلاّ أعتنتني على حوادث الأيام، وكشفت عنّي بعض ما أجد من الآلام، حيث ضاق عليّ الخناق، وتحملتُ من المصائب ما لا يطاق، فكم تحت كنفكم من الخلق ما لا يعد ولا يحصى، وما الكل معصومين، ولا بجناياتهم مؤاخذين، فارحموا عزيز قوم ذل، ووهي جسمه واضمحل، فما دام نظركم الشريف عليّ، ورأفتكم متوجهة إليّ، قضيت ما بقي من أيامي تحت ظلّكم، أدام الله عزّكم، والدعاء، انتهى.

وله غير ذلك، وبالجملة فقد كان من أفراد الأعيان والرؤساء البارعين في الأدب والإنشاء والمعارف، وله شعر بالتركي والعربي، فمن شعره قوله:

ما مسّني الضرُ إلاّ من أحبّائي ... فليتني كنتُ قد صاحبت أعدائي
ظننتهم لي دواء الهمّ فانقلبوا ... داءً يزيد بهم همّي وأدوائي

من كان يشكو من الأحباب جفونهم فإنّني أنا شاك من أو دائي

له شركاء، وكانت وفاته في دمشق في ثالث شوال سنة اثنين وخمسين ومائة وألف، ودفن بتربة الباب الصغير رحمه الله تعالى.

علي البرزنجي:

٤٩٦ ـ **علي ابن السيد حسن المدني الشافعي، الشهير بالبرزنجي، الشيخ الفاضل العالم المفنن الناظم الناثر**: ولد بالمدينة المنوّرة سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف، وأخذ بها عن أخيه السيد جعفر، والشيخ عطا، والشهاب أحمد الأشبولي، والشيخ محمد بن الطيب، والشيخ محمد العجيمي، والشيخ محمد البناني المغربي، والشيخ محمد الفاسي، وله شعر لطيف، منه قوله مخمّساً:

أيا كوثر العرفان يا خير مرسلٍ ويا مورد الظمآن والعارف الولي
وساقي حميا الحبّ من حضرة العلى أأظْمأ وأنت العذبُ في كل منهل
وأظلمُ في الدنيا وأنت نصيري
حبيبٌ بك الرحمن في الحجر أقسما وخصّك بالتصريف في الأرض والسما
أغِثْني إذا ما الضيم بالسهم قدْ رمى وعار عليّ راعي الحمى وهو في الحمى
إذا ضاع في البيد أعقال بعيرِ

وكانت له اليد الطولى في النظم، نظّم أسماء أهل بدر، ومولد النبي ﷺ، لأخيه السيد جعفر، وكان معتزلاً عن الناس، ملازماً للخلوة، وكانت وفاته بالمدينة المنورة في أواخر هذا القرن رحمه الله تعالى.

علي الرومي:

٤٩٧ ـ **علي بن حسين الحنفي الرومي النقشبندي خليفة الجدّ الأستاذ الشيخ مراد**: كان من أفراد العالم علماً وعملاً ولازم الجد أربعين سنة، وأخذ عنه، وربّاه وطاف البلاد معه، وحصلت بركته عليه، واقتبس من مشكاته، حتى أنور به الزمان، (يقال أنار الشي وأنور على الأصل إذا ظهر) واعتقده الخاص والعام، بعد وفاة الجدّ، وصار خليفة مكانه، في المدرسة المعروفة به بمحلة أبي أيوب خالد الأنصاري رضي الله عنه، وأخذ عنه ناس كثيرون، وكانت وفاته في سنة سبع وأربعين ومائة وألف، ودفن لصيق قبر الجد في المدرسة المرقومة رحمهما الله تعالى، (بيت مراديدن استانبولده قالمامش شامده وارايسه ده يا جانم عرب أوشاق أولماز دنيلمش ايمش برشاملي بويله ديدي).

علي المصري:

٤٩٨ ـ **علي بن حسين الشافعي المصري نزيل دمشق وإمام الشافعية بجامعها، الشيخ الفاضل اللبيب الألمعي صاحب القدم الراسخ في كل كمال**: كان عالماً فاضلاف ملازماً

للتقوى والصلاح، حافظ الكتاب الله، قطن أولاً بالمدرسة الخنائية الكائنة قرب الجامع الأموي جانب السميساطية، ثم تحوّل إلى جانبها إلى المدرسة الجقمقية، ثم إلى الظاهرية، وأقرأ فيها الأولاد القرآن العظيم، وأقرأ في النحو وغيره، ودرس بالجامع الإموي، ولما سلّط الله تعالى على قرى دمشق الجراد، وأكل زرعهم مدة سنين، حصل لأهل الشام ضيق وشدة على ذلك، فاختاروا أنْ يرسلوا المترجم والشيخ العالم عبد الرحمن الكفرسوسي لأجل جلب الماء المعروف بماء السمرمر، وجاؤوا به إلى دمشق، قلت: وقد ذكره غير واحد منهم ابن الوردي في خريدة العجائب العيون والآبار وقال: عين بين أصفهان وشيراز بها مياه مشهورة، وهي من عجائب الدنيا، وذلك أنّ الجراد إذا نزلت ووقعت بأرض يحمل إليها من تلك العين ماءً في ظرف لا غير، فيتبع ذلك الماء طيور سود، تسمّى السمرمر (سميرم: ناحية بين عراق وفارس يجلب ماء الزرزور منها، وسَمِيرَم: بفتح السين والراء ويكسر الميم بناها سام ابن أرم، فسميرم مخفّفة، وقاريّة: بتشديد الياء أيضاً زرزور، وزرزور في الفارسي: سارج بفتح الراء، وسار سبز أيضاً (وسمرمره) غول أوقيانوس، (ظالمه دحى قونجلوز ديرلر) ويقال لها السوادية، بحيث إنّ حامل الماء لا يضعه على الأرض ولا يلتفت وراءه، فتبقى الطيور على رأس حامل ذلك الماء، كالسحابة السوداء إلى أنْ يصل إلى الأرض التي بها الجراد، فتصيح الطيور عليها وتقتلها، فلا ترى من الجراد متحركاً بل يموتون من أجل تلك الطيور، وذكر ابن الحنبلي في تاريخه: أنّ من شرطه أنْ يكون الوارد به من أهل الصلاح، ولا يمر به تحت سقف، وقال الصلاح الصفدي في الجزء الثاني والثلاثين من تذكرته: قال الشيخ شمس الدين أبو الثناء محمود الأصفهاني أنّ بمدينة قشمين مسيرة ثلاثة أيام عن أصفهان عين ماء ساحة برزة يسمّى ماؤها بماء الجراد، له خاصيّة، وهي مَنْ حَمَل من مائها في إناء إلى الأرض التي أتاها الجراد، فيعلّق ذلك الإناء في تلك الأرض فيقصدها ما لا يحصى من طير، يقال له: سارياً، كل ما فيها من الجراد، حتى يفنى، وشرط هذا الإناء أنْ لا يمس في طريقه، ولا في مكان تعليقه. انتهى.

ورأيت في بعض المجاميع أنّه في سنة إحدى وستين بعد الألف جاء جراد إلى الشام فكتبوا له مراسلات من قبل الشرع إلى الأطراف، وعلقت في الأماكن، فلم يصر ضرر على الزرع، وظهر من ذلك تأثير عجيب في دفع مضراته.

وصورة المراسلات المرسلة.

(بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبي ونعم الوكيل)

بسم الله ما شاء الله، لا يسوق الخير إلا الله، ولا يأتي بالحسنات إلاّ الله، ما شاء الله لا يصرف السوء إلاّ الله، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، أيها الجراد المنتشر ببستان كذا، بأراضي كذا، تحضر مجلس الشرع الشريف

بدمشق، وترحل بقدرة الله تعالى عن البستان المذكور، وبفضل قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل، نِعْمَ المولى ونِعْم النصير، وكانت وفاة المترجم بدمشق في سنة ثلاث وستين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

علي الطاغستاني:

٤٩٩ ـ علي بن صادق بن محمد بن إبراهيم بن محبّ الله حسين بن محمد الحنفي الطاغستاني الأصل والمولد، نزيل دمشق، ومدرس الحديث بها تحت بة النسر، الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق المدقق النحرير المفنن: ولد في حدود سنة خمس وعشرين ومائة وألف، وقرأ على جملة من علماء بلادهم، كالشيخ عبد الكريم الآمدي، والشيخ أيوب الطاغستاني، والشيخ عبد الوهاب الطاغستاني، ثم رحل إلى حلب، وأخذ بها عن الشيخ محمود بن عبدالله الأنطاكي، ثم رحل إلى الحجاز، وجاور هناك مدة، وأخذ بالمدينة عن الشيخ محمد حياه السندي، ثم قدم دمشق وتوطّنها، وذلك سنة خمسين ومائة وألف، ولما توفّي الشهاب أحمد المنيني المدرّس تحت القبة، وجّه له عنه التدريس المذكور، وبقي عليه إلى وفاته، وله من التآليف رسالة في الأبوين الشريفين، ورسالة في الأسطرلاب عرّب بها رسالة البهاء العاملي، (والعاملي: هو محمد بن حسين بن عبد الصمد الملقّب بهاء الدين بن عز الدين الحادثي العاملي الهمداني المترجم بخلاصة الأثر للمحبّي) وله تعليقات على أماكن من تفسير البيضاوي، وتصدّر بدمشق، وكان يُرجع إليه في مهمات الأمور، ونزل به الفالج في آخر أمره، في صفر سنة ست وتسعين، وبقي في داره منقطعاً إلى أنْ توفي، وكانت وفاته سحر ليلة الخميس ثالث عشر ذي الحجة، سنة تسع وتسعين ومائة وألف، وصُلّي عليه بجامع الورد بمحلة سويقة صاروجا، ودفن بسفح قاسيون بقرب ضريح الشيخ محمد البلخي رحمه الله تعالى.

علي الغزي:

٥٠٠ ـ علي بن عبد الحي بن علي بن سعودي النجم الغزي الشافعي الدمشقي، الشيخ الفاضل العالم النحرير الأوحد المفنن المؤرخ المتفوّق أبو الحسن علاء الدين: كان له اطلاع تام في علم التاريخ، ومحفوظة حسنة، مع تحصيل في العلوم، وفضل، ولد بدمشق في سنة ست وعشرين ومائة وألف، ونشأ في حجر والده وتربيته، إلى أنْ توفي، ثم في حجر والدته فأكملت تربيته ووفّرت حرمته، وقرأ القرآن على الشيخ ذيب المقري، وختمه عليه مرات تجويداً وحفظاً، وأخذ العلم عن أجلّاء من المشايخ، منهم ابن عمه أحد صدور العلماء، الشيخ أحمد بن عبد الكريم الغزي المفتي الشافعي، أخذ عنه الفقه والحديث وغير ذلك، وحضر دروسه ولزمه حتى توفّي، والفقه والفرائض وعلم الكلام عن العلامة الشيخ عبدالله بن زين الدين البصروي، وقريبه، وعن ابن عمه الشمس محمد بن عبد الرحمن

الغزي، وحضر دروس العالم الشيخ محمد بن خليل العجلوني، وأخذ العربية وعلوم القراءات والعقائد عن المحقق الشيخ حسن المصري نزيل دمشق، وأخذ الحديث عن العمدة الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني، وقرأ عليه كثيراً، وكذلك عن الشيخ محمد بن عبد الحي الداودي، والشيخ موسى بن سعودي المحاسني، وأخذ طريق الصوفية مع العلوم عن الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي، وحضر دروسه بالسليمية في صالحية دمشق في التفسير غيرر مرة، وقرأ عليه من أول الأربعين النووية، (الإمام النووي، له واقعة بينه وبين السلطان بيبرس لأمر يتعلّق بأراضي الشام، ولم يعد إلى الشام إلاّ بعد وفاة بيبرس، كما هو مذكور في التواريخ) وأجازه إجازة حافلة، وألبسه الخرقة القادرية، وأخذ العربية مع علوم البلاغة عن العلامة الشيخ محمد بن محمود الحبّال، ولازمه وخدمه إلى أنْ توفي، واستجاز له والده من المعمر العالم الشيخ عبد القادر التغلبي، وكذلك من الإمام المحترم الشمس محمد بن علي الكاملي، وكان يستقيم في حجرة داخل التربة الكاملية بحذاء الجامع الأموي، وفي آخر أمره انعزل عن المخالطة بالناس، واستقام بدار زوجته بمحلة الشاغور الجواني، يقري ويفيد، إلى أنْ توفي وكان أحياناً يخرج إلى المسجد الذي بقرب داره المعروف بالياغوشية، ودرّس وانتفعت به الطلبة، وعلمه وحافظته لا مطعن فيهما، ولم يزل على حالته إلى أن مات، وكانت وفاته في يوم السبت الرابع والعشرين من رمضان سنة إحدى وتسعين ومائة وألف، ودفن بتربة الشيخ أرسلان رضي الله عنه عند أسلافه بني الغزي رحمهم الله تعالى وأموات المسلمين أجمعين.

علي الدفترداري:

٥٠١ ـ علي بن عبد الرحمن الإسلامبولي الأصل والمولد، الحنفي، الشهير بالدفترداري، الشيخ الفاضل العالم الكامل البارع: قدم المدينة سنة أربعين ومائة وألف وجاور بها، وأخذ في طلب العلم، فقرأ على الشيخ محمد حياه السندي، والشيخ محمد بن الطيب الفاسي نزيل المدينة، ومحمد أفندي الشرواني وغيرهم، ونبل وفضل وأعطى الجوار حقه، وكان ممن سلم المسلمون من يده ولسانه، يعفو عمن ظلمه ويصل من حرمه، ولا يقابل أحداً بما يكره، (ويوجد من يظلم الضعفاء ويتهمهم لترضيع نفسه ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾) ولازم خدمة الفراشة بالمسجد الشريف النبوي بكرة وعشيّة، وكان له مشاركة في العلوم العقلية والنقلية، وله مجموعة بخطّه، وتوفّي بالمدينة في تاسع عشري محرم سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف.

السيد علي الخباز:

٥٠٢ ـ السيد علي ابن السيد عبد الخالق بن السيد جمال الدين، المعروف بابن الخبّاز، الحنفي الدمشقي نزيل قسطنطينية: كان صالحاً فالحاً فاضلاً، له مشاركة في العلوم، ارتحل لاكتساب العلوم إلى دار الخلافة إسلامبول، ولازم على قاعدتهم من چوي. زاده

المولى محمد شيخ، وبعده لما عزل عن مدرسة بأربعين عثمانياً كعادتهم، ففي ابتداء الأحداث في رجب سنة سبع وثمانين وألف وأُعطي مدرسة محرم آغا باعتبار رتبة الخارج، وكان أول مدرس بها، وفي سنة ثمان وتسعين في شوّالها أعطي مدرسة الفضيلة، وفي شوّال سنة أربع وثمانين أعطي مكان المولى محمد صالح مخدوم شيخ زاده مدرسة پاپاس أوغلي، وفي رمضان سنة سبع وثمانين أعطي مدرسة جعفر آغا مكان المولى إبراهيم أحد المدرسين، وفي رجب سنة تسع وثمانين عن محلول جلب المولى إبراهيم أعطي مدرسة شيخ الإسلام المولى أحمد المعروف بالمعيد، (معيد أحمد سلفه أبو سعيد، وخلفه عبد الرحيم، وذكر نعيماً حال معيد، فانظر ترجمة يحيى في خلاصة الأثر، وما قال أحمد تائب في الحديقة، في ترجمة علي باشا الشهيد رحم الله أهل العفة) ففي رمضان سنة اثنين وتسعين أعطي قضاء بلدة صوفية مكان قباصقال المولى، وفي ربيع الثاني سنة أربع وتسعين عزل منها، ففي محرم سنة ثمان وتسعين في شوّالها لسبب استيلاء الكفار صار معزولاً، ففي ذي القعدة سنة ثلاث ومائة وألف أعطي قضاء مغنيسا، وفي سنة ست ومائة وألف أعطي تكريماً رتبة قضاء المدينة المنورة، وفي سنة ثمان أعطي قضاء أرزن الروم، وفي ربيع الأول سنة ثلاث عشرة أعطي قضاء ديار بكر، وفي سنة ستة عشرة ومائة وألف في ذي القعدة توفّي في إسلامبول ودفن خارج باب أدرنة في تكيّة هناك.

علي السمهودي:

٥٠٣ ـ علي بن عبد الرحمن بن السيد علي المدني الشافعي، الشهير بالسمهودي، مفتي السادة الشافعية بالمدينة النبوية، الشيخ الفاضل الواحد الكامل البارع المفنن الأديب: ولد بالمدينة المنورة سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف ونشأ بها، وقرأ على شيخنا الشيخ محمد بن سليمان الكردي، والشيخ أحمد الغلام، وتفقّه بهما، وغرز فضله وظهر نبله، وكان فاضلاً أديباً ذا جاه ووجاهة، متقناً لأحوال الرياسة، لا يدانيه أحد في معرفتها، سهل الحجاب لا يقصده أحد إلاّ ويجد منه غاية الإكرام، حتى في اليوم الذي توفّي فيه، وتولّى إفتاء الشافعية مرتين، وكان أحد الخطباء الأئمة بالمسجد النبوي، وتوفي بالمدينة المنورة في سادس محرم سنة ست وتسعين ومائة وألف، ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى.

علي الأرمنازي:

٥٠٤ ـ علي بن عبد الكريم بن أحمد الشافعي الأرمنازي نزيل حماة، الشيخ العالم الفاضل الكامل: له باع بالعربية والفقه ماهر بذلك، وبالأصول والحديث والفقه والآلات ولا سيما الفقه، حتى كان في فقه سيدنا أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه واحد عصره، بارعاً فيه، مع كونه شافعياً، ولد في أرمناز تابع حلب في حدود سنة ثمان وعشرين ومائة وألف تقريباً، وبها نشأ إلى أنْ بلغ مبلغ الرجال، فتوجّه إلى مصر بعد أنْ حصّل قليلاً من العربية

والفقه، واستقام بها مجاوراً في الجامع الأزهر سبع سنين، وقرأ على شيوخها، منهم الشيخ حسن المقدسي الحنفي، قرأ عليه صدر الشريعة والدرر، والشيخ أحمد الدمنهوري، والشيخ محمد الحفناوي، والشيخ محمد الدقري، والشيخ إسماعيل الغنيمي، والشيخ علي الصعيدي، والشيخ خليل المالكي، والشيخ أحمد الهندي السليماني الحنفي، وبرع وتفوّق، وقدم وطنه، ورحل منه إلى معرة النعمان، وصار بها قاضياً مدة من الزمان، ثم توجّه إلى بلدة حماة وجعلها مقرّه وحماه، وسكن بها يقري ويفيد، ولزمه جماعة، وأخذوا عنه وأسعفوه، وكانت وفاته في رمضان بحماة سنة ست وتسعين ومائة وألف، ودفن خارج باب الدرج رحمه الله تعالى، والسبب في موته: أنّه كان راقداً على سطوح داره فوقع منه على الأرض، واستقام مدة ساعات قليلة ومات من يوم ليلته رحمه الله تعالى.

علي الكردي:

٥٠٥ ـ علي بن عبدالله بن أحمد بن إسماعيل الكردي من بلدة كوى بالقرب من عبدلان، الشيخ المعمر الرحلة الصالح التقي الولي الزاهد الشافعي النقشبندي: ولد ببلدة عبدلان سنة أربع وسبعين وألف، وقرأ بها القرآن العظيم، وأخذ العلوم عن علماء عبدلان، وانتفع بالشيخ الكبير القطب الشيخ إسماعيل والد الشخ عبد القادر العبدلاني، وعنه أخذ الطريق، ودخل حلب مرات قبل الأربعين وبعدها، ثم استوطنّ دمشق وحج وجاور، وأخذ عن سادات الحرمين، وتخرج بالشيخ الكبير عبد العزيز الهندي النقشبندي، ودخل مملكة إيران والروم ومصر، وكانت مدة سياحته تزيد على ثلاثين سنة، ولم يضع بها جنبه إلى الأرض، وذللت له الآساد في المفاوز، كما شاهد ذلك منه مريدوه الثقات، ورأى ربّ العزة في عالم الخيال، وطار ذكره في الآفاق، واستدعاه الملك المعظّم السلطان مصطفى خان إلى أبوابه للتبرك به، فرحل من دمشق ودخل دار الخلافة، وأنعم له الملك المشار إليه في كل سنة بألفي قرش وخمسمائة قرش، فزهد عن ذلك، فألحّ عليه فقبل من ذلك قرشاً واحداً في كل يوم من مال جزية دمشق، والباقي فرقه في رفقته، وطلب منه الملك المشار إليه الدعاء بالنصر للسريّة التي جهزها على الخارجي طهماس بمملكة إيران، فأهلك الله طهماس فاعتقده، وله كشف وأحوال ارتاحت لها قلوب كل الرجال، وقد تزوّج بسبع وولد له خمسون ولداً، وأعقب بدمشق الشيخ إبراهيم الفرضي، وكان من الأفاضل الأذكياء توفّي سنة سبع ومائتين وألف، وتوفي المترجم عاشر صفر سنة تسع وسبعين ومائة وألف رحمه الله تعالى ودفن بسفح قاسيون.

علي السليمي:

٥٠٦ ـ علي بن محمد بن علي بن سليم الشافعي الدمشقي الصالحي، الشهير بالسليمي، الشيخ العالم العلامة الحبر النحرير المسند المعمر الولي الكامل أبو الحسن علاء الدين: ولد كما أخبرني سنة ثلاث عشرة ومائة وألف، وطلب العلم بعد التأهيل له،

فأخذ عن جملة من الشيوخ، كالأستاذ عبد الغني النابلسي، وولده الشيخ إسماعيل، والشيخ محمد بن خليل العجلوني، والشيخ محمد بن عيسى الكناني، والشمس محمد بن عبد الرحمن الغزي العامري، والجمال عبدالله بن زين الدين البصروي، والشمس محمد بن أحمد عقيلة المكي، والشيخ علي بن أحمد الكزبري، والشيخ حسن المصري، والشيخ محمد العلواني، والشيخ رجب الأشقر الصالحي، وعلى البراذعي وغيرهم، وبرع وفضل، وتصدّر للتدريس، فدرّس في الجامع الأموي، والجامع الجديد بالصالحية، والمدرسة العمرية، وله من التآليف تكملة شرح تفسير البيضاوي للشيخ عمر الرومي، كمّله من سورة الإسراء، والزبدة الطرية على منظومة الأجرومية، وشرح على شرح الغاية لابن قاسم وغير ذلك، وكان المترجم المرقوم عالماً عاملاً ورعاً تقيّاً نقياً زاهداً، معرضاً عن الدنيا، متقللاً منها، تاركاً لما لا يعنيه، وكانت وفاته طلوع فجر يوم الخميس غرة جمادي الأولى سنة مائتين وألف، وصلي عليه بجمع حافل في السليمية، ودفن بسفح قاسيون رحمه الله تعالى.

السيد علي المرادي:

٥٠٧ ـ السيد علي ابن السيد محمد ابن السيد مراد ابن السيد علي، المعروف بالمرادي، الحنفي البخاري الأصل، الدمشقي المولد، والمنشأ، النقشبندي مفتي الحنفية بدمشق الشام وعين أعيانها، وفارس ميدانها، سيدي ووالدي، ومن ورثت منه طريقي من المجد وتالدي، الشهم الصدر المحتشم المهاب الوقور الجسور المقدام الفاضل العالم الأديب الأريب الذكي الحاذق اللوذعي الألمعي ذو الفكر الصائب: كان رحمه الله تعالى فرد الدهر، وواحداً في هذا العصر، حسن الأخلاق كريم السجايا، واسع الصدر، قوالاً بالحق، يصدع الكبير والصغير، ولا يبالي في إجراء الحقوق، ولا تأخذه في الله لومة لائم، متمسكاً بالشريعة المحمدية، مكرماً للوافدين، محباً للعلماء والأفاضل، سخياً جواداً ممدوحاً، يراعي الله في أموره ويراقبه، وانعقدت عليه صدارة دمشق الشام، ورروجع في الأمور من البلاد، واشتهر صيته بين العباد، وقصدته المداح، وكاتبته الأعيان من سائر البلاد والأطراف، لا سيما من قسطنطينية، فإنّ أعيانها كانت تراجعه بمهمات دمشق، حتى السلطان مصطفى خان صاحب المملكة يراجعه ويطلب دعاه ويوصيه بأهل دمشق، وكانت مخاطبته له في أوامره المرسلة إليه، عمدة المتورعين والزهاد، زبدة المتشرعين والعباد، سراج الإرشاد مصباح السداد، شيخنا ابن الشيخ مراد زيد فضله، وكان يردع الحكام والظلمة عن دمشق وغيرها، ويتكلم معهم كلاماً قاطعاً، ويحترمونه ولا يمشون إلاّ على رأيه ومراده، والذي بلغه من الجاه والسعة والإقبال وتوافق القلوب على حبه لا يحصيه قلم كاتب، ولا مداد حاسب، وأمّا صيته فملأ الخافقين، وشاع بين الثقلين، وله من الثناء الباقي المخلد في صفحات الأيام، ما لو نسخت الدنيا يبقى إلى يوم القيام، وهذه عطية من الله الرحمن، وهبة من الرحيم المنان، فإنّه تفرّد بكرمه وخلائقه وأفرد بحيث لم يسمع مثله

سابقاً، ولا يجيء شبهه لاحقاً، فدامت هواطل الرضى على رمسه هامية، ومراتبه في الفراديس الجنانية سامية، ولد بدمشق في سنة اثنين وثلاثين ومائة وألف، ونشأ بها في كنف والده، وكان والده يحبّه أكثر من إخوته، ويميل إليه، وقرأ القرآن العظيم على الشيخ علي المصري الحافظ المقري نزيل دمشق، وأخذ وقرأ واشتغل بطلب العلم على جماعة، كالشيخ محمد الديري نزيل دمشق، والشيخ محمد الغزي مفتي الشافعية بدمشق، والشيخ أحمد المنيني، والشيخ صالح الجينيني، ووالده العارف العالم الشيخ السيد محمد المرادي، والشيخ إسماعيل العجلوني الدمشقي، والشيخ علي الطاغستاني نزيل دمشق، والشيخ موسى المحاسني، وأخذ عن الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي، بواسطة والده وبدون واسطة، وعن الشيخ محمد حياة السندي، والشيخ أسعد ابن العتاق نزيل مكة، والعالم الشيخ علي مفتي مكة، والسيد عمر باعلوي سبط الشيخ عبدالله بن سالم المكي، والشيخ محمد بن الطيب المغربي نزيل المدينة، والعلامة المحقق المولى عبدالله الرومي مفتي الممالك العثمانية المعروف بالإيراني، وتفوّق واشتهر ومهر وبرع، وتولّى رتبة قضاء القدس، وإفتاء الحنفية بدمشق، واستقام بها إلى أنْ مات، ودرس في المدرسة السليمانية بالهداية، وجعل من إنشائه في كل درس خطبة، وتولّى غيرها من التوالي (التوالي لعلها جمع التولية) والوكالات، بحيث لو جمع الذي تولاّه وناله وصرفه لأعيى الحاسبين، وبهر (بهره غلبه) الناظرين والسامعين، وامْتُدِح بالقصائد الغرر، وجمعت فجاءت كتاباً حافلاً، ورحل إلى الروم صحبة والده، وكذلك إلى الحج ثلاث مرات، وله من الخيرات والمبرات والمدارس والعثامنة شيء كثير لا يمكن العد والإحصاء له بالتقرير، وله من التأليف شرح على صلوات والده، ومن الرسائل «الروض الرائض في عدم صحة نكاح أهل السنة للروافض»، وأخرى سمّاها «أقوال الأئمة العالنة في أحكام الدروز والتيامنة»، وأخرى سمّاها «القول البيّن الرجيح عند فقد العصبات تزويج أولي الأرحام صحيح»، وله شعر كثير ونثر غزير، ونظم كلّه بداهة، وقد جمعت ذلك بخطبة من إنشائي فجاء ديواناً بديعاً، وكان في زمنه العلماء والأفاضل محترمون ومبجّلون، والأسافل الجهال مكيدون محقرون، وكل أحد سالك مسلكه لا يتعدّى الحدود، وكان ينظر لصاحب الحق ولو على ولده، ويكرم الغرباء والحضور، ويحسن الاعتقاد في الصلحاء، ولا ينكر على أحد، ولا يقبل الرشا والجرائم، مع أنّ يده كانت طائلة إلى ما يشتهيه، (رحمه الله وكل من جال في ميدان التعفف واتبع أثر يحيى أفندي شيخ الإسلام وعلي باشا الشهيد الصدر في زمن السلطان أحمد الثالث) ومع هذا إذا توفّي أحد وخلّف ولداً، وكانت عليه وظائف كثيرة يجتهد بعملها لولده، ولا يفرط بعثماني واحد إلى الغير، ويحسن للفقراء والأغنياء بالتواضع والبشاشة وصفاء الخاطر، والإحسان لمن يسيء إليه، والملاطفة مع الكبير والصغير، والغني والفقير، ومجالسه دائماً مشحونة بالأفاضل والعلماء والأدباء، والمسائل دائماً تجري بمجلسه، والمطارحات والمساجلات الشعرية، ولا غيبة في مجلسه ولا نميمة، وأنا إذا أردت أصفه لا

أنصفه ولو أنّني جعلت الأيام طروساً ورقمتها بمداد سواد الليالي لا أوفي بعبارة ولا في إشارة، وله شعر كثير، فمن ذلك قوله من قصيدة مطلعها:

ذكر الأحبة يا سعاد يحبب … وبذكر أهل القبلتين أشببْ
فعلام قلبي قد يطوف بحانة … ضاءت بها شمس عليها أكؤب
قد زانها الساقي فجانس خدّه … لو نالها قد لذّ فيه المشرب
آهٍ على زمن تقضي برهة … لم أدر إن البعد فيه يعقب
في روضة لعب النسيم ببانها … وبدت حمائمها تهيم وتطرب
متجوزاً فيه الغدير كأنّه … نهر المجرّة في صفاه كوكب
حصباؤه درّ تضيء بصفائه … وبحافتيه الورد عطراً طيّب
والترب فاح وقد شذاه عطره … من نفحه الفيّاح عرفاً طيّب
ولطالما الحادي يسوق بعيسه … ليلاً وبدر الأفق كان يغيّب
ويحثّ بدناً للوصول لروضة … من نورها السامي أضاءت يثرب
بلدٌ بها خير الخلائق طيب … سمع الصلاة لمن له يتقرّب
ويرد في حال السلام لوارد … والله يعلم ما بذلك يحجب
وله مقام قد علا عن غيره … في موقف قد عزّ فيه المطلبْ

وله من قصيدة حين ختمَ درس الهداية في السليمانية:

من ذكر نجدياً حبيب فردّدْ … وبوصف من حلّوا هنالك فأنشدْ
حيث الأراك على الغدير مخيّم … وعليه غرّد طيرها بتردّد
حيث الصبا مرّت على سكانها … فتحمّلت طيباً وعطرت الصدى
فتعطّر المشتاق من نفحاتها … وبها يحنّ إلى الديّار وانجد
حتى ينادي في المهامة منشد … زمّوا الركاب فلست بالمتفنّد
إنّي أرى البانات من علم الحمى … وأرى منازل أهل ذاك السؤدد
شبه السراة إذا الليالي أظلمت … أهدوا بنور للنبي محمّد
ـن طيبة الغرّاء مصباح الهدى … أكرم به من حالل وموسّد
بحر الهداية والعناية والتقى … وشفيعنا عند التزاحم في غدْ

وله لواقعة منامية هذه القصيدة النبويّة ومطلعها:

قبّلت يدّك[1] في المنام تكرّماً … يا من علا فوق السماء وقد سما
فالله خصّك من عناية فضله … بعظيم خلق جلّ من قد عظما

---

(١) يدك بالتشديد لغة كذا في القاموس.

وبســـورة الإســـراء أســـرى عبـــده ... مـــن مكـــة البطحـــاء لقـــدس يممـــا
نـــادى لمـــوســـى اخلـــع نعليـــك فـــي ... وادي المقـــدس يـــا كليـــمُ فكلّمـــا
أنـــت الـــذي فـــي الأنبيـــاء جميعهـــم ... كنـــت الإمـــام ومـــا بـــرحـــت مقـــدمـــا
ولقـــد عـــرجـــت علـــى البـــراق مصـــاحبـــاً ... لأمينـــه يـــا خيـــر مـــن وطـــىء السمـــا
حتـــى وصلـــت إلـــى العـــلا فـــي همَّـــة ... ولقـــاب قـــوسيـــن الـــدنـــو مكـــرمـــا
للســـدرة العظمـــى تجـــرّر أذيـــلاً ... فيهـــا الفخـــار وقـــد حظيـــت تكلّمـــا
حتـــى تـــراجـــع ربـــك الأعلـــى لنـــا ... فيمـــا يقـــول مـــن الصـــلاة تـــرحّمـــا

ومنها:

خضعـــتْ لهيبتـــك العـــوالـــم كلّهـــا ... لمـــا الإلّـــه عظيـــم خلقـــك أعلمـــا
فـــالله خصّـــك فـــي فضـــائـــل عـــدّة ... وعن وصفها عجز البليغ وأفحما
مـــن ذا يـــروم ثنـــا عـــلاك بمـــدحـــه ... والله قـــد أثنـــى عليـــك وعظّمـــا
فالشهب لا تحصى كذاك علاك لا ... يحصـــى وقـــدرك يـــا نبـــي تعظّمـــا

وقال وهو في بلاد الروم مضمناً البيت الأخير للمتنبي:

لمـــا دعيـــت إلـــى حمـــاك وقـــد أرى ... شـــوقـــي إليـــك أعـــزّ فيـــه وأكـــرمُ
جاءت بي الأقدار أمشي خاضعاً ... حتـــى أريـــق دمـــاً وقـــدرك أعظـــم
وأقـــول شعـــراً قـــالـــه مـــن كِنـــدة ... شهـــم لـــه غـــرّ القـــوافـــي تخـــدم
لا يسلم الشرف الرّفيع من الأذى ... حتـــى يـــراق علـــى جـــوانبـــه الـــدّم

وحين قدم دمشق العارف الرباني العالم الأستاذ السيد الشريف عبد الرحمن ابن مصطفى العيدروسي اليمني نزيل مصر القاهرة، ونزل في دارنا الكائنة في محلة سوق صاروجا ابتهجت به دمشق، وازدانت، وحصل له الإقبال التام، وأقبلت عليه الأفاضل والعلماء والسادات، وظهر برونق الأدب والفضل، وخدمته الأدباء بالقصائد الغر، وحصلت المطارحات والمساجلات البديعة، وكان رحمه الله تعالى بهجة وجه الفضائل، ونير سماء المعارف والآداب والفواضل، فكتب إلى ولدي المترجم هذه القصيدة وهي قوله:

إليـــك علـــى الـــذات والـــوصـــف والـــوهـــب ... حثـــت مطـــايـــا العـــزم والشـــوق والحـــبِّ
وحـــق لنـــا حـــث المطـــايـــا إلـــى فتـــى ... تســـامـــى بـــوهبـــي العلـــوم وبـــالكســـب
شـــريـــف لـــه بـــالمصطفـــى خيـــر نسبـــة ... تعـــالـــت علـــى أوج المجـــرّة والشهـــب
عليـــم بـــأنـــواع العلـــوم همـــامهـــا ... وقاموس فضل فاض بالمشرب العذب
كـــريـــم لـــه الجـــود الخِضَـــمّ[1] وإنّـــه ... لخـــاتـــم هـــذا العصـــر فـــي جـــوده الـــرحـــب

---

(١) الخضم: بكسر الخاء وفتح الضاد وتشديد الميم.

سـرى يسـر الكـون فضـل قـولـه بفعـل مصـون عـن خيـال ذوي العجـب
سليـل المـرادي المهـذب شيخنـا هـزبـر العلـى فـي منهـج النقـل واللّـب
فللّـه مـن فـرع حـذا حـذو أصلـه وجـاراه فـي شـرق الكمـالات والغـرب
هـو السيـد المفتـي مريـدي شـريعـة بعلـم حنيفـي بـه زينـة الكتـب
هـو العـارف الهـادي مـريـدي حقيقـة إلى حضرة الإطلاق حسبي بها حسبي
لـه الله مـولـى كـل مـا فيـه مشـرق بمـا حـازه بـالله مـن حضـرة القـرب
وإنّـي لـه داع بكـل مـراده فـأرجـو إجـابـاتـي يجـود بهـا ربّـي
فيـا سعـداً سعـد الـزمـان بـه عـلا ومشـربـه بـالحـق بـالمـرتجـى ينبـي
لـك الله يـا خـدن المكـارم مـن أخ الـ ـمزايا التي جلت لدى السلم والحرب
وأبقـاك ذو الأفضـال فـي خلعـة العلـى ولا زلت حصناً في رخاء وفي جدب
ودونـك أبيـات الـوداد وإنّهـا تشكـر فضـلاً منـك يسمـو بـه قلبـي
ودم وابـق يـا مـولاي فـي خيـر عـزة تسـر بهـا أهـل المـودّة الحـب
وأزكـى صـلاة الله ثـم سـلامـه على المصطفى المختار والآل والصحب
وأتبـاعهـم مـا فـاح عـرف الحمـى ومـا سقـت روضـة الأدواح ساجمـة السحـب

فأجابه والدي المترجم بقوله:

فسـرى عـن الأسـرار عـن سـرّكـم ينبي وعـن مشـرق العـرفـان ضـاء بـه لبّـي
أجيبـوا لـداعـي الحـق أهـل ودادنـا فـإنّـي منـادي الحق في حضرة القربِ
أهيـل المصلـى والعقيـق وحـاجـر أهيـم بكـم وجْـداً ومسكنكـم قلبـي
أقلّـب طـرفـي فـي الخيـام ومـا حـوت ولـم أرَ يـومـاً فـي الـوجـود سوى ربّـي
سيكشـف لـي ربـي حجـابـاً يظنّـه علـى أولـو الأبعـاد طـرقـاً لـي سلبـي
فهـذي عطـايـا لـم ينلهـا مـؤمّـل سـوى دائـرات الحـان عـن سـرّها ينبـي
وأضحـى خليعـاً لا يـرى فـي مـدامعهـا أنيساً وعين الشرب في صفوها شربي
أهيـم بـه وجـداً وإنْ ظـنَّ معشـر بـأنّـي عـن الأكـوان أخلـو مـن الكسـب
فهيهـات أنْ يبـدو عـانـاً لمعشـر أيـدرون ليلـي بـالستـور وبـالحجـب
فمـا هـي إلاّ نـزهـة لأولـي النّهـي فعجّل بصافي الدن من حضرة الوهب

ومنها:

فـأدار فـي الكـاسـات إلا كـلامهـا بظـرف مـن الأسمـاء صبـغ مـن التـربِ
فغنّـى بهـا الحـادي وأطـرب معشـراً فعـادوا ثمـالاً خـالصيـن عـن السغـب
يهيمـون فـي ذكـر الحبيـب ووصفـه وينقـون ذكـر الغيـر مـن معـرض السلـب
ويبـدون ذكـر الـذات مـن معشـر السوى ويـروون عيـن الـذات عـن منهـل عـذب
عـن الأحمـد الهـادي عليـه صـلاتنـا دوامـاً مـع التسليـم مـن حضـرة الغيـب

وآل وأصحــاب بـــدور هــداتنـــا إلى سبل أهل الحق والوهب والكسب

وقال مضمناً:

يا ابن المعالي ومن حازوا لمجدهم فخراً على هامة الزهراء ينتسبُ
علىٰ مَ تشكي جوى ما ليس نافعة غير التألّم في وسط الحشا لهب
ما أنت أول سار ضلّ في قمر حتى ولا أنت حاك فاته الشنب

ومن ذلك تضمين الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي قدس سره:

رام المدام بأنْ يحكي بأكؤسه دور الغلايين لما مدّت القصب
فهب نفح دخان التبغ ينشده لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

ومنه تضمين محمد أسدي من قصيدة مطلعها:

دغ المدامة يعلو فوقها الحبب رضاً به وثناياه لنا اربُ
قالت مباسمه للبرق حين سرى لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

ومن ذلك تضمين الكامل حسن الشهير بالدرزي:

حكى دخاناً سمى من فوق وجنة من قد مصّ غليونه إذْ هزّه الطربْ
غيم علا بدرتم قد تقطع من أيدي النسيم فولّى وهو ينسحب
فقلتُ والنار في قلبي لها لهب لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

ومن ذلك تضمين العارف الشيخ أيوب الخلوتي:

قال الأقاح حكيت الثغر قلت له ترك المقالة في هذا هو الأدبْ
في اللون إنْ تدعى والليـن مشبهه نعم حكيت ولكن فاتك الشنب

ولمجير الدين ابن تميم:

إنْ تاه ثغر الأقاحي أنْ نشبهه بثغر حبّك واستولى به الطربْ
فقل له عندما يحكيه مبتسماً لقد حكيت ولكن فاتك الشنبْ

وللمترجم في شجر الصفصاف:

أمّن صاغ للجهّال رفع رؤوسهم إذا ما رأوا ذا العلم والأدب الغضّ
أما ينظروا الصفصاف من عدم الجني حياء من الأشجار أطرق للأرض

وقال مشطراً:

بيضاء لما آيست من وصلها دنفاً غدا ولها في أهوائِه
ماست تتيه بفرق صبح صادق وبدت بدوّ البدر وسط سمائه
أترعت في حجري غديراً بالبكا حتى ترائى درّه لصفائه

وصقلت مرآة المياه تعطّفاً فعسى يلوح خيالها في مائه

ومن ذلك تشطير الفاضل النبيه إسماعيل المنيني:

بيضاء لما آيست من وصلها وكوت فؤاداً طال فرط عنائِهْ
وغدت تميس كما القضيب تأوّدا وبدت بدو البدر وسط سمائه
أترعت في حجري غديراً بالبكا لا الدرَّ يحكي منه حسن صفائه
قد غاب عن عيني شخص جمالها فعسى يلوح خيالها في مائِهْ

ومما اتفق في المولد الشريف الذي نصنعه كل سنة في دارنا الكائنة في محلة سوق صاروجا أنّه لما تمّت قراءة المولد الشريف، والناس مجتمعون كعادتهم، وحاكم دمشق والقاضي وجميع الأعيان والعلماء وجمع غفير، إذْ سقط تخت من الخشب كان في الدار، فعظم الاضطراب سروراً من أنّه عند ذكره الشريف تتحرك الجمادات، ثم إنّ الوالد حقّه رضوان ربه أنشد ارتجالاً بقوله:

ما تعجبوا من ذكر أحمد سادتي فالتخْتُ نادى معلناً بصفائِهْ
نطق الجماد بأسره في مولد وأنا الذي قد همت من بركاته

وكان نزيلاً عندنا إذْ ذاك العالم الشيخ محمد التافلاتي المغربي نزيل القدس، فقال في ذلك:

تخشّعُ التَخْت لما رووا لذكر الحبيبِ
فارتجّ يبدي حنيناً كجزع طه المنيب
فطاف كأس سرور على جميع القلوب

وللمترجم مشطراً وتقدم في ترجمة الشيخ أبي بكر الجزري الكردي تشاطير هذين البيتين:

أحمامة الوادي بشرقي الغضا بالشعب من نحو العذيب ولعلعِ
إنّي أحنّ إلى الديار فغرِّدي إنْ كنت مسعدة الكئيب فرجّعي
إنا تقاسمنا الغضا فغضونه سمر القنا تدمي بكل مولع
والريح تنثر نور غصن قد غدا في راحتيك وجمره في أضلعي

وقال مخمّساً:

أدرِ الزجاجة بالصبابة علّني أنْ أنتشي طرباً فحبّك علّني
يا أهيفاً إنّا في هواه تفنني لا تخش سلواني عليك فإنّني
عن رتبة العشّاق لا أتزحزحُ
فإنّ بحبك كل من قد يعشق ويرى حديث العشق وهو مصدّق

إنّي أقول وكل شيء ينطق　　باب التسلّي عن جمالك مغلق
حلف الغرام بأنّه لا يفتحُ

وقال مشطراً:

يسقي ويشرب لا تلهيه سكرته　　عن حضرة الأنس في قرب وإيناسِ
وقال يبدي أعاجيباً منوّعة　　عن المدام ولا يلهو عن الكأس
أطاعه سكره حتى تمكّن من　　آنست من قبس نار الاقباس
هذي مظاهره في السكر أعجب من　　فعل الصحاة فهذا سيد الناس

ومن ذلك تشطير الأديب محمد شاكر العمري:

يسقي ويشرب لا تلهيه سكرته　　في ألحان عن حال إسعاف وإيناسِ
يلهو عن اللّهو صفواً غير ممتنع　　عن المدام ولا يلهو عن الكاس
أطاعه سكره حتى تمكّن من　　.حث الكؤوس على استعداد جلاّس
تلقاه مستغرقاً في سكره وله　　فعل الصحاة فهذا سيد الناس

وقد خمّسهما الأديب محمد مكي مكي الجوخي بقوله:

سر الوجود حبيب الله صفوته　　صافي الشراب سقاه ثم ثبتهْ
وقام يسقي وطابت فيه نشوته　　يسقي ويشرب لا تلهيه سكرته
عن المدام ولا يلهو عن الكأسِ
أدناه حضرته فالروع منه أمِن　　حباه سر وجود في الغيوب كمنْ
مُذْ شاهد السرّ في أقداحه ويقن　　أطاعه سكره حتى تمكّن من
فعل الصحاة فهذا سيّدُ الناسِ

وخمّسهما الفاضل عبد الحليم اللوجي بقوله:

أضحت مطاف ندامي الأنس حضرته　　وجملت بهجة الحانات نضرته
ما زال مُذْ شعشعت في الكأس خمرته　　يسقي ويشرب لا تلهيه سكرتُهْ
عن المدام ولا يلهو عن الكأسِ
ثبات حال له نهج السداد ضمّنْ　　وإنّه بالمزايا الفائقات قمن
لما احتساها ومن غول الشراب أمّنْ　　أطاعه سكره حتى تمكّن منْ
فعل الصحاة فهذا سيد الناسِ

ومن ذلك تخميس العالم الفاضل الشيخ عمر بن عبد الجليل البغدادي نزيل دمشق وهو قوله:

إنّ الذي في ذرى العلياء رتبته　　ومن هو البرزخ المفتاح نشأته
سر الوجود سرت في الكل بهجته　　يسقي ويشرب لا تلهيه سكرته

عـن المـدام ولا يلهـو عـن الكـأسِ

شمـس الحقيقـة سـر السـر منـه زكـن وهـو الـوساطـة فـي نبـل الكمـال فـإنْ
أراد فـي سكـره إنشـاءنـا وضمّـنْ أطـاعـه سكـره حتـى تمكّـن مـن
فعـل الصحـاة فهـذا سيّـد النـاسِ

ومن ذلك تخميس السيد حمزة الدمشقي الأديب:

هـذا الـرسـول الـذي عمّـت فَضِيْلَتُـهْ وعظمـت بصـريـح النّـص أمّتُـهْ
من خمـرة الـذات فـي التـوحيـد شربتـه يسقـي ويشـرب لا تلهيـه سكـرتـه
عـن المـدام ولا يلهـو عـن الكـأسِ
لقـد هـدانـا بـإرشـاد لـه وضمّـنْ والله أعطـاه حتـى أنْ رضـي وأمّـنْ
مـن مثـل طـه وسـر الله منـه ركـنْ أطـاعـه سكـره حتّـى تمكّـن مـن
فعـل الصحـاة فهـذا سيـد النـاس

ومن ذلك تخميس الأديب السيد عبد الفتاح مغيزل:

مـن كـان مـن نـور ذات الحـق نشـأتُـهْ ومـن علـت ذروة الأفـلاك رتبتُـهْ
مـن حـالـة القـرب والتقـديـس خمـرتـه يسقـي ويشـرب لا تلهيـه سكـرتـه
عـن المـدام ولا يلهـو عـن الكـأسِ
عـن درك أوصـافـه قـد حـاز كـل فطـن فجـوهـر العلـم والتحقيـق فيـه كمـن
إنْ رام فـي سكـره الإرشـاد فهـو أمّـنْ أطـاعـه سكـره حتـى تمكـن مِـنْ
فعـل الصحـاة فهـذا سيـد النـاسِ

وله ـ عفي عنه ـ غير ذلك من الأشعار الفائقة، وكانت وفاته في ليلة الجمعة في الثاني والعشرين من شوّال سنة أربع وثمانين ومائة وألف، وفي يوم الجمعة دفن في مدرستنا الكائنة بمحلة سوق صاروجا، ورثي بقصائد كثيرة، وتولّى إفتاء الحنفية بعده أخوه المولى السيد حسين إلى أنْ مات، وذلك في رمضان سنة ثمان وثمانين ومائة وألف، وسيأتي ذكر والده محمد، وعمه مصطفى، وجدّه مراد إنْ شاء الله تعالى، ومن العجيب أنّ المترجم رحمه الله تعالى لما ختم درس السليمانية في سنة وفاته، وكان ذلك الدرس آخر الدروس، أنشد في الملأ العام هذين البيتين المشهورين وهما:

دفنـوا الجسـم فـي الثـرى ليـس فـي الجسـم منتفـعْ
إنّمـا السـر فـي الـذي كـان فـي الجسـم وارتفـع

علي ابن أيوب الخلوتي:

٥٠٨ ـ علي بن محمد بن أبي السعود بن أيوب الخلوتي الحنفي الدمشقي الفاضل المتفوق الكامل: كان من الأفاضل المحصّلين، ولد بدمشق في سنة اثنين وثلاثين ومائة

وألف، ونشأ بها في حجر والده الشيخ الصالح، واشتغل بتحصيل العلوم، وقرأ على الشيخ عبدالله البصروي في فنون عديدة، منها في النحو شرح القطر للفاكهي، وشرح الكافية للجامي، وحاشية عصام الدين قراءة بحث وتدقيق، وانتفع به، ومن مشايخه الشمس محمد بن عبد الرحمن الغزي العامري المفتي، والشيخ علي كزبر قرأ عليه في مصطلح الحديث وأجازه، ومنهم الشيخ صالح الجينيني، والشيخ محمد الدمّري الطرابلسي نزيل دمشق، والسيد محمد العبيبي، والعارف الشيخ عليم الله الهندي نزيل دمشق، فإنّه قرأ عليه في المنطق وأجازه إجازة حافلة، واجتهد في العلوم حتى حصّل الفضل، ودرّس بالجامع الأموي، ولم يزل على حالته هذه إلى أنْ مات، وكانت وفاته في سنة إحدى وسبعين ومائة وألف، ودفن بمرج الدحداح رحمه الله.

علي التركماني:

٥٠٩ ـ علي بن محمد سالم بن ولي الدين التركماني الأصل، الحنفي، الدمشقي المولد، أمين الفتوى عند مفتي الحنفية بدمشق، الشيخ الإمام العالم الفقيه الحبر الفهامة النبيه: كان متقناً متفوقاً بفقه الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه، وماهراً بمقتضياته، وإليه النهاية فيه بوقته، مع الفضل الذي لا مطعن فيه، ولد سنة ثلاث ومائة وألف، وقرأ وأخذ عن جماعة من شيوخ دمشق والروم، واستفاد وصار أمين الفتوى مدة مديدة عند العلامة الإمام المولى حامد العمادي، ثم من بعده عند والدي رحمه الله تعالى، ودرس بالجامع الأموي في الفقه، وكانت عليه وظائف عديدة، وله رسائل وتعليقات وحواشي كثيرة، وبالجملة ففضله لا شك فيه سيما بالفقه فروعاً وأصولاً، وكان العمادي في غالب الأوقات يزجره خوفاً من إدخال الرشوة في أمور الفتيا عليه، (رحم الله العمادي رحمة واسعة وقطع أيدي المرتشين عن أمور عباده بحرمة رسوله)، وكانت وفاته في يوم الجمعة ثالث رجب سنة ثمان ومائة وألف، ودفن بمقبرة الحقلة عند داره بميدان الحصا رحمه الله تعالى، (الرشوة: يجوز فتح الراء وضمها وكسرها، ولا يجوز قبولها ويذمّون الراشي حيّاً وميتاً، ويذكرونه باللعنة لأن الرشوة رأس الفساد للملل والدول).

علي السقاط:

٥١٠ ـ علي بن محمد بن علي بن العربي الفارسي المصري المالكي، الشهير بالسقّاط، الشيخ المحدّث المعمر العالم العامل النحرير الكامل أبو الحسن نور الدين: أخذ عن جماعة من العلماء، منهم والده، والشهاب أحمد العربي بن الحاج الفاسي، وولده محمد، والبرهان إبراهيم بن موسى الفيّومي، ومحمد بن عبد السلام البناني، وعمر بن عبد السلام التطاوني، ومحمد الزرقاني، وأجاز له أبو حامد محمد البديري الشهير بابن الميت، والسيد مصطفى بن كمال الدين البكري، وحج سنة أربع عشرة ومائة وألف، وجاور بمكة، وأخذ بها عن الجمال عبدالله بن سالم البصري، والشهاب أحمد بن محمد النخلي

وغيرهما، وكان فرداً من أفراد العالم فضلاً وعلماً وديانة وزهداً، وولاية، أخذ عنه الجمال عبدالله الشرقاوي، والشيخ عبد العليم بن محمد الفيومي وغيرهما، وكانت وفاته سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

علي البصير:

٥١١ ـ **علي البصير البصري المالكي نزيل المدينة المنورة وعالمها ومحدثها**: أخذ عن محمد بن داود العناني، وأخذ عنه السيد تقي الدين الحصني، وتوفّي بها ليلة الأربعاء ثامن عشري محرم سنة ست ومائة وألف، ودفن بالبقيع بقرب ضريح الإمام مالك رحمه الله.

علي الإسكاف:

٥١٢ ـ **علي بن محمد بن حسن الإسكاف الدمشقي أحد المجاذيب المولّهين**: كان يحضر مجالس الذكر، فيأخذه اصطلام[١]، وكان في أيام الشتاء يلبس عباءة، والعرق يقطر من جبينه، والناس في شدة البرد، توفّي في أوائل هذا القرن.

علي الرختوان:

٥١٣ ـ **علي بن محمد بن علي ابن عثمان، المعروف بابن الرختوان، الحنفي الدمشقي نزيل قسطنطينية الفاضل الأديب الشاعر الماهر الكاتب البارع المنشي**: كان والده تذكره جي الدفترخانه بدمشق، وتوفّي سنة ثمان ومائة وألف، ونشأ المترجم، وحفظ القرآن، وهو ابن خمس سنين، وشاع أمره بالذكاء حتى وصل للوزير الأعظم إذْ ذاك، فأدخله للحرم السلطاني، فخدم ثمة مع الغلمان في دار السعادة السلطانية كعادتهم، وأخذ وقرأ الفنون ومهر بالأدب، وأخذ الخط عن عمر الرسام الكاتب المشهور، وتعلّم اللغة التركية، وغلبت عليه حتى صار ينظم الشعر التركي البليغ، وتلقّب بفائز علي طريقة شعراء الفرس والروم، وصارت أبناء الروم تتغالى بأشعاره، حتى أنّي رأيت الفاضل سالم بن مصطفى قاضي العساكر ميرزا زاده، ترجمه في تذكرة الشعراء التي جمعها، وذكر شيئاً من شعره التركي، واشتهر تفوّقه وهو في الجرم السلطاني، وصار رئيس البوابين في الباب العالي، وتزوج بابنة الوزير مصطفى باشا المقتول، ولم يزل صاحب اشتهار واعتبار إلى أنْ مات، وكانت وفاته بقسطنطينية سنة سبع وأربعين ومائة وألف رحمه الله.

علي الشدادي:

٥١٤ ـ **علي الفاسي المالكي، الشهير بالشدادي، مفتي فاس وقاضيها الشيخ الإمام العالم العلامة النحرير الأوحد**: ذكره أبو الفتوح علي الميقاتي الحلبي في جملة شيوخه، وذكر أنّه توفّي بعد العشرين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

---

(١) الاصطلام معناه: الاستئصال فانظر ما مراد المؤرخ.

علي الكبيسي:

٥١٥ ـ علي بن محمد الكبيسي، الدمشقي الصالحي، أحد المجاذيب المشهورين بدمشق: توفّي يوم عرفة سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف.

علي الزهري الشرواني:

٥١٦ ـ علي بن محمد بن علي الزهري الشرواني[1]، الحنفي المدني رئيس علماء الحنفية بالمدينة المنورة النبوية، الشيخ العالم المحقق المدقق النحرير: ولد بالمدينة لأربع خلون من ذي القعدة سنة أربع وثلاثين ومائة وألف، ونشأ بها، وحفظ القرآن العظيم وهو ابن تسع سنين، وحفظ جملة من المختصرات الفقهية وغيرها على أبيه محمد أفندي، وأخذ عن جملة من العلماء، كالشيخ محمد حياة السندي، ولازمه إلى أنْ توفّي، وقرأ الهداية على محمد أفندي ابن عبد الرحيم المفتي بشروان، وحضر التسهيل على الشيخ محمد ابن الطيب المغربي، وأخذ الحديث عن الشيخ محمد الدقّاق، والشيخ محمد الحريشي، والسيد عمر المكي العلوي سبط عبدالله بن سالم، وقرأ بعض الهداية على العلامة مرزا إبراهيم الأوزبكي، وشرح التجريد للقوشجي، على العلامة محمد رضى العباسي، وأخذ الخطّ عن علي أفندي ابن محمد القيصري تلميذ شكر زاده، ودرس بالمسجد النبوي، وإليه انتهت الرياسة في الفقه، وكان مرجعاً لأهل المدينة في ذلك، وكان إذا أقرأ كتاباً يجري فيه القواعد الآدابية والمنطقة على أحسن أسلوب، فصيحاً متكلماً مهاباً عند الحكام، ولي نيابة القضاء خمسة وثلاثين يوماً سنة ست وثمانين، فتعصّب عليه أناس من أهل المدينة، وسعوا في عزله، فعزل وأمّ في المحراب النبوي، وألّف مؤلفات نافعة في العلوم العقلية والنقلية، منها حاشية على ديباجة الدرر، وهوامش على المختصر، حين أقرأهما في المسجد النبوي، وله شعر منه قوله من قصيدة مدح بها السيد أحمد بن عمار الجزائري:

يقول لثام الفخر والشرف الجلي ... جنابك حقاً قد علا كل معتلي
وأضحى لأشباح المعالم روحها ... ومبدأها الفياض من هبة العلي
مدير لأفلاك العقول وقطبها ... ومركز عرش المجذ والحسب العلي

وله غير ذلك، وكانت وفاته بالمدينة في غرّة صفر الخير سنة مائتين وألف، ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى.

علي العمري:

٥١٧ ـ علي بن مراد العمري الموصلي الشافعي خطيب الحضرة النبوية اليونسية أبو الفضل نور الدين: كان رحمه الله تعالى نادرة الزمان ونتيجة الأيام، بذل جهده في تحصيل

---

(١) شروان: مدينة من نواحي أرمينية قرب الدَّرْبَنْد، بناها أنو شروان فسمّيت باسمة. معجم البلدان ٣/ ٣٨٤.

العلوم حتى حازها بأسرها، وله تأليفات لطيفة، منها شرح كتاب الآثار للإمام محمد، وشرح الفقه الأكبر للإمام الأعظم، وله على كل فن تعليقات، وكان مجلسه غاصّاً بالعلماء والفضلاء، حتى أنّ من كان يحضر مجلسه يستغني عن القراءة والدرس، وقد أوتي الحظّ الوافر من العلم والدنيا، فبدولته تضرب الأمثال، حتى أنّه في يوم واحد أضاف سبعة من الأمراء بجنودها، وتولّى إفتاء بغداد مقدار سنتين، وتولّى القضاء والإفتاء بالموصل أيضاً، وله سفرات عديدة إلى قسطنطينية، وله شعر لطيف، منه قوله يمدح بها فيض الله أفندي شيخ الإسلام:

خدّ تورّد بارتشاف الأكؤس ... قرنت لواحظه لطرف أنعسِ
أمْ ذا احمرار بان في وجناته ... وأظنُّ أورثه لهيب تنفسي
أم ذا شقيق الحسن أحمر ساطع ... أوراقه آس العذار المفرس

ومنها في وصف الروض:

فبدت بها الأشجار شبه عرائس ... تحكي ببهجتها الجوار الكنّسِ
رقصت بلابلها على أغصانها ... طرباً لبهجة وردها المترأس
فالياسمين معانقاً أدواحها ... قد قلدته حمائلاً من سندس
أما الشقيق فشققت أطواقه ... والخال في فيك كمسك أنفس
والأقحوان الثغر منه باسم ... وكذلك الغض العيون النرجس
يختال في قضب الزبرجد مائلاً ... والرأس منه مائل بتنكس

إلى أنْ قال:

فاشرب معتقة الدنّان شمولة ... تذر الهموم صحيفة المتلمّسِ
واسطو على خطب الزمان بباسها ... إنّ المدام أنيسة المستأنس
هذا هو العيش الهني فَفُزْ به ... والجأ بخطبك للمحل الأقدس
فهو المحل المستنير بمن غدت ... آراؤه عوناً على الزمن المسي

وكان مولده سنة ستين وألف، وتوفي سنة سبع وأربعين ومائة وألف، ودفن بالموصل رحمه الله تعالى.

علي بن كرامة الطرابلسي:

٥١٨ ـ **علي بن مصطفى ابن أبي اللطف، المعروف بابن كرامة، الحنفي الطرابلسي الفاضل الشهير والعلم الكبير**: كان ذا جاهٍ، ودأبه السكون حتى في المداعبة، وكان له شعر لطيف، مع فقر حسنة بديعة، وتولّى إفتاء طرابلس الشام برهة من الأيام، ولم يزل في أفياء منصبه قائلاً، وفي حلل الراحة رافلاً، حتى جرّ عليه الدهر أصناف صروفه وخطوبه، فنفي، ثم بعد ذلك أعانته الإعانة الربانية بتوجه الإسعاف من وجوه العلماء والأشراف، وأهل

النجدة والإنصاف، ثم توجّه عليه إفتاء حلب ولم يزل فيها قرير العين بعزه وجاهه، إلى أنْ مات، وكان ألّف رسالةً، فأظهر عليها نقّاد المشايخ، كالعلامة الشيخ محمد شمس الدين التدمري، والشيخ الخليلي وغيرهما، وبالجملة ففضله مشهور، وقد أرادت إخوته أنْ يتميّزوا بوصفه، فكبا جواد همتهم في حومة التمثيل والتنظير، ولم يقدروا على اشتمام عرفه ولا اجتناء ثمره النضير، وكتب إليه حامد العمادي المفتي بدمشق حين أعاره الجزء الأول من خزانة الأكمل، فاستحسنه العمادي المذكور وأرسل له قوله:

إنّ المحبّة في الفؤاد وإنْ ترم ... تنظر لقلبي فهو عندك شاهدُ
وإليك ما يغني الأنام بحبّه ... أهديتها مني وإني حامد
أرسلت معها من خزانة فضلكم ... جزءاً لكم عندي وأنت الماجد
فلأنت أكمل مَنْ تفرّد بالوفا ... دُمْ منهلاً يأوي إليك القاصد
مع مَنْ تحبُّ ومَنْ تودّ ومن يكنْ ... يأوي إلى علياك يا ذا الواحد

وكانت وفاة صاحب الترجمة في سنة اثنين وستين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

علي الدباغ:

٥١٩ ـ علي بن مصطفى، الملّقب بأبي الفتوح الدباغ، المعروف بالميقاتي، الشافعي الحلبي صاحب العلوم الغزيرة والتصانيف الشهيرة، العالم الإمام المحقق المحدث الأديب الماهر النحرير الشيخ البارع المدقق القدوة: كان أحد من أنجبتهم الشهباء في زماننا، واشتهروا بالفضل والأدب، وكان له في كل فن القدح المعلّى على الهمّة، كاشفاً في المعدومات كل مدلهمّة، ولد في سنة أربع ومائة وألف، وقرأ القرآن، واشتغل بطلب العلم على جماعة، كالعالم الشيخ أحمد الشراباتي، والفاضل الشيخ سليمان النحوي، وارتحل إلى دمشق وأخذ بها عن الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي، والشيخ محمد الغزي مفتي الشافعية، والشيخ عبد الكريم الخليفتي المدني، والشيخ عبدالله بن سالم البصري المكي، والشيخ أبي الطاهر الكوراني المدني، والشيخ محمد عقيلة المكّي، والشيخ أبي الحسن السندي نزيل المدينة، والشيخ محمد المعروف بالمشرقي المغربي تلميذ الفاسي شارح دلائل الخيرات، والشيخ يونس المصري، والشيخ محمد بن عبدالله المغربي، والشيخ منصور المنوفي، والشيخ عبد الرؤوف البشبيشي، والشيخ أبي المواهب الحنبلي الدمشقي، والشيخ محمد بن علي الكاملي الدمشقي، وله مشايخ كثيرون من أهل الحرمين، ومصر والقدس وغير ذلك، وكان له المعرفة التامة بالأنساب والرجال والتاريخ، وكان موقتاً بجامع بني أمية بحلب، وله من التآليف شرح على البخاري وصل فيه إلى الغزوات، وحاشية على شرح الدلائل للفاسي، وكان شعره رائقاً نضيراً وله مقاطيع وموشحات وغير ذلك، فمما وصلني من ذلك قوله:

لرؤية وجه المصطفى النور كلّه ... على حسب استعداد رائيه نورها

هي الشمس تعطي الشيء ظلاً بمثله وإنْ قلت الجدوى فمنا قصورها

وله تضمين الحديث الشريف المسلسل بالأولية:

أول ما أسمعنا أهل الأثر مسلسل الرحمة عن خير البشرْ
للراحمين يرحم الرحمن ار حموا لمن في الأرض تحظوا بالبشر
إنّ الجزا يرحمكم من في السما ء وحسبنا رحمته من الظفر

وله في النعل الشريف:

لنعل طَهَ من التشريف مرتبة تهدي إلى حاملي تمثاله نعما
فاجعل على الرأس تمثالاً لصورته وقبّلِ النعل إنْ لم تلثمِ القدما
وانظر إلى السرّ منه للمثال سرى وكل مثل حذوه صار ملتثما

وله:

من شرف الحبِّ وتخصيصه أنْ يلحق الأدنى بعالي الرتبْ
لذا جعلتُ الحبَّ للمصطفى وشاهدي المرء مع من أحب

وله:

في رؤية المختار من خلفه كما يرى قدّامه في الشهودْ
اختلفت آراء من قبلنا والحقُّ بالعين بهذي الحدود
ولا عجيب أنْ يرى بعضه من هو عند الكل عين الوجود

وله مضمناً:

وفّى لي حبيبي بالوعود وعندما ظمعت بوصل لا يقاومه شكرْ
تبدي رقيبي واعترتني هزّة كما انتفض العصفور بلّله القطر

والأصل فيه قول بعضهم:

وإنّي لتعروني لذكراك هزّة كما انتفض العصفور بلّله القطرْ

وقد ضمّنه أحد الأدباء في المجون فقال:

رعى الله نعماك التي من أقلّها قطائف من قطر النبات به قطر
أمدّ لها كفّي فاهتز فرحة كما انتفض العصفور بلله القطر

ومن نثر المترجم ونظمه ما كتبه مقرّظاً به على رسالة الأديب البارع الشيخ سعيد ابن السمان التي ألفّها في المحاكمة بين الأمرد والمعذر، وهو قوله:

يا مَنْ حمى بسيوف اللّحاظ حمى الخدود النقيّة، وجعل لبعضها من العذار حمائل، ودبّج باخضرار تلك الصفحات، واحمرار هاتيك الوجنات، حلّة الحسن اليوسفية، فنزلت من أحسن تقويم في أشرف المنازل، وزيّن العيون بالدعج، والثغور بالفلج، والنحور بالبلج، وهيّم في مجال أشعتها الجمالية نفوساً كوامل، وركب حبّ الجمال في الطباع، وأوقف على رؤيته العيون، وعلى وصفه الألسن، وعلى سماعه الأسماع، ونشر الحسن في الأفراد، ولم يقصره على الأجناس والأنواع، فكان أكبر دليل على كمال القدرة والاتساع، وربط سلسلة الموجودات بالمحبة عاليها والنازل، فسبحان من تفرّد بالإبداع والكمال، وهو الجميل يحبّ الجمال، نصبه على وحدانيته فالسعيد من نظر لما أبدع بعين الاعتبار، وتأمّل كيف يولج النهار في الليل، ويولج الليل في النهار، إنّ في ذلك لعبرة لأولى الأبصار، وانتقل من نظره الصنعة إلى الصانع المختار، ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك قنا عذاب النار، وأزل عن بصائرنا حجاب الغفلة، حتى لا نرى شيئاً إلاّ رأيناك قبله، واجعلنا ممن يستدل على المؤثر بالآثار نحمدك على نعمة الإيجاد والتكوين، والتركيب في أحسن صورة وتلوين، حمداً يوصلنا إلى توحيد الأفعال، ويذهلنا عن رؤية الأغيار، ونصلّي ونسلم على أكمل مخلوق من حضرة الجمال والجلال، المحلّى بجميع أقسام الحسن وسائر أصناف الكمال، فكل حسن في العوالم منه تنزل وبه تعرف، وعلى تفنن واصفيه بحسنه يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف، سيدنا ومولانا محمد المحبّ المحبوب، والطالب المطلوب، وباب الوصول إلى رضى علام الغيوب، وعلى آله وصحبه وسلم ثمار غصون المحبَّة، ونتيجة قياس الودّ والقربة، صلاة وسلاماً دائمين دوام وصل الوصال، يقضيان بالحب الدائم وكمال الاتصال، آمين. أما بعد:

فإنّي ألقي إلى كتاب كريم، وخطاب بالبراعة وسيم، بالبلاغة في المحل العظيم، يصحبه رسالة حاوية لأقسام الفصاحة والجزالة، تكاد من عذوبة الألفاظ، تشربها أفئدة الحفاظ، أنشأهما الأديب الفاضل، الآتي مع تأخّر عصره بما لم تأت به الأوائل، ذاك السعيد صفة ولقباً، والفريد ترسّلاً وأدباً، سباق غايات الكمال، طلاع ثنايا المعرفة والأفضال، صاحب الملكة التي يقتدر بها على اختراع ما يريد، مما لم تصل إليه أفكار الصابي والصاحب وابن العميد، أبقاه الله تعالى لعارفة يسديها، وفائدة يبديها، ومعارف ينشرها بعد أنْ كاد الزمان يطويها، فتأمّلت في حسن رسالته المعجب، ووقفت منها على المرقص والمطرب.

وقفت كأني من وراء زجاجة ... إلى الدار من فرط الصبابة أنظرُ

ذكرني الظعن وكنت ناسياً، وصبوة مضت وعيشاً ماضياً، أيام أمشي لحانات الهوى مرحاً، ولي على حكم أيامي ولا يأت، أيام شرخ شبابي روضة أنف، (أنف: على وزن عنق، يقال روضة أنف ومونف أيضاً: كمحسن إذا كان لم ترع قاموس) ما ريع منه بروع

الشيب ريعان، حيث المنازل روضات مدبجة، وحيث جاراتها حور وولدان، حيث الهوى قد كان في طوع يدي، ومنيتي مساعدي ومسعدي، وحيث ما يذكره أضن، اذكر لها حوارها تحن.

ضمنها المفاخرة بين خالي العذار والحالي، وأتى من مدح الشيء وذمّه بالعاطل والحالي، نسج على منوال عمر والزبرقان، في مجلس سيد ولد عدنان، ﷺ، واقتدى بالجاحظ والثعالبي وهما إماما البيان، إلا أنّه وافق عبد المحسن الصوري في نشر محاسن محبوبه ولم يجنح لغيره، ومشى تحت اللواء النباتي إلى أنْ وصل إلى مقام الحيرة، غير أنّ ابن نباتة حين تحيّر عمل بكلا الأمرين وحسم مادة الشك ولم يتحير، والظنّ بالمولى أنّه بحلاوة هذا المشرب وتحت هذه المروحة قائل وإليه ذاهب، وكأنّي به قلد ابن مكانس وللناس فيما يعشقون مذاهب، وربما ألجأته لهذا صناعة الأدب والعشرة، كما أجاب من سئل عن دواء الخمار وصنف النواجي الحلبة ولم يذق كل منهما الخمرة، ذكرتني رسالته العهد القديم، والألف والنديم، والصد والنعيم، فشأنها وشأني، إنْ أفاضت غروب شأني، ولولا الحيا يغشاني، لقلتُ:

فيـــا ولـــع العـــواذل خـــلِّ عنّـــي ويـــا كـفَّ الغـرام خـذي عنـانـي

وأيم الله لقد أحيت من موات المهوى الدارس والعافي، وأقول على سبيل المداعبة ومشرب الأدباء الصافي:

مـــا يقصـــد المـــوى بتحسينـــه إبيـــس فـــي إغـــوائـــه كـــافـــي

غير أنها وردت في عصر المشيب، وقد شارفت شمس الحياة أنْ تغيب، ولاح صباح الحق واقصر باطله، وعرى أفراس الصبا ورواحله، وسدّ باب التلميح والتعريض، وحال الجريض دون القريض، (الجريض: الغصة بالريق وغيره، والقريض: الشعر أمثال الميداني)، ومع هذا كله فقد أيقظت كامن الغرام بعد الهجعة، وكان كما تقول الشيعة أنْ تحكم بالرجعة، وتعيد المهدي إلى الغي، وتلحق الشيخ بولدان الحي.

كـــاد يسعـــى للتصـــابـــي أو سعـــى نبهـــت مـــن غيّـــة مـــا أقلعـــا
واستشـــارت مـــن أقـــاصـــي لبّـــة صبـــوة كـــان رثـــاهـــا ونعـــى

فتلقيتها كما يتلقى الكريم الكرام، ولم أقل كما قال جرير: وقد أترعت له من عصره إلى الآن كؤوس المدام.

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقـت الـزيـارة فـارجعـي بسـلام

بل قلت بما جاء عن سيد الأنام، ﷺ، إنّ لجواب الكتاب حقّاً كردِ السلام، نعم أقول هلاّ وردت هذه المعاني والحكم، قبل ظهور نذير الشيب والهرم، وطلوع كمين التوبة،

والعهد على عدم الأوبة، وتلافي الحديث القديم بقراءة الحديث، والانهماك على ذلك والنهمة، والبعد عن مواطن التهم والوصمة، وطب الحماية فيما بقي من العمر والعصمة، ونظرت في حالي والجواب، فتذكرت أبيات قلتها من قصيدة لبعض الأحباب:

وافت وفكري في العناء موزع ... والذهن في بيد الهموم مضيعُ
وإذا دعوت معاني الشعر التي ... كانت تجيب بدا لهنّ تمنّع
وأنفت من فن القريض وراعني ... من شيب فودي والعذار مروّع
وصحوت من خمر الصبا وجنحتُ للتقـ ... ـوى أسدّ ثوبها وأرقعُ
فعزمت أنّي لا أجيب نظامك ... الحسن المعاني بالذي يتبشع
لكن رأيت الامتثال محتّماً ... بين الكرام إلى المكارم إنْ دعوا
فأجبت بالصفر النضار ميقناً ... عجزي وعفوك عن قصوري أوسعُ

وبعد تمهيد هذا الاعتذار، المقبول عند ذوي الاقتدار، أسرع في الجواب مسمياً له خلع العذار، في وصف الخالي والحالي بالعذار، فأقول: وإن كان عند أهله نوعاً من الفضول.

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل، فما اختاره مضني به وله عقل، أتّباع النظرة النظرة، يعقب لوعة وحسرة، وأصل الهوى الهوان، والموت ألوان، دمع ساجم، ووجد هاجم، وهيام لا يبرح، ثم وراءه ما لا يشرح، اختلفت الحدود والرسوم، والحق أنّه عَرَض يبقى ويدوم، وتفنى دونه الجواهر والجسوم، والحب ذوق، يطير به شوق، ثم وجد لا يبقى معه طوق، قالوا: ينبغي لمن له قلب رقيق، أنْ لا يدخل إلى سوق الرقيق، لئلا يفتتن بالخدود والقدود، ووجنات الورود، وينقاد بسلاسل العذار، إلى جنات الخلود، على رغم الحسود، ويلتقط من فخ الأصداغ حبّة الخال بين نعمان وزرود، يا صاحبي وأنا البر الرؤوف وقد، بذلت نصحي بذاك الحي لا تعج وأما التخير فليس في وسع العاشق، ولا رأى في الحب للصب الوامق، والصادق مسلوب الاختيار، وفي كل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار، لا يرى سوى محبوبه، ولا يناضل عن غير مطلوبه، فمتى يصحو من الخمار، ويميّز بين الخالي والحالي بالعذار، فهو السميع والبصير، والصبّ مشغول به عما سواه، ولما طاح رأس الحلاّج كتب دمه على الأرض الله الله، فبح باسم من نهوى ودعني من الكنى، أنا من أهوى ومن أهوى أنا، نعم الأدباء لأفكارهم يشحذون، والشعراء يقولون ما لا يفعلون، وحسبك بقوم لا يستحسن الكذب إلاّ منهم، ولا تستعذب الأوصاف وتروى إلا عنهم، فمنهم من يقول بنقي الخدّ، ويجاوز في تفضيله الحدّ، ويقول هو الفلك الأطلس، والحمى المصون المقدس، الجامع من الأوصاف الحسان، بين صفاء أوجه الحور وطلعة الولدان، خلا عن المانع والعارض، وسلم من المقتضى والمعارض، حاز الوسامة والقسامة، وجعل ترك العلامة له علامة، فهو القمر الطالع، في أشرف وأشرق المطالع،

والبدر النازل من القلب والطرف في أعلا المنازل، رأى من يقول به أسد، بين ذراعي وجبهة الأسد، ليس بينه وبين الغيد فرق عند أهل النظر، وإذا تغالوا في وصف الجارية قالوا كأنّها غلام أو في زي ذكر، والمشبه به في وجه التشبيه أعلى وأوقع في النفس وأحلى، زاد ضياء وإشراق، على شمس الآفاق، فحسدت جماله الباهر، حتى ظهر فيها نار الحسد وهذا حرّها ظاهر، وكيف لا يزيد وهي لا يمكن فيها المنر وتزداد حيراً، وهذا يزيدك وجهه حسناً إذا ما زدته نظراً، ومن يساويه بالبدر ويعتريه المحاق والكسوف، ويغيب وهذا أبداً طالع وبزيادة البهاء معروف، تحلّى وجهه عن النقوش فحلاً، ومن باب سمع الكيان (سمع الكيان: على زنة جمع القيان اسم كتاب، فعليك الأوقيانوس) ليس وراء حسنه خلاً ولا ملاً.

تبارك من أخلى من الشعر خدّه وأسكن كل الحسن في ذلك الخالي

شابه في إغفال اللحية أهل الجنة، وهم ما هم جردٌ مردٌ في حالة الرضوان والمنّة، رضي الخالق عليه، فلم ينبت له ما يشين خدّيه، فمرآة وجهه صافية، كالسماء الصاحبة، لم تشيب بالأنفاس، ولم تسود نونته بزرافين الانقاس، ولا قارنها دخان نبراس، إذا تبدّى والسماء من الأنواء صقيله، ارتسم فيها صورة القمر من مقابلة صورته الجميلة، إنْ فاخر البدر رماه بالكلف والنمش، وقال لمن يهواه طالما أهوى إليّ ساجداً الست ترى في وجهه الترب والغبش، تعالت مرآة وجهه أنْ تصدى، وخلت عوارضه من الموانع وجلت أنْ يكون لها من الندِّ ندّاً، فهي الجميلة الزاهية، لا تسمع فيها لاغية، تكل عن استيفاء نعوتها الألسن، وتستغني الأفكار بصفأ طلعته عن تحسين ما لا يحسن، طالما افتخر على النكريش وذي العارض، وطلب في ساحة المباراة مناضلاً ومعارض، يقول أنا الأملس الغض، وذو الخدّ الناعم البض، وجهي أثير، وجمالي وثير، ومن يساوي بالشوك والشكر الحرير، فلو سمعتم صوت مآتم الشعر من النكريش، حين مرور الموسى بخدّه، لتحققتم موت الحسن من وجهه وانتقال الحسن لضدّه، ولو نظرتم العارض إذا ريّش، وما صفا من ماء حسنه وقد تكدّر وتغبّش، وأسبل عارضاه جناحين، صار بهما طائر حسنه غراب البين وجنى حين، عفا بهما دمنة وجهه الحسن، وعاد منهياً، عنه بقول الصادق اللّسن، إياكم وخضراء الدِّمن لحكمتم بأنّ نبات العذار منقصاً من دولة سعده، وعرفتم معنى قول ابن سناء الملك، يا شعر في نظري ولا في خدّه، كيف واستحال نور خدّه دجى، وزمرده سبجا، وكسف هلاله، وحال حاله، ومسح جماله، وتشوكّت وجنتاه، وتبدّل الظلام بضياه، ونسخت آية حسنه فلا تتلى، ولبس خدّه ثوب حداد يبلى الجديدان ولا يبلى، واختفى بدره تحت سراره، (السرار: آخر ليلة في الشهر. قاموس). ودخل في المثل السائر وتمسك بأستاره، كل من مات سوّدُوا باب داره.

يا قتيلاً باللّحية السوداء آفة المرد في خروج اللحاءِ
شاهدي في ادعاء موتك بيت قاله شاعر من الشعراء

ليس من مات فاستراح بميّت إنّما الميت ميتُ الأحياء

يمر بعاشقيه فلا يرفع أحد منهم نظرة لرؤياه، بعد أنْ كان إذا مرّ ترقّع الكوى بالمحاجر، وتقول ربي وربك الله، (الكوى: جمع الكوة، مثل مدية، ومدى فالكوة: ثقبة في الحائط، والمحاجر: الحدائق جمع المحجر على زنة مجلس، ومحجر العين أيضاً ما يبدو من النقاب، لسان العرب).

لو عرفنا مجيئكم لفرشنا مهج القلب أو سواد العيونْ
وجعلنا من الجفون طريقاً ليكون الممرّ فوق الجفون
فبدلت والدهر ذو تبدل هيفاً دبوراً بالصبا والشمائل
قلت لأصحابي وقد مر بي منتقباً بعد الضيا بالظلم
بالله يا أهل ودادي قفوا كي تبصروا كيف زوال النعم

أسود فاضل قرطاسه، وكمد ضوء نبراسه، وكدرت شمس خده، (كدرت: من باب تعب، يقال: كدر الماء زال صفاؤه، وهو من باب الأول والثاني الخامس أيضاً، حيث هو نقيض الصفا) ورأى الدنيا من بعده، وصار عبد العبد عبده، وعلى كل حال فالعذار مكتبة المحبة من قلب العاشق، سيما إذا كان المعشوق سيء الأخلاق مع الخلائق، وما ظنك بعلة كل يوم تزداد، إنْ عالجها صاحبها أو تركها وقع في الطويل العريض وجمع بين الأضداد، وإنّ قص طائرها ودولة الحسن كأضغاث أحلام، كان كالشمس على جناح طائر متى قصّ وقع وانفصل الكلام، وإنْ جذب وقصر نسب إلى التقصير ولا بد أن يتعذر، ويستظرف قول بعض الزجالة فيما يروى عنُّو، (يعني عنه) هو ينتف وأنا أطلع ومنّي ومنُّو، (منه)، قلت: المعذّرُ من لا نبات بعارضيه، مديحه: سهل تيسر، ومع الشراهة إنْ مدحتُو (مدحته) لعارض فاعجب لوصف حاز تورية وإيهاماً مستر، وإذا نظرت واعتبرت رأيتهم كل ميسر، هذا وعلى قدر جلالة الممدوح تكون المدايح، وتستخرج وتستنتج القرايح، ولولا الملامة من الإطالة لاستنزفت (استخرجت) بحار الأدب، ودعوت المعاني من كثب، (كَثَب: بفتحتين القرب، ويضم الأو جمع كثيب) وملأت الدلو لعقد الكرب، (الكَرَب: بفتحتين الحبل الذي يشد على العراقي، مفرده: كربة، كقصب وقصبة) ولكني أبقيت مقالاً لذي الخط الريحاني، بالقلم السجاني، والكمال الذي أكثرت فيه الشعراء التشابيه والمعاني، ذي الطراز الأخضر، المحفوف بالمسك والعنبر، فهو المحلّى والحالي، والقسيم كما ذكرنا للنكريش والخالي، فمنهم من يخلع فيه العذار، ويكشف الأستار، ويقبل بين دوحة الآس والجلنار، ويقيم بين الروضتين، ويغتنم جني الجنتين، بينا يعض ناظره على تفاح الخدود، ويضم خاطره القدود والنهود، وينتشق من آس العذار شميم نعمان وزرود، إذ خاطبه أهواؤه بالنبأ العظيم، شعر:

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من شميم

فتزهّد عما سواه وتنسك، وعكف عليه وبمسكه تمسك، يا لها حلية يستحسنها القيان، (القِيان: بكسر الأول جمع القيّنة، والقينة: بفتح الأول: الأمة مغنيّة كانت أم غير مغنيّة، قيّنة قينتان قيّنات، مثل بيضة بيضتان بيضات (الصحاح والمصباح)، وتصبغ أصداغها بالغوالي تشبهاً بها ألوان، وهي بين النكريش والخالي برزخ لا يبغيان، فلو رأيته وقد غلف (غلف: من التغليف، يقال: غلف القارورة إذا جعلها في غلاف، القاموس) بالمسك أصداغه فأبدى محاسنه، ونبّه عيون عاشقيه وعنهم محاسنه (المحاسن: الأولى جمع الحسن على غير قياس، والثاني مركب من كلمتين محا من المحو، وسِنَةٌ من الوسن، وهو النعاس) لقلت هل يحسن الروض إلاّ بأزاهيره، والخز لا بزبيره ووثيره، ويقال الأمرد الصبيح إذا نقش الخط فصّ وجهه وأورق فضة خدّه، فقد تم طرازحسنه وتساقط المسك فوق أحمر وَرْدِهْ، وقال بعض من تهتك بالعذار، وبحبه اشتهر خط الوجه الحسن كالسواد في القمر.

عــــــذاره زاده جمـــــــالاً ثـــم بـــه الحســـن والبهـــاءُ
لا تعجبـــوا ربّنـــا قـــديـــرٌ يـــزيـــد فـــي الخلـــق مـــا يشـــاء

وعلى قراءة يزيد في الخلق، فهو زيادة بها التقديم يستحق، وقد جاء وصف العذار بالحسن في حديث من ساد المخلوقات ورأس، قال الفقر أحسن بالمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس، (كتب من نسخ هذا التاريخ العذار الحسن في المتن، وأثبت على هامشه أنّ في أصله العسن) والظاهر قدّم الحسن على العسن، والحال، قال في القاموس يقال به: عَسن بفتح العين فسكون، أي طول مع حسن الشعر والبياض، فتأمّل وراجع، لأن العسن على ظني أحسن من الحسن الذي كتبه الناسخ (انتهى) فإذا زان العذار خدّ الحيوان فبالأولى أنْ يزيّن خدّ الإنسان، فهو زيادة وزينة بالنص والقياس، وبها يرد على من يقول طلوع العذار بلوغ سن اليأس، بل هو تجديد محبّة، وستر الصحبة وزي النقبة، (زي النقبة: على زنة عز الرتبة، بمعنى لباس الوجه) ورعاية المحبوب محبة، ورياضة الأخلاق، ونزهة العشّاق، ومسك ذر على شقائق وريحان، يؤذن بري حان، وجميعة ألوان، وذواتاً أفنان، وورد حفّ بآس، من شمه لم ير لداء غرامه آس، وهو دائرة ملاحة من الجامع السوهي[1] (ما علمنا مقصودة) مفروضة، أو هالة حسن بشرت بعارض وصل فيها معروضة، وخيال جفونه على صفاء خدّه الخالي، أو السعد وفي حواشيه الخيالي، أو معنى تصوره تعذر، يخفى تارة وتارة يظهر، أو هو اللام التي رضي تشبيهه بها أرباب السيوف والأقلام، وعدّوا التورية بها من بديع الكلام، ومن يفول المعذر مهجور، وقد صار من أهل الشعور، أحبب به نماماً نمنم شعرات الحسن، وهاك ما تكل عن وصفه السن اللّسن، وخارجاف مع ضعفه أدّعى

(١) انظر ما معنى الجامع السوهي، والظاهر الجامع السوء، إذْ قال في المصباح قلت الرجل السوء والعمل السوء فحينئذ، (هي ضمير) هذا ما ظهر لنا في هذه العبارة بمناسبة ذكره الدائرة قبلها فعليك التنقير.

ملكية أنصار الجمال، نازع نعمان الخدّ في أسود الخال، قائلاً هذا عبدي، وسرق لونه من عندي، ابق مني وأنا عليه دائر، وبالمشاكلة نتحاكم فيه إلى أسود الناظر، فقضى عن النعمان بالملكية، واحتج بأنَّ مذهبه حجة الخارج بالملك قويّة، فاعجب لضعيف غلب قوياً، وأشعري صار حنفياً، وتأمل كم للقوم تشبيه، وكم تورية وتوجيه، والذكي هذا القدر يكفيه، ولما بلغ خالي العذار، ما قيل فيه من المدائح والأشعار، داخله الزهو والكبر، وعطس بأنف النمر واستطار غضباً واستطال، وأنشد بيت ضمرة بن هلال:

قـرّبـا مـربـط النعـامـة منـي   لقحـت حـرب وائـل عـن حيـالِ

كيف يفاخرني خالي وأنا حلية الكمال، والنظر إليه حرام والنظر إليّ حلال، وأنا اللمة السوداء، في الحلة الحمراء، من جمع بينهما فقد غمره الحسن غمراً، وحديث أنس رضي الله عنه في الشمائل، وأنه لم ير أحسن من مخدومه المتحلّي بهما من أكبر الدلائل، وأحسن ما يرى القمر إذا حفّ جانباه بالسواد، ولا يقر ورق منظر القرطاس إلاّ إذا زيّن بالمداد.

عشنـا إلـى أنْ رأينـا فـي الهـوى عجبـاً   كـل الشهـور وفـي الأمثـال عـش رجبـا

(وفي المثل عش رجباً: ترَ عجباً من مجمع الأمثال) يا للشيوخ وللشبان العجب، «كأني بالزمان وقد انقلب»، وعوّضه عن حمالة الورد بحمالة الخطب، وبالسواد الفضاح، عن غرر الوجوه الصباح، وتناولته أيدي الإطراح، ذليلاً من بعد النفور والجماح، تحككت عقرب صدغه من عذاره بالأفعى، (التحكك: التعرض والتحرش بالشر، يقال فلان يتحكك بك: أي يتعرض لشرّك) واستنّت الفصال حتى القرعى، (ويروى استنت الفصلان حتى القريعي، مَثَلٌ يُضْرب لمن يتكلم مع من لا ينبغي أنْ يتكلم بين يديه لجلالة قدره، والقرعى كأسرى جمع قريع) من يساوي الكامل بالناقص، وأنا جامع الكمال وهو جميعه النقائص.

وإذا أتتـك مـذمّتـي مـن نـاقـص   فهـي الشهـادة لـي بـأنـي كـامـلُ

صُحْبَتُهُ تُهْمَة، وصحبتي ستر ونعمة، وجهي الروض المعشّب، ووجهُهُ القفر المجدّب، وكم بين كاس وخالي، وعار وحالي، وواجد وفاقد، وطاعة وجناح ورائش ومقصوص الجناح، وملثمين حياء ووقاح، ومنقوش ومغفل ومعجم ومهمل، ونار تأجج، وورد تسيج وسهم رائش، ونصل طائش، وذي حنكة، (يقال احتنك الرجل: أي استحكم، والحنكة: بضم الحاء اسم منه) وتجريب، وذي غفلة أخذ من الاغترار بأوفر نصيب، يحمله الطيش والتيه، على ازدراء عاشقيه، وداده آل (هو السراب)، يميل إلى ذي المال، مسارقته النظر تنبه أعين الرقباء واللّوام، والخلوة به كالأجنبية حرام، متى وردت العين ماء حسنه العجيب، شرقت قبل زيّها بألف رقيب، وماء حسني مَدْين[1] المآرب، ليس عليه حائم سوى

(١) مَدْين: بفتح الميم وسكون الدال اسم مدينة سيدنا شعيب، والتفصيل في الجزء الأول من المقريزي. انتهى.

شارب، تتلاعب به نزغات الشباب، فلا يفي لأحباب، ولا يلوي لأصحاب، والشباب مطيّة الجهل، والعذار حلية الكمال والعقل، ما دام فيك ريق، فهو صاحب لك ورفيق، لكل امرء من دهره ما تعوّدا، والحازم لا يثق بوداد أمردا، مذق الحديث مخلف الوعد، خلقه خلق الوغد، رضاه غرامه، ومواصلته ندامه، طالما أنشدا[٢] عاشقيه بودّه مستهتراً، وكيف ترجو الودّ ممن يرى، فهو فرح بحال يحول، منشرح بدولة تزول، سقاه الجمال خمر الدلال، فَعَرْبَد على العشّاق، وظنَّ لكثرة الباكين أنّ الدمع خلقة في المآق، فلم يعطف على ظمآن، والرحماء يرحمهم الرحمن، فإذا التحى، من هذا السكر صحا، فيطلب من هذا الشرك الخلاص، فتناديه المنكسرة قلوبهم ولات حين مناص، فيرى أفعاله، ولحيته أفعى له، وربما عشق فاغروا به معشوقاً، وأذاقوه ما كان مذيقاً، وربما ضرّ عاشق معشوقاً، ومن البر ما يكون عقوقاً، وأنا الثابت الأساس، ولباس السواد خير لباس، تخيّره الملوك من آل عباس، ولي الاعتبار، في تقلب الأطوار، والجمع بين محاسن اللّيل والنهار، وإذا حاكى عذاري الأفق فلا غرو أنْ تطلع منه الشموس والأقمار، وقال وقال، واتسع له في ميدان المفاخرة المجال، ونسي أنَّ البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال، لوردها سعد وسعد مشتمل، ما هكذا يا سعد تورد الإبل، فقال، الخالي كثرة الدلائل، يستعملها غالباً أهل الباطل، لو أنصفت لم تقل حرفاً، ومن أمثالهم سكت ألفاً ونطق خلفاً، (الخَلف: بالفتح فسكون، القول الرديء)، وكنت قنعت بتلميح سيف الدولة للسري الرفا، وقنع عارض عدا بك الصيب، بتأنيب أبي الطيب (التأنيب: التعييب واللوم)، إذا رام أنْ يهزّ ويلحية أحمق، أراه غبارى ثم قال له الحق، والأمر بالجميل، غني عن البرهان والدليل، لم طلبت على محاسننا دليلاً، متى احتاج النهار إلى دليل، فعند ذلك نظرنا إلى تكافيء الأدلة، وتساوي حجج البدور والأهِلّة، فإذا لكل وجهة هو مولّيها، وفئة يعجبها ما أدلى به صاحبها ويرضيها، ومناط الأمر وملاكه موكول إلى المناسبة، والمشاكلة بين المحب والمحبوب وكمال الشبه، وفي التحقيق ما مال قلب المحب إلا لصفاته، وما عشق إلاّ ما كمن في ذاته، فإذا ليس لأهل الموصل رأى يتبّع (ولبعضهم)، ومعذر حلو اللما قبلته، نظراً إلى ذاك الجمال الأول، وطلبت منه وصله فأجابني، ولي زمان تعطفي وتدلّلي، نضبت مياه الحسن من خدّي وقد، ذهب الروى من غصن قدى الأعدل، قلت الحديقة ليس يحسن وصفها، إلاّ إذا حفّت بنبت مبقل، دعكَ اتّبع قول ابن منقذ طائعاً، واعلم بأنّي صرت قاضي موصل (وبيتاً ابن منقذ)، كتب العذارُ على صحيفة خدّه، سطراً يحيرُ ناظر المتأمل.

بالغت في استخراجه فوجدته، لا رأي إلا رأي أهل الموصل.

ولا لغيرهم مذهب في هذه الأهواء والبدع، نعم إنْ قلنا بتأثير المجاورة في الطباع

---

(٢) يقال أنشديهم: إذا هجاهم.

والأحلام، فيكون هذا المشرب جاءهم من مجاورة أبي تمّام، فقد ذكره في شعره، وتروى عنه فيه أخبار من نثره، فقد كان رحمه الله تقنع بالحبيب المعمّم، وعاش بهذا المشرب غير مذمّم، وتعصّب له عصابة في ورود هذه الحانة، ذكرهم بلدينا السيد محمد العرضي في سفينته وذيل الريحانة، ولما قرر بقراط هذه المسألة، رماه بعض من يبغضه بمعضلة[1]، وقال إنّ فلاناً الزاني بحبّك مبتلى، قال نعم أنا أحبّ الزنا، ويمنعني عنه الحيا من الملا، ولا أشرّف من الاستدلال بخبر المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم لمن يخالل، ثم إنّ المحبة لا تستلزم الرؤية والاجتماع، فهناك من يعشق بجارحة السماع، وهذا هو الحبّ المعنوي، والمقام الموسوي، واللّحظ العيسوي، وفي جذب المغناطيس للحديد، تقريب لهذا البعيد، شعر:

كـأنمـا أوقـف الله العيـون علـى ... مـرأي محـاسنـه لا شـأنهـا ضـررٌ
فلـو تجلّـى ورا المـرآة لانحـرفـت ... إلى محياه عن أربابها الصور[2]

هذا والحديث شجون، وكل حزب بما لديهم فرحون، وإذا ارتسم ما قررناه في العقول، فلا علينا أنْ نرجع لتكملة الأقسام فنقول، وأما النكريش فهو الواسطة بين الصنفين، وقد يكون وجيهاً وإنْ كان ذا وجهين، أنْ تزين فهو أمرد، منح عاشقه أم رد، فهو حليق، حليف بالود وخليق، وإن أرسل وأسبل، فهو من الطراز الأول، وكان ابن المعتز وهو إمام الاستعارة والتشبيه، يعشق المليح لحسنه وغيره جبراً لخاطره وتلافيه، يعرف أنَّ محبه آخر العشاق، فيعامله بأطيب الأخلاق، سلس القياد، يعلم المراد، لا يستعمل الدلال، ولا يبخل بالوصال، رأى أن دولة الأمرد سريعة الزوال، وشاهد النقصان، فمتّع عاشقيه بمحاسنه، واستحسن نصيحة الشيخ عبد الباقي ابن السمان، وهي وإنْ أخذها من أبي الطيب لا تخلو من خشونة ورعونة، لا تقبلها أهل المذهب الغرامي أي رعونة، فهو الفرس المروض، وختام المشاعر المفضوض، شعر:

مـن معشـر خشـن فـي نصـر عـاشقهـم ... كسـر القنـاد أبهـم إنْ غيّـرهـم لانـا
تعـودوا الغـارة الشعـواء يشهـدهـا ... عصـابـة منهـم شيبـاً وولـدانـا

كرام الأصل، يرضون بقليل البذل، ولا يصحبون العذل.

يُغْشَـون حتّـى مـا تهـرّ كـلابهـم ... لا يسـألـون عـن السـواد المقبـل

فيهم سداد من عوزري الصدى الظمآن، وكل حذاء يحتذى الحافي الوقع، (يقال وقع الرجل، من الباب الرابع إذا اشتكى لحم قدمه من غلظ الأرض والحجارة، ومنه قول الشاعر

---

(١) المعضلة: كالمحسنة.

(٢) ولبعضهم: كأنَّ وجهك مغناطيسُ أنْفُسِنا، فحيث ما درتُ دارت نحوك الصورُ.

كل حذاء إلى آخره (الصحاح) وكل طعام يأكل الغرثان، ونعود لأصل المسألة فنقول: وليس من الكمال، حبّ الرجال ولله درّ من قال: ليس الحب إلا لذوات الجمال، وقال بعض السادة الرؤساء: استراح من اقتصر على النساء، شعر:

أحــبُّ النّســاء وحــبّ النّســاء فـرض عـلـى كـل نفـس كـريمَـهْ
وإنَّ شعيبــاً لأجــل ابنتيــه أخـدمــه الله مــوسـى كليمَـهْ

ومن البين عند أهل النظر، أنّ رجلين تحت لحاف خطر، فربما يتشلم[١] العامل وينوب مفعول به عن فاعل.

مـن قـال بـالمـرد فـإنّـي امـرء إلـى النِّسـا ميلـي ذوات الجمـال
مـا فـي سـويـدا القلـب إلاّ النِّسـا يا حسرتي ما في السويدا رجال
وأحسن ما يقع به الاقتداء والاتساء[٢] حبب إليّ من دنياكم الطيب والنساء
وارحمتـا للعـاشقيـن تحمّلـوا خطر السرى وعلى الشدائد عوّلوا

بل وارحمتا العشاق الصور، المشتغلين عن المؤثر بالأثر، لو عاودوا النظر، لوقعوا على جلية الخبر، رأى بعض من صحبنا صورة استحسنها، فعاود النظر ليتزود نظرة أخرى منها، فكشف عن بصره فرآها ميّتة يتناثر الدود عنها، فتاب واستغفر من ذلك الشهود، ورجع لما هو المطلوب والمقصود.

لـو فكّـر العـاشـق فـي منتهـى حسـن الـذي أسبـاه لـم يسبِـهْ

ويحه (ويح وويل: كلمة رحمة وعذاب أو هما بمعنى) (الصحاح) كلف بما لا يدوم، وافتتن بالموجود المعدوم، وغفل عن الحي الباقي القيّوم، من نظر في مصارع إخوانه علم أنّه أخيذ، ومن فكر في كرب الخمار تنغصّت عنده لذة النبيذ، من أحس بلفظ الحريق فوق جداره، لم يصغ بسمعه لنغمة العود وأنّة أوتاره، رأى الأمر يفضي إلى آخر، فصير آخره أولاً، ولله درّ ساداتنا النقشبندية، فإنّهم بنوا أمرهم على هذه القضيّة، فالحازم الذي يجعل الحب حيث يرقيه، ويرفعه ويعليه، ويخلصه ويزكيه، ويطهر بصيرته عن نظر الأغيار، ويوقفه تحت مجاري أقدار الواحد القهار، ويسمعه النداء الدائم، ابن آدم أنابدك اللازم، وينزهه عن مدارك القوى الحسيّة، والمشاعر الجسمية، ويعبر به عن بحار المعارج الروحيّة، واللذات المعارف السبوحيّة.

على نفسه قليب من ضاع عمره وليس لـه منهـا نصيـب ولا سهـمُ

---

(١) قوله يتشلم: لعل مراده يتسلح، لأن العامل بمعنى صدر الرمح أيضاً، فالعبارة لا تخلو عن اللّطافة، فالفاعل والمفعول محبوك الطرفين. انتهى.

(٢) الإتساء: في الأصل هكذا، ولعل مراده الائتساء حيث يقال ائتسى به إذا جعله أسوة.

اللّهم اقسم لي ولأخي من ذلك أوفى قسم وأوفر نصيب، وفرّغ قلوبنا من حبّ غيرك فإنّه لا يجتمع مع حبّك حب الغير يا سميع يا مجيب.

يـا واحـداً متعـدد الأسمـاء ... أدْعـوك فـي ختمـي وفـي مبـدئـي
وإليـك أرفـع راحتـي متـوسّـلاً ... بشفيعنـا السـامـي علـى الشفعـاءِ
أنْ تحفـظ المـولـى الـذي أفكـاره ... صـاغـت بـديـع النظـم والإنشـاء
ذاك السعيـد محمـد السـامـي إلـى ... أوج العلـى لحيـازة العليـاء
المعتلـي ببيـان كـل عـويصـة ... والمعتنـي بغـرائـب الأنبـاء
هـو أفقـه الشعـراء غيـر مـدافـع ... فـي الشـام بـل هـو أشعـر الفقهـاء
فـاق الـرفـاق بفطنـةٍ وبـلاغـة ... وبـراعـةٍ وفصـاحـةٍ وذكـاء
لـو كنـت مـن فئـة تقـول بـأغيـد ... مـا ملـت فـي التشبيـه للغيـداء
لله درّك يـا أديـب زمـاننـا ... كيـف اهتـديـت لغـامـض الأشيـاء
فـالقـول دونـك مـذهـب ابـن نبـاتـة ... أو رب زد فـي حيـرتـي وعنـائـي
كـم ذا تستـر خيـرة فـي حيـرة ... هـذا المقـام نهـايـة الصلحـاء
فـاسكـن إذا سكـن الفـؤاد وعـش بـه ... متنعّمـاً بـالـرتبـة القعسـاء
وإليكهـا رعبـوبـة جـاءت علـى ... قـدر مجلّلـة بفـرط حيـاء
قـدّمـت عـذري والكـريـم مسـامـح ... وهـديتـي التسليـم غـب دعـائـي

وله غير ذلك، وكانت وفاته ليلة الجمعة رابع ربيع الأول سنة أربع وسبعين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

علي النبكي:

٥٢٠ ـ علي بن موسى النَّبْكي، الشيخ الفاض الصوفي المعتقد المبارك الصالح التقي: كان بقرية النبك معتقداً مشهوراً، وله حفدة ومريدون، قدم دمشق في بدايته، واشتغل بالقراءة بها، واستقام مدة، وكانت إقامته بالمدرسة الباذرائية، ثم اتخذ النبك وطناً ومسكناً، واشتهر هناك، وقَصَدَتْهُ أهالي تلك النواحي، وغالبهم تلمذ له، وكان يشطح في كلام القوم ويطالع كتبهم ومقالتهم، ويتكلم على ذلك، وتصدر منه كلمات خارقة للعادات، وقدم ثانياً إلى دمشق، وزارته الناس، واعتقده البعض من الخاص والعام، وبالجملة فقد كان في التصوف ممن اشتهر، واعتقد، ولا يخلو من فضل ومعرفة بالعلوم، وكانت وفاته في شوّال سنة اثنين وتسعين ومائة وألف، ودفن بالنبك وقبره معروف هناك رحمه الله تعالى.

السيد علي الكريمي:

٥٢١ ـ السيد علي ابن السيد موسى ابن كريم الدين، الشهير بالكريمي، الحنفي القدسي: نشأ في حجر والده، وبعد وفاته ارتحل إلى مصر واصطحب معه أهل بيته، ولزم

الطلب بالجامع الأزهر، وجدّ واجتهد، وانعطف عليه أحمد جاوش الجزائري أحد تجار مصر، فأسكنه بقرب بيته، وامتحنه أول مرة بأنْ ألقى في باب حجرته التي كان ينام فيها صاحب الترجمة كيساً فيه مقدار من الدنانير، فلما أصبح ورأى الكيس ردّه في وقته إلى صاحبه، فسلّمه بعد ذلك البيت بما فيه، وركن إلى ساحته، ثم انقطع عن الجامع وابتدأ يقرأ دروساً بمقام سيدنا الحسين رضي الله عنه، ومكث على حالة واحدة مدة من السنين، وهو مع ذلك يميل إلى اقتناء الخيل الأصائل، وربما خرج إلى ظاهر مصر وتعرض للصيد، وكان كثير السخاء يحب أنْ يكرم من يدخل بيته، وكانت له عادة غريبة يتبخر بالعود الهندي عند دخوله الحمام، ويغسل بدنه بماء الورد، ويتطيب بأنواع الطيب، وكانت أعيان مصر وصناجقها الذين هم أمراؤها يعتقدونه ويهدون إليه الهدايا السنية، وكلمته فيهم نافذة، ثم لما حضر عنده أخوه السيد محمد بدر الدين قرأ عليه مدّة وألبسه زي العلماء، وأجلسه في موضعه في مقام سيدنا الحسين يقريء ويحضره تلامذة أخيه، وسافر إلى بلاد الروم ونزل بإسلامبول بمدرسة بقرب جامع السلطان بايزيد، ثم رجع إلى مصر ولم تطل مدته، وكانت وفاته تقريباً بعد الثمانين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

السيد علي الكيلاني:

٥٢٢ ـ السيد علي ابن يحيى بن أحمد بن علي بن أحمد بن قاسم الكيلاني القادري الحموي شيخ السجادة القادرية بحماة، ومن تفيأ ظلال العلوم: وقال في حماة: الشيخ المرشد الفالح الصالح السيد الشريف الحسيب النسيب المسلك المربي الصوفي العالم العلامة المحقق الفاضل الأديب اللوذعي الإمام الجليل الأستاذ الكبير، كان فطناً حميد الأفعال معظّم القدر عند الناس، كأسلافه، حليف مجد وسيادة، ولد بحماة في ليلة الجمعة بعد طلوع الفجر في أواسط رجب سنة أربعين وألف، واتفق أنّ والده ليلة ولادته رأى في المنام جدّه الأستاذ الشيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه، وفي يده مصباح يضيء، فقال له: يا يحيى خُذْ علي، وأعطاه المصباح فاستيقظ قريب الصباح، فرأى زوجته جالسة وخادمتها يقظانة، فقال لها: يا أم مكي قد رأيت جدّي في منامي فصدقي بما أقوله ولا تشكّي، رأيته وبيده مصباح يضيء، وقال لي: يا يحيى خُذْ علي إلى آخر، فإنْ أتيت بمولود نسمّيه علي، وأنت والجارية حوامل فعسى أن تسبقيها، فأجابته الجارية بالاعتراض، سيدي قد سبقت ستي إليه، ومن أول الليل قد طرقها المخاض، وهذا أوان الولادة، ثم مكثت زوجته غير بعيد ووضعته في الوقت المذكور آنفاً، فنشأ صالحاً متعبداً، وقرأ القرآن العظيم وجوّده، واشتغل بقراءة العلوم وأخذها، وتلقى الأدب، فقرأ الفقه والعربية والمنطق واللغة والتصوف، وأجازه جماعة من المشايخ الأجلاء في الحديث وغيره، وكان مكّباً على تحصيل العلوم والحقائق، يجتهد في اقتناص شوارد الدقائق، محبّاً لأرباب الكمال، محبوباً لدى الخاص والعام، وبالجملة فقد كان أوحد زمانه ذكاء وسناء وعقلاً وفضلاً وظرفاً ولطفاً

وأدباً، مع حسن ورع وعفة ونجابة وديانة، واعتدال خلق وخلق ومما قيل فيه:

لقد طالت خطاه إلى المعالي ... وسار لنيلها سير الجوادِ
فما للفخر غير علاه باب ... ولا للمجد غير سناه هادي
محل ما ارتقى أحد إليه ... ولاحظيته همة ذي ارتياد

ثم توجّه للحج وهو مراهق دون البلوغ في صحبة والدته وابن عمه الشيخ عبد الرزاق، في سنة اثنين وخمسين وألف، واختتن في المدينة المنورة، واتفق أنّه رأى النبي ﷺ في المنام وهو في الحرم الشريف النبوي، قبل أن يحجَّ وحوله جماعة، فقال له ﷺ: يا علي تحجّ في تلك السنة، وتولّى نقابة الأشراف بحماة وحمص، وعمل له شيخه الشيخ يحيى الحوراني تاريخاً وقصيدة، فالتاريخ قوله:

لما تصدّر في النقابة أرّخوا ... سعد النقابة في عليٍّ الكيلاني

وذلك في سنة سبعين وألف، واستقام نقيباً في ذلك إلى أنْ توفي ابن عمه الشيخ إبراهيم ابن الشيخ شرف الدين، وجلس على السجادة القادرية في البلاد الشامية، وذلك سنة اثنين وثمانين وألف، فأقام بها على أحسن قيام، وأتم نظام وسلوك تام كأسلافه الماضين، وآبائه السراة الصالحين، من إقامة الأذكار وقراءة الأوراد في العشي والإبكار، وإلباس الخرقة، وسلوك الطريق، والدّعاء إلى الله على بصيرة وتحقيق، وتربية المريدين، وإرشاد الطالبين، وإكرام الضيوف والواردين، وإطعام الطعام، وإكرام القصاد والزائرين، وفي سنة تسعين وألف قدم دمشق حاجّاً هو وعياله وأولاده وأتباعه وخدّامه، واستقبله أهالي دمشق وأعيانها بمزيد التوقير والاحترام، وسعوا إليه وتردّدوا إلى منزله، ولم يبق أحد من العلماء والأجناد والمشائخ إلاّ وأتى إليه وامتدحوه بالقصائد الغر، وامتدحهم، وعمل رحلة رأيتها وطالعتها ذكر فيها من اجتمع به منهم، ووالي دمشق إذْ ذاك الوزير عثمان باشا، حصل له منه مزيد التبجيل والإكرام، وكذلك قاضيها المولى الفاضل مصطفى الأنطاكي، وحج في تلك السنة، وكان أمير الحج خليل باشا ابن كيوان، ورجع إلى وطنه حماة، وسافر لطرابلس الشام وإلى حلب غير مرة، وفي كل بلدة يحصل له مزيد الإكرام، وكان أديباً ناظماً، وله ديوان يجتمع على تغزّلات ومدائح ومقاطيع وألغاز وقصائد مطولّة ومعميات ودوبيت، وبالجملة فقد كان شيخ الشيوخ، وقد رأيت ديوانه وذكرت منه ما رقَّ وطلب، فمن ذلك قوله كتبه لأخيه الشيخ إبراهيم حين كان ببغداد وتولى النقابة بها ومطلعها:

يا عريباً حلّوا حمى الزوراء ... أنتموا داءُ علّتي ودوائي
قد فرّقتم ما بين جسمي وقلبي ... حين فارقتكم وعزّ لقائي
من أقاصي الحشا سلبتم فؤادي ... ورقادي من مقلة قرحاء
فانعموا لي بردِّ عيني لعلي ... أنْ أرى طيفكم محل غفائي

إنْ نـأيتـم عـن العيـون دنيتـم — مـن ضلـوعـي وداخـل الأحشـاء
كـان عهـدي بـالصبـر حيـن رحلتـم — أحسـن الله بـاصطبـاري عـزائـي
لا ويـوم النـوى وحـال المعنـى — حـاضـر غـائـب عـن الأحيـاء
هـان بـل أهـون الهـوان المنـايـا — عنـده بعـد فـرقـة الخلطـاء
حيـن سـاروا وخلفـوه صـريعـاً — ويجيـب السـؤال بـالإيمـاء
ذكـركـم قـوتـه ووصـف حـلاكـم — شـربـه دائمـاً مكـان المـاء
ليـس يـدري بمـا بـه مـن بعـاد — مـن سمـى الخليـل رب الـوفـاء
الإمـام الهمـام علمـاً وفضـلاً — ومـزايـاه جـاوزت إحصـائـي
اسمـه عـمّ مغـرب الشمـس فـانجا — ب مسمـاه مشـرق الـزوراء

وقال ممتدحاً الشريف سعد بن زيد شريف مكة ويهنّيه برمضان والعيد حين كان حاكماً بحماة، بقصيدة معارضاً بها فتح الله النّحاس الحلبي التي أوّلها:

عطـف الغصـن الـرطيـب — وتـلا فـأنـا الحبيـبُ

ومطلع قصيدته:

أنجـز الـوعـد الحبيـب — وانجلـت عنـا الكـروبُ
وتـلا فـأنـا بـوصـل — نقطـة الهجـر يـذيـب
وتلقّـانـا بـوجـه — فيـه مـاء ولهيـب
حمـد الضـديـن فيـه — إنّ هـذا لعجيـب
إنْ بـدا تشـرق منـه — الشمـس أو نـد تغيـب
ورد خـدّيـه نصيبـي — هـل لنـا منـه نصيـب
دونـه أسهـم لحـظ — حبّـه القلـب يصيـب
ذو قـوام سمهـري — ليـس يحكيـه قضيـب
فـإذا مـا مـاس تيهـاً — خجـل الغصـن الـرطيـب
ويلـوح الصـدر رمـا — ن وفـي فيـه الضـريـب
جـاوز الحـدّ بظلـم الـ — ـخصـر ردف بـل كثيـب
حبّـذا ليلـة ضمتنـا — وقـد غـاب الـرقيـب
أنـا والمحبـوب والشمـع — وكـاسـات وكـوب
ريقـه راحـي وكـاسـي — ثغـره الألمـى الشنيـب
لـي بـدر اللّفـظ مـع أنفـا — سـه نقـل وطيـب
ويجيـد جـؤذري — منـه يـرتـاح الكئيـب
فـإذا أمكنـت الفـر — صـة أجنـي وأتـوب[1]

(١) هكذا في الأصل البيتان بالواو، وقد سبقهما المطلع، ويتلوهم أبياتاً أخر انتهى.

بـــل عفـــاف وبمـــدحـــي سعـــد تنجـــاب الخطـــوب
الشـــريـــف الهـــاشمـــي الـ ـحسنـــي النـــدب الأريـــب
سيّـــد تمـــدحـــه اللسّـ ـــن وتهـــواه القلـــوب
شمـــس أفضـــال وفضـــل مـــا لهـــا قـــط غـــروب
غـــوث مـــن نـــادى وغيـــث منـــه نـــادينـــا خصيـــب
طبعـــه لمـــال بـــذا ل ولـــلأعـــدا عطـــوب
كفـــه فـــاض عـــن القطـــر وعـــن بحـــر ينـــوب
ولقـــد نـــال عطـــايـــا ه بعيـــد وقـــريـــبُ
ملـــك تـــزهـــو بـــه الـــدنيـــا شمـــال وجنـــوب

وله من الدو بيت:

الخـدّ نقـي الـورد مـا فيـه نبـات والثغـر شهـيّ الـورد مـا فيـه نبـات
هل يسمح بالوصل لصبّ دنف بالرغم عن الحسود يوماً ونبات

وله:

وقـائلـة تشعـث حـال بختـك فقلـت نعـم تشعـث مثـل تختـي
فـإصـلاحـي لحـال التخـت سهـل وإن الشـأن فـي إصـلاح بختـي

وله من الدو بيت:

القلـبُ مـن الـزفيـر مـن وجـدي حـار والـدّمـع مـن العيـون أجـريـت بحـار
والمغـرم فـي عشـق جمـالـك قـد حـار مـا حيلـة مـن فـي شـرك القـانـص حـار

أقول والدوبيت أول من اخترعه الفرس ونظموه بلغتهم، ومعناه بيتان، ويقال له الرباعي لأربعة مصاريعه، وقد اشتهر بإعجام داله، وهو تصحيف، وهو ثلاثة أقسام يكون بأربع قواف، كالمواليات، وأعرج بثلاث قواف، ومردوفاً بأربع أيضاً، وكله على وزن واحد، وقد نظم فيه الشعراء قديماً وحديثاً ومما يستجاد منه قول بعضهم:

عينـي نظـرت لنحـو شـاطـىء بـرداً ظبيـاً نظـم الحسـن بفيـه بـردا
يـا مـن بصـد ودّه رمـانـي بـردى لـو تسمـح لـي لهيـب قلبـي بـردا

ومن شعره قوله في غلام قط الشمعة فانطفأت:

دنـا شـادن مـن شمعـة ليقطّهـا وأنوار خدّيه بدت صبغة الباري
أراد يقـط الـرأس منهـا فـأخمـدت ومـن عـادة الأنـوار تخمـد للنـار

وكتب إلى جدّي الأستاذ العارف الشيخ مراد قدس سره بقوله:

لمـا تـركـت لـه المـراد ... غـدوت محبـوبـاً مـرادْ
وفـرغـت منـك ومـا تـريـد ... فصـرت مخطـوبـاً تـراد
ورتعـت فيـاح الـرضـى ... فـي الكـون رائـد مـا أراد
صـرفـت فيـه خليفـة ... عنـد بـه فـرداً أحـاد
يـا وارثـاً هـدى أحمـد ... فـي الفـرق أو فـي الاتحـاد
يـا عيـن هـذا الـوقـت شيـخ ... الكـل يـا شيخـي مـراد
هـذا علـي القـادري ... يـرجـو الهـدى مـن خيـر هـاد
وأنْ يكـون بخـاطـر الـ ... ـمـولـى مقيـم بـلا ارتـداد
حـاشـاك ردّ الطـالبيـن ... المقفـريـن مـن الـرشـاد
فـاسـم لأربـاب القلـو ... ب هنـا وفـي يـوم المعـاد

وقال متغزلاً بحماة ومعارضاً بها قصيدة ابن حجة الحموي بقصيدة وهي:

سقـاك حمـاة الشـام مغـدودق القطـر ... عهـاداً تـلا الـوسمـي أحلـى مـن القطـرِ
ومـا حطّهـا قـولـي حمـاة لأنهـا ... عـروستهـا فـي شـاهـد الحسـن والعطـر

أقول: قوله (وما حطّها قولي حماة إلخ) هذا المعنى مسبوق في قول من قال ممتدحاً دمشق:

قـاسـوا حمـاة بجلّـق فـأجبتهـم ... هـذا قيـاس بـاطـل وحيـاتكـمْ
فعـروسنـا مـا مثلهـا فـي شـامنـا ... شتّـان بيـن عـروسنـا وحمـاتكـمْ

ومراده بالعروس منارة الجامع الأموي بدمشق لشهرتها بهذا الاسم وفي ذلك قول ابن جبير وهو:

معبـد الشـام يجمـع النـاس طـراً ... وإليـه شـوقـاً تميـل النفـوسُ
كيـف لا يجمـع الـورى وهـو بيـت ... فيـه تجلّـى علـى الـدوام العـروس

وللشاب الظريف:

فـديـت مـؤذنـاً تصبـو إليـه ... بجـامـع جلّـق منـا النفـوسُ
يطيـر النسـر مـن شـوق إليـه ... وتهـوى أنْ تعـانقـه العـروس

عوداً:

هـي الشـامـة الشمّـاء فـي خـدّ شـامنـا ... هـي الغـرّة الغـرّاء فـي جبهـة القطـرِ
هـي الحلّـة الفيحـاء مخضـرّة الـربـا ... هـي الـروضـة الغنّـاء زاهيـة الـزهـر
أتيـه بهـا فخـراً علـى سـائـر الـدنـا ... بـأشيـاء لـم تـوجـد بشـام ولا مصـر

فغيضاتها جنات عدن تزخرفت — ألم تنظر الأنهار من حولها تجري
فما رأت الراؤون كالبركة التي — تكنفها الجسران باليمن واليسر
كذا الجامع الغربي في غربها بدا — يقابل في إشراقه ساطع الفجر
يناظره من جانب الشرق بقعة — وزاوية في الأوج عالية القدر
تفوق على ذات العماد برونق — بإيوان كسرى والخورنق كم تزري
مراتع غزلان وخدر خرائد — ومطلع أنوار الغزالة والبدر
كذا الشرفة العلياء والخضرة التي — لسالوسها تلقاك باليسر والبشر
ألا فاضْرب الأسداس بالخمسة التي — بها تضرب الأمثال مع بيدر العشر
ترى عجباً دان النّهي لعجابه — وعاد لطيش أشبه الناس بالعمر
جزيرة باب النهر والجسر لو رأى — على لغى ذكر الرّصافة والجسر
كان عيون الزهر في جنباتها — يواقيت درٌّ أو درار من الزهر
كان التفاف النهر لص مخاتل — يحاول أخذ الهمِّ من محرز الفكر
نواعيرها تشدو بكل غريبة — فتغنّى عن العيدان والناي والزمرِ
تجاوبها الأطيار من كل جانب — بتغريد تفريد بتلحينها الجهر
فترقص بأنات الرياض وسروها — بحسن قدود في غلائلها الخضر
يرنحها في ميلها واعتدالها — وتردادها فوج النسيم إذا يسري
ينقطها كفّ الغمام بلؤلؤ — يروقك حسناً في النظام وفي النثر
فلو كان جيش الهمِّ والغمِّ غائراً — تبدل أفراحاً وصار إلى الصدر
رعى الله أياماً مضت في رِباعها — فما كان أهنأها ولو عن ما لقصر
أجرّ بها ذيل الشبيبة ضافياً — بخلع عذاري قبل نابتة العذر
وشرخ الصبا في عنفوان شبابه — وريق وعيش المرء في صبوة العمر
مع الأهيف الفتّان كالبدر طلعةٍ — وكالورد منه الخدّ والريق كالخمر
وكالأشمر الخطي مَدّاً مُهَفْهَفاً — وكالحقف دعصاً موهناً دقة الخصر
يدير عن الأقداح أحداق جؤذر — بما وبما يلقيه من لفظة سكري
ويثني بكاسيات الثغور فتحتسي — لراح اللّما والقرقف العذب الخصر
بغفلة واشٍ والرقيب وحاسدي — تواصلنا اللّذات في هجعة الدهر
إلى أنْ بدا وخط المشيب بلمتي — ونبّهني سرّاً وأنذر بالجهر
فهفي على وقت تقضي بقربهم — وطيب زمان مرّ مع دمية القصر
واهاً وواهاً لو تفيد لقائل — ‹لكرَّرها لكن جمراً على جمر
أيا جرتي يا أهل ودّي وبغْيتي — فلا تجنحوا بعد التّعاهد للغدر
ولا تنكروا ما بيننا من مودّة — فحبي لكم ما دمتُ حياً وفي القبر

مقيم على القادري على الوفا	فكونوا كما شئتم سوى الصد والهجر

ولما أخذت النصارى بنو الأصفر بلغراد، واستردّها مصطفى باشا الوزير الجليل الشهير بابن الكپريلي الصدر الأعظم، كتب إليه المترجم بهذه القصيدة مهنيّاً له ومطلعها:

تنفس الدهر والعيش الكدور صفا	والوقت طاب فأسدى للنفوس صفا
وأصبح الكون منه الثغر مبتسما	يجلي نضير عروس زانها صلفا
أضحى الزمان جديداً مثل عادته	في أعصر الراشدين السادة الخلفا
قسط وعدل وإنصاف وأمن على	دمٍ ودينٍ ومالٍ لات حين جفا
من بعد هول وأرجاف وبؤس لسى	والخطب عمّ عوام الناس والشرفا
وصال صائل أهل الشرك مشتملاً	بلامة البغي والعدوان ملتحفا
غرورهم غرّهم والغدر أوغلهم	فجاوز الحدّ جيش الخزي مُذْ رجفا
عَتَوْا عتُوّاً شديداً في الديار وقد	عاثوا فساداً ومالوا ميلة العرفا
نفوسهم حدثتهم بالمحال لمّا	ظنّوا بقاء ظلام الكفر منعكفا
وإنْ ما اختلسوا بالغدر من نشب	يبقى لهم خولاً هيهات بل أسفا
وما دروا أنّ شمس الدين أشرق من	مطالع العزّ يمحو نوره السدفا
إذ جاؤوا من فوقنا جهراً وأسفلنا	ومن أمام ومن إيماننا وقفا
وزاغت أبصار أهل الدين وارتبكوا	وزلزلوا جزعاً والشهم ما وقفا
قلوبهم بلغت أدنى محاجرهم	والظنُّ شاء وزال الصبر وانصرفا
وأكثر القوم من أهل النّفاق ومن	والاهم وأذاعوا العجز والضعفا
فثبّت الله منّا عصبة صدقت	بمصطفى الصدر محيي عدل من سلفا
مجدّد الوقت حامي الدين من شعث	مؤثل المجد شاد العزّ والشرفا
بالعلم والحلم والرأي السديد وبالـ	ـتقوى وبالعزم في حزم وحسن وفا
أرخى العساكر تترى كالسحاب لها	رعد وبرق لأبصار العدّ أخطفا
أبطال صبر وفي يوم الكفاح إذا	ما قابل الشخص نفس الموت ما انحرفا
لبوسهم نسج داود لبأسهم	مفاضة سابغات من دلاص ضفا
في البحر نون وهم في البر قسْوَرة	وفي الجبال نسور لا تخاف حفا
على سوابح تجري كالنسيم ترى	عين الحمية أقصى شاؤها أزفا
أو كالسهام إذا الراعي يفوقها	بشدّة العزم لما تقصد الهدفا
صوافن ضمر في الكرّ عادتها	تدكّ صمّ الرواسي دكها الحذفا
ألقى من الرعب في قلب العدا فغدا	أنكى من العسكر الجرّار مرتجفا
ردّ النصارى على الأعقاب ناكصة	ومن توقف منهم هامه نقفا
وحكم البيض في أجسادهم فصلت	حكم القضا فأبانوا الرأس والكتفا

حتى إذا أثخن الطاغين جملتهم شدّ الوثاق على الباقين وانعطفا
يقفو لآثار من فرّوا فيدركهم قتلى وأسرى إلى أنْ عمرهم كشفا

وله من بحر السلسلة:

يا بدر سماء له إلا زرة أفلاك خلجان دموعي غدت مشارع أفلاكْ
يا واحد حسن ويا فريد تثن توحيد هوى الصب لا يشان بإشراك
يا أحور لحظ سطا بأسمر قد يا أحمر خدٌّ أما ترق لمضناك
غرار صباح الجبين غرّ محباً بالهجر وبالبعد والصدود من أغراك
من وجهك شكري ومن لحاظك سكري يا شغلة فكري جعلت قوتي ذكراك
يا بدر ففي القلب قد حلّلت مقيماً قل لي فلماذا حدت عن الطرف بمسراك
هل كان ملالاً لمن تركت خيالاً أم حسنك تيهاً بقتل صبّك أفتاك
عطفاً بمحب يفوق عامر قيس لولاك لما هام في المحبّة لولاك
ضنيت بري وفُقْت حاتم طي رفقاً بعليّ غدا يؤمل رحماك
إن أومض برق من الغوير ونجد يرتاح فؤادي بشبه برق ثناياك
أو غرد ورقّ على منابر أيك يزداد غرامي إلى لقاك ولقياك

وقال:

ضحك الروض من بكاء الغمام وعن النور فضّ ختم الكمامِ
والرياض اكتست مطارف وشي نسجتها أكفّ سحب كرام
نثرت في الربا يواقيت زهر فاقت الزهر في اتساق النظام
من أقاحٍ وأقحوان وبان بان عن جمعها بحسن القوام
شقّ قلب الشقيق حرقة غيظ مُذ رأى في الأقاح ثغر ابتسام
خضب الورد خدّه خجلاً من حدق النرجس الصحاح السقام
واستعار البهار لون محب وجلا من غيمة النمام
زاد حنق البنفسج أزرق إذْ كا ن حسود النشر عرف الخزام
من أيادي المنثور يثني أيادي زنبق الروض ناشر الأعلام
رقص الدوح صفّ الماء لما شبّب الريح أطيب الأنغام
رقى لورق منبر الأيك يتلو وتخط الأغصان بالأقلام
فوق طرس النهر الصقيل سطوراً أعربت أعجمت بنقط الغمام
دولة العمر في أوان التصابي مثل فصل الربيع في الأعوام
فيك يا دار لذّ خلع عذاري ليس للعيش لذة باكتتام
نزّه الطرف في بديع ربيع وأعط للنّفس حقّها بالتمام

واختلس في الزمان صفو شباب ... قبل بدء المشيب والانهرام
وانتهز فرصة ليوم سرور ... فالليالي حوامل بالجسام
والق سمعاً إلى سماع مناغ ... عندليب وبلبل وحمام
والشحار يرو القماري وسن ... حركت في الحشا سكون غرامي
روح الروح في الصبوح براح ... واغتبق في الغبوق بنت مدام
واجتلى الشمس في حلى حباب ... من يد البدر في دياجي الظلام
بغية العاشقين روداً ومردا ... ذات حلي تحلو بزي غلام
من هوى الخرد الحسان هواني ... وغريمي فيهنّ كان غرامي
وشجاني فواتر الأجفان ... ورحيق بريقهن مرامي
وأغاني الغيد الغواني غواني ... ومعاني صوت المثاني زمامي
من صدأ العود إنْ قضيت فبالنّفْـ ... ـخ بناي الرخيم كان قيامي
وإذا ما تعاظمت هفواتي ... حَسن ظنّي المآل دار السلام
واعتمادي على شفيع البرايا ... سيد العالمين ذخر الأنام

وقال في ليلة دعاه فيها الشريف الأجل الصنديد سعد عروض قصيدة المتنبي:

أهلاً بدار دعاك سيّدها ... وساهمك بالنعيم أسعدها
بليلة لو تسام في عوض ... وكانت الروح كنت أنقدها
بات حبيبي بها ينادمني ... وغاب واشٍ وبان حسدها
في روضة خلتها الجنان بدت ... ولدانها واحتجبن خردها
وراء ستر يروق منظره ... امنع حجب الدنيا وارصدها
غنّى من الغيد كل غانية ... تكاد شمس النّهار تعبدها
إذا شدت قلت إنّ نغمتها ... من مارد أو دان تزودها
يلعبن بالدفّ والكمنج وبالطنبو ... ر والكلّ منها تخمدها
تألّفت آلة السماع من الأصـ ... ـوات منهنّ لن تفردها
كأنّ ألبابنا لها لعب ... تعدمها تارة وتوجدها
ما صيخ سمع إلى السماع كما ... لنغمة غادة تغردها
لو كان إسحق حاضر الزرى ... غنّاه قطعاً وهان معبدها
دارت بدور السقاة مطلعها ... أطالس والقلوب مرصدها
مناطق الخصر إنْ شكت قلقاً ... رديف أردافهم يرفدها
وأعين كالمها إذا نظرت ... كلم قلب الشجي مهنّدها
هاروت من سحرها غدا وجلا ... ينفث في عقدة يعقدها
تقوست فوقها حواجبها ... أهدابها نبلها وأعودها

ووجنـــــات تظنّهـــا لهبـــاً ... مـاء الصبـا في الخـدود يـوقـدهـا
مـن أشنـب العـس وريقتـه ... أحلـى سـلاف صفـا وأبـردهـا
مبتسـم الثغـر عـن سنـا درر ... مـن الثنـايـا زهـا تنضـدهـا
وجـؤذر أو طـف حـلا كحـلاً ... وجـؤذر الإنسـان أجـودهـا
تـديـر مـن قهـوة يمـانيـة ... عـرف شـذاهـا زكـا ومـوردهـا
علـى أسـاريـع مـن نعـومتهـا ... ولينـة اللّمـس كـدتُّ أعقـدهـا
وتنثنـي فـي كـؤوس أشـربـة ... فـروعهـا نـوعـت ومحتـدهـا
يفـديهـم الـروح لا أمـن فمـا ... طـارف مـا فـي يـدي وتـالـدهـا
يـا ليلـة لـن يشيبهـا كـدر ... ألا بـروق الصبـاح تـرعـدهـا
قـد أذكـرت حضـرة مقـدسـة ... صحـت أحـاديثهـا ومسنـدهـا
تفـدي ليـالـي الـزمـان ليلتنـا ... وتفـد سيـد الـدنيـا وسيـدهـا
فخـر ملـوك الـدنـا وأشـرفهـا ... وعيـن أعيـانهـا وأمجـدهـا
بـه ليـالـي الـدهـور مشـرقـة ... تـروق أيـامهـا وأعيـدهـا
دام بعـز سعـود طـالعـه ... إلـى قـران النحـوس يسعـدهـا

ومن شعره قوله:

تـأنّ ولا تعجـل بمـا أنـت بـاغيـاً ... وكـن لازمـاً للعـدل لا تـكُ بـاغيـا
وجـازي لمـن أسـدى جميـلاً بمثلـه ... وسيئـة فـأجـز الـذي كـان مـوسيـا
ولِـنْ جـانبـاً للخـلِّ وازْعَ وداده ... ووفِّ بمكيـال الـذي كـان وافيـا
ورغ عنـد رواغ وزغ عنـد زائـغ ... مـع المستقيـم العـدل كـن متسـاويـا
تحلّـى بحسـن الخُلُـقِ للخَلْـقِ كلّهـم ... وكـن سهـلاً صعبـاً نفـوراً مـواتيـا
ودار جميـع النـاس مـا دمـتَ بينهـم ... وكـنْ تـابعـاً حقّـاً بثيّـاً مـداريـا
تحمّـل لجـور الجـار وازْعِ جـواره ... وصـل لـذوي الأرحـام واجْـف المجـافيـا
وكـنْ بـالـه النـاس ظنّـك محسنـا ... وبـالنـاس سـوءُ الظـنّ دومـاً مـراعيـا
ولا تغتـرر بـالهـشِّ والبـش مـن فتـى ... وحفـظ وليـنِ مثـل مـسّ الأفـاعيـا
لتعلـم أنّ النـاس لا خيـر فيهـم ... ولا بـدّ منهـم فـالتبسهـم مـزاويـا
متـى مـا صـددت المـرء عنـد هـوائـه ... جهـاراً وسـراً عُـدَّ ذاك معـاديـا
وإنْ تبـذ يـومـاً بـالنصيحـة لامـرىء ... بتهمتـه إيّـاك كـان مجـازيـاً
وإنْ تتحلـى بـالسخـا وسمـاحـة ... يقـولـوا سفيـه أخـرق ليـس واعيـا
وإنْ أمسكـت كفّـاك حـال ضـرورة ... يقـولـوا شحيـح ممسـك لا مـواسيـا
وإن ظهـرت مـن فيـك ينبـوع حكمـة ... يقـولـون مهـذاراً بـذيـاً مبـاهيـا
وعـن كـل مـا لا يعْـنِ إنْ تـك تـاركـاً ... يقـولـون عـن عـي مـن العجـز صـاغيـا

وإن كنت مقداماً لكل ملمة يقولوا عجول طائش العقل واهيا
وإن تتغاضى عن جهالة ناقص يعدوك خواراً جباناً ولاهيا
وإن تقاصى عنهم نحو عزلة يعدوك من كبر وتيه مجافيا
وإن تتدانى منهم لتآلف يعدوك خداعاً دهاء مرائيا
ترى الظلم فيهم كامناً في نفوسهم كذا غدرهم في طبعهم متوريا
ففي قوة الإنسان يظهر ظلمه وفي عجزه يبقى كما كان خافيا
وهيهات تسلم سن غوائل فعلهم وأقواهم مهما تكنْ متحاشيا
فمن رام يرضي الخلق في كل فعله وفي قوله للمستحيل معانيا
فمن ذا الذي أرضى الأنام جميعهم رسولاً نبيّاً أمْ وليّاً وواليا
وأعظم من ذا خالق الخلق هل ترى جميع الورى في قسمة منه راضيا
إذا كان ربّ الخلق لم يرض خلعة فكيف بمخلوق رضاهم مراجيا
فلازم رضى ربّ العباد إذاً ولا تبال بمخلوق إذا كنت زاكيا
وسدد وقارب ما استطعت فإنما يكلف عبد فعل ما كان قاويا[1]
ولله فاضرع بالدعا متوسلاً بخير الورى المبعوث للخلق هاديا
ينجيك من شر العباد وكيدهم ومن مكرهم ما دمت حيّاً وباقيا
واستنفر الرّحمن لي عائذاً به أكن من شرار الجنِّ والإنس ناجيا

وله غير ذلك من الشعر المعجب وكانت وفاته بحماة في يوم الخميس ثامن ذي القعدة سنة ثلاث عشرة ومائة وألف رحمه الله تعالى ودفن في الزاوية الفوقانية بتربة مشايخ السجادة القادرية أسلافه في حماه رحمهم الله أجمعين.

السيد علي الإسكندري:

٥٢٣ ـ السيد علي الإسكندري نزيل طرابلس الشام، الشيخ الإمام الفاضل: كان ناظماً ناثراً، له معرفة كاملة في وجوه القراءات مع فصاحة في اللسان، وضبط في التأدية والقراءة، وحفظ متين، ولم يعهد له لحن في قراءته وخطأ في كتابته، ونظم ونثر كثيراً، ومع فضله الزائد كان في منزله الخمول قاعد، وفي آخر عمره قيّده الكبر بقيد الفكر، فلزم بالسكوت داره، إلى أنْ توفي، وكانت وفاته في طرابلس سنة تسع وستين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

علي البدري:

٥٢٤ ـ علي البدري شيخ القراءات والقراء بالديار المصرية، الشيخ الإمام المقري العالم العامل النحرير: كانت له اليد الطولى في سائر العلوم، محيطاً بمنطوقها والمفهوم،

(١) قاوياً: آخذاً.

أخذ فن القراءات عن العلامة أحد الإسقاطي الحنفي، وهو عن أبي النور علي الزيات الدمياطي، وهو عن شيخ الشيوخ سلطان المزاحي، وكان صاحب الترجمة في غاية من الإتقان في القراءات، لم تر الأعين ولم تسمع الآذان بمحقق مثله في القراءات وغيرها، بحيث يقري في رواق المغاربة والأروام بعد الظهر من طريق السبع، والعشر، والأربعة عشر، من طريق الشاطبية، والدّرة والطيبة والقباقبية من غير مراجعة ولا تأمّل، مع الاعتماد التام على ما حرّره في النشر وبقية العلوم، يقريها صبيحة كل يوم، وأخذ بقية العلوم على الجمال عبدالله بن محمد الشبراوي، والفاضل السيواسي، وانتفعبه الجم الغفير، مع التواضع الذي لم يسمع بمثله، وكانت وفاته سنة تسعين ومائة وألف بتقديم التاء رحمه الله تعالى.

علي الطيان:

٥٢٥ ـ علي المعروف بالطيّان، النحلاوي الشافعي الدمشقي، الشيخ الصالح الصوفي الخير المثابر على طاعات الله تعالى: ولد في سنة سبعين وألف، وأخذ طريقة الصوفية على جماعة، منهم الولي المربي السيد موسى الصمادي، ولبس منه الخرقة، ومنهم الولي العارف الشيخ محمد بن عبد الهادي العمري، ومنهم العلامة البركة السيد حسن المنير، وأخذ العلم عن جماعة من الشيوخ في فنون عديدة، كالفقه وأصوله والفرائض والمصطلح، وكان لا ينفكّ عن طلب العلم وحضور الدروس، مع الديانة والصيانة وطهارة اللسان، وناب مدة عن الشيخ محمد الغزي مفتي الشافعية بدمشق بإمامة الصلاة الأولى بمحراب الشافعية بالجامع الأموي، وتوفّي ليلة الأربعاء خامس عشر شوّال سنة خمسين ومائة وألف ودفن بتربة باب الصغير رحمه الله تعالى.

علي الغلامي الموصلي:

٥٢٦ ـ علي الغلامي الموصلي مفتي السادة الشافعية بالموصل، صاحب الفتاوى الظريفة، وعارف أسرار فنون الأدب اللّطيفة، ومحرز قصب البلاغة والأدب والفصاحة والخطب، له خبرة وافرة وبصيرة حاذقة بأمور الفتاوى وأحكام الدعاوى: دخل حلب سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف، وتولّى الفتوى سنة أربع وأربعين، وله شعر لطيف منه قوله مضمناً أبيات السموأل:

تقول فتاة الحي وهي تلومني ... أمالك عن دار الهوان رحيلُ
فإنّ عناء المستنيم إلى الأذى ... بحيث يذلّ الأكرمين طويل
فثب وثبة فيها المنايا أو المنى ... فكلّ محبّ للحياة ذليل
فإنْ لم تطقها فاعتصم بابن حرة ... لهمته فوق السماك مقيل
يعين على الجلى ويستمطر الندى ... على ساعة فيها النوال قليل
فقلت ومن ذا فارشديني فإنّني ... إلى مثله بادي الركاب عجول
فقالت أمين غصن جرثومة السخا ... ألوف العطا للمكرمات فعول

تدرع ثوب المجد والحكم يافعاً فحطت شباب دونه وكهول
له الهمّة القعساء والرتبة التي تعزّ على من رامها وتطول

وهي طويلة، وله غير ذلك من الأشعار، ولم أتحقق وفاته في أي سنة كانت رحمه الله تعالى آمين.

علي الأطفيحي:

٥٢٧ ـ علي الأطفيحي الشافعي المصري، الشهير بقايتباي، وإنما عُرف به لسكناه بمدفن الملك الأشرف قايتباي، الشيخ الإمام العالم النحرير الدرّاكة الفقيه الأصولي النحوي أبو الحسن نور الدين: أخذ عن جملة من الشيوخ، وتفقّه على الشيخ عبد ربه الديوي، والشهاب أحمد ابن الفقيه، وسمع الحديث على الشمس محمد الشرنبابلي وغيرهم، وتصدّر بالأزهر ودرّس، وكثر النفع به، ومن كبار الآخذين عنه أبو الصلاح أحمد بن موسى العروسي وغيره، وكان فرداً من أفراد العالم فضلاً وذكاء ونبلاً، وكانت وفاته بمصر في حدود الثمانين ومائة وألف رحمه الله تعالى ورحم من مات من المسلمين.

علي التونسي:

٥٢٨ ـ علي التونسي نزيل مصر المالكي شيخ رواق المغاربة بالجامع الأزهر، الشيخ الإمام العالم العلامة الأوحد البارع النحرير المفنن أبو الحسن علاء الدين: قدم من بلدته تونس إلى مصر، ودخل الجامع الأزهر واشتغل بالعلم، وأخذ عن النجم محمد بن سالم الحفني، وأخيه الجمال يوسف الحفني، والشهاب أحمد بن عبد الفتاح الملّوي، والشريف السيد محمد البليدي، وحقّق وأفاد فأجاد، ثم إنّه رحل إلى الحرمين وجاور، وأخذ عن علمائها، ثم إنّه رجع إلى القاهرة ودرس بها، واجتمعت عليه الأفاضل، وله من التآليف شرح على رسالة راغب باشا الوزر في العروض، وله تحريرات كثيرة غير ذلك، وبالجملة فهو من أكابر العلماء المنوّه بهم، وكانت وفاته سنة تسعين ومائة وألف رحمه الله تعالى ومن مات من المسلمين آمين.

علي الأسمر:

٥٢٩ ـ علي الأسمر الإسكندري المالكي، الشيخ العالم العامل الأوحد الفقيه البارع أبو الفضل نجيب الدين: كان كل سنة يأتي من إسكندرية بعد عيد الفطر إلى الجامع الأزهر يدرس به، ثم يرجع إلى بلده في أول الثلاثة أشهر، توفّي سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

عز الدين الحمصي:

٥٣٠ ـ عز الدين ابن خليفة الحنفي الحمصي نزيل دمشق، الشيخ العلامة المفنّن المدقق النحوي أصله من حمص: وقدم إلى دمشق طالباً للعلوم، وخدم في صباه في

المدرسة السميساطية، وبعد ذلك شرع في طلب العلم واجتهد ودأب وحصّل، فمن مشايخه العلامة الشيخ إبراهيم بن منصور الفتال، والفقيه الكبير الشيخ علاء الدين الحصكفي، والعالم التقي الشيخ حمزة الدومي، والأستاذ الشيخ محمد بن بلبان الصالحي، والعلامة الشيخ عثمان القطان، والمحقق الشيخ نجم الدين الفرضي، والشيخ عبد الباقي الحنبلي، وولده الشيخ أبو المواهب الحنبلي، وكلاهما عالمان عاملان، والمحدث الشيخ يحيى المغربي الشاوي، وأعاد دروس الشمية للعالم المولى السيد الشريف محمد العجلاني نقيب الأشراف بدمشق، وكذلك أعاد دروس العالم الشيخ إسماعيل المحاسني الإمام والخطيب بالأموي في المدرسة الجوهرية، وأقرأ في الجامع الأموي في النحو وغيره، وترددت إليه الطلبة، وأمّ بمحراب المقصورة مدة عن بني محاسن، وذهب إلى قسطنطينية في الروم، ووجّهت عليه المدرسة اليونسية بعد وفاة شيخه الدومي، وكانت عليه وظائف وغيرها، وكان مجاوراً في المدرسة السميساطية، ولم يتزوّج قط إلى أنْ مات، وبالجملة فقد كان من الفضلاء المنوّه[1] بهم، وكانت وفاته في دمشق في ربيع الأول سنة تسع وعشرين ومائة وألف، ودفن بتربة مرج الدحداح رحمه الله تعالى.

علاء الدين العذراوي:

٥٣١ ـ علاء الدين ابن السيد عبد اللطيف بن علاء الدين أحمد بن إبراهيم الحسيني القادري الشافعي العذراوي، ثم الدمشقي، الشيخ العلامة الفهامة الفاضل الكامل الحسيب النسيب: أخذ وقرأ على جماعة في مصر، وكان رفيقاً في الطلب للعالم الشيخ محمد الديري نزيل دمشق الآتي ذكره في محله، وكان المترجم من الملازمين للإفادة للطلاب، وانتفع به الجم الغفير، ودرّس بالجامع الأموي، وفي المدرسة الباذرائية، ورحل إلى الروم إلى قسطنطينية، فصارت له نقابة الأشراف بحماة، وكان يخطب في دمشق في جامع السادات بالقرب من باب الجابية، وبالجملة فقد كان من الأفاضل العاملين، وكانت وفاته في سنة اثنين وستين ومائة وألف، ودفن بتربة مرج الدحداح رحمه الله تعالى.

عليم الله الهندي:

٥٣٢ ـ عليم الله بن عبد الرشيد العباسي النسب الحنفي النقشبندي اللاهوري الهندي نزيل دمشق: أحد العارفين الأخيار، وزبدة الأساتذة أولى العوارف والمعارف الكبار، كان شيخاً عالماً محققاً مدققاً فاضلاً عارفاً صوفياً، له اليد الطولى في العلوم والتحقيق من

---

(١) المنوّه: من التنويه. يقال. نوّهه ونوه به إذا دعاه، يعني يرفع الصوت كذا، يقال: نوّه فلاناً إذا رفعه، يعني بالتعريف والتطيير، فأقول: إنّ أقباط مصر يذكرون في مكاتيبهمكلمة المنوّه في مقام المومى إليه، (المشار إليه) كذا يستعملون لفظة حينئذ في محرراتهم، وإنما يقرأ صيارف قرأها حينئذٍ بصيغة التصغير، لأنهم يظنّون حينئذ من الحنذ وهم لا يفرقون السميذ من الحنيذ انتهى.

منطوقها ومفهومها، مع المعارف الإلٓهية، بشوشاً متواضعاً، حسن الأخلاق، معتقداً عند الخاص والعام، تقيّاً صالحاً ناجحاً فالحاً، سالكاً مسلك السادة على قدم الصدق والعبادة، قرأ وأخذ على مشايخ أجلّاء في بلاده في الهند، كالعلامة الشهير العارف الشيخ شاه نصر الحق القادري، قرأ عليه النحو والصرف وبعض المنطق، ومنهم شيخ التحقيق المدقق المصنف الشيخ أبو الفتح محمد فاضل القادري، فإنّه لازم دروسه مدة تزيد على سبع سنين، واستفاد من علومه وحصلت له بركاته ونفحاته وأنفاسه، ومنهم إنسان عين الأبرار الشيخ محمد أفضل شاه يوربي المنطقي، قرأ عليه العلوم العقلية كالمنطق والفلسفة كشرح الشمسية للقطب الرازي، وحاشية السيد الشريف الجرجاني، وحاشية المنلا عبد الحكيم السلكوتي، وشرح التهذيب للمولى جلال الدين الدواني، مع حاشية الحكيم الفيلسوف ميرزا زاهد الهروي، ومنهم الكبير الشهير الشيخ عبد الكريم الأويسي، قرأ عليه كتاب المثنوي المعنوي، وله مشايخ غيرهم من بلاد الهند، ولما حجّ وزار النبيّ ﷺ سمع الحديث وأصوله على العالم المحدث الشيخ محمد حياة السندي نزيل المدينة، وقدم دمشق ثم ارتحل منها إلى قسطنطينية في الروم، ومنها عاد إلى دمشق واستقام متوطناً بها في تكية بمحلة القماحين بالقرب من باب السريجة، وكانت أهالي دمشق وغيرها تعتقده ويحترمونه ويجتمعون عنده، وكانت مجالسه كلّها حسنة ممتزجة بالآداب والفضائل، وإليه تورد أرباب المعارف والآمال والكمل من الناس، مع ما يبديه من اللّطائف ويورده من الفضائل العلمية وغيرها، وكان يسمع الآلات، فكانت تضرب في حضرته مع الإنشاد، وقد سئل المترجم عن حكم سماع الآلات، فأجاب بقوله إنّها لا تحدث شيئاً جديداً في القلب، وإنما تحرّك ما كان كامناً فيه، أقول: وهو جواب صوفي غير أنّي أعجب لجواب العلامة المولى عبد الرحمن العمادي المفتي بدمشق، حين رفع إليه سؤال عن حكم الآلات، فأجاب بقوله: أقول: قد حرّمه من لا يعترض عليه لصدق مقاله، وأباحه من لا ينكر عليه لقوة حاله، فمن وجد في قلبه شيئاً من نور المعرفة فليتقدم، وإلاّ فالوقوف عندما حدّه الشرع الشريف أسلم والله تعالى أعلى وأعلم وأحكم انتهى. أقول: وهذا الجواب عين الصواب، فقد وفّق به بين أهل الظاهر والباطن، ورسالة الأستاذ العارف الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي مشتملةٌ على المباح من ذلك، والمكروه، والحرام من السماع، وسمّاها «إيضاح الدلالات في سماع الآلات» وهي متداولة بين الأيدي، وكان المترجم يقري ويدرس في المكان المزبور، وولي بدمشق تولية المدرسة القيمرية، وأحدث له والدي من زوائد إيراد وقف الجامع الأموي عشرين عثماني، وبعد وفاته وجّهت للعالم الفاضل السيد منصور الحلبي، وكان المترجم يختلي في كل سنة أربعين يوماً في جمع حافل في مقام الأربعين في جبل قاسيون بالصالحية، وكانت له حفدة ومريدون كثيرون، وأخذ عنه أناس لا يحصون عدداً، وبالجملة فقد كان أحد الأخيار العارفين المحققين، وكانت وفاته في دمشق في سنة ست وسبعين ومائة وألف، ودفن في التكية المزبورة رحمه الله تعالى.

عطاء الله الموصلي:

٥٣٣ ـ عطاء الله الموصلي، الشيخ الفاضل الصوفي الأوحد البارع الصالح الكامل: كان بحراً لا ساحل له، وفضاء مجدٍ لا أوّل له، سلك طريقة القوم أتمّ سلوك، وتعاطى فيها الهداية والتقوى والصلاح، وكان يحث الناس على العبادة، وله مآثر لطيفة ومكارم منيفة، وتاب على يده جماعة من الناس، وأخذ الطريق على عدة من المشايخ الكمل، حتى صار أمّة وحده، حُكي عنه أنّه قال: كنت في ساحل عمان أو الهند فرأيت شيخاً أبيض اللّحية، نوراني الشكل، مقبلاً إلينا، فظننتُ أنه أحد الأقطاب، فقمتُ إجلالاً له وقبّلت يده، فقال بعض الحاضرين: يا شيخ هذا رجل مجوسي، فاستغفرتُ الله من تعظيمه وتبجيله، قال: ثم قال: ألا أحدثك بأعجب من ذلك! قلت: ماذا؟ قال: إنّه خنثى ذو آلتين، تزوجّه رجلٌ فولد له، ثم تزوّج امرأة فولد له منها أيضاً، فله صنفان من الأولاد من بطنه وظهره، وحُكي أنّ وصل في سياحته إلى جزيرة واق التي ذكرها في الخريدة، وأنّه أكل من تلك الثمرة، فرأى طعمها كطعم السفرجل، وترجمه بعض أفاضل الموصل فقال: وعاشره شيخنا السيد موسى العالم الأجل، وشهد بحقه في التقدم، وكمال معرفته في لسان القوم وطريقتهم، وأنّه ساح مدة طويلة، ودار الأقطار واجتاب المفاوز والقفار، وذلك في مبدأ أمره، ثم إنّه بعد ذلك صار من أئمة الإرشاد السالكين سبل الهداية والرشاد، واشتهر أمره، ثم إنّه بعد ذلك صار من أئمة الإرشاد السالكين سبل الهداية والرشاد، واشتهر أمره وعلا قدره، ولم يزل على أحسن حالٍ حتى توفّي، وكانت وفاته في الموصل بعد الأربعين والمائة والألف، وقد جاوز حدّ الكهولة وقبره في الموصل ظاهر يُزار.

عطاء الله العاني:

٥٣٤ ـ عطاء الله العاني ثم الحلبي، أمين الفتوى بحلب، الأديب اللوذعي: ترجمه الأمين المحبّي في ذيل نفحته، وقال في وصفه: خلاصة أهل العصر، المجتمع فيه فضائلهم بجميع أدوات الحصر، فهو من جوهر الفضل منتقي، وقدر في درج العلا حتى لم يجد مرتقى، فالكون به متألّق، والأمل بأدبه متعلّق، وله قدم في الأدب عالية، والمسامع بآثاره البهية حالية، تسهل له من البراعة ما تصعب فملكه، وتوضح له من مشكلاتها ما تشعّب حتى سلكه، وقد صحبته في الروم وطريقها في الرجعة، فحمدت الله حيث سهل لي أمر هذه النجعة، فاجتنيت من مفاكهته روضاً أنفاً، وعلقت في جيد أدبي وأذنه قلائد وشنفاً، وأنا وإنْ كنت لم أتعرض في الأصل لذكره، فإنّي لم أكتب عنه شيئاً من تحائف شعره، وقد ورد عليّ الآن له روائع بدائع، فكأنّها من جملة ما كان لي في ذمة الدهر من ودائع، فدونك منها جملة الإحسان، وكأنما دعي الحسن فلبّاه الاستحسان، انتهى مقاله فيه.

وقوله: (لم أتعرض في الأصل إلى آخره) مرادهُ أنّه لم يذكره في النفحة من جملة الأدباء الحلبيين الذين ترجمهم في باب مخصوص في نفحته. ومن شعره قوله:

فــؤاد بــه نــار الغضــا تتــوقّــد وطـرف يـراعـى الفـرقـديـن مسهَّـدْ
ودرّ دمــوع فــي الخــدود منظــم لــه اللـؤلـؤ المنظـوم عقـد مبـدّدْ
ووجـد بسحــار اللّــواحـظ أغيـد يقيـم عـذولـي بـالغـرام ويقعَّـدْ
مـن الـروم رام مـن كنـانـة جفنـه سهــامــاً فبــالله سهـم مســدَّد
يميس بـه غصـن مـن القـدّ أصلـه يكــاد بــأنفــاس الصبــا يتــأوَّدْ
عليـه قلـوب العـاشقيـن تبلبـلاً فتصـدح أحيـانـاً وحينـاً تغـرّد

وله معارضاً قصيدة جعفر ابن الجرموزي التي مطلعها:

مــا غــرّد بلبــلٌ وغنّــى إلاّ أضلنــــي وعنّــــى

بقوله:

عــــاوده وجــــده وحنّـــا وشفّــــه داؤه فــــأنّـــا
وأبـــرز الـــدمـــع بيــن صــب مــن قبـل أنْ كــان مستكنّـا
فعـــاد ظـــنّ الهـــوى يقينـــاً فيـــه وكـــان اليقيـــن ظنّـــا
ويـــلاه مـــن عـــاذل غبـــي قـد لـــج فـي عـذلـه وجنّـا
يســـومنـــي سلـــوة وأنّـــي يسلـو عـن العشـق مـن تعنَّـى
وبـــي مليـــح لـــو لاح ليـــلا لبـــــدره التـــم لاستكنّــــا
غصـــن يعيـــر الغصـــون لينـــا بـــدر يعيـــر البـــدور حسنـــا
إذا تجلّـــى رأيـــت شمســـاً وإن تثنـــي رأيـــت غصنـــا
فـــي كـــل عضـــو تـــرى عيـــوناً عـــواشقـــاً روضـــه الأغنّـــا

وقد ألم بقول قابوس:

خطـرات ذكـرك تستثيـر مـودّتـي وأحسـن منهـا فـي القلـوب دبيبـا
لا عضـو لـي إلاّ وفيـه صبـابـة فكـأنّ أعضـائـي خلقـن قلـوبـا

عوداً:

رشيـــق قـــدّ ثقيـــل ردف يمـــوج حقـــف إذا تثنّـــى
ولـــي غـــرام بـــه قـــديـــم تفنـي الليـالـي وليـس يفنـى
ولســـت وحـــدي بـــه معنـــى كـــل البـــرايـــا بـــه معنّـــى

وله أيضاً:

بمـــواقـــع السحـــر التـــي مـــن نـــاظـــريـــك ضمينهـــا
وفـــواتـــك الحســـن التـــي فـــي وجنتيـــك كمينهـــا
وعـــوامـــل القـــدّ التـــي قلبـــي لـــديـــك طعينهـــا

ألا رَثَيْـــتَ لمغـــرم دامـــي الجفـــون سخينهـــا

وهذا الأسلوب جرى عليه كثير من الشعراء، منهم ابن مغيزل حيث قال:

بمجـاري فلـك الحسـن الـذي فـي وجنـاتِـكْ
وبنـو تيـك علـى خـديّـك مـن غيـر دواتِـكْ
ويمـا تصنـع فـي النـا س بسـاجـي لحظـاتِـكْ
ويمـا أغفلـه الـوا صـف مـن حسـن صفـاتِـكْ
لا تـدعنـي والهـوى يجـرح قلبـي بحيـاتِـكْ

ومن ذلك قول الأديب محمد ابن زين العابدين الجوهري الدمشقي:

بـالـذي أودع لحظيـك حبيـب القلـب حتفـا
وسقـانـي منهمـا كـأ سـاً سريـع السكر صـرفـا
وحبـا خـدّك وردا وحبـا شكلـك ظـرفـا
جُـدْ علـى صـبّ كئيـب ذي أوار ليـس يطفـي

وللألمعي الشهير محمد الحرفوشي من هذا النمط قوله:

بـالـذي أنشـاك فـرداً وكسـا خـدّيـك وردا
والـذي أعطـاك حسنـاً فـات أهـل الحسـن حـدا
والـذي أولـى فـؤادي منـك أعـراضـاً وصـدّا
صـل معنـى فيـك يقضـي اللّيـل تسهيـد أو وجـدا

ومن هذا القبيل أبيات عبد المحسن الصوري المشهورة:

بـالـذي ألهـم تعـذ يبـي ثنـايـاك العـذابـا
والـذي ألبـس خـدّ يـك مـن الـورد نقـابـا
والـذي أسكـن فـي فيـك مـن الشهيـد رضـابـا
والـذي صيّـر حظـي منـك هجـراً واجتنـابـا
يـا غـزالاً صـاد بـاللّحـظ فـؤادي قـاصـايـا
مـا الـذي قـالتـه عينـا ك لقلبـي فـأجـابـا

ومن ذلك قول الماهر الأديب إبراهيم بن محمد السفرجلاني الدمشقي:

بـالـذي فـي العيقـق رصـع درا وجـلا تحـت غيهـب الشعـر بـدرا
والـذي أودع المبـاسـم شهـدا ثـم أجـراه فـي المـراشـف خمـرا
والـذي صيّـر الشقـائـق طـرسـا خـط فيـه مـن البنفسـج سطـرا
والـذي فـي لهيـب خـدّك ألقـى نـد خـال يـربـو علـى النـد نشـرا

والـذي خـصّ ادعجيـك بشـيء ... لـو رآه هـاروت سمّـاه سحـرا
والـذي هـزّ مـن قـوامـك خـوطـا ... يتهـادى مـن الشبيبـة سكـرا
والـذي صـاغ مـن قشـور الـلآلـيء ... لك جسماً من ناعم الخزّ أطرى
والـذي قـد كسـاك حلّـة حسـن ... لستَ منها مـدى زمـانـك تعـرى
والـذي سلـط الجفـون وأمضـى ... حكمهـا فـي القلـوب نهيـاً وأمـرا
مـا الـذي قـالـت العيـون لقلبـي ... قال قالت يا قلب كنْ بي مغرى

وللمترجم:

لـو أنّ أنفـاسـي مـن حـرّهـا ... ممـا بقلبـي مـن هـوى العسِ
قـد خـالطـت لطـف نسيـم الصبا ... مـا شمتـه بـرداً علـى الأنفـس

وهذا ما وصلني من خبره، ولم أتحقق وفاته في أي سنة كانت، غير أنّه من أهل هذه المائة رحمه الله تعالى.

عطية الله الأجهوري:

٥٣٥ ـ عطية الله بن عطية البرهاني القاهري الشافعي، الشهير بالأجهوري، الشيخ الهمام العالم العلامة الحبر البحر الفاضل النحرير الفهامة: أخذ عن الشهاب أحمد ابن عبد الفتاح الملوّي، وعن الشمس محمد العشماوي، والسيد علي العزيز وعن غيرهم، وتصدّر في جامع الأزهر لإقراء الدروس، ووردت عليه الطالبون، وألّف مؤلفات نافعة، منها شرح مختصر السنوسي في المنطق، وحاشية على شرح منظومة في أصول الحديث، وكان علم الفضل المشهور نتيجة الأيام والدهور من لم تسمع الأذان ولم تر العيون بمثل تحقيقاته التي تستوضح الشمس للخاص والدون، مبرزاً للتحقيق على طرف الثُمام، (على وزن غراب، وفي المثل هو على طرف الثمام، لما يوصل إليه من غير مشقة) يأتي كل يوم إلى الجامع الأزهر صبيحة النهار، ويحضر دروس الشمس محمد الحفناوي، ثم بعد الدروس يذهب إلى الرواق الآخذ إلى رواق الريافة. (الجامع الأزهر) هذا الجامع أول مسجد أسس بالقاهرة، والذي أنشأه القائد جوهر الكاتب الصقلي مولى الإمام أبي تميم معد الخليفة أمير المؤمنين المعز لدين الله لما اختطّ القاهرة، وشرع في بناء هذا الجامع في يوم السبت لست بقين من جمادي الأولى سنة تسع وخمسين وثلثمائة، وكمل بناؤه لتسع خلون من شهر رمضان سنة إحدى وستين وثلثمائة، وجمع فيه وكتب بدائر القبة التي في الرواق الأول، وهي على يمنة المحراب والمنبر، ما نصه: بعد البسملة مما أمر ببنائه عبدالله ووليه أبو تميم معد الإمام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الأكرمين، على يد عبده جوهر الكاتب الصقلي، وذلك في سنة ستين وثلثمائة، وأول جمعة جمعت فيه في شهر رمضان لسبع خلون منه سنة إحدى وستين وثلثمائة، ثم إنّ العزيز بالله أبا منصور نزار بن

المعز لدين الله، جدّد فيه أشياء، وفي سنة ثمان وسبعين وثلثمائة سأل الوزير أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس الخليفة العزيز بالله في صلة رزق جماعة من الفقهاء، فأطلق لهم ما يكفي كل واحد منهم من رزق الناض[1]، وأمر لهم بشراء دار وبنائها، فبنيت بجانب الجامع الأزهر، فإذا كان يوم الجمعة حضروا إلى الجامع، وتحلقوا فيه بعد الصلاة إلى أنْ نُصَلّي العصر، وكان لهم أيضاً من مال الوزير صلة في كل سنة، وكانت عدتّهم خمسة وثلاثين رجلاً، وخلع عليهم العزيز يوم عيد الفطر وحملهم على بغلات، ويقال إنّ بهذا الجامع طلسماً فلا يسكنه عصفور ولا يفرخ به، وكذا سائر الطيور من الحمام واليمام وغيره، وهو صورة ثلاثة طيور منقوشة، كل صورة على رأس عمود، فمنها صورتان في مقدم الجامع بالرواق الخامس منهما، وصورة في الجهة الغربية في العمود، وصورة في أحد العمودين اللذين على يسار من استقبل سدة المؤذنين، والصورة الأخرى في الصحن في الأعمدة القبلية مما يلي الشرقية، ثم إنّ الحاكم بأمر الله جدّده ووقف على الجامع الأزهر، وجامع المقس، والجامع الحاكمي، ودار العلم بالقاهرة، رباعاً بمصر، وضمن ذلك كتاباً نسخته: هذا كتاب أشهد قاضي القضاة مالك بن سعيد بن مالك الفارقي على جميع ما نسب إليه، مما ذكر ووصف فيه من حضر من الشهود في مجلس حكمه وقضائه بفسطاط مصر، في شهر رمضان سنة أربعمائة أشهدهم وهو يومئذ قاضي عبدالله، ووليه المنصور أبي علي الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين بن الإمام العزيز بالله صلوات الله عليهما على القاهرة المعزية ومصر والإسكندرية والحرمين حرسهما الله، وأجناد الشام والرقة والرحبة ونواحي المغرب وسائر أعمالهن، وما فتحه الله ويفتحه لأمير المؤمنين من بلاد الشرق والغرب بمحضر رجل متكلم أنّه صحت عنده معرفة المواضع الكاملة، والحصص الشائعة التي يذكر جميع ذلك، ويحدد في هذا الكتاب، وأنها كانت من أملاك الحاكم إلى أنْ حبسها على الجامع الأزهر بالقاهرة المحروسة، والجامع براشدة، والجامع بالمقس اللذين أمر بإنشائهما، وتأسيس بنائهما، وعلى دار الحكمة بالقاهرة المحروسة التي وقفها، والكتب التي فيها قبل تاريخ هذا الكتاب، منها ما يخص الجامع الأزهر، والجامع براشدة، ودار الحكمة بالقاهرة المحروسة، مشاعاً جميع ذلك غير مقسوم، ومنها ما يخصّ الجامع بالمقس على شرائط يجري ذكرها، فمن ذلك ما تصدّق به على الجامع الأزهر بالقاهرة المحروسة، والجامع براشدة ودار الحكمة بالقاهرة المحروسة، جميع الدار المعروفة بدار الضرب، وجميع القيسارية المعروفة بقيسارية الصوف، وجميع الدار المعروفة بدار الخرق الجديدة الذي كله بفسطاط مصر، ومن ذلك ما تصدّق به على جامع المقس جميع أربعة الحوانيت والمنازل التي علوها، والمخزنين الذي ذلك كله بفسطاط مصر بالراية في جانب الغرب من الدار المعروفة كانت بدار الخرق، وهاتان الداران المعروفتان بدار الخرق في

(١) الناض: الدرهم والدينار وبيانه في المصباح.

الموضع المعروف بحمام الفار، ومن ذلك جميع الحصص الشائعة من أربعة الحوانيت المتلاصقة التي بفسطاط مصر بالراية أيضاً بالموضع المعروف بحمام الفار، وتعرف هذه الحوانيت بحصص القيسي بحدود ذلك كله، وأرضه وبنائه وسفله وعلوه وغرفه ومرتفقاته وحوانيته وساحاته وطرقه وممرّاته ومجاري مياهه، وكل حقّ هو له داخل فيه وخارج عنه، وجعل ذلك كله صدقة موقوفة محرمة محبسة بتة بتلة[1] لا يجوز بيعها ولا هبتها ولا تمليكها، باقية على شروطها، جارية على سبلها المعروفة في هذا الكتاب، لا يوهنها تقادم السنين، ولا تغير بحدوث حدث، ولا يستثني فيها، ولا يتأوّل ولا يستفتي بتجدد تحبيسها مدى الأوقات، وتستمر شروطها على اختلاف الحالات حتى يرث الله الأرض والسموات، على أنْ يؤجر ذلك في كل عصر من ينتهي إليه ولايتها، ويرجع إليه أمرها بعد مراقبة الله واجتلاب ما يوفر منفعتها من إشهارها عند ذوي الرغبة في إجارة أمثالها، فيبتدأ من ذلك بعمارة ذلك على حسب المصلحة، وبقاء العين ومرمته من غير إجحاف بما حبس ذلك عليه، وما فضل كان مقسوماً على ستين سهماً، فمن ذلك للجامع الأزهر بالقاهرة المحروسة المذكور في هذا الإشهاد الخمس والثمن ونصف السدس ونصف التسع يصرف ذلك فيما فيه عمارة له ومصلحة، وهو من العين المعزي الوازن ألف دينار واحدة وسبعة وستون ديناراً ونصف دينار، وثمن دينار من ذلك للخطيب بهذا الجامع أربعة وثمانون ديناراً، ومن ذلك الثمن ألف ذراع حصر عبدانية تكون عدة له بحيث لا ينقطع من حصره عند الحاجة إلى ذلك، ومن ذلك لثمن ثلاثة عشر ألف ذراع حصر مظفورة لكسوة هذا الجامع في كل سنة عند الحاجة إليها مائة دينار واحدة وثمانية دنانير، ومن ذلك لثمن ثلاثة قناطير زجاج وفراخها اثنا عشر دينار، ومن ذلك لثمن عود هندي للبخور في شهر رمضان، وأيام الجمع، مع ثمن الكافور والمسك وأجرة الصانع خمسة عشر ديناراً، من ذلك لنصف قنطار شمع بالفلفلي سبعة دنانير، ومن ذلك لكنس هذا الجامع ونقل التراب وخياطة الحصر وثمن الخيط وأجرة الخياطة خمسة دنانير، ومن ذلك لثمن مشاقة لسرج القناديل عن خمسة وعشرين رطلاً بالرطل الفلفلي دينار واحد، ومن ذلك لثمن فحم للبخور عن قنطار واحد بالفلفلي نصف دينار، ومن ذلك لثمن أردبين ملحاً للقناديل ربع دينار، ومن ذلك ما قدر لمؤنة النحاس والسلاسل والتنانير والقباب التي فوق سطح الجامع أربعة وعشرون ديناراً، ومن ذلك لثمن سلب ليف وأربعة أحبل وست دلاء أدم نصف دينار، ومن ذلك لثمن قنطارين خرقاً لمسح القناديل نصف دينار، ومن ذلك لثمن عشر قفاف للخدمة، وعشرة أرطال قنب لتعليق، ولثمن مائتي مكنسة لكنس هذا الجامع دينار واحد وربع دينار، ومن ذلك لثمن أزيار فخار تنصب على المصنع ويصب فيها الماء مع أجرة حملها ثلاثة دنانير،

---

(١) بتلة: يقال صدقة بتلة: أي منقطعة عن صاحبها.

ومن ذلك لثمن زيت وقود هذا الجامع راتب السنة ألف رطل ومائتا رطل مع أجرة الحمل سبعة وثلاثون ديناراً ونصف، ومن ذلك لأرزاق المصلين يعني الأئمة، وهم ثلاثة وأربعة قومة، وخمسة عشر مؤذناً، خمسمائة دينار وسنة وخمسون ديناراً ونصف، ومنها للمصلين لكل رجل منهم ديناران وثلثا دينار وثمن دينار في كل شهر من شهور السنة، والمؤذنون والقومة لكل رجل منهم ديناران في كل شهر، ومن ذلك للمشرف على هذا الجامع في كل سنة أربعة وعشرون ديناراً، ومن ذلك لكنس المصنع بهذا الجامع ونقل ما يخرج منه من الطين والوسخ دينار واحد، ومن ذلك لمرمة ما يحتاج إليه في هذا الجامع في سطحه وأترابه وحياطته، وغير ذلك مما قدّر لكل سنة ستون ديناراً، ومن ذلك لثمن مائة وثمانين حمل تبن ونصف حمل جاريه لعلف رأسي بقر للمصنع الذي لهذا الجامع ثمانية دنانير ونصف وثلث دينار، ومن ذلك للتبن لمخزن يوضع فيه بالقاهرة أربعة دنانير، ومن ذلك لثمن فدّانين قرط لتربيع رأسي البقر المذكورين في السنة سبعة دنانير، ومن ذلك لأجرة متولي العلف وأجرة السقاة والحبال والقواديس وما يجري مجرى ذلك خمسة عشر دينار أو نصف، ومن ذلك لأجرة قيم الميضأة إنْ عملت بهذا الجامع اثنا عشر ديناراً، وإلى هنا انقضى حديث الجامع الأزهر، وأخذ في ذكر جامع راشدة ودار العلم وجامع المقس، ثم ذكر أنّ تنانير الفضة ثلاثة تنانير الفضة وتسعة وثلاثون قنديلاً فضة، فللجامع الأزهر تنوران، وسبعة وعشرون قنديلاً، ومنها لجامع راشدة تنور واثنا عشر قنديلاً، وشرط أنْ تعلّق في شهر رمضان، وتعاد إلى مكان جرت عادتها أنْ تحفظ به، وشرط شروطاً كثيرة في الأوقاف، منها أنّه إذا فضل شيء واجتمع يشتري به ملك فإنْ عاز شيئاً واستهدم ولم يف الريع بعمارته بيع وعمرّ به، وأشياء كثيرة، وحبس فيه أيضاً عدة آدر وقياسر لا فائدة في ذكرها، فإنها مما خربت بمصر، قال ابن عبد الظاهر عن هذا الكتاب: ورأيت منه نسخة، وانتقلت إلى قاضي القضاة تقي الدين ابن رزين، وكان بصدر هذا الجامع في محرابه منطقة فضة كما كان في محراب جامع عمرو بن العاص بمصر، قلع ذلك صلاح الدين يوسف بن أيوب في حادي عشر ربيع الأول سنة تسع وستين وخمسمائة، لأنه كان فيها انتهاء خلفاء الفاطميين، فجاء وزنها خمسة آلاف درهم نقرة، وقلع أيضاً المناطق من بقية الجوامع، ثم إنّ المستنصر جدّد هذا الجامع أيضاً، وجدّده الحافظ لدين الله، وأنشأ فيه مقصوررة لطيفة تجاور الباب الغربي الذي في مقدم الجامع بداخل الرواقات، عرفت بمقصورة فاطمة من أجل أنّ فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها رؤيت بها في المنام، ثم إنّه جدّد في أيام الملك الظاهر بيبرس البندقداري، قال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في كتاب سيرة الملك الظاهر: لما كان يوم الجمعة عشر من ربيع الأول سنة خمس وستين وستمائة أقيمت الجمعة بالجامع الأزهر بالقاهرة، وسبب ذلك أنّ الأمير عز الدين أيدمر الحلى، كان جار هذا الجامع من مدة سنين، فرعى وفقّه الله حرمة الجار، ورأى أنْ يكون كما هو جاره في دار الدنيا إنّه غداً يكون ثوابه جاره في تلك الدار،

ورسم بالنظر في أمره وانتزع له أشياء خصوبة، كان شيء منها في أيدي جماعة، وحاط أموره حتى جمع له شيئاً صالحاً، وجرى الحديث في ذلك، فتبرّع الأمير عز الدن له بجملة مستكثرة من المال الجزيل، وأطلق له من السلطان جملة من المال، وشرع في عمارته، فعمّر الواهي من أركانه وجدرانه وبيضه، وأصلح سقوفه وبلّطه وفرّشه وكساه، حتى عاد حرماً في وسط المدينة، واستجد به مقصورة حسنة، وآثر فيه آثاراً صالحة يثيبه الله عليها، وعمل الأمير بيليك الخزينة دار فيه مقصورة كبيرة، رتّب فيها جماعة من الفقهاء لقراءة الفقه على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله، ورتّب في هذه المقصورة محدِّثاً يسمع الحديث النبوي والرقائق، ووقف على ذلك الأوقاف الدارة، ورتّب به سبعة لقراءة القرآن، ورتّب به مدرساً أثابه الله على ذلك، ولما تكمّل تجديده تحدِّث في إقامة جمعة فيه، فنودي في المدينة بذلك، واستخدم له الفقيه زين الدين خطيباً، وأقيمت الجمعة فيه في اليوم المذكور، وحضر الأتابك فارس الدين، والصاحب بهاء الدين علي بن حنا، وولده الصاحب فخر الدين محمد، وجماعة من الأمراء والكبراء، وأصناف العالم على اختلافهم، وكان يوم جمعة مشهوداً، ولما فرغ من الجمعة جلس الأمير عز الدين الحلى والأتابك والصاحب وقرىء القرآن، ودعي للسلطان وقام الأمير عز الدين ودخل إلى داره، ودخل معه الأمراء، فقدّم لهم كل ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين، وانفصلوا، وكان قد جرى الحديث في أمر جواز الجمعة في الجامع، وما ورد فيه من أقاويل العلماء، وكتب فيها فتياً أخذ فيها خطوط العلماء بجواز الجمعة في هذا الجامع وإقامتها، فكتب جماعة خطوطهم فيها، وأقيمت صلاة الجمعة به، واستمرت ووجد الناس به رفقاً وراحة لقربه من الحارات البعيدة من الجامع الحاكمي، قال: وكان سقف هذا الجامع قد بني قصيراً فزيدَ فيه بعد ذلك، وعُلّيَ ذراعاً، واستمرت الخطبة فيه حتى بنى الجامع الحاكمي، فانتقلت الخطبة إليه، فإنّ الخليفة كان يخطب فيه خطبة، وفي الجامع الأزهر خطبة، وفي جامع ابن طولون خطبة، وفي جامع مصر خطبة، وانقطعت الخطبة من الجامع الأزهر لما استبد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالسلطنة، فإنه قلّد وظيفة القضاء لقاضي القضاة صدر الدين عبد الملك بن درباس، فعمل بمقتضى مذهبه، وهو امتناع إقامة الخطبتين للجمعة في بلد واحد كما هو مذهب الإمام الشافعي، فأبطل الخطبة من الجامع الأزهر وأقرّ الخطبة بالجامع الحاكمي، من أجل أنّه أوسع، فلم يزل الجامع الأزهر معطّلاً من إقامة الجمعة فيه مائة عام، من حين استولى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى أنْ أعيدت الخطبة في أيام الملك الظاهر بيبرس كما تقدم ذكره، ثم لما كانت الزلزلة بديار مصر في ذي الحجة سنة اثنتين وسبعمائة، سقط الجامع الأزهر، والجامع الحاكمي، وجامع مصر، وغيره، فتقاسم أمراء الدولة عمارة الجوامع فتولّى الأمير ركن الدين بيبرس الچاشنكير عمارة الجامع الحاكمي، وتولّى الأمير سلار عمارة الجامع الأزهر، وتولّى الأمير سيف الدين بكتمر الچوكندار عمارة جامع

الصالح، فجدّدوا مبانيها، وأعادوا ما تهدّم منها، ثم جدّدت عمارة الجامع الأزهر على يد القاضي نجم الدين محمد بن حسين بن علي الأسعردي محتسب القاهرة في سنة خمس وعشرين وسبعمائة، ثم جدّدت عمارته في سنة إحدى وستين وسبعمائة عندما سكن الأمير الطواشي سعد الدين بشير الجامدار الناصري في دار الأمير فخر الدين أبان الزاهدي الصالحي النجمي بخط الأبار بن بجوار الجامع الأزهر، بعدما هدّمها وعمرّها داره التي تعرف هناك إلى اليوم بدار بشير الجامدار، فأحب لقربه من الجامع أنْ يوثر فيه أثراً صالحاً، فاستأذن السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون في عمارة الجامع، وكان أثيراً عنده خصيصاً به، فأَذِنَ له في ذلك، وكان قد استجدّ بالجامع عدة مقاصير، ووضعت فيه صناديق وخزائن حتى ضيقته، فأخرج الخزائن والصناديق، ونزع تلك المقاصير، وتتبّع جدرانه وسقوفه بالإصلاح، حتى عادت كأنّها جديدة، وبيّض الجامع كله وبلّطه، ومنع الناس من المرور فيه، ورتّب فيه مصحفاً وجعل له قارئاً، وأنشأ على باب الجامع القبلي خانوتاً لتسبيل الماء العذب في كل يوم، وعمر فوقه مكتب سبيل لإقراء أيتام المسلمين كتاب الله العزيز، ورتّب للفقراء المجاورين طعاماً يطبخ كل يوم، وأنزل إليه قدوراً من نحاس جعلها فيه، ورتّب فيه درساً للفقهاء من الحنفية يجلس مدرّسهم لإلقاء الفقه في المحراب الكبير، ووقف على ذلك أوقافاً جليلة باقية إلى يومنا هذا، ومؤذّنوا الجامع يدعون في كل جمعة، وبعد كل صلاة للسلطان حسن إلى هذا الوقت الذي نحن فيه، وفي سنة أربع وثمانين وسبعمائة ولي الأمير الطواشي بها در المقدم على المماليك السلطانية، نظر الجامع الأزهر فتنجز مرسوم السلطان الملك الظاهر برقوق بأنَّ من مات من مجاوري الجامع الأزهر عن غير وارث شرعي، وترك موجوداً فإنه يأخذه المجاورون بالجامع، ونقش ذلك على حجر عند الباب الكبير البحري، وفي سنة ثمانمائة هدمتْ منارة الجامع، وكانت قصيرة، وعمّرت أطول منها، فبلغت النفقة عليها من مال السلطان خمسة عشر ألف درهم نقرة، وحُلّت في ربيع الآخر من السنة المذكورة فعلقت القناديل فيها ليلة الجمعة من هذا الشهر، وأوقدت حتى اشتعل الضوء من أعلاها إلى أسفلها، واجتمع القرّاء والوعّاظ بالجامع، وتلوا ختمة شريفة، ودعوا للسلطان، فلم تزل هذه المئذنة إلى شوال سنة سبع عشرة وثمانمائة فهدمت لميلٍ ظهر فيها، وعمل بدلها منارة من حجر على باب الجامع البحري بعدما هدّم الباب وأعيد بناءه بالحجر وركبت المنارة فوق عقده، وأخذ الحجر لها من مدرسة الملك الأشرف خليل التي كانت تجاه قلعة الجبل، وهدمها الملك الناصر فرج بن برقوق، وقام بعمارة ذلك الأمير تاج الدين التاج الشوبكي، والي القاهرة ومحتسبها إلى أنْ تمت في جمادي الآخرة سنة ثمان عشرة وثمانمائة، فلم تقم غير قليل، ومالت حتى كادت تسقط، فهدمت في صفر سنة سبع وعشرين وأعيدت، وفي شوال منها ابتدىء بعمل الصهريج الذي بوسط الجامع، فوجد هناك آثار فسقية ماء، ووجد أيضاً رمم أموات، وتم بناؤه في ربيع

الأول، وعمل بإعلاء مكان مرتفع له قبة يسبل فيه الماء، وغرس بصحن الجامع أربع شجرات فلم تفلح، وماتت، ولم يكن لهذا الجامع ميضأة عندما بني، ثم عملت ميضأته، حيث المدرسة الاقبغاوية إلى أنْ بنى الأمير اقبغا عبد الواحد مدرسة المعروفة بالمدرسة الأقبغاوية هناك، وأما هذه الميضأة التي بالجامع الآن فإنّ الأمير بدر الدين جنكل بن البابا بناها ثم زيد فيها بعد سنة عشر وثمانمائة ميضأة المدرسة الأقبغاوية، وفي سنة ثمان عشرة وثمانمائة ولي نظر هذا الجامع الأمير سودوب القاضي حاجب الحجاب، فجرت في أيام نظره حوادث لم يتفق مثلها، وذلك أنّه لم يزل في هذا الجامع مُنْذُ بنى عدة من الفقراء يلازمون الإقامة فيه، وبلغت عدتهم في هذه الأيام سبعمائة وخمسين رجلاً ما بين عجمٍ وزيالعة ومن أهل ريف مصر، ومغاربة، ولكل طائفة رواق يعرف بهم، فلا يزال الجامع عامراً بتلاوة القرآن ودراسته وتلقينه والاشتغال بأنواع العلوم، الفقه والحديث والتفسير والنحو ومجالس الوعظ وحلق الذكر، فيجد الإنسان إذا دخل هذا الجامع من الأنس بالله والارتياح، وترويح النفس ما لا يجده في غيره، وصار أرباب الأموال يقدون هذا الجامع بأنواع البر من الذهب والفضة والفلوس إعانة للمجاورين فيه على عبادة الله تعالى، وكل قليل تحمل إليهم أنواع الأطعمة والخبز والحلاوات لا سيما في المواسم، فأمر في جمادي الأولى من هذه السنة بإخراج المجاورين من الجامع، ومنعهم من الإقامة فيه، وإخراج ما كان لهم فيه من صناديق وخزائن وكراسي المصاحف، زعماً منه أنَّ هذا العمل مما يثاب عليه، وما كان إلاّ من أعظم الذنوب وأكثرها ضرراً، فإنّه حلّ بالفقراء بلاء كبير من تشتت شملهم، وتعذّر الأماكن عليهم، فساروا في القرى وتبذّلوا بعد الصيانة، وفقد من الجامع أكثر ما كان فيه من تلاوة القرآن ودراسة العلم وذكر الله، ثم لم يرضه ذلك حتى زاد في التعدي، وأشاع أنّ أناساً يبيتون بالجامع ويفعلون فيه منكرات، وكانت العادة قد جرت بمبيت كثير من الناس في الجامع ما بين تاجر وفقيه وجندي وغيرهم، منهم من يقصد بمبيته البركة، ومنهم من لا يجد مكاناً يأويه، ومنهم من يستروح بمبيته هناك خصوصاً في ليالي الصيف، وليالي شهر رمضان، فإنّه يمتلىء صحنه، وأكثر أوقاته، فلما كانت ليلة الأحد الحادي عشر من جمادي الآخرة طرق الأمير سودوب الجامع بعد العشاء الآخرة، والوقت صيف، وقبض على جماعة وضربهم في الجامع، وكان قد جاء معه من الأعوان والغلمان وغوغاء العامة، ومن يريد النهب جماعة، فحلّ بمن كان في الجامع أنواع البلاء، ووقع فيهم النهب فأخذت فرشهم وعمائمهم، وفتّشت أوساطهم وسلبوا ما كان مربوطاً عليها من ذهب وفضة، وعمل ثوباً أسود للمنبر وعلمين مزوقين بلغت النفقة على ذلك خمسة عشر ألف درهم على ما بلغني، فعاجل الله الأمير سودوب وقبض عليه السلطان في شهر رمضان وسجنه بدمشق (من تاريخ المقريزي).

عود: فيبقى أذكياء جماعة يسمعون الدرس الذي يريد إقراءه مع الشروح والحواشي، وهو يقرره لهم، قال تلميذه هبة الله التاجي في ترجمته له في ثبته: لما قدمت مصر سمعت

بأنه فريد وقته، وأنّه يقرىء المختصر على التلخيص، فسرت إليه فرأيته يقرره في مدرسة الأشرفية، وقد فاتني شيء يسير من أوله، فحضرتُه عليه منه إلى آخره، وكان الذين يحضرونه ينوفون على خمسمائة، فسمعت منه ما لا أذن سمعت ولا خطر على قلب محش، ولا شارح، أخذ جماعة منهم الشيخ سليمان الجمل، ومعيده الشيخ عبد الرحمن، والشيخ أبو الفتح محمد العجلوني الدمشقي، وكانت وفاته سنة أربع وتسعين ومائة وألف ودفن بتربة المجاورين رحمه الله تعالى.

عيد النمرسي:

٥٣٦ ـ **عيد بن علي القاهري الشافعي، الشهير بالنمرسي، الشيخ العالم العلامة الحبر البحر النحرير المحقق الفهامة الفقيه الأثري الأوحد المفنن:** أخذ عن جماعة من الأئمة، منهم الجمال عبدالله بن سالم البصري، والشهاب أحمد بن محمد النخلي، وشمس الدين محمد الشرنبابلي، ومحمد بن عبد الباقي الزرقاني، ومحمد بن قاسم البقري الشافعيون، وعبد الحي الشرنبلالي الحنفي، وبرع وفضل وأفتى ودرّس، وأقبلت عليه الطلبة، وأخذ عنه جملة من الأفاضل، منهم عبد الرحمن بن حسن الفتني المكي، والجمال عبدالله بن محمد الشيراوي، والنجم محمد بن سالم الحفني، وعلي بن أحمد الصعيدي، وأحمد بن حسن الجوهري، وإبراهيم بن عيسى البلقطري، وأحمد بن محمد الراشدي وغيرهم، وجاور في آخر أمره بالمدينة المنورة، ودرّس بالحرم الشريف النبوي، ولم يزل مقيماً بها إلى أنْ توفّي سنة أربعين ومائة وألف، ودفن بالبقيع مقابل قبة سيدنا إبراهيم ابن النبي ﷺ.

عيسى بن شمس الدين:

٥٣٧ ـ **عيسى بن شمس الدين الدمشقي إمام جامع كريم الدين الكائن في محلة القبيبات:** كان شيخاً أديباً فاضلاً، له سخاء مفرط، توفّي في اليوم العاشر من شهر رمضان سنة ثلاث ومائة وألف رحمه الله تعالى.

عيسى البراوي:

٥٣٨ ـ **عيسى بن أحمد بن عيسى بن محمد الزبيري الشافعي القاهري، الشهير بالبراوي، العالم العلامة المحقق المدقق:** أخذ الفقه والحديث عن جماعة، منهم الشيخ محمد الدفري، والشيخ يونس الدمرداشي، وأبو الصفا علي الشنواني، وابن عمه عبد الوهاب الشنواني، وعيد النمرسي، وأحمد الديربي، ومصطفى العزيزي، ومحمد السجيني، ومحمد الصغير وغيرهم، وبرع وفضل وتصدّر للتدريس، وكان له اليد الطولى في جميع العلوم لا سيما الفقه، وكان به الشهرة التامة، وانتفع به الجم الغفير من سائر الأقطار، حتى من أراد أنْ يقرأ الفقه لا يقرأه إلاّ عليه، وكان ملازماً للاشتغال مع الصلاح التام بالعلم

والعمل، وكانت وفاته سنة اثنين وثمانين ومائة وألف، ودفن بتربة المجاورين رحمه الله تعالى.

عيسى بن صبغة الله:

٥٣٩ ـ عيسى بن صبغة الله بن إبراهيم بن حيدر بن أحمد بن حيدر الكردي الصفوي الشافعي نزيل بغداد، الشيخ الإمام العالم المحقق المدقق الفقيه البارع الأوحد، أبو الروح شرف الدين: ولد في سنة سبع وأربعين ومائة وألف، وأخذ عن والده المحقق المشهور وعن غيره وظهر فضله، وصار أشهر علماء بغداد، ذو فطنة وقادة، وذكاء تام، وكان له اشتغال كلّي في العلوم كلّها، قد بالغ في استخراج مشكلات العلوم معقولاً ومنقولاً، وله تآليف حسنة، منها حاشية على جزء عبارات التحفة للشهاب الهيثمي، وحاشية على حاشية عبد الحكيم على شرح الكافية للجامي، وله رسائل عدة في متفرقات من العلوم، وحجّ قبل وفاته بقليل، ودخل في طريقه إلى دمشق، وأخذ عنه بعض أفاضلها، وكان رحمه الله تعالى ذا سعة زائدة في تحرير المسائل، توفّي ببغداد سنة تسعين ومائة وألف ودفن بها رحمه الله تعالى.

عيسى القدومي:

٥٤٠ ـ عيسى القدومي الفاضل الكامل والصالح العامل: اشتغل بتحصيل العلوم بدمشق الشام، واستفاد وأفاد، وبلغ المنى والمراد، وأخذ الطريق الخلوتي عن الأستاذ البكري، وانقطع للعبادة والأوراد وتلاوة القرآن، فَعَلَتْ رتبته بين الأقران، وعادت بركته على الإخوان، حتى نقله الله إلى أعلى فراديس الجنان.

حرف الغين المعجمة

غياث الدين البلخي:

٥٤١ ـ غياث الدين البلخي الشافعي الشريف العالم العامل العارف الورع الزاهد ابن الشيخ الكامل جمال الدين ابن الشيخ العارف غياث الدين التوراني: وتوران[١]: علم على مملكة الأزبك، مولده كما أفاد رحمه الله تعالى سنة سبع وثلاثين ومائة وألف ببلخ[٢]، وهو وأباؤه ببلخ مشهورون مشايخ نقشبنديون، وللناس فيهم مزيد اعتقاد، ولم يزل بينهم بركة ذلك الناد، إلى أنْ توجّه عليهم طهماس، فأباد نظام هاتيك البلاد، وشتت شمل من بها من العباد، فارتحل صاحب الترجمة بعد وفاة أبويه إلى بخاري، واشتغل على علمائها إلى أنْ فات الأقران، ثم خرج منها ودخل السند والهند واليمن والحجاز ومصر والشام، ووصل إلى حلب سنة خمس وسبعين ومائة وألف فأقام بها مدة في حجرة بجامعها الأموي، ثم عزم على التوجّه إلى بغداد، فخرج منها إلى عينتاب، فمرض هناك وعاد إلى حلب، واشتد مرضه إلى أن توفّي يوم الأربعاء قبيل الظهر ثالث عشر رمضان سنة خمس وسبعين ومائة وألف، ودفن خارج باب أنطاكية بتربة الولي المشهور الشيخ تغلب شرقي تربته رحمه الله تعالى، ومن مات من أموات المسلمين أجمعين.

تم الجزء الثالث، ويليه الجزء الرابع
أوله «فتح الله الداديخي»

---

(١) توران وإيران والعراق في التبيان والطراز المذهب وهما مطبوعان.

(٢) بَلْخُ: مدينة مشهورة بخراسان. معجم البلدان ١/٥٦٨.

فهرس محتويات

الجزء الثالث

مـــن

سلك الدرر

في أعيان القرن الثاني عشر

فهرس المحتويات

ـ حرف العين

سلك الدرر

في أعيان القرن الثاني عشر

تأليف

أبي الفضل محمد خليل بن علي بن محمد المرادي

المتوفى سنة ١٢٠٦هـ

ضبطه وصححه

محمد عبد القادر شاهين

الجزء الرابع

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ-١٩٩٧م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حرف الفاء

فتح الله الداديخي:

٥٤٢ ـ فتح الله بن عبد الواحد الحنفي الداديخي الأصل، الدمشقي أحد الأفاضل والأدباء: كان يتولى النيابات في محاكم دمشق والقضاء، وقرأ في بداية أمره شيئاً من الفقه والنحو، وطلب، وكان أديباً بارعاً، وتولّى في دمشق تولية وتدريس المدرسة الباسطية في صالحية دمشق بالقرب من الجسر الأبيض، وكذلك تولية وتدريس المدرسة الريحانية داخل دمشق، وفي أيامه سكّرت محكمة البيانية الكائنة في محلة باب شرقي بالقرب من محلة النصارى، وهي مدرسة، وتوليتها الآن على أحد بني محاسن، ووقع في زمانه فيها بعض منكرات، وأمور مخلات فَسُكّرتْ، وهي إلى الآن كذلك، ونسبت الأمور الصادرة فيها للمترجم، لكونه كان يتولاها، وكان ذا شعْر وأدب وشيبة بيضاء نيّرة، ومجد مؤثل، (المؤثل كمعظم) ولطف خلال، وشرف نفس كريمة، مع هيبة وطلعة باهرة، وإيراد نوادر وتكلّم ومما وقع له أنّه طلب من الشيخ أحمد المنيني تاريخاً لتجديد الباسطية المدرسة المذكورة، فعمل له التاريخ وعرض على مفتي دمشق إذْ ذاك المولى محمد العمادي حين دعاه المترجم هو والقاضي والأعيان للمدرسة المرقومة، لأجل إثبات العمارة على الوقف، فاستحسنه العمادي، وقال: يستحق صاحب هذا التاريخ وليمة عظيمة نكون أيضاً فيها، فوعد ولم يفِ، فاتفق أنَّ المنيني المذكور خرج يوماً للصالحية ومعه الشيخ أحمد البقاعي نزيل قسطنطينية، فأقاما ذلك اليوم في الباسطية من غير علم المترجم، فقال المنيني: لا ننزل من هنا إلاّ حتى ننكت على صاحب المدرسة حيث لم يفِ بوعده، ثم إنّه عمل بيتين وهما قوله:

لله يوم الباسطية إنّه ... بالأنس معدود من الأعمارِ
قلنا به في ظل عيش ناعم ... داني الظلال مقلص الأثمار

ثم عمل البقاعي بيتين من هذا القبيل، ثم إنّ المنيني عدل عن البيتين المذكورين

لقصورهما عن التورية بالمراد وعمل بيتين وغيّرهما قوله:

مـدرسـة الفتـح غـدت جنّـة بـديعـة تـزهـو بـإشـراقهـا
قـالـوا غـداً يقـري لـوفـادهـا قلـتُ نعـم لكـن بـأوراقهـا

وقد أنشد ذلك للعمادي، فلم تعجبه أبيات البقاعي، ولا البيتين الأولين، وكان مغبر الخاطر من الداديخي، وكان في ذلك المجلس الشيخ أحمد الكردي الدمشقي فقال له العمادي أجز بيتي المنيني فأنشأ وقال:

نعـم المـدارس بـاسطيـة فتحنـا لـو أنّهـا بنـداه كـانـت تعمـرُ
لفـظٌ بـلا معنـى كـذلـك ذاتـه طـول بـلا طـول وذا لا ينكـر

فتغيّظ الداديخي لما سمع ذلك، وتسابّا طويلاً، ثم إنّ الكردي عمل بيتين آخرين في الداديخي وهما قوله:

مـا لـي بمـدح الفتـح لا أكتفـي فقـدرهُ قـد فـاق بيـن الـورى
يـا سـائلـي عنـه وعـن بيتـه كـلاهمـا قـد أمسيـا فـي الخـراب

ومراده الاكتفاء بذلك، لأن الداديخي كان بيته في محلة الخراب، وأنشدهما الكردي في المجلس أيضاً فوقع بينهما مشاجرة وخصام، أدّى إلى قبيح الكلام، ثم اجتمعا في الجامع الأموي في رمضان، وكانت الواقعة قبيل رمضان بأيام، فتشاتما طويلاً بالهجر من القول، وخرج كل منهما عن حدّه من الاستطالة على صاحبه والصول، ثم إنّ الكردي عمل في الفتح الداديخي هجاء آخر بليغاً طويلاً وعرّضه في مسوداته على المنيني فمزّقه شذر مذر، وقال له: أنت قلت فيه مقطوعين يبقيان إلى آخر الدهر، وما تكلّم هو فيك لا يبقى في الفكر انتهى.

وقد حدثني كثير من أصحابي بأجوبة صدرت من الداديخي المترجم إلى أناس صدرت، مع حسن التعبير، منها أنّ أخا الشيخ أحمد المنيني المذكور آنفاً، وهو الشيخ عبد الرحمن المنيني أراد أنْ ينكت على الداديخي بأنَّ أصله قروي فلّاح، فقال له: كم ساعة بين داديخ وحلب؟ فأجابه بالحال: مقدار ما بين قرية منين ودمشق فأفحمه، وأراد أنّ أصلك كذلك مثلي قروي إنْ كان مرادك ذلك، ويعجبني من هذا القبيل ما أجاب به المنيني المذكور إلى أحد تجّار دمشق المشاهير، ويُعْرف بابن الزرابيلي، حين سأله بقوله: مولانا متى خلعتم الزرابيل من أرجلكم؟ قاصداً التنكيت عليه بأنّه قروي فأجابه المنيني بالارتجال: من حين تركتم صنعتها والاشتغال بها، فأفحمه بالجواب. وكان المترجم الداديخي ينظم الشعر الباهر، فمن ذلك ما كتبه للشيخ محمد الكنجي بقوله:

يـا سيّـداً زار ومـا زرتـه فمنـي النقـص ومنـه التّمـام
إنْ كـان فـي ذلـك فقـد قضـي بـأنـي المـأمـوم وهـو الإمـام

فطالما زار الغمام الثرى ولم يزر قط الثرى للغمام

فأجابه الكنجي بقوله:

زرتك يا كهفْ الندى والسخا وكعبة الفضل وركن المرامْ
فلم أجد أنسك حسب المنى ولم أخب إذْ قد يزار المقام
وحيث كان الفضل يسعى له والمنهل العذب كثير الزمام

وهذا تضمين حسن، وممن ضمنه بعضهم بقوله وأجاد:

لما بدا والشهْد من ريقه ودونه يستشهد المستهامْ
ازدحم النّمل على خدِّه والمنهل العذب كثير الرخام

وكتب المترجم للكنجي ملغزاً بقوله:

يا سيّداً فاق أولى عصره ومن رقى بالمجد أعلى مقامْ
وفاضل الوقت وكنز التقى وجبهة الدّهر ومسك الختام
من حاز قصب السبق بين الورى حتى المعالي قادها بالزمام
يروي حديث الفضل عن والد وعن جدود في البرايا كرام
محمد يرويه عن أحمد أعني به الكنجي ذاك الهمام
أينْ لنا ما اسم إذا قَلَّ في خواصنا يكثر عند العوام
بيت له بابان قد أغلقا وفيه مصرعان تبدو عظام
رباعي التركيب من أحرف بدت لرائيها كبدر التمام
لولاه ما كان يرى ناثر كلا ولا يوجد فينا نظام
ولا صرفنا للعلا همّة ولا بدا الفقه وعلم الكلام
وما لك القلب له ينبغي فانظر تراه بعد قلب يرام
تحريفه يؤلم أهل النّهي وإنْ تصحف لم تجد غير لام
شبهت منه عارضاً أخضرا وفيه للعلم أوى والقوام
يصلح للجمع وتعريه جمع بدا عند حصول الخصام
أصبح كالصبح جليّاً يرى وحسن مرآه بدا للأنام
فاكشف لفتح الله عن حلّه وأرق ودم طول المدى يا إمام
ما حرّك الأغصان ريح الصبا وما نعى الدّيك فقيد الظلام
واعذر أخا فكر شتيت ولا تجعل جوابي لن ترى والسلام

فأجابه الكنجي:

أيا شفيق الفضل يا من سما بفضله النامي على كل هامْ

ويـــا أديبــاً حســـن ألفـــاظـــه ... قــد علمتنــا طــرق الانسجــام
وذو أيــاد لــم تــزل فــي الــورى ... للجـود والمعـروف فـي الاغتنـام
يــد لفعــل الخيــر مبســوطــة ... بــاليمـن والأخـرى إلـى الالتثـام
أنــت مـلاذ الفضـل بيـن المـلا ... أنـت حليـف المجـد ذو الاحتشـام
وأنـــت فتـــح الله فـــي خلقـــه ... مـن أصبـح الـدهـر لـديـه غـلام
ألغــزت فــي إحـدى وتسعيـن لا ... تقبــل شكّــاً يـبا رفيــع المقــام
وهــو الــذي تـديـم نصـف لـه ... وربعـــه لامَـــكَ أهـــل المـــلام
وإن حـــذفْـــتَ ربْعـــه عـــامـــداً ... فــي كـل وقـت كلـم قـد يـرام
حسبـك يـا مفضـال هـذا فقـد ... أصبحـت فـي النـاس أميـر الكـلام
فـاشـرح لنـا عـن أحـرف أربـع ... قــد ركبـت فينـا بحسـن النظـام
اسـم وإنْ تطـرح لنـا نصفـه ... مشـــدّداً فعـــل ذوي الاهتمـــام
أو تقلـــب النصـــف بتسهيلـــه ... فهـــو حيـــاة تقبـــل الانقســـام
أو تـأخـذ المقلـوب مـع نصـف مـا ... ألقيـــت فهـــو المبتغـــى لـــلأنـــام
أو تسحـب الغـايـة منـه إلـى ... ثـانيـه مـع حـذف وقلـب إمـام
ونصفـــه حـــرف وفـــي قلبـــه ... نفـى فـلا تحفـل بـه يـا همـام
ونصفـــه يجمـــع كـــل الـــورى ... وكــل شــيء فيـه حسـب المـرام
إنْ دم النصـــف إلـــى صـــدره ... وصيّـــر الثـــانـــي منـــه ختـــام
فـأنـت لا شـكَّ هـو بيـن الـورى ... يــا فــاضـلاً أعيـا فهـوم الكـرام
فـاظهـر لنـا السرّ الـذي قـد خفـى ... فـأنـت ربّ العـز مـاضـي الحسـام
وكـنْ بـأوفـى الخيـر فـي نعمـة ... وابـق ودمْ واسلمـح إلـى كـل عـامْ

فأجابه المترجم وألغز له:

مـــا روضـــة غنـــاء ذات ابتســـام ... أو عقـــد درٍّ فـــاخـــر الانتظـــامْ
أو غـــادة حسنـــاء قـــد أقبلـــت ... سجلـــة بيـــن يـــديهـــا غـــلام
مهضـــومـــة الأحشـــاء ميّـــاســـة ... فـي كفّهـا راح صفـا ضمـن جـام
عـــزيـــزة فـــي المصـــر بهنـــانـــة ... تـرنـو بلحـظ سـاحـر لـلأنـام
جـــاذبتهـــا ذكـــر الهـــوى والصبـــا ... وطيـب أوقـات مضـت كـالمنـام
قـالـت أمـا يكفيـك مـا قـد جـرى ... قـدمـاً فـإن الـوصـل عنـدي حـرام
واحمّـرت الـوجنـات منهـا وقـد ... فـــاقـــت بمـــرآهـــا لبـــدر التمـــام
عنـدي بـأحلـى مـن عقـود أتـت ... مـن فـاضـل الـوقـت أميـر الكـلام
العـــالـــم المفضـــال نجـــل الأولـــى ... أديـب هـذا العصـر نجـل الكـرام

تضمنت لغزاً صحيحاً بدا في ضمن أبيات نراها عظام
وكرّرت ما قد لغزنا له مع ضم أعمال نراها فخام
والفضل للتقديم يا ذا الحجى وهل يعادل الشيخ فينا غلام
فيا فريد الوقت يا من له مزيد فضل بين خاص وعام
ما اسم رباعي غدا نصفه في القلب فعل ثم حرف يرام
وقلب باقيه يرى منكراً نعوذ بالله من الانقسام
وإن تصحّف كلّه جملة واحدها يجمع سام وحام
تحريفه فصل مبين الخفا وآلة النحو وعلم الكلام
وإنْ تصحّف ذاك نصف الذي تبغيه في الطلاب يا ذا الإمام
وإنْ تزلْ وسطاً بتصحيفه فذاك سرّ لست فيه الإمام
وقلبه مع بعض جزء له فعل واسم من صفات الأنام
ترخيمه مبنى الذي شاد في طرق المعالي منزلاً يا همام
وقلبه ساء بظني له وفعل مولى ترتجيه دوام
وإن جعلتَ النصفَ مع أوّل من غير تسهيل فجمع تمام
وإنْ تسهله فشيء بدا بعد خفاء النور عند الظلام
واسم لمركوب جرى بدا في عرف قوم في البرايا عظام
فاظهر لنا أسرار ما قد حوى من عمل الفن الذي فيه قام
فأتت بحر العلم كنز الهدى وخير من يرجى لنيل المرام
لا زلت كهف الفضل بين الملا ما ردّ على القادم فينا السلامْ

وله:

بحبّ بدري البهي طلعته قد رقّ شعري ورق لي الغزلْ
وصرتُ من أجله حليف جوى عديم صبر في عشقتي مثل
وأنشد القب عند رؤيته بيتاً من الشعر صار ينتقل
أودّ آهاً وليس تنفعني وكتمها فوق علّتي علل

وكان المترجم في سنة تسع وثلاثين ومائة وألف فوقع من على فرسه وهو راكب عليها، فحمل إلى داره مفلوجاً، واستقام إلى أنْ مات، وكانت وفاته في يوم السبت ثاني عشر ربيع الثاني من السنة المذكورة، ودفن بتربة الشيخ أرسلان رضي الله عنه.

السيد فتحي الدفتري:

٥٤٣ ـ السيد فتحي ابن السيد محمد ابن السيد محمد بن محمود الحني الفلاقنسي الأصل، الدمشقي المولد، الدفتري الصدر الكبير من ازْدَان به الدهر، وتباهى به العصر،

الهمام الجبهذ، صاحب الدولة والشهامة الندب المقدام المبجّل المعظّم الوقور المحتشم: كان بدمشق صدر أعيانها وواسطة عقد رؤسائها، يشار إليه بالبنان في كل حين وآن، وقد اشتهر بمحاسن الشيم والشهامة والجرأة والإقدام، وهابته الصناديد من الرجال، وترقّى إلى شوامخ المعالي، وتسنّم ذرى باذخة رفيعة، مع معارف بنان ولسان ونباهة وطلاقة وذكاء وبشاشة ولطافة ومجد أثيل، وعزّ وجاه عز عن التمثيل، ورزق الإقبال التام والحظوة مع الثروة، وصار دفترياً بدمشق مدة سنوات وتولّى تولية وقفي السليمانية، وتصدّر بدمشق، وكان المرجع بها في الأمور، وهو المدّبر لأمور الملأ والجمهور، وصار المآب في المهمات والموئل لأولي الحاجات، وكانت دولته من ألطف الدول، وله الخدام الكثيرة، والاتباع واتساع الدائرة، وكان يصطحب من العلماء والأفاضل شرذمة أجلاء، وكذلك من الأدباء البارعين زمرة اكتسوا بجلابيب الآداب والفضائل، وعنده من الكتاب فئة حشواها بهم إتقان الخطوط مع مزية المعارف، وكذلك جملة من أرباب المعارف والموسيقى والألحان، ومن المجاز والمضحكين جملة، وبالجملة فقد كانت داره منتزه الأرواح ومنتدى الأفراح، والذي بلغه من السمو والرفعة والشأن والجاه وغير ذلك، لم يتناوله الأوائل، وأتعب وأعجز الأواخر، وامتدحته الشعراء من البلاد، واشتهر صيته في الآفاق وبين العباد.

وقد ترجمه من امتدحه من الشعراء من دمشق وغيرها أخصّ أخصّائه وأحد ندمائه، الأديب الشيخ سعيد السمّان الدمشقي في كتاب سمّاه «الروض النافح فيما ورد على الفتح من المدائح»، وترجمه في أوله غير أنّه كان ظلمه عام، وأتباعه مشهورين بالفساد والفسوق وشرب الخمر وهتك الحرمات، وهو أيضاً متجاهر بالمظالم لا يبالي من دعوة مظلوم، ولا يتجنّب الأذى والتعدّي، ونسب إلى شرب الخمر أيضاً وغير ذلك، لكن كانت له جسارة وإقدام، ونفع في بعض الأوقات للأنام، ومن آثاره في دمشق المدرسة التي في محلة القيمرية، والحمام في محلة ميدان الحصا، وتجديد منارتي السليمانية وغير ذلك، وكان ذا إنشاء بديع حسن لطيف مستحسن، فمن ذلك قوله:

دنا مثل بدر تم يبسم عن در ... غزال ومنه الفرق كالكوكب الدّرّيّ
بقد كخوط البان رنحه الصبا ... فأزرى اعتدالاً بالمثقفة السمرِ
أغن كأنّ الله أبدع حسنه ... ليستلب الأرواح بالنظر الشزر
شقى الله دهراً مرّ لي بوصاله ... ولم يلوِ جيد الودّ عني إلى الهجر
فكم باتَ يسقيني المدام عشية ... ويمزجها من ريقه العاطر النشر
إلى أنّ به شط المزار وقد محا ... سطور الأماني بيننا حادث الدهر
وسرت قلوب الحاسدين وطالما ... لعبنَ بها أيد الدنوّ على الجمر

وكتب للمولى خليل الصديقي مهنّياً له برمضان بقوله:

إنّي أهنّيك يا كهف الفضائل في ... قدوم شهر صيام كان محترما

لا زلت في نعمة فيه ترى أبداً ... مثل الثريا يجمع الشمل منتظما

وكتب له:

إنّي أهنّيك خدن الجود والكرم ... وبدر أفق سماء المجد والنعمِ
بخير مقدم صوم لا برحت به ... في صحة لا نراك الدّهر في سقم

فأجابه المولى المذكور بقوله:

إنّي أعيذك بالرحمن من حسد ... يا من تسرْبَل بالأفضال والكرمِ
حيث القلائد في شعر أتيت به ... فالبحر لا غرو يلقي الدرَّ في الظلم
شبهت سوداء قلبي بالظلام إذا ... والبحر ذاتك تهدي جوهر الكلم
لا زلت ترفل يا مولاي في دعة ... مشمولة ببقاء السعد والنعم

ثم كتب له مهنّياً بشفاء من علّة تشكّاها بقوله:

قالوا توهّم سيدي من خلّه ... ألماً لداعٍ لا يفي بتألّمِ
فأجبتهم لا والذي رفع السما ... ك على البريّة لستَ بالمتألّم

فأجابه المترجم بقوله:

أسليل من في الغار كان الصاحب ... المختار للمختار خير مقدمْ
أنا لست ممن شيب صفو وداده ... بقذى تصور جفوة وتألّم
ومراة إخلاصي لكم ما شأنها ... كدر الظنون ولا غبار توهم
وشريف قلبك شاهد عدل على ... ما ادّعى فاحكم بصدق واسلم

وكتب المذكور الصديقي المترجم أيضاً:

أيا زهرة الآداب يا نجل سادة ... بهم حسنت أوصاف ذي الرأي والمجدْ
لقد نلت ألطافاً وحزْتَ معارفا ... وفهت بأبيات كما الدرَّ في العقد
فلا زلت تهدي السمع منّا جواهرا ... بلطف نظام فقت فيه أبا الورد
ودمْتَ مدى الأزمان ما ناح بلبل ... وما زالت[1] الأزهار مصبوغة البرد

فأجابه بقوله:

أمولاي يا ركن المعالي ومن سما ... محلاً سما فوق السماكين بالجدِّ
ومن عنه يروي المجد كل فضيلة ... إذا تليت لم تحصها السنّ الحمد
ومن طوق الأعناق منّا مكارما ... كما قلّد الأسماع من ذر ما يبدي
إليك لقد أهديت يا أوحد الدّنا ... قلائد أبيات تفوق على العدِّ

---

(١) ما دامت.

وما أنت إلاّ البحر تهدي لآليا ... منظمة كالزهر في فلك السعد
فدمْ وابق يا فرد الزمان منعمّا ... مدى الدهر ما غنّى الهزار على الورد

ولصاحب الترجمة:

ويا بأبي حلو المراشف أغيدا ... من الترك لم يترك لعاشقه صبرا
نأى فاصطلى قلبي لهيب فراقه ... وروض الأماني من لقاه غدا قفرا

وله في الشيب:

لا تغضبنَّ لشيب منك حلَّ على ... مسك العذار فإنّ الشيب آثارُ
أما ترى الغصن مُذْ لاحت أزاهره ... زادت نضارة ذاك الغصن أنوار

هو من قول دعبل:

لا يرعك المشيب إنْ زار وهنا ... فهو للمرء حلية ووقارُ
إنما تحسن الرياض إذا ما ... ضحكت في خلالها الأنوار

وفي الشيب للمعرّي:

لعمري إنّ الدّهر خط بمفرقي ... رسائل تدعو كل حي إلى البلى
أرى نسخة للعمر سودها الصبا ... وما بيضت بالشيب إلا لتنقلا

وللعمادي فيه:

ليل الشباب تولّى ... وصبح شيبي تألّقْ
ما الشيب إلاّ غبار ... من ركض عمري تعلّقْ

ولِدَعْبَل فيه أيضاً:

أهلاً وسهلاً بالمشيب فإنّه ... سمة العفيف وهيئة المتخرّجْ
وكأنّ شيبي نظم درٍّ زاهر ... في تاج ملك ذي أغر متوَّجْ

وللمترجم في طول النهار في الصيام:

ولربَّ يوم صمته فكأنه ... يوم المعاد وليس منه مهربْ
وقفت به شمس النهار ولم تغب ... فكأنّما قد سدّ عنها المغرب

وللبارع السيد مصطفى الصمادي في ذلك:

ولربَّ يومٍ طال لما صمتُه ... فكأنّ يوم الحشر ضمّ لنا معَهْ
وكأنّ يوشع رُدّ للدنيا وقد ... ردّتْ له شمس النّهار الساطعَهْ
أو أنّها رَجَعَتْ لسيدنا سليمـ ... ـان الذي كرّت إليه راجعه
حتى إذا صلّى توفّي قائماً ... حَسِبَتْهُ حيّاً فاستمرتْ طالِعَهْ

قوله: (وكأنّ يوشع إلى آخره) من قول أبي تمام:

فردّت علينا الشمس والليل راغم بشمس لهم من جانب الخدّر تطلعُ
نضيء ضوءها صبغ الدجنة وانطوى لبهجتها ثوب السماء المجزع
فوالله ما أدري أأحلام نائم ألمّت بنا أمْ كان في الركب يوشع

وللسيد مصطفى المذكور في المعنى المذكور أيضاً:

أرى الشمس في الصوم تأبى المسير إلى الليل تخشى الهجوم علَيْهْ
حكت فيه حسناء زفّت إلى خصي وبالكره سيقت إلَيْهْ

وللأديب عبد الحي الخال:

أرى الأيام في الإفطار تمضي كلمع البرق أو سقط الدراري
وفي شهر الصيام تطول حتى كأنَّ اللّيل ضُمّ إلى النّهار

وله أيضاً:

كأنّ اليوم في الإفطار طرف يدور على الرحى صلب الأيادي
ويمشي في الصيام على الهوينا كأنّ أمامه شوك القتاد

ولابن الرومي:

شهر الصيام مبارك ما لم يكن في شهر آبِ
اللّيلُ فيه لمحة ونهاره يوم الحساب
خفت العذاب فصمته فوقعت في عين العذاب

وله أيضاً:

شهر الصيام وإنْ عَظُمتْ حرمته شهر طويل ثقيلُ الظلِّ والحركَهْ
يمشي الهوينا فأما حين يطلبنا فلا السليك يدانيه ولا السلكه
كأنّه طالب ثأراً على فرس أجد في أثر مطلوب على رمكه
أذُمّهُ غير وقت منه أحمده من العشاء إلى أنْ تصدح الدِّيَكَهْ
يا صدق من قال أيام مباركة بأن يكنى عن اسم الطول بالبركه
لو كان مولى وكنّا كالعبيد له لكانَ مولى بخيلاً شيء الملكه

وقد ردَّ عليه الأستاذ عبد الغني النابلسي بقوله:

شهر شريف به الخيرات مُشْتَبِكَهْ حتى على الناس فيه تنزل البَرَكَهْ
من قال شهر ثقيل عنه فهو يرى ذنوبَه أثقلته فهو في اللَّبَكَهْ
أو قال يمشي الهوينا قلت لا برحت أيامه مكثرات في الورى نسكه

يـذمّـه جـاهـل فـي أسـرِ شهـوتـه إلـى الطعـام وحـبُّ الأكـل قـد ملكـه
مصفّـد مثـل شيطـان تـراه بـه عـن الغـذاء ولـولا الخـوف مـا تـركـه
في جوعه النفع لو كان الخبيثُ دري لكنّـه حيـوان يُكثـر الحَـرَكَـةْ
يشكـو مـن الطـول فـي أيّـامـه سَفَهـاً وطـول أيّـامـه بـاللطـف منسبكـه
يخشى الرّدى منه بل إنْ كان ما نطقت أبيـاتـه فيـه صـدقـاً فهـو فـي الهَلَكَـةْ

وللمترجم:

بقيـت مـا دامـت الأفـلاك دائـرة تدير فينا شموس الراح في السحر
ودمْ تقلّـد أسمـاعـاً لنـا دررا كمـا تـلا الطرف منـا سورة القمر

وله أيضاً:

وأغيـد قـدٌّ أمـال السكـر قـامتـه واللّيـل محتبـك بـالأنجـم الـزهـرِ
دنـا إلـيَّ وكـأس الـراح فـي يـده ممـزوجـة بلمـاه الطيـب العطـر
وقال خذْ وارتشفْ ماء الحياة ولا تبقي لِلاَئِمِكَ اللاّحي سوى الكدر

قد شطّر هذه الأبيات جماعة من فضلاء دمشق، فمنهم المولى خليل أفندي الصديقي حيث قال:

وأغيـد قـدٌّ أمـال السكـر قـامتـه والغنـج فـي طـرفـه يصمـي مـع الحـورِ
لـم أنسـه زائـراً كـالبـدر حيـن بـدا واللّيـل محتبـك بـالأنجـم الـزهـر
دنـا إلـيَّ وكـأس الـراح فـي يـده تحكـي تـورد خـدّيـه مـن الخفـر
حيـى بهـا كـدمـوع العيـن صـافيـة ممـزوجـة بلمـاه الطيـب العطـر
وقـال خـذْ وارتشـفْ مـاء الحيـاة ولا تخـشَ المـلامَ فمـا فـي ذاك مـن حـذر
واشـربْ رحيـق مـدام ثـم كـن حـذراً تبقـى لـلائمـكَ الـلاّحـي سـوى الكـدر

ومنهم المولى حامد العمادي فقال مشطّراً:

وأغْيَـدَ قـدٌّ أمـال السكـر قـامتـه ذي منطـق قـد غـدا يفتـر عـن دررِ
لـم أنسـه إذْ أتـى مـن غيـر مـوعـده واللّيـل محتبـك بـالأنجـم الـزهـر
دنـا إلـيَّ وكـأس الـراح فـي يـده مملـوؤة بحبـاب زاكـي الأثـر
مـن بنت كـرم زهـت فـي دنهـا وأتـت ممـزوجـة بلمـاه الطيـب العطـر
وقـال خـذْ وارتشـفْ مـاءَ الحيـاة ولا تخـشَ مـلامـة ذاك الخـائـف الحـذر
خـذْهـا عقيقـاً ولا واشٍ هنـاك ولا تبقـي لـلائمـك الـلاّحـي سـوى الكـدر

ومنهم المولى السيد عبد الرحمن الكيلاني:

وأغْيَـدَ قـدٌّ أمـال السكـر قـامتـه وضـرِّجـت وجنتيـه نهلـة السكـرِ
قضـاء شمسـاً علـى الآفـاق مشـرقـة واللّيـل محتبـك بـالأنجـم الـزهـر
دنـا إلـيَّ وكـأس الـراح فـي يـده يـاقـوتـة رصعـت مـن نـاصـع الـدررِ

وأشرقت تزدهي زهواً وقد وردت ممزوجة بلماه الطيب العطر
وقال خذْ وارتشفْ ماءَ الحياة ولا نرجو سواها لنيل القصد والوطر
واستأصل التبر من كأس اللجين ولا تبقي لـلائمك اللّاحي سوى الكدر

ولأخيه السيد يعقوب الكيلاني مشطراً أيضاً:

وأغْيَدَ قدٌّ أمال السكر قامته كغصن بان ثنته نسمة السحر
فلاحَ من وجهه فجر الفلاح لنا واللّيل محتبك بالأنجم الزهر
دنا إليَّ وكأس الراح في يده نار ونور غدا في صفحة القمر
أريجها نافح في ألحان إذْ سطعت ممزوجة بلماه الطيب العطر
وقال خذْ وارتشف ماء الحياة ولا تقصد سواها لدفع الهمِّ والضرر
وانعش وجودك من صافي المدام ولا تبقي لـلائمكَ اللّاحي سوى الكدر

ولصاحب الترجمة:

ألا فانْعم بهاتيك اللّيالي مضت كالبرق أو طيف الخيالِ
وأيام جنيت بها ثماراً من الأفراح في روض الكمال
رعا الله من عصر نقضي به صفو المسرة كالزُّلال
وإنّي الآن لو سرّحت طرفي لما قد مر يعثر بالمحال
وإنْ يوماً نصبت حبال فكري لقنص الزهر من فلك المعالي
تقطعت الجبال وكان صيدي تناول أدمع تحكي اللآلي

قوله: (وإني الآن إلى آخره) هو من قول ابن الأثير:

لم أنس ليلة ودّعوا صبّا وساروا بالحمولِ
والدّمع من فرط الأسى يجري فيعثر بالذيول

ومن ذلك قول المولى الصديقي المار ذكره آنفاً:

لما رحلت عن الحبيب وبنت عن تلك الربوعِ
أيقنت أنَّ القلب قد ثارتْ به نار الولوع
وحشائي قطِّع بالنّوى والشوق خيّم بالضلوع
والجفنُ كلّم بالسهاد ولم يذقْ طعم الهجوع
حتى لقد أمسيت أعثر من شجوني بالدموع

وللشيخ سعدي العمري:

قمر أطعت به الغواية والهوى وطويت عن غي الملام مسامعي
ما راح يعثر في برود دلاله إلاّ وعاد تعثّري بمدامعي

وللسيد مصطفى الصمادي:

ومودّع لا كان يوم وداعه ولي وأودع نار قلب تسعّرْ
والطرف مثل الطرف يجري خلقه لكنّه بدموعه يتعثّر

وللشيخ صادق الخرّاط:

أفديه بدراً بالمحاسن ساطعاً أبداً بدل جماله يتبختَرْ
ما رام طرفي نظرة من حسنه إلاّ وراحت بالمدامع تعثَّرْ

وله وقد نقله لتعثر الفكر:

أفديه من ظبي أطال نفاره جوراً فعقلي في هواه محيَّرْ
ما زلت أطلب قربه فيزيدني بعذابه قلب الشجي يتسعّر
وتتابعت فكري بطرق وصاله حتى غدا بعض ببعض يعثر

ولأخيه الشيخ محمد أمين الخرّاط:

عاطيته والليل مد رواقه والبدر من خلل الغصون يلوحُ
صهباء صافية أرق من الصبا منها شذا طيب العبير يفوح
حتى إذا شقّ الظلام رداءه والصبح كاد بما أسرّ يبوح
ولي يميس معربداً أجفانه عن فرقه ماء الحياة يزيح
وذهبت أعثر في دموعي والهاً متحيّراً لم أدرِ أين ألوحُ

ولما كان المترجم يراجع في الأمور حتى من الوزراء والصدور، طالت دولته، وعظمت عليه من الله نعمته، واشتهر صيته وعلا قدره، ونشر ذكره، لكنه كان يتصدّى للاستطالة في أفعاله وأقواله، فلذلك كانت أقرانه وغيرهم يريدون وقوعه في المهالك، لكونه كان يعارضهم، ولما توفّي الوزير سليمان باشا العظم والي دمشق الشام وأمير الحاج، وجاء من قبل الدولة الأمر بضبط أمواله ومتروكاته، نسب المترجم إلى أمور في ذلك الوقت، ففي خلال تلك السنة تولّى دمشق حاكماً وأميراً للحاج ابن أخيه الوزير أسعد باشا العظم، وكان أولاً حاكماً في حماة فأكمل للمترجم فعله المنسوب إليه حين وفاة عمه المذكور، ولم يره إلاّ ما يسرّه، وكان المترجم في ذلك الوقت منتمياً إلى أوجاق اليرلية (المحلية)، وكان الأوجاق في ذلك الحين قوا قائمه وجيوشه بالفساد متلاطمة، واليرلية مجتمعون عصبة وجموع، يذل لهم أكبر قوم بالمذلة والخضوع، قد أبادوا أهل العرض وانتهكوا الحرمات، وأباحوا المحرمات وأناحوا المفسدات، ولم يزالوا في ازدياد، مما بهم حتى عم فسادهم البلاد والعباد، وكانت رؤساءهم زمرة ضالة، وفئة متمردة، وكلّهم ينطقون بلسان واحد، كأنهم روح في جسم واحد، وصاحب الترجمة يوليهم مكرماته، ويمنحهم إحسانه

وإنعاماته، وهم لبابة وفود قد اتخذوه عضداً، وجعلوه ركناً وسنداً، وأرباب العقول في دمشق في همّ وكدر، وخوف وحذر، كل منهم متحيّر في أمره ومتخوف من هذا الحال وعواقب شره، ووالي دمشق وأمير الحاج أسعد باشا المذكور ناظر لهذه الفعال، متحيّر من تلك الأحوال، لأن الشقي منهم كان إذْ ذاك يجيء إلى حبس السرايا (سراي) ويخرج من أراد من المحبوسين من غير إذن أحد علناً وقهراً، وإذا مرّ الوزير المذكور بهم وهم جالسون لا يلتفتون إليه، ولا يقومون له من مجالسهم عند مروره بهم، بل يتكلمون في حقّه بما لا يليق بمسمع منه، فيحتمل مكارههم ولا يسعه إلاّ السكوت، واستمر أمرّهم على ذلك إلى أن كتب في شأنهم للدولة العلية، فورد الأمر بقتلهم وإبادتهم، فأخفاه الوزير مدّة، ثم بعد ذلك أظهره وشرع في قتلهم وإبادتهم، وأعطاه الله النصر، وفرجت عن أهالي دمشق الشدائد، وأزاح الله هذه الظلمات بمصابيح النصر والفتوحات، ثم بعد أشهر قليلة كتب الوزير المذكور إلى الدولة العلية بخصوص صاحب الترجمة، وما هو عليه وأرسل الأوراق التي في حقه مع علي بك كول أحمد باشا[1]، وكان ذلك بتدبير خليل أفندي الصديقي وأعيان دمشق، ثم صادف أنّ صاحب الدولة كان حسن باشا الوزير، وكان يبغض المترجم، لكونه لما جاء قريب المذكور أحمد آغا آغت أوجاق الينكجرية، طرده وصار آخراً وزيراً، فأدخل للسلطان أحواله وعرّفه طبق مكاتبة أسعد باشا، وكان أسعد باشا ضمن للدولة تركته بألف كيس، ثم جاء الخبر بقتله، وكان قبل ذلك صار من أهل دمشق عرض في خصوصه فلم يفد، ولما وصل كان هو بإسلامبول، فأعطى العرض له، ولما جاء لدمشق صار يخرجه وينتقم ممن اسمه مكتوب فيه، وكان السبب في ذلك وجود آغت دار السعادة السلطانية قوجه بشير آغا، وكان المترجم منتمياً إليه، وكان للآغا المذكور نظر على المترجم وحماية، فصادف حين كتب الوزير الموميء إليه ثانياً أنّ بشير آغا توفّي، وحان المقدور وآن وقته، فجاء الأمر بقتله، ولما وصل الأمر جيء بالمترجم إلى سراي دمشق وخنق في دهليز الخزنة التي عند حرم السرايا، وقطع رأسه وأرسل للدولة، وطيفَ بجثته في دمشق ثلاثة أيام في شوارعها وأزقتها مكشوف البدن عرياناً، وضبط تركته الوزير المذكور للدولة العلية فبلغت شيئاً كثيراً، وقتل بعض أتباعه وخدّامه، وضبطت كذلك أموالهم، وتفرّق الباقون أيدي سبأ، كأن لم يكونوا، وانقضت دولته كأنها طيف خيال أو لمعان آل، وكان قتله يوم الأحد بعد العصر بساعة خامس عشر جمادي الآخرة سنة تسع وخمسين ومائة وألف، وساعة قتله صارت زلزلة جزئية، وآخراً بعد الطواف بجثته دفنت بتربة الشيخ أرسلان رحمه الله تعالى وعفا عنه.

فتح الله العمري الموصلي:

٥٤٤ ـ فتح الله العمري الموصلي بن موسى الموصلي العمري الشافعي: ترجمه

(١) أحمد باشانك كوله سيمي دمك يوخسه كلميدر.

صاحب الروض فقال: غارس شجر البلاغة والحجا، ومقتنص شوارد الفصاحة والنهي، العالم الذي هصر أفنان العلوم ببنانه، والحبر الذي أنطق ألسنة الأقلام من معجزات بيانه، أخلصه الدهر خلوص الذهب السبيك، وولاه على ولايات البراعة فلم يكن له بها شريك، لم يكن له خطوة إلاّ وله بها من المجد حظوة، انتهى.

كان رحمه الله تعالى مولعاً بالفقه حتىٰ مهر به وبرّز، وكذا في غيره من الفنون، وتولّى نيابة القضاء بالموصل مدّة مديدة، وأخذه بعض القضاة نائباً معه إلى البصرة، فناب عنه في ذلك ثلاث سنين، ثم رجع فوجد مراداً العمري قد توفّي، فأخذ عنه تولية جامع العمرية بالموصل، فزاحمه فيها علي أفندي بن مراد المرقوم، ثم اصطلحا على الاشتراك فيها بعد نزاع طويل، ولم يكن له شعر فيما علمت، وعامّة قراءاته كانت على محمود النائب علامة وقته، ودخل حلب الشهباء في سنة ست وستين وألف في مرض كان به، ومكث بها إلى أنْ عوفي وعاد سالماً، ثم توفي بعد ذلك في حدود سنة سبع ومائة وألف بتقديم السين، وقد جاوز الثمانين، وقبره في الموصل، ولم يبق من عقبه الآن أحد رحمه الله تعالى وأموات المسلمين.

فتح الله الحلبي:

٥٤٥ ـ فتح الله الحلبي المعروف بفتحي الحلبي نزيل قسطنطينية، الشاعر الكاتب الفائق: ولد بحلب وذهب إلى الروم إلى قسطنطينية دار الملك والخلافة، ووصل إليها ودخل في زمرة كتاب ديوان السلطان، وبعد مدّة انتسب إلى الصدر الأعظم الوزير علي باشا المعروف بالعربجي، وصار مكتوبجية، والوزير المذكور كان وزيراً شديد البأس حادّ المزاج، وقتل بأمر سلطاني في جزيرة قبرس في سادس عشر شعبان سنة أربع عشرة ومائة وألف، والمترجم كان له شعر حسن بالتركي، رأيت منه شيئاً قليلاً، وكانت وفاته في أواخر سنة ست ومائة وألف رحمه الله تعالى.

فخري أفندي الموصلي:

٥٤٦ ـ فخري أفندي الموصلي ترجمه بعض أفاضل الموصل فقال: أخذ أزمّة الأدب وعلا على متونها، وعلق قناديل فوائد الحواشي على شروح الكمالات ومتونها، طلع طلوع الهلال وأنار، وأشرق بكماله الليل والنهار، رقى على أوج الفضائل وحلّ بناديها، وحلّ عقود مقاصد البلاغة ومباديها، فهو صاحب الشرف القديم، والكمال الجسيم، الذي أنارت به نجوم المعاني وشموسها، وسلمته أرواحها ودانت له نفوسها، فغلب جهابذة الكلام ببلاغته وفاقها، وسما ناظمين درر أفاويق المعاني ونساقها، وربما كان يتعاطى الشعر والإنشاء بالتركية والفارسية، وله شعر جامع في الكتب والمجامع، انتهى. وكان صاحب

الترجمة بارعاً في العلوم العقلية والنقلية، وكانت وفاته سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

السيد فضل الله البُهْنسي(١):

٥٤٧ ـ السيد فضل الله البهنسي بن أحمد بن عثمان بن محمد، المعروف بالبهنسيّ، الحنفي الشريف لامّه الدمشقي: كان له اطلاع في الأدب ومعرفة بالأمور الشرعية مجاناً، حسن الأخلاق، طارح التكلّف، حمولاً له نكت ونوادر، ولد في دمشق كما أخبرني في غرّة شوّال سنة سبع وعشرين ومائة وألف ونشأ بها، وقرأ الفقه على الشيخ صالح الجنيني، ثم على الشيخ موسى المحاسني، وقرأ على الشيخ أحمد التدمري الطرابلسي نزيل دمشق، وكذلك قرأ على الشيخ محمد بن حمدان الدمشقي، وصار يتولّى نيابات الحكم في دمشق، ويعامل أهالي قرى الغوطة، ويتصدّى للوكالات في المخاصمات، ووقع في أمور بسبب ذلك، وكان صاحب ثروة ومال، لكنّه يغلب على نفسه الشح والبخل، وبالجملة فقد عارك الدهر وصبر على الكدر والصفا، ولم يزل يتقلب بالأحوال، متكدراً بين قيل وقال، إلى أن مات، وكنتُ أميل إلى نوادره وهزلياته المضحكة، وكان بينه وبين قريبه ونسيبه الشيخ عبد الرزاق البهنسي مواحشة باطنية، وكل منهما يقول: إنّ الآخر ليس من بني البهنسي، ولم يزالا بين تخاصم وقيل وقال إلى أن ماتا، ومما اتفق أنّ السيد عبد الرزاق المذكور صنع أبياتاً ذكر فيها اسم صاحب الترجمة، وكان المترجم قد اشتهر اسمه بين الناس بالسيد فضلي، فذكره السيد عبد الرزاق في أبياته بهذا الاسم، لكن لم يصرح بهذا الاسم، وإنما ذكره بطريق الألغاز والرمز، ثم شيع الأبيات إلى مجلس كان يحضره الأديب الفاضل السيد عبد الحليم اللوجي الدمشقي، فلما وقف على الأبيات لم يظهر له في بادي الرأي مراد السيد عبد الرزاق في ألغازه اسم المترجم، لبُعْد قرائن الكلام عن الدلالة على المراد، فبلغ الناظم ذلك، فقال ما معناه: إنّ رمزه يدق عن فهم اللّوجي وأمثاله، فلما بلغ اللّوجي ذلك كتب للناظم أبياتاً جرت فيها تورية لطيفة في اسم السيد فضلي المترجم، مع التنويه بقدره، والتبكيت على الناظم السيد عبد الرزاق، فقال: أعني اللّوجي من جملة أبيات يخاطب بها السيد عبد الرزاق:

زعمتُ أنّي لحلٍّ ... الرّموز لستُ بأهلِ
وإنّ مرماك شيء ... يدقّ عن فهم مثلي
ما كان ذاك ولكن ... جحدت مقدار فضلي

فلما وقف السيد عبد الرزاق على الأبيات استلطف هذه التورية التي وقعت في اسم

(١) البَهْنَسا: مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربي النيل. معجم البلدان ١/ ٦١٢.

فضلي، واعتذر إلى اللّوجي عما كان منه، وبالجملة فإن المترجم كان سليم الباطن، والسيد عبد الرزاق كان بخلافه، وقد أطلعني المترجم على ديوان له يحتوي على نظمه، وغالبه هجو وهزل، ولا بأس أنْ نورد له هنا شيئاً من ذلك، فمنه قوله وكان يكتب في إمضائه أحمد فضل الله فاعترض عليه بعض الناس فقال:

ومعترض جهلاً بغير تأمّل ... مسيء علينا قد حوى غاية الجهلِ
يقولُ ماذا قد سميّت بأحمد ... واسمك فضل الله قل لي عن الأصل
فقلتُ له قد خصّني بعض فضله ... فقابلته بالحمد شكراً على الفضل

وله من أبيات مطلعها:

إنّ حبّي طول المدى لا يزول ... وسهادي ذاك السهاد الطويلُ
وغرامي يزداد في كل يوم ... لست عنه طول الزمان أحول
قد سقاني الزمان كأس صدود ... زاد جسمي الضناء وهو نحول
يا أهيل الغرام إنّ هيامي ... يومه بالفراق يومٌ جليل
كلما عنّ ذكرهم في ضميري ... سال طرفي بالدمع وهو همول
كم لنا وقفة بقرب حماها ... حيث عنها في الدهر عزّ الوصول
إنّ عقلي مُذْ سار عيس المطايا ... ضاع مني وتاه عنه الدليل
وتصابي بعد الكمال وأضحى ... في انتقاص وقد براه النجول
يا زمانَ السرور هل من رجوع ... علّ منافي الدهر يشفي الغليل
أو خيال يزور مُقْلة صبّ ... قد جفاها المنام وهو ملول

وكتب على باب قاعة في داره:

ألا إنّما قد شاد من فضل ربه ... وإنعامه هذا المكان وقد أنْشا
بعون إلّه الخلق قام بناؤه ... وذلك فضل الله يؤتيه من يشا

ومن هجوه في رئيس كتّاب القسمة العسكرية بدمشق السيد يحيى الجالقي:

حسب امرىء عمره تسعون ماضية ... أتت عليه بأسقام وأمراضِ
لو يشتري الموتَ في دنياه من أحدٍ ... لكان بالغبن يشريه بإقراض
كمثل يحيى الذي أضحى له مائة ... من السنين ومنها لم يكن راضي
تراه يمشي حبواً وهو ذو ولع ... في أخذه قسمة الأيتام للقاضي
كأنّه ظلّ شمس عند ناظره ... أو شبه طيف خيال في الكرى ماضي
أو صورة طبعت في حائط رسمت ... لا نطق فيها ولا تهنا بإغماض
وما يرى فيه من نطق يحرّكه ... فهو التباس بشيطان دعي جاضي

وله غير ذلك من الأشعار والنظام والنثار، وبالجملة فقد كان من نوادر عصره، وكانت وفاته في يوم الثلاثاء السادس والعشرين من رمضان سنة إحدى وتسعين ومائة وألف، ودفن بتربة مرج الدحداح، وَرُؤيت له وصية بخطّه فنفذت بعد موته رحمه الله تعالى.

فضل الله الصفوري:

٥٤٨ ـ **فضل الله الصفوري بن إبراهيم بن حيدر الشافعي نزيل الموصل، الشيخ الفاضل العالم المفتي المحقق**: ترجمه محمد أمين الموصلي، فقال: لمَّ شعث المكارم والمعارف، وصدع الأموال بالمصارف، وفكّ عرا الأغلاق ببنان الإيضاح، ورنا بطرف الفكر إلى ظلمة الاشكال فتركها أوضح من الصباح، إنْ سُوْجل كان السابق في مضمار العلوم النقلية والعقلية، أو خُوْصم قيّد الخصم بسلاسل الدلائل اليقينية، فإنْ جاهلٌ تَفَرْعَنْ كان موسى، وإن عالم توفي كان عيسى، الخ، وهي طويلة، ومما اقترح عليّ معارضة قصيدة في «سقط الزند» رويُّها اللام المكسورة، وهي معروفة فقلت معترفاً بالقصور إذْ المعرّي لا يلحق له غبار، ولا يعرف له عيار.

خليليّ ما للحادثات ومالي … لقد طال منها يا زمان جِدَالي
وربع عقلت القود دون نؤيه … هي الدار فاتركها بغير عقالِ
تحنّ إلى الأعطاف منها كأنّها … من الشوق ثكلى دمعها متوالي
إذا لَمَحْتَ برقاً من الغرب هزّها … إلى الدار ذكرى منزلٍ وطلالِ
وقفتُ بها أستخبرُ الربع لو يَعي … مخاطبة حتى يردّ سؤالي
يودُّ المطايا لو يعود بعيشنا … زمان مزجنا راحه بوصال
أعدْ ذكر أيام الصبا فحديثها … إذا مرّ في سمعي شمول ثمالي

ومنها:

فيا بارقاً من غرب دجلة عنّ لي … فبدّد من جفني عقود لآلي
هل الربع من أرض الحبيبة عامر … أم اعترضته النائبات كحالي
وهل شجرات الجوسق الفرد مثل ما … عهدت بنوار الزهور حوالي
وهل مرتع الهيفاء ريّان أم سقت … ثراه اللّيالي بعدنا بوبال
وهل بقيت أطلال لمياء بعدنا … عوامر أم بانت وهنّ خوالي

وكان قد حصل بينه وبين ابنه نفرة أوجبت فراقه، فمكث في موران مدّة ثم رحل إلى نحو سنا، ثم إلى الموصل، ثم إلى حلب، ثم إلى قسطنطينية فأكرمه أرباب الدولة، ووجّهوا

له قرية من قرى كركوك، وعاد إلى بغداد، وكانت قراءته على أولاد عمه وعلى والده، وله تعليقات عديدة في الحكمة وغيرها، ولم أتحقق وفاته في أي سنة كانت، غير أنّه كان في أواخر هذا القرن.

فضل الله أفندي الشهيد:

٥٤٩ ـ فضل الله أفندي الشهيد بن محمد بن حبيب بن أحمد بن جنيد الصدر الرئيس العالم المتفنن البارع العلامة النحرير شيخ الإسلام بقسطنطينية وصدر البلاد الرومية: ولد بأرزن الروم في شوّال سنة ثمان وأربعين ومائة، وتربّى في حجر والده، وقرأ عليه، وعلى السيد عبد المؤمن من أصهارهم عدّة تآليف في سائر الفنون، وقرأ على ابن خاله إسماعيل بن مرتضى جملة من علوم العربية، وعلى الشيخ محمد بن نظام الواني، وأخذ الحديث عن العالم محمد ظاهر بن عبدالله المغربي، ثم ارتحل إلى أدرنة والسلطان بها، بأمر من الشيخ الواني سنة أربع وسبعين وألف، وتزوّج بعائشة ابنته، وصار الشيخ الواني يذكره للسلطان ويثني عليه، ويأمره بمباحثة العلماء، ثم بعد ثلاث سنين أرسل له منقاري زاده الملازمة فلم يقبلها بأمر من المذكور، ثم في سنة ثمان وسبعين حجّ واجتمع بعلماء الحرمين ودمشق، وعين له بدمشق مائة وعشرون عثمانياً من الجزية، وفي سنة ثمانين صار معلماً ومؤذناً للسلطان مصطفى، وأعطي الملازمة والتدريس، وبعده للسلطان أحمد، وقتل شهيداً في فتنة أدرنة سنة خمس عشرة ومائة وألف رحمه الله تعالى.

فيض الله الحجازي:

٥٥٠ ـ فيض الله الحجازي بن عبد الحق، المعروف كأسلافه بالحجازي، الشافعي الدمشقي قاضي الشافعية الشيخ الفقيه الصالح: استقام قاضياً مدة سنين، مراجعاً بالأحكام الشرعية، وكانت وفاته في رجب سنة ست وثلاثين ومائة وألف رحمه الله تعالى وأموات المسلمين.

فيض الله الأخسخوي:

٥٥١ ـ فيض الله الأخسخوي بن محمد الأخسخوي الرومي الدفتري بدمشق، وأحد رؤساء الكتاب في الدولة المعبر عنهم بالخواجكان: خدم في أوائل أمره الوزير أحمد باشا المتوفى بمصر، وكان أتقن الكتابة والإنشاء في التركية، وصار خازنه، ثم لما عيّن الوزير المذكور إلى نظام جزيرة قبرس، وإزالة العصاة من رعاياها وأهاليها، وظفر بهم وقتل من قتل، أرسل من طرفه المترجم برؤوس القتلى على عادة الدولة، فحصل للدولة السرور، وأعطي رتبة الخواجكان، وهي معتبرة بين رؤساء الكتاب، ثم لم يزل مستخدماً عند الوزير المذكور حتى توفّي، فارتحل إلى القسطنطينية وقطن بها مدّة، ثم لمّا صدر من طرف أمير

مصر الأمير علي، والأمير محمد أبي الذهب ما صدر في دمشق ونواحيها وأظهر العصيان الشيخ ظاهر بن عمر الزيداني الصفدي حاكم عكا، وأرسلت الأوامر السلطانية، وعيّن من طرف الدولة الوزير عثمان باشا الوكيل رئيساً على العساكر والوزراء والأمراء المأمورين في السفر بذلك، أرسل المترجم دفترياً في المعسكر السلطاني بدمشق، ولما انقضت تلك الفتنة وخمدت نارها بوفاة الأمير علي، والشيخ ظاهر وأبي الذهب، عاد لطرف الدولة، وفي سنة تسع وثمانين ومائة وألف قدم لدمشق دفترياً بها، وعزل عن المنصب المذكور محمد بن حسين بن فروخ الدفتري، ثم لم تطل مدّة سلفه ومات، واستولى على داره ومتعلقاته وتركته بما اقتضاه رأيه لوفاته عن غير ولد، وذهبت تركة المتوفّى المذكور، وتخاطفتها أيدي ذوي الشوكة إذْ ذاك، ثم كبر جاش المترجم وتعرض للمخالطة في الأمور، وأحدث القلمية بالأمر السلطاني التي تؤخذ من أرباب المالكانات والإقطاعات العثمانية، وكانت مرفوعة بالأمر السلطاني من سنة ثلاثين ومائة وألف، وسُوعد في إجرائها، ثم إنّه تصدّى لمعارضة الرؤساء والأعيان بدمشق، حتى توصّل لحاكمها وكافلها أمير الحج الشامي الوزير محمد باشا ابن العظم، ثم عزل عن منصبه، وصار مصطفى بن علي الحموي دفترياً من طرف الدولة، ولم تطل مدته ومات دفترياً، وكان المترجم ارتحل لقسطنطينية بعد عزله، وتولّى المنصب المذكور قبل وفاة الحموي، فصادف موته عزله، وجاء المترجم بالأمر السلطاني لحاكم البلدة محمد باشا المذكور من طرف الدولة بتقرير منصبه، ثم بعد دخوله بأيام ارتحل على العادة الوزير المذكور لطرف القدس حاكماً مكانه في غيبته، فظهرت منه أشياء غير محمودة يرجع غالبها للأنفة والشدة، حتى إنّه وقع بينه إذ ذاك وبين المولى محمد طاهر بن محمود القاضي بدمشق وبين آغة القُوْل علي الحلبي، حتى إنّ بعض الأنفار من القُوْل هجموا على مقر حكومته وهي السراي، وخرجت أتباعه لدفعهم وردّهم، وانقضت الفتنة ذلك اليوم، ثم بعد رجوع الحج لدمشق عرض الوزير كافل دمشق المذكور لطرف الدولة بسوء حال المترجم، فعزل عن منصبه وأجلى بالأمر السلطاني لبلدة قونية، وصار دفترياً مكانه يوسف الحلبي كاتب ديوان كافل دمشق المذكور، ثم أطلق وارتحل لقسطنطينية، وقدم دمشق مأموراً من طرف الدولة بالأوامر السلطانية على أمير الجردة، ووالي طرابلس الشام عبدالله باشا ابن الكافل المذكور رغبة في عفو والده عنه، وكتبت له الدولة كتباً بالتوصية به، ثم بعد أداء مأموريته وذلك في جمادى الأولى سنة سبع وتسعين ومائة وألف توفي الكافل محمد باشا، وبعد موته بأيام قلائل جاء له المنصب المذكور من طرف الدولة وصار دفترياً بدمشق، وكان قبل موته هو كتب للدولة عن صيرورته له، فجاء له المنصب على كتابته، فتعرّض للناس وتقوّى وظهر منه طمع في الأمور وتغلّب، ولما وصل خبر ذلك للدولة واتّهم بأخذ البعض من مال الباشا المتوفى وتركته، وأنّه هو الباعث على إخفاء المخلفات المظنونة لتراخيه عن الختم على دور الوزير المذكور وأماكنه، تحسّن عندهم رفعه لقلعة دمشق، فجاء الأمر السلطاني برفعه فرفع للقلعة وبقي المنصب عليه، ثم أطلق بعد أيام وانزوى بعد ذلك

وانكف عن المخالطة، واقتصر على أمور نفسه حتى مات، وكانت وفاته بدمشق يوم السبت رابع عشر محرّم الحرام سنة تسع وتسعين ومائة وألف، ودفن بتربة الباب الصغير بالقرب من بلال الحبشي رضي الله عنه، والأخسخوي: نسبة إلى أخسخة بألف مفتوحة وخاء معجمة وسين مهملة وخاء معجمة أيضاً وهاء، ناحية تشتمل على بلاد وقرى مشهورة بالروم والله أعلم.

حرف القاف

قاسم الجليلي الموصلي:

٥٥٢ ـ قاسم الجليلي الموصلي بن خليل الجليلي الموصلي: كان ماهراً عارفاً بصنعة النثر والنظم، خبيراً بتعاطي أمور الملك، صدراً في مجالس الشرف، ولد في حدود سنة ثمان ومائة وألف بالموصل ونشأ بها، وحج في عام اثنين وأربعين ومائة وألف، وترجمه الفاضل الوحيد عثمان العمري الدفتري، فقال: جبل الأدب الشامخ، وطود الفضل الباذخ، ذو المجد الراسي، والبذل المواسي، والقريض المزهر، والصباح المسفر، والكمال الداجي، والنوال المداجي، والكمالات الموفورة، والبراعات المنثورة، الذي باهت به الأقلام، وتاهت به الليالي والأيام، انتهى. وترجمه محمد أمين بن خير الله الخطيب، فقال: ذو الهمم الشامخة، والفضائل الباذخة، والقدم الراسخة، والأيادي الناضخة، والعلوم التي هي لهامة الجهل فاضخة، ولقسمة المستفيدين راضخة، أصمى كبد البلاغة بأسنّة أقلامه، وناط على جيد الزمان عقود نظامه، إلى آخر ما قاله فيه: وله شعر لطيف، ومن نَفَثَات بابليّانة قوله في مدح الوزير حسين باشا الجليلي من قصيدة مطلعها:

هي الشمس حقاً والكؤوس المشارق ... وفي كل أفق من سناها دقائقُ

إلى أنْ قال:

هلمّوا إليها مهتدين لنورها ... إلى حانها الفيّاح فالوقت رائقُ
بأيّام مولانا الوزير, ومن له ... من العز دست والسعود نمارق
رؤوف بذي الأرحام برّ موصل ... ولكنّه للمنكرات مفارق
كريم لدفع الضير فينا مؤمّل ... جواد وللخيرات بالجود سائق
نجيب لكشف المعضلات مجرّب ... فتى ذو ثبات إذ تشيب المفارق
فلا زال في عزّ ومجد ورفعة ... وطول حياة والزمان موافق

وكانت وفاته بالموصل سنة أربع وستين ومائة وألف ودفن بها رحمه الله تعالى.

قاسم الدوكالي:

٥٥٣ ـ قاسم الدوكالي بن سعيد بن عثمان المالكي الدوكالي الحوزي المغربي نزيل دمشق، الشيخ العالم الفاضل الناسك الخاشع العارف الصوفي: قيل إنّه كان من الأبدال، قدم دمشق الشام وتوطّن بها في المدرسة السميساطية، واشتغل بقراءة الفتوحات المكيّة للشيخ الأستاذ محيي الدين العربي قدس سره، وغيرها من تأليفه على جماعة من أجلّاء علماء دمشق، وأخذ عن جماعة في المغرب، من أجلّهم قاضي القضاة بها سيدي عبد الملك بن محمد السجلماسي المغربي وغيره، وكانت له معرفة في كلام القوم وحلّ مشكلات دقائق الصوفية، ولم يزل كذلك إلى أنْ مات، وكانت وفاته بدمشق في يوم الأحد عاشر ربيع الأول سنة عشرين ومائة وألف، ودفن بتربة مرج الدحداح رحمه الله تعالى.

قاسم الخاني:

٥٥٤ ـ قاسم الخاني بن صلاح الدين الخاني الحلبي، الشيخ الفاضل الصوفي العارف بالله: ترجم نفسه، فقال: ولدتُ سنة ثمان وعشرين وألف، ثم إنّي سافرت إلى بغداد في شهر جمادى الأولى سنة خمسين وألف، فكانت غيبة طويلة مقدار سنتين، ثم رجعت إلى حلب وأقمت بها شهرين، ثم توجهت إلى البصرة فأقمت بها مدة عشرة أشهر، ثم إنّي توجهت إلى حلب وأقمت بها عشرة أيام، وتوجّهت مع الحاج إلى مكة المشرفة ورجعت من الحجاز إلى إسلامبول، وأقمت بها سنة وسبعة أشهر ثم عدت إلى حلب، وكانت سياحتي هذه قريباً من عشر سنين، وأما في هذه المدة فكنتُ في أخذ وعطاء، وبيع وشراء، ثم إنّي بعد دخولي إلى حلب أحببتُ العزلة عن الناس، وتركتُ البيع والشراء، وسلكتُ طريق الذّل والافتقار، وغيرت الحلّاس والجلّاس والأنفاس، وجاهدتُ نفسي وعاديتها بالجوع والسهر نحواً من سبع سنين، فمنها نحواً من سنتين اقتصرت على أنْ أتناول في كل ستين ساعة كفاً من طحين، أجعله حريرة وأحلّيه بلعقة من العسل، وأفرغه في حلقي، والكفّ من الطحين المذكور وزنه تقريباً خمسة عشر درهماً، وباقي أيام السبع سنين كان أكلي أقل من القليل، وكل ذلك بإشارة مشايخي رضوان الله عليهم أجمعين، فصدق عليّ قول سيدي عمر بن الفارض قدس سره:

ونفسي كانت قبلُ لوّامة متى ... أطعْها عصت أو تعص كانت مطيعتي
فأوردْتها ما الموت أيسر بعضه ... وأتعبْتها كيما تكون مريحتي
فعادت ومهما حملته تحملتـ ... ـه منّي وإن خففت عنها تأذت

فلما انقضت سنو المجاهدة القريبة من سبع سنين، واستهلينا شهر شوال سنة ست وستين وألف ألقى الله تعالى في قلبي حبّ طلب العلم الظاهر، فقرأت على المشايخ سنتين إلاّ شهراً، وفتح الله تعالى عليّ من العلم ما فتح، فتركتُ القراءة وشرعت في الإقراء،

فأقرأت بعض الطلبة، وكان أكثر الطلبة يضحكون ويستهزؤون عليّ، ويقولون نحن لنا عشر سنين نخدم العلم، ولم نتجرّأ، فيأتي بعضهم إلى مجلس درسي مستهزئاً، فوالله ما يقوم من ذلك المجلس إلاّ وقد تبدّل إنكاره بالاعتقاد، وفي ثاني ذلك اليوم يأتي ويقرأ عليّ ويقول: هذا الأمر من خوارق العادة، وبقيتُ على ذلك سنة. انتهى.

وكانت قراءته على جملة من العلماء الأفاضل، وجلّها على الشيخ أبي الوفاء العرضي صاحب طريق الهدى، وكان سلوكه على الشيخ أحمد الحمصي المذكور، فأقام المترجم خليفة بعده في المدرسة الأشرفية إلى أن توجّه عليه تدريس مدرسة الحلوية، وصار يدرّس بها ويقيم الأذكار والأوراد، وتوجّه عليه الإفتاء بحلب، وكان يفتي على مذهب الإمامين أبي حنيفة والشافعي، وله من التآليف «السير والسلوك إلى ملك الملوك»، واختصر السراجية وشرحه، وله رسالة في المنطق، وشرح على الجزائرية في التوحيد، وله غير ذلك من التآليف والفوائد، وكانت وفاته سنة تسع ومائة وألف ودفن بين قبور الصالحين خارج باب المقام بحلب رحمه الله تعالى.

قاسم البكرجي:

٥٥٥ ـ قاسم البكرجي بن محمد، المعروف بالبكرجي، الحنفي الحلبي أحد العلماء الأفاضل، الألمعي اللوذعي البارع الأريب، حاوي فنون العلوم، والماهر بالأدب منثور أو منظوم: ولد بحلب وقرأ على معاصريه من أجلاء حلب، وتفوّق واشتهر، وكان عالماً بالحديث والفقه والفرائض، وله قدم راسخ في العربية والفصاحة والبلاغة والبديع والشعر، ونظمه حسن رائق، وكان في وقته أحد المتفرّدين بالنظام والنثار، ولم يصلني من آثاره شيء حتى أذكره هنا، ومن تآليفه شرح عليّ الخزرجية لم يسبق بمثله، وشرح على الهمزية للبوصيري، وبديعية استدرك فيها أشياء على من قبله، ونظم الزحافات والعلل الشعرية وشرحها، وغير ذلك، ولم يزل كذلك إلى أن مات، وكانت وفاته في سنة تسع وستين ومائة وألف، ومن شعره قوله يمدح النبي ﷺ بقصيدة مطلعها:

أأحبابنا بالخيف لاذقتم صدّا ... ولا كان صبّ عن محبتكم صدّا

ومنها:

أهيل الحمى تالله ما اشتقت للحمى ... أيجمل بي أنْ أنشد الحجرَ الصلدا
ولكنّ سكان الحمى ونزيله ... هم ملكوا قلبي فصرتُ لهم عبدا
أحنّ إليهم كلمّا حنّ عاشق ... إلى ألفه وازداد أهل الوفا ودّا

ومنها:

هو المصطفى من خير أولاد آدم ... وأشرفهم قدراً وأرفعهم مجدا
وأطيبهم نفساً وأعلاهم يدا ... وأثبتهم قلباً وأكثرهم زهدا

وأعـرقهـم أصـلاً وفـرعـاً ونسبـة ... وأكـرمهـم طبعـاً وأصـدقهـم وعـدا
نبـيّ أتـى الـذكـر الحكيـم بمـدحـه ... فأنّى يفي بالمدح من قد أتى بعدا

ومنها:

ومُـذْ شـرفـت مـن وطء أقـدامـه الثـرى ... فكـانـت لنـا ظهـراً وكـانـت لنـا مهـدا

ومنها:

وإنْ رامـت المـدّاح تعـداد فضلـه ... وأوصـافـه لـم يستطيعـوا لهـا عـدّا

ومنها:

قصـدتُـكَ يـا سـؤلـي ومـن جـاء قـاصـدا ... لبـاب كـريـمٍ لا يخـاف بـه ردّا
عليـك صـلاة الله ثـم سـلامـه ... إذا مـا شـدا شـادٍ وتـالٍ تـلا وِرْدا
كـذا الآل والأصحـاب مـا انهـلّ وابـل ... ومـا اخضـرّت الأشجـار أو فتحـت وردا

وله يمدح السيد حسين أفندي الوهبي حين قدم حلب:

دام الســرور والهنــا المـؤبّـد ... وزال عـن وجـه الأمـانـي الكمـدْ
وكـوكـب السعـد بـدا فـي أفـق الإ ... قبـال حتّـى غـار منـه الفـرقـد
وأصبـح الكـون لـدينـا مشـرقـاً ... ووجهـه الطلـق بـذاك يشهـد
وارتـاحـت النفـوس لمـا أن غـدت ... مـوقنـة بـالأمـن ممـا تجـد

ومنها:

قطبُ العُلا غوثُ الولا كهفُ الملا ... فـي الاجتهـاد رأيـه مسـدَّدْ
قـد زيّـن الشهبـا بحسـن عـدلـه ... وسيـره وهـو الحكيـم المـرشـد
وقـد غـدا مـداويـاً بطبّـه ... علتهـا فصـح منهـا الجسـد

ومنها:

عـذراً إليـك سيـدي لمـن أتـى ... يمـدح مـن نعـوتـه لا تنفـدْ
وكيـف أحصـي مـن عـلاك شيمـا ... أو أبلـغ المـدح وكيـف أحمـد
فـاسلـم ودم فـي صحـة وعـزة ... أنـت ومـن تحبّـه يـا أوحـد

وقال مشطراً أبيات ناصح الدين الأرّجاني:

هـاكَ عهـدي فـلا أخـونـك عهـداً ... يـا مليحـاً لـديـه أمسيـت عبـداً
لا وحـقّ الهـوى سلـوتـك يـومـاً ... وكفـى بـالهـوى ذمـامـاً وعقـدا
إنّ قلبـي يضيـق أن يسـع الصبـ ... ـر لأنـي فنيـت عظمـاً وجلـدا
وفـؤادي لا يعتـريـه هـوى الغيـ ... ـر لأنـي مـلأتـه بـك وجـدا

يـا مهـاة الصـريـم عينـاً وجيـداً وأخـا الـورد فـي الطـراوة خـدّا
وشقيـق الخنسـاء فـي النـاس قلبـاً وقضيـب الآراك لينـاً وقـدّا
كيفمـا كنـت ليـس لـي عنـك بـدّ فـأبحنـي ودّاً وإنْ شئـت صـدّا
وملكـت الفـؤاد منّـي كـلا فـأتلفـن مـا أردت هـزلاً وجـدّا
يا ليالي الوصال كم لك عندي خلـوات مـع الغـزال المفـدّى
كـم جنينـا ثمـاركـي وهـي عنـدي مـن يـد كـان شكـرهـا لا يـؤدى
فسقتـك الـدّمـوع مـن وابـل الغيـ ـثِ مـديـد البحـار جـزراً ومـدّا
وبَكَتْكِـي دمـاً عيـونـي مـن دمـ ـعـي بـديـلاً فهـن أغـزر وردا
هـل لمـاضيـكَ عـودة فلقـد آ ن جمـال الحبيـب أن يتبـدى

وله أيضاً:

بنـا مـا بكـم والحـب إحـدى النـوائـب فـلا تطمعـنّ فـي وصـل بيـض كـواعـبِ
أخـلاّي نهيـي عنـه دأب أولـي النّهـي وأيـن النّهـي مـن فعـل سـود الحـواجـبِ
فـدونـك مـا فعـل الجفـون بعـاشـق بـأهـون مـن فعـل الـرمـاح الكـواعـب
ومـا الأعيـن النجـل الفـواتـك بـالفتـى بـأفتـك منهـا فعـل أبيـض عـاضـب
ومـا لفتـة الظبـي الشـرود بجيـده كلفتـة ظبـي شـارد فـي الكتـائـب
ومـن يبتلـى بـالغـانيـات فحسبـه مـن البيـن أنْ يُـرمـى بعيـن وحـاجـب
وقبلـك صـابـرت الهـوى فـوجـدتـه كشهـد بـه سـمّ يطيـب لـراغـب
وعيـش بـلا صفـو وحـزن مـؤبّـد وعيـن بـلا نـوم وعبـرة سـاكـب
ووعـدٌ بـلا وصـلٍ وعهـدٌ بـلا وفـا وقـولٌ بـلا فعـلٍ ومطلـةٌ كـاذب
ولـوعـةُ هجـرٍ فـي فـؤادِ مكـابـد ونـار فـلا تضنـى وحسـرة خـائـب
حنـانيـك لا تجـزع وكـنْ متجلّـدا فعبء الهـوى سهـل على ذي التجارب
فلولا الهوى ما كرّ في الحرب فارس ولا حثـت الـركبـان بيـض النجـائـب
ومـا اشتـاق لـلأوطـان قـطّ مفـارق ولـم يـرع خـلٌّ عهـد خـلّ وصـاحـب
رعـى الله قلبـاً بـالصبـابـة عـامـراً وألحـى خليّـاً فـي الهـوى غيـر راغـب
وأسعـد بـالاً بـالغـرام معـذّبـاً وأنجـح صبّـاً سـار نحـو المطـالـب
وفـي الجـدّ مجـد جـدّ فيـه مكـابـداً أبثـك إنّ الجـدّ أسنـى المكـاسـب
عليـك طـلاّب العـز فـي كـل حـالـة ولا تـرض سفسـاف الأمـور وجـانـب
ألـم تـر أنّ البـاز لـو لـم يكـن بـه قنّـاص لمـا أعلـوه فـوق الـرواجـب

وله أيضاً:

حـاولـتُ رشفـاً مـن لمـى ثغـره قـال طَـلاً شـاربـه يـأثـمُ
قلـتُ أمـا وجهـك لـي جنّـة والخمـرُ فـي الجنّـة لا يحـرمُ

وله قوله:

مليحٌ طريّ الخدِّ جاد بقُبْلة وقال اغتنم لثمي بغير تعلّلِ
فقَبْلتُه خدّ الوى الجيد قائلاً تنقل فلذات الهوى في التنقّل

وله غير ذلك من الأشعار والنظام والنثار، وتقدم ذكر وفاته رحمه الله تعالى.

قاسم النجار:

٥٥٦ ـ **قاسم النجار المعروف بالنجار، الحنفي الحلبي الشيخ الإمام العلامة**: كان خير الأخيار، ورحلة أهل المدن والأمصار، ولد في حلب بمحلة البياضية في سنة سبع وسبعين وألف، وكان يكتسب بعمل يده، يصنع الأقفال الخشب، ويقرىء الفقه والعقائد والنحو والحديث، وأخذ وقرأ على أئمة أمجاد، وشيوخ أطواد، وكان يقرىء بالجامع الذي قرب داره بمحلة خراب خان، وأقام بهذا الجامع إماماً وخطيباً ومتولّياً مدّة ست وستين سنة، وكانت الطلبة ترد عليه من غالب البلاد، خصوصاً من بلاد الروم لأخذ الفقه، وكان يحيي ليالي المواسم من السنة كليلة نصف شعبان، والمولد الشريف، وسائر ليالي رمضان بالذكر والتوحيد وصلاة التسبيح، ثم قبل موته بقليل أحضر لنفسه كفناً، وأوصى وأوقف داره على الجامع المذكور، وكان طويلاً متماسكاً ذا وجهٍ منير، وشيبة وعلاها نور العبادة للقبول، بتأثير خفيف الصوت، ذا وقارٍ وعفاف، حج مرتين، وكان يؤمل الثالثة فلم ينلها، وكانت وفاته في سنة ثلاث وستين ومائة وألف، وليوم وفاته مشهد عظيم، ودفن في جامع خراب خان المذكور تجاه المحراب الصيفي من طرف الشمال وهو يزار.

حرف الكاف

كنعان اغت اليرلية:

٥٥٧ ـ كنعان اغت اليرلية بن عبدالله، رئيس جند الينكجرية اليرلية بدمشق، وأحد الأعيان المشهورين: كان رئيساً للطائفة المرقومة، محتشماً عندهم، موقراً نافذ الكلمة، وارتحل للحج فتوفّي بعد أداء النسك في تاسع عشر محرم سنة تسع ومائة وألف، ولما وصل خبر وفاته لدمشق ضبطت أمواله لجهة بيت المال بمباشرة عبدالله الرومي الدفتري بدمشق، رحمه الله تعالى.

كمال الدين البكري:

٥٥٨ ـ كمال الدين البكري محمد بن مصطفى بن كمال الدين بن علي البكري الصديقي الحنفي الغزي، الشيخ العالم العلامة الصوفي الأديب الشاعر المتفنن الأوحد أبو الفتوح: ولد في ثالث رمضان ليلة الجمعة سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف ببيت المقدس ونشأ في حجر أبيه، وقرأ القرآن العظيم وختمه وهو ابن تسع سنين، وأخذ في طلب العلم، فقرأ على السيد محمد بن إبراهيم الكوراني، وخالد الخليلي، ومحمد بن غوث الفاسي، والشهاب أحمد العروسي، والنجم محمد بن سالم الحفني، وأخيه الجمال يوسف، والشهاب أحمد الملوي، والسيد محمد البليدي، والسيد أبي السعود الحنفي، والشيخ حسن الجبرتي، والسيد قاسم بن هبة الله الهندي، والجمال عبدالله بن محمد الشبراوي، وأخذ الطريقة الخلوتية عن والده الأستاذ المشهور، وبرع وفضل، وألّف مؤلفات نافعة منها شرح رسالة الكلمات الخواطر على الضمير والخاطر، سمّاها «النفحات العواطر على الكلمات الخواطر»، وشرح منظومة والده سمّاها «الجوهر الفريد» و «الكلمات البكرية في حلّ معاني الآجرومية»، و «العقود البكرية في حلّ القصيدة الهمزية»، وجمع كتاباً في أسماء الكتب على طريقة غريبة سمّاها «كشف الظنون في أسماء الشروح والمتون»، وشرح الصلاة

المشيشية وسمّاه «كشف اللّثام والروض الرائض في علم الفرائض»، ونظمها وسمّاها «الدرة البكرية في نظم الفرائد البكرية»، وشرحه وسمّاه «كشف الغوامض وعنوان الفضائل في تلخيص الشمائل»، و «تشنيف السمع في تفضيل البصر على السمع»، ورسائل أخرى، وديوان شعر سمّاه «نبراس الأفكار من مختار الأشعار»، ونظم بديعية سمّاها «منح الإلّه في مدح رسول الله» وشرحها شرحاً حافلاً سمّاه «المنح الإلّهية في مدح خير البرية»، وله غير ذلك ومن شعره ما أرسل به إليّ وهو قوله:

كريم نشأ في العلم والفضل والتّقى ... وجود يغار البحر إنْ هو أغدقا
خليل خليل لا انفصام لودّه ... جليل تسامى في الكمالات وارتقى
هو السيّد المفضال والجهبذ الذي ... كسا الفضل فخراً في الأنام وصفّقا
تسامى به إفتا دمشق مراتبا ... وأزهت به مما لقد حاز رونقا
وقام به سوق الكمالات رائجا ... بما حاز من فضل به الله أنطقا
فلا زال كهفاً للأنام جميعهم ... وبدراً علا في قبة المجد أشرقا

وكانت وفاته في شوال سنة ست وتسعين وألف في غزة هاشم، ودفن بها رحمه الله تعالى رحمةً واسعة.

حرف اللام

لطف الله الواعظ:

٥٥٩ ـ لطف الله الواعظ بن مصطفى القريمي الحنفي نزيل دمشق، الشيخ الفاضل الفقيه الواعظ المتفنن: ولد في سنة ثمان وسبعين وألف، وأخذ العلوم عن الفاضل الشهير أحمد الكفوي، ثم قدم دمشق وتوطّنها، وبرع وفضل، ووجّهت له وظيفة الوعظ بسبعين عثمانياً من طرف الدولة العلية في الجامع الأموي، فصار يعظُ على الكرسي بالقرب من ضريح سيدنا نبي الله يحيى صلى الله على نبينا وعليه وسلم، وكان مشهوراً بين الوعّاظ بدمشق، وألّف منسكاً كبيراً ورسالةً في الردّ على الشيعة، وكانت وفاته بدمشق سنة إحدى وستين ومائة وألف ودفن بسفح قاسيون رحمه الله تعالى.

لطفي الصيداوي:

٥٦٠ ـ لطفي الصيداوي بن علي بن محمد بن مصطفى الصيداوي الحنفي، الشيخ الفاضل الصوفي النبيل الأوحد البارع: كان كردي الأصل، ولمّا ولي صيدا الوزير عثمان باشا المكنّى بأبي طوق، صار صاحب الترجمة كتخدا عنده، اتّخذه الباشا على كُرْهٍ منه، وقد أجاز لصاحب الترجمة الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي في إجازة مطوّلة وقفت عليها، ولما عزل الوزير المذكور من صيدا وولي البصرة، أخذ معه صاحب الترجمة، وذلك في حدود الخمسين ومائة وألف، وبعد ثمانية أشهر من حكومته حاربته الأعجام، وصارت بينه وبينهم وقعة عظيمة قتل فيها المترجم رحمه الله تعالى.

حرف الميم

محمد حاذق:

٥٦١ ـ محمد حاذق بن أبي بكر، الملقب بحاذق على طريقة شعراء الفرس والروم وكتابهم، الحنفي الأرضرومي العالم الفاضل المحقق الشهير الأديب الماهر: قرأ وحصّل فضلاً لا ينكر، ونظم الشعر الحسن بالفارسية والتركية، وولي إفتاء بلدته أرضروم، واشتهر أمره وشاع ذكره، توفّي في رمضان سنة ست وسبعين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

محمد الشقلاوي:

٥٦٢ ـ محمد الشقلاوي بن أبي بكر الشافعي الشقلاوي الكردي نزيل دمشق، الشيخ الفاضل الفقيه الصالح الخاشع العابد التقي النقي الورع: كانت له فضيلة تامة سيّما في المعقولات، قرأ وتفوّق، ولازم بدمشق الشيخ علي الطاغستاني نزيلها، ودرّس في مدرسة الوزير سليمان باشا العظم، وناب في الإمامة بمحراب الشافعي في الجامع الأموي إلى أنْ مات، وكان مثابراً على العبادات صابراً على الفاقة، وله تصلّب في دينه، حتى أُخْبِرتُ أنّه ذهب إلى الحج ذهاباً وإياباً على قدميه، وكانت وفاته بدمشق في يوم الاثنين غرة ربيع الأول سنة تسع وثمانين ومائة وألف، ودفن بالصالحية رحمه الله تعالى.

محمد الجاويش:

٥٦٣ ـ محمد الجاويش بن أبي بكر الجاويش الحنفي الدمشقي، الشيخ العالم الفقيه الصالح: كان من الفقهاء المتفوقين، مع الفضل والمشاركة في كل فن والديانة والتقوى، ولد بدمشق وكان والده من سباهية دمشق المشروطة تيماراتهم بخدمة ديوان سراية الحكم بدمشق، وباشر والده الخدمة المزبورة ثم تركها، وتبع الكسب الحلال، ونشأ ولده المترجم من صغره متعلقاً بالقرآن، وطلب العلم فقرأ النحو على الشيخ عبد الرحمن الصناديقي،

والشيخ محمد الخمسي، والشيخ محمد الداوودي، والشيخ محمد التدمري، وأخذ عنه الفقه، وعن الشيخ محمد قولقسن، والشيخ صالح الجينيني، وأخذ الحديث عن العماد إسماعيل العجلوني، والشهاب أحمد المنيني، وأحمد الشاملي، وعلي الطاغستاني وغيرهم، وتفوّق واشتهر بالفقه، وتصدّر للتدريس في الجامع الأموي مدة تزيد على خمس وعشرين سنة، ورحل للروم صحبة الشيخ محمد بن الطيب الفاسي، وكانت وفاته يوم الجمعة سادس عشر رمضان سنة إحدى وتسعين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

محمد البري:

٥٦٤ ـ **محمد البرّي بن إبراهيم بن أحمد المدني، الشهير بالبرّيّ، الحنفي الشيخ الفاضل العالم المتفنن:** ولد بالمدينة المنورة سنة ثمانين وألف ونشأ بها، وطلب العلوم فأخذ عن والده، وعن ملاّ إبراهيم بن حسن الكوراني، وعن السيد محمد بن عبد الرسول البرزنجي، وعن غيرهم، وجمع فتاوى والده بعد وفاته، وكان شيخاً مهاباً عليه الوقار والسكينة، تولّى مشيخة الخطباء مدّة، ثم رفع نفسه منها، وكان صالحاً مباركاً كل الناس عنه راضون، وبالجملة فبنو البري طائفة مباركة، وهذا من وجوههم، وكانت وفاته بالمدينة سنة سبع وخمسين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

محمد وسيم:

٥٦٥ ـ **محمد وسيم بن أحمد بن مصطفى التختي الشافعي الكردي، الشيخ الصالح الورع الفاضل الفقيه العالم:** أخذ عن يحيى بن فخري أفندي الموصلي، وعن الشيخ محمد الخاموري مفتي بغداد الشهير بِقَرة مفتي، وعن السيد أحمد المصري وغيرهم، وبرع وفضل، وتوفّي بولاية بابان من بلاد الأكراد مطعوناً شهيداً في شوال سنة إحدى وسبعين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

محمد العمادي:

٥٦٦ ـ **محمد العمادي بن إبراهيم بن عبد الرحمن، المعروف بالعمادي الحنفي الدمشقي:** تقدّم ذكر أخيه عليّ وولده حامد، وكان هذا المترجم صدر الشام، علاّمة العلماء حبراً فقيهاً فاضلاً صدراً كبيراً مهاباً عالماً محتشماً أديباً بارعاً نحريراً كاملاً، ولد بدمشق في سنة خمس وسبعين وألف ونشأ في حجر أخيه المولى علي العمادي المفتي، ومات والده وسنّه أربع سنين، فنشأ في رفاهية وصيانة، وقرأ القرآن، ثم اشتغل بطلب العلم، فأخذ الحديث عن الشيخ أبي المواهب الحنبلي، والفقه والنحو والمعاني والبيان عن الشيخ إبراهيم الفتّال، والشيخ عثمان القطّان، والشيخ نجم الدين الفرضي، والشيخ عبدالله العجلوني نزيل دمشق، وأجاز له الشيخ يحيى الشاوي المغربي، والشيخ إسماعيل الحائك المفتي، وعلاء الدين الحصكفي المفتي، والشيخ محمد بن سليمان المغربي، وبرع في الفنون، وساد وتقدّم وبهرت فضيلته، واشتهر وعلا قدره، وولي تدريس السليمانية بالميدان

الأخضر بعد وفاة أخيه، ثم تولّى إفتاء الحنفية بدمشق في أول سنة إحدى وعشرين ومائة، فباشرها بهمّة عليّة، ونفس ملكيّة، ورياسة وإكرام وقيام بأمور أهل العلم واهتمام، ودرّس بالسليمانية في كتاب الهداية، وانعقدت عليه صدارة دمشق الشام، وكان بهيّ المنظر، جميل الهيئة، يملأ العين جمالاً، والصدر كمالاً، بارعاً في النظم والإنشاء، له الشعر الرائق النضير، فإذا نظم خلتَهُ العقود، وإذا أنشأ زين الطروس بجواهره ووشى، وكان معظّماً مقبول الشفاعة عند الحكام والوزراء والقضاة وغيرهم، وكان سمح اليد سخيّاً جدّاً وفيه يقول أحادحيّه:

يد العمادي سماء ممطر ويد الـ … ـعباد أرضٌ تراها تطلب المطرا
فكم غروس أياد أنبتت فغدا … حسن الثناء ثماراً تدهش الفكرا

وقال فيه:

قلتُ للفضل لمَ علوتَ الثّريّا … وتساميت فوق رأس العبادِ
قال قد شادني محمد فاسكت … لا عجيب فإن ذاك عمادي

وترجم المترجم الأمين المحبي في ذيل نفحته، وقال في وصفه: عنوان الشرف الوافي، وحظ النفوس من الأمل الموافي، ومن طلع أسعد طالع في تمامه، فتستر البدر خجلاً منه بذيل غمامه، فوردت طلائع المدائح عليه، تقرأ سورة الحمد إذا نظرت إليه، ومحله من ناظر المجد في أماقيه، ومقامه ما بين حنجرته وتراقيه، ففضائله أنطقتني بما نظمته فيه من الغرر، فكنت كمن قدر البحر من فرائده بعقود الدرر، وقد سلم أنْ يشوب باله غرض، لأن جواهر الأغراض عنده كلها عرض، فحضرته أرجت الأرجاء بطيب شمائله، وقد راض الرياض فأصبحت راضية عن صوب أنامله، بحديث يمدّ في الآجال، ومنطق مهرم البؤس ومرهم الأوجال، وعهد لم يطرقه الريب، وعرض لم يرن إليه العيب، وأما فضله فكل فضل عنه فضول، وله من الأدب أنواع تكاثرت وفصول، وأنا داعيه وشاكر مساعيه، فإذا رأيته رأيت القمر الزاهر، وإذا دنوت منه استرقت أنفس الجواهر، على أني حين أمثل لديه لا أستطيع من مهابته النظر إليه، إلاّ المخالسة بالنظر الثاني، فأعيذه بالسبع المثاني، وشعره يزري بقلائد الجمان، في نحور الحسان، فمنه قوله من نبوية مطلعها:

يا بارقاً من نحو رامة أبرقا … حيِّ العوالي واللّوى والأبرقا
واسأل كراماً نازلين بطيبة … عن قلب مضنى في حماها أوبقا
ركب النجائب حين أمّ رحابها … صحب الفؤاد وقاده متشوّقا
كم تأتني ريح الصبا من نحوها … وأشمُّ فيها بارقاً متألّقا
وأبيتُ أرقبها سُحَيْراً علّها … تسري فأعرف عرفُ من حلّ النقا
وإذا كتمت الوجد خيفة شامت … آلت جفوني حلفة أنْ تنطقا

يا مَنْ سعى بالقلب ثم رمى به جمر التفرّق محرماً عيني اللّقا
وقضى بخيف مني نهايات المنى هلاّ ذكرت متيّماً متحرقا
يا مَنْ تمتّع مفرداً مشتاقه رفقاً فإني قد عهدتك مشفقا
يا رائداً للخير يقصد طيبة متشوِّقاً في سيره متأنِّقا
يمم حمى هذا الشفيع المرتجى واسأل أنامله الغمام المغدقا
وأقرّ السلام مع الصلاة على الذي جبريل كان خديمه لمّا رقى
هذي الغيوث الهاطلات بجودها ما كل غيث في الورى متدفِّقا
من أخجل الكرما لمّا جاءهم متحدِّياً بمفاخر لن تسبقا
فاذهب لحضرته الشريفة ضارعاً واهْدِ السلام وقل مقالاً مونّقا
يا سيد الرسل الكرام ومن غدا لجنابه السامي نشد الأينقا
يا راحم الضعفاء نظرة رحمة لمعذب مضنى الفؤاد تشوّقا
يرجوك فضلاً أنْ تمنَّ ترحّما بشفاعة تمحو ذنوباً سبقا
فالعبدُ في سجن الآثام مقيّد إنّ الكريم إذا تفضّل أطلقا
أنتَ الملاذُ إذا الذنوب تراكمتْ والغوثُ أنت إذا رجانا أخفقا
أنجد لعبد قد تملّك قلبه حبّ الجناب وعمره ما أعتقا
هاجت له الأشواق جمرة لوعة في قلبه فقضت بسقم أحرقا
ما حال يوماً عن غرام صادق لا والذي قدما تفرّد بالبقا
إنْ كان يوماً بالديار مخلفا فالقلبُ منه حيث أنتم أوثقا
أو كانَ قيده القضاء بجسمه فالشوقُ قد وافى لنحوك مطلقا
فاشفع لعبدك كي يزورك سيدي ويرى ضريحاً بالرسالة مشرقا
حيث القبول لوافد بآثامه والعفوُ عن جان أتى متملِّقا
من لي بلثْم تراب ذيّاك الحمى أو أن أكون لعرفه متنشِّقا
تلك المشاهد إنْ يفزجان بها يلقَ النّجاح مع السماح محقّقا
مثوى حبيب قد ثوى في مهجتي ومقام ذي الشرف الرفيع المنتقى
هو غَيْثُنَا وغَيَاثُنَا بل غَوْثُنا من كلّ خطب في القيامة أحدقا
من جاء بالفرقان نوراً ساطعاً وغدا الوجود بهديه متألِّقا
يا هادياً وافى بأوضح منهج لولاك ما عرف السبيل إلى التقى
يا ملجأ المسكين عند كروبه يا منجياً من هول ذنب أقلقا
يا من به طابتْ معالم طيبة وتمسّكت منه بطيب أعبقا
أنت الذي ما زلت ترب نبوة من منذ كوّنك الإلّه وخلقا
العبدُ من خوف الجناية مشفق وبذيل جاهك يا شفيع تعلّقا
صلّى عليك الله ما ركب سرى نحو الحجاز وقاصداً أرض النّقا

والآل والصّحْـب الـذيـن بحبّهـم تـرجـى النجـاة بيـوم هـول أوبقـا
وعلى الخصوص السيّد الصدّيق من أضحـى بـه نـور الهـدايـة مشـرقـا
ورفيقـه اللّيـث الغضنفـر غـوثنـا مـن رأيـه نـصٌّ التـلاوة وافقـا
والصّهـر عثمـان بـن عفـان الـذي حـازَ الحيـاء مـع المهـابـة والتّقـى
والشّهْم حيدرة الحروب مدينة الـ ـعلـم الـذي حـاز السنـاء الأسبقـا
فعليهـم منّـي السـلام محلقـا نحـو الحجـاز وبـالعبيـر مخلقـا
مـا سـارت الـركبـان نحـو تهـامـة يحـدو بهـا حـادي الغـرام مشـوّقـا

وله أيضاً:

قمـر تبـدّى فـوق غصـن قـوام ورنـا يصـول بنـاظـر الآرام
وغـدا لقـوس حـاجبيـه زاويـا يـرمـي بهـا نحـو الـورى بسهـام
فتكـت نصـول لحـاظـه بقلـوبنـا فعلـى الـدّوام تصـول وهـي دوامـي
نحـن المـرامـي والسّهـام لحـاظـه ومـن العجـائـب أنهـنّ مـرامـي
فـي لفظـه أو لحظـه لعقـولنـا خمـرٌ وسحـر مـا همـا بحـرام
ملـك الجمـال بحسنـهِ وبهـائـه وبغنـج لحظيـه وليـن قـوام
ليـتَ الـزمـان بـه لشملـي جـامـع لنـدوم فـي وصـل مـدى الأيـام
جعلت له مني الحشاشة موطناً لمّـا جفـانـي منـه طيـب منـامـي
فعـلام يطنـب لائمـي فـي حبّـه والـوجـد وجـدي والغـرام غـرامـي
ريـح الصبـا زوري حمـاه وبلّغـي عنّـي السّـلام وعـرّضـي بسقـامـي
واستقبلـي وجهـاً غـدا مـن حسنـه قمـر الـدّجـى متسـتـراً بغمـام
واستجلـى خـالاً فـي مقبـل مبسـم أضحـى لكنـز الـدّر مسـكَ ختـام
وتـأمّلـي تلـك المحـاسـن وانظـري صنـع الإلـه وحكمـة الأحكـام
كـالـوردِ لاحَ لنـاظـرٍ والـورد طـا ب لنـاشـقٍ والـروحُ فـي الأجسـام
وهلـمَّ إنْ قبّـل السـلام فبشـرى أملـي وإلاّ فـارجعـي بسـلام

وله أيضاً:

يـا سقـى اللّـهُ يـوم أنـس بنـاد غلـط الـدّهـر لـي بطيـب التـلاقـي
لسـتُ أنسـاه إذ أدار علينـا فيـه أقـداح خمـرة الأحـداق
بـدرتـم أبقـى الكمـال لـه الله وأعطـى المحـاق للعشّـاق
رقّ جسمـي كـالخصـر منـه وقلبـي خـافـق مثـل بنـده الخفّـاق
يـا كثيـر الصـدود رفقـاً قليـلا بمحـب مضنـى مـن الأشـواق
ذاب قلبـي وقـد تصعّـد حتـى قطـرتـه الجفـون مـن آمـاقـي

وله أيضاً مشجراً:

رنا قمراً في جنح ليل من الشعر فلم أدرِ ضوء الصبح أم غرّة الفجرِ
جلا ورد خدّ مع شقيق يزيّنه عقيق شفاه فوق عقد من الدرّ
برى حبّه عشقاً وما رقّ قلبه فيا ليتَ شعري كأنّ قلبك من صخر
جرحت فؤادي وانطويت على الجفا وحكمتَ فيَّ الحب من حيث لا أدري
لعلّ زماني أن يجود بقربكم وتسعفني الأيام فيه مدى الدّهر
بليت بمن قلبي كمثل جفونه تساوت جميعاً في البناء على الكسر
ينفذ من لحظ لقلبي أسهما ويرشق من قدّ بأمضى من السمر

وقال:

غرامي سليمٌ والفؤاد سقيم ودمعي نموم واللّسان كتومُ
وخدّي من ودق الدموع مخدد وبين ضلوعي مقعد ومقيم
وما الدّمع ماء بل فؤاد مصعّد مذاب تقطره الجفون كليم
وقلبي لبُعْد الحبِّ أصبح والهاً وفيه عذاب من جفاك عظيم
وجسمي عليل يشبه الخصر ناحل وحظّي مثل الفرع منه بهيم
يلومونني في حبّ من لو إذا بدا مساء لغاب البدرُ وهو ذميم
فليس لشيء من جميع جوارحي مكان سواه والإله عليم
وقد عاب قلبي بالمحبّة عاذل وكيف خلاصي والغرام غريم
حديثُ الهوى من عهد آدم قد رووا فمهلاً فؤادي فالبلاء قديم
ولم أنس ليلاً ضمنا بعد فرقة برغم عذول لام وهو لئيم
فباتَ وكأسي ثغره ورضا به مدامي إلى الإصباح وهو نديم
إلى أنْ شدا فوق الآراكة طائر وهبّ علينا للقبول نسيم
فقام لتوديعي وقد أودع الحشا بلابل شوق والفراق أليم
فقلت له والجفن ينثر دمعه كسلك لعقد حلّ وهو نظيم
أيا جاعلاً منّي سهام لحاظه وملء الحشا من مقلتيه كلوم
رويداً رعاك الله قربك جنة وبعدك يا رب الجمال جحيم
فقال وقد أثنى القوام تأدّبا تصبّر فإني بالوصال زعيم
وسار وقد سار الفؤاد أسيره ودمعي مسجوم حكته غيوم
فيا ليتني من قبل لم أعرف الهوى ويا ليته لا كان ذاك اليوم[1]

---

(١) قوله: (لا كان ذاك اليوم) كذا في النسخة التي بأيدينا، وهو ركيك غير مستقيم الوزن. اهـ.

وقوله:

هل لقلبي من قامة قتالـه ... من مجير ومقلة نبَّالَهْ
يا لقومي من جور ظبي غرير ... بلحاظ فعل الظبا فعّالَهْ
بدر تمّ أعطى المحاق محبيـ ... ـه وأبقى له الإلّه كماله
لم أقسه بالبدر إلا ببعد ... وبصون عن ناظر أن يناله
أين للبدر قدّ خوط رطيب ... أين للبدر مقلة غزاله
قد حكاه الغزال جيداً ولحظا ... وحكت وجهه المنيرا لغزاله
وغصون الرياض خرّت سجودا ... إذ تثني بقامة ميّاله
لهواه كلّي فؤاد وكلّي ... أذن كلما سمعت مقاله
يا حبيباً تفديه روحي ويا من ... ما رأت في الدنيا عيوني مثاله
ما دموعي إلا فؤاد مذاب ... صاعد والهوى كدمعي أساله
لستُ أنساه إذ أشار لنحوي ... بقوام عند الوداع آماله
وكمين الغرام ثار وصبري ... حار بل راح مُذْ رأى ترحاله
أتمنّى طعم الرقاد عساها ... مقلتي في المنام تلقى خياله
آهٍ بل ألف آهةٍ لغرام ... بفؤادي نيرانه شعّاله
كيف أنسى أيام وصل بناد ... حطّ ركب السرور فيه رحاله
مع بدر يميس عجباً ويرنو ... بقوام وأعين قتّاله
فسقت عهدنا البهيج عهود ... بملث كدمعتي الهطّاله
ما شدّت سحرة بلابل روض ... وأهاجت من مدنف بلباله

وله:

هل لقلب قد هام فيك غراما ... راحة من جفاك تشفي السقاما
يا غزالاً منه الغزالة غابت ... عندما لاح خجلة واحتشاما
وبأوراقها الغصون توارت ... منه لما انثنى وهزّ قواما
لك يا فاتن اللّواحظ طرف ... فتكه بالقلوب فاق السّهاما
عجباً من بقاء خالك في الخـ ... ـدّ ونيرانه تؤّج ضراما
يا بديع الجمال يا كامل الحسـ ... ـن ترفّق بمن غدا مستهاما
هو صب ما مال عنك لواشٍ ... نمق الزور في هوك ولاما

وله من قصيدة تخلّص فيها إلى مديح الجناب الأكرم والرسول المعظم ﷺ وهي قوله:

نبيّ حبيب الله فينا مشفع ... له الرتبة العلياء والنسب الغرا
تسامت على هام السماك بمجدها ... فتاهت على الجوزاء وارتفعت قدرا

أروم امتداحيه بكفء فأزدري	له من بنات الفكر مجلوّة بكرا
لعمري ولا أرضى الدراري ولو ونت	لأنظمها في مدحه فذر الدرّا
وما مدحُ المدّاح تحصر فضله	وقطر الغوادي من يطيق لها حصرا
ولو أنّ ألفاً ينظمون مديحه	لما بلغوا من قدر أفضاله العشرا
وناهيك من قد جاءنا في مديحه	من الله آيات مدى دهرنا تُقْرا
وصلّى إلَهي مع سلام على الذي	أنال الورى فخراً يفوق على الشعرى
مدى الدهر ما غنّى على الدوح ساجع	وما أسبل المشتاق من دمعه القطرا

وكان لصاحب الترجمة غير ذلك من النظم والنثر، وعلى كل حال فقد كان من أفراد الصدور أهل الفضل والجود، ومن ابتهج بمحامدهم وفضائلهم الوجود، ولم يزل مستمراً على طريقته المثلى إلى أنْ مات، وكانت وفاته في جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين ومائة وألف، ودفن بتربتهم بقرب ضرائح الصحابة في الباب الصغير رحمه الله تعالى.

محمد الدمشقي:

٥٦٧ ـ محمد الدمشقي بن إبراهيم بن صالح بن عمر باشا بن حسن باشا الحنفي الدمشقي الأديب الكاتب البارع: كان له معرفة بالتركية والإنشاء والعربية، وله شعر باللغتين، ولد بدمشق في سنة إحدى عشرة ومائة وألف، وجدّه حسن باشا المذكور كانْ بدمشق من مشاهير صدورها وأعيانها، وكان في مبدأ أمره من آحاد جند الشام، ثم تنقّلت به الأحوال حتى ولي محافظة دمشق وغيرها، وبنى بدمشق الخان المعروف به بسوق جقمق، ووقفه مع جملة من عقاراته على ذريّته، وكانت له محاسن ومساوىء إلا أنّ محاسنه أكثر من مساويه، ومن شعر المترجم ما رأيته مكتوباً بخطّه وهو قوله:

يا أكرم من مشى على الغبراء	يا أفضل من رقى إلى الخضراءِ
أرجوك لدفع كل شرّ عني	بالقاسم بالطيب بالزهراء

وقوله وكتبه في صدر رسالة:

سلامٌ على من لم نزل لفراقهم	سكارى بنا جود الوساوس والهمِ
ومن لو رأوا من بعدهم كيف حالنا	لجادوا على غيظ القطيعة بالكظم
وشدّوا على خيل الإياب سروجها	وباتوا وهم فيما نحب على عزم

وله أيضاً:

أيا نبيَّ النبيّين الكرام ومن	لولاه ما كان دين الله قد عرفا
لو لم تكن تثمر الدنيا وضرتها	إلاّ وجودك يا خير الورى لكفى

وكتب إلى والدي وجدي بقوله:

إذا هاجر الشيخ المرادي ونجله بمن عنهما تعتاض جلّق قولوا لي
هما نيّراها فالمقيم بها إذا لبعدهما لا شكّ كان كمشمولِ
رئيسان ما شام الورى قطّ منهما أذى بل هما للناس أكرم مأمول
سلام على القطر الشامي وأهله لحجرة قوم قدرهم غير مجهول

وكانت وفاته في غرة شعبان سنة إحدى وسبعين ومائة وألف، ودفن بتربة الباب الصغير رحمه الله تعالى.

محمد العدوي:

٥٦٨ ـ محمد العدوي بن إبراهيم بن إسماعيل بن محمود العدوي، الشافعي الدمشقي الصالحي، الشيخ الفاضل الكامل الصالح الماهر التقي: لازم الشيخ محمد الغزي الدمشقي مفتي الشافعية بالمدرسة العمرية بالصالحية، وسمع عنده حصّة من شرح المنهج لشيخ الإسلام زكريا الأنصاريّ، وقرأ عليه عدة كتب في الفقه وغيره، وكان له حرص على طلب العلم ومثابرة على مطالعته، وبرع في الفقه والنحو، وصارت له ملكة تامة في عدة فنون، وكان يأتي الجامع الأموي من الصالحية في كل يوم لا يمنعه من ذلك حر ولا برد، مع الديانة والصيانة، وكثرة الحياء، والكف عن فضول اللّسان، إلى أن مات، وكانت وفاته مطعوناً في رجب سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

السيد محمد الطرابلسي:

٥٦٩ ـ السيد محمد الطرابلسي بن محمد، المعروف بالسندروسي، الحنفي الطرابلسي الفاضل النجيب الفقيه: تفقّه في المسائل، وألّف كتاباً في أسماء الصحابة، وعارض به الإصابة، ورمى سهم المعرفة، قاصداً حوز الفضل فما أصابه، فلم تسلم له دعواه، وعورض فيما ادعاه، ثم تطلّب إفتاء الحنفية كشيخه الخليلي، فتوجّه عليه إفتاء طرابلس الشام، فما استقامت مدة يسيرة إلاّ وعزل عنها، فكدر عيشه، وكثر طيشه، فتطلّب منصب نيابة حكم الشرع فكانت سبباً لإحراق داره، وبعد ذلك رجع وتاب، وتبع طريق الحق والصواب، إلى أنْ مات، وكانت وفاته في سنة سبع وسبعين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

محمد الأيوبي:

٥٧٠ ـ محمد الأيوبي أمين بن إبراهيم الأيوبي الأنصاري الدمشقي الحنفي الفاضل الكامل النبيل: كان له مشاركة جيدة لا تنكر، لا سيما في علم الأدب، وله محفوظة قوية، ولد بدمشق وبها نشأ، واشتغل بطلب العلم على جماعة في مبدأ أمره، وبرع وحاز فضلاً، وولي رياسة محكمة الباب مرتين، وعزل عنها لأمور، كان من جملتها أنه في زمن الوزير أسعد باشا المعظم، والي دمشق تلاعب مع أهل وقف أهلي، وأخذه منهم، فلما أخبر الوزير

المذكور أمره بأنْ يتوافق معهم، فأبى عن ذلك، وكان المساعد له المفتي الحنفي حامد العمادي، فاغتاظ الوزير المذكور منه، وأرسل أهانه في داره، وحصل منه مبلغاً من الدراهم، وأعاد الوقف لأصحابه، وله غير ذلك، وكان يتولى النيابات بالمحاكم، وبالجملة فقد كان من أفراد الدهر، وبلغ من العمر مائة عام إلاّ عاماً، وهو آخر من أدرك الأمين المحبّي، وطالع عليه نفحته، توفّي سنة سبع وسبعين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

محمد الدكدكجي:

٥٧١ ـ محمد الدكدكجي بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم التركماني الأصل، الدمشقي المولد، المعروف بالدكدكجي الحنفي الصوفي، الشيخ الإمام المتفنن البارع الأديب نادرة العصر: كان فاضلاً كاملاً مهيباً صالحاً ديِّناً صوفياً، وأخلاقه شريفة، ورزقه الله الصوت الحسن في الترتيل، ولد بدمشق ونشأ بها، وقرأ القرآن العظيم وجوّده على الشيخ محمد الميداني، وطلب العلم فلزم شيخ الإسلام الشيخ محمد أبا المواهب الحنبلي، فقرأ عليه الشاطبية وختمة كاملة جمعاً للسبعة من طريقها، وقرأ عليه شرح ألفية المصطلح لشيخ الإسلام زكريا، وسمع عليه صحيح البخاري، وبعض صحيح مسلم، وسمع عليه كثيراً من كتب الحديث والمصطلح والتجويد والقراءات، وحضر دروس المحقق الشيخ إبراهيم الفتال، وقرأ عليه شرح القطر لمصنّفه وشرح الألفية لابن عقيل، ولازم دروس الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي، وكتب كثيراً من مصنفاته بخطّه الحسن، وسافر في خدمته في رحلته الكبرى، وكان الأستاذ شديد المحبة له.

وله من المؤلفات رسالة سمّاها «تهويل الأمر على شارب الخمر»، وديوان شعر، وأنا أخذتُ من شعره ما هو مسطّر هنا، فمنه قوله مخمّساً بيتي ابن حبابة الأندلسي:

إنّ عشق الحبيب دأبي وفنّي وبذكراه ينجلي الهمُّ عنّي
فاحد بالشوق للمطايا وغنّي لا تعقني عن العقيق لأنّي
بين أكنافه تركت فؤادي
فلذا قد أطلت فيه ولوعي علّ أحظى به بتلك الربوعِ
فعلى حبّه بذلت خضوعي وعلى تربه وقفت دموعي
ولسكانه وهبت رقادي

وله مداعباً رجلاً من أهل الخلاعة يلقّب بالعفريت:

إنّ شخصاً شغل المجلس بالـ ـلهو والمزح وأنواع الغنا
يُضحك العالم في أفعاله يجلب البشر وينفي الحزنا
وكذا في كل وقت دأبه ليس يلفي مثله في عصرنا
لقب العفريت من قوته وخلاعات توالت علنا

فسألناه من الأنس ترى أنت أمْ جنٌّ تشكلتُ لنا
فبدا منه جواب مازحاً قال عفريتٌ من الجنِّ أنا

وللأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي في المعنى:

ربَّ شخصٍ جاءنا في قرية طوله في عرضه قد ضمنا
فسألناه وقلنا أنَتْ مَنْ قال عفريتٌ من الجنِّ أنا

وللمولى الهمام محمد خليل الصديقي:

مطرب قد سار في صحبتنا فشهدنا منه ما أضحكنا
أزعج الأسماع منّا صوته منذ وافانا بأنواع الغنا
رمت منه الكشف عن أصل له قال عفريتٌ من الجنِّ أنا

وللأديب محمد سعدي العمريّ في ذلك:

وخليع حينَ وافانا لكي نقطع السبل حديثاً وغِنا
رام أنْ يطربنا في صوته فسمعنا منه ما أزعجنا
قلتُ مَنْ أنْتَ فقد روّعتنا قال عفريتٌ من الجنِّ أنا

وكتب هذه الوصية لولده إبراهيم المقدّم ذكره:

زُرْ والديْكَ وقِفْ على قبريهما فكأنّني بك قد نقلت إليهما
لو كنتَ حيث هما وكانا بالبقا زاراك حبواً لا على قدميهما
ما كان ذنبهما إليك فطالما مَنَحاك نفس الودّ من نفسيهما
كانا إذا ما أبصرا بك علّة جزعاً لما تشكو وشقّ عليهما
كانا إذا سمعا أنينك أسبلا دمعيهما أسفاً على خدِّيهما
وتمنّيا لو صادفا بك راحة بجميع ما تحويه مِلْكُ يديهما
لتلحقنّهما غداً أو بعده حتماً كما لحقاهما أبويهما
ولتندمَنَّ على فعالك مثل ما نَدِمَاهُمَا قدما على فعليهما
بشراك لو قدّمت فعلاً صالحاً وقضيتَ بعض الحق من حقيهما
وقرأت من آي الكتاب بقدر ما تسطيعه وبعثت ذاك إليهما
فاحفظ حفظت وصيتي واعمل بها فعسى تنال الفوز من برِّيهما

وأشعاره كثيرة دوّنَها صاحبنا الكمال الغزي في ديوان، وكان للناس به محبة عظيمة واعتقاد وافر، وألّف مؤلفات نافعة، منها شرحه على دلائل الخيرات، وشرح على حزب البحر للشاذلي، وشرح على طيبة النشر في القراءات العشر، وتراجم رجال سلسلة طريقة الشاذلية، وشرح على الجزرية، وديوان خطب، وجمع بخطّه الحسن المضبوط عدّة مجاميع

علمية وأدبية، وبيّض غالب مؤلفات شيخه الشيخ عبد الغني النابلسي بخطه، وكانت ولادته بدمشق في شعبان سنة ثمانين وألف، وتوفّي ليلة الجمعة ثامن عشر ذي الحجة سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف، ووقع في ساعة موته مطر عظيم، واستمر المطر حتى غُسِّل وكُفِّن يوم الجمعة، وصُلّي عليه بالجامع الأموي بعد جمعتها، ودفن بتربة الغرباء بمرج الدحداح، وتمثل الشمس محمد الغزي العامري يوم وفاته بقول الشيخ نجم الدين بن إسرائيل:

بكت السماء عليه ساعة موته ... بمدامع كاللؤلؤ المنثورِ
وكأنّها فرحت بمصعد روحه ... لما سمت وتعلّقت بالنور
أوَ ليس دمع الغيث يهمي بارداً ... وكذا تكون مدامع المسرور

محمد الكوراني:

٥٧٢ ـ محمد الكوراني أبو الطاهر بن إبراهيم بن حسن المدني الشافعي، الشهير بالكوراني، الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق المدقق النحرير الفقيه جمال الدين: ولد بالمدينة المنوّرة في حادي عشري رجب سنة إحدى وثمانين وألف، ونشأ بها في حجر أبيه، وتلا القرآن العظيم، وأخذ في طلب العلم، فقرأ على والده المرقوم عدّة من العلوم، وأخذ عن السيد محمد بن عبد الرسول البرزنجي، وأبي الأسرار حسن بن علي العجيمي، وعن محدّث الحجاز محمد بن محمد بن سليمان المغربي، وعن الجمال عبدالله بن سالم البصري، وعن الشهاب أحمد بن محمد النخلي، وعن غيرهم، وبرع وفضل واشتهر بالذكاء والنبل، وكان كثير الدروس، وانتفعت به الطلبة، وتولّى إفتاء السادة الشافعية بالمدينة المنوّرة مدة، وله من التآليف اختصار شرح شواهد الرضى للبغدادي، وترجمه الشمس محمد بن عبد الرحمن الغزي العامري في ثبته، المسمّى بلطائف المنّة، فقال: زرتُه في داره، ورأيت من ديانته ونسكه، وتواضعه، وخفض جناحه، ما لم أره على أحد من مشايخنا، خلا الملاّ إلياس الكوراني، فإنّه كان يقاربه في ذلك، وأراني كتاباتٍ له حسنة على مسائل فقهية سئل عنها من بلاد اليمن، وكان عالماً صالحاً فقيهاً، وكانت وفاته في تاسع رمضان سنة خمس وأربعين ومائة وألف ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى.

محمد سعيد الكوراني:

٥٧٣ ـ محمد سعيد الكوراني بن إبراهيم بن محمد أبي الطاهر بن المنلا إبراهيم الكوراني المدني الشافعي حفيد المتقدم: ذكره آنفاً الشيخ الفاضل الصالح النبيل البارع، ولد بالمدينة في ثاني عشري شعبان سنة أربع وثلاثين ومائة وألف، ونشأ بها، وحفظ القرآن وطلب العلم، وأخذ عن أبيه، والشيخ عبد الرحمن الجامي، والشيخ محمود الجامي، والفقيه محمد بن سليمان الكردي، وكان رجلاً متكلماً درّس بالروضة المطهرة بعد أبيه، وتوفّي في تاسع عشر شعبان سنة ست وتسعين ومائة وألف.

محمد بن أبي الحسن الكوراني:

٥٧٤ ـ محمد بن أبي الحسن الكوراني أبو الطيّب ابن الشيخ أبي الحسن ابن العلامة المحقق برهان الدين إبراهيم الكوراني المدني الشافعي الشيخ الفاضل العالم الكامل: ولد بالمدينة المنوّرة في ثامن رمضان سنة ثمان وتسعين، وألف ونشأ بها، وحفظ القرآن العظيم، وقرأ على عمّه الشيخ أبي الطاهر العالم المشهور، ودخل في إجازة عامة من جدّه المنلا إبراهيم الكوراني لما أجاز أحفاده الكبار والصغار، وكان صاحب الترجمة رجلاً مباركاً متكلماً، صار شيخاً للعهد في المدينة في سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف، ثم أخرج منها وسكن الشام، واستمر بها إلى أنْ توفي في الخامس من جمادى الأولى سنة سبع وستين ومائة وألف.

محمد سعدي الدمشقي:

٥٧٥ ـ محمد سعدي الدمشقي بن يوسف الدمشقي الحنفي نزيل إسلامبول، المولى الفاضل العلامة الأديب الشاعر بالعربية والتركية، صاحب فضل وعرفان: ووالده الإمام السلطاني الشقيفي، ترجمه الأمين المحبيّ والبوريني وولده هذا أخذ عن والده، ودأب بفنّ الأدب، وتخرّج به على يديه، ودخل طريق العلماء في إسلامبول، ولازم على قاعدتهم وطريقتهم، وبعد انفصاله عن المدارس وتنقّله بها كعادتهم إلى سنة سبعين بعد الألف في صفر الخير أعطي قضاء بغداد، وبعده في ربيع الأوّل سنة أربع وسبعين أعطي قضاء اسكدار، وفي سنة ست وسبعين أعطي رتبة قضاء المدينة المنوّرة، مع قضاء خيره بولي، وخواص أخر على طريق الأربلق، وبعده أعطي قضاء محلة أبي أيوب رضي الله عنه، وبعده أعطي رتبة قضاء القدس مع رتبة قضاء بازاركولي، وبعده في سنة ست وثمانين أعطي قضاء فلبه مع رتبة قضاء برسة المحمية، وفي سنة إحدى وتسعين أعطي قضاء وارنة على طريق الأربلق مع رتبة قضاء مكة المكرمة، وكان أجلي ونفي في إحدى السنين إلى مغنيسا، وأعطي بها المدرسة المرادية، وبينه وبين الأديب عثمان العتوري الدمشقي مراسلات شعرية، وكانت وفاته بإسلامبول سنة إحدى ومائة وألف رحمه الله تعالى آمين.

السيد محمد العاني:

٥٧٦ ـ السيد محمد العاني بن أحمد بن هديب الشافعي العاني[1] الأصل، الدمشقي المولد الميداني، الشيخ المحقق العالم تقدم ذكر والده: وكان هذا مدققاً ذكياً فقيهاً فصيحاً، له اطلاع تام في التفسير والحديث والفقه وغير ذلك، مع حسن المحافظة، وكمال التأدية في التدريس والإفادة، حسن التقرير، عذب المنطق، لطيف العشرة، ولد بدمشق وبها نشأ،

---

(١) عانَة: بلد مشهور بين الرقّة وهيت، يعدّ في أعمال الجزيرة، وقيل بلدٌ بالأردن. معجم البلدان ٤/ ٨١ ـ ٨٢.

واجتهد في طلب العلم، وأخذ عن الشيخ محمد الغزي الدمشقي مفتي الشافعية، ثم ارتحل إلى مصر القاهرة وجاور بجامعها الأزهر الأنور، ولازم الدروس وأخذ، وقرأ على أجلّائها كالشيخ أحمد العروسي، والشيخ محمد الفارسي، والشيخ عيسى البراوي، والشيخ عبد الكريم الزيّات، والشيخ عطية الأجهوري، والشيخ أحمد الملوي، والشيخ حسن المدابغي، وغيرهم من الأجلاء والفضلاء، ودرّس في الجامع الأموي بين العشاءين، وفي السليمانية في الصالحية، وأخذت عنه الطلبة، وكان جسوراً، وكان يتعاطى الزراعة والمشد في القرى، وكان محظوظاً، وانتفع منه خلق كثيرون، وبالجملة فقد كان من الشيوخ الأفاضل، وكانت وفاته في ذي القعدة سنة إحدى وتسعين ومائة وألف ودفن بتربة مرج الدحداح بالذهبية رحمه الله تعالى.

محمد قولقسز:

٥٧٧ ـ محمد قولقسز بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إدريس، المشهور بابن قولقسز، الحنفي البسنوي الأصل، ثم الحلبي ثم الدمشقي: قدم دمشق جدّ المترجم محمد بن أحمد بن محمد بن إدريس المذكور، وأخذ بها عن المشايخ، كالبدر الغزي، والنجم البَهْنَسيّ، وغيرهما، وكان من خيار الأفاضل، فقيهاً، له اطلاع تام على المسائل، وتوفّي بدمشق في ربيع الأوّل سنة إحدى وعشرين وألف، وكان منشؤه ومولده حلب، وولده أحمد كذلك، والمترجم ولد بدمشق وبها نشأ، وقرأ واشتغل على علماء عصره، وأفاد بالجامع الأموي، وفي المدرسة الشبلية، وفي داره، ولزمه الطلبة، واشتهر بالفضل، وانعكفت إليه الطلاب، وكان عالماً مدققاً، وفي آخر أمره انقطع بداره لفالج حصل له، وكانت عليه عدة وظائف ولم يعقب ولداً، وكان عليه وظائف فرغها لأحد تلامذته قبل موته، وكانت وفاته في سنة أربع وستين ومائة وألف، ودفن بتربة مرج الدحداح رحمه الله تعالى.

محمد البصير:

٥٧٨ ـ محمد البصير بن أحمد بن رمضان البصير الشافعي الميداني الدمشقي، الشيخ الفاضل الحاذق المتفوّق الذكي: ولد بدمشق في سنة إحدى وأربعين ومائة وألف، وحضر دروس العلماء كالشيخ أحمد المنيني الدمشقي، والشيخ عبدالله البصروي، والشيخ صالح الجينيني، والشيخ علي الداغستاني نزيل دمشق، وغيرهم من الشيوخ والأفاضل، ودروس والدي بالهداية في المدرسة السليمانية بدمشق، وتفوّق ومهر وارتحل للحجاز مرات، وحضر شيوخها، وجاور سنين في المدينة المنورة، وارتحل إلى مصر وجاور مدة وحضر دروس شيوخها، كالشيخ عبدالله الشبراوي، والشيخ أحمد الملّوي، والشيخ محمد الحفناوي، والشيخ حسن المدابغي وغيرهم، وله شعر قليل، وفضل وحذق تام، (ومن شعره) ما امتدحني به لما جاءتني تولية الجامع الأموي في سنة إحدى وتسعين ومائة وألف

وهو قوله:

حمداً لمولانا الذي أنعامه متواتر قد جلّ عن تعدادِ
ردت بضاعتنا إلينا أرّخوا بيت العلا وليه ذو الإمدادِ
المسجد الأموي هنا بخليله نال المنى أرّخ وظلّ مرادي

١١٩١ ٩٣٦ ٢٥٥

وكانت وفاته في شعبان سنة ثمان وتسعين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

محمد الديري:

٥٧٩ ـ محمد الديري بن أحمد بن شهاب الدين الشافعي الديري نزيل دمشق، الشيخ العالم الفاضل المفيد الصالح الناسك الكامل: قرأ وأخذ عن علماء مصر، كالشيخ عبد الرؤوف البشبيشي، والسيد علي الضرير وغيرهما، وقدم دمشق واستوطنها في المدرسة الناصرية الجوّانية، وتزوّج بها، وأقرأ بالجامع الأموي ولزمه الطلبة، وكان حدّ المزاج، وحصل له في آخر عمره داء في رجليه أعجزه عن المشي، وكانت وفاته في سنة ثلاث وستين ومائة وألف، ودفن بمرج الدحداح بالقرب من مرقد الشيخ أبي شامة رحمه الله تعالى.

محمد عقيلة:

٥٨٠ ـ محمد عقيلة بن أحمد بن سعيد المشتهر والده بعقيلة، الحنفي المكي الشيخ الإمام العالم العلامة الأوحد النحرير الفهامة المسند الثقة المتفنن البارع أبو عبدالله جمال الدين: ولد بمكة ونشأ بها، وأخذ في طلب العلم، فأخذ عن العلاّمة الجمال عبدالله بن سالم البصري، والشهاب أحمد بن محمد النخلي، والبدر حسن بن علي العجيمي، وتاج الدين بن أحمد الدهّان المكي، والمنلا إلياس بن إبراهيم الكوراني، والشيخ حسين بن عبد الرحيم المكي، والشهاب أحمد بن محمد الدمياطي المشهور بابن عبد الغني، وتلقّن الذكر من السيد محمد بن علي الأحمدي، والسيد عبدالله بن علي باحسين السقّاف، وأجاز له مكاتبة السيد علي بن عبدالله العيدروس الساكن ببندر سورت من أرض الهند، ولبس الخرقة القادرية من الشيخ قاسم بن محمد البغداديّ، وأخذ أيضاً عن الشيخ محمد أبي المواهب بن عبد الباقي الحنبلي، ونبل وفضل وظهر تفوّقه في العلوم، وله مؤلفات لطيفة، منها الفوائد الجليلة في مسلسلاته، «والمواهب الجزيلة في مرويات الفقير محمد بن أحمد عقيلة»، وعقد الجواهر في سلاسل الأكابر، و «هدية الخلاّق إلى الصوفية في سائر الآفاق»، و «قرة العين في بيان ورد الخميس والاثنين» ومولد شريف نبوي، وثبت صغير، وتاريخ رتّبه على حوادث السنين، وغير ذلك، ورحل إلى الشام والروم والعراق، وأخذ عنه خلائق لا يحصون، وانتفعوا به، ولما دخل دمشق صارَ يقيم الذكر بها، ويدرس في المدرسة الجقمقية، ثم رحل إلى بلده مكة، وتوفّي بها سنة خمسين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

محمد السفاريني:

٥٨١ ـ محمد السفاريني بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني الشهرة والمولد، النابلسي الحنبلي، الشيخ الإمام والحبر البحر النحرير الكامل الهمام الأوحد العلامة، والعالم العامل الفهامة، صاحب التآليف الكثيرة، والتصانيف الشهيرة، أبو العون شمس الدين: ولد بقرية سفارين من قرى نابلس سنة أربع عشرة ومائة وألف ونشأ بها وتلا القرآن العظيم، ثم رحل إلى دمشق لطلب العلم فأخذ بها عن الأستاذ الشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، وشيخ الإسلام الشمس محمد بن عبد الرحمن الغزي، وأبي الفرج عبد الرحمن بن محيي الدين المجلد، وأبي المجد مصطفى بن مصطفى السواري، والشهاب أحمد بن علي المنيني، وأخذ الفقه عن أبي التقى عبد القادر بن عمر التغلبي، وأبي الفضائل عواد بن عبيد الله الكوري، ومصطفى بن عبد الحق اللبدي وغيرهم، وحصل لصاحب الترجمة في طلب العلم ملاحظة ربّانية حتى حصل في الزمن اليسير ما لم يحصله غيره في الزمن الكثير، ورجع إلى بلده ثم توطّن نابلس، واشتهر بالفضل والذكاء، ودرّس وأفتى وأفاد، وألّف تآليف عديدة، فمن تآليفه: شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد في مجلد ضخم، وشرح نونية الصرصري، سمّاها «معارج الأنوار في سيرة النبي المختار» في مجلدين، و «تحبير الوفا في سيرة المصطفى»، و «غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب»، و «البحور الزاخرة في علوم الآخرة»، و «كشف اللّثام في شرح عمدة الأحكام»، و «نتائج الأفكار في شرح حديث سيد الاستغفار»، و «الجواب المحرر في الكشف عن حال الخضر والإسكندر»، و «عرف الزرنب في شرح السيدة زينب»، و «القول العلي في شرح أثر أمير المؤمنين علي» رضي الله عنه، وشرح منظومة الكبائر الواقعة في الإقناع، ونظم الخصائص الواقعة فيه أيضاً، و «الدر المنظّم في فضل شهر الله المحرّم»، و «قرع السياط في قمع أهل اللّواط»، و «المنح الغرامية في شرح منظومة ابن فرح اللامية»، و «التحقيق في بطلان التلفيق»، و «لواقح الأفكار السنيّة في شرح منظومة الإمام الحافظ أبي بكر بن أبي داود الحائية» مجلد، و «تحفة النسّاك في فضل السواك»، و «الدرة المضيّة في عقد أهل الفرقة المرضية»، وشرحها المسمّى «بسواطع الآثار الأثرية بشرح منظومتنا المسماة بالدرة المضيّة»، و «تناضل العمال بشرح حديث فضائل الأعمال»، و «الدرر المصنوعات في الأحاديث الموضوعات»، ورسالة في بيان الثلاث والسبعين فرقة والكلام عليها، و «اللمعة في فضائل الجمعة»، و «الأجوبة النجديّة عن الأسئلة النجدية»، و «الأجوبة الوهبية عن الأسئلة الزعبية»، وشرح على دليل الطالب لم يكمل، و «تعزية اللبيب بأحبّ حبيب»، وغير ذلك، وأما الفتاوى التي كتب عليها الكرّاس والأقل والأكثر فكثيرة، ولو جمعت لبلغت مجلدات.

وله رحمه الله تعالى من الأشعار في المراسلات والغزليات والوعظيات والمرثيات شيء كثير، وبالجملة فقد كان غرة عصره، وشامة مصره، لم يظهر في بلاده بعده مثله،

وكان يُدعى للملمات، ويقصد لتفريج المهمات، ذا رأي صائب، وفهم ثاقب، جسوراً على ردع الظالمين، وزجر المفترين، إذا رأى منكراً أخذته رعدة، وعلا صوته من شدة الحدة، وإذا سكن غيظه، وبرد قيظه، يقطر رقة ولطافة، وحلاوة وظرافة، وله الباع الطويل في علم التاريخ، وحفظ وقائع الملوك والأمراء، والعلماء والأدباء، وما وقع في الأزمان السالفة، وكان يحفظ من أشعار العرب العرباء والمولدين شيئاً كثيراً، وله شعر لطيف منه قوله:

مـــن لـــي بـــأنْ أنظـــر إلـــى ... خشـــف بليـــل معتكـــز
وأضمّـــه مـــن غيـــر شـــف ... كـــالضميـــر المستتـــر

وقوله:

الصبـــرُ عيـــل مـــن القـــلا ... والنّفـــس أمســـت فـــي بـــلا
والجفـــنُ جـــفّ مـــن البكـــا ... والقلـــبُ فـــي الشجـــوى غـــلا
وشكـــا اللّســـان فقـــال فـــي ... شكـــــواه لا حـــــول ولا

وقوله:

أحبّـــه قلبـــي تـــزعمـــوا أنّ حبّكـــم ... صحيح فإنْ كنتم كما تزعموا زوروا
وأحيـــوا فتًـــى فـــتّ الغـــرام فـــؤاده ... وإلا فـــدعـــوى حبّكـــم كلهـــا زور

وله غير ذلك من الأشعار، والنظام والنثار، مما هو مشهور في أيدي الناس، وكانت وفاته في شوال سنة ثمان وثمانين ومائة وألف بنابلس، ودفن بتربتها الشمالية رحمه الله تعالى.

محمد العشماوي:

٥٨٢ ـ محمد العشماوي بن أحمد بن حجازي الأزهري الشافعي، الشهير بالعشماوي، الشيخ الإمام الفقيه المحدث المحقق النحرير الفهامة، أبو الفضل شمس الدين: أخذ عن أبي العز محمد بن أحمد العجمي وغيره، وأخذ عنه شيخنا أبو العرفان محمد بن علي الصبان وغيره، وكانت وفاته سنة سبع وستين ومائة وألف بتقديم السين رحمه الله تعالى.

محمد الزرقاني:

٥٨٣ ـ محمد الزرقاني بن عبد الباقي بن يوسف الأزهري المالكي، الشهير بالزرقاني، الإمام المحدث الناسك النحرير الفقيه العلامة: أخذ عن والده، وعن النور علي الشبراملسي، وعن الشيخ محمد البابلي وغيرهم، وله من المؤلفات شرح على الموطأ، وشرح على المواهب وغير ذلك، وأخذ عن الشيخ محمد بن خليل العجلوني الدمشقي، والجمال عبدالله الشبراوي، وكانت وفاته سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

محمد رجائي:

٥٨٤ ـ محمد رجائي بن أحمد الملقّب برجائي على طريقة شعراء الفرس والروم

وكتّابهم، **الحنفي القسطنطيني**: أحد رؤساء الدولة وأعيانها، أصحاب الاشتهار والاعتبار، والحشمة والوقار، وأرباب المعارف والخطوط المتنوعة، ولد بقسطنطينية وبها نشأ، وصار من كتّاب الرئيس في الديوان السلطاني، ومهر في الخطوط وأتقنها، لا سيما الخط المعروف بالديواني، كانت له به الشهرة التامّة في وقته، وترقّى للمناصب العالية، فصار تذكرجي أول وثاني للديوان السلطاني المعلّى، ورئيس الجاويشية، ثم ترقّى فصار رئيس الكتاب ودفتريا وكتخدا الوزير، واشتهر بين العال والدون وعظمت دولته، وتوفرت حرمته، وسمت رتبته، ونمت ثروته، ونفذت كلمته، واتسعت دائرته، إلى أنّ مات، وكانت وفاته في نصف رجب سنة أربع وتسعين ومائة وألف رحمه الله تعالى ومن مات من أموات المسلمين أجمعين آمين.

محمد المزطاري:

٥٨٥ ـ محمد المزطاري بن أحمد المزطاري المغربي المكناسي الشاذلي المالكي الشيخ الإمام العارف بالله تعالى المسلك المرشد الصوفي قطب الواصلين وأستاذ الأساتذة وشيخ الطائفة: أخذ الطريقة الشاذلية عن شيخه صاحب الكرامات والأحوال، مَنْ شهدت بقطبانيته فحول الرجال، القطب الغوث الفرد الرباني سيدي قاسم بن أحمد القرشي السفياني المدعو بابن بلوشة نوّر الله مرقده، حكى تلميذ المترجم الشهاب أحمد بن إبراهيم الحبالي الإسكندري أنّه ما غفل في وقت من الأوقات الخمسة عن سبعين ألف لا إلّه إلا الله قط في مدة إقامته معه، وكانت المدة المذكورة ثمانية عشر عاماً، وإنّه تولى القطبانية خمسة وعشرين عاماً إلى أنْ توفّي، وقدم دمشق في غرة جمادى الأولى سنة ست وتسعين وألف، وأخذ عنه بها الطريق الشيخ محمد بن خليل العجلوني، وكتب له بذلك إجازة مطولة، وكان يقول له جئتُ من المغرب لأعمر ديارك، وأخذ أيضاً عن المترجم الشيخ عبد الرزاق بن عبد الرحمن السفرجلاني، ومن ذلك الوقت اشتهرت الطريقة الشاذلية بدمشق، وكثر أتباعه والآخذون لها، وكان صاحب الترجمة جبلاً من جبال المعارف، منار هدى وإرشاد، وله كرامات كثيرة وخوارق شهيرة لا تسعها الأفهام، ولا يطيقها نطاق الأقلام، ثم إنّه رحل من دمشق إلى مكة المشرفة وتوفّي بها في محرم الحرام ليلة الجمعة سنة سبع ومائة وألف عن ثلاث وستين سنة ودفن بباب المعلّى بقرب ضريح السيدة خديجة الكبرى وقبره ظاهر يزار رحمه الله.

محمد بن جدّي:

٥٨٦ ـ محمد بن جدّي بن أحمد بن عبدالله بن بهاء الدين، المعروف بابن جَدّي، بفتح الجيم وتشديد الدال، الشافعي الدمشقي الأديب الفاضل الشاعر الكاتب ترجمه شيخه الأمين المحبِّي في ذي نفحته: ومن شعره قوله:

ابـريقنـا عـاكـف علـى قـدح ... كـأنّـه الأم تـرضّـع الـولـدا
أو عـابـد مـن بنـي المجـوس إذا ... تـوهّـم الكـأس شعلـة سجـدا

وله غير ذلك، وشعره بديع كثير، وكانت وفاته بدمشق سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف رحمه الله.

محمد حياة السندي:

٥٨٧ ـ محمد حياة السندي محمد حياة بن إبراهيم السندي الأصل والمولد، المدني، الحنفي العلامة المحدّث الفهامة حامل لواء السنّة بمدينة سيد الأنس والجِنّة: ولد بالسند ببعض قراها، ورغب في تحصيل العلم وهو بها، ثم انتقل إلى تستر قاعدة بلاد السند، وقرأ على محمد معين بن محمد أمين، ثم هاجر إلى الحرمين الشريفين، وتوطن المدينة المنورة، ولازم الشيخ أبا الحسن بن عبد الهادي السندي، وجلس مجلسه بعد وفاته أربعاً وعشرين سنة، وأجاز له الشيخ عبدالله بن سالم البصري، والشيخ محمد أبو الطاهر بن إبراهيم الكوراني، وأبو الأسرار حسن بن علي العجيمي وغيرهم، وكان ورعاً متجرداً منعزلاً عن الخلق إلاّ في وقت قراءة الدروس، مثابراً على أداء الجماعات في الصف الأوّل من المسجد النبوي، وله تصانيف كثيرة، منها شرح الترغيب والترهيب للمنذري في مجلدين، وشرح على الأربعين النووية مختصر جداً، ومختصر الزواجر، وشرح الحكم العطائية، والحكم الحدادية، وله رسائل أخر لطيفة، وتحقيقات عجيبة منيفة، وكانت وفاته ليلة آخر أربعاء من صفر سادس عشريه سنة ثلاث وستين ومائة وألف ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى.

محمد الأسكداري:

٥٨٨ ـ محمد الأسكداري بن سعد الأسكداري المدني الحنفي، الشيخ الفاضل البارع الطبيب الفقيه: ولد بالمدينة المنوّرة سنة ثمان وثمانين وألف ونشأ بها، وأخذ عن أفاضلها، وتولّى الإفتاء مدّة، وقرأ على أبيه وغيره، وكان فاضلاً عالماً متضلعاً في كثير من العلوم، وله اليد الطولى في الطب والجراحة، مستحضراً ما يلزمه من الأدوية والمراهم والعلاجات، ينتفع به الخاص والعام ابتغاء وجه الله تعالى، ويبذل الأموال الجزيلة في وجوه الخير، وإذا أظلم اللّيل خرج بما يحتاجه إلى المرضى والمحاويج، فيغسل لهم جراحاتهم ويعللهم بالأدوية، ويطعمهم الطعام، ويغسل لهم أقذارهم بيده، مع أنّ الواحد منهم لا يقدر الإنسان أن يصل إليه لشدّة نتنه وريحه، وأوصافه كريمة لا يمكن استقصاؤها، وله من المؤلفات رسالة في تحرير النصاب الشرعي من الدنانير والدراهم وغيرها، وله غير ذلك من المؤلفات النافعة، وفضائله كثيرة ومزاياه شهيرة، ولم يزل على طريقته المثلى عاكفاً على الإفادة والاستفادة إلى أن توفي، وكانت وفاته بالمدينة المنوّرة شهيداً في ثامن عشري رجب الحرام سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف، ودفن بالبقيع. وبنو الأسكداري: طائفة مشهورون في المدينة، تقدم ذكر بعضهم وسيأتي ذكر بعض آخر رحمهم الله تعالى.

محمد الشافعي:

٥٨٩ ـ محمد الشافعي بن إسماعيل، الملقب بشمس الدين الضرير، الأزهري البقري

المصري الشافعي شيخ القراء بالجامع الأزهر الإمام العلامة الفقيه المقرىء: قرأ عليه القرآن بالروايات من لا يحصى عددهم، منهم المرحوم شيخ الإسلام أبو المواهب الدمشقي مفتي الحنابلة بها وغيره، وعمّر كثيراً، واشتهر أنّه جاوز مائة عام، وكان ملازماً للإقراء والتدريس بالجامع الأزهر، وألّف مؤلفات جمة، كان يمليها على الطلبة، ومات بمصر سنة سبع ومائة وألف، وصُلّي عليه بدمشق صلاة الغائب رحمه الله تعالى.

محمد الجفري:

٥٩٠ ـ محمد الجفريّ ابن السيد حسين العلوي المدني الشافعي، الشهير بالجفري[1]، الشريف بن الشريف الشهم الفاضل الغطريف، ذو الفهم الوقّاد، والذكاء النقاد: ولد بالمدينة المنوّرة في حدود سنة تسع وأربعين ومائة وألف ونشأ بها، وحفظ القرآن وطلب العلم، وشمّر عن ساق الاجتهاد، فقرأ على الشيخ جمعة السندي، والشيخ صالح البغدادي، والعلامة محمد بن سليمان الكردي، وغيرهم، ونبل قدره، واشتهر بالفضل أمره، ودرّس بالمسجد النبوي وانتفعت به الطلبة، وألّف مولداً للنبي ﷺ، وكتاباً في مناقب الخلفاء الأربعة والسيدة فاطمة والسيدة عائشة رضي الله تعالى عنهم، وكان يؤلّف خطباً بليغة جداً تقرأ عند عقود الأنكحة، وله في المراسلات والمحاورات الرسائل الأنيقة والتراتيب الرشيقة، وكان من أفراد العالم فضلاً وذكاء ونباهة، وكانت وفاته بالمدينة المنوّرة في حادي عشر ذي الحجة سنة ست وثمانين ومائة وألف، ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى ورحم من مات من المسلمين أجمعين.

محمد القاري:

٥٩١ ـ محمد القاري بن حسين بن محمد بن علي بن عمر، المعروف كأسلافه بالقاري، الفاضل الأديب الكامل: أحد المتنبلين من بني المجد والسيادة، ومن نبغوا من ذروة العز وامتطوا صهوة الفضل والسعادة، كما قال الأمين في نفحته: من البيوت التي تقلّد فخرها جيد الدهر، واكتسب النسيم بعرف ثراها أرج الزهر، مدائحهم كصحائف المحسنين بياضاً ونقاً، وذكراهم كعهد الموقنين وفاء وبقاء، انتهى.

أقول وجدّه الشيخ عمر كان رئيس أجلاّء شيوخ الشام وصدر الصدور، إماماً عالماً مفنناً بارعاً وحيداً محدثاً فقيهاً أصولياً، آثاره كثيرة، وفضائله لا تعد ولا تحد، وترجمه الأمين المحبّي في ذيل نفحته، وقال في وصفه: ماجد خلقه مترع هدى وإيقان، يفجر المعروف غصنه المهتصر، من أطيب العنصر الزاكي، وأطيب المعتصر فهو مخصوص بعوارف الألطاف، وبرد وجاهته لم يزل حالي الأعطاف، اصطبح العزة واغتبق، وتناول

---

(١) الجَفْرُ: موضع بناحية ضرية من نواحي المدينة. معجم البلدان ٢/ ١٧٠.

قصب الغايات فاستبق، وروض أدبه موشي بالبديع موشع، وميدان جولانه في القريض مرحب موسع، وأنا مداحه الذي أباهي به وأفاخر، وودّي له كله من الأول إلى الآخر، وقد أنجب فرعاً فرّع وأصل، وتحصّل له من توفر أمانيه ما به إلى الغاية القصوى توصل، ومن رقيق غزله:

لعب الهوى بعقولنا من أجل من سلب الرقاد بمقلة وسناء
الخدّ منه كجلنار أحمر والقدّ منه كصعدة سمراء

وله أيضاً:

من لقلبي في هوى عذب اللّمى من سبي الألباب لمّا ابتسما
مخجل الأغصان بالقدّ الذي حمل البدر وفي حقف نما
ثالث البدرين نهاب النّهي من هواه في فؤادي خيّما

وامتدحه الأمين المذكور بهذه القصيدة:

ميلة الغصن والقنا السمهريّ أثّر من قوامه الألفيّ
والذي يفعل الحسام نراه مستفاداً من لحظه السيفيّ
في سطاه يرى ظلوماً ولكن بانكسار الجفون مثل بريّ
سلبت مقلتاه كل فؤاد أسرته بسحرها البابليّ
ثم راشت وسط القلوب سهاما أرسلتها حواجب كالقسي
رشأكم أمات يعقوب حزن قبل يحظى بريحه اليوسفيّ
قام يجلو من الجبين صباحاً تحت ليل من فرعه المرخي
وأدار الكؤوس فينا ثلاثاً حيث لم يدفع الظمأ بالريّ
كأس راح من راحتيه وكاساً من رضاب وكأس خد نديّ
كان عيشي بها ابتهاج الأماني في نعيم طلق وحظ بهيّ
نسمات الصبا العطير المساري ومزاح الصبا الهني المريّ
في ربا وشيها زبرجد نبت شبّ لما ارتوى بدرّ الولي
نام طفل النوّار فيها هنيئاً عندما اشتم زعفران العشي
ومن الورق ثم كل مناغ راح يشحي بالوجد قلب الخلي
قام يثني على الرياض ثنائي في البرايا على الفتى القاريّ
ماجدٌ كل ماجد من علاه مستفيد خلق الرضى المرضي
هو وسطي قلادة النظم حلّت وتحلّت بلفظه الجوهري

وكانت وفاة المترجم يوم الاثنين غرّة صفر الخير سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف، ودفن بتربة الباب الصغير رحمه الله تعالى.

محمد عارف:

٥٩٢ ـ محمد عارف بن حسين، الملّقب بعارف، الحنفي القسطنطيني رئيس الأطباء في عهدنا، عند سلطاننا الملك المعظم عبد الحميد خان، وقاضي العساكر المشهور بالحذق والمعرفة: كان من أفراد الدهر في علم الأبدان، واشتهر في وقتنا، واعتمد عليه سلطاننا المذكور في الأدوية والعلاجات، واستعمالها، وأحبّه كثيراً ورقاه المراتب العالية في مدة جزئية، وكان ماهراً بالطب وفنونه، عارفاً حاذقاً نبيهاً، كاملاً، له باع واطلاع، ثابر على عادتهم، ودخل طريق الموالي والمدرسين، وتنقل في المراتب، حتى ولي الثمان، ومنها أعطي قضاء أسكدار، وصار رئيس الأطباء في دولة السلطان مصطفى خان أخي السلطان عبد الحميد خان المذكور، ثم عزل وأجلي وأعيدَ ثانياً وثالثاً للرياسة المرقومة، واستبدّ بها آخر أمره في دولة سلطاننا المذكور، وسلّم من مناضل ومنازع فيها، وأقبلت عليه الدنيا وعظمت ثروته، وكثرت دنياه، وولي قضاء العسكر في أناطولي بعد أنْ أعطي رتبة قضاء إسلامبول ومكة، وبعد انفصاله بمدّة قليلة ولي قضاء العسكر في روم إيلي، واشتهر أمره، وعزل عن المنصب المرقوم في أواسط سنة خمس وتسعين ومائة وألف، وقصرت مدّته قبل الإتمام، وذلك لأمر كان، وفي سنة سبع وتسعين أعيدَ إلى صدارة روم إيلي ثانياً، ولم تطل مدّة حياته إلاّ ثلاثة أشهر، ومات، وكانت وفاته في يوم الجمعة رابع عشري ربيع الثاني من السنة المرقومة بتربة مخصوصة بقرب جامع السلطان سليم خان رحمه الله تعالى.

محمد همات زاده:

٥٩٣ ـ محمد همات زاده بن حسن همات زاده الحنفي، التركماني الأصل، القسطنطيني، الشيخ الإمام المسند الأوحد العالم البارع: ولد سنة إحدى وتسعين وألف، ورحل إلى مكة وجاور بها، وأخذ عن الجمال عبدالله بن سالم البصري، وتاج الدين بن عبد المحسن القلعي مفتي مكة، وأخذ الحديث عن البدر محمد بن محمد البديري الدمياطي، ثم رحل إلى قسطنطينية وصار أحد المدرسين في الدولة، وخواجه في سراي الغلطة، ثم في السراي الجديدة معلم الغلمان، ثم نقل إلى تدريس السلطان أحمد الثالث الكائن في السراي المرقومة، وبرع واشتهر وصار له الاعتبار في الدولة، والصدارة في العلم، حتى إنّ ولي الدين شيخ الإسلام في الدولة قرأ عليه شرح الأربعين النووية، وله تأليفات لطيفة، منها تخريج أحاديث البيضاوي، ورسائل عديدة في عدّة فنون وآثار جليلة، وأخذ عنه خلق كثيرون من أهالي الروم، واشتهر برواية الحديث، وكانت وفاته سنة خمس وسبعين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

محمد أفندي بن فروخ:

٥٩٤ ـ محمد أفندي بن فروخ بن حسين بن رجب، المعروف بابن فروخ، الرومي الأصل، الدمشقي المولد، الدفتري بدمشق وأحد أعيانها: قدم والده من الروم إلى دمشق

باقطاعات ومالكانات، وسكن بدار بني فروخ أمراء الحج سابقاً بدمشق الكائنة بطريق المرج الأخضر بقرب حمام الناصري، ونسب بسكنى الدار إلى بني فرّوخ، وليس هو منهم، فإنّ أمراء بني فروخ آخرهم عساف باشا، تولّى إمرة الحج، وتوفّي سنة إحدى وثمانين وألف، وتوفي حسين والد المترجم سنة ست وأربعين ومائة وألف، والمترجم رحل إلى الروم بعد وفاة والده، وأقام بها مدّة إلى أنْ قتل فتح الله أفندي الدفتري بدمشق، فتطلّب الدفترية وأُعْطيّها، وقدم دمشق دفترياً سنة تسع وخمسين، واستقام بهذا المنصب ثلاثين سنة لم يعزل، وكانت عليه مالكانات والده، وكان من الأعيان المنوّه بهم والمشار إليهم، سخي الطبع، كريم الأخلاق، عفيف النفس، يغلب عليه التغفل في حركاته، فكانت الأموال الميرية في يد خدمة الخزينة، وفي آخر أمره تطلب أنْ يعزل ويحاسب، وأرسل بذلك الروزنامجي حسين آغا، فعملت له الدولة الحساب على مراده، وكانت وفاته سنة تسعين ومائة وألف عن ولد مات بعده بقليل.

محمد الحنفي:

٥٩٥ ـ محمد الحنفي بن حمزة الحنفي العينتابي، نزيل طرابلس، العالم الفاضل المحقق البارع المحرر: له من التآليف حاشية على تفسير البيضاوي، وحاشية على كتاب الخيالي، وغير ذلك من الآثار، وكانت وفاته في ربيع الأوّل سنة إحدى عشرة ومائة وألف رحمه الله تعالى.

محمد العجلوني:

٥٩٦ ـ محمد العجلوني بن خليل بن عبد الغني الجعفري الشافعي العجلوني نزيل دمشق، الشيخ العالم الفقيه الزاهد الورع: ولد بعجلون في قرية يقال لها «عين جنة» سنة ستين وألف، وبها نشأ، وبعد وفاة والده رحل إلى القدس واستقام بها سنتين، وأخذ بها عن الشيخ محمود السالمي، والشيخ محمد الشامي، والشيخ محمد السروري، والشيخ عبد الرحيم اللّطفي، ثم رحل إلى دمشق وأخذ بها عن السيد حسن المنير، والشيخ علي الكاملي، والشيخ أحمد الداراني، والشيخ نجم الدين الفرضي، والشيخ علاء الدين الحصكفي، والشيخ يونس الكفراوي، ثم بعد وفاة شيخه المنير رحل إلى مصر وأخذ بها عن الشيخ محمد العناني، ومحمد الشرنبابلي، وأحمد السندوبي، وأحمد المرحومي، ويونس القليوبي، وعبد الرحمن المحلي، وزين الدين البديري، وأبي السعود الدمياطي، وخليل اللّقاني، والسيد أحمد الحموي، ومحمد البقري، وصالح البهوتي، ويحيى الشاوي، وعثمان النجدي، ثم عاد إلى دمشق وتوطنها، وألف حاشية على الشنشوري في الفرائض، وحاشية على شرح التحرير، وصل فيها إلى أوائل الحج، وغير ذلك، وكانت وفاته يوم الاثنين رابع ربيع الأوّل سنة ثمان وأربعين ومائة وألف.

محمد البغدادي:

٥٩٧ ـ محمد البغدادي بن خليل بن عبدالله الحنفي البغدادي نزيل دمشق، الشيخ اللّوذعي العالم المتضلّع من المعارف النحرير المفنن: ولد ببغداد في حدود سنة خمس وعشرين ومائة وألف، وكان والده من أتباع الوزير حسن باشا، فنشأ المترجم في طلب العلم ورحل إلى بعض البلاد القريبة في ذلك، وكان في أثناء ذلك يتردد إلى بغداد لزيارة أبويه، ولما ماتا ارتحل إلى الجزيرة وأخذ عمن بها، ثم إلى ديار بكر وأخذ بها عن الشيخ محمود الأنطاكي، ثم قدم دمشق سنة خمسين ومائة وألف، وأقام بها وأخذ عن جملة من شيوخها، كالشيخ محمد بن أحمد قولقسز، والعماد إسماعيل العجلوني، والجمال عبدالله البصروي، والعالم علي الكزبري، والعلم صالح الجنيني، وعنه أخذ الفقه، والشرف موسى المحاسني، والشمس محمد الغزي العامري، والشهاب أحمد المنيني، والشمس محمد التدمري، ونبل وفضل، وأذن له شيوخه بالتدريس، فدرّس بالمدرسة الأحمدية، ووردت عليه الطلبة للأخذ عنه، وأجلّ من أخذ عنه شيخنا الشيخ خليل الكاملي، وحصّل كتباً كثيرة، وبعض وظائف يسيرة، ورحل إلى قسطنطينية في بعض أمور قضيت له، وحج، وصار في آخر أمره كثير الأمراض والأعراض، وكانت وفاته بدمشق في أوائل ربيع الثاني سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف، ودفن بتربة الباب الصغير بالقرب من قبر أوس الثقفي رحمه الله تعالى.

محمد الغزي:

٥٩٨ ـ محمد الغزي بن خليل بن رضي الدين بن سعودي ابن شيخ الإسلام النجم الغزي العامري الدمشقي، الشيخ الفاضل البارع الكامل، العالم العامل، أبو الإخلاص ركن الدين: ولد بدمشق سنة سبع وثلاثين ومائة وألف، ومات والده وهو صغير، فنشأ يتيماً موفقاً، وتلا القرآن العظيم على الشيخ محمد ذئب الحافظ، وأخذ في طلب العلم، فقرأ على ابن عمه الشمس محمد بن عبد الرحمن الغزي المفتي، والعلم صالح بن إبراهيم الجنيني، والسيد محمد بن سعد الدين العبي، والشهاب أحمد بن علي المنيني، والشرف موسى بن أسعد المحاسني، والشهاب أحمد بن محمد قولقسز، والشيخ أسعد المجلد وغيرهم، ونبل وفضل وكتب الخط الحسن، ونسخ به كتباً كثيرة، وكان ذا سمت حسن، منعزلاً عن الناس، مشتغلاً بخويصة نفسه، تاركاً لما لا يعنيه، قانعاً باليسير، طارحاً للتكلف، ذا سكينة ووقار، وتؤدة في أموره، وله مطارحة لطيفة، وحافظة قوية، ظريف النكتة والنادرة، كثير المحاضرة، خطب في جامع التوريزية، وهذه الخطابة قديمة لبني الغزي، وكانت وفاته بدمشق سابع عشر ذي الحجة سنة ست وتسعين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

محمد حاكم:

٥٩٩ ـ محمد حاكم بن خليل، الملقّب بحاكم، على طريقة شعراء الفرس والروم

وكتابهم، السيد الشريف الحنفي القسطنطيني، أحد أعيان الكتاب في الدولة ومشاهيرهم، العارف الشاعر الأديب الكاتب المنشيء مؤرخ الدولة: ولد بقسطنطينية ونشأ بها، وأخذ العلوم عن الفاضل أسعد اليانيوي، وأخذ الخطوط عن عبدي بن إسماعيل الكاتب، وأتقن أنواعها، ونظم ونثر، وحصّل أدباً ومعارف لا تنكر، وصار من رؤساء كتاب الوزير المعبر عنهم بالخلفاء، وأعطي رتبة الخواجكان في الديوان العثماني، وصار كاتب جند السلحدار، وهو منصب مخصوص يتولاه أعيان الكتاب، واختير من جانب الدولة محرراً لوقائعها ومؤرخاً لحوادثها، واستخدم مدّة سنين في ذلك، وحرر الوقائع وأرّخها، وله شعر بالتركية والفارسية مقبول، وكانت وفاته سنة أربع وثمانين ومائة وألف.

محمد أفندي السنطي:

٦٠٠ ـ محمد أفندي السنطي بن سنطة بيك، المعروف بالسنطي، الدمشقي هو من أولاد الأمراء الجراكسة: ولد بدمشق وبها نشأ، وكان أديباً شاعراً بالألسن الثلاث، وآخر من أدركه وروى عنه شعره الأديب مصطفى بيك الترزي، وكان من أخصّاء الأمير منجك المنجكي صاحب الديوان، وكانت داره في محلة الشاغور، وكان قصر بني الفارة الذي بالصالحية شمالي الحاجبية له، وكان من أكابر الأعيان والأدباء وأمراء السيف والقلم، وتولّى المدرسة الريحانية، ووجهت عن محلوله لفتح الله بن عبد الواحد الداديخي، ومن شعره البديع قوله:

على الشفة الحمرا من المسك نقطة ... كشحرور روض في شقيق على نهر
أتى لاقطاً حبّ اللآلي بمورد ... فصيد بإشراك نصبن من الدرّ

وكانت وفاته بدمشق سنة أربع عشرة ومائة وألف، عن نحو تسعين سنة رحمه الله تعالى.

محمد الضيائي:

٦٠١ ـ محمد الضيائي بن عبد الهادي الضيائي إمام جامع درويش باشا بدمشق، الشيخ الفاضل الكامل: مولده في حدود الثمانين وألف، وتوفي في ثالث عشر جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف، وأرّخ وفاته الأستاذ النابلسي.

محمد زين الدين الغزيّ:

٦٠٢ ـ محمد زين الدين الغزي بن زين العابدين بن زكريا ابن شيخ الإسلام البدر محمد الغزي العامري، الدمشقي الشافعي الشيخ الإمام أبو الإقبال صدر الدين: كان عالماً عاملاً بارعاً في سائر العلوم، سليم الباطن، ولد بدمشق في غرة شهر ربيع الأوّل سنة عشر ومائة وألف، ونشأ في كنف أبيه وأعمامه السادة الأعلام مشايخ الإسلام بدمشق الشام، وقرأ القرآن العظيم واشتغل بطلب العلم، وقرأ على والده، وتفقّه على ابن عمه الشهاب أحمد بن

عبد الكريم الغزي، والشمس محمد بن عبد الرحمن الغزي، والعلاء علي بن أحمد الكزبري، وقرأ العلوم العقلية كالمنطق والرياضة والكلام على المحب محمد بن محمود الحبال، والشمس محمد بن خليل البغدادي نزيل دمشق، وأجاز له كل من الشمس محمد بن علي الكاملي، وولده العز عبد السلام، والعماد إسماعيل العجلوني، ونبل قدره ودرس بجامع الأموي بكرة النّهار، وفي الجامع الذي تجاه الحمام بمحلة الخراب بين العشاءين، ولم يزل على هذه الطريقة إلى أن توفي، وكانت وفاته ليلة السبت غرة محرم افتتاح سنة إحدى وثمانين ومائة وألف، ودفن بحضور جمع حافل بتربة الباب الصغير بالجهة القبلية بالقرب من سيدنا بلال رحمه الله تعالى.

محمد الكفيري:

٦٠٣ ـ محمد الكفيري بن زين الدين عمر، الملقب باسطا العالم ابن عبد القادر ابن العلامة شمس الدين أبي عبدالله محمد الكفيري، صاحب التآليف المفيدة منها شرحه على البخاري في ست مجلدات، الحنفي الدمشقي البصير الشيخ العالم العلامة الفقيه الفاضل الأديب الماهر المتقن: كان متبحّراً في الفنون معقولاً ومنقولاً، ولد بدمشق في يوم الجمعة بعد صلاتها الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين وألف، وسمّاه والده بيحيى، ثم بعد أيام قليلة سمّاه جده لأمّه بمحمد لأمر اقتضى ذلك، وأقره على ذلك، ولما توفّي والده كان عمره ثمان سنوات فحفظ القرآن، وقرأ على جدّه لأمّه الشيخ محمد بن محمد الدكاني بمكتب السنانية، ثم اشتغل بعلم التجويد على الشيخ حسين بن اسكندر الرومي الحنفي نزيل كلاسة دمشق، صاحب التآليف، وغيره من الشيوخ لازمهم وقرأ عليهم، وأخذ عنهم، كالشيخ إسماعيل الحنفي الحائك وهو أجلهم، والشيخ أبي المواهب الحنبلي، والشيخ رمضان العطيفي، والشيخ عثمان القطان، والأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي، والشيخ يحيى الشاوي المغربي، والشيخ حسن العجيمي المكي، والشيخ أحمد النخلي المكي، والشيخ علي الشبلي المكي، والشيخ حسن ابن الشيخ حسن الشرنبلالي صاحب التآليف، والشيخ خير الدين الرملي، والشيخ محمد الدكدكجي، والشيخ الأستاذ العارف زين العابدين الصديقي المصري حين قدم دمشق، وغيرهم، وتفوّق بالعلوم وأحرز قصبات السبق، وألّف وحرّر، فمن تآليفه حاشيته على الأشباه والنظائر في الفقه الحنفي، وكان شيخه الحائك قد شرع في تأليفها ولم يكملها، فبعد وفاته أتمّها هو، وله شرح على الآجرومية في العربية سمّاه «الدرّة البهيّة على مقدمة الآجروميّة»، وإعراب على ألفاظها سمّاه «الأنوار المضيّة في إعراب ألفاظ الآجروميّة»، وكان قبل ذلك نظمها في أبيات تنوف على مائتي بيت وسبعين بيتاً سمّاها «غرر النجوم في نظم ألفاظ ابن آجروم»، وله مقدمة في القراءة سمّاها «بغية المستفيد في أحكام التجويد»، وله «العرف الندّي في تخميس لامية ابن الوردي»، وله غير ذلك من التحريرات المفيدة، والتقريرات السديدة، كما هو محرر في ثبته

المسمّى «بإضاءة النور اللاّمع فيما اتصل من أحاديث النبي الشافع»، وكان مرة في مكتب السنانية، وعنده الشيخ رجب الحريري الحمصي الشاعر، لكونه كان كثير التردّد إليه، فبينما هما جالسان إذا برجل مارٌّ في الطريق خارج المكتب، فلمّا دنا من الكفيري المترجم عرفه، فقال: أين الغرض؟ فقال له: في غدٍ وانصرف من ساعته، فالتفت الشيخ رجب الحريري للكفيري، وقال له: ما هذا الرجل؟ قال له: إنّني من مدة أيام أعطيته ماعوناً من الورق ليصقله لي، فأخذه ولم يرده لي، فأنا من ذلك اليوم كلمّا رأيته أطالبه به، وهو يقول لي في غد آتيك به كما رأيته الآن، فقال الشيخ رجب للمترجم: هاتِ القلم والدواة فأعطاه إياهما فكتب ارتجالاً هذين البيتين وهما قوله:

تبّاً وسحقاً لصقال صحائفه مسودّة لم يزل للكذب ينقلُهْ
أعطيته الدستَ كي يصقله من ورق فلم يعده فليت الدست يصقله

أقول: وهذا مَثَلٌ جار على ألسنة العوام، والدستُ في العربية: له معان أربع، وفي الفارسية اليد، والدست: الصحراء معرب دشت قال الأعمش:

قد علمت فارس وحمير والأعراب بالدست أيكم نزلا

ومن الثياب والورق وصدر البيت قال ابن الكمال: أنه لغة مشتركة في الفارسية كما قدمناه بمعنى اليد، وفي العربية يجيء بمعانٍ أربع: وهي اللباس، والرياسة، والحيلة، ودست القمار، وجمعها الحريري، في قوله أنشدتك بالله ألستَ الذي أعاره الدست؟ قلت: لا والذي أجلسك في هذا الدست ما أنا بصاحب ذلك الدست، بل أنت الذي تم عليه الدست، انتهى. والدستُ تستعمله العامة لقدر النحاس، ولسليمان بن عبد الحق في بعض أهل الديوان وكان يلقب بالقط:

ما نال قطّ الدست من فعله غير سخام الوجه والسخطِ
ولي عن الدست على رغمه وانقلب الدست على القطِّ

ولصاحب الترجمة نظم كثير فمن ذلك قوله مضمناً:

بي ظبي أنس له ليث الشرى خضعا محجب لو رآه البدر ما طلعا
مهفهف القدّ قاني الخدِّ شمس ضحى في حندس الشعر بدر نوره سطعا
حلو المراشف معسول اللّمى رشأ أحوى لقد حاز أوصاف البها جمعا
يسطو بذابل قدّ راق منظره وسهم مقلته في مهجتي وقعا
قد هدّ ركن اصطباري طول جفوته وأكسبَ الجسم بعد الصّحة الوجعا
خفيت سقماً عن العذال حين أتوا يبغون ما لم يروا فيه لهم طمعا
رقوا لما قد رأوا من حالتي وبكوا وأخبروا الحبّ عني فانثنى جزعا
فقلتُ والشهد في فيه الشهيّ بدا والوردُ والآس في خدّيه قد جمعا
يا ابن الكرامِ ألا تدنو فتُبْصِر ما قد حدّثوك فما راء كمن سمعا

وهذا البيت قد ضمنه جماعة كثيرون فمن ذلك قول الشيخ رمضان العطيفي:

عُـذَالُنَا مـزّقـوا شمـلاً قـد اجتمعـا وشنُّـوه فليـتَ الحـب مـا صنعـا
فبان عني فبات الجمر في جسدي ودمع عيني على خديّ قد همعا
فمذ رأوا حالتي رقوا لما نظروا فـأخبـروه فـأضحى خائفاً جزعـا
فقلـتُ لكـن بـلا لفـظ أحـدثـه والصبر فارقني والشوق قد جمعا
يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصر ما قـد حـدّثـوك فمـا راء كمـن سمعـا

ومن ذلك تضمين الشيخ حسن البوريني:

قد حدّثوك على بعد المزار بما قد أودع السقم في جسمي وما صنعا
يا ابن الكرام ألا تدنو فَتُبْصِر ما قـد حـدّثـوك فمـا راء كمـن سمعـا

ومن ذلك تضمين الشيخ عبد اللطيف المنقاري:

تبًّـا ليـوم النّـوى كـم أثخنـت يـده قلبي جراحاً فطر في بالدما همعا
أمسيـتُ فيـه طـريحـاً مـن جفـا رشـأ حلو الشّمائل في روض الحشا رتعا
سارت إليه الصبا تنبيه عن خبري وكيف سهم النّوى في مهجتي صنعا
قـالـت لـه إنّـه مـا فيـه مـن رمـق مثلي عليل فأبدى اللّهف والجزعا
فقلـتُ والـدّمـع مـن عينـيّ منحـدر وبـدر سؤدده في الأفـق قد طلعـا
يا ابن الكرامِ ألا تدنو فَتُبْصِر ما قـد حـدّثـوك فمـا راء كَمَـنْ سمعـا

ومن ذلك ما ضمنه الشيخ محمد بن محمود إمام جامع يلبغا بدمشق:

قـد حـدّثـوا مـن أطـار النّـوم وانتـزعـا بحـال مضنـي كئيـب القلـب مـا هجعـا
فقلت إذْ لم يَفُوا في بعض ما وَصَفُوا بـه غـرامـي ومـا بـي الشـوق قـد صنعـا
يـا ابـن الكـرامِ ألا تـدنـو فتُبْصِـر مـا قـد حـدّثـوك فمـا راء كَمَـنْ سمعـا

ومن ذلك تضمين الفاضل الشيخ ابن علي الصفّوري الدمشقي:

إن جئـت حـي أميـري صـف لـه شجنـي وطـول سقمـي ومـا ألقـى فـإنْ سمعـا
فـاشـرح لـه حـال صـبٍّ مغـرمٍ دنـف قـد قطـع البُعْـد عنـه قلبـه قطعـا
لا يستقـرّ لـه فـي منـزل جسـد وطـرفـه بعـده والله مـا هجعـا
واذكـر لـه أنّ حبـي زاد فيـه وهـل يخشـى تغيّـر مـا فـي الطبـع قـد طبعـا
وأنشـده عهـداً مضـي بـالإبـرقيـن لنـا والبـدر شـاهـدنـا لمـا إليـه سعـى
عسـاه تعطفـه تلـك العهـود وكـم خـلّ إلـى العهـد والميثـاق قـد رجعـا
واسـرع بلطـف وقـل مستعطفـاً ملكـا بيتـاً إلـى ذكـره حـال المشـوق دعـا
يـا ابـن الكـرام ألاَ تـدنـو فتُبْصِـر مـا قـد حـدّثـوك فمـا راء كَمَـنْ سمعـا

وقد ضمنه أيضاً المولى حسين بن محمد القاري الدمشقي فقال:

بالله سل طرفي السهران هل هجعا ... وما به العشق والتبريح قد صنعا
قد حدّث الناس عن مضني الهوى دنف ... وما أصابوا ولكنْ شنعوا شنعا
يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصر ما ... قد حدّثوك فما راء كمن سمعا

وللمترجم مخمّساً بيتي الأمير منجك المنجكي بقوله:

يا مَنْ بمحتده ارتقى ... مؤمّلاً عدم الشقا
قد غرّه طول البقا ... عمِّرْ فؤادك بالتّقى
واحذر بأنك تلتهي
لا تركننّ لجاحد ... نِعَم الإلّه معانِدِ
والزم طريقة هاجد ... واعمل لوجه واحدِ
يكفيك كل الأوجُهِ

وكنت في الروم شطرتُ هذين البيتين المذكورين فقلت:

عمرٌ فؤادك بالتّقى ... وعن الخطا كنْ منتهي
واعبد إلّهك دائماً ... واحذر بأنك تلتهي
واعمل لوجه واحد ... وارغب به بتولهِ
فرضا الإلّه وعفوه ... يكفيك كل الأوجهِ

ثم رأيت في أحد المجاميع تشطيرهما للشيخ مصطفى أسعد اللّقيمي الدمياطي نزيل دمشق وهو قوله:

عمِّرْ فؤادك بالتّقى ... فلك السعادة تنتهي
وعن الدُّنا كنْ معرضا ... واحذر بأنك تلتهي
واعمل لوجه واحد ... مع صدق حسن توجّهِ
وبحكمه كن راضيا ... يكفيك كل الأوجهِ

وللمترجم مشطراً:

ما تمّ إلاّ ما يريـ ... ـد فمن تعنّى ما ربح
إنْ رُمْت بالارتيا ... ح فدعْ همومك واطرح
واترك وَسَاوسَك التي ... منها صميمك قد جرح
ودع الشواغل عنك إنْ ... شغلت فؤادك تسترح

وقد ضمن البيتين المذكورين العلامة المولى محمد بن حسن الكواكبي مفتي حلب الشهباء بقوله:

حتام في ليل الهمو ... م زناد فكرك يَنْقَدِحْ

قلـــب تحـــرّق بـــالأســـى ودمـــوع عيـــن تَنْسَفِـــخْ
ارفـــق بنفســـك واعتصـــم بحمـــى المهيمـــن تَنْشَـــرح
واضـــرع لـــه إنْ ضـــاق عنـ ـــك خنـاق حـالـك تنفسـح
مـــا أمّ ســـاحـــة جـــوده ذو محنـــــة إلاّ مُنِـــــخْ
أو جـــاءه ذو المعضـــلا ت بمغلـــق إلاّ فُتِـــح
فـدعْ السـوى وانهـج علـى النّـ ـهـج القـويّ المتَّضـح
واسمـــع مقـــالـــة نـــاصـــح إنْ كنـــت ممـــن ينتصـــح
مـــا تـــمّ إلاّ مـــا يـــريـ ـــد فـدعْ همـومـك واطـرح
واتـــرك وســـاوســـك التـــي شغلـــت فـــؤادك تستـــرح

وضمنهما أيضاً المولى السيد عبدالله الحجازي الحلبي بقوله:

يـــا أيُّهـــذا المصطلـــح قـــل لـــي بمـــاذا تَصْطَلِـــحْ
أفســدتَ عيْشـــك بـــالعنـــا وزعمـــتَ أنـــك تنشـــرح
وأضـــأت حتـــى كـــدّت فـــي نـــار الغـــوايـــة تلتفـــح
حتـــام تهنـــا بـــالـــذي تكفـــي وأنـــت بـــه الملـــح
وإلامَ تـــركـــن لِلْحَيـــا ة ومـــن وراهـــا تجتـــرح
أوَ مـــا تـــرى الـــدنيـــا ويجـ ـمعهـــا الشتيـــت المنكســـح
والله مـــا افتخـــر العـــز يـــز بعـــزّهـــا إلاّ طُـــرِح
كـــلاّ ولا مـــرح الجـــوا د بـــرّ حبّهـــا إلاّ كســـح
فـــاقْنَـــعْ بمجنـــاهـــا القليـ ـــل ولا تمـــارِ فتفتضِـــحْ
واجعـــل مـــؤنتـــك التقـــى فهـــو الطـــريـــق المتّضـــح
وإذا الهمـــوم تـــزاوجـــت فـــالصبـــرُ أنتـــج مـــا لقـــح
لا تيـــأســـن مـــن أنْ تـــدا ويـــك الأمـــور وتنشـــرح
فلـــربمـــا ســـرّ الحـــزيـ ـــن وربّمـــا غـــمّ الفـــرح
والله أكـــرم مـــن يـــر جـــى فـــي المهـــم المفتضـــح
فكـــل الأمـــور للطفـــه والـــزم حمـــاه المنفســـح
واعمـــل بِنُصْـــح مســـدّد مَـــنْ فـــي تجـــارتـــه ربـــح
مـــا تـــمّ إلاّ مـــا يـــريـ ـــد فـــدع همـــومـــك واطـــرح
واتـــرك وســـاوســـك التـــي شغلـــت فـــؤادك تَسْتَـــرِحْ

وضمنهما الأديب حسن المحملي الحلبي فقال:

أتعبـــتَ قلبـــك فـــاسْتَـــرِحْ فعليـــلُ وهمـــك لا يصـــحّ
فـــابســـط لفكـــرك واتقـــي فمضيـــق قلبـــك ينفســـح

واقـــرع إلـــى بـــاب الإلَـ ـــه بـــذل نفـــس ينفتـــح
مـــا أمّـــه ذو حـــاجـــة مـــن جـــوده إلاّ منـــح
أو قـــد دعـــاه بشـــدّة مـــن علّـــة إلاّ صلـــح
فهـــو المبعـــد مـــن يشـــا وهـــو المقـــرّب مـــن نـــزح
فـــاجلـــى إلـــى غســـق الهمـــو م بنـــور عقـــل قـــد وضـــح
وابـــرىء فـــؤادك مـــن أذى بمـــدى التفكـــر قـــد جـــرح
واسمـــع مقـــالـــة عـــارف هـــو نـــاصـــح مـــن ينتصـــح
مـــا تـــمّ إلاّ مـــا يـــريـ ـــد فـــدعْ همـــومـــك واطـــرح
واتـــرك وســـاوســـك التـــي شغلـــت فـــؤادك تَسْتَـــرِحْ

وللمترجم قوله:

ثـلاث مـن تكـنْ يـا خِـلُّ فيـه فمغـــرورٌ وأجْـــدرُ بـــالمـــلامِ
فـــأوَّلُهـــا اليقيـــنُ بكـــون أمـــر وليـــس لـــه وجـــود فـــي الأنـــام
وثـــانيهـــا المطـــامـــع فـــي مـــراد إليـــه وصـــولـــه صعـــب المـــرام
وثـــالثهـــا الـــركـــون إلـــى جليـــس بـــلا عهـــد يـــراه ولا ذمـــام
فحـد عنهـا لكـي تـرقـى مقـامـاً وتحظـــى بـــالتحيّـــة والســـلام

عقد في الأبيات قول بعضهم: ثلاثٌ من تكنْ فيه كان مغروراً، من صدق بما لا يكون، وطمع فيما لا يناله، وركن إلى من لا يثق به.

وله أيضاً:

مـن كـان فيـه ثـلاثٌ حـازَ مـرتبـة أعنـــي حـــلاوة إيمـــان فلـــم يضـــم
حِلْـم يَـردُّ بـه جهـل الـذيـن خلـوا من سالف العصر عن علم وعن حكم
ومـــن لـــه ورع قـــد صـــار مـــانعـــه عـــن المحـــارم فـــاحـــذر زلّـــة القَـــدَم
ومـــن لـــه خلـــق قـــد زانـــه حســـن أضحـى يـداري بـه الإنسـان فـافتهـم
فـاجمـع خصـالاً غـدتْ للمجـد جـامعـة مـن نـالهـا يحـظَ بـالإجـلال والنِّعـم

عقد في الأبيات أيضاً قول الآخر: من كان فيه ثلاث وجد حلاوة الإيمان، علم يرد به جهل الجهال، وورع يمنع به عن المحارم، وخلق حسن يداري به الناس.

وله مشطراً:

ولـدتـك أمـك بـاكيـاً مستصـرخـاً رغمـاً عليك علـى القضـاء صبـورا
لـم تـدرِ مـا الـدنيـا ولا نكبـاتهـا والنّاس حولك ضاحكون سرورا
فاجهد لنفسك أنْ تكون إذا بكوا راجيـنَ مـن كـرم الإلّـه أجـورا
فعسى ترى إنْ هم بكوا وتحلّقوا من حول قبرك ضاحكاً مسرورا

وله مشطراً:

سَأُلْزِمُ نفسي الصَّفْحَ عن كلِّ مذنبٍ		رجاءَ بأنْ تُمْحى ذنوبي العظائمُ
فأعْفُو عن الجاني عليَّ بِظُلْمِه		وإنْ كثرت منه عليَّ جرائم
وما النّاس إلاّ واحدَ من ثلاثة		بذا قَدْ قضى بين البرية حاكم
مراتبها أعلى وأدنى ومشبه		شريفٌ ومشروفٌ ومثل مقاوم
فأمّا الذي فوقي فأعْرِفُ قَدْرَه		هو الماجد الحبر الذي لا يقاصم
فأقْفُوه في أقواله واجتهاده		وأتْبِعُ فيه الحقَّ والحقُّ لازم
وأمّا الذي مثلي فإنْ زلَّ أو هفا		أقابله بالإغضاء لأنّي مسلم
وإن رامَ إكراماً وأبدى اعتذاره		تفضّلتُ إنَّ الفضلَ بالخيرِ لازم

وله مشطراً:

المرءُ محتاجٌ إلى خمسة		يرقى بها في الناس أوج الكمالِ
فجدَّ في تحصيلها إنّه		ما حازها إلاّ فحولُ الرجال
الصبرُ والصمتُ وترك الأسى		أكرم بها في حسنها من خصال
فهي ثلاث شبه درٍّ غدتْ		وعفة النفس وصدق المقالِ

وله غير ذلك، وكانت وفاته في سابع جمادى الآخرة سنة ثلاثين ومائة وألف، ودفن بتربة الباب الصغير قرب أويس رضي الله عنه ورحمه الله تعالى.

محمد رحمة الله الأيوبي:

٦٠٤ ـ **محمد رحمة الله الأيوبي بن رحمة الله بن عبد المحسن بن يوسف جمال الدين بن أحمد بن محمد، المتصل النسب بأبي أيوب خالد الأنصاري، الشهير بالأيوبي، الحنفي الدمشقي، الشيخ الإمام الفقيه النحرير الأديب المفنن العالم العامل الناظم الناثر ولي الدين:** ولد بدمشق سنة إحدى وثمانين وألف ونشأ بها، وأخذ عن جملة من أفاضلها، منهم والده، وقريبه الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي، والشيخ إسماعيل الحائك المفتي، والشيخ إسماعيل بن عبد الباقي اليازجي، وعنهما أخذ الفقه، والشيخ أبو المواهب محمد الحنبلي، والشيخ محمد بن علي الكاملي وغيرهم، وبرع وفضل، واشتهر بالفضل والذكاء، ونظم ونثر ودرّس وأفاد، وارتحل للديار الرومية قسطنطينية مراراً، وصارت له رتبة الداخل المتعارفة بين الموالي، ودرّس بمدرسة البيانية بمحلة طالع القبّة، وله شعر لطيف منه قوله مخمساً:

إمام الرّسْل مَدْحُكَ لي يروق		وجاه علا جنابك لا يضيقُ
لأنْتَ المَقْصِدُ الأسنى حقيق		نَعَمْ لولاك ما ذكر العقيقُ
ولأجابت له الفلوات نوقُ

لُكَمْ أوضحتَ من سرّ مصونٍ وصنت من المهالك أي صون
لئن أسعفت من دهري بعونٍ نَعَمْ أسعى إليك على جفوني
تداني الحيّ أم بَعُدَ الطريقُ
بلغتَ مكارماً كانت مزايا بها كل الأنام غدت لجايا
إليك من النّوى أبدى شكايا إذا كانت يحنُّ لك المطايا
فماذا يفعل الصبُّ المشوقُ

وقوله مخمساً:

يا مجتبى بدء وأشرف خاتمِ يا مَنْ بُعِثْتَ متمِّماً لمكارمِ
يا مَنْ أتانا بالهدى من راحمِ يا مصطفى من قبل نشأة آدمِ
والكون لم تفتح له أغلاقُ
اعذر قصورَ اللّفظ عنك تكرّما يا أشرف الثَّقلَيْن بل يا أعظما
من رام أنْ يحصي ثناءك أفحما أيروم مخلوق ثناءك بعدما
أثنى على أخلاقك الخلاّقُ

وقوله في فوارة:

فوّارة تشبه في جريها أملودة من فضة خالصِة
تستوقف الأبصار في حسنها كأنّها جارية راقصِة

وله في عريش على الأغصان قوله:

كأنّما الكَرْمَة إذْ أرسلت من فوق غصن مائل غضٍّ
ذوائب الحسناء قد أسبلت على قوام ناعم فضّي

وقوله:

قالوا هجرت الشّام وهي شريفة فيها المُنَى والأمْنُ والبركاتُ
فأجبتُ حقّاً ما تقولوا جنّة حُفّتْ بمكروه بها الحسراتُ

وقوله:

قالوا دمشقُ حوتْ كلّ المُنَى وزَهَتْ على البلادِ بها من كل مرغوبِ
فقلتُ لكنْ بها قلَّ الوفاء فلا يُرَى بها ذو وفاء غير مغلوب

وقوله في الزنبق:

انظر إلى زنبق الرياض بدا وعُزْفُه أنعشَ الورى طَرَبَا
بساعد من زبرجد نضر وكفّه فضّة حوى ذَهَبَا

وقوله فيه:

وزنبــــق الـــرّبيـــع قــد زان الــــربـــا وعطـــرا
ويـــــده البيضــــاء قــد حــوت نضــاراً أصفـــرا
ممتـــدّة فـــي روضهـــا تنفـــث مسكـــاً أذفـــرا
كـــأنهـــا تـــومـــيء لأن يـــأخـــذ منهـــا مـــن يـــرى

وله غير ذلك من الأشعار والنظام والنثار، وبالجملة فقد كان من أفراد العالم علماً وعملاً وذكاء، وكانت وفاته شهيداً بقسطنطينية سابع شعبان سنة خمسين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

محمد الحفني:

٦٠٥ ـ محمد الحفني بن سالم بن أحمد الشافعي المصري، الشهير بالحفني، الشيخ العالم المحقق المدقق العارف بالله تعالى قطب وقته أبو المكارم نجم الدين: ولد بحفنة قرية من قرى مصر، قريب بلبيس، سنة إحدى ومائة وألف، ودخل الأزهر واشتغل بالعلم على من به من الفضلاء، كمحمد بن عبدالله السجلماسي، وعيد بن علي النمرسي، ومصطفى بن أحمد العزيزي، والشمس محمد بن إبراهيم الزيادي الملقّب بعبد العزيز، وعلي بن مصطفى السيواسي الحنفي الضرير، والجمال عبدالله الشبراوي، والشهابين أحمد الملوي، وأحمد الجوهري، والسيد محمد بن محمد البليدي، والشمس محمد بن محمد البديري الدمياطي، وأخذ الطريقة الخلوتية عن القطب مصطفى بن كمال الدين البكري، وتربّى على يديه، وألّف التآليف النّافعة، منها حاشية على شرح الهمزية لابن حجر، وحاشية على شرح رسالة الوضع، وحاشية على حاشية الحفيد على المختصر، وحاشية على شرح الرحبية للشنشوري، وغالب حواشي أخيه الجمال يوسف مأخوذة منه، وكان يدرس أوّلاً بالسنانية وبالوراقين، ثم في الطبرسية داخل باب الجامع، ثم لما توفّي الجمال عبدالله الشبراوي نقل التدريس إلى محله داخل الجامع، وكان يحضر درسه أكثر من خمسمائة طالب، حسنَ التقرير، ذا فصاحة وبيان، شهماً مهاباً محققاً مدققاً، يهرع إليه الناس جميعاً، واشتهرت طريقة الخلوتية عنه في مشرق الأرض ومغربها في حياته، وكانت وفاته في شهر ربيع الأول سنة إحدى وثمانين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

محمد المواهبي:

٦٠٦ ـ محمد المواهبي بن صالح بن رجب، المعروف بالمواهبي، الحنفي الحلبي القادري الخلوتي، الشيخ الإمام العالم الفاضل الصوفي المفضال المسلك الكامل: كان متبحّراً في فنون العلوم من منطوق ومفهوم، مشتغلاً بنشرها وتعليمها، وخدمة الحديث، والقيام بمصالح الطريق وحلّ رموزها، ولد بحلب في ليلة الأربعاء بعد صلاة المغرب الثامن والعشرين من ربيع الأول سنة ست ومائة وألف، وكان والده الشيخ العارف معتكفاً مع شيخه

العالم الرباني الشيخ قاسم الخاني في الخلوة الأربعينية بالمدرسة الحلاوية، فأخبر شيخه بمجيء ولده المترجم، فسمّاه الشيخ محمد هداية الله، فحصلت الهداية له، فنشأ المترجم مكباً على طلب العلم، وتفقّه على والده وأخذ عنه الطريق، وسلك على يديه، وأخذ العلم قراءة ومشافهة وإجازة على كثيرين، منهم الشيخ سليمان النحوي أخذ عنه، وعن الشيخ عبد الرحمن العارف النحوي، وقرأ المعاني والبيان ومنظومة الأصول على المولى أبي السعود الكواكبي، وقرأ المنطق والعروض والحساب والفرائض على الشيخ السيد علي الباني، وقرأ كثيراً من العلوم على الشيخ حسن السرميني، وأخذ الحديث عن كثير من العلماء، كالشيخ محمد عقيلة المكي، والشيخ إلياس الكردي، والشيخ محمد حياة السندي نزيل المدينة المنوّرة، ثم لما جاء ابن الطبيب إلى حلب، وكان اجتمع به في المدينة لمّا كان حاجّاً المترجم سمع منه الحديث المسلسل بالأولية، ثم قرأ عليه البخاري في حلب بطرفيه، وأجازه، وجلس على سجادة المشيخة بعد وفاة والده في سنة اثنتين وخمسين ومائة وألف، وأخذ عنه الطريق خلق كثيرون، وكان عالماً فاضلاً مواظباً على الإفادة والإقراء، وكانت وفاته يوم الأربعاء منتصف شوّال سنة سبع وثمانين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

محمد الروزنامجي:

٦٠٧ ـ محمد الروزنامجي بن طاهر بن أحمد، المعروف بالروزنامجي الدمشقي الأديب: كان شاعراً كاتباً بارعاً نبيهاً فائقاً لطيفاً منهمكاً في النشاط، ولد بدمشق وبها نشأ، وأخذ الخطَّ عن الكاتب جعفر المعروف بشكري الدمشقي وتتلمذ له، وتعلّق بنظم الشعر، وأعطاه الله الفهمَ والذكاءَ والحذق، ويُحْكَى أنّه كان عَشِقَ غلاماً يسمّى مراداً من أهالي الشام، وصرف عليه مبلغاً كثيراً من الدراهم، وكان مهما جاءه يصرفه عليه، وله فيه الشعر الرائق منه قوله:

لا كانَ يوم مراد ... ساق العذاب إلينا
وكم به من عناء ... وشدّة قد رأينا
أهانَ منّا نفوساً ... كانت تعزّ علينا

ومنه قوله:

بأبي أغيد أذاب فؤادي ... ليلة زارني بلا ميعادِ
باتَ يسقي ويشرب الراح حتى ... ميّل السّكر رأسه للوساد
عندها فزت بالمرام ونلت الـ ... ـوصل منه على أتمِّ مراد

وقوله أيضاً وكان أحد بني الغزي الدمشقيين شغفه ما شغفه بمراد، فكتب هذين البيتين وأجاد في التورية:

ولما أتى اللوّامُ يبغوا نصيحتي ... وقالوا كفى ذلاً فبادر إلى العزِّ
وخُذ بدلاً عن ذا المراد بغيره ... فقلتُ لهم إنا تركناهُ للغزّي

وله أيضاً:

خُذْ صحيح العشق عن دنف | لأحاديث الهوى درسا
طاهرٌ في الحب شيمته | في الهوى لا يعرف الدَّنسا
لعبت أيدي الظباء به | فغدت أركانه درسا
كل ظبي يزدهي عجباً | وقضيب ينثني ميسا
صادَ قلبي منهم رشأ | حبّه في مهجتي غرسا
لا أرى من بعده قمراً | لفؤادي والحشا أنسا
يا له بدراً بطلعته | أشرق الديجورَ والغلسا
كم عذول فيه عنّفني | مضرماً من عذله قبسا
عن مراد لا أرى عوضاً | وفؤادي منه ما يئسا
رشأ قد زانه حور | لحظه أسد الشرى افترسا
وجهه قد جلّ عن كلف | فتراه قط ما عبسا
ثغره يفترّ عن برد | من لماه يجتني لعسا

وله غير ذلك، وكانت وفاته في سنة خمس وستين ومائة وألف، ودفن بمرج الدحداح رحمه الله تعالى.

السيد محمد القدسي:

٦٠٨ ـ السيد محمد القدسي ابن السيد عبد الرحيم المقدسي الجهبذ الهمام أفقه الحنفية الإمام ابن الإمام: أخذ العلم عن والده علامة الأنام، وغيره من أساتذة الأعلام، وكان أبوه شامخ الهمم، راسخ القدم، غزير العلوم، عزيز الفهوم، صاحب تحرير وتقرير، رحل لمصر، فبرع فيها حتى شهد له أهل العصر، فرجع وتصدر بأمر الدولة لإفتاء الحنفيّة، بالبلدة المباركة القدسيّة، وكان أعجوبة الدهر، وأحدوثة العصر، في المتانة في العلوم النقلية، وإليه المنتهى في المدارك العقلية، فتاواه محكمة محرّرة، ومزاياه معلومة مقرّرة، توجّه للروم، وانتقل بها إلى رحمة الحي القيوم، وبعد مدّة جاء الأمر من الدولة الخاقانية، بالأذن بالإفتاء لصاحب الترجمة العرفانية، فقام فيها قيام أولي العزم والثبات، وأنبته الله أحسن الثبات، مؤدّياً للأمانة، رافلاً في حلل النباهة والفطانة، ناصراً للمنهج النعماني، رادعاً بصولته لحكام العرف بالسيف البرهاني، يشدّ النكير عليهم ولا يبالي، ناشراً لجواهر العلوم الغوالي، وله الفتاوى الحسنة المسمّاة بالمحمديّة، عباراتها عذبة مرضيّة، وهو من بيت شامخ العماد، راسخ الأوتاد، لهم مدّة سنين، يرثون العلوم ويورّثونها للآباء والبنين، شهرتهم ببيت أبي اللطف، أصحاب المجد والعطف، ولأسلافه تآليف تزري بقلائد النحور، بل تفوق سوالف أبكار الحور، وما زال في منهج المبرور، وسعيه المشكور، إلى أن شرب

كأس هاذم اللّذات، وأيتّم البنين والبنات، فرمى القلم والقرطاس، وفاضت نفسه حين شرب من ذلك الكأس، وسكن اللّحود، مع الجدود، وصار حديث أمس، رهين الرمس، ببلدته القدسيّة، بتربة باب الرحمة الأنسيّة.

محمد التاجي:

٦٠٩ ـ **محمد التاجي بن عبد الرحمن بن تاج الدين، المعروف بالتاجي، وتقدم ذكر والده، الحنفي البعلي صاحب الفتاوى المعروفة بالتاجية خاتمة العلماء الأعلام، وعمدة المحققين العظام**: كان عالماً محققاً فقيهاً نحريراً فاضلاً، فريد وقته في العلوم معقولها ومنقولها، ولد في سنة اثنتين وسبعين وألف، وأخذ في ابتداء شبابه على والده، وعلى الشيخ إبراهيم الفتال لازمه كثيراً، وقرأ عليه، وحضره في التفسير، وكان يرجّحه على أقرانه، شديد الاعتناء والحرص على إفادته، وقرأ واستجاز من الشيخ إسماعيل الحائك المفتي، وقرأ على الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي، وأجازه، وقرأ على الشيخ عبد القادر العمري بن عبد الهادي، وعلى الشيخ يّس الفرضي البقاعي في الفرائض، وعلى الشيخ عبد القادر التغلبي كذلك في الفرائض، وعلى الشيخ أبي السعود القباقبي، والشيخ محمد علاء الدين الحصكفي قرأ عليه الفقه والتفسير، وحضره في البخاري لما قدم بعلبك، وأعاد له والد المترجم ومن مشايخه الشيخ عبد الكريم، والشيخ عبد الرحيم الكابلي، والشيخ إلياس الكردي، وقرأ على الجدّ الكبير الأستاذ السيد مراد البخاري، ولما قدم بعلبك الجدّ المذكور أوصاه بوصايا سنية، ولما ركب قال يا أهل بعلبك والله ليس في الديار العربية أفضل من مفتيكم، فشدّوا عليه الأيدي، وقرأ أيضاً على الشيخ محمد الكاملي، والشيخ عبد الكريم الغزي، والشيخ محمد الباسطي مفتي الحنابلة ببعلبك، والشيخ عبدالله البهائي مفتي الشافعية بها، وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الرسول البرزنجي الكردي نزيل المدينة صاحب الإشاعة وغيرها، وكذلك الأستاذ الأعظم الشيخ إبراهيم الكوراني نزيلها أيضاً، وقرأ على الشيخ أبي المواهب الحنبلي الدمشقي شرح الشاطبية، وجمع عليه من طريق السبعة، وشرح كشف الغوامض، وحضر دروسه في الفقه والتفسير والحديث والأصول، وأجازه، ولما حج أخذ عن الشيخ أحمد النخلي المكي، وأجازه تجاه الكعبة، وعن الشيخ سعد الله اللاهوري الهندي، والشيخ محمد الرصاصي شارح السنوسية، والشيخ عبدالله البوسنوي نزيلها أيضاً، وأجازه الإمام الكبير الأستاذ الشيخ زين العابدين الصديقي المصري، وأخذ عن الشيخ صالح المطري إمام جامع قباء، وغيرهم من الجهابذة، ثم جلس للتدريس في جامع بني أمية، وحضره جمع من الأفاضل، وطلب كتابة الفتوى عند المولى شهاب الدين العمادي المفتي، فتولاّها ثم تركها، وتوجه إلى بعلبك وصار مفتياً بها ملازماً للدروس، ترد عليه الفتاوى والأسئلة من كل جانب، وألف الفتاوى التاجية، وأعطاه والده في حياته ثلثي ماله ولأخيه الثلث، وكان من نيته التوجّه إلى طرابلس الشام مهاجراً من بلده، وأصبح قاصداً

التوجّه إلى صلاة[1]، وجلس هو وأولاده يقرأ عليهم شيئاً من البخاري، فما شعر إلا والباب قد فتح قليلاً، فخرجت بندقية أصابت رصاصتها فؤاده، فقال: يا لطيف، وكان آخر كلامه ذلك، ومن اتّهم بقتله مزّقتهم يد القدرة، ولم يعلم قاتله، وكان ذلك في سنة أربع عشرة ومائة وألف رحمه الله تعالى.

محمد الغزي:

٦١٠ ـ محمد الغزي بن عبد الرحمن بن زين العابدين الغزي الشافعي الدمشقي مفتي الشافعية بدمشق وأوحد من ازدهت بفضائله، وتعطرت أكنافها بعرف علومه وفواضله، وقد تقدم والده وجملة من أقاربه: وكان عالماً فاضلاً محدثاً نحريراً متمكناً متضلعاً غوّاص بحر التدقيق، ومستخرج فنونه، أديباً بارعاً ألمعياً صالحاً فالحاً، له الفضل التام، مع الذكاء الذي يشق غلالة الدجنة، والحافظة التي لم يطرق خباءها سهو، واللّطف الذي لو مشى به على طرف ما انطرف، والمحاضرة الآخذة بمجامع الرقة من كل طرف، وكان عجباً في علم التاريخ والأنساب وإيراد المسائل، والفوائد العلمية والأدبية، ولد بدمشق في ليلة الجمعة بعد أذان عشائها ليلة الثامن عشر من شعبان سنة ست وتسعين وألف، ونشأ في كنف والده، وماتت والدته وسنّه دون السبع، ومنّ الله عليه في صغره بسرعة الفهم وملازمة الصلوات، فقرأ القرآن تعليماً على الشيخ محمد بن إبراهيم الحافظ، وبعد أن ختم عليه القرآن تعليماً أقرأه الجزرية، ومقدمة الميداني، ومقدمة الطيبي في علم التجويد، ثم تعلّم الخط، واشتغل بطلب العلم على والده وعلى غيره من الأساتذة، كالشيخ عبد الرحمن المجلد، والشيخ خليل الدسوقي، حضره قراءة في شرح المنهاج، وشرح التحرير لشيخ الإسلام وغير ذلك، وقرأ قليلاً من الفقه على قريبه الشيخ السيد نور الدين الدسوقي، وكذلك الشيخ عثمان بن حمودة، ثم شرع في القراءة على الشيخ أبي المواهب الحنبلي، ولزم دروسه وقرأ عليه شرح الجزرية لشيخ الإسلام زكريا، ولابن الناظم، ثم القواعد البقرية، ثم الشاطبية، ثم شرح النخبة لابن حجر، ثم شرح الألفية في المصطلح للقاضي زكريا، وسمع عليه في كثير من كتب الحديث، منها غالب صحيح البخاري، وأطراف مسلم، والسنن الأربعة، وموطأ مالك، والمشارق للصغاني، والمصابيح للبغوي، وشرح الألفية لناظمها الحافظ العراقي، وأجازه وأذن له بالتدريس والإفتاء، ومن مشايخه عثمان بن محمد الشمعة قرأ عليه في النحو والأصول والفقه والمعاني والبيان وغير ذلك كتباً عديدة سماعاً وقراءة، وكذلك الشيخ عبد الجليل بن أبي المواهب المذكور، ومنهم الشيخ إلياس الكردي، قرأ عليه شرح التلخيص المختصر، وشرح العقائد للسعد، وسمع عليه كتباً كثيرة من كتب العلم، منها شرح جمع الجوامع، وشرح ايساغوجي في المنطق للحسام، وقرأ على الشيخ عبد الرحيم

---

(١) قوله إلى صلاة: كذا بالأصل الذي بيدنا مشاراً إليه بنقط من الناسخ ولعل أصل العبارة إلى صلاة الفجر، مثلاً فصلّى وجلس في المسجد هو وأولاده الخ وحرر. اهـ مصححه.

الكابلي الهندي نزيل دمشق شرح العقائد للسعد ولم يتمه، وحضر دروس الشيخ محمد بن محمد البديري الدمياطي المعروف بابن الميّت، لما قدم إلى دمشق ودرّس في صحن الجامع الأموي في الأربعين النووية، وبعد ارتحاله لبلده دمياط استجاز منه المترجم، فأجازه إجازة مطوّلة، وحضر دروس الشيخ محمد بن محمد الخليلي لما قدم إلى دمشق وسمع منه الحديث المسلسل بالأولية، وسمع كذلك الحديث المذكور من الشيخ أبي طاهر ابن الأستاذ العالم الشيخ إبراهيم الكوراني نزيل المدينة المنورة لما حج في سنة أربع وأربعين، وحضر دروس الشيخ محمد مفتي المالكية بدمشق في الجامع الأموي، وقرأ عليه جانباً من شرح القطر للفاكهي، ولزم دروس الشيخ عبد القادر بن عمر التغلبي الحنبلي مفتي الحنابلة بدمشق، وقرأ عليه شرح الرحبية للشنشوري، وشرح كشف الغوامض، وسمع عليه شرح الترتيب بتمامه، وكتب عليه الحساب وأجازه، وحضر دروس المولى محمد بن إبراهيم العمادي مفتي الحنفية بدمشق في المدرسة السليمانية، وحضر دروس عمّه الشيخ عبد الكريم الغزي مفتي الشافعية بدمشق في المدرسة الشامية البرانية في شرح المنهج لشيخ الإسلام زكريا، وأجاز له لفظاً مراراً عديدة، وصحب الشيخ السيد تقي الدين الحصني، وسمع من فوائده وانتفع بتربيته، وحضر دروس السيد الشريف المولى إبراهيم بن محمد بن حمزة الحسيني نقيب الأشراف بدمشق في داره في صحيح البخاري، وأجاز له، وأجاز له الشيخ أحمد بن محمد النخلي المكي من مكة، وفي سنة إحدى وعشرين صاهر الأستاذ الرباني الشيخ عبد الغني النابلسي وسكن عنده في داره بالصالحية، وشرع في القراءة عليه، فقرأ عليه مغني اللّبيب بطرفيه مع مطالعة حاشيته للشمني، وقرأ عليه جانباً كبيراً من شرحه على الفصوص، وشرح رسالة الشيخ أرسلان له، وشرحه على التحفة المرسلة، ثم قرأ عليه الفتوحات المكية للشيخ العارف سيدي محيي الدين بن العربي قدس سره العزيز بطرفيها، ثم قرأها عليه مرة ثانية بطرفيها، وقرأ عليه الجامع الصغير للسيوطي مع مطالعة شرحه الكبير للمنّاوي، وقرأ عليه روض الرياحين لليافعي، وقرأ عليه السيرة النبوية للشيخ الحلبي، وسمع عليه شرحه على الديوان الفارضي بقراءة الشيخ الفاضل الشيخ محمد بن إبراهيم الدكدكجي، وسمع من لفظه صحيح البخاري بتمامه في الأشهر الثلاثة، واجتمع بجدّي العارف الشيخ مراد البخاري، وزاره مرات وتبرك به وسمع من فوائده، ومهر في العلوم وتفوّق بها، وجلس لاشتغال الطلبة بالعلوم والتدريس في المدرسة العمرية بصالحية دمشق من ابتداء سنة اثنين وعشرين ومائة، وكان في أيام الشتاء يتحول إلى داره في دمشق ويجلس في الجامع الأموي، ولما تولّى تدريس المدرسة الشامية البرانية مع الإفتاء على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه في أواخر شهر رجب سنة خمس وخمسين ومائة وألف شرع في إلقاء الدروس بها في المنهاج، ولما تولّى تدريس الحديث في الجامع الأموي تجاه ضريح سيدنا يحيى عليه السلام شرع في قراءة صحيح البخاري من أوّله، وألف تاريخاً سمّاه «ديوان الإسلام» يجمع العلماء والمشاهير والملوك وغيرهم، وكان رحمه الله تعالى ماهراً وعمدة في

التاريخ والأدب وحفظ الأنساب والأصول وتراجم الأسلاف، وبالجملة فقد كان فرد الزمان، وله شعر باهر، وفضل ظاهر، فمن شعره قوله:

سقيا لآدم الصبا المعهود ... ما بين رامة والنقا فزرودِ
ومراتع الآرام من سفح اللّوى ... ترعى ظلال زلاله المورود
ولبان وادي المنحنى وأراكه ... وتنعّمي في ظلّه الممدود
أيام عيشي في النضارة مشبه ... خضر العوارض في بياض خدود
أيام لا أنفك طالب رشفة ... من مبسم أو قُبلة من جيد
أيام أجني الوصل من غصن المنى ... وأرى جني الآمال غير بعيد
ما ينقضي ليل يضيء سناءه ... إلاّ ويعقبه كيوم العيد
والوقت صاف والعيون قريرة ... والسمعُ خلو من ملام حسود
والحبّ واف والعذول مساعد ... مغض عن التقريع والتفنيد
كم جاءني فيها المفدّي زائراً ... عفوا كغصن البانة الأملود
متورّد الخدّين من خفر الحيا ... متبسماً عن لؤلؤ منضود

ومنها:

آهاً على ذاك الزمان وطيبه ... وهنيّ عيش مرّ فيه رغيدِ
ولبست من صافي الصبابة حلّة ... زانت مطارف طارفي وتليدي
لا ناظري يهفو لطلعة أهيف ... والسمع لا يصغي لنغمة عود
والطرف ملآن الجفون من الكرى ... خال من التعذيب والتسهيد
وشرعت في تبييض غرّ صحائفي ... من بعد ذاك الشين بالتسويد

وقوله رحمه الله تعالى:

البدرُ من لَمَحَاتِهْ ... والمسك من نَفَحَاتِهْ
والندّ من أخلاقه ... والوردُ من وجناته
والشمس من أزراره ... والسحر من لحظاته
والدرّ من ألفاظه ... والشهْدُ من رشفاته
وإذا مشى سرقت ظبا ... ء ألبان من لفتاته
يا مالكي رفقاً بمن ... أضنيت قبل مماته
ذو خنجر ألحاظه ... أغنته عن طعناته
أوّاه واتلفي إذا ... شاهدت حسن صفاته
وحياته ما حلّت عن ... حبيه لا وحياته
النارُ من زفراته ... والقطر من عبراته
فاعطف على صبّ كئيـ ... ـب ذاب من حسراته

وتعلمــت ورق الحمـا … م السجـع مـن أنـاتـه
يكفيـه مـا يلقـاه مـن … عـذالـه ووشـاتـه
مـن لـي بـه لـدن القـوا … م يميـل مـن نشـواتـه
قمـر إذا حققـت فيـ … ـه مـن جميـع جهـاتـه
كـم مـرّ بـي فـرأيـت شخـ … ـص الحسـن فـي مـرآتـه
وإذا تـرنّـم منشـداً … يصبيـك فـي نغمـاتـه
وإذا أشـار محـدّثـاً … شـاهـدت قطـر نبـاتـه

وله مضمناً:

إذا نصحتَ قليل العقل نلتَ بذا … عـداوة منـه لا تخفـى مساويهـا
فـالحمـقُ داءٌ قبيـحٌ لا دواء لـه … قـد قـال فيـه مـن الأشعـار راويهـا
لكـلِّ داءٍ دواء يستطـبّ بـه … إلاّ الحمـاقـة أعيـت مـن يـداويهـا

وله رحمه الله تعالى:

ضيعتُ نقد شبابي لم أنل أربا … من لـذّة العيش والآمال تنعكسُ
ثم انحنى غصن قدّي بعد ضيعته … حتّى كأني له في الترب ألتمس

هو من قول بعضهم:

وكنتُ لـدى الصبـا غصنـاً وقـدّى … حكى ألف ابن مقلة في الكتابِ
فصـرتُ الآن منحنيـاً كـأنّـي … أفتّش فـي التـراب علـى شبـابـي

وقد ألمّ بقول أبي علي الكاتب:

تقـوّس بعـد طـول العمـر ظهـري … وداستنـي اللّيـالـي أيّ دوسِ
فـأمشـي والعصـا تمشـي أمـامـي … كـأن قـوامهـا وتـر لقـوسـي

ولصاحب الترجمة:

مستهـام عـن حبـه لا يحـول … فيـك أخفـاه سقمـه والنحـولُ
وغـرام سعيـره يتلظّـى … بيـن أحنـاء صـدره وغليـل
رقّ لـي حـاسـدي وصـار شفيعـي … عنـدك الكـاشـح النصـح العـذول
وصحابي قد أنكروا فرط ما بي … مـن سقـام عليـه وجـدي دليـل
وأتـوا بـالطبيـب فـارتـاع لمـا … لـم يجـدنـي وقـال أيـن العليـل
مـا هـداه إلـيّ إلاّ أنينـي … فـي بحـار مـن الـدّمـوع تسيـل
قلت دعني فالحبّ لم يبق مني … غير معنى في فكر صحبي يجول

قوله: (ما هداه الخ) من قول المتنبي:

كفى بجسمي نحولاً إنّني رجل لولا مخاطبتي إيّاك لم ترني

وفي النحول مبالغات كثيرة من ذلك قول المتنبي المذكور:

ولو قلم ألقيت في شق رأسه من السقم ما غيرت من كف كاتبِ

وقول أبي بكر الخالدي:

مهدّد خانه التفريق في أمله أضناه سيّده ظلماً بمرتَحَلِهْ
فرقّ حتى لو أنّ الدهر قاد له حيناً لما أبصرته مقلتا أجَلِهْ

وقول ابن العميد:

لو أنّ ما أبقيت من جسمي قذى في العين لم يمنع من الإغفاءِ

وقول الواسطي:

قد كان لي فيما مضى خاتم واليوم لو شئت تمنطقت بهِ
وذبتُ حتى صرت لو زجّ بي في مقلة النائم لم ينتبهِ

وقول أبي بكر العمري:

كدتُّ أخفي من ضنى جسدي عن عيون الجنِّ والبشرِ

وقول بعضهم من أبيات:

ولو أنني عُلِّقْتُ في رِجْل نملةٍ لسارتْ ولم تدري بأنّي تعلّقتُ
ولو نمتُ في عين البَعُوض معارضاً لما علمتْ في أيّ زاوية بتُّ

وللمترجم غير ذلك من الشعر الحسن، وآخراً استولت عليه الأمراض والعلل، وكانت وفاته قبيل الغروب يوم الخميس سابع عشر محرم افتتاح سنة سبع وستين ومائة وألف، ودفن بتربة مرج الدحداح خارج باب الفراديس رحمه الله تعالى.

محمد بن أبي اللطف:

٦١١ ـ **محمد بن أبي اللّطف بن عبد الرحيم بن أبي اللّطف بن إسحق الحنفي القدسي الجهبذ الهمام العالم الفاضل**: كان من مشاهير العلماء كوالده المقدم ذكره، وله النظم البديع، وكان أفقه الحنفية بوقته، وتولى إفتاء القدس وقام به حق القيام، رادعاً للحكام، ولا يبالي، وله الفتاوى الحسنة المحمدية، وكان له حدة في طبعه، وبالجملة فقد كان من الأفراد ولم أتحقق وفاته في أي سنة، ولكنْ أُخْبِرتُ أنّه دفن بتربة باب الرحمة بالقدس رحمه الله تعالى.

محمد الاسكداري:

٦١٢ ـ محمد الأسكداري بن عبدالله ابن السيد أسعد أفندي الأسكداري، المدني الحنفي، الشيخ الفاضل العالم الكامل: ولد بالمدينة المنوّرة سنة أربع وأربعين ومائة وألف ونشأ بها، وقرأ على ميرملا شيخ الأزبكي، والشيخ إبراهيم بن فيض الله السندي، والسيد محمد مولاي المغربي، وعلى غيرهم، وتولّى الإفتاء في المدينة المنوّرة، وناب في القضاء أيضاً، وكان فاضلاً لطيفاً، حسن السيرة، سالم السريرة، محمود الحركات والسكنات، لم تعهد له زلة في فتواه، ولا كبوة، ذو وجاهة كاملة، ورياسة شاملة، ولم يزل على أكمل طريقة إلى أنْ درج في مدارج الرضوان، وكانت وفاته بالمدينة في سابع عشر ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

محمد الريّس:

٦١٣ ـ محمد الريّس بن عبدالله بن سليمان بن أحمد، الشهير بالرّيِّس، الحنفي الغزي الطبيب الحاذق الشهير العارف الماهر أحد المتفرّدين في تلك الديار في علم الطب والحكمة، والفلك والهيئة، وغير ذلك: ولد بغزة هاشم وبها نشأ، وأخذ عن والده الطب والحكمة، وتخرّج عليه بذلك، وبرع في الفنون وعالج الناس، واشتهر بالطبّ والحذاقة في ذلك، وأخذ بعضاً من العلوم الغريبة والفنون من الأستاذ الشيخ عبد الوهاب الطنطاوي، وارتحل إلى مصر ودمشق، وفاق علا صيته، وله تآليف في الطبّ، وعرّب غاية البيان التي باللغة التركية، وعلى كل حال فقد كان من ظرفاء وقته، وكانت وفاته في سنة ثلاثين ومائة وألف، ودفن بالقدس رحمه الله تعالى.

محمد الخليفتي:

٦١٤ ـ محمد الخليفتي بن عبدالله الخليفتي العباسي المدني الحنفي الخطيب الفاضل والأديب الكامل ذو الفهم الثاقب والرأي الصائب: تبحّر في العلوم، وكرع من حياض منطوقها والمفهوم، فأخذ عن البرهان إبراهيم الكوراني، وعن السيد محمد بن عبد الرسول البرزنجي وغيرهما، وله شعر لطيف، ومن شعره ما ذكره الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي في رحلته الحجازية، وهي قصيدة رثى بها شيخه ملاّ إبراهيم المذكور يقول فيها:

توفّي الهمام الذي لم يكن	له في المعارف والفضل ثاني
ومن قد سما قدره في الورى	فخاراً على كل قاصٍ وداني
ومن حلّ ذروة هام العلا	وليس الحديث كمثل العيانِ
ومن كان في حلبة الفضل لا	يجاري إذا كان يوم الرّهان

وهي طويلة، وكانت وفاته بالمدينة المنوّرة سنة ثلاثين ومائة وألف، ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى.

محمد الأمير الحلبي:

٦١٥ ـ **محمد الأمير الحلبي بن عبدالله بن عمر الحسيني، المعروف بالأمير الحلبي، الشيخ العارف الكامل البارع نزل حلب وسكن في جامعها الكبير**: وكانت له مكاشفات ظاهرة، توفي في حلب ودفن بمقام الأربعين رحمه الله تعالى، ولم أتحقق وفاته في أي سنة كانت.

محمد المغربي:

٦١٦ ـ **محمد المغربي بن عبدالله المغربي الفاسي المالكي نزيل المدينة المنوّرة، الشيخ الفاضل العالم العامل الأوحد المفنّن العابد الزاهد الورع النسيك**: قدم المدينة المنورة سنة خمس وعشرين ومائة وألف وتوطّنها، وأخذ عن أئمة أجّلاء، منهم الشيخ محمد بن عبد الرحمن ابن شيخ الشيوخ عبد القادر الفاسي المشهور، وعن العلاّمة عبدالله بن سالم البصري المكي لما قدم المدينة، وقرأ في الروضة المطهّرة مسند الإمام أحمد، وكان هو المعيد له، وأتمّه في ستة وخمسين مجلساً، وأخذ أيضاً عن العلامة محمد أبي الطاهر بن البرهان إبراهيم الكوراني، وعن الشيخ إبراهيم بن محمد الغيلالي، وعن غيرهم، ونبل وفضل ودرس بالحرم الشريف النبوي، وانتفعت به الطلبة، ، وكان ذا قدم راسخ في العبادة والدين، آية باهرة في التواضع، حتى إنّه كان يحمل حزمة السعف من بستانه إلى داره على رأسه، وكانت وفاته بالمدينة المنوّرة سنة إحدى وأربعين ومائة وألف ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى وإيّانا.

محمد زين العابدين:

٦١٧ ـ **محمد زين العابدين بن عبدالله بن عبد الكريم المدني الحنفي، الشهير بالخليفتي، العباسي الشيخ الفاضل الأوحد البارع المفنن النبيل**: ولد بالمدينة المنوّرة سنة ثلاثين ومائة وألف ونشأ بها، وطلب العلم فقرأ على أبيه في عدّة فنون، وأخذ عن الشيخ محمد حياة السندي، والسيد إبراهيم أسعد وغيرهم، وصار له الفضل التام، ودرس بالمسجد الشريف النبوي، وصار أحد الخطباء والأئمة به، وتولّى نيابة القضاء مرتين، ثم صار شيخ الخطباء والأئمة بالحرم الشريف النبوي، وتولّى إفتاء السادة الحنفية بالمدينة المنوّرة، وانتهت إليه الرياسة، وكان حسن السيرة ذا جاه ووجاهة بين الناس، وله يد طولى بصنائع المعروف معهم، ونظم ونثر، وكانت وفاته بالمدينة المنوّرة ليلة عرفة سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف، ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى، ومن مات من أموات المسلمين أجمعين آمين.

محمد السمان:

٦١٨ ـ **محمد السمّان بن عبد الكريم المدني الشافعي، الشهير بالسمّان، الشيخ الصالح الصوفي الأوحد البارع الكامل العالم المرشد المسلك المربي أبو عبدالله قطب**

الدين: ولد بالمدينة المنوّرة سنة ثلاثين ومائة وألف ونشأ بها، وقرأ وأخذ عن الشيخ محمد بن سليمان الكردي نزيل المدينة المنوّرة، وفقيه الأقطار الحجازية، وأخذ الطريقة الخلوتية عن السيد مصطفى بن كمال الدين البكري، وقام على وظائف الأوراد والأذكار والإرشاد والتسليك في داره التي كان يسكنها، وهي دار سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وتعرف بالمدرسة السنجارية، وهي مشتملة على حجر كثيرة، كان في وقته ينزل فيها الغرباء والواردون على المدينة من الآفاق، ولصاحب الترجمة نظم ونثر، فمن نظمه قصيدة في التوسّل من بحر الرجز تقرأ خلف الرواتب، وكان عابداً ناسكاً صالحاً اشتهر بذلك في الآفاق، وأخذ عنه الجمّ الغفير من أهل المدينة وغيرها، وكانت وفاته في ذي الحجة سنة تسع وثمانين ومائة وألف ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى.

محمد المالكي:

٦١٩ ـ محمد المالكي بن عبد الكريم بن قاسم المالكي المغربي الفاسي نزيل دمشق: ولد في بلدته فاس في سنة أربع ومائة وألف ونشأ في حجر والده، وقرأ القرآن وحفظه ببلده، وقرأ حصّة من علم الحرف والأوفاق، وقدم دمشق فصحب الشيخ عبد الرحمن السمّان، واتصل بالعارف الشيخ عبد الغني النابلسي، وقرأ عليه عدّة كتب ثم ارتحل إلى حلب واستوطنها، وراج أمره بها وعلا صيته، ثم رأى في عالم الخيال أن يرحل إلى دمشق، فإنّ السلوك هناك، فخرج من حلب وعاد لدمشق واستوطنها إلى أنْ مات، وكان يتردّد إلى والدي ويكرمه ويعتقده، وكان يدّعي معرفة الكيمياء، وله معرفة بالطب وغيره، وكان مولّعاً بقص شاربه وحلق لحيته وحاجبيه، طويل القامة، كبير العمامة، يفصد نفسه في الأسبوع مرتين أو ثلاثاً، وكانت وفاته بدمشق سنة خمس وثمانين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

محمد المواهبي:

٦٢٠ ـ محمد المواهبي بن عبد الجليل بن أبي المواهب بن عبد الباقي الحنبلي الدمشقي، تقدم ذكر والده وجدِّه، وكان هذا عالماً فاضلاً بارعاً مفتي الحنابلة بدمشق بعد جدّه: ولد في سنة إحدى ومائة وألف ونشأ في كنف والده وجده، وأخذ الفقه والحديث والفرائض عنهما، وقرأ في علوم العربية، كالنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع على والده، وقرأ في الفرائض على تلميذ جدّه الشيخ عبد القادر التغلبي، وأجاز له الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي، والشيخ إلياس الكردي نزيل دمشق وغيرهما، وبرع وفضل، وصارت فيه البركة التامّة، وجلس للتدريس بالجامع الأموي، وقرأ عليه جماعة من الحنابلة وغيرهم وانتفعوا به، وكان ديِّناً متواضعاً مواظباً على حضور الجماعات والسعي إلى أماكن القربات، وكانت وفاته في أوائل ذي الحجة سنة ثمان وأربعين ومائة وألف ودفن بتربة سلفه بمرج الدحداح رحمه الله تعالى.

محمد العطّار:

٦٢١ ـ **محمد العطّار بن عبيد بن عبدالله بن عسكر القاريّ الأصل، الدمشقي، الشهير بالعطّار، الشافعي الفاضل الشاب الصالح**: كان بارعاً أديباً نبيهاً حسن الطبع والأخلاق، مشتغلاً بالتقوى والعبادة، راضياً بالقليل قنوعاً، ولد بدمشق سنة ثلاثين ومائة وألف ونشأ بها، وطلب العلم فأخذ عن الجمال عبدالله بن زين الدين البصروي، والشهاب أحمد بن علي المنيني، والشيخ علي بن أحمد الكزبري، والشيخ محمد بن أحمد قولقسز، والشمس محمد بن عبد الرحمن الغزي العامري وعن غيرهم، وحصل له فضيلة تامّة، كان تاركاً لما لا يعنيه إلى أنْ مات، وله شعر رقيق أطلعتُ عليه بعده، فمن ذلك قوله:

قسماً بمبسم ثغرك الوضّاح ... وبما حوى من لؤلؤ وأقاحِ
وبطيب راح من لماك يزيّنها ... حبب فواظمئي لتلك الرّاح
وبطرّة لك كالظلام وغرّة ... بين الدياجي أسفرت كصباح
وبنرجس من ناظريك وأسهم ... تبري فؤاد الهائم الملتاح
وبحاجب كالقوس يحمي وجنتيـ ... ـك من اجتناء الورد والتفّاح
وبخالك الزنجيّ حارس ورد خـ ... ـدّيك الجنـي وورده الفوّاح
وبجيدك الفضيّ وقامتك التي ... فتكت ضواري الأسد فتك رماح
ما حلت عنك ولا سلوت محاسنا ... لك تجذب الأرواح من أشباح
كم ذا تطيل عذاب صبّ قد غدا ... بهواك مقتولاً بغير سلاح
أمرنح الأعطاف يكفي ما جرى ... رفقاً فما سفْك الدِّماء بمباح
حكمت أسياف الجفا بجوارحي ... وأمرتها أنْ تعتني بجراحي
وتركتني مُلْقَى على فرش الضّنى ... دنفاً أكابدُ لوعة الأتراح
من منقذي من نار هجرك يارشا ... خضعت لسطوته أسود كفاح
ماذا يضرّك لو رحمت متيماً ... رقّ العذول لحاله واللّاحي
فاعطف عليّ بطيب وصلك كي به ... تتبدّ الأحزان بالأفراحِ

وقوله:

غزال غزاني بالمحاسن والبها ... يريني قسيّ الفتك من قوس حَاجِبِهْ
تلفَّتَ نحوي بعد أن راش أسهما ... فيا ليتها غاصت بمقلة حاجِبِهْ

وقوله:

حديقة أنس زهت منظرا ... ونشرُ شذاها غدا عابقا
أقمنا بها نجتلي حسنها ... ونرشف من كأسها الرائقا
فبادر إلى وردها واجتني ... وإياك إياك والعائقا

وكانت وفاته في غرة ربيع الأوّل سنة سبع وخمسين ومائة وألف ودفن بمرج الدحداح، والقاريّ: نسبة إلى قارة قرية من ضواحي دمشق، قدم جدّه منها رحمه الله تعالى وإيانا.

محمد الخراشي:

٦٢٢ ـ محمد الخراشي بن عبدالله الخراشي المالكي الإمام الفقيه ذو العلوم الوهبية، والأخلاق المرضيّة، المتفق على فضله وولايته، وحسن سيرته: أخذ عن البرهان اللّقاني، ولازم بعده النور عليا الأجهوري، وتصدّر للإقراء بالجامع الأزهر، وحضر درسه غالب المالكية، واشتهر بالنفع وقبلت كلمته، وعمت شفاعته، واعتقده عامة الناس وخاصتهم، وألّف مؤلفات عديدة، منها شرحان على مختصر خليل تلقاهما أهل عصره من العلماء بالقبول، وكتب منها نسخ عديدة، وبالجملة فقد كان علامة معتقداً، وكانت ولادته في سنة عشرة بعد الألف وتوفي في ذي الحجة سنة إحدى ومائة وألف رحمه الله تعالى.

محمد الذهبي:

٦٢٣ ـ محمد الذهبي بن عبد اللطيف، المعروف بالذهبي، الدمشقي الشافعي، الشيخ الفاضل النبيل البارع: له شعر مطبوع ومشاركة جيدة، ولم أسمع بخبره كما ينبغي، حتى أصفه بما فيه، غير أني رأيت في مجموعة الأثري البرهان إبراهيم الجينيني نزيل دمشق، مولده ووفاته، فذكرته لئلا يخلو كتابي منه، ورأيت له مقطوعاً من الشعر وهو قوله مضمناً:

يا من إذا جاريته في مسلك ... ألفيته قد سدّ طرق منافذي
أهون بمضناك الذي حيرته ... هذا مقام المستجير العائذِ

ومن ذلك قول العلاّمة الأديب السيد محمد بن حمزة النقيب:

نَقَلَ العذول بأنّني أفشيتُ ما ... أخفى الحفاظ من الغرام الواقذِ
هبني افتريت كما افترى فاغفره لي ... هذا مقام المستجير العائذِ

ومنه قول الشيخ عبد الغني النابلسي قدس سره:

لاحظتُ خالاً تحت صفحة خدّه ... متوارياً خوف اللّهيب النافذِ
فسألته ماذا المقام فقال لي ... هذا مقام المستجير العائذ

ومنه قول زين الدين الدمشقي الشهير بالبصروي:

وأغنّ فتاك اللّواحظ أدعج ... يرمي بنبل في القلوب نوافذِ
نادته أفلاذي وقد فتكت بها ... هذا مقام المستجير العائذ

ومن ذلك قول الكمال محمد بن محمد الغزّي العامري:

بـالله صِـلْ مضنـاك يـا مَـنْ شفّنـي — منـه جـوى أفنـى جميـع لـذائـذي
فبعـــزة الحســـن استعـــذتُ وإنّـــه — هـــذا مقـــام المستجيـــر العـائـــذ

وكانت وفاة المترجم نهار الأحد ختام شوّال سنة ست ومائة وألف، ودفن بالذهبية من مرج الدحداح رحمه الله تعالى.

محمد الصالحي:

٦٢٤ ـ محمد الصالحي بن عبد المحسن الحنفي الصالحي الدمشقي، أحد البارعين في الأدب والكتابة: اشتغل بطلب العلم، فقرأ على المجد محمد بن عيسى الكناني، وأجاز له الشهاب أحمد بن عبد الكريم الغزي العامري المفتي، ونبل وفضل، وكان يعرف التركية والفارسية معرفة جيدة، وصار أحد الشهود والكتبة بمحكمة العونية، وكان ينظم الشعر فمنه قوله:

عليـك بعلـم المنطـق البهـج الـذي — يجـلّ بـه الإنسـان إنْ قـام أودعـا
يقلـد نحـر الـدهـر عقـداً منظمـا — ويلبـس لـلأفكـار تـاجـاً مـرصعـا

وقوله:

النحـوُ علـم بـه تشحيـذ فكـرتنـا — فالزمْهُ واملي لنا من أصله طرفا
فكـل مـن يـرتـوي مـن ورده أبـدا — بين الأفاضل معدود من الشرفا

وكانت وفاته مطعوناً يوم الأربعاء حادي عشر ربيع الأول سنة خمس عشرة ومائة وألف ودفن بسفح قاسيون بالروضة.

محمد السندي:

٦٢٥ ـ محمد السندي سعيد بن عبد الحفيظ حماد المدني، الشهير بالسندي، الشيخ الفاضل الأديب الشاعر الناظم الناثر: حاز من مراتب الأدب أعلاها، وبلغ من ذروة الفصاحة علاها، ولد بالمدينة المنوّرة سنة ثمان عشرة ومائة وألف ونشأ بها، وأخذ عن أفاضلها، ونظم ونثر، فمن شعره وله هذا التخميس النفيس:

نـاديـتُ لمّـا الحبُّ عنّـي أعـرضـا — وحشا الحشا سقماً أذاب وأمرضا
وسطا عليَّ بما من الجفن انتضى — أحمـامـة الـوادي بشـرقـيّ الغضـا
إنْ كنـتِ مسعـدةَ الكئيـبِ فـرجّعـي
أنـا أنـت لكـن مـن هـواه يـزيّنـه — لا كـالـذي مثـل الغـرام يشينُـهْ
ودليـل مـا قـد قلـت فيـك يبيّنـه — أنّـا تقـاسمنـا الغضـا فغصـونُـهُ
في راحتيك وجمره في أضلعي

وكان كثير الملاطفة حسن الأخلاق، وكانت وفاته بالمدينة المنوّرة في رمضان سنة ثمان وسبعين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

محمد الخمسي:

٦٢٦ ـ محمد الخمسي بن عبدالله المغربي، الخمسي الشهرة، المالكي نزيل دمشق، الشيخ العالم الفاضل البارع المفنن: قدم دمشق وتوطنها في الحجرة عن يسار الداخل للجامع الأموي من باب جيرون، ودرس بالجامع المرقوم، وانتفعت به الطلبة، وله شعر لطيف وقفت له على أشياء، منها قوله:

يا أحسنَ النّاس إغضاءً عن النّاس وأحسنَ النّاس إحساناً إلى النّاسي
نسيتَ عهدي والنسيانُ مغتفر فأوّلُ النّاس نسياً أوّل الناسِ

وقوله:

خبز شعيرٍ وماءُ بئرٍ يكون قوتي مع السّلاَمَة
أفضل عندي من عيش ودٍّ يكون عقباه للنّدَامَة

وقوله:

ومما نهاني عن هواهم وصدّني وقد كنت مغرى في الهوى وهو ديدني
نفورهم عنّي وعن كل عاشقٍ عفيف وهم في طوع كل يدي دني

وله غير ذلك، وكانت وفاته بدمشق سنة ثمان وخمسين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

محمد البرزنجي:

٦٢٧ ـ محمد البرزنجي بن عبد الرسول بن عبد السيد بن عبد الرسول بن قلندر بن عبد السيد، المتّصل النسب بسيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، الشافعي، البرزنجي الأصل والمولد، المحقق المدقق النحرير الأوحد الهمام: ولد بشهرزور ليلة الجمعة ثاني عشر ربيع الأوّل سنة أربعين وألف ونشأ بها، وقرأ القرآن وجوّده على والده وبه تخرّج في بقية العلوم، وقرأ في بلاده على جماعة، منهم الملا محمد شريف الكوراني، ولازم خاتمة المحققين إبراهيم بن حسن الكوراني وانتفع بصحبته، وسلك طريق القوم على يد الصفي أحمد القشاشي، ودخل همذان وبغداد ودمشق وقسطنطينية ومصر وأخذ عمن بها من العلماء، فأخذ بماردين عن أحمد السلاحي، وبحلب عن أبي الوفاء العرضي، ومحمد الكواكبي، وبدمشق عن عبد الباقي الحنبلي، وعبد القادر الصفوري، وببغداد عن الشيخ مدلج، وبمصر عن محمد البابلي، وعلي الشبراملسي، وسلطان المزاحي، ومحمد العناني، وأحمد العجمي، وبالحرمين عن الوافدين إليهما، كالشيخ إسحق بن جعمان الزبيدي، وعلي الربيع، وعلي العقيبي التغري، وعيسى الجعفري، وعبد الملك السجلماسي وغيرهم، ثم توطّن المدينة الشريفة، وتصدّر للتدريس، وصار من سراة رؤسائها، وألّف تصانيف عجيبة،

منها أنهار السلسبيل في شرح تفسير البيضاوي، و «الإشاعة في أشراط الساعة»، و «النواقض للروافض»، وشرحاً على ألفية المصطلح، والعافية شرح الشافية لم يكمل، وخالص التلخيص مختصر تلخيص المفتاح، و «مرقاة الصعود في تفسير أوائل العقود»، و «الضاوي على صبح فاتحة البيضاوي»، ورسالة في الجهر بالبسملة في الصلاة، وكانت له قوّة اقتدار على الأجوبة عن المسائل المشكلة في أسرع وقت، وأعذب لفظ وأسهله وأوجزه وأكمله، وبالجملة فقد كان من أفراد العالم علماً وعملاً، وكانت وفاته في غرّة محرم سنة ثلاث ومائة وألف ودفن بالمدينة رحمه الله تعالى.

محمد السندي:

٦٢٨ ـ محمد السندي بن عبد الهادي، السندي الأصل والمولد، الحنفي نزيل المدينة المنوّرة، الشيخ الإمام العالم العامل العلامة المحقق المدقق النحرير الفهامة أبو الحسن نور الدين: ولد بتتّه قرية من بلاد السند ونشأ بها، ثم ارتحل إلى تستر وأخذ بها عن جملة من الشيوخ، ثم رحل إلى المدينة المنوّرة وتوطنها، وأخذ بها عن جملة من الشيوخ، كالسيد محمد البرزنجي، والملا إبراهيم الكوراني وغيرهما، ودرس بالحرم الشريف النبوي، واشتهر بالفضل والذكاء والصلاح، وألّف مؤلفات نافعة، منها الحواشي الستة على الكتب الستة، إلاّ أن حاشيته على الترمذي ما تمت، وحاشية نفيسة على مسند الإمام أحمد، وحاشية على فتح القدير وصل بها إلى باب النكاح، وحاشية على البيضاوي، وحاشية على الزهراوين للملاّ علي القاري، وحاشية على حاشية شرح جمع الجوامع الأصولي لابن قاسم المسمّاة بالآيات البينات، وشرح على الأذكار للنووي، وغير ذلك من المؤلفات التي سارت بها الركبان، وكان شيخاً جليلاً ماهراً محققاً بالحديث والتفسير والفقه والأصول والمعاني والمنطق والعربية وغيرها، أخذ عنه جملة من الشيوخ، منهم الشيخ محمد حياة السندي المتقدم ذكره، وغيره، وكان عالماً عاملاً ورعاً زاهداً، وكانت وفاته بالمدينة المنورة ثاني عشري شوّال سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف، وكان له مشهد عظيم حضرة الجمّ الغفير من الناس حتى النساء، وغلّقت الدكاكين، وحمل الولاة نعشه إلى المسجد الشريف النبوي، وصُلّي عليه به، ودفن بالبقيع وكثر البكاء والأسف عليه رحمه الله تعالى.

محمد الشرواني:

٦٢٩ ـ محمد الشرواني بن علي بن إبراهيم الزهري الشرواني المدني الحنفي الفقيه الفاضل العالم الكامل: ولد بالمدينة سنة اثنتي عشرة ومائة وألف ونشأ بها، وطلب العلم فتفقّه على عمّه العلامة القاضي يوسف الشرواني، وأخذ الحديث عن الجمال عبدالله بن سالم البصري، والشيخ محمد أبي الطاهر بن إبراهيم الكوراني، والشيخ أبي الطيب السندي، والشيخ محمد بن الطيب المغربي الفاسي، وأخذ الطريقة الناصرية عن سيدي الشيخ يوسف بن محمد بن محمد بن ناصر، وهو أخذها عن صاحبها عمه القطب الجامع

بين الشريعة والحقيقة سيدي أحمد بن محمد بن ناصر قدس الله سره، وكان فقيهاً متقناً كأنّ المسائل الفقهية نصب عينيه، وكان في غاية الصلاح، يتلو الكتاب العزيز آناء الليل وأطراف النهار، عرض عليه المرحوم الشريف مسعود شريف مكة لما كان مجاوراً بها سنة إحدى وخمسين ومائة وألف أنْ يعرض له لطرف الدولة في منصب إفتاء المدينة المنوّرة فلم يقبل ذلك، وكان معرضاً عن دنياه، مقبلاً بكليته على الله، لا يمدّ منه للرياسة باع، ولا تمتدّ منه إليها الأطماع، ولم يزل على طريقته المثْلى إلى أن توفي بالمدينة المنوّرة في عشري شوال سنة تسع وسبعين ومائة وألف بتقديم تاء تسع وسين سبعين، ودفن في قبر والدته خلف قبة سيدنا إبراهيم ابن سيدنا رسول الله ﷺ.

محمد الكاملي:

٦٣٠ ـ محمد الكاملي بن علي بن محمد، المعروف بالكاملي الشافعي الدمشقي تقدم ذكر ولده عبد السلام: وكان هذا إماماً عالماً حبراً فقيهاً واعظاً بركة الشام علامةً رحلة محققاً وسيماً منوّراً، عليه أبهة العلم ورونقه، وكان خَلْقُهُ سويّاً، وخُلُقُه رضيّاً، وشكْلُه بهيّاً، بشوشاً متودّداً متواضعاً، ودروسه من محاسن الدروس، يجري فيها بعبارة فصيحة مشتملة على الفوائد العلمية البديعة، بحيث تعجب الخاصة والعامة، واشتهر فضله وتقواه وعظم قدره، وأخذ عنه الجمّ الغفير والكثير من الأطراف والبلاد، ولد بدمشق في جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وألف، واشتغل بالعلوم الشرعية وآلاتها على والده الفقيه العالم الصالح الشيخ علي المتوفى في سنة تسع وتسعين وألف، وعلى الشيخ محمد البطنيني، والشيخ أحمد الداراني، والشيخ محمد سعدي الغزي، والشيخ منصور المحلي، والشيخ علي القبردي الصالحي، وبرع في الفنون ورأس وتقدم، وكان عجباً في استحضار الفقه والحديث والتفسير، وأجاز له بالمكاتبة من علماء مصر، الشيخ نور الدين علي الشبراملسي، والشيخ سطان المزاحي، والشيخ إبراهيم الشبراخي، والشيخ محمد البابلي، والشيخ عبد الباقي الزرقاني، وأجاز له الشيخ خير الدين الرملي، وأجاز له لمّا حج الشيخ عبد العزيز الزمزمي المكي، والشيخ أحمد القشاشي، والأستاذ الشيخ إبراهيم بن حسن الكوراني نزيل المدينة المنوّرة، وحضر بدمشق دروس المحدث النجم العزي، ولازمه، وكذلك لازم الشيخ عبد القادر الصفوري وغيرهم، وكان يدرّس عند باب الصنجق تجاه المقصورة في كل يوم بعد صلاة العصر في شرح المنهج لشيخ الإسلام زكريا، ويحضره جمّ غفير من فضلاء الشافعية، وكان في شهري رجب وشعبان يدرّس في جامع سيباي بمحلة باب الجابية في صحيح البخاري، وللناس إقبال عظيم على درسه ووعظه، لحسن منطقه، ولم يزل على هذه الحالة إلى أنْ مات، وكانت وفاته في ليلة الأربعاء خامس ذي القعدة سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف، ودفن في جمع حافل عظيم بتربتهم في الباب الصغير رحمه الله تعالى.

محمد بن شيخان:

٦٣١ ـ محمد بن شيخان بن عمر بن سالم بن أحمد بن شيخان بن علي بن أبي بكر بن

عبد الرحمن بن عبدالله عبود بن علي بن محمد مولى الدويلة بن علي بن علوي ابن الفقيه المقدم: عُرِف جدُّ جدِّه بشيخان باعلوي الحسني، ذكره شيخنا السيد العلامة محمد بن أبي بكر الشلي في «المشرع الروي في أشراف بني علوي» فقال: فريد هذا الزمان، ومن ألقت إليه الأقران، مقاليد السلم والأمان، الجامع بين الرواية والدراية، والرافع لخميس المكارم أعظم راية، حوى الفضائل والفواضل والنهي، وحاز الدين والحسن والتقى، وأتقن في كل الفنون، وافتخر به الآباء والبنون، ولد بأمّ القرى ثاني عشر محرم سنة إحدى وخمسين وألف ونشأ بها، والفلاح يشرق من محياه، وطيب أنفاسه يفوح من رياه، وحفظ بعض الإرشاد ومتن المنهج والألفية، وغير ذلك من المتون، وأخذ عن الشهاب أحمد بن عبدالله بن عبد الرؤوف المكي عدة علوم، ولازم العلامة علي بن الجمال، والوجيه السيد محمد الشلي، وأجاز له المسند محمد بن سليمان المغربي بمروياته، وأخذ عنه عدة علوم، وبرع وفضل ودرَّس بالمسجد الحرام، وصار أحد أعيان فضلاء مكة وأعاظم كبرائها، وله مع ذلك في الأدب طول باع، وفي العربية سعة اطلاع، وكرم نفس وحسن طباع، مع ما منحه الله من أدب أزهى من الأزهار، وخلق حسن ألطف من نسيم الأسحار، ومنطق ألذّ من تغريد الطيور على صفحات الأنوار، وتمسّك بالسبب الأقوى من التقوى، واجتهاد في الأعمال الصالحة لا تطيق أترابه حمله ولا تقوى، وإليه المفزع في كل حادثة عجماء، وداهية دهياء، إلى كرم لا يقاس بحاتم، وصدع بالحق لا يخاف بطشه ظالم، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم، انتهى كلام الشلي في المشرع الروي في أشراف بني علوي.

وأخذ عن صاحب الترجمة الوجيه عبد الرحمن الذهبي الدمشقي نزيل مكة، وترجمه في رحلته فقال: كان رحمه الله تعالى أجل خدن لي، أتمتع في رياض فضائله بمقيل ظله الوريف، وأتضوّع من عبير عرفه اللّطيف، وصحبته مدة تزيد على أربعين سنة حضراً وسفراً لا أفارقه ولا يفارقني في غالب الأوقات، ولم أرَ منه إلاّ خيراً وإحساناً وأفضالاً وامتناناً، حتى توفي في الثلث الأخير من ليلة الجمعة ثامن شهر ربيع الثاني سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف، وصَلّي عليه ضحى يومها بالمسجد الحرام إماماً بالناس الشيخ أحمد النخلي في مشهد حافل، وكنتُ ولله الحمد من المباشرين لغسله وتكفينه ودفنه، نفعني الله به وجمعني به في مستقر رحمته مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، والحمد لله رب العالمين، رحمه الله رحمة واسعة ورحم من مات من أموات المسلمين أجمعين آمين.

محمد العمري الدمشقي:

٦٣٢ ـ محمد العمري الدمشقي بن علي بن مسلم بن محمد العمري، المعروف بابن محمد الهادي، الشافعي الدمشقي، الشيخ العابد الزاهد الواصل المربي الصالح الصوفي القادري الخلاصة المعتقد: كان من المشايخ المعتقدين سالكاً مناهج السادة الصوفية، ولد

قبل المائة بقليل تقريباً، وحفظ القرآن وهو دون البلوغ واجتهد في تلاوته، وداوم على العبادة والأذكار مدة أوقاته لا يشغله عن ذلك شيء، وكان سخيّاً يقري الضيف مع شدة فقره، واعتقده في زمانه عامة الناس، ومن خصائصه كما أخبرت أنّه ما وضع يده على مريض إلاّ وعوفي بإذن الله تعالى، وكان تهابه الأكابر والأصاغر، ولا يخشى في الله لومة لائم، ومن مناقبه أنّ امرأة من النّصارى لمّا رأتُ جنازته حين موته أقرّت بالشهادة، وأخبرت أيضاً أنّه حين دفنه قال رجل للحفّار ألق عند تنزيله في القبر، فقال الشيخ: توكلت على الله، وله مناقب كثيرة، وكان مسكنه في محلة باب توما مقتصراً على حاله، وكانت وفاته ليلة الأحد الرابع والعشرين من صفر سنة ثلاث وستين ومائة وألف، ودفن بتربتهم في مرج الدحداح مع الشيخ أرسلان رضي الله عنهما.

محمد مفتي حلب:

٦٣٣ ـ محمد مفتي حلب ابن علي، المشهور بحلبي المفتي، الحنفي الأنطاكي نزيل حلب العالم الفاضل العفيف الصالح المتعبد النظيف الزاهد: ولد بأنطاكية ونشأ بها، وكان والده مفتياً بها فمات، وتولّى الإفتاء بعده بها، ثم عزل من الإفتاء وهاجر إلى حلب، وصاهر بني الكواكبي وتزوّج، وحجّ مراراً وجاور بيت الله الحرام، وأخذ عن علماء الحرمين، وله خيرات في بلده، منها عمارة الجامع الذي لم يسبق إليه بمثيل في الشكل والزينة، وكلّه من كسبه الحلال، وكانت وفاته بحلب في سنة اثنتين وسبعين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

محمد العمري الموصلي:

٦٣٤ ـ محمد العمري الموصلي بن علي العمري الموصلي الحنفي: ترجمه قريبه محمد أمين العمري، فقال: أحدُ الأعيان والأكابر والسادات الأماجد، همّته فوق النجوم، كان في الفضل والرياسة، والتقدم والسياسة، بمكان عال نشأ في أيام إقبال الدنيا عليهم، فربي بالدلال والنعمة، وهابته الأبصار لما له من حشمة، وكان له مهارة ورياسة في تدبير الأمور، ورأي حاذق في الأشياء، تولّى قضاء الموصل في أيام أبيه، وله من الخدم والأتباع والحشم والجند العظيم، وإحسانه إلى العلماء والأفاضل مشهور لا ينكر، ومعروف لا يحتاج أن يذكر، ومدحه الشعراء بالقصائد البديعة، فمن مدحه الشيخ قاسم الرامي الأديب بقوله:

فـي ورد خـدّيـك وآس العـذار ... قد طاب لي يا حِبُّ خلع العذارْ
وكـان لـي قلـب وقـد ضـاع إذْ ... ضـاع شـذا خـالـك فـي الجلنـار
يـا مخجـل البـان بقـدّ لقـد ... بـان اصطبـاري فيـك والـوجـد ثـار
وقـد جـرى دمعـي ممـا جـرى ... علـيّ فـي حبّـك والعقـل حـار
يـا مفـرداً جـامـع شمـل البهـا ... الشعـر ليـل والمحيـا نهـار

والجفـــن مكحـــول روى أننـــي قتلــت فيــه فــالحــذار الحــذار
واللّحـظ والحـاجـب ثـم اللّمـى نبــل وقـــوس وشـــراب عقــار

ومنها:

والخـــالُ فــوق الخـدّ قــد عمــه حسن إذا شاهـده البدر قد غـاز

ومنها:

فـــأي بـــال غيـــر بـــال بـــه واللّحـظ فتّـاك حكـى ذا الفقـاز
أفـــديـــه ذا جيـــد وذا الفتـــة قـد صيّـر الغـزلان تـأوي القفـار
قلــت حبيبـي كـفّ كـفّ النّـوى عني فمـا لـي فـي هـواك اصطبار

ومنها:

ولـم أجـد لـي مـن مـلاذ سـوى محمّـــد بهجـــة أوج الفخـــاز
المـاجـدُ المنجـد سـامـي الـذرى حامي الورى ممن لجا واستجار
مـــولاي كنـــز العلـــم كشّـــافـــه حـاوي الفتـوحـات سمـيّ المنـار
لا عيـب فيـه غيـر بـذل النّـدى فيـــا أخـــا الفقـــر إليـــه البـــدار
فـي الجـود مـا معـن ومـا حـاتـم والبـأس مـا عنتـر مـا ذو الخمـار
تكـــاملـــت أوصـــاف أخـــلاقـــه فـــذكـــره فـــاح وفـــاق العـــرار
لا زال ممـــدود الأيـــادي وفـــي الـ ـيميـــن يمـــن واليســـار اليســـار

وبالجملة فقد كان المترجم من أفراد الدهر علماً وفضلاً وعفة، وقرأ على الشيخ إسماعيل الموصلي الشهير بابن أبي جحش، وعلى غيره من العلماء، وكانت وفاته بالموصل سنة خمس وأربعين ومائة وألف في حياة أبيه، وله من العمر ثلاث وثلاثون سنة، فقرحت عليه الجفون وجرت لفقده العيون، ودفن في جامعهم المعروف بالموصل رحمه الله تعالى.

محمد بن كوجك علي:

٦٣٥ ـ محمد بن كوجّك علي الحلبي صدر أعيان حلب ورؤسائها: كان أحد القبوجي باشيه بالباب السلطاني، بارعاً ناظماً ناثراً جبلته ذلك بالألسن الثلاثة العربي والفارسي والتركي، ولد في رمضان سنة ثلاث عشرة ومائة وألف، وأخذ عن عثمان أفندي الشا بياض وغيره، وكان له صلاح واشتغال بالعبادة، ومن شعره العربي قوله:

شـــادن يسلـــب العقـــول بطـــرف وبخـــدّ كـــروضـــة الأزهـــارِ
كـم كسـا السمـع مـن أغـان وعـود نغمـــات الإقـــرار فـــي الإنكـــار

وكان له معرفة تامة بالموسيقى وله ألحان بها، وكانت وفاته سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف.

محمد الجمالي:

٦٣٦ ـ محمد الجمالي بن علي بن مصطفى، المعروف بالجمالي، الحنفي الحلبي العالم الأديب ناظم عقود اللآلىء: ولد في حلب سنة ثمان ومائة وألف ونشأ بها، وأخذ العلم عن علمائها، كالشيخ سليمان النحوي، والشيخ حسب الله، وأخذ الفقه أيضاً عن الشيخ السيد محمد الطرابلسي نزيل حلب، ومن مشايخه السيد يوسف الحسيني الدمشقي مفتي حلب، وخدمه في كتابة الفتوى حين تقلدها، وأتقن وأجاد، ومنه استفاد، وكان له قدم راسخ في النظم والإنشاء، وحصل له الملكة التامة في الفقه، وكان دمْثَ الأخلاق، يلاطف الناس، له الإنشاء البليغ، والنظم البديع، الفائق الزاهي، ومن شعره قوله في عقد حليته عليه الصلاة والسلام:

حبّذا طيب طيبة الفيحاء ... مهبط الوحي مستقر الرضاءِ
بلدة أينعت خمائل نور ... ثم أضحت مخضلّة الأرجاءِ
شرفت بالنبيّ طه التهامي ... أكرم الخلق أشرف الأنبياء
كمّل الله خلقه وحباه ... حلية تُوّجت بكل بهاء
كان فخماً مفخماً يتلألأ ... وجهه بالضيا كبدر السماء
ضخم الرأس والكراديس ذا مسـ ... ـربة وهي آية النجباء
أزهر اللّون أدعج العين أقنى ... الأنف رحب الجبين ذي اللألاء
أشنب الثغر أفرق السنّ وضّا ... ح المحيا ذا لحية كثّاء
أهدبَ الجفن بارع الحسن عذب النـ ... ـطق يمّ التقى كثير الحياء
ظاهر البشر كان يفترّ عن أمـ ... ـثال حب الغمام باهي السناء
عنقه جيد دمية في صفاء ... ونقاء كالفضة البيضاء
ربعة بين منكبيه بعيد ... واسع الصدر كامل الأعضاء
بادنا أشعر الذراع طويل الـ ... ـباع شثن الكفين بحر السخاء
قوله الفصل لا فضول ولا تقـ ... ـصير طلق اللّسان عذب الأداء
محرزاً من جوامع الكلم الغـ ... ـرّ فنون البلاغة الغراء
وإذا ما مشى تكفا كأن عن ... صبب انحطاطه أو علاء
جملة التفاته والهوينا ... مشيه إنْ مشى ذريع الخطاء
خافض الطرف دائم الفكر جمّ الشـ ... ـكر والذكر صادق الأنباء
أجود الناس أصدق الناس أسمـ ... ـى الناس قدراً من خُصّ بالعلياء
بين كتفيه مثل بيض حمام ... خاتم وهو خاتم الأنبياء
يا ملاذي يا منجدي يا منائي ... يا معاذي يا مقصدي يا رجائي
يا نصيري يا عمدتي يا مجيري ... يا خفيري يا عدّتي يا شفائي
أدرك أدرك أغث أغث يا شفيعي ... عند ربي واعطف وجد بالرضاءِ

ومن نظمه قوله ممتدحاً بها صاحب الرسالة ﷺ:

بعلياك يا شمسَ النبيّينَ والرّسل   غدت سائر الأملاك والرسل تستعلي

ملكتَ زمام المجد ختماً ومبدأ   وحزتَ مقام الحمد في موقف الفضلِ

وتُوِّجْت تاج العلم والزهد والتقى   وصدق الوفا والنّصح والبر والعدل

وبالغت في الإبلاغ حتّى لقد غدا   بصدقك صدع الدين ملتئم الشمل

وكم لك حقّاً معجزات خوارق   أضاءت لنا كالشمس في أفقها المجلي

وُلدِت كريماً من كرام منقلا   بأطهر أصلاب مصاناً عن الدّخل

وضعت مجيداً رافع الرأس حامداً   لربك مختوناً وسربلت بالفضل

فأنعم بميلاد النبيِّ الذي به   لنا شرف سامي الذرى وارف الظلِّ

نبيٌّ كريم منذر ومبشر   رؤوف رحيم معجز القول والفعلِ

نبيٌّ به كل النبيين بشّرتُ   وأخبرت الأحْبَار عن خاتم الرّسُل

نبيٌّ رأى في العرش آدم اسمه   فناجى به فازدان بالفصح والفضل

نبيٌّ عليه قد أظلت غمامة   وقد صين منه الظل عن موطىء الرجل

نبيٌّ رقى السبع الطّباق وقد دنا   إلى أنْ غدا كالقاب للقوس في الوصل

نبيٌّ بكفيّه لقد سبّح الحصى   كذلك تسبيح الطعام لدى الأكل

وله هذه القصيدة النبوية:

مُذْ شمت أطلالاً لسلمى   درست فدمعي فاض سجما

دمن سقتها بعد سا   كنها صروف البين سما

واغتالها الخطب المبيـ   ـد فلم يدع إذْ ذاك رسما

وتصوّحت أغصان دو   حتها التي للخُلْد تنمى

يا حبّذا تلك الطلو   ل فكم بها حظّي استتما

ولكم جنيت بها المنى   غضا وكم فرجت همّا

ولَكَمْ مجرّة دوحها   قد اطلعت للأنس نجما

زمن تقضي في ربا   ها خلته وأبيك حلما

مع كل فتّان حلا   ثغراً رحيق الظلم ألمى

من ذاق يوماً ظِلمه   حاشاه طول الدهر يظما

منها:

يا صاح دعْ وصف الحِسَا   نِ وعدّ عن أطلال سلمى

وأجل الكروب بمدح طـ   ـه المصطفى لتنال غنما

السيّدُ الأميُّ مَنْ   عمَّ الملا فضلاً وعلما

تـــاج الكـــرام المـــرسليـ ـــن وقـــدره أسنـــى وأسمـــى
وســـع البـــريّـــة رحمـــة ونـــدى وإحســـانـــاً وحلمـــا
والبـــــدر شـــقّ لـــــه وأر وى الجيـش مـن كفيـه بـالمـا
ودعـــا بـــأشجـــار الفـــلا فـأتـت تشـق الأرض دحمـا

وله مخمّساً أبيات الحاجري بقوله:

غريمي غرامي فيك يا من إذا بدا جمـال محيـاه أبـان لنـا الهُـدَى
ترفّق فقد أشمت في حبّك العدا أيا حرم الحسن البديع الذي غدا
ومـــن حـــولـــه عشّـــاقـــه تتخطـــفُ
إلى كم أقاسي في الهوى لوعة النّوى وقـد جدّ بي وجدي وصبري قـد ثـوى
فيـا مَنْ بـلام الخـدّ للحسـن قـد حـوى عسى عطفة من واو صدغك في الهوى
أعيـش بهـا والـواو مـا زال تعطـفُ
لئن غبتُ عن عيني وشطت معاهد فإنّي على الأشجان فيك مكابدُ
وحوشيت عما قال عنيّ حاسد فـإنّ غـرامـي بعـد بعـدك زائـدُ
وحقّـك عمـا كنـت تـدري وتعـرفُ

وله مقتبساً:

معشـــــر العـــــذال أنّـــــي لـــي بســـر الحـــبّ علـــمُ
لا تظنـــــوا بـــــي سَلُـــــوا إنّ بعـــض الظـــن إثـــمُ

وله عاقداً:

الـــراحمـــون لقـــد أتـــى يـــرحمهـــم ربُّ العـــلا الـــرحمـــن نصـــاً مُحْكَمـــا
يـا أيّهـا النـاس ارحمـوا مـن قـد غـدا في الأرض يَرْحَمُكُمْ غداً مَنْ في السما

وله عاقداً حديث حِسان الوجوه:

قـد تـوسمـت فيـك يـا قـرّة العيـ ـن نجـاحـاً ودفـع كـل كـريْـهِ
جـازمـاً حيـث قـال خيـر البـرايـا اطلبـوا الخير مـن حِسَان الـوجـوْهِ

وله تخميس بيتين من بين المصراعين:

مـا لـي إذا وضـع الكتـاب وسيلـة تجـدي إلـيّ ولا لـديّ فَضِيْلَـة
وعيـــون آمـــال النجـــاة كليلـــة منّـي فـلا أمـل ولا لـي حيلَـة
أنجـو بهـا مـن هـول يـوم المـوعـدِ
إلا اعتـرافـي بـالـذنـوب وإنّنـي ما زلتُ دهري للمعاصي أجتني
وركبـتُ متـن غـوايتـي فـأضلّنـي وأضَعْـتُ أوقـاتـي سـدى لكنّنـي
متمسّـــــك بلـــــواء آل محمـــــدِ

وله مضمناً:

يا ربُّ قد وافيتُ بابك ضارعا ... أرجو رضاك وأنت أمن اللائذِ
متوسّلاً بمحمد وبآله ... هذا مقام المستجير العائذِ

وله أيضاً:

أمُعَذِّبي من دعج نجلاويه قد ... قرطست أحشائي بسهم نافذِ
وقليتني حتى خفيت عن الخفا ... وسددت بالهجر المبيد منّافذي
فأتيت كعبة حسنك الزاهي بها ... متشبّثاً لما غدوت منّابذي
أرجو ختاناً منك يزلف للقا ... هذا مقام المستجير العائذ

وله في التلميح إلى المثل كقابض الماء باليد:

وخصرٌ يحاكي يا ابن ودّي نحوله ... لجسم معنى بالصبابة مكمدِ
إذا رمته ضمّاً يقول لطافة ... ألم ترني كالقابض الماء باليدِ

ومن غرامياته هذه القصيدة البديعة التي مطلعها:

أما والهوى أني بحسن التجلّدِ ... أروحُ بهجري كل وقت وأغتدي
أكابد تبريحاً من الصد والقلي ... وما لي براح عن غرام مسهدِ

وهي طويلة جداً، وله غير ذلك، وكانت وفاته سلخ رمضان سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف رحمه الله تعالى وإيانا.

محمد الحصري:

٦٣٧ ـ **محمد الحصري ابن السيد عمر ابن السيد أبي بكر، المعروف بالحصري، الدمشقي سبط البكري الحسيني**: كان من خلاصة الأدباء النبهاء، فاضلاً لوذعياً ماهراً، ترجمه الأمين المحبّي في نفحته، وقال في وصفه: نسيب، تناسب فيه المدح والنسيب، وحسيب، ما مثله في كرم الطباع حسيب، له همة سابغة المطارف، وسيادة موصولة التالد بالطارف، مروّق الأخلاق صافيها، مشمول الشمائل ضافيها، تكاد ترى وجهك في خصاله، ولا تغبن إذا شريت بنوم العيون يوم وصاله، وله أدب يطرد اطراد الغدير حفت به خضر الوشائع، وحديث كأنه جنى النحل ممزوج بماء الوقائع، وبيني وبينه ودّ صميم، طيب العرف والشميم، استدعى الأمل الأيام للقياه، ولو في الأحلام، وقد وقفت له على شعر قليل، فأثبت منه ما هو لرأس المجد إكليل، انتهى مقاله.

وقد اطلعت أنا على ديوانه، ومتعت طرفي في عقود منظومه التي نظمها صائغ يراعه وبنانه، فمن ذلك قوله من قصيدة مطلعها:

أتى وظلام اللّيل ولّى مبدّدا ... فراح ولم يشف الغليل من الصّدى

وولّـى ومـا حققتـه دهشـة بـه ... فمن لي بذاك الطيف لو عاد أحمدا
أعيد أرقادي يا خليليّ كي أرى ... خيال حبيب بالجمال تفرّدا
بهيّ جمال بالمحاسن فاتن ... إذا ما بدا كالظبي أحورَ أغيدا
يفوق ضياء الصّبح واضح فرقه ... وكاللّيل إن أرخى من الشعر أجعدا
هو الشمس لكنْ إنْ رأت نور وجهه ... بدور السمّا خرّت على الأرض سُجَّدا
من الترك مياد القوام مهفهف ... يفوق غصون البان ليناً إذا بدا
يهزّ عليّ الرمح وهو أخو الرشا ... ويبرز من لحظيه سيفاً مجرّدا
غزال غزا قلبي بماضي لحاظه ... فصرتُ بإشراك الجفون مقيّدا
جفاني بلا ذنب ملحاً بهجره ... فأضحى اصطباري في هواه مشرّدا
وأصبح قلبي بالصبابة هائماً ... وأمسى بفيض الدّمع جفني مسهّدا
فهل باخِلٌ بالوصل يسمح باللّقا ... لصبٍّ بسكر الشوق ضلَّ عن الهدى
لعمري إذا رمتَ الهدى بعد حيرة ... فمَدْحُكَ مولى في البرية أوحدا
هو المنهل العذب الذي فاض فيضه ... وقد ملأ الآفاق مجداً وسؤددا
عليّ المفدّى كامل الفضل والحجا ... وحيد العلا بالمكرّمات تعوّدا

وله أيضاً:

حاز الجمال بطلعة وسناء ... وسبى الأنام بمقلة وسناء
قمر يميس من الدّلال تصلفا ... كتمايل النشوان بالصهباء
إنْ لاح قلنا يا شموس تبرقعي ... خجلاً كما بدر السما بحياء
وإذا تبسّم ضاء نور ثاقب ... لمن اهتدى كالبرق في الظلماء
جمع المحاسن خدّه وبثغره ... كنز يضيء بجوهر لألاء
زاهي الجمال مفتر الأجفان في ... سحر بدا أمر على الأمراء
نطقت حروف الشكل أنّ لحاظها ... تركت ببابل أعظم الأهواء
في وجهه نورٌ وداخل مهجتي ... نارٌ يؤجّجها الهوى بحشائي
فكأنّما عيني التي قد أوجبت ... تأثيرها في الوجنة الحمراءِ
وجنت على قلبي بلمحة ناظر ... فقصاصها ترعى نجوم سماء
أكرم بجيد حشوه جود يرى ... والصدر بيت العلم والإنشاء
حاوي المكارم والمفاخر والعلا ... بحر طمي قدوة الفضلاء
الموردُ العذب الذي من فيضه ... بحران بحرٌ نديٌّ وبحر سخاء
قاض يعمّ بعدله كلّ الورى ... وبحكمه ترك العدا بشقاء
عمّر المنازل عدله وكماله ... عمر المفدّى أفصح الفصحاء
نتج الزمان به وفاق بفضله ... وبجوده أربى على الأنواء
هو مرجع يزجي إليه وحقه ... هو مقصد الفضلاء والكرماء

وله أيضاً:

قلبي لصدّك صابر وحمول ... هيهات أنّي عن هواك أحول
يا مَنْ شغفتُ به فعذّب مهجتي ... رفقاً فجفني بالسّهاد كحيل
ما لي سوى روحي وإنْ ترضى بها ... يا حبّذاك وإنّ ذا لقليل
عيناك قد رَمَتَا بقلبي أسْهُما ... فلذا جُفُوني بالدّماء تسيل
يا قاتلي ظلماً بلين قوامه ... عوفيت إنْ يك عن دمي مسؤول
أنْت الطبيبُ لمن به حلّ الشقا ... وشفاء قلبي ريقك المعسول
قد كنتَ تأتي كل يوم زائراً ... واليوم حتى بالسلام بخيل
قل لي فما ذنبي وما ذاك الذي ... قد كان منّي فالمحبّ حمول
أو أنْ أكن أخطأت جهلاً إنّني ... أنا تائب والعفو منك جميل
بالله يا ريح الصّبا فاحمل له ... منّي الرسالة والحديث طويل
وأخبره أنّ الروح من هجرانه ... ذابتْ عليه ووصله المأمول
سقياً لأيام الوصال فإنّها ... رقت كما رقت صبا وقبول
قد كان لي فيها رقيبي شافعاً ... وكذا العذول إلى الحبيب رسول
طابت كما قد طاب مدح الماجد الـ ... ـمولى الممجّد من نداه سجيل

وقال:

أدرِ المدامة يا مليكَ الأنفس ... ممزوجة في ثغرك المتلعس
صهباء تجلى في الكؤوس كأنّها ... خود بدت في أحمر من أطلس
راح حكت في اللّون خدّ مديرها ... بصفائها وشعاعها في الأكؤوس
بكر إذا باكرتها لك أولدت ... سر السرور مع النديم الأكيس
في روضة تزهو بحسن أزاهر ... من سوسن وقرنفل مع نرجس
والورد باد في الغصون كأنه ... سلطان حسن جالس في مغرس
والطيرُ والشادي على صوتيهما ... قم يا نديم أدر كؤوس المجلس
ساق كأنّ الله أودع حسنه ... وجماله سرّ الجمال الأقدس
يسبي الغزالة في السماء وفي الفلا ... بجماله وبطرفه المتنّعس
وإذا مشى يختال من صلف به ... أزرى ببانات الغصون الميس
وإذا رنا تيهاً بطرف فاتر ... قالت أسود الغيل هذا مقوسي
رشقت لواحظه بقلبي أسهما ... أبينها بحواجب هي كالقسّي
بدر إذا ما ماس في داج تخل ... شمس الظهيرة أشرقت فيّ الحندس
يفترّ عن درّ فتحسب في الحمى ... برقاً تألّق في نهار مشمس
رشأ حوى رتب الجمال كما حوى ... رتب الكمال وكل فضل أقعس

بحر الندى نجم الهدى من قد سما عمـر المفـدّى بـالـدنـا والأنفـس
مـولًـى كسـاه الله جـل جـلالـه ثوب المهابة وهي أشرف ملبس

وقال أيضاً:

قلـب إلـى لقيـا الأحبّـة شيِّـقُ ومـدامـع طـول المـدى تتـرقـرقُ
ونـواظـر تـرعـى النجـوم فليتهـا تغفـو عسـى منهـم خيـال يطـرق
وإذا سمعت بذكرهم بين الورى فيصيـر قلبـي مـن جـواه يخفـق
فأموت من وجدي وأذكر ما مضى وأذوبُ من حرقي ونفسي تزهق
ولقـد بكيـت على التلاقي سـاعـة حتـى لكـدتُ بمـاء جفنـي أشـرق
ويمهجتـي رشـا يميـس رشـاقـة كـل الغصـون إذا تبـدّى تطـرق
جذلان ساجي الطرف مهضوم الحشا حلـو الشمـائـل طـرفـه متملّـق
فـالبـدر مـن لألاء طلعتـه بـدا وجبينـه منـه الغـزالـة تشـرق
إنْ لاح طـرفـي شـاخـص لجمـالـه أوصـال قلبـي مـن سطـاه ممـزّق
ما ضرّ لو منع التجافي والقلى وبـوصلـه قـد جـاد وهـو الأليـق
وعلام يمطل بالوصال أما يرى قلبـي لـه متشـوّف متشـوّق
فـإليـك عنـيّ يـا عـذول فـإنّنـي مـن جـور أحكـام الهـوى لا أفـرق
أوَ مـا تـرى الـروض البهـيّ كـأنّـه نشـر علـى وجـه الـريـاض ورونـق
والشهـب تـزهـو بـالضيـاء لأنّـه قـد لاح نجـم محمّـد يتـألـق
الفـاضـل الحبـر الهمـام ومـن لـه فضـل علـى أهـل الفضـائـل يفـرق

وله من قصيدة:

خيـال أتـى والليـل راع ظـلامـه فشـرّد عـن جفـن المعنـى مَنَـامُـهْ
وراح وألقى في الحشا لاعج الهوى مقيـم بقلبـي حـرّه وضَـرَامُـهْ
وما حقّقته العين من فرط دهشتي بـذاك المحيـا وهـو راخٍ لثـامـه
وقد قرحت بالسهد أجفان ناظري ودمعي على الخدّين طالَ انسجامه
فأصبحُ غمّاً أشتكي لوعة الجفا وأمسي سروراً علَّ نحوي لمامه
إذا لاح برق في دجى الليل ساطع تـوهّـم طـرفـي أنّ ذاك ابتسـامـه
غـزالٌ رخيـم الـدل رخـص بنـانـه له في الحشا مرعى وقلبي مقامه
يعير شموس الأفق من نوره كما يعيـر غصـون البـان لينـاً قـوامـه
ويخجـل بـدر التـمّ حسنـاً وطلعـة ومـا البـدر إلاّ عبْـدَهُ وغـلامـه
إذا مـا نضـا عنـه القنـاع مخـاطبـا تقشّـع عـن بـدر الـديـاجـي غمـامـه
يجـرّد مـن سـود اللّـواحـظ أبيضـا ليجـرح قلبـي لحظـه وحسـامـه
لـه طـرّة تبـدي الـدّجـى وجبينـه يـزيـح عـن الليـل البهيـم قتـامـه

وقامته كالرّمح والسيف ناظر وحاجبه قوس رماني سهامه
بدير علينا راح ثغر قد انجلت بكأس عقيق قد حَلاَ لي مدامه
وقد لامني الواشي على فرط حبّه وأصعب شيء كان عندي ملامه
يروم سلوّي عن هواه وكيف لي وبين ضلوعي وجده وغرامه
لئن عزّ صبري عن لقاه فمخلصي بمدح الذي عمّ البرايا اهتمامه

وله من أخرى:

قسماً بأنّي عهده لا أفسخ ولو أنّه بالهجر وصلي ينسخُ
بأبي وبي أفديه ظبي أغيد في حسنه بدر السماء له أخ
ريّان من ماء الشباب وخدّه من مسك عارضه الأريج مضمّخ
إنْ ماس أزرى بالعوالي قدّه وعلى غصون البان منها يجفخ
فكأنّ طرّته ونور جبينه ليل دجوجي منه صبح يسلخ
يرنو بألحاظ نوافث سحرها شهرت مواضي للعزائم تنسخ
علقت به روحي فعذّب مهجتي بصدوده وعن التواصل يزمخ
ولقد كتمتُ هواه بين جوانحي إذ لم أجد لي للتّلاقي مصرخ
يا للأخلا قد تزايد بعده عني وفي هجري تراه يرضخ
وأحلّ قتلة عاشقيه أما ترى خدّاله بدم القلوب يضمخ
كيف التخلّص من هواه وقد غدا للحبِّ في جنب المتيّم مرسخ
إنْ لامني في حبّه الواشي فلي سمع عن التعنيف فيه أصلخ
لم يدرِ أني في هواه مخلص بمديح من في مجده يستبذخ
الماجدُ الشهم الذي بفضائل أضحت له الأعداء دوماً تدنخ
هو نجل إسماعيل من فاق الأولى بمكارم مثل السحائب تنضخ

وله من قصيدة:

صبّ بالهجر تهدّده قد ذاب جوى مَنْ يسعَدُهْ
والسقمُ براه وأنحله فلذا ملته عوّده
سهران الطرف له رقت في الليل نجوم تشهده
وغدا يشدو من فرط جوى يا ليل الصبِّ متى غده
يهواه الصب فيشغله أسف للبين يردّده
قمر في القلب منازله فعجيب عنه تباعده
ريحان العارض فيه حوى خطا ياقوت مجوّده
في الحسن فريد بل ملك فتعالى الخالق موجده
طفل لحديث السحر روى عن بابل طرف يسنده

رشـأ الليـث بمقلتـه يسطـو للغـاب يقيـده
يـرنـو بـاللّحـظ فيسحبـه للقتـل دعـاه مهنـده
بـالله أعيـذك يـا أملـي مـن قتـل شـج تتعمـده
وارفـق بـالقلـب فـإنّ بـه جمـراً قـد زاد تـوقّـده
واسمـح بـالغمـض لعـلّ بـان فـي النـوم خيـالـك يسعـده
فـي قيـدك قـد أمسـى دنفـا وأنـا فـي ذاك مخلـده
لـم ألـق خـلاصـاً منـه سـوى مـن سـام ذراه ومحتـده

وله كذلك:

أذي لآلٍ أم عقـود الجمـان أم أنجـم الجـوزاء أمْ بهـرمـانْ
أمْ ذا هـلال الأفـق بـادي السنـي أمْ بـدرتـم قـد تـراءى عيّـان
أمْ بـابـل أهـدت لنـا سحـرهـا فـالعقـل منـي حـائـر والجنـان
أمْ روض نـوّار بنـا نشـره فعطّـر الأكـوان أمْ عـرف بـان
عـاينـت فيـه الـورد مـع نـرجـس فقلـت مـا أحسـن هـذا القـران
مـن حسنـه قـد حـار عقلـي ومـن نظـم أتـانـي مـن بـديـع الـزمـان
نجـل المفـدّى والإمـام الـذي كـالشمـس معـروف لقـاصٍ ودان
بـالعلـم والأفضـال عـمّ الـورى نفعـاً وإحسـانـاً كـريـم البنـان
سقيـاً لقبـرٍ حـلّ فيـه وقـد أسكنـه الله فسيـح الجنـان
وأنـتَ يـا مـولاي مـن بعـده عـلاّمـة العصـر فـريـد الأوان
لقـد أتـانـي منـك لغـز غـدا سنـاؤه يسمـو علـى النيـران
ثملـت مـن معنـاه لمّـا أتـى فمنـه سكـري لا ببنـت الـدنّـان
يسـأل عـن ورد زكـا نشـره بـه تـذكـرت خـدود الحسـان
وليـث غـاب إنْ سطـا فـي الـوغـى سـلاحـه مـاض كحـدّ السنـان
تحـريفـه يـروى وإن درّتـه مسـاكـن الأفـراح فـي العنفـوان
وثلثـه أذكـرنـي الشـاعـر الـ ـوأواء مـن للشعـر حلـي وزان
ومـا بقـي فـالـدرّ إنْ دُرْتَـه وإنْ تحـرفـه فـدرّ اللّبـان
والأصـل منـه صـدق ودّأتـي مـا زال مـأمـونـاً إذا القلـب بـان
فمـا اسـم شـيء رق طبعـاً بـدا فـي الفضـل مشهـوراً بـه يستعـان
يـروق إشـراقـاً ولكنّـه يـروع غـربـاً والمـراع الجبـان
لـه لسـان أخـرس كـم بـه كلّـم إنسـانـاً بـذاك اللّسـان
كـم شـقّ مـن نهـر علـى سـابـح وهـام فـي واد وخلّـى مكـان
عـذّب حينـاً فـي لهيـب اللّظـى وكـم رأى مـن طـارق فـي الـزمـان

وصبـــــره صيّـــــره راقيـــــاً ومــاضــي الأحكـام فـي كـل آن
طـوراً تـراه راكعـاً سـاجـدا مـع المصليـن إمـامـاً عيّـان
فيـا لـه مـن عـالـم إنْ رأى متنـاً فيشـرحـه بحسـن البيـان
مـدبّـج اللّـون يـرى أخضـرا وأبيضـاً فـي حمـرة الأرجـوان
تصحيفـه وصـف لأنعـامكـم وذا حنيـن أمّ حيـاء وصـان
ضـمّ حـواشيـا غـدت سـورة وقلـب بـاقيـه طبيـب يـدان
لـم يخـش مـن شـيء ولكنّـه إنْ طاح منه الرأس فالموت حان
وهـو ربـاعـيّ ولكـن إذا للـربـع تحسبـه تجـده ثمـان
وربعـه الثـانـي فصحِّـف تـرى نبتـاً بـدا تلقـاه قبـل الأوان
ومـا بقـي منـه بمقلـوبـه وهـو الـذي معناه في الصدر بان
بَيِّنْـهُ واكشـف سـرّ مـا قـد خفـى منـه وحليـه بعقـد جمـان
لا زلـت تسمـو للعـلا راقيـا إلـى مقـام دونـه الفـرقـدان
مـا حـلّ لغـزاً فـاضـل ذو ذكـا بـدرّ ألفـاظ وسحـر البيـان

وله مشجراً:

عهـدي علـى أنّـي المقيـم بعهـده ولـو أنـه قـدّ الفـؤاد بقـدِّهْ
بـأبـي وبـي أفـديـه بـدراً مشـرقـاً بـدر السمّـا أضحـى لـديـه كعبـدِهْ
دريّ الثنـايـا تحـت شفتـه بـدا خـال تـوارى مـن تلهّـب خـدّه
أصلى الفؤاد بنار وجد أضرمت لا تنطفـي إلا بمـرشـف بـرده
لـي فـي هـواه شـواهـد دلّـت على تلفـي بـرقـة خصـره وبنـده
لا أنتهـي عـن حبّـه لـو قطعـت أحشـاي مـن جـور الغـرام وصـدّه
هـو بغيتـي بـل منيتـي ومنيّتـي وضـلال قلبـي فيـه غـايـة رشـده

وله مضمناً:

وتكللـت وجنـات مـن أحبيتـه عـرقـاً ففاح المسك من نفحـاتها
وأتـتْ عـوارض حسنـه تبـدي لنـا قسمـاً بـروضـة خـدّه ونبـاتهـا

وله من الدوبيت قوله:

مـن سيّـج ورد خـدّه بـالآس حتـى مـرضـي أعياه طـبّ الآسـي
أقسمـتُ عليـك بـالهـوى يـا أملـي دارك رمقـي ولا تكـنْ لـي آسـي

ومن معمياته قوله في حسن:

يا أخا الوجد لو تعاين ما بي كنـتَ تـرثـي لحـالتـي وشجـونـي
وجـه حبّـي مـع الظعـائـن سـارا فـاتنـاً لـي وحـاجـب مقـرون

وقوله في يونس:

ربّ بـدرٍ سبى الأنـام بحسـن ... وبقـدٍّ كغصـن بـان تثنـي
قالت الشمس منذ لاح مضيئا ... هو أرقى من نور وجهي وأسني

وقوله في صالح:

بالروح أفديه حبيباً غدا ... ناء عن المضنى بلا ذنبِ
من لحظه والقدّ لا تسألوا ... ما منهما قد حلّ بالقلب

وله غير ذلك، ولم أدرِ وفاته في أيٍّ سنة كانت، غير أنّه في سنة إحدى عشرة ومائة وألف كان موجوداً رحمه الله تعالى.

السيد محمد الكردي:

٦٣٨ ـ السيد محمد الكردي ابن عيسى الحسيني الحنفي، الكردي الأصل، القدسي: هذا الأديب افترّ ثغر الزمان عن درره، وابتهج بما يبديه من لطائف نظامه ونثاره، كان شاعراً فاضلاً، له واسع اطلاع وحسن نباهة وبداهة، أحد أفراد مصره في عصره، مجيد في النظام والأدب، له اجتهاد في العلوم وباع، ذكي الطبع حسن السمت، حلو المسامرة يرغب في مسامرته الكرام والصدور، وتبتهج بروائع رشحات أقلامه وجوه الصحائف والسطور، وكان بالقدس ممن اشتهر بالفضائل خصوصاً بفنون الأدب، وارتحل إلى الروم ولم يطل المكث هناك وعاد إلى بلدته، وكان يلازم المسجد الأقصى، ووالده أحد الصلحاء من العالم، وولده المترجم نثره ونظمه كل منهما باللطافة والرقة ممزوج ومشمول، فمما وصلني من ذلك ما كتبه إلى السيد فتح الله الفلاقنسي الدفتري بدمشق حين وفوده من الروم:

شمسُ العلا طلعت ولاح سناء ... وازدادت الأنوار والأضواءُ
وبدا لنا بدرُ الضّيا متلألئا ... مُذْ قابلتنا الغرّة الغراء
وانجاب عن وجه الشام غمامه ... وبدا الصباح وزالت الظلماء
وافترّ ثغر الدهر لما أنْ عرا ... أهل العداوة بالسرّور بكاء
وتقاربت نحو المنى آمالنا ... وتباعدت عن عيننا الأقذاء
لبس الزمان أحاسن الحلل التي ... بجمالها تتزيّن الحسناء
والأرض قد أبدت غلائل زينة ... وتكلّلت من فوقها الأنداء
والكونُ يرقص من مزيد سروره ... رقصاً به قد طابت الخيلاء
والروض مدّ بساط منثور على ... منظوم زهر قد علاه بهاء
والنّهر يجري فوق درّ ناصع ... هو للتمائم درّة عصماء
وعصابة الأدباء كل قائل ... شعراً به تترنّم الورقاء
كل بباب الفتح طاف مبشرّا ... بسلامة هي للأنام شفاء

مـن لا تفـي البلغـا بمـدحتـه ولـو بجميـع أصنـاف المـدائـح جـاؤوا
عـادت بعـودك لـلأنـام حيـاتهـم فـالآن سـائـر مـن يـرى أحيـاء
لـولا بشيـر البشـر بشـرنـا لمـا زار العيـون وحقـك الإغفـاء
قـد غـمّ كـل منـافـق ومـداهـن وسـرت إلـى سـرّاتـه الضـرّاء
وتفطّـرت أكبـاد حسـد نعمـة وتقطّعـت فـزعـاً لهـم أمعـاء
وتسربلوا بالخزي في درك الشقا مـا ثـم فـوق شقـا الحسـود شقـاء
تجري الدّما منهم على وجناتهم فلـذاك عيـن وجـودهـم عميـاء
فطعـامهـم بعـد النفـائـس أنفـس وشـرابهـم بعـد الـزلال دمـاء
ووجـوههـم مصفـرّة ممّـا بهـم وكـذا تنفُّسُهـم هـو الصعـداء
مـا بـالهـم يبغـون سـواً للـذي بـالجـود منـه تـذهـب الأسـواء
مـا بـالهـم يبغـون غمًّـا للـذي بنـدى يـديـه تخصـب الأرجـاء
يكفـي الحسـود بـأنَّ سحنـة وجهـه بيـن الخـلائـق غمّـة سـوداء
هـل يستـوي صبـحٌ وليـل أليـل والـدرّ ليـس كمثلـه الحصبـاء
يـا أكمـل الـرؤسـاء لا مستثنيـاً أحـداً إذا مـا عـدّت الـرؤسـاء
يكفيـك يـا عيـن الأمـاجـد والعـلا حمـد ومـدح رفعـة وعـلاء
قـد أجمـع العقـلاء أنّـك أوحـد وسـواك يـا روح العـلا غـوغـاء
لا رأي يلفـى منـك رأيـك صحّـة منـه استضـاءت فـي الـورى آراء
ما كلّ من ولّى المناصب ماجد كـلاّ ولا كـلُّ الشمـوس ذكـاء
ضاقت صدور بني المراتب بالذي قـد أودعـوه وصـدرك الـدهنـاء
أنـتَ الصبـاح لنـا وغيـرك عنـدنـا ليـل وغـرّة وجهـك الـلألاء
ولأنت في سعد السعود لدى المدى والضـدّ فـي وادي العنـا عـوّاء
غلبـت طبـاعـك كـل طبـع مـائـل وتبـاعـدت عـن عـرضـك الأسـواء
فـي الله لـم تـأخـذك لـومـة لائـم كـلاّ ولا مـالـت بـك الأهـواء
لـك نعمـة عنـد الـورى خضـراء ويـد لعفّـة كفّهـا بيضـاء
سـدت الأنـام بهـا بغيـر مشـارك والنّـاس فيمـا دونهـا شـركـاء
بل سدتهم من كلّ وجه لا كَمَنْ قـد سـوّدتـه بيننـا الصفـراء
قـد أطبـق الإجمـاع أنّـك وجهـة قـد قلـدتهـا السـادة الحنفـاء
شهـدت لـك الأعـدا بفضـل زائـد والفضـل مـا شهـدت بـه الأعـداء
وإليـك يـا بحـر النّـوال عـروسـة عـذراء زفّـت بـالثنـا وطفـاء
وفـدت تقنـع رأسهـا بـردائهـا خجـلاً ويعلـو وجههـا استحيـاء
وقفتْ بباب الفتح إنْ يك منعما بقبـولهـا زادت لهـا النعمـاء
إن أبطـأت عـن لثـم كفّـك لا تقـل يكفـي الـذي قـد خلـف الإبطـاء

وأقبل لنائية الديار مسامحاً فأخو النّباهة دأبه الإغضاء
لا زلتَ في مجد وسعد دائماً ما نقطت وجه الربا الأنواء

ومن نثره:

لما هتف بريد السعد، وأعلن بشير الجد والمجد، وتزايد وافر الشوق والوجد، وسرت إذْ سرت مسرة الفتح المبين، ماست عروس الشام في حلل الجمال، وقبّلها البهاء من الجبهة إلى الخلخال، وعلت روضة النيرين على النيرين بأفق الكمال، وتناهت وتباهت بذروة العزة والتمكين، وقامت خطباء الطير على منابر الغصون، وهتفت سواجع الورق فحرّكت سواكن الشجون، وأطرب فأعرب كل صادح بلحن غير ملحون، ونادى منادي المجد بنادي السعد أهلاً بفخر القادمين، تفطرت أكباد الأعداء والحسّاد، وأشرقت أرجاء الوهّاد والمهاد، واطمأنت القلوب وتلت ألسن العباد والعباد، فرحاً بنيل الأماني والتهاني، ادخلوها بسلام آمنين، هذا أجلّ ما تنظره العيون، وترقبه هواجس الخواطر والظنون، وتطلبه الحامدون الراكعون الساجدون، على رغم أنف كل حسود هو في هاوية الغيظ رهين، فللّه الحمد على نعمه العميمة، وأجلها هذه النعمة العظيمة، وله الشكر على سننه الكريمة، التي قرّت بها أعين المحبين، وبعد لثم الأعتاب السنية، أقبل بناديكم كل راحة نديّة، وأهدي أكمل تحيّات وتكريمات نديّة، لكلِّ أخ وعمٍّ وأبنائهم وتابع وخدين، أدام الله تعالى حفظ الجميع، وأبقاكم على ذروة العز الرفيع، وخلّد أعداءكم في الحضيض الوضيع، بجاه أشرف النبيين والمرسلين، وأستاذنا معدن العرفان والتحقيق، سبط الحسنين وصفوة الصدّيق، يهدي لكم وللأخوة وابن العم الشقيق، مع دعاء ومدد مدى المدد بهما يتأبد التمكين، ومولانا السيد فضل الله العلمي أجل مخلص يهدي التحية ودمتم ملاذاً للخائفين، والطائفين والعاكفين.

أُقَبِّلُ كفّاً طالما كفّت الأذى وقلدت الأعناق ما يوجب الشّكرا
فلثمي لتلك الخمسِ كالخمس واجب عليّ فصارت واجباتي بها عشْرا

أقول بعد لثم راحة تناولت زهر الكواكب، ونابت عن الغيث فسحت وما شحت بخمس سحائب، يا مولاي المتطوّل بأياديه، المتفضّل بما غمرتني غواديه، المرتدي بأثواب الجلال المبتدىء بالعطاء قبل السؤال، لم أستطع تمثيل حمدك ومدحك، ولم أطق وصف ذرّة من أفضالك ومنحك، فلقد أترعت مواردي ومناهلي، وحملتني من حقائب الجود ما أثقل كاهلي.

كم من يد بيضاء قد أسديتها تثني إليك عنان كل وداد
شكر الإلّه صنائعاً أوليتها سلكت من الأرواح في الأجساد

ولما تشرّفت العيون بكريمكم المرسوم، وأوصلنا داعيكم ما به مرسوم، كلٌّ عن

الشكر بناني ولساني، وأعلن بالأدعية المقبولة جناني، لأني كلما فرغت من شكر يدٍ كثير مددها وصلتها بأيادٍ جزيلة، أعدّ منها ولا أعدّدها، فلا تحدّث لي بعدها زيادة، وارفق بعبدك فقد ملك العجز قيادة.

أنت الذي قلدتني نعماً | أوهت قوي شكري فقد ضعفا
لا تسدينّ إليّ عارفة | حتى أقوم بشكر ما سلفا

وما عسى مادحك أنْ يقول، يا من بهر بحسن مناقبه العقول، المتكلم يعجز عن وصفك يراعه، والبليغ يقصر عن حصر وصفك باعه، على أنْ كلاًّ لو استعار لساناً، واتخذ الريح في نقل أخبارك ترجماناً، أدركه الملال ولم يصل إلى غايتك، وأعياه الكلال دون الوقوف عند نهايتك، فالله يتولّى مكافأتك بما هو أبلغ من شكر الناس، ويمتّع الأحياء ببقاء ذاتك التي جلت عن النعت والقياس، آمين بجاه أشرف المرسلين.

وقال مادحاً له:

صبحُ المسرّات قد راقت زواهره | ودوح روض المنى افترّت أزَاهِرُهْ
وماست القضب سكري في خمائلها | لما سقاها من الوسميّ باكِرُهْ
وعانق النّهر قامات الغصون وقد | سرّت دمشق بعصر راق سائره
وقر مسجدها عيناً ببهجته | وكاد من قبل أنْ تدمى محاجره
وكادَ يعوزه بسط الحصير به | عند الحصور الذي جلت مآثره
والآن يزهو بتعمير ويزهر من | دروس علم وقد قامت شعائره
يختال في برد الوشى البديع وقد | ترنّحت طرباً منه منابره
وزانها في دجى الأسحار حسن دعا | لناظر ماجد طابت سرائره
الأوحد الفرد فتح الله خدن علا | نسل الأماجد من زادت مفاخره
ذو الحزم والعزم والرأي السديد وما | تحيد عن غرض التقوى أوامره

وهي طويلة، وله غير ذلك، وكانت وفاته بالقدس سنة خمس وسبعين ومائة وألف رحمه الله تعالى وأموات المسلمين.

محمد الكناني:

٦٣٩ ـ محمد الكناني بن عيسى بن محمود بن محمد بن كنان الحنبلي الصالحي الدمشقي الخلوتي أحد العلماء الأتقياء والصلحاء العاملين: ولد في سنة أربع وسبعين وألف، ونشأ في كنف والده، وأخذ عنه الطريق، وأخذ على جماعة، كالشيخ خليل الموصلي قرأ عليه حصة من جمع الجوامع في الأصول، والرسالة الأندلسية في العروض، وغيره من الأجلاّء، وحج إلى بيت الله الحرام، واجتمع في المدينة المنوّرة بالأستاذ الشيخ إبراهيم بن حسن الكوراني، وأخذ عنه الحديث، ولما توفّي والده صار مكانه شيخاً،

واستقام إلى أن مات، ولازم الأذكار، وألّف التاريخ الذي جمعه بالحوادث اليومية، وقد طالعته واستفدت منه وفيات، وبعض أشياء لزمتني لتاريخي هذا، وهو تاريخ يشتمل على الحوادث الصادرة في الأيام مع إيراد وفيات ومناسبات وفوائد، وورد يوماً من الأيام مذاكرة بين الوالد وبينه في المعميات، فذكر أنه يستخرج اسم هود من قوله تعالى: ﴿ما من دابة إلاّ هو آخذ بناصيتها﴾ واسم شهاب من قوله تعالى: ﴿والليل إذا يغشاها﴾ وكانت وفاته في سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف، ودفن بسفح قاسيون بالصالحية، وتولّى بعده المشيخة ولده الفاضل الشيخ محمد سعيد رحمه الله تعالى.

محمد أمين المحبي:

٦٤٠ ـ محمد أمين المحبي بن فضل الله بن محب الله بن محمد محب الدين بن أبي بكر تقيّ الدين بن داود المحبيّ، الحموي الأصل، الدمشقي المولد والدار، الحنفي العلامة الأديب فريد العصر ويتيمة الدهر، المفنن المؤرخ الذي بهر العقول بإنشائه البديع، الذي ذلّ له البديع، الفاضل الذكي، اللّوذعي الألمعي الشاعر الماهر الفائق الحاذق النبيه أعجوبة الزمان مع لطافة عجيبة، وطلاقة غريبة، ونكات ظريفة، وشواهد لطيفة: ولد بدمشق في سنة إحدى وستين وألف، ونشأ بها في كنف والده، واشتغل بطلب العلم، فقرأ على العلامة الشيخ إبراهيم الفتّال، والشيخ رمضان العطيفي، والأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي، والشيخ علاء الدين الحصكفي مفتي دمشق، والشيخ عبد القادر العمري بن عبد الهادي، والشيخ نجم الدين الفرضي، وأخذ طريق الخلوتية عن الشيخ محمد العباسي الخلوتي، وأخذ بعض العلوم عن الشيخ محمود البصير الصالحي الدمشقي، وأخذ عن الشيخ عبد الحي العسكري الدمشقي، وأجاز له الشيخ يحيى الشاوي، والشيخ محمد بن سليمان المغربي، وأخذ بالحرمين عن جماعة من علمائهما، منهم الشيخ حسن العجيمي المكي، والشيخ أحمد النخلي المكي، والشيخ إبراهيم الخياري المدني، حين ورد من الشام وغيرهم، ومهر وبرع وتفوّق في فنون العلم، وفاق في صناعة الإنشاء البليغ، ونظم الشعر، وظهر فضله، وكان يكتب الخط الحسن العجيب، وألّف مؤلفات حسنة بعد أن جاوز العشرين، منها الذّيل على ريحانة الشهاب الخفاجي، سمّاه «نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة»، والتاريخ لأهل القرن الحادي عشر سمّاه «خلاصة الأثر في تراجم أهل القرن الحادي عشر»، ترجم فيه زهاء ستة آلاف وهو مشهور، و «المعوّل عليه في المضاف والمضاف إليه»، و «المثنّى الذي لا يكاد يتثنى»، و «قصد السبيل فيما في لغة العرب من الدخيل»، و «الدر المرصوف في الصفة والموصوف»، وكتب حصّة على ديوان المتنبي، وحاشية على القاموس، سمّاها «بالناموس»، صادفته المنية قبل أنْ تكمل، وكتاب أمالي، وديوان شعر، وغيرها من درر غرره، وتحائف فكره، ورحل للروم وللديار الحجازية وناب في القضاء بمكة، ورحل للديار المصرية وناب في القضاء بمصر، وحج بيت الله الحرام،

وولي تدريس المدرسة الأمينية بدمشق وبقيت عليه إلى وفاته، قال الشمس الغزي في كتابه لطائف المنّة: اجتمعتُ به مرتين في خدمة والدي، فإنه كان بينه وبين المترجم مودّة أكيدة، وسمعتُ من فوائده وشعره، وكان قد أدركه الهرم بسبب استيلاء الأمراض عليه، انتهى.

قلتُ وله شعر لطيف، وهو مشهور أودع غالبه في نفحته وتاريخه، فلنذكر نبذة منه. فمن ذلك قوله:

ألا في سبيل الله نفس وقفتها ... على محن الأشجان في طاعة الحبِّ
أعاني جوى من ذي ولوع بكيده ... إذا لم يمت بالصدّ يقتل بالعُجْبِ
تخيّرته من ألطف الغيد خلقة ... تكوّن بين الرّاح والمبسم العَذْب
أبى القلب إلا أنْ يكون بحبّه ... وحيداً على رغمِ النّصيحة والعتب
فلو فوّقت سهم المنون جفونه ... لقلب سوى قلبي تمنيته قلبي

وكان له ترب بدمشق ألّف بينهما المكتب، وحبيب كان يرتع معه أيام الصبا ويلعب، فكان فراقه عنده من أعظم ذنوب البين، وفي المثل أقبح ذنوب الدهر تفريق المحبين، فكتب هذه الأبيات وهي أوّل ما سمح به فكره من النظم:

لا كانت الدنيا وأنتَ بعيدُ ... يا واحداً أنا في هواه وحيدُ
يا مَنْ لبستَ لهجره ثوبَ الضّنى ... وخلعتَ برد اللّهو وهو جديد
وتركتَ لذّات الوجودِ بأسرها ... حتى استوى المعدومُ والموجود
قسماً بما ألقى عليك من العدا ... ومحبّ وجهك في الورى محسود
إنّ المحبَّ كما علمت صبابة ... فالصبرُ ينقصُ والغرامُ يزيد
ولقد ملأت القلب منك مهابة ... فعليّ منك إذا خلوت شهيد
والحرصُ مذمومٌ بإجماعِ الورى ... إلاّ عليكَ فإنّهُ محمود

وقوله:

وأغيدَ يسكر عقل الغيد ... يصيد بالحسن قلوب الصيدِ
فؤاده صوّر من حديد ... وقلبه أقسى من الجلمود
مولى عظيم الفتك بالعبيد ... يغنيه حسنه عن الجنود
سكر لحاظه بلا حدود ... يصدّ والهلاك في الصدود
قد عاقه الثّلجُ عن الورود ... ما الثلج إلاّ برص الوجود

وقوله في بعض الأمراء:

بأبي وإن كان أبي سميذعا ... خلقتْ يداه للشجاعة والنّدى
راجعته في أزمة فكأنّما ... جردت منه على الزمان مهنّدا
ملكٌ كريمٌ كالنّسيم لطافةً ... فإذا دجا خطب قسا وتمرّدا

أمــواجُ إحســان أســرّة وجهــه — لصــديقــه وسيــوفُ بــأسٍ للعــدا
كـالبحـر ينعـم بـالجـواهـر سـاكنـاً — كـرمـاً ويـأتـي بـالعجـائب مـزبـدا
يفني من الأعمار إنْ غشي الوغى — ما لو حوى أفنى الزّمان وخلّدا
والهـام تسجـد خشيـة مـن سيفـه — لمـا أبـت أربـابهـا أنْ تسجـدا
لا تعجبـوا إنْ لـم يسـل منهـم دم — فالخوف قد أفنى النفوس وجَمّدا

وقوله في مدح القسطنطينية معارضاً أبيات الحريري في البصرة:

بـلادٌ قـد حـوتْ كـلّ الأمـانـي — نبيـتُ بهـا ونُصْبِـحُ فـي أمـانِ
هـي البلـدُ الأميـنُ فليسَ تخشى — بهـا ظلمـاً سـوى جـور الغـوانـي
حـدائقهـا مـن الـروضـات حسنـاً — هـي الفـردوسُ مـن بيـن الجنـان
وبقعتهـا مــن الـدنيـا جميعـاً — بمنـزلـةِ الـرّبيـع مـن الـزمـان
وكـوثـرهـا على الحصبـاء يجري — كـذوب التّبـر سـالَ على الجمـان
إذا صـدحـت بـلابلهـا أجـابـت — كــواكبهــا بــأنــوارِ الحســان

ومن مقاطيعه قوله وقد تعجّب منه بعض الأكابر في محفل فقال بديهاً:

لئـن أصبحـتُ أدنـى القـوم سِنّـاً — فعــدُّ فضــائلــي لا يستطــاعُ
كششطـرنـج تـرى الألبـاب فيـه — حيــارى وهــو رقعتــه ذراع

وقوله:

كلّنــا جــرحــى خطــوب — مــا لنــا الــدّهــر مــريــخ
فلهــذا لــم يكــن يــو — جــدْ شــامــيٌّ صحيــخ

ومن نفثاته البديعة قوله:

للقلــبِ مــا شــاء الغــرام — والجســم حصتــه السقــامْ
وإذا اختبــرت وجــدت محـ — ـنة مـن يحبّ هـي الحمـام
عجبــاً لقلبــي لا يمـ — ـلّ جـوى ويـؤلمـه المـلام
وأبيــك هــذي شيمتــي — مِــنْ منــذ أدركنــي الفطــام
إنــي أغــارُ علــى الهــوى — مِــنْ أنْ تــؤمّلــه الأنــام
وأروم مــن حــدق الظبــا — نظــراً بــه حتفــي يــرام
أفــدي الــذي منــه يغــا — ر إذا بــدا البــدر التّمــام
فعلــت بنــا أحــداقــه — مــا ليــسَ تفعلــه المــدام
إنْ شــطّ عنــك خيــالــه — فعلــى حشــاشتــك السـلام
أأخــيَّ مــن يــكُ عــاشقــاً — فعــلامَ يجفــوه المــرام
إنّــي بليــتُ بمحنــة — هــانــت بهــا النــوب العظــام

حتـــى لقــــد عميـــت علـ ـــى مســالكـي ودجـا القتـام
صـــاحبـــت ذلّــي بعــد أنْ قـد كـان تفخـر بـي الكـرام
والمــــرء يصعـــبُ جهـــده ويليـــن صعـــدتــه الصـدام
لا تتهمــــــنَّ تـــــذلّلـــــي فـالتّبـر معـدنـه الـرغـام
وإذا جفـــانـــي مـــن أحـ ـبّ صبـرت حتـى لا أضـام
فعبــوس أرديـــة الحيـــا عقبـــاه للـــروض ابتســـام
ولئـــن وهـــت لـــي عـــزمـــة فلـــربّـــا صـــدئ الحســام
فعســـى الـــذي أبلـــى يعيـ ـــن وينقضـي هـذا الخصـام

وقوله:

قـد قعقعـت عمـد للحـيّ وانتجعـت كـرام قطـانـه لـم ألـق مـن سنـدِ
مضى الأُلى كنتُ أخشى أنْ يلمّ بهم ريب الزمـان ولا أخشى على أحد
فـأفرخ الـروع أن شـالـت نعـامتهم فـأفسـد الـدهـر منهـم بيضـة البلـد

وقوله:

وشـــادنٌ قيّـــد العقـــول وجهـــه وصـــدغـــه سلسلـــة الآراءِ
شـامتـه حبّـه قلـب مُـذْ بـدت جنـت بهـا الأحشـاء بـالسـوداء

وقوله:

لا بـــدع إنْ شـــاع فـــي البـــرايـــا تهتّكـــي فـــي الـــرشـــا الـــربيـــبِ
عشقـــي عجيـــبٌ فكيـــف يخفـــى وحسنـــه أعجـــب العجيـــب

وقوله:

بـــيَ مـــن إنْ عـــاينتـــه مقلتـــي ينمحـــي جسمـــي ويفنـــى طـــربـــا
أيّ شـــيء راعـــه حتـــى انثنـــى هـــاربـــاً منّـــي وولّـــى مغضبـــا

وقد اتفق في مجلس بعض الأعيان أنْ دعي إليه صاحب الترجمة، وكان به المولى علي بن إبراهيم العمادي، والسيد الشريف عبد الكريم الشهير بابن حمزة وغيرهما، فسقطت ثريا القناديل في ذلك المجلس فقال المترجم مرتجلاً:

لله مجتمـــــع كـــــواكبـــــه تلـك الـوجـوه وضيئـة الحلـكِ
حتـى النجـوم هـوت لـه كلفـا بنظـامهـا مـن قبـة الفلـك

وقال:

وليـس سقـوط الثّـريـا لـدى نـديّ المـوالـي مـن المنكـراتِ
فـــإنّ الشمـــوس إذا أسفـــرت فـلا حـظَّ لـلأنجـمِ النيّـراتِ

وقال السيد عبد الكريم المذكور في ذلك:

مجلس ضمّ شملنا بانسجام ... كالثّريا وحبّذا الانسجامْ
نظمتنا يد العناية عقدا ... سلكه الودّ لا عراه انفصام
والعماديّ منه وسطاه والوسـ ... ـطى لها الصدر منزل ومقام
فأدرنا من الحديث كؤوساً ... سكرت من مدامها الأفهام
ونعمنا بالاً وروحاً وسمعا ... ولدينا للنيرات ازدحام
بينما نحنُ من ثرياه عجب ... وبها الزهر زانه الانتظام
إذ تداعت من أفقه وهي خجلي ... إذ حكتنا وفاتها ما يرام

ولصاحب الترجمة يرثي بعض الأعيان وقد حبس ثم قتل:

أسفي على بحر النّوال ومن له ... بأس الملوك وعفّة الزّهادِ
لو أنّ بعض صفاته اقتسم الورى ... لرأيتَ أدناهم كذيّ الأعواد
لم يَجْنِ ذنباً غير أنّ زمانه ... قد فوّض الأحكام للحسّاد
هابوهُ وهو مقيّد في سجنه ... وكذا السيوفُ تهابُ في الأغماد
ذهبَ السرورُ بفقده فكأنّما ... أرواحنا غضبي على الأجساد
يا ثالث الحسنين عاجلكَ الرّدى ... والحتفُ قد يسري إلى الأطواد
لكَ بالكواكب والسحائب أسوة ... فاذهب كما ذهبَ السّحاب الغادي

وذَيّلَ على البيتين الأوّلين وأرسل ذلك إلى بعض المعزولين عن مناصبهم فقال:

إنّ الأمير هو الذي ... أضحى أميراً يوم عَزْلِهْ
إنْ زال سلطان الولا ... ية لم يزل سلطان عَدْلِهْ
والسيفُ عند الاحتيا ... ج إليه يعرف فضل نصْله
والحقّ ينفر تارة ... ويعود معتذراً لأهْله
والبدرُ يرجعُ ثانياً ... بعد الغروبِ إلى محلّه
والعقدُ ينثر كي ينـ ... ـظم ثانياً جمعاً لشمله
والخلد موعد آدم ... سيعودها أيضاً بأهْله
لكنْ يكونُ مخلَّداً ... والشيء مرجعه لأصله
لا بأس من كرم الكريـ ... ـم فثقْ برحمتهِ وفَضْلِهْ

وله أيضاً:

ومقرطق لولا جفون جفونه ... خلنا دمَ الوجنات من ألْحَاظِهْ
وتكاد تقرأ من صفاء خدوده ... ما مرّ تحت الخدّ من ألْفَاظِهْ

وله غير ذلك من النظام والنثار، المزري بكاسات العقار، وكانت وفاته في ثامن عشر

جمادى الأولى سنة إحدى عشرة ومائة وألف ودفن بتربة الذهبية من مرج الدحداح قباله قبر العارف أبي شامة، وكثر الأسف عليه، وقامت عند الأدباء مآتمه فَرُثي بالقصائد العديدة، منها ما قاله الشيخ صادق أفندي الخرّاط من قصيدة مطلعها:

هـذا المصـابُ الـذي كنّـا نحـاذره ... القلـبُ مـن هَـوْلـهِ شقـت مَـرَائِـرُهْ
بئس الصباحُ صباحُ البين لا طلعت ... شمـوسـه بـل ولا لاحـتْ بشـائـره
أهـدى لنـا جمـل الأكـدار مطلقـة ... فـلا رعـى الله مـا أهـدت بـوادره

وهي طويلة جداً وترجمة الأمين حقيقة بالتدوين وفي هذا القدر كفاية لأهل الدراية.

محمد بن الطيب:

٦٤١ ـ **محمد بن الطيب المغربي بن محمد بن محمد بن موسى الشرفي الفاسي المالكي، الشهير بابن الطيّب، نزيل المدينة المنورة، الشيخ الإمام المحدّث المسند اللّغوي العالم العلامة المفنن أبو عبدالله شمس الدين:** ولد بفاس سنة عشر ومائة وألف ونشأ بها، وأخذ عن جملة من العلماء، منهم والده، ومحمد بن محمد المسناوي، ومحمد بن عبد القادر الفاسي، ومحمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، ومحمد بن عبد السلام البناني، ومحمد بن عبدالله الشاذلي، وأبو عبدالله محمد بن محمد ميارة، وأبو الإقبال أحمد بن محمد الدرعي، وأبو عبدالله محمد بن محمد الأندلسي، وأحمد بن علي الوجاري، ومحمد أبو الطاهر بن إبراهيم الكوراني، واستجاز له والده من أبي الأسرار حسن بن علي العجيمي، وعمره نحو سنتين، والسيد عمر البارّ العلوي، وغيرهم ممن ينوف على مائة وثمانين شيخاً، وبرع وفضل وصار إمام أهل اللغة والعربية في وقته، محققاً فاضلاً متضلعاً في كثير من العلوم، ودرّس بالحرم الشريف النبوي، وانتفعت به الطلبة، ورحل للروم من الطريق الشامي ورجع منها على الطريق المصري، وأخذ عنه في الشام ومصر خلق كثيرون، وحصل بينه وبينهم مباحث في فنون من العلم، وله تآليف حسنة، منها حاشية على القاموس، وشرح نظم فصيح ثعلب في مجلدين، وشرح على كفاية المتحفّظ، وحاشية على الاقتراح، وشرح كافية ابن مالك، وشرح شواهد الكشّاف، وحاشية على المطوّل، ورحلة، وجمع مسلسلاته في كتاب، وهي تنوف على ثلثمائة، وغير ذلك من المصنفات مما ينوف على خمسين مصنفاً، وله شعر لطيف، ينبىء عن قدر في الفضائل منيف، فمنه قوله هذه القصيدة في مدح السفر:

سـافـر إلـى نيـل المعـ ... ـزة إنّ فـي السفـر الظَّفَـرْ
وانفـر لنيـل المجـد فيـ ... ـمن للمعـالـي قـد نفـر
واعلـم بـأنّ المكـث فـي الـ ... أوطـان يـدعـو للضجـر
ويـورّث الأخـلاط والـ ... أجسـام أنـواع الضـرر
أو مـا رأيـت ألمـاً الطـو ... ل المكـث يعلـوه الـوضـر

والبـدرُ لـو لـزم الإقـا ـمة فـي محـل مـا بـدر
والـدرّ لـو أبقـوه فـي قعـر البحـار لمـا افتخـر
والتّبـر تـرب فـي المعـا دن وهـو أفخـر مُـدَّخَـرْ
والعـود معـدود لـدى الـ ـغابـات مـن جنس الشجـر
والبـاتـر المغمـود لـو لـم يخـرجـوه لمـا بتـر
هـذا وكـم مَثَـل سـرى فـي النـاس مـن هـذي العبـر
أبـدى البـدائـع منـه مـن نظـم القـريـض ومـن نثـر
عـن وجههـا فـي غـالـب الـ أسفـار أسفـر مـن سفـر
فـادأب على الترحـال فـي الـ أحـوا أجمعهـا تسـر
واعلـم بـأنّ البعـد عـن وطـن بـه تـمّ الـوطـر
واغـرب بشـرق وأشـرقـن فـي الغـرب إنْ تـلـك ذا نظـر
واجعـل جميـع النّـاس أز رك والثـرى طـرّاً فـذر
لا تـؤثـرن بـدواً ولا حضـراً وكـنْ مـع مـا حضـر
فـالبـدو عِـزٌّ واللّطـا فـةُ والظـرافـةُ فـي الحضـر
فـإذا بـدوتَ فكـل عـ ـزّ بـاذخ فيـك استقـر
وإذا حضـرتَ فكـلّ ظـر فٍ ظـرفـه لـك مستقـر
لا تَبْـكِـ أُلْفـاً لا ولا داراً ولا رسمـاً دثـر
فـالنّـاس ألفـك كلّهـم والأرض أجمعهـا مقـر
فمتـى وجـدتَ العـزَّ والـ ـعيـش الهنـيّ أقـمْ تبـر
ومتـى رأيـتَ الضـدّ والصـ ـدّ الخفـيّ فـدعْ وذر
واجعـل بضـاعتـك التقـي مـع مـع أسـرّ ومـن جهـر
فـإذا اتقيّـت الله فـز ت بكـل كنـز مـدّخـر

وقوله:

ألا ليتَ شعري هـل أرى البيت معلمـا وهـل أردن يـومـاً علـى الـريّ زمـزمـا
ومـن لـي بحـجّ البيـت فـي خيـر معشـر حـدا بهـم الحـادي وغنّـى وزمـزمـا
ومـن لـي بـأنْ أمسـي علـى حجـراتـه وأصبـحَ ممـن للمغـانـي بـه انتمـى
ومـن لـي بـالخـلّ الـذي قـد ألفتـه فنـدعـي جهـاراً أنتمـا القصـد أنتمـا
نطـوف بـذاك البيـت طـوراً وتـارة نلـمّ بهـاتيـك البقـاع فنلثمـا
وآونـة نـأتـي إلـى الحجـر الـذي سمـا قـدره حتـى تطـاول للسّمـا
نعفـر فيـه الخـدّ والـوجـه كلّـه ولسـتُ أرى ممـن يخـصّ بـه فمـا
وطـوراً نُصَلّـي ثـم نسعـى إلـى الصفـا لنصفّـي الفـؤادَ المستهـامَ المتيّمـا

ونسرع كي نلقى المنى ولدى منى | نخيم فيمن كان لليمن خيّما
ونجني ثمار العرف من عرفاته | ونغرف منه الخير غرفاً معمّما
ونبرأ من كل العقاب إذا دنت | عقاب جمار تحرق الذنب أينما
وتصبح فيمن برّ لله حجّه | وأصبح في تلك الرياض منعّما
ويا ليت شعري هل أرى طيبة التي | بها طابت الأكوان نجداً وأتهما
وهل تبصر القبر الشريف محاجري | فأصبح فيه منشداً مترنّما
أخاطبه جهراً وأسأل ما أشا | وأرجو حصولَ السؤل منه متّمما
ويسعدني القول البليغ فأثنني | إذا ما نظمت القول فيه تنظّما
وأرجعُ مملوءَ الحقائب غامرا | بما شئتُ من علمٍ وحلمٍ وَمَأْوَمَا
وتخدمني الدنيا وأصبح في غد | لدى رتبة شماء في منزل سما
تحفُّ بي الأملاك من كلّ جانب | لدى جنّة الفردوس فوزاً معظّما
فتربح هاتيك التجارة كلّها | ويغنم مولاها ابتداء ومختما
وأهدي إلى خير الأنام محمّد | سلاماً بعرف الطيّبات مختما

وقال في عين الماضي حين وصل إليها من طريقه، وهي عين ماء غزيرة محتفة بالنبات والأشجار، وعندها قرية مأهولة قد وصف أهلها بمحاسن الأخلاق، واتّصف نساؤها بمحاسن الخلق وحسن العيون على الخصوص، وهذه العين المذكورة واقعة في أرض الجريد ما بين مدينة فاس ومدينة طرابلس الغرب.

عين ماضي بها عيون مواضي | فاعلاتٌ فعلَ السيوفِ المواضي
والتفاتُ الغزالِ لمّا غزالي | صائلاً صولة الأسود المواضي
وقدودٍ تزهو إذا قدّت القلـ | ـب ازدهاء الأغصان بين الرياضِ

قال الشيخ المذكور بعد إيراد هذه الأبيات التي وصف فيها نساء عين الماضي، غير أنّا أخبرنا أنّهنّ لا يستعملن الماء في الاغتسال، لأنه يضر بأبدانهن مهما قطر عليها وسال، وقد ورد علينا سائل بين موجب ذلك وأوضح عذره، قائلاً إنّ ذلك الماء يسقط حمل الحوامل ويذهب من الأبكار العذارة، انتهى.

وله أيضاً:

وردَ الربيعُ فمرحباً بوروده | وبنورِ بهجته ونورِ ورودِهْ
وبحسنِ منظره وطيب نسيمه | وأنيقُ مبسمه ووشى برودِهْ
فصلٌ إذا افتخر الزمان فإنه | إنسان مقلته وبيت قصيده
يغني المزاج عن العلاج نسيمه | باللّطف عند هبوبه وركوده
يا حبّذا أزهاره وثماره | ونبات ناجمه وحبّ حصيده
وتجاوب الأطيار في أشجاره | كبنات معبد في مواجب عوده

والغصن قد كسى الغلائل بعدما أخذت يدا كانون في تجريده
نال الصّبا بعد المشيب وقد جرى ماء الشبيبة في منابت عوده
والورد في أعلى الغصون كأنّه مَلِكٌ تحفُّ به سراة جنوده
وكأنّما الآقاحُ سمط لآلىء هو للقضيب قلادةٌ في جيده
والياسمينُ كعاشق قد شفّه جور الحبيب بهجره وصدوده
وانظر لنرجسه الجنيّ كأنّه طرف تنبّه بعد طولِ هجوده
واعجب لآذر يونه وبهاره كالتبر يزهو باختلاف نقوده
وانظر إلى المنثور في منظومه متنوّعاً بفصوله وعقوده
أو ما ترى الغيم الرقيق وقد بدا للعين من أشكاله وطروده
والسحبُ تعقد في السماء مآتما والأرض في عرس الزمان وعيده
ندبت فشق لها الشقيق جيوبه وازرق سوسنها للطم خدوده

وله وقد أنشدهما في الحجر والحطيم:

هُدِيْتُ إلى الصراط المستقيم فجئتُ لحجة البيت العظيمْ
وعند الحجر قال الحجر أبشرْ فقد حطمت ذنوبك بالحطيم

وله غير ذلك من الأشعار الرائقة، والمكاتبات الفائقة، وكان له الباع الطويل في اللغة والحديث، وكان فرداً من أفراد العالم فضلاً، وذكاء ونبلاً، وله حافظة قويّة، وفضله أشهر من أنْ يذكر، وكانت وفاته بالمدينة المنوّرة سنة سبعين ومائة وألف بتقديم السين، ودفن عند قبر السيدة حليمة رضي الله عنها ورحمه الله وإيّانا.

محمـد:

٦٤٢ ـ محمد بن جماعة بن محمد بدر الدين بن جماعة الكناني القدسي رئيس الخطباء بالمسجد الأقصى والإمام بالصخرة المشرفة: كان من أعيان القدس، فاضلاً عالماً صوفياً حاجاً لبيت الله الحرام، وتوفّي بأراضي الحجاز بعد الحج، وأولاده ثلاثة، الشيخ إسحق، والشيخ عماد الدين، والشيخ بدر الدين، ولم أتحقق وفاته رحمه الله تعالى.

محمد الخليلي:

٦٤٣ ـ محمد الخليلي بن محمد بن شرف الدين الشافعي الخليلي نزيل القدس، بركة الزمان، ونتيجة العصر والأوان، الشيخ الإمام المحدث العالم الفقيه الأصولي الصوفي الدين: كان من أخيار العلماء المشاهير في وقته، وصدور الأجّلاء في تلك الديار وغيرها، ولد ببلدة الخليل، وكان أوان شبابه يتعاطى كسباً دنيوياً لمعاشه الجميل، فحرّكته العناية الإلّهية لمصر الأمصار، بإشارة شيخه العالم العامل الشيخ حسين الغزالي، وبمدد شيخه الشيخ شمس الدين القيسي قطب زمانه نفعنا الله به، وله معه واقعة ملخصّها: أنّه أتاه بإناء يطلب

شيئاً، فقال له الشيخ محمد: أملؤه لك؟ فقال الشيخ شمس الدين: إنْ ملأته ملأناك، فملأهُ له حتى سال من جميع أطرافه، فطلب وجدّ واجتهد وتلقى العلوم عن علمائها، وما زال مشمّر الذيل بها آناء الليل وأطراف النهار، حتى أثمرت نخلاته، وكملت في التحصيل نحلاته، فاستجار شيوخه فأجازوه كتبوا له إجازتهم المستحسنة بما دَرُوْه، ورووه وحازوه، وكان شافعي المذهب، أشعريّ العقيدة، قادري المشرب، فرجع من مصر بدراً تامّ الأنوار، قد فاض نيل نيله المكثار، وأزهر روض فضله المعطار، فسكن بيت المقدس بإذن من الخضر عليه السلام، حيث قال له: اسكن بيت المقدس ونحن أربعون معك يا محمد أينما كنت، وشدّ أزاره ونشر العلوم العقلية والنقلية للطلاب، وكان وعظه يليّن القلوب القاسية، ويأخذ بنواصي النفوس القاصية، وكان حاله الرباني، غالباً على حاله العرفاني، راغباً في الخيرات، مكثراً للبر والصدقات، تشربته قلوب الخواص والعوام، وكان أمّاراً بالمعروف نهّاءً عن المنكر يغلظ على الحكام، مؤيداً للسنة في أقواله، متبعاً لسبلها في أفعاله، كثير الحبّ للفقراء والمساكين، مقبلاً على زوّار المسجد الأقصى والمتقرّبين، قد لبس جلباب التواضع وخلع خلعة النفسانية والعصبية، وهو بإقامة مولاه راض، اجتمعت على حبّه العامة، فكلامه عندهم لا يتوقف فيه أحد من خاصة ولا عامّة، واشتهر أنّ دعوته مستجابة، ومن ذلك أنّه أرسل إلى بعض العرب وقد أخذوا الزيت الذي كان محمّلاً على بعير، وحمارةٌ للشيخ محمد، يقول له البعير: بالأمير والزيت، بصاحب البيت، والحمارة بغاره، فما أصبح الصباح حتى وقع ما وقّع بعين ما قال، وخلت الديار من الفجار، ومن ذلك أنّه دعا على رجلٍ بالشنق فشنق نفسه بنفسه، بأنْ وضع مخدّات تحت قدميه، ثم وضع الحبل في عنقه، وأزاح المخّدات إلى جهة الخلوّ، فكان حتف أنفه، ومن ذلك أنّه دعا على النعامرة حين آذوه في طريق السيد الخليل عليه الصلاة والسلام، بالنّار ورجم الأحجار، فما زال بهم رمي الأحجار وحرق النار في بيوتهم بالليل والنهار حتى أتوه واستعفوه فعفا عنهم، وختم كتاب البخاري مراراً في حضرة سيدنا الكليم موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام، وأمدّه ذلك النبيّ، بمدده الموسويّ، الفائض الهتان، وحين ختمه أنشد فقال:

حمداً وشكراً لربّ أجزل النّعما ... ثم الصلاة على مَنْ قَدْ أزالَ عمى
وإلّه ثم صحبٌ مخلصين بما ... قد أسسوه لدين الله فانتظما
على البخاري وأشياخ له نقلوا ... سحب المراحم تهمى الغيث منسجما
هذا البخاري بحمد الله خالقنا ... في روضة لكليم الله قد ختما
لأنها من جنان الخلد منشؤها ... أزهارها تذهب الأحزان والألما
ومعدن الحبّ فيها والأمان بها ... فتذهب الهمّ للمهموم والسآما
ما جاءها قطّ مهموم فعاد به ... بل المسرّات ممن أبدع النسما

وهي تسعة وأربعون بيتاً، وكان قرأ البخاري أيضاً لما زار حضرة خليل الرحمن،

وأولاده سكان الغار منهل الظمآن، وعند ختمه أنشأ قصيدة ابتهالية تتضمن مدحاً للبخاري وهي هذه:

الحمدُ لله مَنْ قَدْ أوجدَ الأمما ... وخصَّ من شاء خيرات وزِدْ كَرَما
هـذا كتابُ رسـول الله قـد ختمـا ... هو البخاري بكلّ الخير قد وسما
فـي روضـة لخليـل الله نسبتهـا ... كـأنّهـا جنّـة الفـردوس كيـف ومـا
فيهـا أبـو الرّسـل والأنبيـاء قـاطبـة ... في وسطها منه كل الخير قد رسما
والسيـد إسحـق لا تنسـى مهـابتـه ... من فوق رأس خليل الله قد علما
يعقوبُ قد قابل الأصلين في كرم ... كـي يظهـر الفـرق للـزوّار والعظمـا
صدّيقهم يوسف قد جاور الكرما ... لكون موسى له بالنقل قد حكما
وسـارة هـي أم الـرسـل أجمعهـا ... قد قابلت بعلها من أسس الكرما
وربقـة قـابلـت إسحـق فـي نسـق ... ولبقـة بعلهـا يعقـوب ذا الكـرمـا
فهل ترى روضة في الأرض أجمعها ... قـد شـابهـت هـذه كـلاّ ولا علمـا

وهي طويلة جداً، وفي بعض زياراته لحضرة الكليم وقعت له قصة، وهي ما حكاه عن نفسه بقوله: ومما وقع لنا مع جناب موسى عليه الصلاة والسلام، أنّي نزلت لزيارته ليلاً فأخذت أقرأ دلائل الخيرات في الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، فختمتها، ثم شرعت فيها ثانياً، فعرض لي أنْ الأولى إشغال الوقت بالصلاة والسلام على موسى وهارون، فأخذتُ أقول اللّهم صلّ على موسى وأخيه هارون، فسمعتُ صوتاً فصيحاً من القبر الشريف: عصبةُ النسب مقدمة على عصبة الولاء، ففهمتُ المراد، والمعنى أنتم منسوبون لمحمد كعصبة النسب لقوله ﷺ أمتي عصبتي ولغيره كعصوبة الولاء، وعصبة النسب مقدّمة على عصبة الولاء، فرجعت إلى دلائل الخيرات، فثبتَ عندي بهذه الواقعة فائدتان أدبُ سيدنا موسى مع سيدنا محمد، وكونه في قبره المشهور، وله قصة أخرى مع سيدنا إبراهيم الخليل وهي: أنّ رجلاً من الوزراء يقالُ له ناصوح جاء إلى مدينة إبراهيم الخليل عليه السلام، قال: فتخيلت منه إرادة الانتقام من أهلها، فذهبت مع جماعة منهم شيخنا الشيخ حسن الغزالي لجنابه الشريف، وجعلت أستغيث به، ففي تلك الليلة رأى رجل من أصحابنا يقال له الشيخ محمد الغزالي المترجم في رحلة سيدي عبد الغني مكتوباً جاء من رسول الله ﷺ فيه: من محمد بن عبدالله ورسوله إلى جدّه الأعظم، ارفع هذه الغمّة، فأقلع الوزير ولم يحصل على شيء، وكان المترجم مجاب الدعوة تهابه الأعراب والأعيان ولا يخالفون له أمراً، وبالجملة فقد كان نادرة الزمان، ونتيجة العصر والأوان، ولم يزل على هذه الحالة الحسنة إلى أن مات، وكانت وفاته في سنة سبع وأربعين ومائة وألف ودفن بمدرسة البلدية، ورثاه تلميذه العارف السيد مصطفى البكري بقوله:

أيها الذاتَ في حمى الذات قيلي ... فلقـد لـذّ لـي لـديهـا مقيلـي
واطربي واعربي عن السر إذ ما ... لـكِ منّـا أتـى إليـه وكيلـي

وهي طويلة جداً مذكورة في ديوان الأستاذ المرقوم اقتصرنا منها على المطلع.

الوزير محمد باشا:

٦٤٤ ـ الوزير محمد باشا والي الشام ابن مصطفى بن فارس بن إبراهيم، وجدّه لأمّه الوزير الشهير إسماعيل باشا الدمشقي الشهير بابن العظم، الوزير الكبير، صاحب الرأي السديد والحزم والتدبير، كريم الشيم والأصول، ومن جمع من أنواع المزايا، وشرائف السجايا، وبدائع الكمالات ما لا تحيط به العقول:

ذا وزير لم يألُ في النصح جهدا ظلّ يسعى بكلّ أمر حميد
ومتى عدّ آل عثمان جمعا يا لعمري فذاك بيت القصيد

كان من رؤساء الوزراء عفة وكمالاً وعدلاً وديناً وسخاء ومروءة وشجاعة وفراسة وتدبيراً، وكان واسع الرأي مهاباً، بحيث إنّه يتفق فصل الخصومة بين الشخصين بمجرد وقوفهما بين يديه، ونظره لهما ينقاد المبطل منهما للحق، وهذه المزية قد استأثر بها، وكان يحبّ العلماء والصلحاء والفقراء، ويميل إليهم الميل الكلي، ويكرمهم الإكرام التام باليد واللسان، ذا شهامة وافرة، وشجاعة متكاثرة، وحرمة واحتشام، وكمال مشهور في الأنام، طاهراً من كل ما يشين، مشغول الأوقات إما بفصل الخصومات بين المسلمين، أو بتلاوة كتاب الله المبين، أو بالصلاة على سيد المرسلين، أو اصطناع يد أو إسداء معروف إلى أحد من المساكين، لم تسمع عنه زلة ولم تعهد له صبوه، ولم يوقف له على كبوة ولا هفوة، ميمون الحركات والسكنات، مسعوداً في سائر الأطوار والحالات، بحيث إنّه لم يتفق له توجه إلى شيء إلاّ ويتمه الله له على مراده، ولم يتعاص عليه أحد إلاّ ويكون هلاكه على يديه، ولد بدمشق في عاشر شوّال سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف وبها نشأ، وقرأ وحصل، وبرع وتنبل، ثم ذهب إلى حلب سنة ثلاث وستين ومائة وألف مع خاله الوزير الشهير سعد الدين باشا لما وليها، ودخل معه طرابلس مرات، ثم استقام بدمشق وعكف على تحصيل الكمالات، إلى أنْ بلغ السلطان مصطفى ابن السلطان أحمد خلد الله ظلال دولتهم في الأنام وفاة الوزير سعد الدين باشا فنظر إلى المترجم بأنظار اللطف، وأنعم عليه برتبة أمير الأمراء بروم أيلي مع عقارات خاله الوزير أسعد باشا الشهير، فترقّى بذلك أوج السعادة، وبعد برهة من الزمان أنعم عليه برتبة الوزارة، فأتت إليه منقادة، مع الإنعام بمنصب صيدا، وذلك سنة ست وسبعين ومائة وألف، وأرّخ له ذلك العالم الأديب الشريف صالح بن عبد الشافي الغزاوي نزي دمشق بقصيدة طويلة تاريخها قوله:

شباك العلا صادت لمجدكم صيدا

فنهض من دمشق إليها وسار السيرة الحسنة بين أهليها، ثم انفصل عنها وولي حلب فدخلها رابع عشري شعبان سنة سبع وسبعين ومائة وألف، وكانت حلب مجدبة ولم يصبها

المطر، فحصل بيمن قدومه كثرة أمطار، ورخاء أسعار، ونموّ زروع، وعامل أهلها بالشفقة والإكرام، ورفع عنهم من البدع ما كان ثلماً في الإسلام، فأثلج بذلك الصدور، وأحيا معالم السرور، منها إزالة منكر كان قد حدث بها سنة إحدى وسبعين ومائة وألف، وذلك أنّه جرت العادة في بعض محلاتها أنْ تفتح حانات القهوة ليلاً، وتجتمع بها الأوباش إلى أنْ زاد البلاء، وفجرت النساء، مع ما ينضم إلى ذلك من شرب الخمور وفعل المنكرات، وأنواع الفساد، فحانت التفاتة من صاحب الترجمة في بعض الليالي من السطح إلى ذلك، فقصد مختفياً وأزاله، وفي ثاني يوم أمر بإزاءة هذا المنكر ونبّه على أنْ لا تفتح الحانات ليلاً أبداً، فطوى بسبب ذلك بساط الفجور، وانجلى من ظلمة المعاصي الديجور، ومن جملة ما رفعه من المظالم بحلب حين توليه لها بدعة الدومان عن حرفة الجزارين، التي أوغرت صدور المسلمين، وكان حدوثه بها سنة إحدى وستين بعد المائة والألف، والدومان: اسم لمال يجتمع من ظلامات متنوعة يستدان من بعض الناس بأضعاف مضاعفة من الربا، ويصرفه متغلبو هذه الحرفة في مقاصدهم الفاسدة، وآرائهم الكاسدة، وطريقتهم في وفائه أنْ يباع اللّحم بأوفى الأثمان للناس من فقراء وأغنياء وتؤخذ الجلود والأكارع والرؤوس والكبد والطحال بأبخس ثمن من فقراء الجزارين جبراً وقهراً، كل ذلك يصدر من أشقياء الجزارين ومتغلبيهم، إلى أنْ هجر أكل اللّحم الأغنياء فضلاً عن الفقراء، وأعضل الداء، واتفق أنّه في سنة ست وسبعين كان قاضياً بحلب المولى أحمد أفندي الكريدي، فسعى في رفع هذه البدعة، فلم تساعده الأقدار، فباشر بنفسه محاسبة أهل هذه الحرفة الخبيثة ورفعها، وكتب عليهم صكوكاً وثائق، وسجّلها في قلعة حلب، فلما عزل عاد كل شيء لما كان عليه، فلما كان أواخر محرم سنة ثمان وسبعين قبض صاحب الترجمة على رئيسهم كاورحجي وقتله، وأبطل تلك البدعة السيئة، وصار لأهل حلب بذلك كمال الرفق والإحسان، وامتدحه أدباؤها بالقصائد البديعة، فمن ذلك ما قاله الشهاب أحمد الشهير بالوراق:

أَعُــرْف البــان أمْ نفــح الــورود ... أطيــب المســك أمْ أنفــاس عــودْ
أروض مــرّ سجســاج عليــه ... فنــم بســرّه غــب الــورود
أمْ الأزهــار أيقظهــا نسيــم ... فضــاعــت بــالشــذا بعــد الـرقــود
وقــامــت تـرقـص الأزهـار زهـوا ... بــأدواح الســرور لــدى السعــود
ويــاكــرهــا السحــاب بنقــط درّ ... يفــوق بحسنــه نثــر العقــود
وغنّتنــا العنــادل كــلّ لحــن ... بــاعــراب ولا عبــد الحميــد
ووافـى الأنـس مـن كـل النّـواحي ... فخلنــا الــدّهــر قــد وافــى بعيــد
وحيّـانــا المنـى مـن حيـث قـرّت ... عيــون قــد عفــت طيــب الهجــود
كــأنّ الله جــلّ عــلاه حيــا ... عــواصمنــا بكــل سنــا حميــد
وألبسهــا الفخــار ثيــاب عــز ... تتيــه بــه علــى شــرف النّجــود
كــأنّ ظــلامهــا صبــح منيــر ... بــروض وارف خضــل نضيــد

كـأنّ الشمـس تحكـي بـابتهـاج ... كمـالاً وجـه واليهـا السعيـد
محمـد الـوزيـر الشهـم طـالـت ... أيـاد منـه بـالفضـل المـديـد
وزيـر لـم يـزل أسـداً هصـوراً ... علـى الأعـداء يقمـع للعتيـد
رقـى رتـب الكمـال مـن المعـالي ... وحـاز السبـق بـالـرأي السـديـد
لـه فـي قلـب مـن نـاواه خـوف ... يشيـب لهـولـه رأس الـوليـد
ومـن والاه فـي دعـة وأمـن ... يـزيـل عنّـا القطيعـة والصـدود
لـه همـم كبـار لا تبـاري ... وأخـلاق زكـت وحجـا رشيـد
وآراء حسـان نـمّ عنهـا ... جميـل الفعـل فـي الـزمـن الكنـود
مقـل رايـة المعـروف حـامـي ... ذمـار الفضـل والفخـر المجيـد
فـإنـي مثلـه فـي كـل أرض ... يحـاكـي مجـد سـؤدده الـرغيـد
سـرت بثنـائـه العـالـي حـداة ... بـوصـف راق فـي زمـن المهـود
حـوى القـدح المعلّـى غيـر ثـان ... عنـان المجـد عـن كـرم الجـدود
فمـن كـانـت خـؤلتـه أسـودا ... رأيـتُ بـذاتـه شيـم الأسـود
ومـن وفـى المعـالـي مهـر مثـل ... لـه دانـت علـى رغـم الحسـود
ومـن يـذكـو أريـج الخيـم منـه ... زكـا فعـلاً ووفّـى بـالعهـود
ومـن يبـغ المكـارم لا يبـالـي ... بمـا يـوليـه مـن كـرم وجـود
ومـن هـانـت عليـه النفـس نـالـت ... يـداه مـا يـروم مـن الـوجـود
ومـن يطـع الإلـه ينـل مـرامـا ... ويحـرز مـا يسـرّ مـن المجيـد
ومـن يـرد اكتسـاب الحمـد تنـأى ... مطـامعـه عـن الأم البعيـد
ومـن يـول الجميـل لكـل عـاف ... ينـل حمـداً مـع المـدح المـزيـد
فـذا الـدستـور أضحـى كـل خيـر ... يلـوح بـوجهـه الضـاحـي السعيـد
أتـى الشهبـا فشـرّفهـا قـدومـا ... فـأبهـج مـا علـى وجـه الصعيـد
وأحيـا رسمهـا العـافـي فصـارت ... رحـابتهـا بكـلّ هنـا جـديـد
وبشّـر أهلهـا بـزوال بـؤس ... وأكـدار بـإبقـاء السعـود
وأهلـك للبغـاة بكـل عضـب ... صقيـل مـذهـب نفـس العنيـد
وأهـدى الأمـن للطـرقـات حتـى ... أنـام قطـاتهـا بعـد الهجـود
وغلّـق فـي الـدجـى أبـواب سـوء ... هـي القهـوات مـأوى للـوغـود
وأرهـبَ كـل بـاغيـة فـولّـت ... علـى خـوف بهـا بثيـاب سـود
وأذهـب بـدعـة الـدومـان تسمّـى ... بخسـر مـؤلـم كبـد المـريـد
فكَـمْ ذُبـحَ الفقيـرُ بغيـر جـرم ... بسكيـن المظـالـم والحقـود
فيـا حصـنَ الأنـام بقيـتَ دهـراً ... معـافـى بـالطـريـف مـع التليـد
لتـرقـى بـالكمـال إلـى محـل ... إلـى العليـاء راق مستـزيـد

وتحيا في رضا يولي سروراً جديداً دائماً مرّ الجديد
وتعلو فوق هامة كل ضدّ سنابك خيل عسكرك الشديد
وتبقى أعين الرحمن تولى علاك الحفظ من خطب مبيد
فخذها يا أبا الأشبال بكرا أبت إلاّ حماك لدى الوفود
على عجل مشت تبغي قبولاً من السمع الكريم لدى النشيد
فألثمها يديك وجرّ ذيلاً على هفوات ذي عجز عميد
ودم في ذروة المجد المعلى كبدر التم في شرف الصعود

١١٧٨ ٧٣١ ١٣٣ ٣١٤

وتبعه الأديب الجمال عبدالله اليوسفي الشهير بالبني، وعقد قوله ﷺ اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله بقوله:

داعي الهنا (قال) لنا تبيانا أمراً ونهياً (اتقوا) إعلانا
حيثُ (رسولُ) الحق قد بشّرنا فيمن حبى (فراسة) عيانا
يحظى بنور (الله) في أحكامه بقلبه (المؤمن) حيثُ كانا
فتنجلي (عليه) أسرار غدت ناطقة (فإنه) أحيانا
محمد (أفضل) عادل يرى بالضعفاء (ينظر) استحسانا
فإنهم غب (الصلاة) يسألو ن من (بنور) الحق قد هدانا
يبقى دواماً (والسلام) لم يزل له من (الله) لما أولانا
لأنه خير وزير أرّخوا خلوصه قد أهدر الدومانا

ثم إن المترجم المزبور، ضوعفت له الأجور، عزل من حلب في منتصف شوال سنة ثمان وسبعين وولي أيالة الرهاء، المعروفة بأورفة، فاستقام بحلب إلى ورود المنشور بذلك سابع عشر ذي القعدة من السنة المرقومة، فنهض إليها ودخلها سلخ ذي القعدة المرقوم، ولم تطل إقامته بها فعزل عنها وولي أيالة آدنة، فنهض منها واجتاز بحلب ودخلها في المحرّم سنة تسع وسبعين، ونزل بتكيّة الشيخ أبي بكر، وتوجّه إلى آدنة فقبل وصوله إليها ولي إيالة صيدا، فكرّ راجعاً إلى صيدا ودخلها في أوائل صفر من السنة المرقومة، ثم عزل عنها وأعطي قونية، ثم ولي الشام وإمارة الحاج الشريف بعد الوزير عثمان باشا، فدخلها في شهر رجب سنة خمس وثمانين ومائة وألف، وصار لأهلها به كمال الفرح والسرور، وسلك سبل العدل وتردّى برداء الأنصاف، ثم عزل عنها في ربيع الأوّل سنة ست وثمانين وأعطي قونية، ثم أعيد إلى ولاية دمشق وإمارة الحاج في سنة سبع وثمانين، وأقبل على أهلها بكمال الإكرام، ووفور الاعتناء التامّ، وكانت أيامه بها مواسم أفراح، واستمرّ واليها إلى وفاته كما سيأتي، وراج في أيامه سوق الشعر، وأغلى منه القيمة بين الأدباء والسعر، فمدحه الشعراء بالقصائد الطنّانة، وكانت أيامه مواسم إقبال، وأهلك الله على يديه جملة من

الخوارج، منهم علي بن عمر الظاهر الزيداني قتله في رمضان سنة تسع وثمانين، وصالح العدوان من بغاة المشايخ، ومرعى المقدّاني الشيعي، وغيرهم من البغاة وقطاع الطريق، وراقت دمشق وما والاها في أيامه وصفا، لأهلها العيش ونامت الفتن، وسلم الناس من الإحن، وبنى بدمشق آثاراً حسنة صار بها ارتفاق للمسلمين، منها السوق الذي بناه بقرب داره تجاه القلعة الدمشقية عند المدرسة الأحمدية، وكان الشروع في عمارته في أوائل جمادى الأولى سنة خمس وتسعين، وبنى فيه لصيق البوّابة الموصلة إلى داره العامرة سبيلاً لطيفاً محكماً، وأجرى إليه الماء من نهر القنوات، وعمل للضريح اليحيوي في الجامع الأموي كسوة من الديباج المقصب عظيمة، وكذلك أمر بأنْ يصنع لضريح الأستاذ الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي قدّس الله سرّه تابوتاً من النحاس الأصفر، ويوضع على قبره، وعمّر غالب ضرائح الأنبياء والأولياء والصحابة بدمشق وما والاها من البلاد، وبنى في طريق الحاج الشريف قلعة لبئر الزمرد، واصطنع فيه آثاراً جميلة، وعمّرت في أيامه دار خزينة السراي بدمشق، وتم بناؤها في أواخر محرم سنة ست وتسعين، وعمل لذلك تاريخاً الشيخ نجيب بن محمد العطار الدمشقي فقال:

قد شاد ليث العرم دار سعادة ... فأضاءَ فيها عدله المتأبّد
وأقام لألاء السرور مبشّراً ... ببقائه فيها بنصر يحمد
والسعد أرّخ حكم دار سعادة ... أبداً يوطده الوزير محمد

١١٩٦

وبنى الجهة القبلية في السراي المرقومة جميعها على أكمل بناء، وأحكمه، وهذا البناء كان قبل ذلك في شعبان سنة تسعين ومائة وألف بمباشرة جعفر أغا أمين الجاويشية، وبنى محكمة الباب وجدّدها بعد أن تهدّم غالبها، وصرف على ذلك نحو ثلاثة عشر ألف قرش، وكان القاضي العامّ بدمشق إذْ ذاك المولى السيد محمد طاهر محمود أفندي زاده فنقله المترجم منها إلى دار بني الترجمان قرب القلعة الدمشقية، وهناك صار مجلس القضاء إلى أن تم بناء المحكمة فأرجعه إليها، وكان رحمه الله تعالى له مبرّات كلية، وصدقات جلية وخفية، خصوصاً لمن أدركهم الفقر من ذوي البيوت وأهل العلم بدمشق، فكان يتفقد أحوالهم ويبرّهم ويكرم نزلهم، وله عطايا جزيلة كل سنة للعلماء وأهل الصلاح والدين، وإغاثة كلية للضعفاء والمساكين، طاهر الذيل واللسان واليد من كل ما يشين، ومدح من أدباء دمشق بالقصائد العديدة التي لو دوّنت لبلغت مجلدات، وكان يجيزهم على ذلك الجوائز السنية، وكانت أوقاته مصروفة في أنواع القربات من تلاوة قرآن واشتغال بالصلاة على النّبي ﷺ، أو رفع ظلامة عن مظلوم أو تنفيس كربة عن مكروب.

وبالجملة فهو أحسن من أدركناه من ولاة دمشق وأكملهم رأياً وتدبيراً، ولم يزل على أحسن حال وأكمل سيرة، حتى توفي بدمشق، وهو والٍ عليها، وكانت وفاته قبيل طلوع

شمس يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الأولى سنة سبع وتسعين ومائة وألف، وتمرّض أياماً قلائل، واجتمعت الأعيان والرؤساء بداره التي ابتناها لصيق المدرسة القجماسية جوار سوقه المقدّم ذكره، فغسّل بها وخرجوا بجنازته على السوق الجديد حتى وصلوا به إلى الجامع الأموي، فوضعت تجاه ضريح سيدنا يحيى، وتقدّم للصلاة عليه المولى أسعد أفندي الصديقي المفتي، ثم حمل بمجمع عظيم لم يتخلف عنه أحد من أهل دمشق من الرجال والنساء، وخرجوا بالجنازة على سوق جقمق، ودفن بتربة الباب الصغير شمالي ضريح سيدنا بلال الصحابي الجليل، وعمل على قبره تحجير لطيف، وكثر الأسف عليه وجرت لذلك العبرة، رحمه الله تعالى وجعل في الفراديس العلية مقرّه.

محمد بن محمد الطيب المالكي:

٦٤٥ ـ محمد التافلاتي الحنفي التافلاتي المغربي مفتي القدس الشريف علامة العصر الفائق على أقرانه من كبير وصغير: وله الفضل الباهر، وكان في الأدب الفرد الكامل له الشعر الحسن مع البداهة في ذلك وسرعة نظمه، وذكاؤه يشق دياجر المشكلات، ولد بالمغرب الأقصى، وحفظ القرآن على طريق الإمام الداني وهو ابن ثمان سنين، ثم اشتغل في حفظ المتون على والده، وكان والده متوسطاً في العلم بين أماجده، وقرأ عليه الآجرومية، وعلى الشيخ محمد السعدي الجزائري السنوسية، ومنظومة في العبادات مختصرة في المسائل الفقهية، ودرّس السنوسية للطلاب قبل أوان الاحتلام، ورحل من بلاده في البر إلى طرابلس الغرب، وما وجبتْ عليه صلاة ولا صيام، ومن طرابلس ركب البحر إلى الجامع الأزهر، فطلب العلم بمصر سنتين وثمانية أشهر، وأخذ عن شيوخه الآتي ذكرهم، ثم سافر لزيارة والدته في البحر فأسره الفرنج وذهبوا به إلى مالطة مركز الكفر، ثم نجّاه الله تعالى بعد سنتين وأيام، وناظرته رهبان النصارى مناظرة واسعة، وكان فيهم راهب له دراية بالمسائل المنطقية والعربية، ويزعم أنَّ همته بارعة، وكانت مدة المناظرة نحو ثمانية أيام، فأخرسهم الله وأكبتهم ووقعوا في حيص بيص، وأُلجموا بلجام الإلزام، فمن جملة مناظرتهم معه في ألوهية عيسى أنْ قال كبيرهم: يا محمديّ إنّ حقيقة عيسى امتزجت مع حقيقة الإلّه فصارتا حقيقة واحدة، قال: فقلت له: لا يخلو الأمر فيهما قبل امتزاجهما، إما أن تكونا قديمتين أو حادثتين، أو إحداهما قديمة والأخرى حادثة، وكل الاحتمالات باطلة، فالامتزاج على كل الاحتمالات باطل، أما على الأول فإن الامتزاج مفض للحدوث قطعاً، لأنه تركيب بعد إفراد، وكل تركيب كذلك لا محالة حادث، والحادث لا يصلح للألوهية، وأما الثاني فظاهر البطلان، وأما الثالث بوجهيه فباطل أيضاً لأن القديمة منهما بعد الامتزاج يلزم حدوثها، والحادثة منهما بعده يلزم قدمها، فيؤدّي إلى قلب الحقائق وقلبها محال، ويلزم أيضاً اجتماع الضدّين وهو باطل باتفاق العقول، ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا في هذا الطريق، قال لي كبيرهم: عقولنا لا تصل لهذا الأمر الدقيق، فقلت له: هذا

عندنا من علوم أهل البداية، لا من علوم أهل النهاية، فبهت الذي كفر وعبس واكفهر، ثم قلت لكبيرهم: بالله عليك أعيسى كان يعبد الصليب؟ قال: لا، وإنما ظهر الصليب بعد قتله على زعمهم، ونحن نعبد شبيه الإلّه فقلت له: بالله عليك الله شبيه؟ قال: لا، فقلت له: يجب عليكم حرق هذه الصلبان بالزفت والقطران، فاستشاط غيظاً وقال لي: كنت أوقعك في المهالك واجعلك عبرة، لكنّ الله أمرنا بحب الأعداء، فقلت له: لكن الله أمرنا ببغض الأعداء فقال لي: إذاً شريعتنا كاملة، فقلت له، على طريقة الاستهزاء: شريعتكم كاملة لأنها تعبد الأصنام والصلبان! وشريعتنا ناقصة لأنها تعبد الله وحده لا شريك له! فاشتدّ غضبه حتى كاد أن يبطش بي ولكنّ الله سلم لمزيد اللطف بي، ثم إنّ كبيرهم قال لي: يا محمديّ إنّي رأيت في كتبكم الحديثية إنّ نبيكم انشقّ له القمر نصفين، فدخل نصفه من كَمّ ونصفه من الكمّ الآخر، وخرج تامّاً من جيب صدره، ومساحة البدر مثل الدنيا ثلاث مرات وثلث، وهي ثلاثمائة وثلاث وثلاثون سنة وثلث، فما هذه الخرافات! فقلت له: أما ورد أنّ إبليس جاء لسيدنا إدريس وهو يخيط بالإبرة وبيده قشرة بيضة، وقال له: أيقدر ربّك أنْ يجعل الدنيا في قشرة هذه البيضة؟ فقال لي: نعم ورد ذلك، فقلت له: كيف يقدر؟ فقال إمّا أنْ يكبر القشرة أو يصغر الدنيا، فقلتُ له سبحان الله تحلّونه عاماً وتحرّمونه عاماً، وإذا سلمتَ هذا فلم لا تسلمه لنبيّنا؟ فغصّ بريقه واصفر، وعبس وتولّى فقتل كيف قدّر، وهذا الجواب منّي من باب إرخاء العنان للإلزام، وإلاّ فدخول نصفي البدر في الكُمَّيْن باطل عند جميع المحدّثين الأعلام، لكن كبيرهم لا يعرف اصطلاح علمائنا ذوي المقام العالي، فلو أجبته ببطلانه لقال لي رأيته في كتبكم فلا يصغي لمقالي، فلذلك دافعته بالبرهان القطعي العقلي، لأنه لا يمتثل بعدما رآه للدليل النقلي، ثم إنّ كبيرهم في ميدان البحث أنكر نبوّة نبيّنا السيد الكامل وقال: إنّه عندنا ملك عادل، فقلت له: ما المانع من نبوّته؟ فقال: نحنُ لا نقول بها، وإنّما نقول بشدّة صولته، فقلت له: أليس النبيّ الذي أتى بالمعجزات وأخبر بالمغيبات؟ فقال كبيرهم: أيّ معجزة وأتى بها وأيّ مغيبات أخبر بها؟ فسردتُ له بعض المعجزات وأعظمها القرآن، وذكرت له بعض المغيبات، فقال لي: رأيتُ البخاري من علمائكم ذكر بعضها، ثم قال لي: إنّما علّمه ذلك الغلام، يشير لقوله تعالى: ﴿إنما يعلمه بشر﴾ فقلتُ له: بالله عليك لسان ذلك الغلام ماذا؟ قال: أعجمي فقلت له: بالله عليك لسان نبينا ماذا؟ قال: عربي، قلت له: بالله عليك نبيّنا يقرأ ويكتب أم أمّي؟ قال: أمي لا يقرأ ولا يكتب؟ فقلت له: بالله عليك هل سمعت عربياً يتعلم من عجمي؟ قال: لا، فأفحم في الجواب، وانقطع عن الخطاب، ثم قال لي: كيف يقول قرآنكم يا أخت هارون وبينه وبينها ألف من السنين؟ فقلت له: أنت أعجمي لا تعرف لغة العرب كيف مبناها، فقال لي: وكيف ذلك؟ فقلت له: يطلق الأخ في لغتهم على الأخ النسبي، وعلى الأخ الوصفي، والمراد هنا الثاني، ومعنى الآية: يا أيتها المتّصفة عندنا بالعفّة والديانة والعبودية مثل هارون الموصوف بتلك الصفات الكاملة، وهذا المعنى في لسان العرب شائع، وفي مجاراتهم ومجاري

أساليبهم ذائع، فوقف حمار الشيخ في الطين، ولما رآني صغير السنّ وكان سنّي إذْ ذاك نحو تسع عشرة سنة، قال لي: تصلح أنْ تكون مثل ولد ولدي فمن أين جاءتك هذه المعرفة التامة؟! فقلت له: جميع ما سألتني عنه هو من علوم البداية، ولو خضتَ معي في مقام النهاية لا سمعتك ما يصمّ أذنيك، وفي هذا القدر كفاية، فترك المناظرة ورجع القهقرى، وشاع صيتي في مالطة بين الرهبان والكبراء، وكنتُ إذا مررت في السوق يحترموني، وما خدمت كافراً قطّ، وكان سبب خلاصي رؤيا مبشّرة، من يومها ركبت سفينة النجاة متوجّهاً لإسكندرية، ثم منها لمصر القاهرة، ثم سافرت للحجاز مراراً، ودخلت اليمن وعمان البحرين والبصرة وحلب ودمشق، وتوجّهت للروم، ثم ألقيت عصا التسيار، في بيت المقدس العطير الأطوار، وجاءتني الفتيا وأنالها كاره، وأنشد قول من قال:

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدّته | على طرف الهجران إنْ كان يعقلْ
ويركبُ حدّ السيف من أنْ تضيمه | إذا لم يكن عن ساحة السيف مزحل

وتمثلت ببيتي امرىء القيس وهما:

بكـى صـاحبـي لمـا رأى الـدرب دونـه

ولما وصلت للروم باب المراد، وتمتعت بتلك المهاد، متوّجاً بتاج فتوى الحنفية إلى القدس الشريف الرفيعة العماد، وعزل مراراً وأخذ عن أجلاء، منهم الشمس محمد بن سالم الحفني، وعلى أخيه الشيخ يوسف الحفني، والشيخ أحمد الملوي، وعن الشيخ علي العروسي، والسيد محمد البليدي بفتح الباء، والشيخ أحمد الجوهري، والشيخ أحمد الأشبولي نزيل الحرم المكي، والشيخ أحمد الدمنهوري، والشيخ عمر الطحلاوي، والشمس محمد العمادي، والشيخ عبد الرحمن اللطفي، وغيرهم ناس كثيرون، وأما تصانيفه فإنّها ناهزت الثمانين ما بين منظوم ومنثور، وكتب ورسائل في فنون شتى، وأما نظمه فهو رائق جدّاً، فمنه قوله، وكتب به لبعض أحبابه مذّيلاً على بيت امرىء القيس:

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزلِ | بسقط اللّوى بينَ الدخول فحوملِ
قفـا بـربـوع العـامـريـة إنّنـي | كلفت بها من حين عهد التحمّلِ
ولوذا بها ثم انشقا طيب عرفها | وقصّـا حـديثـاً لـلأسيـف المعلّـل
فيا سائق الأظعان يطوي فدا فدا | إلى دوحة الجرعا رويدك فأنزل
بجيرة نجد سادة الحيّ كم روت | ثقاة لهم طيب الحديث المسلسل
فـديتهـم مـن جيـرة لا عَـدِمْتهـم | حمـاة زمـام للنـزيـل المملمـل
لنـارهـم تعشـو السـرات وتـرتـوي | بحوضهم الأصفى على كل منهل
سقتهـم غـديقـات التهـانـي كـرامـة | وأخصـب واديهـم بنـدّ ومنـدل
ونادى بشوق مُذْ غدا الركب سائلاً | قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

فأجابه بقوله:

لـك الله يـا حـادي الـركـاب مغلساً ... إلـى الحـرم القـدسـي رويـدك فـانـزلِ
وروّي نفـوسـاً بـالمقـام ولا تقـل ... قفـا نبـك مـن ذكـرى حبيـب ومنـزلِ
ودعنـا علـى بسـط المسـرّة والصفـا ... بسقـط اللّـوى بيـن الـدخـول فحـومـل
وروّح فـؤادي بـالـوصـال هنيّـة ... بمشهـد مـولانـا الـوجيـه المكمـل
حـديقـة فضـل بـالمعـارف أثمـرت ... وشمـس جمـال بـالمحـاسـن تنجلـي
بـديـع بيـان فـي احتكـام تصـرّف ... بـإجمـال تفصيـل وتفصيـل مجمـل
قضـايـا عـلاه بـالكمـال تسـوّرت ... ببـرهـان فضـل عـن قيـاس مخصـل
يحـنُّ اشتيـاقـاً والهـاً متـولّعـا ... إلـى المـربـع السـامـي بـدومـة جنـدل
أراع فـؤادي بـالنّـوى وحـديثـه ... وسلسـل دمعـي بـالحـديـث المسلسـل
وأحـرمنـي طيـب المنـام وإنّـه ... تسلّـم قلبـي قبـل يـوم التـرحّـل
فيـا أيهـا المـولـى الـذي حـاز سيـرة ... تـرقّـق بصـبّ بـالبعـاد مبلبـل
ولاطفـه إنْ حـان الـوداع تكـرّمـا ... وروّق لـه كـاس الحـديـث وعلـل
وإنْ فزت بالمسرى إلى الحي والحمى ... ونحـتَ بـه فـامنـن بحسـن التـرسـل

وللمترجم:

لهفـي علـى وادي العقيـق وبـانـه ... وعـريـب نجـد أحكمـوا تـوثيقـي
شـام الحـداة الأبـرقيـن فـأرعـدت ... منـي الجـوانـح مـن لظـى التفـريـق
يـا جيـرة لكـم السيـادة إنّنـي ... أرجـو اصطبـاري مبـرد التشـويـق

وله أيضاً:

إنْ لاح بـرق الغـور أوهـب الصبـا ... أو صـاحَ ورق بـالأرائـك تصـدحُ
أو رنّـم الحـادي الـركـاب مهيمـا ... فدموع جفني كالسحائب تسفح
ما لي وللواشي العذول وفي الحشا ... يـوم النـوى نـار الصبـابـة تسـرح

وكتب إليه بعض أحبابه بقوله مضمناً:

لـربـك سـرّ قـد خفـا كنـه أمـره ... علـى كـل غـوّاص نبيـل مسـدّدِ
فكـم عـازم والحـق ينقـض عـزمـه ... وكم غافل والسعد وافى بمسعد
فسلّـم لـه مـا شـاءه فهـو عـالـم ... وإيـاك والتـدبيـر فـي كـل مقصـد
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ... ويـأتيـك بـالأخبـار مـن لـم تـزوّد

فأجابه بقوله:

شهـدنـا خفـايـا السـرّ منـه حقيقـة ... بحسـن تـلاقينـا علـى غيـر مـوعـد
علمنـا بـه صـدق المـودّة والـوفـا ... نتيجـة حـق قـد خلـت عـن تـردد

وهـا قـد بـدت منـي إليـك بشـارة ... تحـوز بهـا العليـاء فـي كـل مشهـد
فـلا زالـت الأيـام تهـديـك منحـة ... بتحقيـق آمـال وإبـلاغ مقصـد

وللمترجم مضمناً:

أرومُ وقد طال النّوى طيب نظرة ... وأستخبر الرّكبان من كل وجهةٍ
وأستعطف الأيام كيما تجود لي ... بحسن اتصال في خيام العشيرةِ
وفي كبدي حراء هاج لهيبها ... ومن فرط ما ألقى جرت عين عبرتي
على أنّني للدّهر أغفر ما جنى ... وأنشدُ بيتاً يقتضي حسن وصلتي
وكل الليالي ليلة القدر إنْ دنت ... كما أنّ أيام اللّقا يوم جمعةِ

وله من قصيدة:

فؤادي بنار الشوق يصلي ويضرم ... ودمعي وحق العهد بالسفح عندمُ
ونار الغضا قد أججّت بجوانحي ... على حبّه والسقم عني مترجم
أراقب نجماً في الدّجى نابذ الكرى ... ولو شئته ما كان للجفن ينعم
كأنّ جفوني بالسما قد تشبثت ... كأنّ ليالي الوصل بالصدّ ترغم
أمِنْ مبلّغٍ عنّي سعاداً تحيّة ... بسفح النقا والحبّ فيها محكم
سبت مهجتي لما أصابت حشاشتي ... بسهم وقيدي بالصبابة أدهم
تقضّت لويلات التداني برامة ... رمت كل واشٍ والفؤاد متيّم
ومن بعد طيب الوصل شطت مراتع ... وعادت عواد للمودّة تعتم
فلا وصلها يدنو فتبرد لوعتي ... ولا مهجتي تسلو عليها فأرحم
إلى كم أراع العاذلون بوشيهم ... بصدّ وهجرٍ من سعادي ونمنموا
وقلبي على العهد القديم وما صفا ... ثكلتهم ما الودّ منّي مصرم
عجبتُ لها فالعهد منها مزوّر ... وعهدي بها من عالم الذرّ مبرم
فيا ليتها وافت بوصل لمغرم ... شجي ولكن وعد زينب مخرم
تصرم دهري والشبيبة آن أنْ ... يطيب لها الترحال والبين محجم
أجيرتنا بالنير بين وحاجر ... وسلع ومن بالرقمتين مخيم
فديتكم عطفاً فنيران مهجتي ... عليّ قضت والطعم بالصدّ علقم
ألا ليتَ شعري والأماني كواذب ... تمنّ سعاد الحي وصلاً وترحم
وتسعدني الوجنا لأطلال جلّق ... وربوتها الغرّا بها القلب مغرم
وأزهو بسفح الصالحية برهة ... وفي مرتع الغزلان أحظى وأغنمُ

ومن شعره وكان وقع شتاء وثلج في نيسان أكثر من كانون:

كأنّ كانون أهدى من منازله ... لشهر نيسانَ أصنافاً من التُّحفِ
أو الغزالة تاهت في تنقّلها ... لم تعرف الجدي والثورَ من الخرفِ

ومن شعره قوله مضمناً المصراع الأخير:

ألا يا غزالاً في مراتع رامة أجزني حديثاً صحّ عن طرفك الأحوى
عن الغنج الساري بفاتر جفنه عن الدعج الداعي إلى السقم والبلوى
عن الكحل الفتّاك عن وطف به عن الحاجب النوني شفاء بني الشكوى
فقال رويناه على الكتم بيننا وما كلّ ما تروي عيون الظبا يروى

ومن مستملحاته الشعرية في مسألة فقهية:

ولي حب عليه القلب وقف ليسكنه ويبتهج المزارُ
فقلت له أعِرْه لنا زمانا فقال الوقف عندي لا يعار

ومراسلاته وأشعاره كثيرة، وكانت وفاته في القدس في ذي القعدة سنة إحدى وتسعين ومائة وألف، ودفن بمقبرة مأمن الله رحمه الله تعالى.

محمد الحنفي:

٦٤٦ ـ محمد الحنفي بن محمد الحنفي الحلبي نزيل قسطنطينية، وأحد الموالي الرومية المولى العالم العلامة الفقيه: كان غوّاص بحر العلوم، معلماً نافعاً عالماً بأكثر الفنون، صاحب نكت، ونادرة، ظريفاً أنيساً، وقوراً له عظمة وفضيلة، ولد بحلب وبها نشأ، وقرأ على علمائها، وحصل مقدمات العلوم، وبعده ارتحل إلى مصر ولازم في الجامع الأزهر الشيوخ، واكتسب الفضائل حتى صار له مزيد الرسوخ، وألّف رسالة ورفعها إلى شيخ الإسلام المولى البهائي، وبسببها دخل في سلك المدرسين وطريقهم، وبعد أنْ عزل عن مدرسة بأربعين عثمانياً أظهر مؤلفاً له على شرح الملتقى الفقه، وصار عنواناً له بين الكبار والصغار، ثم تنّقل بالمدارس كعادتهم، وأعطي قضاء أدرنة برتبة قضاء مكة، وآخراً ظهرت الشكايات عليه، ورفعت مناصب الأربلق التي كانت عليه، ووجهت إلى حكيم باشا زاده المولى يحيى الحلبي، وبقي المترجم صفر اليدين، وحكّ اسمه من الطريق، وصار قاضياً بقسطنطينية بهمة الصدر الأعظم مصطفى باشا، وعزل عنها وتولّى غيرها، وله تآليف غريبة، وكانت وفاته في محرم سنة أربع ومائة وألف رحمه الله تعالى.

محمد الغزي:

٦٤٧ ـ محمد الغزّي بن محمد بن علي بن بدر الدين الشافعي الغزي: قرأ القرآن على والده، وأخذ عنه العلم، ثم توجّه إلى مصر القاهرة وأقام بها إحدى عشرة سنة، وصارت له اليد الطولى في علم الطب، وله التآليف الحسنة، وكان على غاية من الفقر لم يتعلق بشيء من أمور المعاش، بل كان يرزقه مولاه من حيث لا يحتسب، وفي الشتاء يقيم بالرملة، ويصيّف في غزة هاشم، ومن شعره ما قاله راثياً العلامة محمد بن تاج الدين الرملي وهو هذا:

قد مات بحرُ العلم خير الورى محمّد الرملي التقيّ الألمعي
وقال في تاريخه ناقل قد مات بعد الحج في ينبعي

وله فيه:

قد توفّي مفتي الورى نجل تاج وعَدِمْنا فضلاً عهدناه مِنْهُ
وقضى نحبَهُ وقد أرّخوه بوفاة تجاوز الله عَنْهُ

وأشعاره كثيرة وكانت وفاته بالرملة سنة ست وعشرين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

محمد العمري:

٦٤٨ ـ **محمد العمري بن محمد بن أحمد العمري، المعروف بابن عبد الهادي، الشافعي الدمشقي، الشيخ العالم العامل العابد الناسك العارف المعتقد البركة**: كان محققاً فاضلاً، له يد في العلوم، تعتقده أهالي دمشق، قرأ على جماعة، منهم والده المذكور وغيره، ودرّس وأفاد في عدة علوم، ولم يزل معتقداً عند الناس إلى أن مات، وكانت وفاته في جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف ودفن بمرج الدحداح رحمه الله تعالى.

محمد المالكي:

٦٤٩ ـ **محمد المالكي بن محمد المالكي الدمشقي مفتي المالكية بدمشق وقاضيها العلامة المفنن الفاضل المحصل المتفوّق البارع**: قرأ واشتغل بالعلوم، وأخذ على جماعة أجلّاء، ودرس بالجامع الأموي، وأخذت عنه الطلبة، وتولّى إفتاء المالكية مع القضاء، وكانت وفاته يوم الخميس تاسع شوّال سنة ثمان عشرة ومائة وألف ودفن بمرج الدحداح رحمه الله تعالى.

محمد العبجي:

٦٥٠ ـ **محمد العبجي بن محمد بن أسعد الدمشقي الحنفي، الشهير بالعبجي، خطيب جامع سنان باشا خارج باب الجابية، الشيخ الفاضل العالم النبيل الزكي الجهبذ أبو عبدالله شمس الدين**: ولد بدمشق ونشأ بها، وأخذ عن فضلائها فنوناً من العلم، كالشهاب أحمد بن علي المنيني، والعلم صالح بن إبراهيم الجينيني، والشرف موسى بن أسعد المحاسني، والشمس محمد بن عبد الحي الداودي، ومحمد بن أحمد قولقسز، واختص بالأخذ عن الأخير بالفقه والتفسير، وحضر دروس الحديث تحت القبة على العماد إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، ونبل قدره، واشتهر بالذكاء والفضل أمره، وفاق أقرانه بالذكاء المفرط، فدرس بالجامع الأموي بكرة النهار وبين العشائين، وأخذ عنه جماعة من الطلبة وانتفعوا به، وتوجّه آخر عمره لدار السلطنة العليّة قسطنطينية، ومكث بها مقدار نصف سنة،

ثم عاد إلى دمشق فلم تطل إقامته حتى توفّي، وله شعر لطيف، ينبىء عن قدر في الفضائل منيف، منه قوله مضمناً:

قالوا دع الزّهد واشطح في هوى رشا ... طلق المحيا شهيّ الثغر أشنبهْ
فقلت قد عشتُ خالي البال منفردا ... وكل شخص له عقل يعيشَ بِهْ

ومن ذلك قول الأديب محمد سعيد السمّان:

جاء المؤنّب ينهي عن مكابدتي ... وجداً أذاب فؤادي في تلهُّبهْ
دعْ ما تعاني فسمعي صمّ عن عدل ... وكل شخص له عقل يعيش به

وللمترجم مضمناً أيضاً:

ولما دنا منّي حبيبي بعطفِهْ ... وألحاظه طيّ الصبابة تنشرْ
وقد كنتُ قدماً للجهالة تاركا ... فذكّرني والشيء بالشيء يذكرْ

ومن ذلك قول صاحبنا الأديب الكمال محمد الغزي العامري:

بدت فيّ آيات الغرام بحبِّهْ ... بديع من الأقمار أبهى وأبهرْ
ولما نأى عنّي تناءت مسرّتي ... وأنحلَ جسمي من نواه التحسّر
ومن بعده قد صرت صبّاً مولّها ... أسيرَ غرامٍ عزّ فيه التصبّر
وكيف خلاص القلب من لاعج النّوى ... ونزع الهوى حقّاً من الصّدر يعسر
إذا شمت ورداً قلت هذي خدوده ... ومن أين للأوراد ماس مجوهر
وإنْ بان بدر التمّ أحسب وجهه ... لديّ بدامع أن ذلك أنضر
وإنْ بان لي غصن من البان ناضر ... تذكّرته والشيء بالشيء يذكرْ

وكانت وفاته سنة أربع وسبعين ومائة وألف عن نيف وخمسين سنة، ودفن بتربة الباب الصغير رحمه الله تعالى.

محمد الوليدي:

٦٥١ ـ محمد الوليدي ابن سلطان الشافعي المكي، الشهير بالوليدي، المدرّس بدار الخيزران، الشيخ العالم الفقيه البارع الأوحد: أخذ عن جماعة من الشيوخ، كالشهاب أحمد بن محمد النخلي، وأبي الأسرار حسن بن علي العجيمي، وإدريس بن أحمد المكي الشماع، والشهاب أحمد بن محمد البنا الدمياطي، والنور علي الطبري، والسيد محمد زيتونة التونسي، ومصطفى بن فتح الله الحموي نزيل مكة المشرفة ومؤرّخها، وعلي الحداد الشافعي، ومحمد بن علي العلوي، ونبل وتقدم في الفضل، وأخذ عنه جملة، منهم المولى حامد بن علي العمادي، ومصطفى وسعدي ابنا عبد القادر العمري، وأحمد بن علي المنيني وغيرهم، وكانت وفاته شهيداً سنة أربع وثلاثين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

قد مات بحرُ العلم خير الورى محمّد الرملي التقيّ الألمعي
وقال في تاريخه ناقل قد مات بعد الحج في ينبعي

وله فيه:

قد توفّي مفتي الورى نجل تاج وعَدِمْنا فضلاً عهدناه مِنْهُ
وقضى نحبَهُ وقد أرّخوه بوفاة تجاوز الله عَنْهُ

وأشعاره كثيرة وكانت وفاته بالرملة سنة ست وعشرين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

محمد العمري:

٦٤٨ ـ **محمد العمري بن محمد بن أحمد العمري، المعروف بابن عبد الهادي، الشافعي الدمشقي، الشيخ العالم العامل العابد الناسك العارف المعتقد البركة:** كان محققاً فاضلاً، له يد في العلوم، تعتقده أهالي دمشق، قرأ على جماعة، منهم والده المذكور وغيره، ودرّس وأفاد في عدة علوم، ولم يزل معتقداً عند الناس إلى أن مات، وكانت وفاته في جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف ودفن بمرج الدحداح رحمه الله تعالى.

محمد المالكي:

٦٤٩ ـ **محمد المالكي بن محمد المالكي الدمشقي مفتي المالكية بدمشق وقاضيها العلامة المفنن الفاضل المحصل المتفوّق البارع:** قرأ واشتغل بالعلوم، وأخذ على جماعة أجلاّء، ودرس بالجامع الأموي، وأخذت عنه الطلبة، وتولّى إفتاء المالكية مع القضاء، وكانت وفاته يوم الخميس تاسع شوّال سنة ثمان عشرة ومائة وألف ودفن بمرج الدحداح رحمه الله تعالى.

محمد العبجي:

٦٥٠ ـ **محمد العبجي بن محمد بن أسعد الدمشقي الحنفي، الشهير بالعبجي، خطيب جامع سنان باشا خارج باب الجابية، الشيخ الفاضل العالم النبيل الزكي الجهبذ أبو عبدالله شمس الدين:** ولد بدمشق ونشأ بها، وأخذ عن فضلائها فنوناً من العلم، كالشهاب أحمد بن علي المنيني، والعلم صالح بن إبراهيم الجينيني، والشرف موسى بن أسعد المحاسني، والشمس محمد بن عبد الحي الداودي، ومحمد بن أحمد قولقسز، واختص بالأخذ عن الأخير بالفقه والتفسير، وحضر دروس الحديث تحت القبة على العماد إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، ونبل قدره، واشتهر بالذكاء والفضل أمره، وفاق أقرانه بالذكاء المفرط، فدرس بالجامع الأموي بكرة النهار وبين العشائين، وأخذ عنه جماعة من الطلبة وانتفعوا به، وتوجّه آخر عمره لدار السلطنة العليّة قسطنطينية، ومكث بها مقدار نصف سنة،

ثم عاد إلى دمشق فلم تطل إقامته حتى توفّي، وله شعر لطيف، ينبىء عن قدر في الفضائل منيف، منه قوله مضمناً:

قالوا دع الزّهد واشطح في هوى رشا ... طلق المحيا شهيّ الثغر أشنبهْ
فقلت قد عشتُ خالي البال منفردا ... وكل شخص له عقل يعيشَ بِهْ

ومن ذلك قول الأديب محمد سعيد السمّان:

جاء المؤنّب ينهي عن مكابدتي ... وجداً أذاب فؤادي في تلهُّبِهْ
دعْ ما تعاني فسمعي صمّ عن عذل ... وكل شخص له عقل يعيش به

وللمترجم مضمناً أيضاً:

ولما دنا منّي حبيبي بعطفِهْ ... وألحاظه طيّ الصبابة تنشرْ
وقد كنتُ قدماً للجهالة تاركا ... فذكّرني والشيء بالشيء يذكرْ

ومن ذلك قول صاحبنا الأديب الكمال محمد الغزي العامري:

بدت فيّ آيات الغرام بحبِّهْ ... بديع من الأقمار أبهى وأبهرْ
ولما نأى عنّي تناءت مسرّتي ... وأنحلَ جسمي من نواه التحسّر
ومن بعده قد صرت صبّاً مولّها ... أسيرَ غرامٍ عزّ فيه التصبّر
وكيف خلاص القلب من لاعج النّوى ... ونزع الهوى حقّاً من الصّدر يعسر
إذا شمت ورداً قلت هذي خدوده ... ومن أين للأوراد ماس مجوهر
وإنْ بان بدر التمّ أحسب وجهه ... لديّ بدامع أن ذلك أنضر
وإنْ بان لي غصن من البان ناضر ... تذكّرته والشيء بالشيء يذكرْ

وكانت وفاته سنة أربع وسبعين ومائة وألف عن نيف وخمسين سنة، ودفن بتربة الباب الصغير رحمه الله تعالى.

محمد الوليدي:

٦٥١ ـ **محمد الوليدي ابن سلطان الشافعي المكي، الشهير بالوليدي، المدرّس** بدار **الخيزران، الشيخ العالم الفقيه البارع الأوحد:** أخذ عن جماعة من الشيوخ، كالشهاب أحمد بن محمد النخلي، وأبي الأسرار حسن بن علي العجيمي، وإدريس بن أحمد المكي الشماع، والشهاب أحمد بن محمد البنا الدمياطي، والنور علي الطبري، والسيد محمد زيتونة التونسي، ومصطفى بن فتح الله الحموي نزيل مكة المشرفة ومؤرّخها، وعلي الحداد الشافعي، ومحمد بن علي العلوي، ونبل وتقدم في الفضل، وأخذ عنه جملة، منهم المولى حامد بن علي العمادي، ومصطفى وسعدي ابنا عبد القادر العمري، وأحمد بن علي المنيني وغيرهم، وكانت وفاته شهيداً سنة أربع وثلاثين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

محمد البليدي:

٦٥٢ ـ محمد البليدي بن محمد بن محمد الحسني المغربي المالكي، الشهير بالبليدي، نزيل مصر السيد الشريف خاتمة المحققين، صدر المدققين الثبت الحجة المتقن المتفق على جلالته، صاحب التصانيف الشهيرة: ولد سنة ست وتسعين وألف، وأخذ عن جملة من الأئمة، كأبي السماح أحمد البقري، وعبد الرؤوف البشبيشي، وعبد ربه بن أحمد الديوي، وأحمد بن غانم النفراوي، وسليمان الشبرخيتي، وأحمد بن محمد البنا الدمياطيّ، ومنصور المنوفيّ، وإبراهيم بن موسى الفيوميّ، ومحمد بن عبد الباقي الزرقاني، ومحمد بن القاسم بن إسماعيل البقري، سمع منه في سنة عشر ومائة قبل وفاته بسنة، وهو أعلى ما عند المترجم من مشايخه، وأخذ أيضاً عن عبدالله الكنكسي والهشتوكي، واشتهر أمره بالعلم، وانتفع به جماعة من محققي علماء الأزهر والشام، وله مؤلفات منها حاشية على تفسير البيضاوي، وحاشية على شرح الألفية للأشموني، ورسالة في المقولات العشر، وكانت له يد طولى في علم القراءات، وله في طريق الجمع مؤلف كبير، في كل آية يذكر كيفية الجمع فيها من أوّل القرآن العظيم إلى آخره، وكان يُقرىء تفسير البيضاوي في الجامع الأزهر ويحضر درسه أكثر من مائتي مدرّس ومفيد، وكان الأستاذ ولي الله عبد الوهاب العفيفي يلازم درسه، وكانت وفاته سنة ست وسبعين ومائة وألف، ودفن بالقاهرة في تربة المجاورين، وقد جاوز الثمانين رحمه الله تعالى.

محمد الدمياطي:

٦٥٣ ـ محمد الدمياطي بن سلامة بن عبد الجوّاد بن العارف بالله، الشيخ نور ساكن الصخرية، من أعمال فارسكور(١) الصخري الدمياطي، المقري الشافعي الصوفي، المعروف بأبي السعود بن أبي النور: كان ممن جمع بين حالي أهل الباطن والظاهر، ولد بدمياط ونشأ بها، وأخذ عن فضلائها، فتفقّه على الشيخ جلال الدين الفارسكوري، والعلامة مصطفى التلياني، وقرأ عليه شرح المنهج تسع مرات في تسع سنين، ثم رحل إلى القاهرة فلازم الضياء سلطان المزاحي، وأخذ عنه القراءات للسبع وللعشر، وتفقّه عليه، وأخذ عنه جملة من الفنون، وأخذ العربية عن الشيخ ياسين الحمصي نزيل القاهرة، وعن غيرهم، وغزر فضله، واشتهر نبله، وألف في القراءات وغيرها وكانت وفاته سنة سبع عشرة ومائة وألف رحمه الله تعالى.

محمد الكردي:

٦٥٤ ـ محمد الكردي بن سليمان الكردي المدني الشافعي، الشيخ الإمام العلامة الفقيه، خاتمة الفقهاء بالديار الحجازية، المتضلّع من سائر العلوم النقلية والعقلية: ولد بدمشق وحمل إلى المدينة وهو ابن سنة، ونشأ بها، وأخذ عن أفاضلها، كالشيخ سعيد

(١) الفَارَسْكُر: من قرى مصر قرب دمياط من كورة الدقهلية. معجم البلدان ٤/٢٥٨.

سنبل، ووالده الشيخ سليمان، والشيخ يوسف الكردي، والشيخ أحمد الجوهري المصريّ، والقطب مصطفى البكري وغيرهم، وألّف مؤلفات نافعة، منها شرح فرائض التحفة في نحو أربعين كرّاساً، وحاشيتان على شرح الحضرمية لابن حجر الهيثمي كبرى وصغرى، ثم اختصرها فصارت ثلاث حواشٍ، و «عقود الدرر في بيان مصطلحات تحفة ابن حجر»، وحاشية على شرح الغاية للخطيب، و «الفوائد المدنية فيمن يفتي بقوله من أئمة الشافعية»، و «فتح الفتاح بالخير في معرفة شروط الحج عن الغير»، ثم اختصره، وسمّاه «فتح القدير»، و «كاشف اللّثام عن حكم التجرد قبل الميقات بلا إحرام» و «الثغر البّسام عن معاني الصور التي يزوّج فيها الحكام»، و «الدرّة البهيّة في جواب الأسئلة الجارية»، وشرح منظومة الناسخ والمنسوخ، و «زهر الربا في بيان أحكام الربا»، و«الانتباه في تعجيل الصلاة»، و «كشف المروط عن محذرات ما للوضوء من الشروط» وفتاوى عدة في مجلدين ضخمين وغير ذلك، وتولّى إفتاء السادة الشافعية بالمدينة إلى وفاته، وكان فرداً من أفراد العالم علماً وفضلاً وديناً وتواضعاً وزهداً متخلّقاً بأخلاق السلف الصالح، جبلاً من جبال العلم، وكانت وفاته رابع عشر شهر ربيع الأول سنة أربع وتسعين ومائة وألف عن سبع وستين سنة.

محمد النابلسي:

٦٥٥ ـ محمد النابلسي بن مصطفى بن عبد الحق الحنبلي، النابلسي الأصل، الدمشقي المولد، أحد الأفاضل وفقهاء الحنابلة المشهورين: كانَ فاضلاً، له فضيلة بالعربية والفقه، مع عفة وباع في الفرائض والحساب، وكان بدمشق يتعاطى المقاسمات والمناسخات، ولد بدمشق وأخذ وقرأ على جماعة، كالشيخ عبد الرحمن الكردي نزيل دمشق، والشيخ علي الطاغستاني، والشيخ أبي الفتح العجلوني، والشيخ أحمد البعلي، وتفوّق ودرّس بالجامع الأموي، ولزمه جماعة من الطلبة، وولي إفتاء الحنابلة بعد وفاة شيخه البعلي، ولم تطل مدته، وكانت وفاته في ذي القعدة سنة إحدى وتسعين ومائة وألف ودفن بتربة مرج الدحداح.

محمد بن حجيج:

٦٥٦ ـ محمد بن حجيج بن مصطفى بن حسين بن مصطفى حجيج بن موسى، المعروف بالبصيري، الشافعي القدوة الصالح، المعلم الناصح، إمام القراءات السبع والعشر المتقن المقري: ولد في قرية تل حاصد من قرى حلب، وتوطّن حلب وكُفّ بصره، وقدم دمشق في سنة أربعين ومائة، وأخذ القراءات السبع والشاطبية والتيسير عن الشيخ علي كزبر، وأخذ عن المقري الشيخ إبراهيم الدمشقي، وكان كثير الصيّام ملازم الطاعة والعبادة، مع الورع والزهد والتقوى، وكانت وفاته في حلب سنة ثمانين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

محمد الحنفي:

٦٥٧ ـ محمد الحنفي أمين بن صالح الحنفي، الدمشقي الأصل، القسطنطيني المولد:

وكان والده وجيهاً فاضلاً منتسباً للعلوم، وقوراً شديداً غيوراً، وهو من أهالي دمشق، ثم ارتحل إلى قسطنطينية وصار من القضاة، وتولّى قضاء طرابلس الشام وقفديه وغير ذلك، وتوفي في رمضان سنة ثمان وتسعين وألف رحمه الله تعالى.

محمد السندروسي:

٦٥٨ ـ محمد السندروسي بن محمد، المعروف بالسندروسي، الشافعي الطرابلسي الفاضل النجيب الفقيه: تفقّه في المسائل، وألّف كتاباً في أسماء الصحابة، ثم تطلّب إفتاء الحنفية كشيخه الخليلي، فتوجّه عليه إفتاء طرابلس الشام، فما استقامت مدة يسيرة إلاّ وعزل منها، وكانت وفاته سنة سبع وسبعين ومائة وألف رحمه الله تعالى رحمة واسعة آمين.

السلطان محمد أورنك سلطان الهند:

٦٥٩ ـ السلطان محمد أورنك سلطان الهند، زيب عالم كير بن خرم شاه جهان بن جهان كير بن شاه أكبر بن أبي النصر محمد همايون بن أبي الفيض روح الدين محمد باكير بن عمر شيخ ابن أبي سعيد باقر أبا بن محمد بن محمد شاه بن مران شاه جهان كير ابن أمير تيمورلنك، السلطان المشهور سلطان الهند في عصرنا، وأمير المؤمنين وإمامهم، وركن المسلمين ونظامهم، المجاهد في سبيل الله العالم العلامة الصوفي العارف بالله الملك القائم بنصرة الدين: الذي أباد الكفار في أرضه وقهرهم، وهدم كنائسهم وأضعف شركهم، وأيّد الإسلام وأعلى في الهند مناره، وجعل كلمة الله هي العليا، وقام بنصرة الدين، وأخذ الجزية من كفار الهند، ولم يأخذها منهم مَلِكٌ قبله لقوّتهم وكثرتهم، وفتح الفتوحات العظيمة، ولم يزل يغزوهم، وكلما قصد بلداً ملكها إلى أنْ نقله الله إلى دار كرامته، وهو في الجهاد، وصرف أوقاته للقيام بمصالح الدين، وخدمة رب العالمين من الصيام والقيام والرياضة التي لا يتيسر بعضها الآحاد الناس فضلاً عنه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وكان موزعاً لأوقاته، فوقت للعبادة، ووقت للتدريس، ووقت لمصالح العسكر، ووقت للشكاة، ووقت لقراءة الكتب والأخبار الواردة عليه كل يوم وليلة من مملكته لا يخلط شيئاً بشيء، والحاصل أنه كان حسنة من حسنات الزمان، ليس له نظير في نظام سلطنته ولا مداني، وقد ألّفت في سلطنته وحسن سيرته الكتب الطويلة بالفارسية وغيرها، فمن أرادها فليطلع عليها، مولده سنة ثمان وعشرين وألف وجاء تاريخه[1] بالفارسية (اقتاب عالم قاب)، وربّيَ في حجر والده، واشتغل بحفظ القرآن من صغره حتى حفظه وجوّده، واشتغل بالخط حتى كتب الخط المنسوب يضرب بحسنه المثل، وكتب مصحفاً بخطّه وأرسله للحرم النبوي وهو معروف، ثم شرع في تحصيل العلوم حتىٰ حصل منها الكثير الطيب، وصار مرجعاً للعلماء، وحضرته محط رحال الفضلاء، ثم اشتغل بعلوم الطريق، وأخذ عن كثير من أهله العارفين بالله، حتى

(١) قوله: وجاء تاريخه الخ تأمّله مع ما قبله وحرر. اهـ مصححه.

حصلت له نفحة من بعض أولياء الله تعالى، وبشّره بأشياء حصلت له، واشتهر ذكره في حياة والده، وعظم قدره، وولاه والده الأعمال العظيمة، فباشرها أحسن مباشرة، ثم حصل لوالده فالج عطّله عن الحركة، وكان ولي عهد من بعده أكبر أولاده دار شكراه، فبسط يده على البلاد، وصار هو المرجع والسلطان معنى، فلم ترض نفس المترجم وأخوه مراد بخش بذلك، فاتّفقا على أنْ يقبضا عليه، ويتولّى المملكة منهما مرادبخش، فقبضا عليه، ثم احتال أورنك زيب على مرادبخش أيضاً وقبض عليه، ووضع أخويه في الحبس، ثم قتلهما لأمور صدرت منهما، زعم أنّهما استوجبا بها ذلك، وحبس والده واشتغل بالمملكة من سنة ثمان وستين وألف، وأرادَ الله بأهل الهند خيراً، فإنّه رفع المظالم والمكوس، وطلع من الأفق الهندي فجره، وظهر من البرج التيموري بدره، وفلك مجده دائر، ونجم سعده سائر، وأسر غالب ملوك الهند المشهورين، وصارت بلادهم تحت طاعته، وجبيت إليه الأموال وأطاعته البلاد والعباد، ولم يزل في الاجتهاد في الجهاد، ولم يرجع إلى مقرّ ملكه وسلطنته بعد أنْ خرج منه، وكلّما فتح بلاداً شرع في فتح أخرى، وعساكره لا يحصون كثرة وعظمة، وقوّته لا يمكن التعبير عنها بعبارة تؤديها حقها، والملك لله وحده، وأقام في الهند دولة العلم، وبالغ في تعظيم أهله حتى قصده الناس من كل البلاد، والحاصل إنّه ليس له نظير في عصره في ملوك الإسلام في حسن السيرة، والخوف من الله سبحانه والجد في العبادة، وأمر علماء بلاده الحنفية أنْ يجمعوا باسمه فتاوى تجمع جل مذهبهم مما يحتاج إليه من الأحكام الشرعية، فجمعت في مجلدات وسمّاها بالفتاوى العالم كيرية، واشتهرت في الأقطار الحجازية والمصرية والشامية والروميّة، وعمّ النفع بها، وصارت مرجعاً للمفتين، ولم يزل على ذلك حتّى توفّي بالركن في شهر ذي القعدة الحرام سنة ثماني عشرة ومائة وألف، ونقل إلى تربة آبائه وأجداده، وأقام في الملك خمسين سنة رحمه الله تعالى.

السيد محمد المرادي:

٦٦٠ ـ **السيد محمد المرادي ابن السيد مراد بن علي، المعروف بالمرادي، الحسيني النقشبندي الحنفي، البخاري الأصل، الدمشقي**: تقدّم ذكر ولده إبراهيم وعلي ووالده، وهذا هو جدّي والد والدي الأستاذ العارف العلامة، كان من أجلاء العارفين المرشدين، ومن العلماء العاملين، فاضلاً صوفياً مرشداً مسلكاً نبيهاً ورعاً متعبّداً متهجّداً ساكناً وقوراً، حسن الأخلاق، صاحب عفة وديانة، لطيف الصحبة، رقيق الطبع، حميد الأفعال، مواظباً على العبادات، رافضاً للدنيا، جانحاً للأخرى، لم يلتفت إلى الدنيا ولا إلى زخارفها، له فضيلة في العلوم والمعارف مع حفظ الألسن الثلاثة العربية والفارسية والتركية، وله في حلّ كلام القوم اليد الطولى، والمعرفة التامة، وبالجملة فقد كان من أجلّاء علماء الظاهر والباطن، ولد المترجم بقسطنطينية لكون والده، كان إذْ ذاك ثمت، وذلك في سنة أربع وتسعين وألف، ونشأ في حجر والده، وأخذ عنه الطريق وتتلمذ له، وغمرته نفحاته وبركاته، ودعواته، وتنبل وتفوّق، وقرأ على غيره وعلى الشيخ عبد الرحيم الكابلي الأوزبكي تلميذ

والده، وعلى الشيخ عبد الرحمن المجلّد الدمشقي، والأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي قرأ عليه الفتوحات المكية، وظهرت شمس الفضائل من سمائه، وبزغ بدر المعارف والعوارف من فلك فضائله وسنائه، وبرع في العلوم معقولاً ومنقولاً، خصوصاً في التصوف والمعارف الإلّهية، ولم يزل في ظلّ والده الظليل، قائلاً إلى أنْ انتقل بالوفاة إلى رحمة مولاه، كما ذكرناه في ترجمته، وكان الجد المترجم حينئذ بدمشق، فلمّا جاء الخبر ارتحل قاصداً الروم، ففي أثناء الطريق حصلت له نفحة إلّهية، ومنحة ربانية، فبعد عوده لدمشق ترك الدنيا وترك العقارات وجميع ما كان يتعاطاه، وسلّم ذلك لأتباعه من مالكانات وقرى ومزارع وعقارات وغيرها، حتى تجنّب مسّ الدراهم والدنانير بيده، فلم يعهد أنّه أمسكها، واشتغل بالعبادة ولبس خشن الأثواب، وتتوّج بتاج الفقراء والدراويش إلى أن مات، وخلع ثياب الدنيا وتسربل بحلل العرفان والإرشاد، واستقام يفيد، واستمر على ذلك مدة تزيد على أربعين سنة، واشتهر في البلاد، وعمّ ذكره الأغوار والأنجاد، خصوصاً في الديار الرومية، والمواطن الشاميّة، وتتلمذ له خلق كثيرون لا يحصون عدداً، وأخذوا عنه طريق السادة النقشبندية الذي هو طريقنا، وحجّ إلى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام مراراً، وارتحل للقدس والخليل ووصل إلى مراتب الهداية، وغرف من بحر الولاية، وتولّى قضاء المدينة المنوّرة باعتبار الرتبة، وله رسائل في العلوم وتعليقات، وكان السلطان محمود خان عليه الرحمة والرضوان أرسل يطلبه من إسلامبول في سنة خمس وستين ومائة وألف، فارتحل إليها ولم يزل من حين خروجه من دمشق إلى حين دخوله إليها محترماً في كل بلدة، وكلّهم يأخذون عنه الطريق ويتبركون به إلى أن وصلها، فقابله السلطان المذكور بوافر الأنعام، ومزيد الاحترام، واجتمع به مرات وأعطاه الأوامر السلطانية المتوّجّة بخطه الشريف في مصالح الجدّ، وصار له اعتبار تام من رجال الدولة وأركانها، ثم أذن له بالحج بدلاً عن السلطان المذكور، فحجّ بدلاً عنه في تلك السنة، ثم عاد بعد عوده بأمر سلطاني إلى إسلامبول، ونزل بالمكان الذي هيىء له من طرف الدولة كالمرة الأولى، واجتمع به ثانياً، وكان في خدمته في المرة الثانية والدي وأخي وابن ابن عم والدي، ثم لم تطل مدة السلطان محمود، وجلس على سرير السلطنة السلطان عثمان أخوه، فكذلك قابل المترجم بغاية التعظيم والتوقير، ثم قصد الجدّ الديار الشامية، وتوجّه للأوطان واستقام إلى أنْ مات، وكانت وفاته في صفر سنة تسع وستين ومائة وألف، ودفن بدارنا الكائنة بمحلة سوق صاروجا، وكان له جنازة حافلة عظيمة، ورُثِيَ بالقصائد الغرّ، فمن ذلك ما أنشده الشيخ شاكر بن مصطفى العمري بقوله:

حقّ الرثاء وقلَّ بذل الأنفس ... بفداء ذا القطب الأجل الأنفسِ
فبفقده صدع الردى شمل العلا ... ورنّت لنا الدنيا بوجه معبس
هذا المصاب فما المصاب فيومه ... لبس الضياء به حداد الحندس

ومرائر شقّت وفاضت أعين بشؤونها وتصدع القلب القسي
يا دهر ويحك فاتّئد بقلوبنا أكذا فعالك بالكرام الكيِّسِ

وهي طويلة جداً، ورثاه كثير من الأدباء رحمه الله تعالى وأموات المسلمين.

محمد الحبال:

٦٦١ ـ **محمد الحبّال بن محمود بن إبراهيم بن عمر، المعروف بابن الحبّال، الشافعي الأشعري، المزّي الأصل، الدمشقي الشيخ المحقق العالم العامل الفرد المفسّر الأصولي:** اشتغل بطلب العلم على جماعة من العلماء، كالشيخ إسماعيل الحائك المفتي، والشيخ عبد القادر العمري بن عبد الهادي، والشيخ إبراهيم الفتّال وغيرهم، وحضر دروس الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي، وبرع وتفوّق ومهر، وصرف عمره في اكتساب العلوم واستفادتها، ودرّس بالجامع الأموي، وفي حجرته داخل مدرسة الكلاسة، وانتفع به خلق كثير، وترجمه الأمين المحبّي في ذيل نفحته، وقال في وصفه: مدّ إلى الأفق ساعداً، فتناول العيوق قاعداً، بهمّة لا تقنع بمدار دون الفلك، وفكرة تكاد تستخلص نور الشمس إلى الحلك، وهو الآن مركز دائرة الانتفاع، ولمن سامته في الفضل الانخفاض وله الارتفاع، فعذبته على مناكب الجوزاء خافقة، وبضاعته لم تزل في سوق الرواج نافقة، ومن شعره قوله:

ولولا ثلاث هنّ همّي إذا أمسي لما بتُّ مأثوراً نهاري على أمسي
فتكميل نفسي بالعلوم ودرسها وتهذيبها قبل المسير إلى الرمسِ
وتأميل إيفاء الحقوق لأهلها وإنقاء ثوب النفس من دنس البخس
وزورة خير الخلق أفضل شافع لأبرئها من ثقل وزر على النفس
أفاض عليه كل يوم تحيّة مدى الدّهر ما امتد الشعاع من الشمس

وهذه الثلاثيات نظم فيها كثير من المتقدّمين والمتأخرين، منهم الشيخ عمر القادري الدمشقي فقال:

لولا ثلاثٌ هنَّ أقصى المراد ما اخترتُ أنْ أبقى بدار النفادِ
تهذيبُ نفسي بالعلوم التي بها لقد نلتُ جميع المراد
وطاعةٌ أرجو بإخلاصها نوراً به تشرق أرض الفؤاد
كذاك عرفان الإلّه الذي لأجله كان وجود العباد
فاسئل الرحمن بالمصطفى وآلِهِ التوفيق فهو الجواد

ومنهم ابن صابر القيسي فقال:

لولا ثلاثٌ هنَّ والله من أكبرِ آمالي من الدنيا
حجٌ لبيتِ الله أرجو به أنْ يقبل النيّة والسعيا

والعلمُ تحصيلاً ونشراً إذا رَوَيْتَ أوسعت الورى رأيا
ما كنتُ أخشى الموت أنّى أتى بل لم أكن ألتذُّ بالمحيا

وبالجملة فإن المترجم كان من أجلاء العلماء المشاهير، وكانت وفاته تاسع عشر ربيع الأوّل سنة خمس وأربعين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

محمد طبيعة الدمشقي:

٦٦٢ ـ **محمد طبيعة الدمشقي بن يس بن مصطفى، المعروف بطبيعة، الحنفي، البقاعي الأصل، الدمشقي**: كان والده من أفاضل فقهاء الحنفية سيما بالفرائض، وسائر العلوم، وكان يخالط الكبراء والأعيان، ويتردد إليهم، والجميع يستلذّون بمصاحبته وعشرته، وهو مشهور بالنكات والأجوبة، وله شعر لطيف منه قوله في عذار:

ألا بروحي غزال أنس له فؤاد الشجيّ كناسُ
بدر بوجه بدا كبدر علاه من عنبر نوّاس
زها بخد حكته شمس وعنبر السالفين كاس
فحين أضحى به ثمولي وصار في عقلي اختلاس
أشار نحوي وقال قولاً صغى له الفكر والحواس
بما تؤرخه يا نديمي فقلت ورد عليه آس

١١٢١ ١٢٥ ٦١٠ ٢١٠ ١١٥ ٦١

وقوله:

نظر الحبّ لي فسالت دموعي من غرامي به ونيران فقدي
ما هو الدمع إنّما نصل سهم منه قد ذاب في حرارة وجدي

ومن ذلك قول المولى خليل الصدّيقي:

مُذْ أقصد الحبّ قلبي بسهم تلك الجفونِ
إذا به الشوق حتى ألقته دمعاً عيوني

وقال الشيخ سعدي العمري:

رنا فأودع قلبي سهم الأسى والمنونِ
فذاب من حرّ شوقي فقطرته جفوني

ومن شعر المترجم في المجون ما كتبه لبعض أحبابه مهنئاً له بزفاف وهو قوله:

قيمت لك الأفراح في كانون إذْ كنتَ بالأسخان كالكانونِ
أوصيك عبد المحسن التقوى فلا تأتي إليها من ورا الطاحونِ
قد كنتَ ترغب بالحرام وطالما جئتُ البيوتَ بأظهُرٍ وبطون

أصبحتَ ترغب في الحلال تكلّفا ورجعتُ منه بصفقة المغبون
وأقمتَ في شقّ العجوز مخيّما والناسُ راجعة على ذنون
فاسلم ودمْ بالكسكسون منّعما تُحْشِي النقانق في حشا خاتون

وكان المترجم ذهب إلى الروم، وأوصى صاحباً له يقال له الشيخ عبد الوهاب السؤالاتي في باب الجامع الأموي، وقال له مهما وقع من الوظائف محلولات اكتب لي عنها حتى اتخذها لمعاشي، فصار الشيخ عبد الوهاب يكتب له الحمد لله الأسعار رخيصة وسعر اللحم كذا، والخبز كذا، واللبن كذا، والحمص والعدس وما شابهها، ولا يتعرض إلى شيء مما أوصاه به، فضجر منه فكتب له هذين البيتين في ضمن كتاب أرسله له وهما قوله:

فإمّا أنْ تكون أخي بصدق فأعرف منك غثي من ثميني
وإلا فاطرحْني واتخذني عدوّاً أتّقيك وتتقيني

وبالجملة فقد كان نزهة النفوس، وكانت وفاته سنة خمس وأربعين ومائة وألف، ودفن بتربة مرج الدحداح رحمه الله تعالى.

محمد النهالي:

٦٦٣ ـ محمد النهالي بن يوسف، المعروف بالنّهالي، الحنفي، الرّهاوي الأصل، الحلبي المولد، نزيل قسطنطينية الأديب الألمعي الفاضل الكامل: قرأ على أفاضل بلدته، وكان مكباً على تحصيل الفضائل والكمالات، وأقام مدّة بالمدرسة الحلاوية، وصار له غاية الإكرام من الوزير محمد باشا الراغب، وكان المترجم أديباً شاعراً فمن شعره قوله:

يا راكب اللّهو قصِّر عنان خيل التّصابي
يداك لم تقو حبس الـ ـلّجام بعد الشباب

وله:

كنتُ في غفلةٍ من العشق لما أيقظتني نواعس الأجفان
كشفت عن مجازٍ عيني غطّاها فأرتها حقائق الأكوان

وله مشطراً أبيات الشهاب الخفاجي في الأبوين الكريمين:

لوالدي طه مقام علا فوق علا الناس بلا ارتيابِ
بوّأهُما الرّحمن من فضله في جنة الخلد ودار الثواب
فقطرة من فضلات له تبرىء أسقام فؤاد مصاب
ما دخلت جوفاً إلاّ غدت في الجوف تشفي من أليم العقاب
فكيف أرحام به قد غدت تؤمل الخير وحسن المآب
حاشى لأرحام له أصبحت حاملة تُصْلى بنار العذاب

وشطّرهما معاصره الشيخ أحمد الورّاق الحلبي بقوله:

لـــوالـــدي طـــه مقـــام عـــلا | على العـلا لمـا غـدا مستطـابِ
مقـــدّسٌ رحـــبٌ منيـــر الفضـــا | فـــي جنّـــة الخلـــد ودار الثـــواب
فقطـــرة مـــن فضـــلات لـــه | دواءٌ ذي الـــدّاء بـــلا ارتيـــاب
وصـحّ فـي الأخبـار عـن كـونهـا | في الجوف تشفي من أليم العقاب
فكيــف أرحــام بــه قــد غــدت | بنـــوره مملـــوءة أنْ تخـــاب
أمْ كيـــف أرحـــام بـــه انثنـــت | حـــاملـــة تُصْلـــى بنـــار العـــذاب

وحين سافر إلى إسلامبول تلميذه الفاضل السميدع السيد مصطفى الحلبي الكوراني اجتمع بالمترجم شيخه، ثم ابتدر كل منهما لتضمين البيت المشهور وهو:

إنّ الملـوكَ إذا أبـوابهـا غُلِّقـت | لا تيـأسـنَّ فبـاب الله مفتـوحُ

فقال المترجم:

قلـبٌ بسهـم أليـم الهجـر مقـروحُ | ومقلـةٌ دمعهـا بـالبيـن مسفـوحُ

فقال الكوراني:

وخاطرٌ في يد الأهوا على خطر | مـن الأمـانـي لـه بـاليـأس تلقيـحُ

فقال المترجم:

ولاعـج مضـرم لـولا التـوكّـف من | دمـوعـه ولعـت فيـه التبـاريـحُ

فقال الكوراني:

مـوزعُ البـال مطـويّ الضلـوع على | فرط الأسى جسدٌ ليست به روحُ

فقال المترجم:

حليف كرب رهين الاغتراب شج | بـه عقـود همـوم الـدهـر تـوشيـحُ

فقال الكوراني:

بـه أحـاديـثُ أشجـانٍ يـردّدهـا | لهـا مـن الغـمّ تعـديـل وتجـريـحُ

فقال المترجم:

لـه عتـابٌ علـى الحـظ المسـوّد إذْ | خابت مقاصده والقلب مجروحُ

فقال الكوراني:

وكلّمـا نـابـه خطـبُ الـزمـان غـدا | بساحة الياسِ صبراً وهو مطروحُ

فقال المترجم:

مستوثق العزمِ من بيت أقيم به   للعذر متن بنصح القول مشروح

البيت القديم:

إنّ الملوكَ إذا أبوابها غُلِّقتْ   لا تيأسنَّ فبابُ اللّهِ مفتوحُ

وكانت وفاة المترجم في سنة خمس وثمانين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

محمد الأسبيري:

٦٦٤ ـ **محمد الأسبيري بن يوسف بن يعقوب بن علي بن محسن ابن شيخ اسكندر الغزالي الحلبي، الشهير بالأسبيري، مفتي حلب، الشيخ الفاضل الفقيه الأوحد البارع الصالح العالم الكامل:** ولد بعينتاب سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف، وقرأ القرآن العظيم والصرف والنحو والمنطق على ابن خال والده مصطفى أفندي، وعلى الشيخ إلياس المرعشي، ثم سافر إلى كليس فقرأ المنطق على علي أفندي نجي زاده، تلميذ تاتار أفندي المشهور، وعلى شريكه صالح، وأخذ أيضاً شرح مختصر المنتهى لابن الحاجب عن شيخي زاده، وقدم حلب ولازم بها محمود أفندي الأنطاكي، وقرأ على ابن عمّه محمد أفندي أيضاً، وأخذ بعينتاب أيضاً عن عبد الرحمن أفندي الخاكي، وأجازه إجازة عامة سنة تسع وخمسين، ثم دار البلاد وقرأ على مشايخ يطول ذكر أسمائهم، ثم دخل إسلامبول وصار بينه وبين نفير حبر الروم مباحثات، ثم رجع إلى حلب وتوطّنها ودرّس بمدرسة الرضائية، وأخذ عنه جماعة كثيرون، وله من التآليف، شرح على ايساغوجي سمّاه «الفوائد الأسبيرية على الرسالة الأثيرية»، وقرّظه بعض تلامذته بقوله:

لعمركَ ما درٌّ بنظم القلائد   بأحسنَ مما في كتاب الفوائدِ

كتابٌ جلت حجب الظلام طروسه   بلؤلؤ لفظ مثل سلك الفرائد

أزاح عن الغيد الحسان نقابها   فواصلنا من بعد طول التباعد

ولا غرو إذْ تأليفه منتم إلى   محمّد أوصاف كريم موالد

سلوا مشكلات العلم عنه فإنها   لأدرى بهذا الحبر من كل واحد

إليه انتساب المكرّمات حقيقة   يلوح عليها نوره كالفراقد

وهنّوا أثير الدين حين تشرّفت   رسالته الغراء ذات القواعد

بشرح الإمام الأسبريّ الذي حوى   خصال كمال أوجبت لمحامد

فلا زال مأوى العلم والحلم والتقى   مدى الدّهر ما لاح الصباح لماجد

وله من التآليف أيضاً، شرح على مغني الأصول، المسمّى بالمستغني، لكنّه لم يكمل، وشرح على أوائل المنار، سمّاه بدائع الأفكار، وكتاب مناسك بالتركي سمّاه «تحفة الناسك، فيما هو الأهم من المناسك»، وله رسائل عديدة، منها رسالة في مسألة الجزء

الاختياري، ورسالة في عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ورسالة في بيان معنى كلمة التوحيد، ورسالة في نجاة الوالدين المكرمين لسيد البشر ﷺ، وله تعليقات على بعض المواضع المغلقة في تفسير الكشّاف، والبيضاوي، ولخّص الفتاوى الخيرية، وحاشية على شرح المنظومة المحبية للشيخ عبد الغني النابلسي، مسمّاة بالخلاصتين، وأهدى منه نسخة لشيخ الإسلام مفتي الروم محمد شريف أفندي فتلقاه بالقبول وأرسل له افتاء حلب، من غير طلب، ثم وجّه له المدرسة الشعبانية، ثم المدرسة الكلتاوية، وأخذ عنه جماعة من علماء حلب وغيرهم، منهم السيد محمد المقيد، والشيخ إبراهيم المكتبي، والسيد عمر، وكان معيداً في درسه الأشباه والنظائر الفقهية، ووكيله في المدرسة الخسروية، والشيخ يوسف النابلسي الشهير بابن الحلال وكيله في مدرسة الشعبانية، والسيد محمد صادق بن صالح البانقوسي، وبيّض له حاشية عمدة الحكام، وامتدحه في آخره بأبيات منها قوله:

كتبتُها وشرحها كاملة ... برسم حبر فاضل علاّم
مهذّب الدين غزير العلم ... والنقد طود راسخ الأقدام
وألمعي السبر والتنقير بل ... في كل فنّ أحد الأعلام
شيخ الشيوخ وأحد الدهر الذي ... من حقّه مشيخة الإسلام
محمد المولى الكريم الأسبريّ ... المجد غصن دوحة الكرام
فِداً لك النفس وهذا غاية التـ ... ـقصير من عبد من الخدام
فاسبل العفو وعامل كرما ... وغضّ إنْ طاشت سهام الرامي
سدا لما اختل من التحريف في الر ... سم أو أخطأ من الأقلام
وابق لها ما بقيت مؤرّخاً ... وأهنأ بشرح عمدة الحكّام

سنة ١١٨٧ ٦٣ ٥١٠ ٥١٤ ١٠٠

وكان صاحب الترجمة يتولى في ابتداء أمره النيابات في محاكم حلب، وكان ينتمي إلى نقيب حلب محمد أفندي طه زاده، وأفرده بالترجمة تلميذه الشيخ محمد الموقت، وكانت وفاته في شوّال سنة أربع وتسعين ومائة وألف.

محمد البقري:

٦٦٥ ـ محمد البقري بن إسماعيل، الملقب بشمس الدين، الضرير الأزهري البقري المصري الشافعي شيخ القراء بالجامع الأزهر الإمام العلامة الفقيه المقري: قرأ عليه القرآن بالروايات من لا يحصى عددهم، منهم المرحوم شيخ الإسلام أبو المواهب الدمشقي، واشتهر أنه جاوز المائة عام، وكان ملازماً للإقراء والإفادة، ومات بمصر سنة سبع ومائة وألف وصُلّي عليه صلاة الغائب رحمه الله تعالى.

محمد المنير:

٦٦٦ ـ محمد المنير بن الحسن بن محمد بن أحمد السمنودي، الشافعي الأحمدي،

ثم الخلوتي المصري، الشهير بالمنير، الشيخ الإمام المحدث المقري الصوفي العارف بالله: ولد بسمنود[1] سنة تسع وتسعين وألف، وقدم الأزهر وعمره نحو عشرين سنة بعد أن حفظ القرآن العظيم، وجمع للسبع والعشر، ونظم المنظومة في قراءة ورش، وجاور بالأزهر، وأخذ عن جملة من العلماء، منهم الشمس محمد السجيني، وعلي أبو الصفا الشنواني، والشمس محمد بن محمد بن شرف الدين الخليلي، وأجازه أبو حامد محمد البديري الدمياطي، والقطب السيد مصطفى البكري الدمشقي، والشمس محمد بن أحمد عقيلة المكي، والنجم محمد بن سالم الحفني، وعليه انتفع وبه اشتهر، وأخذ الناس عنه الحديث والقراءات والفقه طبقة بعد طبقة، وألّف مؤلفات نافعة، منها شرح الطيبة، وهو من أجل تآليفه، وشرح الدّرة ومنظومة في طريقة ورش وشرحها، ورسالة في رواية حفص، ورسالة في أصول القرآن، وله في التصوّف، تحفة السالكين، و «الآداب السنيّة لمريد سلوك طريق السادة الخلوتيّة»، وهو شرح على منظومة له في ذلك، ومنظومة في علم الفلك وشرحها، ورسالة في مساحة القلّتين، ورسالة في تصريف اسمه تعالى اللطيف، وله شرحان على البسملة سمّى الأول «الهام العزيز الكريم فيما في خبايا معاني بسم الله الرحمن الرحيم» تكلّم فيها على الأسرار الواقعة في البسملة، والثاني تكلم فيه على البسملة من حيث ما يتعلق بألفاظها، وله شعر رائق يتعلق غالبه بالحقائق، وصار شيخ الأزهر، وهو أوّل من انتزع مشيخة الأزهر من المالكية، وكانت وفاته عقب صلاة الجمعة حادي عشر رجب سنة تسع وتسعين ومائة وألف، ودفن بتربة المجاورين رحمه الله تعالى رحمة واسعة، ورحم من مات من أموات المسلمين أجمعين آمين.

محمد الدقاق:

٦٦٧ ـ محمد الدقاق المغربي الفاسي المالكي نزيل المدينة المنوّرة، الشيخ الإمام العالم العامل الصوفي الوفي المحقق على الإطلاق، أبو عبدالله شمس الدين: قدم المدينة المنوّرة من بلدته فاس، وأخذ بها عن العلاّمة عبد الرحمن ابن شيخ الشيوخ عبد القادر الفاسي، وعن غيره، وصار له الفضل التام مع السلوك لطريق السادة الصوفية أهل النقض والإبرام، ودرّس بالحرم الشريف النبوي، وانتفع به خلق كثيرون، وكان هماماً فاضلاً عليه السكينة والوقار، ملازماً للدروس بالحرم الشريف لا يشتغل بغيرها، توفي بالمدينة المنوّرة سنة ثمان وخمسين ومائة وألف، ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى، ووجد بخط صاحب الترجمة أبيات من شعره وهي قوله:

أنا المحبُّ لكم طول المدا أبدا ... أنا الوفيّ لكم بالعهد والذّممِ
أنا الذي غمرتْ قلبي محبّتكم ... سحت سحائبها بوابل الدّيم

---

(١) سَمَنُّودُ: بلدٌ من نواحي مصر جهة دمياط، مدينة أزلية على ضفة النيل. معجم البلدان ٣/ ٢٨٨.

أنـــا الـــذي بعيـــون الـــودّ أبصـــركـــم ويعـــثُ روحـــي لكـــم راض بـــلا قيـــم
أنـــا الـــذي بـــوفـــاء العهـــد متّســـم والصدقُ من سيرتي والصدق من شيمي

محمد الضرير الإسكندري:

٦٦٨ ـ **محمد الضرير الإسكندري بن سلامة بن إبراهيم الضرير الإسكندري، ثم المكي المالكي العلامة المفسّر النحرير المفنن الشاعر:** أخذ عن أحمد السندربي، ومحمد الخراشي، وعبد الباقي الزرقاني، وإبراهيم الشبراخيتي، وأحمد البشبيشي وغيرهم، وله تفسير منظوم للقرآن العظيم نظماً في عشر مجلدات، وغير ذلك، وكانت وفاته بمكة في ذي الحجة سنة تسع وأربعين ومائة وألف.

محمد الخالدي الديري:

٦٦٩ ـ **محمد الخالدي الديري أحد الفضلاء الأنجاب، طلب العلم فارتوى من مناهله، وجد واجتهد:** تولّى رياسة الكتابة بالمحكمة القدسية، وهي وظيفة آبائه وأجداده، ولم يزل في الكتابة رئيساً وتوفّي في سنة ألف ومائة وتسعة وثلاثين رحمه الله تعالى.

محمد الزمار:

٦٧٠ ـ **محمد الزّمار المعروف بابن الزّمّار، الشافعي الحلبي، الشيخ العالم الفاضل التقي الناسك الزاهد الصابر الوقور المهاب، جمع بين الولاية والعلم، عليه آثار العبادة والصدق والتقوى:** وانتفع به كثير من أهل حلب وغيرها، وله ملازمة تامة في الاشتغال بالعلوم، ويد طولى في المنطوق والمفهوم، وكان مع جلالة قدره يتفقّد أرامل جيرانه وأيتامهم، وبالجملة فقد كان من أولياء الله تعالى وكانت وفاته سنة سبع وستين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

السيد محمد البيلوني:

٦٧١ ـ **السيد محمد البيلوني المعروف كأسلافه بالبيلوني، الحنفي الحلبي، العالم الفقيه الفاضل الأديب الأريب:** كان له اطلاع تام، ذا مباحثة دقيقة، يشغل المجلس بمذاكرة المسائل العلمية، ويغلب عليه الفقه لأنه كان به متبّحراً، وكان مهاباً وقوراً محتشماً، تولّى افتاء أنطاكية، ثم ولاه شيخ الإسلام إفتاء القدس مع رتبة السليمانية المتعارفة بين الموالي، وأحبّه أهل بيت المقدس، وكانت وفاته سنة خمسين ومائة وألف، ودفن بتربة باب الرحمة خارج باب الأسباط رحمه الله تعالى.

محمد السؤالاتي:

٦٧٢ ـ **محمد السؤالاتي الشافعي الدمشقي السؤالاتي الخلوتي، الشيخ العالم الماهر المتقن الصالح الفقيه الفاضل:** كان له فهم ثاقب وحفظ تام، لمسائل الوقائع والأحكام، قرأ الفقه والفرائض والحساب والنحو، وكان يكتب أسئلة الفتاوى بباب الجامع الأموي، وكانت

وفاته في يوم الخميس الثاني عشر من جمادى الأولى سنة اثنين وثلاثين ومائة وألف، ودفن بتربة مرج الدحداح رحمه الله تعالى.

محمد المورلي القاضي بدمشق:

٦٧٣ ـ محمد المورلي القاضي بدمشق ابن يحيى بن عبدالله المورلي الأصل، الإسلامبولي، الحنفي أحد الموالي الرومية: ولد بإسلامبول سنة أربع وثلاثين ومائة وألف، ولازم على قاعدتهم من شيخ الإسلام محمد ميرزازاده، وتنقل إلى أنْ وصل للسليمانية، فمنها أُعطي مخرجاً قضاء سلانيك، وأخذ من الشيخ قرا داود الرومي، والعلامة محمد آق كرماني، وكان فاضلاً صالحاً متديّناً، سليم العرض والدين، حج سنة اثنين وسبعين، وولي قضاء دمشق سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف، وكان بدمشق يسلك في القضاء مسلك الشدة، وكانت وفاته في شعبان سنة أربع وتسعين ومائة وألف.

محمد الغلامي:

٦٧٤ ـ محمد الغلامي الشافعي الموصلي الفاضل الأديب اللّطيف الأريب البارع: ترجمه محمد أمين الموصلي فقال: شيخ علم وأدب، كان عاقلاً كاملاً زكياً بارعاً، من مجالسي الوزير الكبير حسين باشا، وولاه القضاء نيابة عنه في سنة ست وسبعين، وله قريض لطيف، لم أقف عليه، وإنما سمعت به من بعض أولاده، وله مناقب حسنة وأوصاف جيدة، وكانت وفاته في سنة ست وسبعين ومائة وألف وقد قارب الثمانين أو جاوزها ودفن بالموصل رحمه الله تعالى.

محمد العبدلي:

٦٧٥ ـ محمد العبدلي نسبة إلى عبدالله حي من عرب العراق على غير القياس: كان رافعاً أعلام الفضل وناشراً ألوية العلم، نشأ في الموصل، وهاجر إلى مصر ونواحيها، فاكتسب هناك كل نادرة، وجمع من العلم كل غريب الأسلوب مهجور القواعد، وكان في الطب آية من آيات الله، مشهوراً بتمييز الأمراض المشتبهة، لا يعرف له في ذلك نظير في الإقليم الرابع، وكان له في العلوم الرياضية يد طولى، ولم يزل في مصر ونواحيها ينقل منها الكتب إلى الأطراف، وكل يوم يحصل نادرة، وكل ساعة يظفر بقاعدة، حتى صار في الكمال عين الكمال، وغرة الليالي، ودخل حلب مراراً، ويقال إنّه اجتمع بابن النّحاس الشاعر الماهر والله أعلم، ولما كمل مرامه وحصل مقصوده عاد راجعاً إلى وطنه، فنشر من الفضل كل مطوي، وأظهر من أسرار العلم كل خفي، وكان له شعر رقيق النظام، مليح الانسجام، ونثر ألطف من مغازلة الآرام، ولطائف مشهورة بين الأنام، ومن لطائفه أنّه سئل في مجلس عن مولده، فقال: إنّ تاريخه نقل في ألف وثمانين، فضحك الحاضرون فقال واحد منهم: وأنا كان مولدي في عام ألف وإحدى وثمانين، فقال إذن أنت أنقل مني، وكان بخيلاً بالفضائل التي عنده لا يضعها في فاتر الهمة لما قاسى في تحصيلها من المشاق

والتعب، فكان يفرُّ من طالبه إلى البرّ فربما لحقه إلى البيداء، وكان عارفاً بالزيج والاسطرلاب والهيئة، خبيراً بالحساب، والمنطق والعربية، محبّاً للنكت، فكان عنده منها النادر والعجيب، واللطيف والغريب، وترجمه محمد أمين الموصلي فقال:

لما أردتُ صفاته فمدحته ... هانت عليّ صفات جالينوسا
آيات موسى فيه قد جمعت كما ... أوتي بنان يديه آية عيسى

هذا الهمام فارس عصابة الأدب، وسابق حلبة أفاضل العجم والعرب، أبقراط الحكمة له غلام، وأفلاطون الحكمة له من جملة الخدام، أبطل ذكر بطليموس بعجائب آثاره، ودك طور ابن سينا لما تجلّى بسنا أنواره، ما الفارابي إلاّ رشحة من هذا المنهل، ولا الأبهري من هذا البحر إلاّ جدول، اذهب تعفن أخلاط الجهالة بمعاجين علمه، وأصلح مزاج الفضل والأدب بأخلاط فهمه، وأدب حميا الإيضاح بعروق جسم المعضلات، وأبرأ خرائد المسائل من أمراض الإشكالات، ودبّر الأدب بعدما شاخ بالمرطب ليبس مزاجه، واسترجع العلم بعدما أشرف على الممات بإصلاح فساده وعلاجه، ومن بلاغته قوله وبعث به إلى علي أفندي العمري حين عاد إليه الإفتاء فقال من قصيدة:

حمد المولى بعين اللّطف مُذ نظرا ... إلى العباد أزال الضرّ والضررا
فأصبح الكونُ طلق البشر منشرحا ... صدراً وباليسر والإقبال قد سفرا
وبالمنى والأمانيّ الزمان أتى ... والدهر مما جناه جاء معتذرا
عناية نزلت في الأرض فاعتدلت ... أوقاتها فخلت من مفسد غدرا
أطيارها صدحت غدرانها طفحت ... رياحها نفحت تهدي شذا عطرا

ومنها:

كما حمى كرماً عرض العباد بمن ... يحيى بفصل خطاب جدّه عمرا
وصار بين الورى في الكون لفظة إجـ ... ـماع عليها وفاق العصر قد قصرا
أثيل مجد تليد عن أبيه وعن ... أجداده فهو إرثٌ ليس مبتكرا

ومنها:

بالعلم والحلمِ ساد الناس قاطبة ... ولم يقاربه منهم من علا سيرا
يروي أحاديث جود عن يديه عطا ... أخبار صدق بلا شكّ لمن أثرا
مَنْ جعفرٍ في النّدى مَنْ ابن زائدة ... ومَنْ زهيرٍ ومَنْ قسّ إذا جهرا
ما ابن ماء السما ما حاتمٌ كرما ... إلاّ كقطرة ماء منه قد قطرا
تجمعت فيه أوصاف مفرقة ... في الخلق يدرك ذا من كان مختبرا
إنْ يجمع الله كلّ الناس في رَجَلٍ ... فليس ذلك بدعا عند من سبرا
علمٌ وحلمٌ وجود عفة وتقى ... طلاقة بوقار هيبة وقرا

فتّاح أبواب تلخيص الفصاحة لا يحتاج فيها إلى المفتاح لو حضرا
حبر بدايته فضلاً نهاية من سواه فرد على أقرانه افتخرا

وهي طويلة جداً، وله أشعار غيرها وقصائد، وتوفّي في الموصل سنة ست وستين ومائة وألف ودفن هناك رحمه الله تعالى.

محمود الغزي:

٦٧٦ ـ **محمود الغزي بن إبراهيم بن محمود بن حسين الشافعي الغزي الدمشقي الشيخ الفاضل**: كان من العلماء الأجلّاء، أحد من اشتهر وتفوّق بالعلم والفضل، قرأ على جهابذة شيوخ أفاضل، وارتحل إلى مصر القاهرة وأخذ بها، وقرأ على جماعة، كالشيخ أحمد بن محمد الفقيه المصري الشافعي، قرأ عليه الفقه والنحو والتوحيد والحديث والمنطق وغير ذلك، وأجازه بالإفتاء والتدريس، وكذلك الشيخ عبد الرؤوف البشبيشي المصري وغيرهم، وارتحل إلى الروم وقطن بها مدة سنين، وتولّى بدمشق تولية وتدريس المدرسة الأمينية، ودرّس بالشاميّة، وتزوّج بدمشق وأعقب، وارتحل إلى حلب، وصار بدمشق قاضي الشافعية بمحكمة الباب، وتعاطى القضاء إلى أنْ مات، وبالجملة فقد كان من الأفاضل المنوّه بهم، وكانت وفاته في سنة خمس وخمسين ومائة وألف ودفن بتربة مرج الدحداح رحمه الله تعالى.

محمود الجزري الكردي:

٦٧٧ ـ **محمود الجزري الكردي بن أبي بكر بن محمد بن عثمان الشافعي الجزري، نسبة إلى الجزيرة الكردي، نزيل دمشق الشيخ الأستاذ العارف**: كان مشهوراً معتقداً، له معرفة تامّة في الفنون والعلوم الغريبة، كالزايرجا والحرف والأوفاق والرياضات وغيرها، مع الصلاح والتقوى والديانة، ولد بالجزيرة سنة ست وسبعين وألف ونشأ بها، وحفظ القرآن العظيم، وقرأ شيئاً من العلوم، ثم سافر قاصداً نحو القدس الشريف، فاجتمع برجل من الأولياء يقال له: الشيخ محمد زمان السندي، فانقطع إليه ولازم خدمته، وظهر له منه كرامات عديدة، وحج هو وإياه، ولقنّه طريق السادة النقشبندية، وأمره أنْ يرجع إلى بلده ويختلي خمس سنوات، ثم بعد انتهاء الخلوة رجع حاجاً بأمر شيخه المذكور، واجتمع به وأمره أنْ يسكن دمشق، فبعد رجوعه إليها أرسل إلى أهله واستقام في دمشق في دار بمحلة العقيبة ينفع الناس بإفادة ما منحه الله به من المعارف والعلوم، وكانت له مناقب كثيرة وأشياء عجيبة في ذلك، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ويختلي في رمضان في مكان يختم القرآن مرة بالليل، ومرة بالنهار إلى ليلة العيد، ويخرج لصلاة العيد والجمعة، ولم يتزوج قط، وقصد الحج هو وأهله، وعند رجوعه توفي بين الحرمين في أوائل محرم سنة إحدى وأربعين ومائة وألف، في منزلة الجديدة ودفن بها رحمه الله تعالى.

محمود العبدلاني:

٦٧٨ ـ محمود العبدلاني بن عباس الشافعي العبدلاني الكردي نزيل دمشق، الشيخ العالم العلامة المحقق المدقق الفاضل: ولد في عبدلان ونشأ بها في كنف والده، وكان هو ووالده ووالدته في خدمة الأستاذ العالم الصالح الشيخ إسماعيل العبدلاني الكردي جدّ الشيخ عبد القادر الكردي المقدم ذكره في محله، ووالده من أتباع المذكور وخدمته، وكان لا يعلم العلم، فنشأ المترجم والأستاذ يلمحه بنظره، واشتغل المترجم بعد وفاة الشيخ في القراءة والإفادة، فحصل على ما حصل، وظهرت فضيلته، ودرس في عبدلان وصار مفتياً في كوى صنجق، وخرج منها إلى حلب، واستقام شهرين، ثم قدم دمشق ومنها ارتحل إلى الحج، وعاد سكنها إلى أنْ مات، وكانت وفاته في سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف، ودفن بسفح قاسيون قرب الجوعية رحمه الله تعالى.

محمود المعروف بالسالمي:

٦٧٩ ـ محمود المعروف بالسالمي الشيخ العابد الزاهد: كان صالحاً فاضلاً، اجتمع به الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي، وكانت وفاته في رمضان سنة اثنين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

محب الله بن زين العابدين:

٦٨٠ ـ محب الله بن زين العابدين بن زكريا ابن شيخ الإسلام البدر الغزي العامري، الدمشقي الشافعي، الشيخ العالم الفاضل العابد الناسك الأديب الأوحد: كان منقطعاً عن الناس، وأحبُّ ما يكون إليه العزلة، يلقى الناس بالبشر والتودّد، أخذ عن والده، وعن عمّ أبيه شيخ الإسلام النجم الغزّي، وعن القطب أبي الصبر أيوب الخلوتي وغيرهم، وبرع وفضل ونظم ونثر، ومن شعره قوله مضمناً:

أهواه شروي البدر يرمي دائما ... من لحظه قلب الكئيب بأسهمِ
حفّت جوانب وجنتيه بحمرة ... لجمالها الياقوت دوماً ينتمي
فرأيتُ فيه تناسقاً وتناسباً ... من عادة الكافور إمساك الدَمِ

وهذا المصراع قد ضمنّه جماعة من الأدباء جمعهم صاحبنا محمد الكمال الغزي في رسالة سمّاها «لمحة النور في تضمين من عادة الكافور»، وكان صاحب الترجمة مشهوراً بالصلاح والبركة، فكان يكتب للأمراض والعلل المزمنة فيحصل الشفاء على يديه، وأمّ بمحراب الأولى في الجامع الأموي مدة حياته، وله تاريخ نفيس رتّبه على الوقائع اليومية، وبالجملة فقد كان من أفراد صلحاء العالم ووجوه الناس، ولم يزل على طريقته المثلى إلى أنْ توفي، وكان صَلى بالناس إماماً العصر، ودخل إلى حمّامهم الذي بقرب دارهم، واغتسل في آخر يوم من رمضان، وخرج من الحمام ودخل بيته فأفطر وصلّى المغرب، ومات فجأة

ليلة الثلاثاء غرة شوّال سنة ست عشرة ومائة وألف، ودفن يوم العيد بمرج الدحداح رحمه الله تعالى.

محب الدين الحصني:

٦٨١ ـ محبُّ الدين الحصني بن إسماعيل، المعروف بالحصني، الحسيني الشافعي الدمشقي السيد الشريف خلاصة الخلاصات: ولد سنة ثمان وثلاثين وألف، وكان من أخلص الصالحين، وغلبت عليه عند انتهائه الأضعاف، وكان لا يفتر عن ذكر الله وذكر رسوله مستجيراً بجنابه العظيم، وكانت وفاته سنة ثلاث عشرة ومائة وألف، ودفن بزاويتهم في دمشق بمحلة الشاغور البراني رحمه الله تعالى.

محب الدين بن شكر:

٦٨٢ ـ محبُّ الدين بن شكر الدمشقي الشيخ العالم الولي الصالح: هو من مشايخ الشيخ أحمد بن علي المنيني، وأخبرت أنَّ المترجم كان يستقيم في المدرسة الكاملية شمالي الجامع الأموي، وأنّه كان من أهل الصلاح، ولم أتحقق وفاته في أي سنة كانت رحمه الله تعالى.

محيـي الدين المصري:

٦٨٣ ـ محيـيّ الدين المصري بن علي بن إبراهيم بن محيـي الدين بن عبد الحافظ المصري نزيل دمشق: كان حافظاً لكتاب الله تعالى مجوّداً، خفيف الروح، مقبولاً عند الخاصة والعامة، استقام بدمشق نحو ستين سنة، وكانت وفاته بها يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الآخرة سنة ست ومائة وألف رحمه الله تعالى.

مراد المرادي:

٦٨٤ ـ مراد المرادي بن علي بن داود بن كمال الدين بن صالح بن محمد الحسيني الحنفي البخاري النقشبندي نزيل دمشق وقسطنطينية: جدّنا الكبير الأستاذ الإمام الأعظم الشهير قطب الأقطاب، ونادرة الأزمان والأحقاب، السيد الشريف العالم العلامة الولي العارف الفهامة الفاضل المحقق المدقق الصوفي الغوث الصمداني الرباني الحبر البحر الحجة الرحلة المسلك المرشد إمام أهل العرفان، وصدر أرباب الشهود والوجدان، صاحب الكرامات والعلوم، كان آية الله الكبرى في العلوم النقلية والعقلية، خصوصاً في التفسير والحديث والفقه، وغير ذلك، مع الديانة والصلاح، والتقوى والنجاح، والولاية وعِلْمَي الظاهر والباطن، وكانَ مبجّلاً معظماً، أحد الأفراد من العباد، مرشداً كاملاً ورعاً زاهداً عابداً معتقداً مع اتقان اللغات الثلاث العربية والفارسية والتركية، معمراً نورانياً جامعاً للمذاهب، جليل المناقب، متضلعاً من العلوم مظهر التوفيق والكرامات، حتى كان يحفظ أكثر من عشرة آلاف حديث مع أسانيدها، وحفظ روايتها، ودائماً رأسه مكشوف غارقاً في بحر عشق مولاه، حامداً لما أناله وأولاه، ولد في سنة خمسين وألف، وكان والده نقيب الأشراف في

بلدة سمرقند، فلما بلغ المترجم من السنّ ثلاث سنين، حصلت له نازلة على قدميه وساقيه عطلتها، وبقي مقعداً بسبب ذلك، ثم نشأ مجتهداً في اكتساب العلوم والكمالات، ثم قرأ العلوم العربية والفنون العلمية، ثم حصلت له النفحة الربانية والمنحة الصمدانية، فأقبل على طاعة ربه، واجتهد معرضاً عن شهوات الدنيا، مقبلاً على الأخرى، فهاجر إلى بلاد الهند، وأخذ هناك الطريقة النقشبندية وغيرها، عن الأستاذ الكبير مهبط الأسرار الإلٓهية ومورد المعارف الربانية، الشيخ محمد معصوم الفاروقي المنسوب إلى الإمام عمر الفاروق رضي الله عنه، فلازمه وتتلمذ له، وأخذ عنه، وأقام عنده أياماً ثم أمره بالتوجّه لإرشاد العموم، وكان الجد المترجم سبقت جذبته الإلٓهية على سلوكه، وهو أخذها عن والده الأستاذ أحمد الفاروقي الملقب بالمجدد، وهو عن الإمام محمد الباقر إلى آخر السلسلة العليّة، وأشرقت منه شموس الإرشاد، وبزغت من مطالعه نجوم الهداية والعلوم في البوادي والبلاد، وكان فيه المراد، ثم بعد مدة قدم إلى الديار الحجازية قاصداً حج بيت الله الحرام، وزيارة سيد الأنام محمد ﷺ، ثم استقام مجاوراً ثلاث سنين، وبعدها توجّه نحو بغداد ومنها قصد التوجه إلى بخارى، ومنها إلى أصفهان ومنها إليها، ولما مرّ على بلاد العجم خرج لملاقاته ميرزا صائب الشاعر المشهور، وأهدى إليه المنتخبات من شعره، وصحب في هذه الرحلة علماء سمرقند وبلخ ومشايخها، واجتمع بهم، ثم قصد ثانياً العود إلى بغداد، فعاد واستقام بها مدة، ثم عزم على التوجّه إلى مكة المكرمة ثانياً، فتوجّه، وبعد أداء الحج والنسك والزيارة، مرّ على مصر القاهرة، ومنها وفد إلى دمشق وقطن بها، وكان دخوله ووفوده إليها بعد الثمانين وألف، وأقبلت الناس عليه بدمشق بالتعظيم والاعتقاد والمحبة، لما جبّل عليه من الزهد والإيثار والعبادة والتحقيق في العلوم، ففي سنة اثنتين وتسعين وألف قصد التوجّه لبلاد الروم، فارتحل إلى دار الملك قسطنطينية، فلما وصل أقبلت عليه علماؤها وصلحاؤها ومشايخها ومواليها، وأخذوا عنه الطريقة وتلقّنوا منه الذكر، واعتقدوه، وصار له تعظيم وتبجيل، ثم استقام بها بمحلة أبي أيوب الأنصاري قدس سره مقدار خمس سنين، وفي سنة سبع وتسعين عاد إلى دمشق، فبعد مدة قصد التوجّه إلى الحجاز إلى مكة المكرمة ثالث مرة، وكان ذهابه في غير وقت الحج، بل ذهب وحده هو ومن معه بلا قافلة إلى أنْ وصل إلى هناك، وجاور سنة واحدة، وعاد إلى دمشق، ثم حج في سنة تسع عشرة ومائة وألف رابعاً وعاد إلى دمشق أيضاً، وكان في دمشق معتقداً ملاذاً مفيداً مكرّماً مكرماً تحترمه أهاليها، وله مزيد التعظيم عندهم، وكانت الحكّام تهابه، وهو مقبول الشفاعة عندهم، وكان موقراً، وأخذ من السلطان مصطفى خان قرى بدمشق إقطاعاً بمال يدفعه للخزينة الميرية في كل سنة، وهو الآن المعروف بالمالكانات، وكان الجدّ أوّل من وجّه له ذلك بهذه الطريقة، وهي الآن علينا، وصار له تعظيم وافر، واجتمع بشيخ الإسلام إذْ ذاك العلامة الكبير المولى فيض الله، ورفع المترجم عن أهالي دمشق مظالم عديدة، وكان قوّالاً بالحق ناصراً للشريعة، مسعفاً من ظلم، مساعداً لأولي الحاجات غاية المساعدة، ومن آثاره بدمشق المدرسة

المعروفة به، وكانت قبل ذلك خاناً يسكنه أهل الفسق والفجور، فأنقذه الله من الظلمات إلى النور، وشرط في كتاب وقفه أنه لا يسكنها أمرد ولا متزوّج ولا شارب للتتن، وكذلك بنى مدرسة في داره بمحلة سوق صاروجا وتعرف بالنقشبندية البرانية مع مسجد كذلك هناك، وكان كثير الصدقات مسارعاً إلى القربات، وله من التآليف، المفردات القرآنية في مجلدين تفسير للآيات، وجعله باللّغات الثلاث أوّلاً بالعربية ثم بالفارسية ثم بالتركية وهو مشهور بين علماء الروم وغيرها، وله رسائل كثيرة في الطريقة النقشبندية، وتحريرات ومكاتبات، وكانت وفاته في قسطنطينية في ليلة الثلاثاء ثاني عشر ربيع الثاني سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف، وصُلّي عليه في جامع أبي أيوب خالد الأنصاري رضي الله عنه، ودفن في درسخانة المدرسة المعروفة في محلة نيشانجي باشا، ورُثِي بالقصائد الكثيرة العربية والتركية، ومن ذلك ما رثاه به تلميذه الشيخ أحمد المنيني مؤرّخاً وفاته حيث قال:

غـوثُ البـرايـا مـرشـد العبـاد فـي ... سنـن السلـوك إلـى مناهـج قُـرْبِـهْ
بحرُ الحقيقة والشريعة من سرت ... أنــواره فــي الأفــق مســرى شهبــه
إنســان عيــن الــوقـت كـامله الـذي ... يـمّ المعـارف قطـرة مـن سحبـه
الملجـأ الأحمــى مــراد الله مــن ... لحمـاه يهـرع عـائـذ مـن كـربـه
قـد جـاءه مـن ربـه بشـرى الـرضـا ... بلقـاء مـولاه الكـريـم وحـزبـه

إلى آخرها وهي طويلة، ورثي بغير ذلك رحمه الله تعالى، ومن مات من أموات المسلمين أجمعين آمين.

مكي الجوخي:

٦٨٥ ـ مكي الجوخي بن محمد سعيد بن يس بن سليمان بن طه بن سليمان الجوخي الشافعي، الحلبي الأصل، الدمشقي المولد، الفاضل البارع الأديب اللّغوي الضابط: كان أحد البارعين في الأدب وفنونه، وله شعر حسن واطلاع تام في اللغة مع ضبطها، وكان يتفحّص عن النكات والأحاسن من الأشعار والفوائد ويضبطها، مع باع في النحو والفقه وغيره، ذا ثروة مشتغلاً بالمتاجرة والاكتساب من ذلك، قدم جدّه يَس من حلب إلى دمشق في حدود سنة ستين وألف، ونزل في خان الجوخية بدمشق في تجارة، فلما بلغ الخبر إلى مفتي دمشق العلامة المولى أحمد المهمنداري الحلبي أرسل بعض خدمه إليه وأنزله عنده، وكان يتردّد إلى الخان المذكور ويعود يبيت عنده، ثم بعد مدة اشترى داراً في محلة مدرسة الباذرائية وتوطن بها وتزوج، وصار له أولاد، منهم محمد سعيد والد المترجم، ثم ولد لمحمد سعيد أولاد، منهم المترجم وهو أنجبهم، ونشأ في حجر والده، وقرأ القرآن على الشيخ حسين البيتماني، وأخذ عن غيره، ثم طلب العلم واجتهد في تحصيله، فقرأ على الشيخ محمد الغزي وهو أول شيخ أخذ عنه وربّاه، وأخذ عن غيره من جماعة أفاضل أجلّاء، وارتحل إلى حلب وأخذ عن عالمها الشيخ طه الجبريني، والشيخ محمد المواهبي،

ولما حج في سنة ثمانين ومائة وكان والدي في تلك السنة حاجاً، وكنت مع والدي وكان سني دون البلوغ، فأخذ عن علماء الحرمين، وصار له تآليف، فاختصر شرح الأذكار للنووي، واختصر شرح الصدور، وله مجاميع وشعر وفوائد، وله ضبط في اللغة والأدبيات وغير ذلك، وله ديوان شعر، وبالجملة فقد كان من أدباء ذلك القرن، ومن شعره الباهر ما مدح به الجناب الرفيع ﷺ بقوله:

بك يا سيّد الأنام التجائي — وعياذي من طارق اللأواءِ
يا ضياء الوجود يا رحمة اللّـ — ـه التي ترتجي لكشف البلاء
يا نبيّ الهدى وخير البرايا — من حبّاه الإلّه بالإسراء
يا مغيثَ الملهوفِ يا مَنْ بعليا — ه التجانا في البؤس والضرّاء
أنتَ شمس العلوم بحر العطايا — منبع الفضل سيّد الأنبياء
أنتَ مصباح كل جود وتهدي — كل سارٍ إلى الطريق السواء
فنداك المأمول في كل ضيق — ومُرجى بشدّة ورخاء
لك أشكو من ضعف حالي أني — أرتجي لمحة تزيل عنائي
كنْ ملاذي في النائبات مغيثي — من صروف الزّمان والبلواء
فعليك الصلاة بعد سلام — مع آل وصحبك النّجباء
ما تغنّت حمائم الروض صبحا — أو سرى البرق في دجى الظلماء

وقوله من نبويّة أيضاً:

ويحَ قلبي من غزال شردا — من جفاه كم أرى عيش رَدَى
بعتُ روحي في هواه رغبة — ذبتُ من شوقي عليه كمدا
كيف أسلو وهواه قاتلي — وجفوني شابهت قطر النّدى
قلت يا مَنْ بالجفا أتْلَفَني — جُدْ بوصلٍ ولك الرّوح فدا
وأبحني نظرةً أشفي بها — كبداً ذاق العنا والنّكدا
أنا راضٍ بالذي يفعله — جوره عذب وإنْ لجّ العدا
وبأكناف الحمى لي جيرة — حبّهم فرض على طول المدى
قمتُ ليلاً في روابي شعبهم — كي أرى نحو حماهم مُنْجِدا
أنشدَ الحيّ فلم ألف به — من مجيب مسعد إلاّ الصدى
قلتُ هل أبصرت ظبياً شرّدا — قال هل أبصرت ظبياً شردا
يا لقومي إنّني ذو شغف — في هواه وهوى الغيد ردى

ومنها:

ثم عرّج نحو وادي طيبة — لحمى طـة التّهامي أحْمَدَا

إنّ لـي قلبـاً لـدى أطـلالـه ... شجا في حلل الوجد ارتدى
سيّد الأكوان ذو المجد ومن ... نرتجي منه لنا فيض النّدى
يا رسولَ الله يا غوث الورى ... يا سراجاً للمعالي والهدى
أدرك ادرك مستهاماً دنفا ... لك شوقاً ليس يحصى عددا
قد وردنا نرتجي فيض الرضا ... ومن الجدوى طلبنا المددا
فعليكَ اللّهُ صلّى دائما ... ما حدا الحادي وما الطير شدا

ولصاحب الترجمة:

ويلاهُ من رشأ تهفو النّفوس له ... حلو الشّمائل يسبينا بطَلْعَتِه
نسج بعارضه أمْ أحرف رقّمت ... فوق اللّجين فراقت حسن بهجته
كأنّما نملةٌ مشتْ أناملها ... على مداد فدبتّ فوق وجنته

هو من قول الشيخ عبد الرحمن الموصلي:

أَنَبْتُ عذارٍ أمْ شقائق روضة ... مشى فوقها نملٌ بأرجله حبرُ

وهو ناظر إلى قول العارف الشيخ أيوب:

انظر إلى السحر يجري في لواحظه ... وانظر إلى دعج في طرفه الساجي
وانظر إلى شعرات فوق وجنته ... كأنّما هنّ نمل دبّ في عاجِ

ومن ذلك قول بعضهم:

كأنّ عارضه والشعر عارضه ... آثار نملٍ بدتْ في صفحة العاجِ
توحّلت في لطيم المسك أرْجُلها ... فعدنَ راجعةً من غير منهاج

وما أحسن قول البارع أحمد الشاهيني:

دبّ العذار بخدّه ثم انثنى ... فكأنّه في وجنتيه مروّعُ
نملٌ يحاولُ نقلَ حبّة خاله ... فتمسّه نار الخدود فيرجعُ

وللمترجم متغزلاً:

أقسمتُ بالدّر من ثغرٍ وما نسقا ... والخالُ من خدّه الباهي وما عبقا
وليلُ شعرٍ على الأجياد منجدل ... وبارقٌ من ثناياه لقد برقا
ما شمت قط لباهي حسنه شبها ... بين الظباء فسبحان الذي خلقا
هو الغزالُ فما أحلى تلفّته ... كم عاشقٍ هامَ فيه مُذْلَهُ عَشَقَا
يسبي العقول إذا ما ماس في حلل ... من الجمالِ وكم قلب به علقا
مقسم الوجه منه البدر مفتضح ... أنّى يضاهيه بدر تمّ واتّسقا
فاق الحِسَان سني من نور غرّته ... فلاحَ في بدر تم فوق غصن نقا

أفـديـه ذا هيـفٍ يـرنـو لعـاشقـه ... كـالظبـيّ ملتفّتـاً كـالغصـن ممتشقـا
ذو مبسـم بـردٍ قـد راق منهلـه ... والمسـكُ مـن طيبـه الفـوّاح قـد نشقـا
أعيـذ طلعتـه مـن شـرّ حـاسـده ... وغـاسـق وعـذول لـومـه غسقـا
قـد مـاس فـي حسنـه يختـال متّشحـا ... ومـالَ فـي تيهـه عجبـاً ومـا رمقـا
وراش لـي أسهمـاً مـن هـدب مقلتـه ... أصمـت فـؤاد المعنـى عنـدمـا رشقـا
يـا ويـحَ قلبـي ممـا قـد لقيـت أسـى ... فـي حبّـه زاد وجـدي والحشـا خفقـا
يـا أيّهـا المعـرض المسبـي بقـامتـه ... رفقـاً بقلـب كئيـب زدتـه حـرقـا
كسـوتَ جسمـي نحـولاً فـي هـواك ولـم ... يـدع صـدودك والهجـران لـي رمقـا
كـم ذا أقـاسيـه مـن فـرط الغـرام ومـن ... تلـوّع واصطبـاري عنـك قـد نفقـا
عطفاً على صبّك المضني الشجيّ كرماً ... قـد طلّـق النّـوم جفنـي واكتسـى أرقـا
وجُـدْ بـوصـلٍ فـدتـكَ الـروحُ يـا أملـي ... وارحـمْ حشـاءً بنيـرانِ الجـوى احتـرقـا

وله مخمّساً:

قفـا ننشـدِ الأحبـاب عـلّ النّـدا يجـدي ... بسفـح اللّـوى والبـان مـن علمـي سعـدي
وقـولاً إذا مـا هينمـت نسمـة الـرّنـد ... ألا يـا صبـا نجـدٍ متـى هجـت مـن نجـدِ
لقد زادني مسراكِ وجداً على وجدي

إذا مـا وميـضُ البـرقِ لاحَ وأوضحـا ... وأبـدى حـديـثَ الشـوق عنـي وصـرّحـا
أهيـم بـذكـراهـم وجسمـي قـد انمحـى ... وإنْ هتفـت ورقـاء فـي رونـق الضّحـى
علـى فنـن غـض النبـات مـن الـرّنـدِ

أحـنُّ إلـى الأوطـان مـن ذلـك اللّـوى ... وقلبـي بنـار الهجـر وجـداً قـد اكتـوى
فـأوّاه مـن وجـدي ومـن لـوعـة النّـوى ... بكيـتُ فـأبكـانـي الـذي بـي مـن الجـوى
ومـن شـدّة البلـوى ومـن ألـم الفقـدِ

أهيـلُ الحمـى ظهـري لبعـدكـم انحنـى ... نـأيتـم فبـات القلـبُ يشكـو مـن الضّنـى
وقلتـم بـأنَّ الصبـر يعقبـه المنـى ... بكـل تـداوينـا فلـم يشـف مـا بنـا
علـى أنّ قـرب الـدار خيـر مـن البعـدِ

رحلنـا عـن الأوطـان رحلـة طـامـعٍ ... وقلنـا حـداة العيـس جـدّوا بـوالـعِ
عسـى نـدرك المـأمـول مـن غيـر مـانـعٍ ... علـى أنّ قـرب الـدار ليـس بنـافـعٍ
إذا كـان مـن تهـواه ليـس بـذي ودٍّ

ومن نثره وقد أرسل بها إلى بعض أصحابه لأمر اقتضى ذلك:

حرس الله تعالى جناب سيدنا نتيجة الزمانِ، ومعدن الفضائل والعرفانِ، ومحيّر أرباب اللّسن بطلاقة اللّسان، والسالب برقّة ألفاظه كل إنسان، الرفيق الكامل، الذي تعقد على مثله الخناصر وتشدّ الأنامل، من قلّد جيد الزمان بالأيادي، وأخرسَ بفصاحته سحبانَ وقسّا

الأيادي، وأخجلَ سحب الغمام بالأيادي، وأروى بمورده العذب كل صادي، أما بعد: فمتى غابت شمس الودّ، حتّى اكفهرّ ليل المقاطعة واسودّ، ومتى تقشّع سحاب المحبّة، حتى لم ينبت في رياضها حبّة، ومتى كان هذا الجرح حتى اندملْ، ومتى سلّ حسام المحاربة حتى كلّ وفلْ، ولكن إذا كان المحبُّ قليلَ الحظوظِ، فكلّ ما يبديه بعين السخط ملحوظ.

إذا كـــان المحـــبُّ قليـــل حـــظٍّ فمــــا حسنــــاتـــه إلاّ ذنــــوبُ
وعينُ الرّضا عن كلّ عيب كليلةٌ كما أنَّ عينُ السخط تبدي المساويا
أما والذي أبكي وأضحك والذي أمـاتَ وأحيـا والـذي أمـره الأمـر

ما صاحبتك طمعاً فيما في يديك، ولا واخيتك للاعتماد عليكَ والاحتياج إليك، ولا تقرّبت إليك لتنقذني من المهالك، ولا واددتك لتواسيني بمالك، ولكنّي كنتُ أعدّك عدّة للأعدا، وأعدّك إذا عدتَ الأصدقاء فرداً، وأفزع إليك إذا اشتدّ الكرب، وأشكو إذا أعضل الخطب، أموراً يتوجع منها القلب.

ولا بدّ مِنْ شكوى إلى ذي مروءة يـواسيـكَ أو يسلّيـكَ أو يتـوجّـعُ
من غصّ داوى بشرب الماء غصّته فكيفَ يفعلُ من قد غصّ بالماءِ
كنـتُ فـي كـربتـي أفـرُّ إليهـم فهـمْ كـربتـي فـأيـن الفـرارُ

على أنّني ما أنكرت ودّك المستطاب، ومعروفك الذي هو أصفى من الشراب، ولا جحدتُ ما أثقلت كاهلي به من الأيادي، بل ذكرتها ونشرتها في كل نادي.

إذا محـاسنـي الـلاّتـي أدلّ بهـا كانتْ ذنوبي فقل لي كيف أعتذرُ

شعر:

لسـتُ أشكـو مـن امتنـاعـك عنّي يـا منـى القلـب حيـن عـزّ الإيـابُ
سـوءُ حظّـي أنـالنـي منـكَ هـذا فعلـى الحـظِّ لا عليـك العتـابُ

فإذا كان هذا الأمر اقتضاه الحال، فحلمكم أوسع وإنْ اتّسع المجال، والصديق هو الذي يعد للشدّة والضيق، والرفيق هو الذي يكون بالرفيق رفيق.

أَعَلـى الصّـراط تكـون منك مـودّة أمْ فـي المعـاد تكـون مـن خـلاّنـي
إنّـي قصـدتـك للشـدائـد فـانْتَبِـه والأمرُ في الأُخرى إلى الرّحمنِ

فيا سيّدي ما هذا التجنّي والإعراض، والتسخّط والانقباض، فبعض هذا الجفاء يا مولاي مقنع، وأقل ما رأيته منك للقلب مؤلمٌ وموجع.

فـلا خيـرَ فيمـنْ غيّـرَ البُعْـدُ قلبَـهُ ولا فـي ودادٍ غيّـرتـه العـوامـلُ

ولقد أكثرت في الإلحاح والطلب، وأزعجتُ نفسك غاية الإزعاج وأتعبتُها غاية

التعب، وحملتها ما لا تطيق، وأوقعتها في أشدّ الضيق، فإذا كان هذا الأمر سريع الفرج، فلا يكن في صدرك حرج.

وخفّض عليك فإنّ الأمور بكفّ الإلّه مقاديرها

شعر:

غصص الحياة كثيرة ولقد تنسي الحوادثُ بعضها بعضا

ولقد بَلَغَنَا من بعض الأحباب، أنّك أكثرتَ من الملامةِ والعتابُ، فسبحان الله ما هذا القلق والاضطراب! كأنما تقطّعت بيننا العلائق والأسباب! أمْ هل سمعت أنّها ضاقت بنا المذاهب؟ أمْ قَصُرَتْ يدنا عن درك هاتيك المطالب؟ أمْ أُخبرتَ إنّنا على جناح سفر؟ أمْ جحدنا حقّاً في قبلنا اشتهر؟ أمْ عرفنا بالمطل والإفلاس؟ أمْ اشتهرنا بأكل أموال الناس؟ وذكرت أنّ أباك وَبّخَكَ على صحبتنا لهذا الأمر الخطير، وعيّرك بمودّتنا غاية التعيير، كأنه ظنّ أننا انتسبنا إليك لتواسينا بمالك، أما علم أنّنا بفضل الله غنيّون عن ذلك، وقد اعتذرتَ عن ذلك بأعذار لا تقبل، بناؤها أوهى من بيت العنكبوت، لا يستقرّ لها حقيقة ولا ثبوت، ولكن لمّا رأيتكَ ألححتَ غاية الإلحاح في الطلب، وأبديتَ ما كمن من الغضب، وأظهرتَ من النفرة ما فيه نهاية العجب، وقطعت للمودّة كل سبب، ورأيتَ أنْ تَرْكَنَا أولى وأنسب، فلذلك اقتحمتَ هذه الأخطار، وتعللتَ بنسج الأعذار، لأنظر انتهاء هذا الأمر، وأطّلع على مكنون هذا السر، وأتحققَ حقيقة صحبتك، وأنتهي إلى نهاية مودّتك، فإنّ في هذا الباب، تذكرة لأولي الألباب، وفي التتبّع والاستحضار، تبصرة لأولي الأبصار.

الشيء يظهر في الوجود بضدّه لولا الحصى لم يبد فضل الجوهرِ

غيره:

ألم ترَ أنَّ العقل زيّن لأهله وأنّ تمام العقل حسن التجاربِ

وأنّ النقود، تظهر ما كمن للوجود، وتنقد الرجال، وتترجم عن حقيقة الحال، وتفرّق بين الصُوَيْحب والصاحب، وتبيّن الصادق في محبته من الكاذب، كما قال من جاء بالمحجّة البيضاء، فيمن مدح عنده هل عاملته بالصفراء والبيضاء، هذا والمرجوّ عدم المؤاخذة بما نطق به لسان اليراع، وأودعه في سطور الطروس على أكمل إبداع، وإنْ أخطأنا فالصّفح من جنابكم مأمول، والعذر عند أمثالكم مقبول، والسلام.

فأجابه عنها بقوله:

رسالةُ ودٍّ مِنْ محبٍّ لقدْ أتتْ من الفضل والآداب خالصةَ السّبكِ
حوتْ حِكَماً أبدتْ نهاية فخره وسؤدده بين الأنام بلا شكِّ
فكمْ مفخر في طيّها غير مفترى به ضاع نشرُ الروض والطيب والمسك

وكــم نطقــتْ عتبــاً نشــا عــن ديــانــة وأفصــحَ لــوم عــن سمــاحتــه تحكــي
مخــدّرة يهــدي بهــا كــل عــاقــل مهــذّبــة تستــوجــب النســخَ بــالصــكِّ
يليــنُ لهــا الطبــع الشــديــد لأنهــا محبّبــة إذ تنتمــي لــذوي الملــك
تــراكيبهــا محمــودة فلــذا غــدتْ مسهلــة لكنّهــا مــن سنــا مكّــي

فيا لها من رسالة تنبىء عن قصارى أمر منشيها، ومطمح نظر مبديها ومنشيها، فكم أطنب فيها لنيل مناه، وأبدى حِكَماً هي نهاية شرفه وعلاه، فهي تنادي بأفصح عبارة، لا بالطف إشارة.

ظلم الذي يعزي التجار إلى العلا حسب التجار دفاتر الحسبانِ
هِمَمٌ لهمْ بين النّقود وصرفها والسعرُ والمكيالُ والميزانُ

ولقد أمسكت عمّا به أطنبت وأغربت، وأعرضت عن جواب ما أبديت وأعربت، واخترت الإيجاز على الإطناب، لأن الوقتَ غير مستطاب، والمحلُ غير قابل للخطاب، على أنّ ترك الجواب أولى من الجواب، وفي هذا القدر كفاية وفي إمساك عنان اليراع صواب، انتهى.

ومن شعر المترجم ما كتبه إليّ مادحاً بقوله:

يــا تــائهــاً ببــديــع لفــظ كــلامــه وبنثــر درٍّ مــن جمــان نِظَــامِــهْ
وبحســن آدابٍ ورونــق منطــق وبمــا حــواه مــن ذكــا أفهَــامِــهْ
خضعت مصاقع عصره لمّا رأوا فضفاض فضل فاضَ من إنعامه
فغدا الفصيحُ لديه أبكم عاجزا وتبيّــن اللّســان مــن تمتــامــه
وانقــادت الفصحــاء طــوع يمينــه وغــدتْ لــه منقــادة بــزمــامــه
واهــا لــه مــن أروع وسميــذع أربــتْ فضــائلــه علــى أقــوامــه
لمــا رأوه فــاق كــل مهــذّب كــلٌ أطــاع بلفظــه وبهــامــه
فــاق الأُلــى ورقــى العُــلاَ بشهــامــة فغــدا لعمــرك شــامــة فــي شــامــه
وإذا ثــوى فــي مجمــع أو محفــل فتــراه بــدراً كــامــلاً بتمــامــه
لا بِــدْع فهــو الشهــم نخبــة دهــرنــا وخليلنــا المفضــال فــي إعظــامــه
نجــل الكــرام الأمجــديــن بــلا مــرا من قد سموا كالبدر مع أنجامه
وَرِثَ الفضــائــل كــابــراً عــن كــابــر بــل نــالَ فخرَ المجدِ يوم فطامه
مــن عمّنــي مــن فضلــه بهــديّــة مــن جــوده بــل مــن نــدى أنعــامــه
يمضــي الــزمــان ولا أقــوم بشكــره حسبــي بــذاك سمــوّه بمقــامــه
فــالله يــولّيــه الجــزاء مــن فضلــه ويعمّــه بــالفيــض مــن إكــرامــه
وتــدومُ رفعتــه علــى أقــرانــه بمــزيــد عــزّ شــامــخ بــدوامــه

مولاي إنّي قد أتيتك زائراً ومهنّئاً بالعيد في أيّامه
تحيا وتبقى في سرور عائداً في طيب عيش في مدى أعوامه
ما بلبل الأفراح قامَ مغرّداً فوق الغصون الملد في ترنامه

وكتب إليّ يطلب مني مبراة أقلام:

يا سيداً حاز من كلّ الفنون ومن بديع خطّ كذا آلات أرقامِ
أرجوكَ مولاي مبراةً تساعدني على الكتابة في إصلاح أقلامي

وكتب إليّ أيضاً مرّة قوله وقد عاقه المطر عن زيارتنا:

أيا مولىً له شوقي وما لي عنه مصطبرْ
مرادي أنْ أزوركم ولكنْ عاقني المطر

ومثل ذلك جرى لي لما كنتُ في الروم، حصل في بعض الأيام مطرٌ وثلج، وكان قد دعاني أحد مواليها إليه، فكتبتُ إليه معتذراً عن الزيارة بقولي:

أمولاي يا شمس المحامد والبها ويا واحداً حاز المعالي مع الفخرْ
إلى بابك العالي أروم زيارة فتمنعني الأقدار بالثلج والقطر
فلا تكُ للداعي المرادي مؤاخذاً فمثلكَ من يعفو عن الذنب والوزر

وكتب المترجم إليّ أيضاً ضمن رسالة قوله:

أما والله يا بدر المعالي ومن قد جاد لي ببديع حبّكْ
ومَنْ أولاك مكرمة ومنّا وصيّر جنّتي بنعيم قربك
لأنت أعزّ من طرفي وقلبي فسلْ عمّا أقولُ شهود قلبك
ويوم لا أرى ذاكَ المحيا يلوحُ فذاك يومٌ عند ربّك

وكان بدمشق غلامٌ عراقيّ بغداديّ أسفرَ وجهه المنير، وراق رونق جماله النضير، فأنشد المترجم فيه مخبراً عمّا في الضمير، قوله:

أفدي عراقياً تملّك مهجتي باهي الجمال كبدر تمّ مشرقِ
فنحوتُ غرباً أبتغيه مموّها عن عاذلي والقصدُ نحو المشرق

وأنشدَ فيه غيره من أدباء دمشق، فمنهم السيّد حسين بن حمزة الدمشقي الحسيني فقال:

أرنو إلى وجهك من غاية قصوى وأرضى بقليل النَّظَرِ
ويقبلُ اللّيل فيخفي سنّي وجهك عن عيني ويعشى البصر
فلم ترى يخفيه وهو الذي من شأنه إظهار نور القمر

وللمترجم في مدح باب السلام:

يـا حبّـذا بـاب السـلام فـإنهـا هـي جنّـة تجـري بهـا الأنهـارُ
فـاقـت علـى نـزه الشـام نضـارة وبـوصفهـا قـد حـارت الأفكـار
يتـرقـرقُ المـاءُ الـزلالُ بهـا كـأعمـ ـدة الـرّخـام طفـا عليـه غبـار
وكـأنجمـا الأمـواج حيـن تتـابعـت سفـنٌ جـرتْ وتسـوقهـا الأقـدار
سلسـالهـا عنـد الهـواء تخـالـه كـالثلـج يصعـدُ قـد عـلاه نضـار
يـا حُسْنهـا مـن روضـة وغصـونهـا قـد غـرّدت مـن فـوقهـا الأطيـار
ونسيمهـا وخـريـر صـوت ميـاههـا تجلّـى بهـا الأحـزان والأكـدار
لا سيّمـا زمـن الـربيـع وزهـره تهفـو النّفـوس إليـه والخطـار
مـن أمّهـا يبغـي التّنـزه قـائـل لـو كـان لـي قصـرٌ بهـا أو دار
لكنّهـا بمكـاره حُفّـت لـذا يـأتـونهـا فـي خلسـة أخيـار
أنعم بها من نزهة أنست بها الـ أحبـاب والخـلّان والسمـار
يـا صـاحِ عـرّج نحـوهـا مستـأنسـاً مـا تشتهـي فيهـا ومـا تختـار

وزاره صاحبه الشيخ عبدالله الطرابلسي المتقدم ذكره في هذا الكتاب، وذلك نهارَ عيد الأضحى وكان يوماً ممطراً فقال المترجم في ذلك:

زارنـا معـدن الفنـون صبـاحـاً فحبينـا بـه الأمـانـي صبـاحـا
كـان عيـدان مـن تـلاقيـه عيـد وبعيـد الأضحـى الأعـمّ صبـاحـا
خلتُ شمساً في حَيِّنا قد أضاءت أو كبـدرِ التّمـام فـي الأفـق لاحـا
أدهـشَ النـاظـريـن نـورُ سـرور مـن لقـاه وجـدّد الأفـراحـا
يـا لـه مـن نهـارِ أنـسٍ منيـر قـد وقينـا مـن لطفـه الأتـراحـا
زارنـا الغيـثُ حيـن زار ووافـى بسـرورٍ فـانعـش الأرواحـا
وسحـاب الهنـاء أمطـر درّا حيث حوض السرور كان طفاحا
هـو عبـدالله المحـبّ الـذي قـد بلـغ القلـب فـي هـواه نجـاحـا
مـاجـدٌ وابـن مـاجـد قـد تسـامـى بمعـانٍ منهـا رأينـا الفـلاحـا
يـا لـه مـن مهـذّب وأديـب لـم يـزل طيبـه لنـا فـوّاحـا
ذي نظـام يفـوق عقـد الـلآلـى لنحـور الحِسَـان كـان وشـاحـا
ففـؤادي بحبّـه ذو امتـزاج وبـه عنبـر المحبّـة فـاحـا
يـا أديـب الـزّمـان لطفـاً ويـا مـن لفظـه جـوهـرٌ يفـوق الصحـاحـا
هـاك أبيـات مـدحـة مـن محـبّ فيـك بـالحـبّ قلبـه قـد بـاحـا
فعليهـا أسْـدل ثيـاب التغـاضـي ثـم بـالعفـوِ كـنْ لهـا منـاحـا
ثـمّ سـامـح أخـاك بـالصّفـح فضـلا حيـث ألقـى لـديـك منه السلاحـا
وابـق فـي نعمـة وطيـب حبـور مـا هـزار فـي روضـة قـد صـاحـا

فكتب إليه الطرابلسي المذكور الجواب بقوله:

مسكُ دارينَ قد شممناه فاحا أمْ خزامي أمْ عنبراً أمْ أقاحا؟
ولآلٍ تنظَّمتْ أمْ نجوم أمْ شموسٍ ضياؤها قد لاحا؟
وضروب الألحان ما قد سمعنا أمْ تغنّى طير الرياض وصاحا؟
أمْ مدامٌ قد أشرقت بكؤوس عطّرتْ من شميمها الأقداحا؟
أمْ نظام كالدّر أشرق حسنا فغدا للنفوس منّا وشاحا؟
من معانٍ تفوق سحر المعاني ومبانٍ تهيّج الأرواحا
لا عَدِمْناك من أديبٍ أريب ولبيبٍ يجلي اللآلى الصحاحا
صغت عقداً يفوق حلي العذاري أمْ نظاماً يبدي المعاني الصحاحا؟
فأضاءت منها شموس المباني حيث أمسى نظامها وضّاحا
فاقبل الآن مدحة من محبّ بنظام لم يقبل الإصلاحا
وابق في العزّ ما تغنّت حمام حيث يبدي الهنا لك الأفراحا

وكتب المترجم إلى الشيخ سعيد الجعفري الدمشقي بعد عتاب جرى بينهما لأمر كان، بقوله:

عتابُكُ لي أشهى من المنّ والسّلوى لقلبي وأحلى في المذاق من الحلوى
بنظم كسلك الدرّ بل هو جوهر يلوح على القرطاس من رصفه أضوا
أرقُّ من الصهباء في الكأس إذ صفت فبتُّ بها نشوان لا أعرف الصحوا
أتى من ذوي الأفضال والمجد والتقى وحاوي كمال السبق في العلم والتقوى
فسرّحت هذا الطرف في طيّ نشره فدلت خوافيه عليه من الفحوى
فإنّي وأيم الله منذ عرفتكم مقيم على صدق الوداد بلا دعوى
وقد غرست أصل المحبّة بيننا وغصن ثمار الودّ رطب فلا يذوى
فلا زلتَ يا ذا الفضل تسمو برفعة تدوم مع الإقبال تحبوك ما تهوى

فكتب إليه الجعفري المذكور الجواب بقوله:

فداؤك مني الروح ذا الفضل والتقوى جوابك لي أحلى من المنّ والسلوى
بلى هو أمياه الحياة لوامق على رمق أبقاه بالصدّ من يهوى
فما اللؤلؤ المنضود ما الجوهر الذي تنوب منابَ النيِّرين به الأضوا
وما الخمرُ ما برد اللّمى ما عذيبه ترشفه الولهان من رشا أحوى
بأشهى وأحلى من عذوبة لفظه حباني بخمار اعتذاراته الصحوا
وأخبر أنّ الودّ ما شاب صفوه سلوّ ففيه القلب لا يقبل الرشوا
أجلْ ففؤاد العاشقين محرّر صفاء لميزان المعاملة الأقوى

وما الغرّ يا بدر العلا مثل أروع — بمضمار حسن الودّ قد أدرك الشأوا
وإنّك في العيوق عندي رفعة — ولا غرو إذْ حزت العلا أنت لا غروا
وإنّي يا خدن المودّة جازم — بأنّك في ذا الودّ ذو الرتبة القصوى
وإنّي ما أثبت أمراً مخيّلا — وإنْ يك ذا فالآن أستجلب العفوا
بلى إنّني بادرت للمنهج الذي — نهجتَ على التحقيق ما كان ذا سهوا
وحاولتكم حسن التقاضي وللأدا — بحسنٍ لقد طالبت نفسي بالنجوى
فدمْ في ذرا العزّ المؤبّد راقياً — تقرطق آذان الفهوم بما تهوى

وللمترجم غير ذلك، وكانت وفاته في سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف وجاء تاريخها (نال الرضى مكّي) ودفن بتربة باب الصغير رحمه الله تعالى.

مصطفى القنيطري:

٦٨٦ ـ مصطفى القنيطري بن أبي بكر بن أبي بكر بن عبد الباقي، المعروف بالقنيطري، الحنفي، البعلي الأصل: ولد بدمشق في سنة إحدى ومائة وألف ونشأ بها، وقرأ على قريبه الشيخ أبي المواهب، والشيخ إسماعيل العجلوني، والشيخ أحمد الغزّي، والشيخ محمد الحبّال، والشيخ عبد الغني النابلسي، أخذ عنهم وأجازوه، وكان له أدب ومعرفة عطارديّ الطالع، أظهر البدائع من كل صناعة، وكان حظّه قليلاً، وبالجملة فقد كان من الأدباء المفنّنين، وله شعر، ومن شعره قوله في الورد:

قد سألنا الورودَ حين نزلنا — روضَها والزهور ضاع شذاها
فلماذا كتمتم العرف عنّا — قبل نيل الشّفاه منكم شفاها
فأجابوا لودّنا القربُ منها — قد فرشنا الخدودَ ثم الجباها
وكتمنا العبير في الغصن شوقاً — لتنال النفوس منكم مُنَاها

وفي ذلك للشيخ سعدي العمري قوله:

وروضٌ طوى عرف الأحبّة غيرة — عليه فنمت بالزهور الشمائلُ
وما زالَ عنّي الورد يطوي حديثهم — إلى أنْ رمته بالأكفّ الأنامل

وقوله أيضاً:

صُنَ سرَّ من والاكَ بين الورى — دونَ الورى رعياً لحقّ الصديقِ
فالروضُ في الورد طوى عرفه — دون الأزاهيرِ لأجل الشقيق

وفي ذلك قول الشيخ أحمد المنيني:

صُنْ عرف فضلك عن صديق ناقص — كيلا يصير من الخجالة في وجلِ
فالوردُ بين الزهر أخفى عرفه — خوفاً على غصن الشقيق من الخجلِ

وفي ذلك قول المولى أحمد علي الرومي أحد الموالي الرومية:

إظهار جهلِ المرء من خِلٍّ شقيقٍ لا يليقُ
فاكتم كمالك إنْ عرا في مجلسٍ منه الصديق
فالوردُ يكتم عرفه عن أنْ ينمّ به الشقيق

وفي ذلك أيضاً للشيخ محمد ابن الأمير الدمشقي:

سألتُ من الورد الجني الغض عندما رأيتُ زهورَ الروض تزهو على الرّنْدِ
أعُرْفك هذا ضاع في الروض؟ قال بل أعرتُ زهور الروض بعض الذي عندي

وممن أنشد في ذلك الشيخ سعيد السمّان فقال:

سألنا ورودَ الرّوض حين وُرُوْدِنا حماها لماذا النّشر عنّا طويتمْ؟
فقالوا طوينا عرفه خشية الصّبا إذا ما سرت فيه تنم عليكمْ

وقوله:

ألاَ قل لمن أودعته السرّ في الورى يكتمه عن صنّوه وصَدِيْقِهْ
ألم ترَ أنّ الورد يكتم في الرّبا شذاه ولم يسمح به لشَقِيْقِهْ

وكانت وفاة المترجم في شعبان سنة ستين ومائة وألف، ودفن بتربة مرج الدحداح رحمه الله تعالى، والقنيطريّ: نسبة إلى القنيطرة، وهي تكيّة ناحية تركمان، بناها لالا مصطفى باشا رحمه الله تعالى.

السيد مصطفى العلواني:

٦٨٧ ـ **السيد مصطفى العلواني بن إبراهيم بن حسن بن أويس، المعروف بالأويسي، العلواني، الشافعي الحموي نزيل دمشق أحد الأفاضل:** كان أديباً بارعاً ناثراً ناظماً كاتباً لوذعياً ألمعياً، له الحسب والنسب، محرزاً دقائق الكمالات، جانياً ثمرات الفضائل والمعارف، ولد بحماة سنة ثمان ومائة وألف كما أخبرني، ونشأ في حجر والده، وقرأ عليه، وبه تخرج في فن العربية والأدب وقراءة القرآن، وحمله على طلب العلم، ونزل بمدرسة الباذرائية واشتغل بقراءة العلوم على أفاضل دمشق، فمنهم الشيخ إسماعيل العجلوني، وأخذ عن الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي، ولازمه في الدروس، وأخذ عن الشيخ عبدالله البصرويّ، وعن الشيخ محمد العجلوني، وعن الشيخ عبد السلام الكاملي، ونظم الشعر والإنشاء البليغ، مع خط حسن باهر متناسق، وشرف نفس، وكان ملازم السكون في خلوته، وارتحل إلى الروم مرات متعددة، وعاد ببعضها متقلداً نقابة بلدته حماة، وعزل منها، ثم عاد إلى الروم لقضاء ما فات وبلوغ المرام، وآخر أمره أنْ جَعَل دمشق مأواه وسكناه، وكان في السوداء متّسماً بغاية لا تدرك، وكان والدي يحبّه، وهو من

أصدقائه، وكتب لوالدي عدة كتب بخطه، وأجازني بمروياته عن شيوخه، وإجازة خاصة بخطه، وأجازني بمنظومته التي نظمها بطريق التوسل بأسمائه الحسنى جل وعلا، وبأسمائه ﷺ، وأخبرني أنه اجتمع بالجدّ الكبير الأستاذ الشيخ مراد الحسيني قدس سره حين ارتحاله إلى الديار الرومية في سنة تسع عشرة بعد المائة، وأخبرني أنّه لمّا ذهب به والده إلى الجد، وكان الجد مستقبل القبلة بعد إتمام صلاة ذلك الوقت، فلما رآه الجدّ دعا له ولمس ظهره بكفّه، وكان المترجم من العلماء الأفاضل البارعين بفنون الأدب وغيره، وشعرُهُ عليه طلاوة، فمن شعره قوله:

أشـرفُ الأنبيـاء يـا نقطـة الكـو ... ن ومبنـي هـذا الـوجـود العجيـبِ
يـا رسـولاً آيـاتـه قـد أذابـت ... مـن ظـلام الأهـواء كـل مـريـب
يـا عـزيـزاً علـى الإلـه وفـي فصـ ... ـل القضـا المستبدّ بـالتقـريـب
أنت بابُ الإلّه من يأت من أعـ ... ـتـابـه نـال غـايـة المـرغـوب
أنـتَ أنـت المـلاذُ إنْ أفظـع الكـر ... ب ومدّت للفتك أيدي الخطوب
أنـتْ ملجـا المـؤمّليـن فكـم منـ ... ـك أنيـخ الـرّجـا بـواد عشيـب
أنتَ ذخر الضعيف إنْ يخشَ عندَ الـ ... ـبعـث والحشرِ هـولَ يـومٍ عصيب
يـا شفيعـاً هنـاك إذْ يـوقـع الأنـ ... ـفس في المزعجات كربَ الذنوب
يا كريماً حيا العطاش على الحو ... ض إذا مـا أتـوا بـأعـذب شـوب
كيـفَ يخشـى وقـع الحـوادث عبد ... منـك قـد لاذ بـالجنـاب الـرحيـب
فـأغثنـي وكـنْ مجيـري فـإنّـي ... منـك للبـرّ صـرت أيّ رقيـب
مـع أنـي إلـى عـلاك تشفّعـ ... ـت بصـدّيقـك الحليـم المهيـب
وأبـي حفـص الـذي وافـق القـر ... آن منـه لخيـر رأيٍ مصيـب
وابن عفّان ذي الحياء شهيدُ الدّا ... ر ظلمـاً بـدون شـكٍّ وريـب
وعلـيّ ليـثِ الحـروبِ أبـي السبـ ... ـطيـن زوجُ البتـولِ بـاب الغيـوب
وبـأصحـابـك الهـداة الأُلـى منـ ... ـك لقـد أتحفـوا بـأكمـل سيـب
وبـأتبـاعهـم ذوي الـذبّ عـن هـد ... يـك كيـلا يغشـاه شـوب كـذوب
وخصـوصـاً منهـم هـداة اجتهـاد ... قـد أذابـوا فيـه سـويـدا القلـوب
بـابـن إدريـسّ الـذي منـك أدنتـ ... ـه لعمـري قـرابـة التعصيـب
والمـرقـى أبـي حنيفـة عـالـي الـ ... ـكعب في نيـل أشرف المطلوب
وإمـام المـدينـة الحبـرُ حقـا ... مـالـكُ الشـرعِ حـائـز التقـريـب
والـزكـيّ التقـيّ أحمـد مَـنْ فـي الـ ... ـعلـم قـد حـازَ كـلّ فـنٍّ غـريـب
وعليـكَ الصـلاة يـا خـاتـم الـرسـ ... ـل وأعلـى معظـم وحبيـب
ما توالى من مصطفى بن أويس ... لـكَ مـدح مـع سح دمـع سكـوب
يـرتجـي منـك فيـه إبـلاغ حـاج ... هـي فيمـا يـرضيـك ذات ضـروب

وله عند خروج الحاج متوجهاً نحو طيبة الطيبة على ساكنها الصلاة والسلام:

ظبنَّ أنَّ القلب عنه سلا ... رشأ أغرى بنا المقلا
كبدي لحظاه كم جرحا ... وكمثلي كم فتًى قتلا
فعلا فعلاً بمهجته ... بعضه هاروت ما فعلا
بفتور الجفن كم تركا ... عاشقاً بين الورى مثلا
فتنا الألباب من دعج ... بسواه قطّ ما اكتحلا
كم أمالا الصبّ عن أمل ... يرتجيه بائساً خَجِلا
حرسا ورد الخدود فلم ... نرَ صبّا نحوه وصلا
وإذا ناما فإنّ له ... حارساً في الصدغ ما غفلا
ويح مضناه فليس على ... ما سوى أحزانه حصلا
فيه كم أصبحت ذا كلف ... متلف طفلاً ومكتهلا
حيث يمسي مبرداً كبدي ... دمع عين ظلّ منهملا
أرقبُ الأفلاك منتظرا ... لصباح ينتج الأملا
وعذول جاء يؤلمني ... بملام عنه ما عدلا
قائلاً خفض على كبد ... في الهوى قد أكسب العِللا
فأنادي خلِّ عن عذلي ... فلي التعذيب فيه حلا
وافتضاحي في هواه أرى ... حسناً والذّلّ محتملا
من يقل تهواه قلتُ نعم ... أو يقلْ تسلوه قلتُ بلى
في هواه رقّ لي غزلي ... بعد أنْ لم أعرف الغزلا
ولعمري سوفَ يبصرني ... عن غرامي فيه مشتغلا
بامتداحي مَنْ ببعثته ... لجميع الأنبيا فضلا
شرّف الله الوجودَ به ... وكذا الأملاك والرّسلا
كلّ خيرٍ في الوجود فمن ... يُمْنه حقّاً لقد وصلا
رحمةً عمّ الوجود فما ... أحدٌ عنه تراه خلا
قد أبان الحقّ مبعثه ... حيث ظلّ الشرك عنه جلا
كاملٌ ما مثله أحد ... كلّ وصف فيه قد كملا
إنْ مدح الخلق قاطبة ... دون عليا مدحه سفلا
ليس يحصي الناس كلّهم ... ما عليه خلقه اشتملا
إنْ عجز المرء عن جمل ... من معالي عزّه جملا
فاعترف بالعجز يا لسنا ... وتذلّل واترك الجدلا
إنْ يقس بالرّسل أجمعهم ... فهو حقّاً خيرهم رجلا
وهم نوّابةٌ ولهم ... نظر منه لقد شملا

ونبيّــــاً كـــان حيــن بــدا آدم فــي الطيــن منجــدلا
نــوره الــرحمــنُ أوجــده قبــل خلــق للشّــوى أزلا
ثــم لمــا شمســه ظهــرتْ عنــه كــل العــالــم انفصــلا
ثــم تــمّ السعــد حيــن بــدا خــاتمــاً للــرســل واكتمــلا
وتحــدّى فــاهتــدى رجــل فــائــز وارتــاب مــن خــذلا
ثــم مــا قــد جــاء فيــه لنــا كلّــه واللّه قــد نقــلا
وكتــابُ اللّه أكبــر مــا جــاء نــافيــه بنــا اتصــلا
فهــو أسنــى نعمــة ظهــرت فضلهــا واللّه مــا جهــلا
وهــو بــاب اللّه أيّ فتــى مــن ســواه جــاء مــا دخــلا
يــا نبيــا جــاء يــرشــدنــا للهــدى إذْ أوضــح السبــلا
يــا رســولاً مــدحــه أبــدا هــو أولــى مــا بــه اشتغــلا
قــد مــددتُ الكــفّ ملتمســا منــك معــروفــاً ومبتهــلا
يــا كــريمــاً لــم يــردّ لمــن ســأل الإحســان قــطّ بــلا
يــا منيــلاً بــرّه أبــدا لمــن استجــدى ومــن ســالا
حمــل الأحبــاب نحــوك مــن بعــد والعبــد مــا حمــلا
بــل تبقــى فــي دمشــق لــدي أيّ سقــم فيــه قــد نــزلا
لبــس الأحــزان فهــي لــه كغشــاء فــوقــه انســدلا
فــاغتــدى يــذري الــدّمــوع أسـى راجيــاً أن يبلــغ الأمــلا
ويــرى الأعتــاب ملتثمــا تــربهــا والــدّمــع قــد هطــلا
فــأجــرنــي آخــذاً بيــدي وقــل المــرجــوّ قــد حصــلا
وصــلاةُ اللّه واصلــة لــكَ مــا غيــث السمــا انهمــلا
مــع ســلامٍ لا يــزال علــى ربعــك المعمــور متّصــلا
والــرضــا عــن صــاحبيــك فكــم مهجــة فــي اللّه قــد بــذلا
وهمــا الصــدّيــق سيــدنــا وكــذا الفــاروق مــن عــدلا
ثــم ذي النــوريــن خيــر فتــى بجــلابيــب الحيــا اشتمــلا
وعلــيّ بــاب كــل هــدى منــك لــلأحبــاب قــد وصــلا
وكــذا الأصحــاب أجمعهــم مــع جميــع الآل خيــر مــلا
وبهــم يــرجــو الإغــاثــة مــن كــربــه عبــد غــدا وجــلا
مصطفــى الــويســيّ مــرتجيــاً بهــم أن يحســن العمــلا
ويــرى عقبــى الأمــور إلــى فــرج آلــت ومــا انخــذلا

وله أيضاً:

ربــع الأحبّــة بــالأنــداء حييتــا ... وما بقـي الفلـك الـدوّار أبقيتـا
لله أوقـات أنْس قـد سمحـت بهـا ... بـذلـت فيهـا مـن السـرّاء ماشيتـا
حيث الرياض إذا أزهارها ضحكت ... بكـى الغمـامُ فظـلّ الصبّ مبهـوتـا
حيث المطوّق والقمري قد ضمنا ... أنْ يسكت الناي تغريداً وتصويتا
والسلسبيـلُ إذا مـا قيـل صفـه غـدا ... عن بعض أوصافه المكثار سكيتا
أكـرم بـه ولجيـن المـاء فيـه جرى ... فكم يرى غامراً من عسجد حوتا

ومنها:

حملت من زمني ما لو تحمّل من ... أمثـالـه جبـل لانـدكّ تفتيتـا
ولـم أكـنْ وشبـابـي الغـض مقتبـل ... لحمـل أصغـر إحـدى الـذرّ صفتيتا
أخـالنـي زمنـي شلّـت يـداه لـدى ... شيبي ووهني قد حوّلت عفريتا
وإنّ ممـا بـه دهـري يكـافحنـي ... ولم يزل سيف هذا الدهر صليتا
داءيـن بعـدك عـن عينـي أشدّهمـا ... ثـانيهمـا السقـم مـن داءيّ عـوفيتـا

إلى آخرها وله أيضاً:

كـلانـا غنّـي عـن أخيـه بـربـه ... وحفظ الأخا يأبي التقاطع والهجرا
إذا دار أمـر المـرء بيـن تقـاطـع ... وصدق ودادٍ كان ثانيهما الأحرى
وليس الذي يبدا بصدع زجاجة الـ ... ـحشا كالذي يبدا بما يجبر الكسرا
وإنْ كنت بـالثـاني اتصفـت فـإنّهـا ... صفاتك بي قد أثرت ذلك الأمرا
وإنْ منـك يبـدو أوّل فمـن السـوى ... أتـاك فجـدّد فـي تجنّبـه الطهـرا
لأنّـك مـن بيـت زكـيّ صفـاتهـم ... لقد عطّرت من نشرها البرّ والبحرا
وإنْ نـزغ الشيطـان مـا بيننـا فقـد ... أنـال بنـي يعقـوبَ مـن نزغـه شـرّا

وله معاتباً بعض الأشراف:

أيهـا المعـرض عنّـي ... مـا الـذي أوجـب صـدّكْ؟
وبمـاذا لا أرانـي ... مكـرمـاً بـالله عنـدك؟
ألصـدق فـي وداد ... لـكَ قـد أخلـص وحـدك؟
أمْ لنطقـي فـي ثنـاء ... هـو لا يبلـغ مجـدك؟
أمْ لسعيـي بـالـذي أر ... ضى به في الحشر جدّك؟
أم لغـرسـي فـي سـويـدا ... ء الحشـا تـالله ودّك؟
فبجـدّيـك أبِـنْ لـي ... مـا بـه أعـرف قصـدك؟
أفهـذا حـال محسـو ... ب قـد استـوثـق ودّكْ
إنّمـا الكيّـس بـأنْ تنـ ... ـجـز للـدّاعيـن وعـدك

وتــوالــى مــن أيــاديــك على الراجين رفدك
فبــذا والعفــو عمــن قـد جنى تقمع ضدّك
فبمــن بــالفضــل مــولاي وبــالعــزّ أمــدّك
وبمــنْ أسعــد بــالعلــيــاء والنعمــاء جــدّك
وإذا اختــرت بعــادي فــأنــا أكــره بعــدك
عميــتْ عينــاي إنْ قــرّت بــرؤيا الغير بعدك

وله من قصيدة:

غنّت على الدّوح البلابل سحراً فهيّجت البلابل
فســرى النسيــمُ مــؤدّيــاً نشراً لـه قـد جاء حامل
فبلطفــهِ قــد مــاس غصــن البان كالنشوان مائل
وبــروحــه أحيــا فــؤا داً جسمه بالبعد ناحل
وتفتّقــت أكمــام ورد عــزّ عن قطف الأنامل
جادت عليه السحب بالأنــداء إذْ بانت هوامل
فكــأن دلــك لــؤلــؤ في أكؤوس المرجان حاصل
أو أنــه مــاء الحيــاة على عقيق الثغر جائل
أو وجنــة حمــراء قــد عرقت حياء من مواصل
والــروضُ تصفّــق فيــه أغــصان تشبب بالشمائل
وأدار فينــا الــراح معــشوق بخمر الدلّ ثامل
خصــر اللّمــى عــذب المقبــل في ثياب الحسن رافل
يــروي مسلســل ريقــه عن كوثر للثغر ناقل
إنّ اللّحــاظ بسيفهــا الــفتّاك أنست سحر بابل
قــد أسكــرتنــا دون خمــر منه هاتيك الشمائل
فانهض أخيّ إلى الريــاض عساك أنْ تحظى بطائل
واشفــع صبوحــك بــالغبــوق وصل غدوّك بالأصائل
لا يشغلنّــك يــا أخــا الــلذّات عن ذا الأنس شاغل
إلا امتــداحــك سيــداً قرّت به عين الفضائل

الخ.

وله يمدح عبدالله باشا الجشنجي أمير دمشق، ويشكو الفتن الواقعة فيها إذْ ذاك بقوله:

عـركتنـا عـرك الأديـم الكـروب وبسهـم الـردّى رمتنـا الخطـوبُ
فـاختـلاف شـقّ العصـا بـاتفـاق فيـه حمقـى حجـاهـم مسلـوب
أقســم السيــف لا يقــرّ بجفــن دون كشـف عمـا تسـر القلـوب

جـرّدتـه يـدٌ عـن الخيـر شـلا ء وفـي الشـرّ بطشهـا مـرهـوب
فـاصطبحنـا مـن ذاك كـأس ارتيـاع واغتبقنـا مـا الجسـم منـه يـذوب
فلصـدر الشـريـف منّـا زفيـر ولقلـب التقـيّ فينـا وجيـب
وعلمنـا بـأنّ لله لطفـا مـن إليـه التجـى فليـس يخيـب
فـابتهلنـا إليـه نضـرع بـالشكـ ـوى ونبكي فهو القريب المجيب
فتجلّت سحائب الخوف عن شمـ ـس مـن الأمـن لا تكـاد تغيـب
وأظلّـت دمشـق رايـات مـن أنْ قصـد النجـم فهـو منـه قـريـب
الـوزيـرُ الكبيـر مـن رأيـه الثـا قب في المعضل السديد المصيب
كم له من يد لدى الحرب بيضا ء إذا مـا اكفهـرّ يـوم عصيـب
يتلقّـى الجمـوع منـه هـزبـر صـدره فـي الـوغـى فسيـح رحيـب
ضـاحـك الثغـر بـادي البشـر منه حيـث للحـرب يقـرع الظنبـوب
ثابت الجاش إذْ تطيش المواضي فـي مقـام بـه الـرضيـع يشيـب
صحبتـه طفـلاً وكهـلاً وكـم أثـر وصفـا فـي الصـاحـب المصحـوب
فـإذا جـرّد اليمـانـيّ أو هـ ـز الـردينـيّ منـه زنـد صليـب
فرّق الجمع مثل تفريق أحوى الـ ـعصـف فـي البيـد فرّقته الجنوب
جاء والشام سيف ذي البغي فيها مصلّـت مـن دم المطيـع خضيـب
وعليهـا أخنـى الـزمـان وقـد أجـ ـدب من فيحها المكان الخصيب
فخبـت نـار ذلـك البغـي حتـى أصبحـت لا يشـام منهـا لهيـب
وتعـرّت جمـوعهـا عـن فـراق مـا لجمـعُ التصحيـح منـه نصيـب
فثغـور الشـام تفتـرّ بشـرا وببيـت الطغـام يعلـو النحيـب
وتـرى الأرض وهـي مخضـرّة الأر جا سقاها الحيا الغمام السكوب
وذراهـا الفسيـحُ لـم يلـف فيـه منـذ حـلّ الـوزيـر أرض جـدوب
فعلـى دوحهـا بشكـر عليـه وثنـاء قـد غـرّد العنـدليـب
وأقمنـا وللسـان مجـال بثنـاء يـذكـو شـذاً ويطيـب
يصبـح النّطـق قـاصـراً إنّ تقصيـ ـر ذوي النطق فيـه أمرٌ غـريـب
فهلمّـوا معـاشـر الفصحـاء الـ ـلّسـن للشكـر جملـة وأجيبـوا
فعسـى اليـوم أنْ يـؤدي لعبـ ـدالله حـق أداؤه مطلـوبُ
صـانـه الله مـن وزيـر بـه الحـ ـقّ إلـى الكـامـل المحـق يـؤوبُ
وبـه البـاطـل اضمحـل كـأهليـ ـه فتعسـاً لهـم إذا لـم يتـوبـوا
إنّ مـدحـاً لبعـض أوصـافـه الغـ ـرّ لأمـرٌ يحـار فيـه اللّبيـب
أفمثلـي بمثـل هـذي القـوافـي غرض القصد في المديح يصيب
وأنـا مثقـل بمـا قـرّح القلـ ـب من الدّهر بل حزين كئيب

وإذا مـا عجـزتُ كـانـت معـاليـ ـــه عليـه بـالمـدح عنـي تنـوب
إنّ مـن قـد أقـرّ عيـن المعـالـي دهـره بـالثنـا عليـه الخطيـب
دامَ للمجـد غـرّة ولـوجـه الـ ـجـدّ نـوراً سنـاه ليـس يغيـب
ما تغنّت في الروض ورق وما هـ ـبّ نسيـم فـاهتـزّ غصـن رطيـب

وله مؤرخاً تعمير جامع دمشق بعد انهدامه بالزلازل، ومادحاً لجناب الوالد، وكان إذْ ذاك مفتي الشام في سنة ألف ومائة وأربع وسبعين:

لـكَ لا لغيـرك للعـلا استعـداد فلـذا بـرمّتهـا إليـك تقـادُ
وإذا تعـرّض مـن سـواك لنيلهـا أضحـى وعنهـا لا طـردت يـذاد
فـافخـر فـإنّـك يـا علـيّ ورثتهـا مـن علية حـازوا الفخار وسـادوا
وبمحتـد الشـرف الـرفيـع تبـوؤوا شـأوا لأدنـاه السهـا يـرتـاد
ضمّـوا إليـه معـارفـاً وفضـائـلا وسمّـوا بـذاك فكلّهـم أمجـاد
ظلّـوا الهـداة بفـارس وبهـديهـم فـي الشـام ظلّـت تهتـدي العبـاد
وإليهـم فـي كـلّ خطـب فـادح يلجـأ فيصـدر بـالمنـى الـورّاد
لـو فـي الثريـا العلـم كـانَ لنـا لـه منهـم رجـالٌ فهمهـم وقّـاد
وحـويـت كـل مـزيّـة فيهـم ولا تنفّـك مـن شيـم علـت تـزداد
إن أنفذ العدّ المكارم في امرىء فلغيـر وصفـك ينفـد التعـداد
مهمـا تقلّـب فيـه مـن شيـم العـلا فجميعـه مستحسـن وسـداد
ولمـا تحـرّره بفهـم ثـاقـب أبـداً سلمـت تسلـم النقـاد
يـا أيهـا السّـاري يحـثّ ركـابـه طـلاع انجـد حثّـه استـرشـاد
يمّـم ذراه تجـده طـود معـارف ظلّـت لـديـه تـواضـع الأطـواد
وافتح به من معضلاتك ما غدا مستغلقـاً ينحـلّ منـه صفـاد
هـذا وضـمّ إلـى العلـوم خـلائقـا وعـن الصبـا يـروي لهـا إسنـاد
إنْ أخلـف المـزن البـلاد فكفّـه فيّـاضـة منهـا يسـحّ عهـاد
يسمـو بهمّتـه الـرفيعـة إنّـه يقفـو بـه فـي الـذاهبيـن جـواد
ولسعـده فيمـا يـروم تفـرّد فيـه يظـلّ يسـاعـد الإسعـاد
مـن قبلـه الأمـويّ ولـي معشـر ذهبـوا فمنـه وهـي ودك عمـاد
لـم تسـم همّـة مـن تقـدمـه إلـى تـرميـم شـيء بـل أبيـد وبـادوا
فـألـمّ فيـه وظـلّ يصلـح بعـض مـا فيـه تبـدد طـارف وتـلاد
حتّـى وهـي الـزلـزال فـانهـارت بـه سقـف وأعمـدة وطـمّ فسـاد
فنمى الحديث إلى الخليفة من له خضـع البـريّـة كلّهـم وانقـادوا
ظـلّ الإلـه بـأرضـه مـن أصبحـت للخـوف منـه تضـاءل الآسـاد

فاهتمّ في تحرير ما قد جاء في ... فضل الشام بذا له الإسناد
وأشار في تاريخ تعمير لجا ... معها الرفيع به الثنا يزداد
فأجابه فضلاؤها لمراده ... راجينَ منه قبوله وأجادوا
وبهم تشبه ذا الضعيف وإنْ يكن ... عن شأوِ فضلهم له أبعاد
فأتى ببيت كامل تاريخ ما ... يحلو به للسامع الإنشاد
أموي جلّق إنْ هوى بزلازل ... فبمصطفى الملك المجيد يشاد

٥٧ ١٣٣ ٥١ ٢١ ٧٧ ٣١١ ١٢١ ٨٨ ٣١٥

سنة ١١٧٤

وله مادحاً لجناب أسعد أفندي قاضي العساكر الروم ايلية في قسطنطينية:

ألا كلّ ما يختار من مهجتي وقف ... عليه فعما لستُ أسمعه كفُّوا
فيا ربّما أغرى المتيّم لائم ... فأصبح مشغوفاً بما دونه الحتفُ
بروحي غزالاً صادَ قلبي بما غدت ... تمدّ من الإشراك أهدابه الوطف
غفا عن مراد الصبّ يلهو بدله ... خلياً وأجفان المتيّم لا تغفو
لقد كانَ لي جسم يقلّبه الأسى ... على جمرات باتَ يضرمها الضعف
وعهدي بأنّ القلب بين جوانحي ... ومأموله من ذلك الرشا العطف
فلم يبق لي إلاّ تتابع زفرة ... تلت مثلها أخرى وأعقبها ألف
ودمع مشوب بالدما ظلّ هاملا ... على صفحات الخدّ أو مدمع صرف
خليليّ ما بذل المتيّم روحه ... عزيزاً وما أحلاه إنْ رضي الخشف
فقولا لمن قد أكثر العذلَ جاهلاً ... بحال الهوى أقصر جفا فمك الحرف
سلوّي محال عنه ما دام ينتمي ... لأخلاق من جلت فضائله اللطف
همام لو أنّ الدّهر جاد بمثله ... لما انحصرت فيه المعارف والعرف
له راحة في لثمها كل راحة ... وكفٌ بها وقع النوائب ينكف
فتى حليت أسماعنا بصفاته ... ففي كل أذن من محاسنها شنف
تارجت الأرجاء من طيب نشرها ... وفي كل قطر فاح قطر بها عرف

وله مادحاً جناب السيد سعيد أفندي ابن المرحوم شيخ ميرزازاده:

قلبٌ له بين الضلوع خفوق ... عن حمل أعباء البعاد يضيق
ما زالَ يذكر من دمشق مسرّة ... تصفو مناهل أنسها وتروق
جاد الحيا منها رياضاً قد حلا ... فيها اصطباح مؤنس وغبوق
ما ثم إلاّ نرجس أو وجنة ... للورد كللها الندي وشقيق
وتطارح الآداب بين أحبّة ... كلّ بساحر لفظه منطيق
أخلاقهم تحكي النسيم لطافة ... وكأنّ أفهام الجميع بروق

نيطت بأجياد البلاغة منهم | درر فرائد نظمهن نسيق
طابتْ مجالس أنسهم فكأنّها | دارين يعبق مسكها المسحوق
ما زال يحسدني الزمان عليهم | وأنا بأسهم كيده مرشوق
حتى غدت أيدي الفراق تقودني | لتحيط بي من بعد ذاك فروق
بلدٌ بها عزّ الخلافة مانع | عن أنْ ينال مرامه مخلوق
ما لم يكن عضداً له ذو همّة | عليا بعيني سودد مرموق
وكأنني بالمبتغى متيّسرا | مفت به المجد الأثيل حقيق
فرد المعارف والمكارم من له | أصل بفعل المكرّمات عريق
من شبّ في حجر الفضائل والتقى | يسمو على كل الورى ويفوق
من لا يزال يجول في أفكاره | فهم لتنقيح العلوم دقيق
ويسوقه لمكارم الأخلاق إنْ | يختارها ويحبها التوفيق
من ليس مثل أبيه بين مشايخ | الإسلام بالمجد الرفيع خليق
فرد مضى لسبيله وكأنه | فيما أكنّ من التقى الصديق
إنْ رمت تدري هديه فانظر إلى | هدي ابنه يبدو لك التحقيق
فهو السعيد بنيل كل فضيلة | يقفو بها نهج السداد طريق
تالله لي فيه أكيد محبّة | عقدي عليها في الفؤاد وثيق
يا خيرَ من منه لمن يرجوه في | حاجاته وجه النجاح طليق
ما خاب مثلي في المجيء لبلدة | ولها بمثلك بهجة وشروق
فاسعف أخاً ثقة بجاهك إنّه | وافاك ملهوفاً وأنت شفيق
لا زلت للمرجوّ خير مؤمّل | ما ماس غصن في الرياض وريق

وله أيضاً وقد كتبها إلى فتحي أفندي الدفتري:

هبّ النسيم فللصبوح فهاته | وأدره ممزوجاً بريق شفاتِهْ
سيال ياقوت حكى أو ذائبا | من خالص الإبريز في كاساتِهْ
يصفو عن الأكدار راشف كاسه | كصفائه عنها لدى حاناته
هات اسقنيه والهزار مردّد | في الروضة الغنا فصيح لغاته
وأصخ إلى الناي الرخيم ممازجاً | للعود والسنطير في دقّاته
في روضة عبث الصبا من غصنها الـ | ـممشوق منه القدّ في عذباته
قد كاد يحكي في الملاحة قدّ من | تهوى لو أنّ البدر من ثمراته
إنّ احمرار الورد فيها خجلة | من نرجس يرنو إلى وجناته
يحظى بصرف همومه في ضمنها | من يصرف الدينار في لذّاته
هذا هو الأنس الذي من ناله | يسهو عن المكروه من أوقاته

فـالـوقـت بـالأحـرار أولـع بـاعثـاً أبـداً لسـاحـة عـزّهـم آفـاتـه
كـم شـنّ غـارات علـيّ وقلّمـا أمسـى خلـيَّ البـال مـن غـاراتـه
حسـدتنـي الأيـام إذْ أنـا سـاحـب ذيـل التنعّـم فـي فضـا سـاحـاتـه
وأسـرّح الطـرف المقـرّح جفنـه مـن بعـد مـسّ البعـد فـي جنـاتـه
فـي قصـره السـامي الـذي قصـر الهنـا وجميـع مـا يهـوى علـى غـرفـاتـه
لله ذاك السلسبيـل وقـد غـدا يجـري لجيـن المـاء فـوق صفـاتـه
مـا زال وارده يـرد عليـه مـن مـاء الحيـاة بـه لـذيـذ حيـاتـه
عـذبـت مـواده عـذوبـة طبـع مـن شـاد المكـارم فـي ذرى جنبـاتـه
مـن ضـمّ للمجـد الأثيـل معـاليـا قعسـاء غـرّاً نـالهـا مـن ذاتـه
ذو مجلـس جمـع المفـاخـر كلّهـا لكـنّ أنـس النفـس بعـض صفـاتـه
فيـه مـن الأدبـاء خيـر عصـابـة يحشـون سمعهـم بـدرّ نكـاتـه
وأبـاحَ كيـس المكـرمـات لأنـه يتلـو عليـه الفتـح مـن آيـاتـه
كـم جـاسُ مـوقـف شـدّة لـم يثنـه أو يثنـي الجـوّاس بيـض ظبـاتـه
سـل عمـر المشهـور عـن إقـدامـه واسـأل ليـوث الغـابِ عـن عـزمـاتـه
قـد نـالَ كـلّ الجـدّ فـي حـركـاتـه وخـلا مـع التـدبيـر فـي سكنـاتـه
نظمـت فـي سمـط القـريـض فـرائـداً منهـا تعلّـق فـي طلـى أبيـاتـه
فـأنـا لـذاك وإنْ أكـنْ عـن ذاتـه نـاء فلـي أنـسٌ بقـرب صفـاتـه
وحيـاتـه لـو لـم امتّـع خـاطـري فيهـا لمـتُّ مـن الأسـى وحيـاتـه
فـالعبـد بعـد فـراقـه لفـراقـه متفتّـت الأكبـاد مـن زفـراتـه
لا زال ذاك الـربـع مغمـوراً بمـا يسـدي إليـه الله مـن بـركـاتـه

وله من قصيدة امتدح بها والدي عند ختم درس الهداية بالسليمانية مطلعها:

مـلأ الـوفـاض مـن القلـوب وفـاضـا فضـل غـدوت لـدرسـه تتقـاضـى
أحبـب بعلـم حـثّ ريـش البحـث فيـ ـمـا لـم يجـيء فيـه النبـأ وهـاضـا
ألقـاه عـن فهـم تـوقّـد فطنـة مـن لا يـزال إلـى العـلا نهّـاضـا
بكّـر إليـه تجـد لـديـه مبـاحثـا فـي الفقـه كـادت أنْ تكـون ريـاضـا
وتـرى الشفـا مـن داء جهـل بـل تـرى إنْ جئـت مجلسـه الشّفـا وعيـاضـا
أبحـاثـه لـم تبـق فـي جفـن الهـدى بهـدايـة يعنـي بهـا أغمـاضـا
إنْ يبـد صـاحـب بـدعـة حججـاً علـى مـا يـدّعيـه يـرى لهـا دحّـاضـا
هـو جـوهـر فـي الفضـل فـردٌ والسـوى إنْ قـوبلـت فيـه غـدت أعـراضـا
كـم قـد أفـاق سهـام فهـم ثـاقـب عنـد الجـدال فـأنفـذ الأغـراضـا
مـا إنْ يـرى عمّـا يبـايـن شـرعـة لنبيّنـا خيـر الـورى يتغـاضـى
بـل لا يـزال إلـى إزالـة مـا بـه فـي الشـرع بعـض حـزازة ركّـاضـا

ومن شعره:

يا منكراً حركاتنا في حبّ من ... أفديه من بين الأنام بروحي
هو قد أصابَ حشاي سيف لحاظه ... حتى أضرّ بقلبي المقروحِ
ذبح الفؤاد وليس ينكر ذو حجى ... إنْ تصدر الحركات من مذبوح

وله أيضاً:

بانخفاض وغربة يرتقي الحـ ... ـر العلا راغماً لأنف الأعادي
إنّما المرء من تغرّب أضحى ... عقد درّ يناط في الأجياد

وهو من قول ابن قلاقس:

سافر إذا حاولتَ قدراً ... سار الهلال فصار بدرا
والماءُ يكسب ما جرى ... طيباً ويخبث ما استقرا

وممن مدح الغربة وذم الإقامة في دار الهوان الأديب الحكيم الأندلسي حيث قال:

إذا كان أصلي من تراب فكلّها ... بلادي وكل العالمين أقاربي

وأنشد الآخر:

ولا يقيمُ على ضيم يراد به ... إلاّ الاذلان غير الحيّ والوتد
هذا على الخسف مربوط برّمته ... وذا يشجُّ فلا يرثي له أحد

وللطغرائي من قصيدته المشهورة:

إنّ العلا حدثتني وهي صادقة ... فيما تحدّث إن العزّ بالنّقلِ
لو كان في شرف المأوى بلوغ منى ... لم تبرح الشمسُ يوماً دارة الحمل

وللشيخ محمد المناشيري الدمشقي:

كثرةُ المكثِ في الأماكن ذلّ ... فاغتنم بعدها ولا تتأنّس
أوّل الماء في الغدير زلال ... فإذا طال مكثه يتدنّس

وهو من قول البديع الهمذاني:

الماء إذا طال مكثه ظهر خبثه

وقال أبو فراس:

إذا لم أجد في بلدة ما أريده ... فعندي لأخرى عزمة وركابُ

وأنشد الآخر:

وربّما كان ذلّ المرء في بلد ... لعزّه في بلاد غيرها سببا

وقال بعضهم:

ليس الرّحيل إلى كسب العلا سفراً   بل المقام على ذلٍّ هو السفرُ

وأنشد بعضهم:

والمرءُ ليس ببالغ فِي أرضه   كالصقر ليس بصائد في وكرِهْ

وكتب صاحب الترجمة لبعض أحبابه:

مرارةُ اليأس أحلى في المروءة من   حلاوةِ الوعدِ إنْ يمزجْ بتسويفِ
فاختر فديتك للداعي أحبّهما   إليك لا زلتَ تسدي كلّ معروف

وله غير ذلك أشياء كثيرة، ولم تطل مدّته، وكان من أفاضل أهل عصره، يغلب عليه حب العزلة والامتناع عن مخالطة الناس، حتى لزم في آخر أمره السكنى في حجرة في مدرسة الوزير إسماعيل باشا الكائنة بسوق الخياطين، تتردّد إليه الطلبة للقراءة عليه والأخذ عنه، وكتب بخطه الحسن المضبوط عدّة من الكتب، ولما توفي السيد محمد سعيد السواري خادم المحيا ومدرس المدرسة المزبورة، وجّه التدريس المرقوم على صاحب الترجمة، فدرّس إلى وفاته، وكانت وفاته بكرة يوم الثلاثاء سادس صفر سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

مصطفى اللّقيمي:

٦٨٨ ـ مصطفى اللّقيمي بن أحمد بن محمد بن سلامة بن محمد بن علي بن صلاح الدين، المعروف باللّقيمي، الشافعي الدمياطي، نزيل دمشق، الشيخ العالم الفاضل الفرضي الحيسوب الكامل الأديب الناظم الجهبذ النقّاد العابد التقي الماجد الأوحد الزاهد العفيف: ولد بدمياط في ربيع الأوّل ليلة الجمعة بين العشائين سنة خمس ومائة وألف، وبها نشأ في كنف والده مع أخويه العالم الأديب الشيخ محمد سعيد، والأديب المتقن الشيخ عثمان، وعليه تخرجوا في سائر الفنون، والمترجم أيضاً أخذ وقرأ على جده لأمّه العلامة الشيخ محمد الدمياطي الشهير بالبدر، وابن الميت من أنواع العلوم وبه تخرج، ومنه انتفع، وحجّ مع والده إلى البيت الحرام، وأخذ بالحرمين عن العلماء السراة، كالشيخ عبدالله بن سالم البصري المكي، والشيخ الوليدي، وفي المدينة عن أبي الطيب المغربي، أحد المشاهير من المحدثين، وقرأ وأخذ عن علماء مصر ودمياط ودمشق وبيت المقدس، واستجاز منهم، وعمّته نفحاتهم، وكان يتعاطى المناسخات والمقاسمات بالفرائض والحساب، وكان ذا زهدٍ وعفّة وديانة، وكان يختمُ في رمضان كل يوم وليلة ختمة، وكان على قدم صدق عظيم من التهجّد، وله من التآليف الرحلة المسمّاة «بموانح الأنس بالرحلة لوادي القدس»، تحتوي على فوائد ونكت، واختصر كتاب الأنس الجليل في زيارة بيت المقدس والخليل، وشرح وِرْدَ الأستاذ شيخه الصديقي البكري، وله «التوصّل في شرح

الصدر بالتوسل بأهل بدر»، وله رسائل كثيرة في الحساب والفرائض مشهورة، وله ديوان شعر جمعه، وسمّاه «تحائف تحرير اليراعة بلطائف تقرير البراعة»، وكانت له اليد الطولى في الأدب ونظم الشعر، وعمل التاريخ على سبيل الارتجال، وله رسائل أدبية وتحريرات مفيدة، غير أنه كان رحمه الله تعالى مطوياً في راحة الدهر، يومٌ كجمعة وجمعةٌ كشهر، وبالجملة فقد كان من أفراد دهره وعصره، ومن شعره الرائق قوله:

سقى سفحَ قاسون السحائب بالوكف ... وحيّاه من فوح الصبا فائح العرف
وغنّت به الورقاء تشجّي بصوتها ... فتغنّى بمغناها عن الجنك والدّق
تروحُ وتغدو للسرور هواتفا ... لتروي أحاديث المسرّة والعطف
جمالٌ كمالٌ منه لاح ضياؤه ... وفاضت به الأنوار ساميّة الوصف
زها حسنه الزاهي بحسن مشاهد ... هي الشمس لكن قد تحامت عن الكسف
معاهد أنوار موائد رحمة ... موارد إمداد حوت أطيب الرشّف
سرينا على طرف اشتياق نؤمه ... لنسقي كؤوس البشر من خمره الصّرف
صعدنا إليه كي نفوز بأنسه ... فنادى منادي الأنس فأووا إلى الكهف
فروض حماه زاهر بمسرة ... وفيه ثمارُ الأنس يانعة القطف
سما بأناس جاء في الذكر مدحهم ... وحفتهم أيدي العناية باللّطف
هم فتية قد آمنوا بإلههم ... فزادهم هدياً بنور سنا الكشف
نزلنا لديهم نرتجي من نوالهم ... موانح أسرار لسقم الهوى تشفي
فوافى بشير بالهناء مبشراً ... لحسن قبول قد تسامى بلا صرف
ومنح فيوض من سحاب سمائهم ... بامداد فضل وبلّه دائم الوكف
فلا بدع إنْ وافى السرور لأسعد ... بمدحِ كرام سرّهم للسوي ينفي
فأهديهم منّي السلام تحيّة ... بمسكِ ختام عطره جل عن وصف
تغاديهم ما سحّ بالسفح أدمع ... وما مستجير جاء يأوي إلى الكهف

وقوله:

شطّ النّوى بأحبّتي فجفوني ... فتواصلت بالمرسلات جفوني
وتصاعدت نار الجوى بجوانحي ... والنّوم من شوقي جفّته عيوني
لولا فراق أحبّتي وبعادهم ... ما بتّ أروى لوعة المحزونِ
أبغي السّرى والعيس عزّ مسيرها ... والطّرق سدّت عن فتى مسجون
يا جيرة طال اغترابي عنهم ... عنكم رحلت بصفقة المغبون
وسريت أقطع للبلاد سياحة ... بمهامه رجلاً وفوق متون
فظننتُ صحبي يحفظون مودّتي ... بعدي فخابت في الصحاب ظنوني
ودّعتهم أرجو اتصال رساى ... منهم فلم يجد الرّجا ودعوني

لم يكفهم هذا التناسي والجفا حتى قلوني بالجفا وسلوني
كم أحتسى منهم سلاف ملامة في ذوقها رشف لكأس منون
خلّوا الملام على البعيد ببعده ودعوا شؤونكم لكم وشؤوني
وجدي سما شوقي نما دمعي هما نومي انتفى صبري اختفى بفنوني
عطفاً جميلاً وابعثوا برسالة تشفي الفؤاد وبالوصال عدوني
ودعوا التمادي في الوعود تفضّلاً فلقد قضيتُ من البعاد ديوني

وقوله أيضاً:

حبّي وحبّك للجمال اليوسفي هو خالدٌ وبغيره لا أشتفي
بالبعدِ تلحاني ولم تر حسنه فإذا نظرت فبعد ذلك عنف
فبخدّه الورديّ روض قد جنت منه نواظرنا وإنْ لم يقطف
وبثغره ماء الحياة لوارد فبورده نار الجوانح تنطفي
تحلو محاسنه لناظر وجهه وحديثه العذب الهنيّ يلذ في
قد شاقني لما بدا متبسّما برق الثنايا من عقيق المرشف
ولقد قنعت بكأس خمر حديثه لما منعت من الرحيق القرقف
جاذبته حسن الحديث وجدتّه من كل معني باللّطافة مكتفي
في روضة غنّت صوادح ورقها فشقّت فؤاد المستهام المدنف
فغنّيت من طرب بطيب غنائها عن مطرب يشجي بحسن تلطّف
غنّي لنا يا ورق ثم ترنّمي واجلي على سمعي غناك وشنّفي

وقوله:

قمرٌ تناهى في مطالع سعده وزها بأوج الحسن طالع مَجْدِهْ
متوشّحاً أثواب تيهٍ معجباً يختال تيهاً في محاسن برده
حاوي بديع الحسن إلاّ أنه متلاعب بأخي الهوى في عهده
أفديه ظبياً نافراً متأنّساً يبدي الدّلال بوصله وبصدّه
إنْ صدَّ خلت النّجم دون مناله وإذا دنا نلتُ المنى من ودّه
مُزِجت حلاوة وعده بوعيده من مزجه هزل المقال بِجِدّه
سرق الزهورَ من الرّياض لطافة وعليه عدل شاهد من قده
فالأقحوان بثغره والياسميـ ـن بجيده والجلنّار بخدّه
ماء العذيب حلا بمنهل ثغره وأحرّ قلبي للعذيب ووِرده
يا حبّذا لمّا أتى نحو الحمى جنح الدّجى وحللت عقدة بنده
ونشقتُ عرف المسك من وجناته وقطفتُ رمّان الربّا من نَهْدِهْ
وسكرتُ من حان الصفا بمدامة من ثغره السامي حلاوة شهده

عـزّ التقـى لمـا ضللـت بحسنـه وخفت على فكري مسالك رشده
كيف الخلاص ولاتَ حين تخلّص والصبُّ يستحلي الغرام بـوجـده

وقوله:

أفـدي بـديـع الحسـن حـالـي المنظـر يـزهـو حـلاه بـالمحيـا المـزهـرِ
سلطـان عـزّ فـي المـلاحـة مفـرد جمـع المحـاسـن بـالجمـال الأزهـر
فـالـوجـه منـه بـالأزاهـر جنّـة بـرهـانـه بـالثغـر مـاء الكـوثـر
وشقيقـه الـورديّ عـمّ بـزهـره خـدّاً يفـوحُ شـذاً بخـالِ عنبـري
وجبينـه البـادي بـداجـي شعـره متـلألـئ نـوراً كصبـح مسفـر
والحسـن دبجـه بثغـر أبيـض ونـواظـر سـود وخـدّ أحمـر
أسـر القلـوب هـوىً بقـدّ أهيـف وسبـى العقـول جـوىً بلحـظ أحـور
فنـواظـري فـي جنّـة مـن حسنـه لكـنّ قلبـي فـي الجحيـم المسعـر
يـا عـاذلاً وافـى يلـوم بحبّـه كـفّ المـلام فـأنـتَ عنـدي مفتـري
وانظـر تـرى أوصـاف حسـن جمـالـه يقضـي بهـا تحقيـق صـدق المخبـر
يـا حسنـه لمـا بـدا متمـايـلا يبـدي دلالاً فـي القبـاء الأخضـر
يسعـى إلـيّ بطـاسـة مجلـوّة قـد عطـرت مملـوءة بـالسكـر
وغـدا ينـادمنـي بـأعـذب منطـق فثملـتُ منـه بـالحـديـث المسكـر
وتـروّحـت روحـي بـأهنـى سـاعـة سمحـتُ بهـا كـفّ الـزمـان الأعسـر
سقيـاً لهـا طـابـت معـاهـد ذكـرهـا مـا فـاح روضٌ بـالشـذا المتعطّـر

وقوله عاقداً حكماً:

روى علـيٌّ لنـا مـن وعظـه حكمـا نثـراً فـأودعتهـا فـي عقـد منتظـمْ
لـو بـالنّضـار علـى لـوح العـلا رقمـت وكـانَ للحـظ جفنـي مـوضـع القـدم
لكـان ذا دون مـا يقضـي المقـام بـه وكيـف لا وعلـيٌّ مبـدع الكلـم
فهـذّب النفـس وأصغـي للحـديـث بهـا وإنْ أبيـتَ فمـا قـولـي لـذي صمـم
المُلْـك فـي الصّبـر ثـمّ الصبـر نـاصـره ريـاسـة العلـم ثـم البـرّ فـي الكـرم
وإن تُـرِدْ راحـة لا تحسـدنّ أحـداً والصمـتُ فيـه شفـاً مـن وصمـة السقـم
واخلـو فـلا تستغـب وأنـس إذا تليـت آي الكتـاب فكـم فيـه مـن الحكـم
وإنْ تُـرِدْ رفعـة فـي منهـج حسـن فبـالتّـواضـع تـرقـى هـامـة القمـم
والشكـر ينتجـه حسـن الـرضـى أبـداً ثـم الكـرامـة فـي التقـوى مـع اللّمـم
والصـدقُ فـي المـرء ينشـا عـن مـروءتـه فـلا تمـنّ تلـق فيـه زلّـة القـدم
واقنـع تكـنْ عـابـداً واذكـر فـإنّ بـه ثقـل المـوازيـن يـوم الحشـر لـلأمـم

فتلك أربع عشر منه قابلها ... نظيرها فانتهجها نهجَ محتكم
وهاكها كلما أبدت لنا حكماً ... تكفيك معتصماً مع حسن مختتم

وقوله ملغزاً في مشموم:

أيا مولى حوى فضلاً وفهماً ... بفطنته يفوقُ على إياسِ
به روضُ البديع غدا نضيراً ... وأغصان البلاغة في امتياس
تضوّع نشره فشفى وأغنى ... بطيب وروده عن كل آس
وطالعه وناظره سعيد ... لنا من فضله حسن اقتباس
فبالألغاز يكشف ما توارى ... عن الأفهام في حجب التباس
فُدِيْتَ ابِنْ لنا ما اسمٌ نراه ... لدى التحقيق مفعولاً خماسي
مسمّى فيه تفريح لروح ... ويهدي وصفه بعض الحواس
تراهُ في الرّبا طوراً وطورا ... على الأيدي وطوراً فوق رأس
خماسيّ تركّب من ثلاث ... حوتْ سبعاً ولم يعرف سداسي
وكلٌ قد تركّب من ثلاث ... ثلاثٌ منه فردٌ في الأساس
قد اتّحدث بل افترقت ولكن ... بترتيب على وضع قياسي
وسادتْ ضعف ثانٍ إنْ يصّحف ... ومفرده على غير القياس
فواصلها مع التصحيف منها ... وقيت البأس في حصن احتراس
مصحفه عليلٌ ليس يشفي ... ولا يجدي لديه حذق آسي
دعْ الأطراف منه تنال شأوا ... وتنمو دمتَ ثوبَ العزِّ كاسي
وخمساه بقلب فعل أمر ... أو اسم قد سما بذرى الرواسي
وبالتصحيف لا بالقلب اسم ... به الألباب أضحت في احتباس
وبالتصحيف أيضاً ذمّ شرعا ... وبالتحريف يمدح بالتناسي
وإنْ يمزج مصحفه بقلب ... قضى في حينه بأشدِّ باس
واسم .... (١) ... يتمُّ به المصحف في الجناس
وباقي الاسم اسم أعجميّ ... ويقرأ باطراد وانعكاس
بمبدئه له صنو عزيز ... ففرّق بينهم بالاختلاس
معرّبه مع التصحيف وصف ... غدا من درّ لفظك ذا التماس
فإنّك بالفراسة ألمعيّ ... وعندك لا يقال أبو فراس

وقوله:

أأشكوكَ الغرامَ وما أقاسي ... وقلبكَ يا مذيقي الهجرَ قاسي

---

(١) هكذا بياض بالأصل.

وفـي طـيِّ الجـوانـحِ جمـر وجـد ... يــؤججـه التــذكّــر والتّنــاســي
أبـانـات اللّـوى عـن سحب جفني ... سقـاكَ القطـر مـن دون احتبـاس؟
فكـمْ لـي فـي ظـلالـك مـن مقيـل ... تفـدّى أهلــه منّــي حــواســي
أقمــتُ بــه وشــاطــىء واديّــه ... مــلاعــب جــؤذر وظبــا كنّــاس
فمــا للعيــن لــم تنظـر طلــولاً ... ولا رسمــاً يــدلُّ علــى أســاس
أمـا هــذا الــديـار ديـار سعـدي ... أمـا هــذا المعــالــم والــرواسـي
أأحــلامــاً أرى أمْ عـــن حقيــق ... تقـوّضـت الخيـام بـلا التبـاس؟
نعـم هــذي المعـاهــد والمغـانـي ... فـأيـنَ بـدور هـاتيـكَ الأنـاسـي؟
فـإنْ أفـوت فهـل لـي مـن سبيـل ... إلـى صبـر يعلـل مـا أقـاسـي؟
أأبكــي أمْ أجــاوبُ فــي أنينــي ... حمائم في الدياجركي تواسي؟
أســاجلهــا فتعــرب عــن شجــون ... وتبــريــح علــى غيــر القيــاس
أتعجـبُ إنْ قضيـت هـوىً ووجـدا ... وجـانبـت المـؤانـس والمـواسـي!
وإنّــي فــزتُ بــالقــدح المعلّــى ... وبلغــتُ المنـى مــن بعـد يـاسِ
ووافتنــي عـــروب بنـــت فكـــر ... بنظـم مـا قصيـد أبـي فـراس
وكيــف وربهــا حــاوي المــزايـا ... وخيــر مــؤمـل يــرجـي لبـاس
ومــن فــاق الكــرام بحســن طبـع ... يفــوق ريــاض نســريــن وآس
وفضــلٌ كــالنجــوم الــزهــر تبـدو ... ولكــنْ لــن يــروّع بــانطمــاس
ومجــدٌ شــامـــخٌ زرّت عليـــه ... غــلالــة مـاجـد مـن خيـر نـاس
وآدابٌ إذا تليـــــــــــت أدارت ... علينــا خمــرة مــن دون كــاس
وتنظــامٌ شممنــا منــه عــرفــاً ... بـه خـوط المعـانـي فـي امتيـاس
تخــذنــاهُ لمّــا نبغــي نــديمــاً ... ومشمــومــاً لــدى وتــر وطــاس
وجئنــا روضــه نــرجــو انتشــاقــاً ... بــآنــاف المنــى دون احتــراس
فنــادانــا أنــا عــرف ذكــيّ ... أتيـتُ مـن الـذكـيّ ذي الاقتبـاس
فَقَبِلْنـــاه ألفـــاً بعـــد أخــرى ... ولــم يســرح علــى عيــن وراس
فخـذ يـا واحـد الـدنيـا جـوابـاً ... وســامــح فكــرة ذات احتبــاس
فــأيــن الــزهــر نيــلاً والثــريــا ... ولكنــه بــأقــل وذكــا إيــاس
ودمْ فــي نعمــة ورغيــد عيــش ... لـك الإقبـال ثـوب العزّ كـاسـي

وقوله أيضاً وقد أحسن:

دعـــونـــي مـــن روض الغـــرام وظلّــه ... فمــا لــي مــرام فــي مســاقــط طلّــهْ
وخلّـوا فـؤادي مـن هـوى يسلـب الحشـا ... فـلا أرتضـي فـي راحتـي حمـل حملـه
وروحـــي لإشفـــاقـــي تميـــل لعـــزّه ... ونفســي تــأبــى أنْ تليــن لِــذلّــه

فهيهاتَ مَنْ أهواهُ يعطف دائماً ... ويمنحني لطفاً بلذّة وصله
أهَلْ عاقل يرضى ضياع زمانه ... بسعي غدا يقضي عليه بجهله؟
فهل غير سير في مسالك ريبة ... يكونُ بها لوم عليه بفعله
وهل غير إيقاف مواقف تهمة ... تميلُ حبيباً عن مناهج أصله
وهل غير تدبير برأي مذممّ ... يرى وصمة للمرء في وجه فضله
وهل غير تعريض بنفس مصانة ... لمستهدف بالسوء يرمي بنبله
وهل غير ذكر المرء في ألسن غدت ... تمّزق عرضاً عزّ ادراك وصله
وهل غير أسباب ترى وموانع ... يلهي بها الإنسان عن حتم شغله
وهل غير تعذيب المحبّ بعشق من ... يزيد عليه في العذاب بدله
وهل غير فكرٍ في رضاه وسخطه ... وانجازه بالوعد منه ومطله
وهل غير وجد مع حنين ولوعة ... وسهد ودمعٍ لا نفاد لهطله
وهل غير وسواسٍ يزيد به العنا ... ويقضي على الصبّ الكئيب بخبله
وهل غير واشٍ أو رقيب منغص ... ولوم أخي عذل يسيء بعذله
وهل غيراً نفاقٍ لمال أضاعه ... وإنّ لصديق يقض في نقض حبله
على أنّه مع ذي المكاره لم تجد ... مصاناً على نهج الكمال وسبله
لقد ألفوا نقصاً وزادوا قبائحاً ... ومن حرّم الأعراض ولّوا لحله
فمن يبتغي ودًّا على الصدق والوفا ... لديهم يرجى الشيء من غير أهله
وإنّي لا أرضى لنفسي ذلّة ... لارتاض في روض الغرام وظلّه
وألقى الظما مستعذباً ورده إذا ... غدا الرّيّ من نهل التصابي وعلّه
تركتُ الهوى حيث الشبيبة ظلّها ... خصيبٌ فهل أغشاهُ أبان محله
أأعدل عن طرق الهداية للهوى ... وأبدل جدًّا للوقار بهزله
قد اختار لبّي من عنا راحة بها ... تخلصت من قيد الهوان وعقله
فها أنا مرتاحٌ ولست بسائل ... مدى الدهر عن جورِ الحبيب وعدله

وقوله:

إنّ الحكيم الذي للنفس يملكها ... فلا يرى عابساً في سورة الغضبِ
وذو الشجاعة عند الحرب تعرفه ... إذا العداةُ غدوا في منهج الطلب
وذو الأخا أبداً إنْ رمت تخبره ... عرّج ركاب الرّجا في معرض الطلب

وقوله:

دنْياكَ بحرٌ عميقٌ لا قرارَ له ... هيهاتَ ينجو الفتى فيها من الغرق
فاجعلْ سفينتكَ التّقوى ومحملها الإ ... يمانُ واستصحب النّاجيّ من الفِرَق
واجعل شِرَاعك من حسن التوكّل في ... سير الطريق وثقْ بالله تستبق

وقوله أيضاً:

أنعم صباحاً فقد عوّذتَ بالفلق من شرّ ذي حاسدٍ يرميك بالحدقِ
بالخالِ أقسم إذْ عمّ الشقيق به ما زلت ولهان في صبحي ومغتبقي
شوقي إليك نما إنْ كنت تفهمه فابعثْ فديتكَ أطباقاً من الورقِ
من كلِّ أحمر ذي حسن لرونقه يروي إلينا أحاديثاً عن الشّفق
وأصفر اللّون يحكي جسم عاشقك الولهان وقيت ما لاقاه من أرقِ

وقوله:

وافى الرّبيع فأهدى لي لنزهته رآته السبع إذْ منها المشوق صبا
روضاً وراحاً وريحاناً وراقصة وربرباً ورقيقاً لي وريح صبا

وقوله:

لمّا بدا قان الملاح بكوكب وجنوده جيش الجمال المفردِ
وغدا يرود الصبّ من لحظاته سيّاف جفن صائلاً بمهنّد
وتنازعت حكماً عليّ جميعها بولاء رقّ في الورى لم ينفد
حكمت حواجبه عليّ وإنّني راضٍ بأحكام الرقيق الأسود

وقوله:

من المحالِ علاجُ المرءِ أربعة إنْ صاحبتْ أربعاً قد جاء في أثرِ
الفقرُ مع كسلٍ والسقمُ مع هرمٍ والبغضُ مع حسدٍ والشحُّ مع كِبَرِ

وقوله:

لوح صدري به هموم سطور معجمات فليس تقبل شرحا
علّها تنمحي براحة بشر بعدها تكتب المسرّة صحّا

وقوله مضمناً:

وبي من سرت ريح الشمول بفلكهم صباحاً وأرباب الشمول بها تحدو
وقد أطلقوا منها الشراع وأصبحت تمرُّ مرورَ الطير في السير إذْ تغدو
ومدّ سحاب البين بيني وبينهم سرادق من بعد يطرّزها الصدُّ
وعزّ تلاقينا لبعد مزارنا وحكم فيّ الوجدُ والدّمع والسَهْدُ
وقد هاجني برق الأبيرق إذ أضا كما هاجني ورق الحمائم إذْ تشدو
يحدّثني سعدٌ بمسراهم ضحى فموردهم قُدْسُ ومصدرهم نجد
فحدّثتني يا سعدُ عنهم فزدتّني شجوناً فزدني من حديثك يا سعدُ

وقوله:

ســألتكمــا إن تمنحــانــي تعطّفــاً فــإنــي بحســن العفــو منكــم لعــارفُ
ولا تنشــر أصحــف العتــاب لــدى اللّقــا فــذاك لعمــري يــوم تطــوى الصحــائــفُ

وقوله:

دعــوا العتــابَ ولا تبــدو لأحــرفــه فمــا عتــابــي وإنْ تــرضــوه مشكــورُ
إنْ تنشــروا طــيّ صحــف مــن عتــابكــم يــوم التــلاقــي فعنــدي منــه منشــور

وقوله:

واعـدتني فـي العيـد حسـن زيـارة يشفـي بهـا قلبـي مـن الأوصـابِ
فمضى ولم تسمح بطيب تواصل والعيـدُ فيـه مـواسـم الأحبـابِ

وقوله:

جفــا جفنــي لبعــدكــم الهجــوع وسحــت مــن فــراقكــم الــدّمــوعُ
ومــا نــار الغضــى إذْ شــطّ وصــل ســوى مــا تحتــوي منــي الضلــوع
وكيــفَ النّــار تطفــي مــن لظــاهــا ومــن وجــدي يهيّجهــا الــولــوع
تحجّبتــم دلالاً فــي جمــال أمــا لشمــوس حسنكــم طلــوع
أهيــمُ بــذكــركــم شــوقــاً لــوصــل فهــلْ لــزمــان وصلكــم رجــوع

وقوله:

ربَّ يــومٍ حــلا بــدوحــة حســن مع صحاب على حمى بـانيـاسِ
حيث بشـر يـروي أحـاديث أنـس وسـروري وافـى وقـد بـان يـاسـي
وجـرى المـاءُ منـه فـوق حصـاه كلجيــن يجــري علــى الألمــاس

وقوله:

خــطّ اليــراع لقــد روى لأحبّتــي بــالطــرس عنّــي مسنــد الأشــواقِ
فتســابقــت منّــي الــدمــوع لمحــوه خوفاً على طرسي من الإحراق

وله قوله:

إنْ كنتَ تشكو يا حبيبُ من الضّنى حيـث اعتـراك مـن الـرشـا هجـرانُ
جُدْ لي بوصلٍ كي نفوز بوصله واسمـح بـه فكمـا تـديـنُ تـدان

وقوله:

يقــول لــي الــوردُ الجنــيّ قطــافــه قطفــتُ اقتــداراً بــالأنــامــل مــن دوحــي
وعــزّ بقــائــي والأحبّــة قــد نــأوا فخذْ جسدي أفديكَ وابعثْ لهم روحي

وقوله:

القلبُ بين تولّه وتولّع وصبابة بتراجم الأشواقِ
والجفنُ مع فقد اتصال شهوده يروي صحيح تراجم العشّاق

وقوله:

ومُذْ رمت ورداً من عذيب وصاله تثني يحامي ورده ويذودِ
فمن لم يرد وادي العقيق لمانع فليس له غير الفضاء ورود

وقوله:

أحبّتي بدمشقَ الشام ذبتُ جوىً والعيشُ قضيته من بعدكم فكرا
أخال شوقاً لكم أني أحدّثكم فأستفيقُ فلا ألقى له خبرا
أجرت عيوني دموعي غير عالمة واستخبرت من جواها الدّمع كيف جرى

وقوله:

ألا ليتَ شعري تبلّغ النفس سؤلها ويغدو لها بالنير بين مقيلُ
وهل تشهد العينان بهجة سفحها ويشفي فؤادي والنسيم عليل

وقوله:

ومن عجبٍ نار الفراق تأجّجت وأجفان عيني بالمدامع تسفحُ
وأعجبْ منها أنّني أكتم الهوى ودمعي لديوان الصّبابة يشرح
وأعجبْ من هذين حزني على النّوى وإن أخا ودّي بذلك يفرح
وأعجبْ من تلك العجائب كلّها بأني على التذكار أمسي وأصبح

وقوله:

رحلتُ بجسمي والغرام مصاحبي وزاد زفير بالحشا وعويلُ
ووجدي حاد والهيام مطيّتي ووادي الغضى لي منزل ومقيلُ

وله أيضاً قوله:

سقى الوسمي عهود الجامعيّة وحيّاها الصبا صبحاً عشيّهْ
وغنّى بلبل الأفراح فيها بألحانٍ وأصوات شجيّهْ
وأنشقنا النسيم عبير زهر يفوق شذا بأنفاس ذكيّهْ
وأشهدنا السعود شموس حسن تزيد سنا على الشمس المضيّهْ
وأرشفنا الهنا كأس التصابي بحان ربي معاهده الزهيّهْ
فيا لله من يوم تقضي بمغناها بلذّات شهيّهْ

وأتحفنا الزّمان بجمع شمل بأقمار شمائلهم سنيّه
وقد بسط الرّبيع لنا بساطاً تزركشَ بالزهور الجوهريّه
وبشر الأنس ينبي عن سرور بأخبار الصفا والجامعيّه
وجدول نهره يروي حديثاً تسلسل بالمياه الكوثريّه
يميس به لطيف القدّ أحوى حوى رقي برقته الجليّه
فريد الحسن في مصر وشام يذكّرنا العهود اليوسفيّه
شقائق خدّه تزهو بخال نوافحه شذاها عنبريّه
فدته الروح من ظبي أنيس بلفتة جيده صاد البريّه
شهدنا حسن مشهده فهمنا بمطلع حسن غرّته البهيّه

وقوله:

يا حسن روض الصالحية إنّه صدحت بمنبر دوحه الأطيارُ
قد أثبتت أنهارها خبر الصفا وروت أحاديث الشذا الأزهار
وقصوره قد زخرفت بمحاسن تجري لنا من تحتها الأنهار

وقوله متشوّقاً إلى دمشق:

دمشقُ وما شوقي إليك قليل فهل لي بواديك النّضير مقيلُ؟
وهل أغتدي يوماً بفيء ظلاله فظلّ رباه للسراة ظليل
وهل أجتلي يوماً محاسن ربوة فمنظرها بين الرياض جميل
وهل أزدهي بالنيربين ودوحه بروض به غصن السرور يميل
وهل ترتوي عيني بمشهد سفحه ويضحي فؤادي بالغرام ثميل
وهل لي لسفح الصالحية أوبة فإنّي لهاتيك الرحاب أميل
نعمت زماناً بالمرابع والحمى وروض زماني بالصفاء بليل
وقد بعدت عني وشطّ مزارها وما لي إليها بالوصول سبيل
وصبري عفت يوم الفراق رسومه ووجدي تبدّى وقت حان رحيل
وقلبي حمول بالجفا متوقّد وطرفي همول بالدّموع يسيل
وطالت ليال بعد كانت قصيرة بوصلٍ وليلُ المغرمين طويل
أروّح روحي بالغرامِ وبالمنى ليبرد مني لوعة وغليل
وأبردُ قلبي بالنسيم تعلّة لديكم وهل يشفي العليل عليل؟

وله:

ولما التقينا والحبيبُ بحاجر وقد عبقت بالطيب منه نَسَائِمُهْ
تبسّم عجباً من حديث مدامعي فما برقه الساري به وغمائمه
وحين تثّنى وانثنيت ترنّما تعلم منّا بانه وحمائمه

وقال:

وقـــائلـــة والبيـــن ســـلَّ حســـامـــه ... وقـد حـاطنـي للـوجـد جيـش عـرمـرمُ
إلـى كـم بـوشـك البيـنُ أنـتَ مـروّعـي ... متـى تنقضـي الأسفـار والشـوقُ محكـم
فقلـتُ لهـا والـدّمـع منـي مسلسـل ... وجمـر الغضـى بيـن الجـوانـح مضـرم
دعينـي مـن الإشفـاق مـا لـي حيلـة ... إلـى جـانـب الأقـدار أمـري مسلّـم

وله أيضاً:

أصبـح الخـدّ منـك جنـة عـدن ... تـزدهـي غيـر دانيـات القطـوفِ
وبـــه إذْ زهـــوره يـــانعـــات ... مجتلـي أعيـــن وشـــم أنـــوف
ظللتـــه مـــن العيـــون سيـــوف ... قـد غـدا ضمنّهـا دواعـي الحتـوف
لا تخـف واستظـل تحـت حمـاهـا ... جنّـة الخلـدِ تحـت ظـلِّ السيـوف

وله غير ذلك من النظم الرائق، والنثر الفائق، وكانت وفاته يوم الأحد السابع والعشرين من ذي الحجة سنة ثمان وسبعين ومائة وألف، ودفن بتربة مرج الدحداح في مقبرة الذهبية تجاه قبر الشيخ أبي شامة رضي الله عنه، وقبل وفاته بساعات نظم تاريخاً لوفاته ليكتب على قبره وهو قوله:

قبـرٌ بـــه مـــن أوثقتـــه ذنـــوبـــه ... وغـــدا لســـوءِ فعـــالـــه متخـــوّفـــا
قـــد ضـــاعَ منـــه عمـــره ببطـــالـــة ... والعيـــشُ فيـــه بـــالتكـــدّر مـــا صفـــا
مـــاذا ثـــوى قبـــرُ اللّقيمـــي أرّخـــوا ... مستمنـــحٌ للعفـــو أسعـــد مصطفـــى

سنة ١١٧٨   ٥٩٨   ٢١٦   ١٣٥   ٢٢٩

واللّقيمي: نسبة للقيم بلدة بالطائف، ونسبة أجداده إليها، وللمترجم نسبة إلى سيدنا سعد بن عبادة الخزرجي رضي الله تعالى عنه.

مصطفى الغزي:

٦٨٩ ـ مصطفى الغزّي بن أحمد بن عبد الكريم بن سعودي ابن شيخ الإسلام النجم محمد الغزي العامري، الشيخ الإمام، الفقيه الهمام؛ أحد صدور دمشق الشام، ورؤسائها الأعلام، أبو الفضائل نجم الدين: ولد بدمشق في منتصف سنة مائة وألف، ونشأ في حجر أبيه، وقرأ القرآن العظيم، وأخذ في طلب العلم، فقرأ على والده الشهاب أحمد، وأخذ عنه الفقه والحديث والعربية، وعن الشيخ أبي المواهب الحنبلي، والشمس محمد بن علي الكاملي، وأبي التّقى عبد القادر بن عمر التغلبي، والأستاذ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، والشريف سعدي بن عبد الرحمن الشهير بابن حمزة، وأجاز له إجازة منظومة مطوّلة، وعن غيرهم، ودرّس وأفتى بعد وفاة والده، وأخذ عنه جملة من العلماء، منهم الشهاب أحمد بن محمد الحلبي، وكان ذا وجاهة ظاهرة، ورياسة وافرة، وكانت وفاته سادس عشري رجب

سنة خمس وخمسين ومائة وألف، وصلّى عليه بالجامع الأموي بجمع حافل من العلماء الأعلام، ودفن بتربة أسلافه بمقبرة سيدي الشيخ ارسلان رحمه الله تعالى.

مصطفى الترزي:

٦٩٠ ـ مصطفى الترزي بن أحمد باشا بن حسين بن إسماعيل، المعروف بالترزي الدمشقي: كان والده أمير الأمراء، وتولى إمارة اللّجون وغيرها فيما أظن، وكان أوّلاً باشجاويش في أوجاق اليرلية بدمشق، وتوفي في سنة تسع وثمانين وألف، وكان له ولد أكبر من المترجم يسمّى محمداً، فذهب للديار الرومية وأتلف جميع متروكات والده ومخلفاته، وباع العقارات وغيرها، وأما المترجم فإنّهُ نشأ مكتسباً للكمال والعلوم، مجتهداً ساعياً لاجتناء زهرات الأدب والمعارف، وكان أديباً شاعراً فائقاً ماهراً بالأدب، مع معرفة تامّة بالطب وغيره، مشتهراً بالكمالات والعرفان، له حافظة واطلاع باللغة والأشعار وغير ذلك، بارعاً بالنظام، ينفث السحر من رشحات أقلامه، ويجري البديع من لسانه، وكان له هجو بليغ، وترجمه الأمين المحبّي، وكان آخر من ترجمه في ذيل نفحته، وقال في وصفه: مجدُه محبوكٌ من جهتيهْ، ميم عاف وسائل من وجهتيه، فللّه مجد هو شمس نهاره طلع وقد ارتدى برداء الشباب والتف، وتحوّط بالسبع المثاني من العين واحتّف، فروضة أدبه فسيحة الرحاب، وقد جمعتني وإياه الأقدار، وطلبت منه شيئاً من نظامه، فأتاني بقطع وهي قوله:

أبــداً يحــنُّ إليــك قلبـي الخـافـق ... والجـذع يعلـم أنّنـي لـك عـاشـقُ
يــا مَــنْ يهــزّ مــن الــدّلال مثقفـا ... وبسهـم لحظيـه الحشـاشـة راشـق
مهـلاً فـأيـن العـدلُ منـك لمغـرم ... كلـف بحبّـك بـل بقـولـك واثـق
مــا راحَ يضمـرُ عنـك إلاّ مـوثقـا ... أكــذبتــه وتقــولُ إنّــي صــادق
قــول الأعــاريــب الكـرام وتنثنـي ... نحـوي بعيـن أخـي المـوّدة وامـق
هيهــاتَ مــا للغــانيــات مــوّدة ... مــا كــلّ قــول للفعـال مطـابـق
شيم الليالي الغدر من عهد الأولى ... قـدمـاً ومـا للـدهـر وعـدٌ صـادق
فليهن من قد بات في دعة اللّقا ... يلقــى أحبّتــه ونحــن نفــارق

وقوله:

لا تلـم مـن غـدا بحـبّ سليمـا ... ن أسيــراً ودمعــهُ فــي انطــلاقِ
لــي قــالــت جنـود حسـن محيـا ... ه وأيضــاً لســائــر العشّــاق
مُــذْ تبـدّى بطلعـة تشبـه الشمـ ... ـس بهـاءً فـي سـاعـة الإشـراق
مثـل قـول التـي بهـا اهتـدت النّمـ ... ـل بنصـح فـي غـايـة الإشفـاق
دونكم فادخلوا المساكنَ من قبـ ... ـل تصـابـوا بـأسهـم الأحـداق
تحطمنّكــم فتفقــدون رمــايــا ... بسهــام الخطــوب بــالاتفــاق
ذلـك اللّحـظ فـاحتـرز منه واحـذر ... لـم يكـن دونـه مـن المـوت واقـي

هو من قول بعضهم:

أسلمنا حبّ سليمانكم ... إلى هوى أيسره القتلُ
قالتْ لنا جند ملاحاته ... لما بدا ما قالت النمّل
قوموا ادخلوا مسكنكم قبل أن ... تحطمكم أعينه النجل

وقال وقد تخلص فيها إلى مدح شيخ الطريقة، الشيخ محمد بن عيسى الخلوتي الصالحي وهي من غرر قصائده:

هوىً يشوّق النّفس والنسيبا ... وصادحات حسنت تشبيبا
وحملت نشر الزهور شمائل ... تهدي إلينا عنبراً وطيبا
واختصّ وجه الدوح من عارضه ... لما استدار جد ولا منسوبا
فاعتدل الغصنُ وصار فوقه الـ ... ـشحرور من وجد به خطيبا
فقامَ يدعو والحمام هتف ... قد أتقنت ألحانها ضروبا
فقم إلى تلك الرياض مسرعاً ... مبتكراً ونادم المحبوبا
يا بأبي ومن يقول بأبي ... ذاك الغزال الشادن الرعبوبا
في وجهه للناظرين جنّة ... للحسن كانت منظراً عجيبا
منمنم يزهو على عشّاقه ... مخضباً بنانه تخضيبا
ما صادفت قلبي سهام لحظه ... إلاّ أتت غزاله تصيبا
فليته صيّر لي من وصله ... وقربه يا صاحبي نصيبا
جرّبت من بعاده نار الغضى ... عذبني بحرّها تعذيبا
لولا الهوى ما شاق عيني مألف ... وبالحمى كم ودّعت حبيبا
هوى حقيقي له مودّة ... قد ولدت نجل الوفا نجيبا
أهلُ السماح في الدّنا قد زهدوا ... وقدّسوا بالواحد القلوبا
وبالرضا قد مزجت طباعهم ... فلا ترى في وجههم قطوبا
وأخلصوا لله قلباً قد صفا ... من كدرٍ واستأنفوا الغيوبا
فما دعوا للغيثِ يوماً وبكوا ... إلا أجابَ قبل أنْ نجيبا
راحوا براح الحال في وجودهم ... لما اختفوا وروّقوا المشروبا
مذ عاملوه في مقامات الوفا ... هبَّ لهم عرف الرضا هبوبا

ومنها:

كالمسكِ وافاك دعاء مخلص ... ريّان من ماء الوفا رطيبا
إنْ لم يراك لا يسرُّ قلبه ... ويكره الخيال أن ينوبا
ما للفتى قد لعبَ الدهر به ... وصرفه صيّره متعوبا

مـن الـزمـان علقتـه محـن قـد شعبـت بقلبـه شعـوبـا
إلاّك يستظـلّ فـي جنـابـه والنّـاس قـد أفنيتهـم تجـريبـا
واستجلّهـا مـن البـديـع غـادة لا تـرتضـي غيـر الهنـا مـركـوبـا

الخ.

وقال يمدحُ بها محمد المحمودي وقد أهداها له من نفثاته وهي قوله:

خـدٌّ يـورّده لهيبـه فتكـاً وأعيننـا تـذيبُـهْ
أنـدى مـن الـورد الـذي حيّـاه ريـانـا نصيبُـهْ
وبثغـره مـاء الحيـا ة يـرقّ كـالصهبـا صبيبـه
وسقـاه مـاء شبيبـة راح الجمـال بهـا يشـوبـه
ميّـال أعطـاف الصبـا تيهـاً يـرنحـه وثـوبـه
ذو قـامـة هيفـاء مثـ ـل الغصـن يحملـه كثيبـه
أبـداً يميـل مـع النسيـ ـم يظـلّ يعطفـه هبـوبـه
وبـوجهـه آيـات حسـ ـن فيـه زينهـا قطـوبـه
أبـدى قسـى حـواجـب بـالـروح يفـديهـا سليبـه
مـن مقلتيـه أراش فـي قلبـي السهـام بـه يصيبـه
فـرمـى نـدوب سهـامـه فـي اللّـب قـد أصمت نـدوبـه
متمنّـع عـن نـاظـري مـا زال يحجبـه رقيبـه
بـرقـت بـوارق وعـده والبـرقُ يطمعنـا خلـوبـه
ولصبّـه أهـدى الضنـا متحيـراً فيـه طبيبـه
منـح السهـادَ لمقلتـي مُـذْ طـال عـن نظـري مغيبـه
أودي بجسمـي هجـره والحـبّ تستحلـي خطـوبـه
وأرى عقـارب صـدغـه بـالـوصـل قـد غفـرت ذنـوبـه
يـا ليـتَ شعـري مـا الـذي بصـدوده عنّـي ينـوبـه
يقسـو علـيّ فـؤاده وقـوامـه غصنـاً رطيبـه
أتـراهُ يعلـم بـالـذي يشكـوه مـن سقـم كئيبـه
وصـدوده أبـداً علـى عشّـاقـه ليسـت تعيبـه
كـم ذا أمـوّه بـالهـوى والصبـرُ قـد شقّـت جيـوبـه
قصـرت فصـاحـة مـادح أحصـى كمـالـك أو يثيبـه
يـا مَـنْ ببـاهـر شعـره قـد راحَ يسكـرنـا نسيبـه
شعـر هـو السحـر الحـلا ل يـروق هـذبـه لبيبـه
منشـي حـلاه محمـد الـ ـمحمـود مفـرده بخيبـه

الفاضل اللسن الذي محل الزمان به خصيبه
في كل لفظ من معا ني فضله تسبي شعوبه
متناسق كالدرّ في الـ ـعقد الذي نظمت ثقوبه
وإذا ذكرنا الشعر فهـ ـو كما سمعت به حبيبه
وافتك مثل الروض يهـ ـدي عرفها نفحاً جنوبه
ومديحك السامي غدا فرضاً على مثلي وجوبه
والمهرُ منك جوابها وكفاه فخراً من تجيبه
نفحتك مني بالثنا ء وطيب عنبره وطيبه

وله أيضاً قوله:

لك في المعالي رتبة من دونها زهر النّجوم وتلك فوق هلالها
فلذاك أنتَ أمينُ أسرارِ الهدى واللّـهُ قد أولاك حسن خلالها
وجواهر النّعمان عزت غيرة إلاّ عليك لمن بغى لمنالها
فاهنأ بها لا زلت ترشد قاصداً يبغي الهداية للتقى سؤالها
يا مَنْ له قلمٌ إذا وشى به صفحات طرس أشرقت بجمالها
ولذلك الفضلاء عجباً أنشدت بعلاك بيتاً من بديع مقالها
إنّ الكتابة للفتاوى لم تجد أحداً سواك يحلّ من أشكالها
وسمتك من بين الورى بمرادها حتى ارتضاك الله من أمثالها
لا زلتَ محروس الجناب مؤيّدا بعوارف قد حزتها بكمالها

وقوله يمدح به ولد الشريف بركات شريف مكة المعظمة سابقاً حين وروده دمشق:

قدوم كما انهلت سحائب أمطار وقد أشرقت منها الرياض بأزهارِ
حكى الشمس غب الغيم إشراق ضوئها ولاحت على الدنيا ببهجة أنوار
وسرت به الآفاق شرقاً ومغرباً وأرجُها كالمسك فتنة الداري
وذاك قدوم السيد الأعظم الذي أتانا كيسر بعد بؤس وإعسار
فكانَ كطيب الأمن وافى الخائف وكالنير الأعلى به يهتدي الساري
فأهلاً به من قادم قدم الهنا بلقياه بل رؤياه غاية أوطاري
من القوم إنْ هم فاخروا جاء شاهداً لهم محكم التنزيل من غير إنكار
وإنْ نطقوا جادوا بأبلغ حكمة يلين لها صلد وجامد أحجار
وإنْ ينتموا جاءوا بكلّ حلاحل تذل له شوس الملوك بإقرار
بني حسن أهل العلى منبع الهدى أئمة حق هم بأصدق أخبار
ميامين غرّ من ذؤابة هاشم هم في دجى الخطب المهول كأقمار
وأشرفهم يحيى الذي شرفت به دمشقَ ونلنا فيه أرفع مقدار

فيا ابن رسولِ الله وابن وصيِّه ... ومن أنزل القرآن في مدحه الباري
إليك اعتذاري من كلال قريحتي ... لجور زمانٍ فيه قد قلّ أنصاري
ولكنّ لي في دوحكم خير قربة ... بها الله يعفو عن عظائم أوزاري
لقد مزجَ الرحمنُ ربّي ودادكم ... بقلبي وسمعي والفؤاد وأبصاري
ووالله ما وفيت بالمدح حقّكم ... ولو بلغ الجوزا نتائج أفكاري
لآل عليٍّ في الأنام توجّهي ... ومدحهم وِرْدِي وديني وأذكاري
وهنيت بالعيد السعيد وعائد ... عليك بما نالوا به خير أبرار
فإنّ العلى تسموا بكم وكفاكم ... علا أنكم ملجا الأنام من النار
ولا زلت ذا عمرٍ طويل مؤيّداً ... مدا الدهر ما هبّت نسائم أسحار

وقوله مادحاً ومهنئاً ومعتذراً للمولى محمد العمادي:

العفوُ أولى من عتاب المذنب ... والذنبُ يخرس كل شهم معربِ
كثرت عليّ عجائب لو أولعت ... بمتالع لا نقض قضّ الكوكب
من لي بعذر أنْ يقوم بحجّتي ... عند الإمام الطيّب ابن الطيّب
علاّمة الآفاق مَنْ بوجوده ... أفلت نجوم ذوي الضلال بمغرب
حتّى يزول محال قول باطل ... قد ألبسوني فيه ثوب الأجرب
نزهّت عنه سمع مولاي الذي ... أنا عبده الأدنى وهذا منصبي
مفتي البريّة في الفواخر كلّها ... كالبحر يلقى الدرّ للمتطلّب
إنْ فاهَ أسكتَ كلّ ذي لسن بما ... يبديه من صوغ الكلام المعرب
مولى إذا احتكّت فهوم أولي النّهي ... جلي برأي مثل بدر أشهب
وأبان كلّ عويصة في العلم كالنّجـ ... ـم الرفيع بمثل حدّ مشطب
وَرِثَ الفضائل كابراً عن كابر ... يوم العلى عن كلّ جدّ منجب
قومٌ بهم دين الإلّه مؤيّد ... من أنْ يدنّسه مقال منكب
شادَ العمادُ لهم ثناء طاهراً ... حمل الرواة له لأقصى المغرب
مولاي أنتَ أجل من حاز العلا ... بفضائل هي كالطراز المذّهب
هنيتَ بالرتب التي هي في الورى ... فخراً كوضع التّاج يوم الموكب
هي منصب الفتيا الرفيع مقامها ... فوق السماك الشامخ العالي الآبي
دامت لك العليا ودام لك الهنا ... ما سار ركبٌ في فيافي سبسب
مولاي غفراً فاستمع بتفضّل ... بعض اعتذاري من صميم تلهّب
قد قوّلاني في علوّ جنابكم ... ما لم أقله وحقّ ربي والنّبي
أنا ما حييت مديحكم وثناؤكم ... وردى به عند الإلّه تقرّبي
حاشاي من قول هزا لو قلته ... لنهيتُ عنه بألف ألفه مكذّب

بـل كيـف أقتحـم الهـلاك وأرتضـي غضـبَ الإلّـه كفعـل ميشـوم غبـي
بشـراي إنّـي قـد ظفـرت بمطلبـي حـاشـاكَ تلقـانـي بـوجـه مقطـب
دمْ للبـريّـة ملجـأً ومـؤمـلا مـا أزهـر اللّيـل البهيـم بكـوكـب

وقال يمدحُ السيد السند الشيخ علي الحموي الكيلاني شيخ الطريقة القادرية:

يـزارُ بـزوراء العـراق ضـريـح وللحـقّ أنـوار عليـه تلـوحُ
تحـومُ حـواليـه المـلائـك رفعـة وَوِرْدُهـم التقـديـس والتسبيـح
سـلامٌ عليـه مـن صـريـح معظّـم إليـه تحيّـات الإلّـه تـروح
ضـريـح إمـام الأوليـاء وقطبهـم أبـي صـالـح عـالـي الجنـاب فسيـح
يحـج إلـى بغـداد يبغـي زيـارة لـه القطـب يسعـى خـادم ويسيـح
ومـن جـوهـر المختـارِ جـوهـره الـذي لـه فـي علـوّ المكـرمـات وضـوح
فمـن أمّ عـالـي بـابـه نـال رفعـة ووافـاه مـن فيـض الإلّـه فتـوح
بـه تكشـف الجـلا ويـرتفـع البـلا ويثنـي عنـان الخطـب وهـو جمـوح
وأبنـاؤه الغـرّ الكـرام مـلاذنـا وذخـرهـم أنـي بـذاك نصـوح
ومصبـاحهـم مـولـى علـيّ جنـابـه عـلا بـه بـاب الهـدى مفتـوح
كـريـم سجـايـا النفـس لألاء وجهـه يضـيء فتخفـى عنـد ذلـك بـوح
مهـذّب أخـلاق مـن الفضـل والحجـى كثيـراً تضـاع بـالنّـوال سمـوح
عليـم بـأسـرار الحقـائـق عـارف بـأنفـاسـه للسـالكيـن نفـوح
مـن تلقـه تلقـى أغـرّ كـأنّمـا صفـا وهـو لطـف مـن صفـاه وروح
ومـولـىً هـو البحـر الخضـمّ ومـن بـه دعـا آب مـوفـور الجنـاح نجيـح
ولكنّـه بحـرُ العلـوم قـراره عميـقٌ علـى مـن رامـه وطليـح
محـامـده تتلـى فيعبـق طيبهـا كنشـر ريـاض علهـنّ صبـنوح
وقـد حـلّ فـي وادي دمشـق ركـابـه بسعـدٍ سعـود للنّحـوس يـزيـح
فـوافـى ربـوعـاً طـالمـا طـال شـوقهـا إليـه وكـادت بـالغـرام تبـوح
وخفـق فـي الـوادي السعيـد نسيمهـا وهبّـت بـه معتـل وهـو صحيـح
وعـمّ الـورى فيهـا سـرور ونشـأة وإنّـي وهـذا القـول صـاح صـريـح
فنـادت جميـع الخلـق أهـلاً ومـرحبـاً ببـدر بـأفـلاك الكمـال سبـوح
أمـولاي أرجـو منـك نظـرة إننـي مفـارق عهـد للخليـط جـريـح
أهيـم إذا غنّـى ابـن ورقـاء فـي الـرّبـا وأسمـع منـه لحنـه فـأنـوح
رمتنـي صـروف النـائبـات بـأسهـم لهـا فـي فـؤادي والصميـم جـروح
ولكـنْ بمـولائـي أرى كـل كـربـة تـزول ومنهـا الـدمّـع كـان سفـوح
وإنّـي وإنـي فـي حمـاك ومـن يكـن جـوارك أمسـى منـه فهـو ربيـح

وعــذراً فقــد وافتــك منّــي بخجلــة — وشعــري بمــدح فــي ســواك شحيــح
وليـس بمحـصٍ بعـض وصفـك مـادح — ولــو جـاءَ منـه للمـديـح مـديـح
ولكنّهـا تـرجـو السمـاح كـرامـة — وأنـتَ عـن الـذنـب العظيـم صفـوح
ودمْ فـي سعـود وارتقـاء ونعمـة — بعمـر طـويـل عنـه قصـر نـوح

فراجعه عنها بقوله:

مخـائـلُ سعـد للعيـون تلـوح — بـوجـه سـريّ للسمـوّ طمـوحُ
قـرينـة عـزّ فـي غضـون جبينـه — فتغـدو لبشـراهـا لـه وتـروح
فتىً مـن سـراة النـاس ممـن تقـدمـوا — لنيـل المعـالـي والـركـاب سبـوح
أديـبٌ أريـبٌ فـاضـلٌ متفضّـل — بليـغٌ ولفـظ الـدرّ منـه فصيـح
تغـذّى لبـان الفضـل فـي حـال مهـده — غبـوقٌ لـه منهـا رواً وصبـوح
إمـام همـام فـي الفهـوم مقـدّم — وفـي الأدب الغـضّ الطـري فصيـح
كـريـم حـوى وصـف الكـرام وفعلهـا — سمـى مصطفـى والفعـل منـه مليـح
فخذْ بعض شذرٍ واغض عن قصر قاصر — وسـامـح بفضـل فـالكـريـم سمـوحُ

وللمترجم قوله:

فـرائـد درٌّ فـي صحـائـف ألمـاس — ونـورُ ريـاضٍ فـي مهـارق قـرطـاسِ
وإلا دراري الأفـق ضمـن سفينـة — تسيـرُ بلـج مـن ذخـارف أنفـاس
إذا كـان قـامـوسـاً لهـا علـم مـاجـد — فبحـر خضـمّ لا يقـاس بمقيـاس
فكيـفَ وربّـانيهـا فـي مسيـرهـا — لـه قلـم يجـري كسـابـق أفـراس
همـام حـوى وصـف الكـرام وفعلهـا — وفـاقَ العلـى بـالفضـل كـالعلـم الـراسـي
سليـل أسـاطيـن فحـول ضـراغـم — هـم مـن ذرى العليـاء فـي قنـن الـراس
تكلّـف فكـري وصـف بعـض صفـاتـه — فتـاه بمـومـاة وعـام بمغمـاس
وكيـفَ ونيـل النّجـم أقـرب مـأربـاً — لفكـري أو أحصـي عـلاه بـأنفـاس
فشكـري لآلٍ للعمـاديّ حـامـد — ومـدحهـم فـرضـي لتطهيـر أدنـاس
فـلا زالَ نـاديهـم لمثلـي ملجـأ — إذا الـدهـر لاقـانـي بصـورة عبّـاسِ

وقوله مادحاً أيضاً ومؤرخاً إتمام الحواشي التي جمعها الممدوح على كتاب دلائل الخيرات في الصلاة على سيدنا محمد ﷺ:

أمـولاي زاد الله قـدرك رفعـة — بجـاه رسـول الله خيـر الخـلائـقْ
فـأنـتَ علـى تقـوى الإلـه مـواظـب — تسيـرُ علـى نهـج الهـدى والحقـائـق
ومـن يـكَ ذكـر المصطفـى ديـدنـاً لـه — لقـد حـاز فـي الـداريـن عـزّ المسـابـق
دلائـلُ خيـراتٍ إذا مـا تلـوتهـا — أفـدت بهـا أجـراً لكـم لـم يفـارق

فهـذا دليـل الخيـر والـرشـد والهـدى تشيـد بـه ذكـراً كمسـك لنـاشـق
فهـذّبتـه سفـراً بتحـريـر متنـه وجـاءت حـواشيـه رقـاق الـدقـائـق
ورصعـتَ مـن كنـز العلـوم حـواشيـا كتـرصيـع درٌّ فـي نضـار المنـاطـق
لقد طـاولـت شهـب السماء بما حـوت بهـدي رسـول الله أفصـح نـاطـق
فطـوبـى لكـم آل العمـاد فسعيكـم دوامـاً علـى نهج الهـدى في الطرائق
وعظمتهـا مـولاي حـامـد نسخـة تخلّـد فيهـا الصـدق ضمـن المهـارق
فـدمْ مـا تـلا ذكـر النّبـي أخـو الهـدى وصلّـى عليـه عـاشـق إثـر عـاشـق
صـلاة يضـيء الكـون مـن نـور ذكـرهـا تفـوح كمسـك فـي العـذيـب وبـارق
ومُـذْ تـمّ ذاك السفـر قلـت مـؤرخـاً وشـائـع حسـن لحـن مـن نـور صـادق

سنة ١١٣٤ ٩٠٨٨١١٨٣٨٧ ٢٥٦ ١٩٥

وقوله مضمناً أبيات الشيخ داود البصير الطبيب الثلاثة بقوله:

ليـلٌ كقـادمتـي غـراب مغـدق يمضـي بـأحـزان وطـول تلهّـفِ
وصبـاح يـومـي إنْ سـألـت فـإنـه كصباح ثكلى ماتَ واحدها الوفي
أبكـي لشمـل بـات وهـو مصـدّع كـالعقـد بـدّد بعـد شمـل تـألّـف
ظـنّ الخلـيّ وقـد رآنـي بـاكيـاً أنـي رعفـت مـن الجفـون الـذرّف
هـل راحـم صبّـا أذاب فـؤاده دهـر ألـحّ لصـرفـه لـم يصـرف
الله يعلـم أنّنـي مـن بعـدهـم لحليـف أحـزان بقلـب مـدنـف
أهفـو إلـى مـرّ الحمـام وشـربـه ومـذاقـه يـامـا أحيـلاه بفـي
مـن طـول أبعـاد ودهـر جـائـر ومسيـس حـاجـات وقلّـة منصـف
ومغيـب خـلّ لا اعتيـاض بغيـره شـطّ الـزمـان بـه فليس بمسعـف
أوّاه لـو حلـت لـي الصهبـاء كـي أنشـا فـأذهـل عـن غـرام متلـف

وله وذلك عند تراكم الخطوب عليه وعدم مشفق يأخذ بيديه:

إنّ قلبـي قطـب البـلاء أديـرت لشقـائـي رحـى الهمـوم عَلَيْـهْ
وتـــراه مغنطيســـاً للـــرّزايـــا يجـذبُ الخطـب مـن سحيـق إلَيْـهْ

وله أيضاً ناعياً ثمرات الفؤاد ونجباء الأولاد:

غـــرابٌ ينـــوحُ لتفـــريقنـــا ويـوم يصيـح بتلـك الـرسـومْ
فبـانـوا وأصبحـت مـن بعـدهـم أليـف الشجـون خـدّيـن الهمـوم
فمـا أجلـد القلـب فـي النـائبـات ويـا قلـب صبـراً لهـذي الكلـوم
وكـانـوا نجـوم سمـاء الحشـا وفـي التـرب غيّـب تلـك النجـوم
فـوا وحشتـاه لتلـك الـوجـوه وبعـد السـرور ألفـت الـوجـوم

ومن شعره أيضاً:

أفدي مهاة أفردت عن سربها بدويّة سحرت بطرف أدعجِ
شخصت بطلعتها العيون وقد بدا بدر الدّجى بجبينها المتبلّج
بسمت فخلت البرقَ أومض ضاحكاً عن لؤلؤ في ثغرها المتفلّج
وسمّت لها شفة فراقت منظراً وحلّت بأزرق فاق زهر بنفسج
فدهشتُ من كنز بمبسمها له قفل من الياقوت والفيروزج

وله مادحاً شيخ الإسلام مفتي الدولة العثمانية المولى السيد عبدالله المعروف بالبشمقجي حين قدم دمشق حاجاً بقوله:

هي المعالي لكم حيث السهى ارتفعت وحيث شمس الضحى في أفقها طلعت
شمس العلى أشرقت بالشام في شرف من الحجاز وأنوار الهدى لمعت
أنوار من زينة الدنيا بمقدمه حتى به سائر الأكدار قد رفعت
تالله ما الغيث أجدى من مكارمه إذا همّت بسحاب الفضل أو همعت
يا بضعة من رسول الله خالصة بمهبط الوحي أخلاف الهدى ارتضعت
يا آلَ بيت رسول الله حُبُّكُمُو فرض به سُوَرُ التنزيل قد صدعت
لولاكُمُ لم يكن شمس ولا قمر ولا درار بأنوار الضيا سطعت
ورثت مشيخة الإسلام عن سلف من عهد ما شرع الإسلام قد شرعت
يا كعبة المجدِ لو لم تسع مبتهلا لكعبة الله إجلالاً إليك سعت
الحجُّ باليمن مبرور مناسكه لسيّد فيه آيات الهدى جمعت
يا مفخرَ الدولة العلياء من قدم ومن بمجدك أركان العلى امتنعت
ويا عماداً لركن الدين تنصره بمقول الحق إنْ أركانه انصدعت
أيامك الغرّ بالإقبال مشرقة بها عنادل أطيار الهنا سجعت
فالسعد عبد خديم للركاب له بشائر بسنا الإقبال فيه رعت
فالله يبقيك للعلياء ناصرها إذا الموالي إلى أعتابك انتجعت

وله أيضاً:

هو الله لا إثبات إلاّ لذاته تقدّس ذو الأفضال واللّطف والعفوِ
فلا تغترر بالكائنات بأسرها وكل الذي تلقى زوال إلى محو
وأيامنا برق ونحن خلاله خيال مضى بين البطالة واللّهو
وهل نحن إلاّ للفناء مصيرنا ومنّا قلوبٌ قد تميل إلى الزهو
رمتني صروف النائبات بأسهم وأصمت رماياها بصدق ولم تشو
وهل تعتب الأيام شخصاً إذا بكى ويجمع منه الدّهر عضواً إلى عضو

ومن هجوه في بني آدم جميعاً قوله:

قــومٌ كــأنّ القــرّ كــان خليقــة   لهـم فـأعـرى الآيـك مـن أوراقهـا
لـو شـاهـدوا فلسـاً بـأقصـى لجـة   في البحر لانتزعوه من أعماقها
أو يسـألـوا معشـار عشـر شعيـرة   فـاضـت نفـوسهـم علـى انفـاقهـا
فعلـى نفـوسهـم الخبيثـة لعنـة   تستـوجـب الإفـراط فـي استغـراقهـا
ملـؤوا أقـاليـمَ البـلاد ضـلالـة   واستنـزحـوا الأمـوالَ مـن آفـاقهـا

ورأيت غير المترجم هجا بني آدم بقوله:

بنـــي آدم لا بـــارك الله فيكـــم   لأنتـم شـرار النّـاس بيـن الخـلائـقْ
خلتْ منكـم الـدنيـا مـن العـدل والهـدى   ولـم يبـق إلاّ فـاسـق وابـن فـاسـق
وأوسعتـــم الآفـــاق بغيـــاً وجفـــوة   وهيهـاتَ منكـم صـادق الـوعـد فـائـق
وأنتـم ظـروف الـزور والبغـي والأذى   ومـا راج منكـم غيـر كـل منـافـق
تمنّيـت عمـري أن أرى غيـر غـادر   فمـا شمـت إلاّ عـائقـاً وابـن عـائـق
غصبتـم حقـوق النّـاس ثـم مـلأتـم   جـوانـب هـذا الكـون مـن كـل فـاسـق
عليكـم مـن الله الجليـل مصـائـب   تكـون عليكـم مثـل وقـع الصـواعـق

أقول وكلا الرجلين بلغ في الهجو إلى أقصى حدّه، وهجا نفسه مع أبيه وجدّه، فنرجو من واهب العقول، أن يغفر ذنوب من أساء إنّه أكرم مسؤول.

ومن نثر صاحب الترجمة ما كتب به لأحد أعيان دمشق وهو قوله:

أدامَ اللّهُ على العلم وأهْلِيْهْ، والإسلام وبنيْهْ، سبوغ ظلّ مولاي الإمام الذي صدره تضيق عنه الدهناء، ويفرغ إليه الداماء، والذي له في كل يوم مكرمة غرّة الإيضاح، ومن كل فضيلة قادمة الجناح، ذو الصورة التي تستنطق الأفواه بالتسبيح، ويترقرق فيها ماء الكرم ويسيح، تحيى القلوب بلقائه، مثل ما مسّت الفقر بعطائه، له الخلق الذي لو مزج به البحر لنفى ملوحته، ولكفى لذوذته، هو غذاء الحياة ونسيم العيش ومادة الفضل، آراؤه مدى في مفاصل الخطوب، وفراسته تشف عمّا وراء الغيوب، همّته تعزل السماك الأعزل، وتجرّ ذيلها على المجرّة وهو راجح في موازين الفضل، سابق في ميادين العقل، يفترع أبكار المكارم، وينسى بكرمه ذكر حاتم، ينابيع الجود تتفجرُ من أنامله، وربيع السماك يضحك عن فواضله، هو لسان الشريعة، وإنسان حدقة الملّة، وغرّة الزمان وناظر الإيمان، أخلاقه خلقنَ من الفضل، وشيمه تشام منها بوارق المجد، له طلعة عليها للبشاشة ديباجة حسنة بهيّة، هو بحرٌ من العلم ممدود كسبعة أبحر، ويومه في العلماء كعمر سبعة أنسر، حرس الله ذاته التي هي شمس هذا الزمان، والدليل الأكبر على بقاء نوع الإنسان، وبعد فالمملوك ينهى إلى المقام العالي، والمحل الباذخ المنيف السامي، أدام الله سعادته مشرقة النور مبلغة

السول، واضحة الغرر بادية الخجول، ما بلغه من كلام تجرّع منه غصص الصبر، وتحمّل منه ما أثقل به كاهل الدهر، وخصّه به من بين أبناء العصر، كلمات تتدكدك لها الأطواد، وتتفطّر بسببها الأكباد، قد انقصم منها ظهري، وقلّ على تحمّلها صبري، فلا ألوم إلاّ حظّي الذي لا ينبهه ضجيج يوم القيامة، ولا أبكي إلاّ على ما وسمني به الدهر من هذه العلامة، حتى ظنّت بي الظنون، فإنّا لله وإنا إليه راجعون.

ولو أنّ ما بي بالجبال لدكدكت أو الصخـرة الصلـداء لـم تتجلّـد

ولما بصر بي مولاي متوجّهاً على طريق الجبل، ظنّ أنّ معي من أهل الوبال والخبل، وأعيذُ ظنّه الجميل أن يشوبه إلاّ صدق الفراسة، فوالله يا سيّدي لم يصحبني إلاّ رجل من ثعلبايا قرية الأستاذ الشيخ محمد مراد يقال له أبو خالد، أثقل من رضوى وأبرد من الجمد البارد، ورجل آخر من أعراب البادية، الذين هم كالسباع الضارية، منازلهم عند القيصوم والشيح، ولا يعرفون إلاّ حداء الإبل وعندهم ذلك مكان التسبيح، قد جرّدهم الدهر فلجؤوا إلى الجُرْد، وأقاموا ببادية ظنّوا أنّها جنة الخلد، أعزّ شيء في أبياتهم الزاد، فإذا سمعوا به حسبوه من عتاد المعاد، أقمتُ فيهم على جوع يحرق الأكباد، وبرد يجمد الماء في المزاد، أياماً بعدد شهور السنة، لا أذوق فيها السنة، ولي فيهم شريك أشأم من ناظر على وقف وله بيت كبيت العنكبوت، خال من الدثار والقوت، فما نابني إلاّ معاناة متاعب ضاق بها عليّ واسع الفضا، وشبَّ في جوانحي منها جزل الغضى، وأعظم منها بلاء ما بلغني من هذا الأمر الفظيع، والخطب الذي تضع له الحوامل ويشيب الرضيع، فوالله الذي لا إلّه إلاّ هو ما أحببت في عمري رافضيّاً، ولا عددته لي معيناً ولا وفيّاً، فصبراً على ما حلّ بي من هذه الخطوب، وأستغفر الله وإليه أتوب، أنْ أقلّ ركابي في سفرة ثانية، ولو مضني البؤس في هذه الفانية.

رأيـتُ اضطـراب المـرء والجـدّ عـاثـر كما اضطرب المخنوق في حبل خانقِ

جعل الله أيام مولاي سامية ولياليه، ومستقبله خيراً من ماضيه، وأبتهلُ إلى الله أنْ يمدّ في عمر مولاي على طول الزمان، في مسرة وأمان، إنّه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، انتهى.

ولما قتل الوزير أسعد باشا المعظم والي دمشق وأمير الحاج الشامي أشقياء الجند بدمشق، كان ممن قتل ولد صاحب الترجمة ونهبت داره، واضمحل حاله، وتراكمت عليه الأمراض، ولم تطل مدته ومات، وكانت وفاته في سنة ستين ومائة وألف، ودفن بتربة مرج الدحداح رحمه الله تعالى.

مصطفى السندوبي:

٦٩١ ـ مصطفى السندوبي بن أحمد بن أحمد الشافعي المصري، الشهير بالسندوبي،

وجدّه الشهاب السندوبي مشهور: أخذ عن العلامة السيد محمد البليدي، والشهابين أحمد الملوي، وأحمد الجوهري، وبرع وتقدم على أقرانه بالفضل، وانتشر علم علمه، وعذب بحر فضله، وراقت للطلبة موارده، وأخذ عنه شيخنا أبو الأنوار محمد الوفائي القاهري وغيره، وكانت وفاته في حدود السبعين ومائة وألف بمصر رحمه الله تعالى.

مصطفى المكّي:

٦٩٢ ـ مصطفى المكّي بن فتح الله الشافعي المكي مؤرخ مكة وأديبها، الشيخ الفاضل العالم الأديب البارع المفنن الأوحد، أصله من بلدة حماة، ورحل منها لدمشق: وقرأ بها، وأخذ عمن بها من الفضلاء، ثم رحل إلى مكة وجعلها دار إقامته، وله التاريخ الحافل، الذي سمّاه «فوائد الارتجال ونتائج السفر في تراجم فضلاء القرن الحادي عشر»، وله غير ذلك، وهذا التاريخ تاريخ حافل في ثلاث مجلدات، وكانت وفاة المترجم في سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف.

مصطفى العزيزي:

٦٩٣ ـ مصطفى العزيزي بن أحمد المصري الشافعي، الشهير بالعزيزي، الشيخ الإمام العالم المحقق المدقق الفقيه الأوحد أبو الصفاء صفيّ الدين: أخذ الفقه عن الشيخ عبد ربه بن أحمد الديوي، والشهاب أحمد بن الفقيه، وسمع الحديث على الشمس محمد الشرنبابلي الشافعي وعن غيرهم، وبرع وفضل، واشتهر بالفضل والذكاء والعلم، ودرّس وأفاد، وأخذ عنه جملة من فضلاء الأزهر، كشيخنا الشهاب أحمد العروسي، والنجم محمد الحفني، وأبي الروح عيسى البراوي، والنور علي بن أحمد الصعيدي، والشهاب أحمد بن محمد الراشدي، تفقّه عليه، والشمس محمد بن محمد السجاعي، ومحمد بن عبد ربه العزيزي المالكي، ومحمد بن إبراهيم المصيلحي، وأبي السرور عبد الباسط بن حجازي السنديوبي، وعلي بن علي الشهير بمطاوع وغيرهم، وكان جبلاً من جبال العلم، وبحراً من أبحر الفقه، وكانت وفاته في حدود الستين ومائة وألف، والعزيزي: نسبة إلى قرية تسمّى العزيزية من الغربية بمصر.

مصطفى النابلسي:

٦٩٤ ـ مصطفى النابلسي الحنبلي بن إسماعيل بن عبد الغني، المعروف كأسلافه بالنابلسي، الحنفي الدمشقي الصالحي، الشيخ الفاضل الصالح الفالح المبارك المعتقد: كان مبجّلاً بين الناس يحترمونه، مستقيماً على وتيرة الصلاح والعبادة، ولد في سنة ثلاث عشرة ومائة وألف، ونشأ في حجر جدّه الأستاذ الأعظم وعمته بركاته، وفي حجر والده المقدّم ذكرهما، وكان جدّه يحبّه ويميل إليه، وهو دائماً قائم بخدمة جده، ولم يزل كذلك إلى أنْ مات جدّه، واستقام آخراً في دارهم بالصالحية يُزارُ ويزور ويتبرّك به، وتعتقده أهالي دمشق وحكّامها وقضاتها، ورزق الحظوة التامة من الأولاد والأنسال، وكان يظهر عليه التغفّل

والجذب، وبالجملة فقد كان من الأخيار، وكانت وفاته في ليلة الخميس عاشر ذي الحجة الحرام يوم العيد ختام سنة إحدى وتسعين ومائة وألف، ودفن في دارهم لصيق قبر جدّه الأستاذ، وكانت جنازته حافلة، ووافق أنّ والي حلب الوزير عزت أحمد باشا كان بدمشق إذْ ذاك فحضر دفنه، وكان يعتقده رحمه الله تعالى.

مصطفى بن اظب:

٦٩٥ ـ مصطفى بن اظب بن حسن بن محمد بن رمضان، الشهير بابن اظب، الحنفي، التركماني، الميداني الدمشقي، الشيخ العالم الفقيه الفاضل الفرضي: كان أحد المحققين في الفقه النعماني، والمتضلعين منه، مع الفضيلة التامة في فنون العلوم، وكان أكثر اشتغاله في الفقه والفرائض، ولد في سنة خمس وعشرين ومائة وألف، ولازم الشيوخ، فقرأ على الشيخ صالح الجينيني الدمشقي الفقيه، وكذلك على الشيخ علي التركماني أمين الفتوى بدمشق، وأخذ الحديث والنحو عن الشيخ إسماعيل العجلوني، وقرأ الفرائض والحساب والمساحة على الشيخ محمد الخليلي، وأخذ التفسير عن الشيخ محمد قولقسن الدمشقي، وأخذ العقائد عن الشيخ محمود الكردي نزيل دمشق، واشتهر بالفضل وعاش وحيداً فريداً، ولم يتزوّج، وحجّ إلى بيت الله الحرام، وله كتابات وتحريرات في الفقه والحساب وغير ذلك، وبالجملة فقد كان أحد أفراد الأفاضل، وكانت وفاته في سنة تسعين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

السيد مصطفى الصمادي:

٦٩٦ ـ السيد مصطفى الصمادي ابن السيد حسن ابن السيد محمد، المعروف بالصمادي، الحنفي الدمشقي أحد الأدباء الكتاب الذين سحروا برقّة بيانهم وبراعة بنانهم العقول والألباب: كان أديباً عارفاً كاتباً من كتّاب الخزينة السلطانية الميرية، محتشماً معظّماً، متقناً للفنون الأدبية، عشوراً لطيفاً ذا هيبة، وكان بباب الدفتري بدمشق من المحاسن، وترجمه السيّد الأمين المحبيّ في ذيل نفحته، وأثنى عليه، وقال في وصفه: سيّدُ رهط وفريق، تنوّعا بين أصيل وعريق، رقى من التواضع سلّم الشرف، ولم يخش المعاني في مدحته السرف، فأصله في دفتر الفتوة ثابت، وغصنه في بحبوحة التقديس نابت، ولد بكر الفكر من حين ولادته، وقلّد جيد الأدب من درّه المفصل بأفخر قلادته، فهو لآمل مظنة رجاه، وبقمر وجهه أقبل نهاره وأدبر دُجَاه، يهب على الأنفاس من خلائقه بعرف الطّيب، ويجري من الأهواء مجرى الماء في الغصن الرّطيب، وثمة أدب يتبرّج تبرج العقيلة، وفكر صفا من الكدر ولا صفا المرآة الصقيلة، وخطُّ أخذ في الحسن كل الحظ، وكأنما أوجده الله ليكون متمتع القلب واللحظ، فمتى سقى قلمه من الحبر أنبت ما بين الجداول عروق التبر، فمداده يجول في رقيم الصفحات فتتوشى علاماته، وإذا تحققت فيه النظر فما هو إلاّ من رقوم الخدود واواته ولاماته، وله شعر أعدّه من هدايا الزمان، ولا أحسبه إلاّ من مفصلات

الجمان والبهرمان، ومن شعره قوله:

إنّ الذين تقدّموا لم يتركوا معنى به يتقدّم المتأخرُ
قد أنتجوا أبكار أفكار لهم عقم المعاني مثلها متعذر
فإذا نصبنا من حبال تخيل شركاً به معنى نصيد ونظفر
عصفت سموم هموم فكر قطعت تلك الحبال وفرّ منها الخاطر
والدّهر أخرس كل ذي لسن فلو سحبان كلف منطقاً لا يقدر
والشعر في سوق البلاغة كاسد فترى البليغ كجاهل لا يشعر
والفضل أقفر ربعه بعد لكنّه بوجود مولانا الأمين معمّر
علاّمة الدنيا وواحد دهره وأجلّ أهل العصر قدراً يذكر
ملك العلوم له جيوش بلاغة وفصاحة فبهم يعزُّ وينصر
تخذ الفهوم دعية منقادة تأتيه طائعة بما هو يأمر
يقظ يكاد يحيط علماً بالذي تجري به الأقدار حين يقدّر
ما زال يملأ من لآلىء لفظه أصداف آذان لنا ويقرّر
تالله ما رشف الرضاب لراشف من ثغر ذي شنب حكاه الجوهر
أحلى وأعذب من كؤوس حديثه تملي وتشربها العقول فتسكر
فاق الذين تقدّموا بسبقهم وبه الأواخر تزدهي بل تفخر
بالسؤل يمنح قبل تساؤلٍ فإنْ سبق السؤال عطاؤه يتعذّر
لو أنّ أيسر جوده قدما سرى في الكون لم يبقى وحقّك معسّر
قد أبدع الرحمن صورة خلقه ليرى جميل الصنع فيه المبصر
وجهٌ كأنّ الشمس بعض بهائه ما زال يحسده عليه النير
مولاي عجزي عن مديحك ظاهرٌ والعذرُ عن إدراك وصفك أظهر
من لي بأنْ أهديك نظماً فاخراً أسمو به بين الأنام وأفخر
هبني أنظم كالعقود لآلئا أفديك هل يهدي لبحر جوهر
لكن أتيت كما أمرت بخدمة جهد المقل وسوء رد أحذر
فاصفح فقد أوضحت عذري أولا وأقبل فمثلك من يمنّ ويعذر
واسلم ودمْ في نعمة طول المدى ما دام يمدحك اللّسان ويشكر

وقوله:

ومحجب أنف المرور بخاطري ويغار من مرّ النسيم إذا سرى
نحميه عن نظر العيون نزاهة لم ترض أنْ يطأ القلوب على الثّرى
صلف ولو قال الهلال مفاخراً أنا من قلامة ظفره لاستكبرا
ولو ابتغى لحظ التمنّي أنْ يرى ظلاً لطيف خياله لتنكّرا

وله في النحول:

ومـولّـه لـولا دخـان تـأوّه ... مـن نـار أشـواق بـه لـم يعـرفِ
قـد رقّ حتـى صـارَ يحكـي فـي الضّنى ... لهـلال شـكٍّ يستبيـن ويختفـي
لـو زجّـهُ الخَيَّـاطُ فـي سـمّ الخِيَـا ... طِ مـن النّحـول جـرى ولـم يتـوقّـف
وجميعـه لـو حـلّ فـي طـرف الـذبـا ... بِ لفـرط أسقـامٍ بـه لـم يطـرف

وله فيه:

ومتيّـم دنـف حكـى فـي سقمـه ... لهـلال شـكّ قـد بـدا ميـلادُهُ
قـد رقّ حتـى كـاد يخفيـه الضّنـى ... عـن عـائـدٍ ورثـى لـه حسّـاده
لـولا دخـان تـأوّه مـن نـار أشـ ... ـواق بـه لـم تلفـه عـوّاده

وله مضمناً:

إنّـي لأحْسـد عـاشقيـك ورحمـة ... أبكيهـم مـن أدمعـي بغـزارِ
نظـروا إلـى جنـات وجنتـك التـي ... قـد حـفّ منهـا الـورداس عـذار
فتمتّعـت أبصـارهـم بنعيمهـا ... ومـن النّعيـم تَمتُّـع الأبصـار
حتـى إذا طلبـوا الـوصـال وعـذّبـوا ... بـالطـرد عنـك وسـاء بعـد الـدار
قـدحـت زنـاد الشـوق فـي أكبـادهـم ... نـار اللّظـى منهـا كبعـض شـرار
فـإذا رأيتهـم رأيـت عيـونهـم ... فـي جنـة وقلـوبهـم فـي نـار

وله مضمناً للمثل السائر بقوله:

أطفـال أغصـان الـريـاض تهـزّهـا ... فـي مهـدهـا ريـح الصبـا المعطـارُ
قـد غسلتهـا السحـب حيـن تـرعـرعـت ... والطـلّ تـرضعهـا بـه الأسحـار
مـن كـل غصـن كـالحسـام مجـوهـر ... يهتـزّ عجبـاً مـا عليـه غبـار

وقوله في ذمّ العذار:

إنّ الحبيـب إذا تعـذّر خـدّه ... نفضـت عليـه غبـارهـا الأكـدارُ
فـلأجـل ذا لـم تلفنـي بمتيّـم ... فـي وجنـة ولهـا العـذار شعـار
أنـا مغـرمٌ بنقـيّ خـدّ نـاعـم ... قـد تـمّ حسنـاً مـا عليـه غبـار

وللسيد محمد العرضي الحلبي في مدحه:

ريحـان خـدّك نـاسـخ ... مـا خـطّ يـاقـوت الخـدودِ
وقـع الغبـار بهـا كمـا ... وقـع الغبـار علـى الـورود

ولأبي الفضل الدارمي:

قلـتُ للملقـى علـى الخَـدَّيْـ ... ـنِ مـن ورد خمـارا

أسبل الصّدغ على خَدَّيْـ ـكَ من مسك عذارا
أمْ أعان اللّيل حتى قهر اللّيل النّهارا
قال ميدان جرى الحُسْـ ـن عليه فاستدارا
ركضت فيه عيون فأثارته غبارا

وللمترجم:

هذا الحبيبُ إذا تعذر واكتسى شعراً فذاك بمقته اشعارُ
أو ما تراه إذا بدا في وجهه نفضت عليه غبارها الأكدار

وله أيضاً:

زنجيّ خال الخدّ يبدو واضحا في وجنة قد أشرقت كنهارِ
فإذا العذار سطا عليه ليلة أخفاه تحتَ غياهب الأكدار

ويناسب أن يذكر هنا قول ابن شارح المغنّي:

نازع الخدّ عذاراً دائراً فوق خال مسكه ثم عبقْ
قائلاً للخادم هذا خادمي ودليلي أنّه لوني سرق
فانتضى الطرف لهم سيف القضا ثم نادى ما الذي أبدى القلق
أيها النّعمان في مذهبكم حجّة الخارج بالملك أحق

وللمترجم:

وساق خدّه المحمرّ يحكي مداماً راق فاق العود عطرا
إذا ما عبّ منها خلت خمراً ولا خدّ وخدّا ليس خمرا

وله في فوّارة ماء:

وبي فوّارة غشت وروداً ببركتها عليها الماء سالا
ولاحت وردة للعين حلت بأعلاها فزادتها جمالا
تحاكي قبّة الألماس فيها بساط من يواقيت تلالا
ويحملها عمود من لجين لها المرجان قد أضحى هلالا

وللمترجم معمى في خال:

حين زارَ الحبيبُ من غير وعد ورقيبي نأى وزال عنائي
لاح لاح عدمت رؤيته قد حاز قلباً بنقطة سوداءِ

وكانت وفاة صاحب الترجمة في ذي الحجة سنة سبع وثلاثين ومائة وألف، ودفن بتربة مرج الدحداح رحمه الله تعالى.

مصطفى الجعفري:

٦٩٧ ـ مصطفى الجعفري بن صلاح الدين الجعفري الحنبلي النابلسي، نقيب الأشراف بالديار النابلسية، وعالم هاتيك المعالم السنيّة، بين سيادة العلم والنسب، وبلغ من الرياسة كوالده أعلى الرتب: ولد بنابلس ونشأ بها، وتلا القرآن العظيم، وأخذ في طلب العلم، فقرأ على والده المذكور، وتفقّه على عمه السيد أحمد، وأخذ الحديث عن الشيخ أبي بكر الأحزمي شارح الجامع الصغير وعن غيرهم، ونبل قدره، واشتهر بالفضل بين العلماء أمره، ودرّس وأفاد وهرعت إليه الطالبون والورّاد، وكان رحمه الله تعالى كثير التهجّد رحيب النادي، كريم السجايا والأيادي، وكانت وفاته في أواخر رمضان سنة ألف ومائة وخمس وعشرة، ودفن بنابلس رحمه الله تعالى وأموات المسلمين أجمعين.

مصطفى بن الدفتري:

٦٩٨ ـ مصطفى بن الدفتري بن عبد بن إبراهيم الحنفي الدمشقي الدفتري بدمشق وأحد رؤسائها المشهورين بالأدب والنبل: كان أديباً بارعاً متودّداً، حسن الخصال، يعاشر الأفاضل والأدباء ويسامرهم، ويطالع كتب الأدب، ويجتهد في تحصيل الكمالات، وكان هو وأخوه أمير الأمراء محمد باشا أليفي سعد وإقبال، وحليفَي أدب وكمال، وتقلّبا في رتب المعالي ومناصبها، وأقبلت عليهما الدنيا بمواهبها، وكانت وفاة المترجم في ثالث ذي الحجة سنة سبع ومائة وألف، ودفن بتربة مرج الدحداح رحمه الله تعالى.

مصطفى اللّطيفي:

٦٩٩ ـ مصطفى اللّطيفي بن حسين، المعروف باللطيفي الحموي، الشيخ الأستاذ العارف بالله الصالح الدين الخير المشهور صاحب السياحات الكثيرة: خرج من وطنه ودخل البلاد القاصية، ودار غالب الدنيا، واجتمع بأكابر العباد والعلماء، والأساتذة والأولياء، وله الرحلة المشهورة التي ألّفها وذكر فيها غرائب الوقائع التي جرت له وما رآه، وذكر الأولياء ومواقعه معهم، وغير ذلك مما هو العجب العجاب، ودخل دمشق وحلب والروم، وغيرهم من البلاد، ودار في أقاصي الأرض، وجاب طولها والعرض، رأيت رحلته وطالعتها جميعاً، فرأيته ذكر فيها الأمصار والبلاد التي دخلها، والأولياء والعارفين الذين اجتمع بهم، ووقفتُ له على آثار تدل على علوّ قدمه في المعارف الإلّهية، وبالجملة فهو من كبار الأولياء العارفين، والأئمة المرشدين، يغلب عليه حال التفويض والتوكّل، وكانت وفاته بحلب الشهباء يوم السبت رابع رمضان المعظّم سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف، ودفن بها وقبره معروف يزار ويتبرك به رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته.

مصطفى التميمي:

٧٠٠ ـ مصطفى التّميمي بن عبد الفتاح النابلسي الحنفي، الشهير بالتميمي، العالم المحقق المدقق الفقيه: ولد سنة إحدى عشرة ومائة وألف كما وجد بخطّ والده، وقرأ عليه

القرآن مجوّداً، وبالغ في حفظه ومعرفة أحكامه، وحفظ أغلب المتون، وتفقّه عليه وعلى خاله المرحوم السيد محمد، وقرأ على السيد علي العقدي البصير المصري من أوّل الكنز إلى كتاب الحجر قراءة بحث وتحقيق، ولازم الشيخ عبدالله الشرابي فانتفع به أتم الانتفاع، وأخذ الحديث عن الشيخ أحمد بن محمد عقيلة، وروى البخاري عنه مسلسلاً بالحنفيين ما عدا شيخه العجيمي قراءة عليه، وسماعاً منه من أوّله إلى آخر كتاب الحج كما هو محرّر بإجازته له، وقد تقلّد الفتوى أربعين عاماً، وحرر شرح الشيخ حافظ الدين من مسودّته، وكتب عليه، وله كتاب في الفقه سمّاه «إرشاد المفتي إلى جواب المستفتي»، وله منظومة في العقائد، ورسائل في مهمات الفرائض، ونظم متن نور الإيضاح وغير ذلك، وكانت وفاته سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

مصطفى النابلسي الحنبلي:

٧٠١ ـ مصطفى النابلسي بن عبد الحق الحنبلي النابلسي نزيل دمشق، الشيخ الفاضل البارع الفقيه الفرضي الحيسوب: قدم من بلده نابلس في سنة إحدى عشرة ومائة وألف، وسكن في مدرسة جدّي الأستاذ الشيخ مراد قدّس سره، ولازم الشيخ أبا المواهب الدمشقي الحنبلي، وتلميذه الشيخ عبد القادر التغلبي، وقرأ عليهما كتباً عديدة في فقه مذهبه، كدليل الطالب، والمنتهى والإقناع، وفي الفرائض والحساب قرأ عليهما عدّة كتب، منها شرح الرحبية، وشرح اللّمع وغير ذلك، ولازم دروس الشيخ أبي المواهب المذكور في الجامع الأموي بين العشاءين، وسمع منه عدة من كتب الحديث، منها الجامع الكبير للحافظ السيوطي، ثم بعد وفاته لازم دروس الشيخ التغلبي المذكور، لما جلس بين العشاءين مكان الشيخ أبي المواهب بعد موته، ثم لازم بعد وفاته دروس حفيده الشيخ محمد المواهبي، لما جلس مكان جدّه، وأعاد له إلى أن توفي، وكان المترجم بارعاً في الفقه، كثير الاستحضار لفروعه، ماهراً بالفرائض، وعلم الغبار حتى كاد أن ينفرد بمعرفة هذين الفنّين بدمشق، وكان ديّناً ورعاً صالحاً متواضعاً، ومناقبه جمة، وقد تمرّض بمرض طويل وتوفّي، وكانت وفاته بدمشق في غرّة رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

مصطفى الخليفة:

٧٠٢ ـ مصطفى الخليفة بن عبد القادر بن أحمد بن علي الشهير بابن الخليفة الحنفي الدمشقي أحد أعيان الكتاب بدمشق: كان كاتباً بارعاً بالأدب والكتابة، منشأ بالتركية والعربية، لوذعياً له اطلاع بالشعر والأدب مع معارف، يكتب أنواع الخطوط سيّما في تنميق الدفاتر ومتعلقات الأوقاف، فإنّه كان بذلك ماهراً جدّاً، وله باع في الرقعة والديواني والفرمة وغير ذلك، وعليه كتابات ككتابة وقف الأموي والحرمين وغير ذلك، ونظارتها وغير ذلك، وكان المترجم وأخوه حسن بن الخليفة متصرفين بأقلام الأوقاف المزبورة ومتعلقاتها، حتى استولوا على عقل متولي الجامع الأموي الشيخ إبراهيم السعدي وتصرفوا فيه، وفي الحرمين

والمصريين تصرف الملاّك، وبعد وفاة أخي المترجم اضمحلّ حالهم وزال رونقهم وانقضت دولتهم، وكان المترجم يستعمل أكل البرش المعجون المعلوم ويستغرق به، وكانت عنده كتب نفيسة، ويجري بينه وبين أدباء دمشق وأعيانها المطارحات والنكات والنوادر، ويستعذبون حركات المترجم ونوادره المضحكة، فمن ذلك ما كتبه إليه الأديب السيد محمد الراعي هاجياً له بقوله:

جـرّت عليـك مـن الشقـاء ذيـول　　وعليـك مـن بـرد العنـاء خمـولُ
يـا بـاذلاً نقـد المضـرّة للـورى　　هـا أنـت ذاك البـارد المخـذول
سـدّت اللعيـن بمكـره وخـداعـه　　وعليـك فعـل الملحـديـن قليـل
وأراكَ فـي نشـر الـرذالـة لاهيـا　　عبثـاً بـأعـراض الأنـام تجـول
ومـددتَ بـاع الشـرّ منـك لضيغـم　　يسطـو عليـك ببـأسـه ويصـول
مـسُّ الكـلاب محـرّم فـي شـرعـه　　لكـن لخـذلـك يـا لكـاع فعـول
مـا فـي الـزمـان مـذمّـة ومـذلّـة　　إلاّ وأنـت بطينهـا مجبـول
أقصر عناك فأنت في الدنيا قذىً　　لـرجيـع أحبـار اليهـود أكـول
وعيـوب نفسـك لـو تعـدّ ألـوفهـا　　أهـل الحسـاب لكـان ذاك يطـول
هـذا وربّ الـدار يعلـم مـا بهـا　　لكـن لعمـري بـالسـوي مشغـول
يغضـي عـن الـداء الـدفيـن بجسمـه　　جهـلاً بـه أوانـه المعقـول
كـلاّ بـل الـرجـل البصيـر بعيبـه　　عـن جـلّ أربـاب الحجـى منقـول
عهـدي بـك الأمسـيّ فقـاع الفـلا　　واليـوم فـي كسـب المـلامـة غـول
شـرّ عليـك فعـالـك الـذم الـذي　　يـأبـاه شـرّ الخلـق يـا مـذهـول
محصيّـة تـأتيـك فـي يـوم بـه　　كـل امـرىء عمّـا جنـى مسـؤول

وبالجملة فقد كان المترجم من محاسن دمشق، وكانت وفاته في سنة ثمانين ومائة وألف، ودفن بتربة الباب الصغير رحمه الله تعالى.

مصطفى العمري:

٧٠٣ ـ **مصطفى العمري بن عبد القادر بن بهاء الدين العمري، المعروف بابن عبد الهادي، الشافعي الدمشقي البارع الفاضل التقيّ النقيّ الدين الكامل:** ولد في حدود سنة سبع وتسعين وألف، وتوفي والده العلامة الفاضل وهو ابن ثلاث سنين، فنشأ يتيماً، وطلب العلم فقرأ على جماعة من الشيوخ في عدّة فنون، وبرع في النحو والمعاني والبيان والبديع، وأجاز له جماعة من الأجلاّء، كالأستاذ الصمداني الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي وغيره، وكان أخوه الشيخ سعدي المقدّم ذكره يعتني بشأنه ويزدهي بإنسانه، وكان للمترجم شعر وأدب، فمن شعره قوله من قصيدة:

بيـنَ اللّـواحـظ والقـوام السمهـري　　قلبـي الكليـم بـأبيـض وبـأسمـر

مـن كـلّ وضّاح الجبين إذا بدت … قسماته أربت على ابن المنذر
ولربّ مجدول الوشاح إذا انثنى … بين الغلائل كالقضيب المزهر
أنفقت دون هواه درّ مدامعي … وخلعت دون لقاه برد تصبّري
وسنان طرف أرسلت لحظاته … سهم المنون عن الجفون الفتر
ريّان من خمر الدّلال كأنّما … سقيت شبيبته بماء الكوثر
وغدا بفرط بهائه ودلاله … يختال في برد الشباب الأنضر
ما رمت أجني الورد من وجناته … إلاّ رنا بلحاظ ظبي أعفر
عذب المقبل عاطر الثغر الذي … يحوي اللآلىء من صحاح الجوهر
فإذا بدا فضح الغزالة وجهه … وإذا عطا يحكي التفات الجؤذر
لم أنس ليلتنا به في روضة … جرّ النسيم بها ذيول المئزر
مخضلة الأرجاء قد نسجت بها … كف السحاب بساط وشي عبقري
والوقت قد راقت مشاربه كما … راقَ النّظام بمدح زاكي العنصر
مولىً له نعم يضيق لحصرها … ولضبطها قلمُ البليغ المكثر
من لم تزل تثني على عليائه … بلسان أهليها جميع الأعصر
لا زلتَ وابن العم في فلك العلى … كالفرقدين بعزة وتصدّر
ولك الهناء بصحبة النجل الذي … طابت موارده بطيب المصدر
البارع النّدب الأديب ومن جنى … ثمر العلوم بهمّة لم تفتر
لا زالَ يحوي في بقائك رتبة … تسمو على هام السّهى والمشتري
ما عطّر الآفاق عاطر ذكركم … وذكت بمدحكم عقائل أسطر

وقوله مشجّراً:

دونَ ورد الحيا ونوّار ثغره … ومحيا دعا القلوب لأسْرِهْ
رقم الحسن بالبنفسج سطرا … أثبت الطرف فيه آية سحره
وعلى غصن قدّه بدر تمّ … مشرق لاح من دياجر شعره
يا بروحي غصن الجمال نضيرا … باسم الثغر عن بدائع درّه
شاهدي في هواه عادل قدّ … أكّدت حبّه مناطق خصره

وله أيضاً:

سعود بها الأيام باسمة الثغر … وبشرى بها الآمال حالية النّحرِ
وعين الأماني بالحبور فريدة … تغازل من روض الهنا مقل الزهر
بحيث محيا الأنس يندى بمائه … فتشرق من لألائه غرر البشر
وصفحة مرآة الزمان صقيلة … تشف مرائيها عن الشيم الغرّ
وقد خلعت كفّ الربيع على الربا … خلاخل وشي من ملابسها الخضر

ورنح أعطاف الغصون شمائل مضمخة الأذيال بالعنبر الشحري
إذا نشرت فوق الغدير غدائراً تكللها أيدي السحائب بالدرّ
وزهر الربا تفتر عنه كمائم كما افترّت الحسناء عن درر الثغر
وقد بسط المنثور أجمل راحة تصافحها أيدي النسائم إذْ تسري
وللأنس أذن كلّما كتم الصبا نوافح سرّ العرف تجنح للسرِّ
وللأقحوان الغض ثغر مفلّج يعضُّ بأطراف الثنايا على تبر
وللورد خدّ قد حكى بروائه محيا ابن صدّيق النّبي ابي بكر
أخي الشيم الغرّ اللّواتي إذا بدت تقود إلى عليائه جمل الشكر
إمام هدى راقت موارد فضله وأشرق في أوج المفاخر كالبدر
همّام أراد الله إظهار ما انطوى عليه من الآداب والفضل والفخر
فقلّد فتوى الشام عهد شبابه ولم يأتِ سنّ الأربعين من العمري
ونيطت به الأحكام حتّى بدت له بدائع تشريع بحلّ عن الحصر
فأجرى يراع الحق فاندهش الورى ببحر علوم قد تدفّق من صدر
وفكّ عرا الإشكال من كلِّ غامض بصائب فكر كالمهنّدة البتر
وقلّد أجياد النّهي بفرائد فمن لؤلؤ نضرٍ ومن جوهر نثر
فللّه منه ماجد قد تقاصرت خطا العزم عن أدنى مفاخره الغرِّ
لقد لف برد الحلم منه على تقى أقام مع الإخلاص في السرِّ والجهر
فيا أيها الشهم الذي أوسع الورى فضائل في العلياء عاطرة الذكر
إليك عقوداً في سطور محامد بمدحك قد أصبحنَ سامية القدر
فلا برحتُ علياك يا خير ماجد تقلّب أحشاء الحسود على الجمر

وله:

من لي بمعسول المراشف أهيف حلو الشمائل عاطر الأنفاسِ
متضرّج الوجنات عنبر خاله أسر القلوب بطرفه النّعاس
لما جلا نور الصباح جبينه وزها بغصنِ قوامه الميّاس
متّعتُ طرفي في بديع محاسن من وجهه الزاكي بمسك نوّاس
ما بين ورد حيا وعنبر شامة وأقاح ثغر في خميلة آس

وله:

عذيري ممن صيّر القلب طرفه أسير غرام للحاظ النّواعسِ
وغادرني وقف الصبابة والهوى أجود بروحي للظباء الأوانس
واعشق مجدول الوشاح إذا انثنى بغصنٍ قوام كالمثقف مائس
لعلّي يوماً أنْ أرى من ألفته فاسأل من خدّيه بلغة قابس

وله:

ومهفهف يزري الغصون قوامه ولحاظه منها المنايا ترشقُ
لمّا رأى أنّ اللّواحظ كلّها لسوى محاسن وجهه لا ترمق
أبدى السلاسل فوق صفحته التي أضحى بها ماء الجمال يرقرق
فانحاز كل سالماً بفؤاده إلاّ أنا فالقلب مني موثق

أقول: قوله:

أضحى بها ماء الجمال يرقرق

قد استعملت الشعراء والعرب في كلامهم الماء، لكلٍّ ما يحسن منظرهُ وموقعهُ، ويعظمُ قدره ومحله، فيقال: ماء الوجه، وماء الحسن، وماء النعيم، وماء الشباب، وغير ذلك، فهنا وقع في كلام المترجم ماء الجمال، وأحسن ما قيل في ماء الحسن قول ابن المعتز:

ويكادُ البدر يشبهه وتكاد الشمس تحكيه
كيفَ لا يخضرّ شاربه ومياه الحسن تَسْقِيْهْ

ولا بأس بذكر قطرة من ذلك في ضمن هذه الترجمة، ليمتلىء الظمآن للأدب من مياه هذه المحاسن، التي فيها ماء الفصاحة والبلاغة غير آس، فمما ورد من ذلك في ماء الوجه قال أبو تمام:

وما أبالي وخير القول أصدقه حقنت لي ماء وجهي أمْ حقنت دمي

ومن ذلك ماء الشعر والكلام قال أبو تمام:

وكيفَ ولم يزل للشعر ماء عليه يرف ريحان القلوبِ

ومنه ماء الشباب فمن ذلك قول أبي محمد الفيّاض:

وما بقيت من اللّذات إلا محادثة الكرام على الشرابِ
ولثمك وجنتي قمر منير يجول بخدّه ماء الشباب

ومنه ماء النضارة والندي والبشر قال بعضهم:

يجولُ به ماء النضارة والنّدى كما جال ماء البشر في وجه قادمِ

ومنه ماء النّدى والكرم والنّوال والجود قال العتابي:

أأترب من جدب المحل وضنكه وكفاك من ماء النّدى تكفان

وقال البحتري:

وما أنا إلاّ غرس نعمتك التي أفضت لها ماء النّوال فأورقا

وقال البحتري أيضاً:

ووجـه سـالَ مـاء الجـود فيـه علـى العـرنيـن والخـدّ الأسيـلُ

ومنه ماء البشاشة قال أبو العتاهية:

ليالي تدني منك بالقرب مجلسي ووجهك من ماء البشاشة يقطرُ

ومنه ماء الظرف قال الصاحب بن عباد:

وشـادن أحسـن فـي إسعـافـه يقطـر مـاء الظرف مـن أطـرافِـهْ

ومنه ماء الودّ قال الشريف الرضي:

تـرقـرق مـاء الـودّ بينـي وبينـه وطاح القذى عن سلسل الطعم رائق

ومنه ماء النعيم قال بعضهم:

إذا لمـع البـرقُ فـي كفّـه أفـاض على الـرأس مـاء النعيـمِ

ومنه ماء المنى قال الشريف الرضي:

فـاسمـح بفعلـك بعـد قـولـك إنّـه لا يحمـد الـوسمـي إلا بـالـولـي
فلعلنـا نمتـاح إنْ لـم نغتـرف مـاءَ المنـى ونعـل إنْ لـم ننهـل

وكانت وفاة صاحب الترجمة في سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف، ودفن بتربتهم في مرج الدحداح رحمه الله تعالى.

مصطفى بن مياس:

٧٠٤ ـ **مصطفى بن مياس بن علي، المعروف بابن مياس، الحنبلي البعلي، الدمشقي، الشيخ الإمام الفقيه النحوي الناسك الورع**: أخذ الفقه عن الشيخ محمد بن بلبان الصالحي الدمشقي، وقرأ في بعض العلوم على الشيخ محمد علاء الدين الحصكفي مفتي الحنفية بدمشق، وغيرها، وصارت له بعض وظائف بدمشق، منها خطابة جامع التوبة الكائن في محلة العقيبة، وكانت وفاته في أواخر صفر سنة إحدى وأربعين ومائة وألف، ودفن بتربة مرج الدحداح رحمه الله تعالى.

مصطفى البكري:

٧٠٥ ـ **مصطفى البكري بن كمال الدين بن عليّ بن كمال الدين بن عبد القادر محيي الدين الصدّيقي الحنفي الدمشقي البكري الأستاذ الكبير، والعارف الرباني الشهير، صاحب الكشف، والواحد المعدود بألف، كان مغترفاً من بحر الولاية، مقدماً إلى غاية الفضل والنهاية، مُسْتَضيئاً بنور الشريعة، رطب اللّسان بالتلاوة، صاحب العوارف والمعارف والتآليف والتحريرات والآثار التي اشتهرت شرقاً وغرباً، وبعد صيتها في الناس عجماً وعرباً، أحد أفراد الزمان، وصناديد الأجلاّء من العلماء الأعلام، والأولياء العظام، العالم العلامة**

الأوحد أبو المعارف قطب الدين: ولد بدمشق في ذي القعدة سنة تسع وتسعين وألف، وتوفي والده الشيخ كمال الدين وعمره ستة أشهر، فنشأ يتيماً موفقاً في حجر ابن عمه المولى أحمد بن كمال الدين بن عبد القادر الصدّيقي المقدّم ذكره، وبقي عنده في دارهم الكائنة قرب البيمارستان النوري، واشتغل بطلب العلم بدمشق، فقرأ على الشيخ عبد الرحمن بن محيـي الدين السليمي الشهير بالمجلد، والشيخ محمد أبي المواهب الحنبلي، وكان يطالع له الدروس الشيخ محمد بن إبراهيم الدلدكجي، ومع ذلك قرأ عليه متن الاستعارات وشرحها للعصام، وحضر على الشيخ أبي المواهب المذكور شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر، وأخذ أيضاً عن الملاّ إلياس بن إبراهيم الكوراني، والمحب محمد بن محمود الحبّال، وأبي النور عثمان بن الشمعة، والشيخ عبد الرحيم الطواقي، والعماد إسماعيل بن محمد العجلوني، وملاّ عبد الرحيم بن محمد الكابلي، وأجاز له الشيخ محمد بن محمد البديري الدمياطي، الشهير بابن الميّت، وأخذ عنه المسلسل بالأولية، ولازم الأستاذ الشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، وقرأ عليه التدبيرات الإلّهية، والفصوص، وعنقاء مغرب، ثلاثتها للشيخ الأكبر قدس سره، وقرأ عليه مواضع متفرّقة من الفتوحات المكيّة، وطرفاً من الفقه، وأخذ الطريقة الخلوتية عن الشيخ عبد اللّطيف بن حسام الدين الحلبي الخلوتي، ولقّنه الأسماء، وعرّفه حقيقة الفرق بين الاسم والمسمّى، وفي سنة تسع عشرة ومائة وألف سكن إيوان المدرسة الباذرائية، ونزل في حجرة بها بقصد الانفراد والاشتغال بالأذكار والأوراد، وأذن له شيخه المرقوم بالمبايعة والتخليف، سنة عشرين إذناً عامّاً، فبايع في حياته، وكانت تلك أزهر أوقاته، وسمعه مرّة يقول الجنيد لم يظفر طول عمره إلاّ بصاحب ونصف، فقال له: وكم ظفرتم أنتم بمن يوصف بالتمام؟ فقال له: أنت إنْ شاء الله، ثم إنّ شيخه المرقوم دعاه داعي الحق فلبّى، ثم إنّ تلامذته توجّهوا إلى صاحب الترجمة واجتمعوا عليه، وجددوا أخذ البيعة عنه، فشاع خبره، وذاع أمره، وكثر جمع جماعته إلى سنة اثنين وعشرين، وفي تاسع عشر محرم وهو يوم الخميس توجّه من دمشق الشام إلى زيارة بيت المقدس، وهناك أخذ عنه جماعة الطريق ونشر ألوية الأوراد والأذكار، وتوجّه إلى زيارة الإمام العارف سيدي علي بن عليل العمري، وهو على ساحل البحر قرب اسكلة يافا، فاتفق أنّه اجتمع بالشيخ الإمام نجم الدين بن خير الدين الرملي، وكان أيضاً قادماً بقصد الزيارة، فسمع عليه صاحب الترجمة أول الموطأ للإمام مالك بن أنس من رواية الإمام محمد بن الحسن الشيباني بروايته له عن والده الخير الرملي بسنده المعلوم، وأجازه بباقيه وبجميع ما يجوز له روايته، ثم عاد صاحب الترجمة بعد استيفاء غالب الزيارات إلى زيارة نبي الله السيد موسى الكليم صلى الله على نبيّنا وعليه وسلم، وبعد حضوره للقدس شرع في تصنيف ورد السحر المسمّى «بالفتح القدسي والكشف الأنسي» على ما هو مرتّب من الحروف، وهو ورد يُقرأ في آخر الليل لكل مريد من تلاميذ طريقته، وأمر جماعته بقراءته، وقد اعترض عليه بعض المخذولين بأنّ ذلك بدعة في الطريق، فعرضه على الإمام الشيخ حسن ابن الشيخ علي

قره باش في أدرنة، فأجاب بأنّه لا بأس به، وحيث إنّكم رأيتموه مناسباً فهو المناسب، ثم عاد إلى دمشق في شعبان من السنة المرقومة وانتشرت طريقته، وخفقت في الإقليم الشامي ألويته، وهو فيما بين ذلك مشتغل بالتآليف والزيارات، نازلاً في المدرسة الباذرائية، كما تقدّم، غير ملتفت إلى أحوال بني عمه من حب الجاه والمناصب، واستقام على ذلك إلى سنة ست وعشرين، ففي غرّة شعبان منها همّ على زيارة بيت المقدس، فتوجّه إليها ونزل خلوة في المسجد الأقصى، وأقام هناك في إقامة الطريق والأذكار ونشر العلم إلى شبعان، فعاد إلى دمشق وأقام بها كذلك، ثم توجّه منها إلى حلب الشهباء، ومنها ذهب إلى بغداد إلى زيارة الشيخ عبد القادر الكيلاني قدّس سرّه، وأقام بها نحو شهرين، ثم رجع وتوجّه إلى زيارة سيدي إبراهيم بن أدهم، ثم تنقّل بعد ذلك للسياحة في البلاد الشامية لأجل زيارة مَنْ بها من الأولياء، ثم دخل بيت المقدس وعمّر به الخلوة التحتانيّة، وهي التي تنسب إليه، وبها تقام الأذكار والأوراد، ولها تعيين من خبز وأكل على تكيّة السلطان لمن بها أقام، وفي جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين توجّه راجعاً إلى دمشق، واجتمع بالسيدمحمدابن مولاي أحمد التافلاتي، وكان تقدّم اجتماعه به في طرابلس الشام أوقاتاً مفيدة، ونزل صاحب الترجمة في حجرة بالمدرسة الباذرائية، وفي شهر رمضان عزم عمّه محمد أفندي البكري على الحج، فتوجّه معه لأنه كان يتناول ما يخصّه من أملاكهم، وخرج معه إلى أنْ عاد إلى الشام، وكان عمّه وعدهُ بتزويج ابنته فلم يتيسر ذلك، ثم رحل إلى الديار القدسية ووصلها آخر ذي القعدة فتزوّج هناك، وأرّخ زفافه بعضهم بقوله: زفت الزاهراء للقمر، وأقام هناك غير فارغٍ ولا لاهٍ مشتغلاً بما فيه رضى مولاه، إلى أنْ قدم والي مصر من جهة دمشق لزيارة بيت المقدس، وهو الوزير رجب باشا فزار صاحب الترجمة، وصار له فيه مزيد الاعتقاد، ولما ذهب إلى الديار المصرية اصطحبه معه، فدخل مصر وأقام بها مدّة، وأخذ عنه بها خلق كثيرون، أجلّهم النجم محمد بن سالم الحفني، ثم توجّه إلى زيارة القطب العارف سيدي السيد أحمد البدوي قدّس الله سرّه، ومن هناك سار إلى دمياط وأقام هناك في جامع البحر، وأخذ بها عن علاّمتها الشمس محمد البديري الشهير بابن الميّت، وقرأ عليه الكتب الستة، والمسلسل بالأولية، وبالمصافحة، وبلفظ أنا أحبّك، وأجازه إجازة عامّة بسائر مروياته وتأليفاته، ثم رجع إلى بلده بيت المقدس على طريق البحر، وأقام بها إلى ابتداء سنة خمس وثلاثين ومائة وألف، فتوجّه إلى طرابلس الشام على البر وأقام بها خمسة عشر يوماً، ومنها إلى حمص ومنها إلى حماة، ونزل في بيت السيد يّس القادري الكيلاني شيخ السجادة القادرية بحماة، فأخذ عنه الطريقة القادرية، ومنها رحل إلى حلب، وكان واليها الوزير المقدّم ذكره، وأخذ عنه بها جماعة، منهم الشيخ أحمد بن أحمد خطيب الخسروية الشهير بالبنّي، وفي آخر شهر رجب الحرام توجّه إلى دار السلطنة العليّة قسطنطينية المحميّة على طريق البر، فدخلها في سابع عشري شعبان، ونزل مدرسة سورتي مدّة، وبعدها تنقّل في كثير من المدارس والأماكن، ومكث بتلك البلاد معتكفاً على التأليف والنظم في السلوك

وحقائقه، غير مشتغل بأمر من أمور الدنيا، ولا توجّه فيها إلى أحد من أرباب مناصبها، وكان كلما سكن في جهة وشاع خبره فيها وقصده أهلها يرتحل إلى أخرى أبعد ما يكون عنها، وهلّم جرّا، وفيها كان يجتمع بالإمام الكامل السيد محمد بن أحمد التافلاتي المقدّم ذكره، وهو شيخه من وجه، وتلميذه من آخر، فإنّ صاحب الترجمة كان يقول عنه تارة شيخنا، وأخرى محبُّنا، ولم يزل بها مقيماً ينفق من حيث لا يحتسب، ولا يصل إليه من أحد شيء أبداً، وفي سنة سبع وثلاثين ومائة وألف أخذ العهد العام على جميع طوائف الجان أنْ لا يؤذوا أحداً من مريديه الذين أخذوا عنه، أو عن ذريّته، بمشهد كان فيه السيد التافلاتي وغيره من المريدين، وأفاد هو قدّس سره أنَّ إقامته هذه المدة في الديار الرومية كانت لأمور اقتضتها أحكام القدرة الإلّهية، ولما ضاق صدره واشتاق إلى رؤية أهله توجّه بمن معه إلى اسكدار في ثالث محرّم سنة تسع وثلاثين، وسار على طريق البر فدخل حلب الشهباء في صفر، ونزل الخسروية مجاوراً للشيخ أحمد البنّي، ثم في ثاني شهر ربيع الأوّل توجّه قاصداً للعراق لزيارة سكّانه، ووصل إلى بغداد في آخر جمادى الأولى ونزل في التكيّة القادرية ملازماً ومشاهداً تلك الأنوار والأطوار القادرية، ولم يدع مزاراً إلاّ وزاره، ولا ما يتبرك به إلاّ أحل به قراره، وجاءه في أثناء ذلك مكتوب من شيخه الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي يحثّه فيه على العود للديار الشامية لأجل والدته، فهمّ على المسير، وفي أوائل صفر الخير عزم على العود إلى المنازل الشامية، وفي الثاني والعشرين منه وصل إلى الموصل ومنها دخل إلى حلب، ونزل في الخسروية في خلوة الشيخ أحمد البني، وكان يقيم فيها الأذكار ويحضر ورد السحر ما يفوق على الخمسين بمقدار، وفي ثامن شوّال توجّه منها إلى دمشق فوصلها ونزل في دار الشيخ إسماعيل العجلوني الجراحي، وبعد مدة أيام الضيافة نزل حجرته في المدرسة الباذرائية، وبعد برهة زار الأستاذ الشيخ عبد الغني فرآه يقرأ في التدبيرات الإلّهية، ولم تطل إقامته بها بل شمّر عن ساعد الهمة إلى الأراضي المقدسة ذات الابتسام، فرحل متوجهاً إلى أراضي القاع العزيزي، وبلاد صفد، وفي أوائل ذي الحجة سنة أربعين ومائة وألف ولد له شيخنا السيد محمد كمال الدين، وأرّخ مولده صاحب الترجمة بقوله:

في ليلة الجمعة من أنصافها ... ثالث شعبان أتى غلامْ
وفيه بشّرت قبيل ما أتى ... وبعده فسرّني الأنعام
ختام مسك قد حواه يفتدي ... فأرّخوا محمد ختام

سنة ١١٤٠ ٧ ٩٢ ١٠٤١

وأقام في القدس المشرفة يتنقل من زيارة إلى أخرى مطرفة، وهو في تأليف وتصنيف وإرشاد إلى رب العباد، إلى أنْ دخل شوّال سنة خمس وأربعين فعزم على الحج المبرور، وتوجّه مع رفقائه، وأجلّهم حسن ابن الشيخ مقلد الجيوشي شيخ ناحية بني صعب في جبال

نابلس إلى منزلة المزيريب، ومنها إلى مدينة الرسول، فنال أسنى مراد ومأمول، ثم إلى مكة المشرّفة، وقضى مناسك الحج وعاد صحبة الحج الشامي، وصحبه إلى القدس الفاضل العالم الشيخ محمد بن أحمد الحلبي المكتبي، ومكث عنده نحو أربعين يوماً وأدخله إلى الخلوات، وأفاض عليه كامل الثبات، وكان لقنه بعض أسماء الطريق، ثم أتمّها هناك، وأجاز له بالبيعة للغير، وأقامه خليفة يدعو إلى الله، وفي سنة ثمان وأربعين ومائة وألف، سار قاصداً للبلاد الرومية فمرّ على البلاد الصفدية، ومنها على دمشق ذات الربوع النديّة، ووصل لدار السلطنة في رابع عشر جمادى الأولى وأقام فيها يجتمع بالأحباب والخلاّن، خصوصاً السيد التافلاتي المصان، ثم توجّه منها إلى اسكندرية بحراً فوصلها في ثمانية أيام، ومنها ذهب إلى مصر، وبعد أنْ استوفى الزيارات بمصر عزم على المسير إلى الشام، فدخل بيت المقدس غرّة شهر رمضان، وكان له بنت فرآها مريضة، ولم تطل إقامتها بل انتقلت إلى الجنة العريضة، ولهذه البنية أخبار كثيرة، ووقائع في بعض الرحلات شهيرة، ولم يزل مقيماً إلى أنْ دخلت سنة تسع وأربعين فعزم على الحج، وفي أثنائها توجّه إلى أرض كنانة وصحبه جمع كثير، وظهرت كلمته في تلك الأقطار، ولما بلغت تلامذته مائة ألف أمر بعدم كتابة أسمائهم، وقال هذا شيء لا يدخل تحت عدد، ثم حج ورجع إلى دمشق، وكان واليها إذْ ذاك الوزير الكبير المرحوم سليمان باشا العظمي، وحين وصوله إلى دمشق تلّقاه وجوه أهلها، ونزل قرب الخانقاه السميساطية، وبعد أيام تحوّل إلى الديار البكرية وأقام بها ثمانية أشهر، ثم رحل إلى نابلس فمكث بها أحد عشر شهراً، وفي شوّال سنة اثنتين وخمسين توجّه إلى الديار القدسية، ولم يزل بها إلى سنة ستين ومائة وألف، فسار إلى مصر متنقّلاً في البلاد الكنانية، والساحل الشامي، فوصل مصر، واستأجر له الأستاذ الحفناوي داراً قرب الجامع الأزهر عن أمر منه بذلك، وعندما وصل إلى قرية الزوابل تلقّاه الأستاذ الحفني المذكور، ومعه خلائق كثيرون من علماء مصر ووجوه أهلها، وأقام هناك وهو مقبل على الإرشاد، والناس يهرعون إليه مع الازدحام الكثير، حتى إنّه قلّ أن يتخلف عن تقبيل يده جليل أو حقير، إلى أنّ دخل شوّال سنة إحدى وستين فعزم على الحج، وكان قدّس سره بجمع الكثرة مشهوراً، وكان مصرفه مثل مصرف أكبر من يكون من أرباب الثروة وأهل الدنيا، ولم تكن له جهة تعلم يدخل منها ما يفي بأدنى مصرف من مصارفه، ولكن بيده مفتاح التوكّل لكنز هذا عطاؤنا هذا، وقد أخذ الأستاذ المترجم عن الشيخ الإمام محمد بن أحمد عقيلة المكي، والشهاب أحمد بن محمد النخلي المكي، والجمال عبدالله بن سالم البصري المكي، والجميع أجازوا له، وأخذ الطريقة النقشبندية عن القطب العارف السيد مراد الأزبكي البخاري النقشبندي، ولقّنه الذكر على منهج السادة النقشبندية، ودعا له بدعوات أسرارها سارية في هذه الذرية، وأخذ عن الأستاذ النحرير الشيخ محمد بن إبراهيم الدكدكجي، وبه تخرج وعلى يديه سلك، وأخذ أيضاً عن الأستاذ العارف بالله الشيخ عبد الغني النابلسي، وكان الأستاذ يثني عليه كثيراً، وعن الشهاب أحمد بن عبد الكريم الغزي العامري، وعن

الشيخ أبي المواهب محمد بن عبد الباقي الحنبلي، وعن الشيخ مصطفى بن عمر، وعن غيرهم، وأخذ عنه خلائق كثيرون، حتى أخذ عنه سبعة ملوك من طوائف الجان، وأسماؤهم محرّرة في بعض مؤلفاته، وأخذ عليهم عهوداً عامة وخاصة نفعها خاص وعام، وألّف مؤلفات نافعة منها الكشف الأنسي والفتح القدسي، وشرحه بثلاثة شروح، ومنها شرحه على الهمزية، وشرحه على ورد الوسائل، وشرحه على حزب الإمام الشعراني، وشرحه على صلاة العارف الشيخ محيي الدين الأكبر، والنور الأزهر قدّس سره، وشرحه على صلاة الأستاذ الشيخ محمد البكري، وشرحه على قصيدة المنفرجة لأبي عبدالله النحوي، وشرحه على قصيدة الإمام أبي حامد الغزالي التي أوّلها:

الشـــدّةُ أودت بـــالمهـــج يـــا ربِّ فعجـــل بـــالفـــرجِ

وشرحه على بيت من تائية ابن الفارض، وشرحه على سلاف تريك الشمس الخ للإمام الجيلي، وله اثنتا عشرة مقامة، واثنتا عشرة رحلة، وسبعة دواوين شعرية، وألفية في التصوّف، وتسعة أراجيز في علوم الطريقة، ورسالة سمّاها «تبريد وقيد الجمر في ترجمة الشيخ مصطفى بن عمرو»، و «مرهم الفؤاد الشجي في ذكر يسير من مآثر شيخنا الدكدكجي»، و «المنهل العذب السائغ لورّاده في ذكر صلوات الطريق وأوراده»، و «الروضات العرشيّة على الصلوات المشيشيّة»، و «كروم عريش التهاني في الكلام على صلوات ابن مشيش الداني»، و «فيض القدوس السلام على صلوات سيدي عبد السلام»، و «اللّمحات الرافعات غواشي التدشيش عن معاني صلوات ابن مشيش»، و «الورد السحري الذي شاع وذاع وعمت بركاته البقاع»، وصار ورداً لا يضاهي وحقائقه لا تتناهى، شهرته تغني عن الوصف والتحرير، ومعانيه ومزاياه لا تحصيها أقلام التحبير، شرحه ثلاثة شروح، أحدها: سمّاه «الضياء الشمسي على الفتح القدسي» في مجلدين ضخمين، والثاني: رفيع المعاني، سمّاه «اللمح الندسي على الفتح القدسي»، والثالث: الذي لكشف أسراره باعث، «المنح الأنسي على الفتح القدسي»، ومن مؤلفاته «السيوف الحداد في الردّ على أهل الزندقة والإلحاد»، و «الفرق المؤذن بالطرب في الفرق بين العجم والعرب»، وهذان التأليفان من أعجب العجاب، لمن كشف له النقاب، فمن أراد فليراجعهما ففيهما ما تشتهيه القلوب، وما تشتاقه من كل مطلوب ومرغوب، و «الوصية الجنيّة للسالكين في طريق الخلوتية»، و «النصيحة الجنيّة في معرفة آداب كسوة الخلوتية»، و «الحواشي السنيّة على الوصية الحلبية»، و «بلوغ المرام في خلوتية الشام»، و «نظم القلادة في معرفة كيفية إجلاس المريد على السجادة»، وبلغت مؤلفاته مائتين واثنين وعشرين مؤلفاً، ما بين مجلّد وكراستين، وأقل وأكثر، وكلّها لها أسماء تخصّها مذكورة في أوائلها، وله نظم كثير، وقصائد جمة خارجات عن الدواوين، تقارب اثني عشر ألف بيت، وقد أفرد ترجمته بكتاب ولده شيخنا أبو الفتوح محمد كمال الدين البكري، سمّاه «التلخيصات البكريّة في ترجمة خلاصة

البكرية»، بث فيه بعض مزاياه الجميلة، وما كان عليه من الأحوال الجليلة، وله من الخلفاء الذين توفّي وهو عنهم راض، وخلصوا من شوائب العلل الرديئة والأمراض، ما ينوف على عشرين خليفة، الكلّ منهم عظيم الأسرار وبالتحقيق نال المنازل الشريفة، وعلى كل حال، فاستيفاء أحواله يكاد أن يعدّ من المحال، لأنّ أولياء الله تعالى لا يمكن حصر أوصافهم لما وهبهم الله تعالى من فيض فضله، وإنما ذلك قطرة من بحر، أو ذرّة من بر، وقد اطلعت بعد ذلك على جملة من أسماء مؤلفاته، منها المقامات في الحقيقة، الأولى سمّاها «المقامة الرومية والمدامة الرومية» والثانية: «المقامة العراقية والمدامة الإشرافية»، والثالثة: «المقامة الشاميّة والمدامة الشافعية»، والرابعة: «الصمصامة الهندية في المقامة الهندية»، وهي أعني هذه المقامات في أعلى مقام البلاغة، وأتم نظام الفصاحة، ولقد مدح بعضها الفاضل الأديب المرعي الشيخ عبدالله بن مرعي، فقال:

قضـــت روميـــة البكـــريّ أن لا ... تضـاهيهـا مقـامـات الحـريـري
فهـــذي درّة الغـــوّاص تـــدعـــى ... وأيـــن الـدرّ مـن نسـج الحـريـر

ولقد أجاد سيدي يوسف الحفني حيث قال:

تقـــولُ مقـــامـــات الحـــريـــريّ إنْ رأت ... مقـامـة هـذا القطب كـالكـوكـب الـدرّي
تضـــاءل قـــدري عنـــدهـــا ولطـــائفـــي ... وأيـــن ثـرى الأقـدام مـن أنفـس الـدرِّ
فهـــذي لأهـــل الظـــرف تبـــدي ظـــرائفـــا ... وللـواصـل المشتـاق مـن أعظـم السـرِّ
فكيـــف ومنشيهـــا فـــريـــد زمـــانـــه ... أجـلّ همـام قـال نـوديـتُ فـي سـرِّي

و «بلغة المريد ومنتهى موقف السعيد»، نظماً، وألفية في التصوف، وكل ذلك في آداب الطريقة العلية، ومن تآليفه رضي الله عنه «تشييد المكانة لمن حفظ الأمانة»، و «تسلية الأحزان وتصلية الأشجان»، و«رشف قناني الصفا في الكشف عن معاني التصوف والمتصوّف والصفا»، و «المدام البكر في بعض أقسام الذكر»، و «الثغر البسّام فيمن يجهل من نفسه المقام»، و «الكأس الرائق في سبب اختلاف الطرائق»، و «التواصي بالصبر والحق امتثالاً لأمر الحق»، و «الوارد الطارق واللمح الفارق»، و «الهديّة النديّة للأمّة المحمدية»، و «الموارد البهيّة في الحكم الإلّهية»، على الحروف المعجمة الشهية، و «جمع الموارد من كل شارد»، و «الكمالات الخواطر على الضمير والخاطر»، و «الجواب الشافي واللّباب الكافي»، و «جريدة المآرب وخريدة كل سارب شارب»، و «هدية الأحباب فيما للخلوة من الشروط والآداب»، و «الكوكب المحميّ من اللّمس بشرح سلاف تريك الشمس» و «رسالة الصحبة التي أنتجتها الخدمة والمحبّة»، ورسالة في روضة الوجود، و «رفع الستر والرّدا عن قول العارف أروم وقد طال المدى»، و «أرجوزة الأمثال الميدانية في الرتبة الكيانية»، و «المطلب الروي على حزب الإمام النووي»، وله شرح على ورد الشيخ أحمد العسّال، وشرح على رسالة سيدي الشيخ ارسلان، و «البسط التام في نظم رسالة السيوطي المقدام»،

وله «الدر الفائق في الصلاة على أشرف الخلائق»، و «الفيوضات البكرية على الصلوات البكرية»، و «الصلاة الهامعة بمحبّة الخلفاء الجامعة» و«نيل نبل وفا على صلوات سيدي علي وفا»، و «المدد البكري على صلوات البكري»، و «الهبات الأنورية على الصلوات الأكبرية»، و «اللّمح النديّة في الصلوات المهديّة»، و «النوافح القريبية الكاشفة عن خصائص الذات المهديّة»، و «الهدية النديّة للأمة المحمدية فيما جاء في فضل الذات المهدية»، وله رضي الله عنه نظم أحاديث نبوية، ومقدمة وأربعون حديثاً وخاتمة سنية، والأربعون المورثة الانتباه، فيما يقال عند النوم والانتباه، وله رضي الله عنه «تفريق الهموم وتغريق الغموم في الرحلة إلى بلاد الروم»، و «الخمرة المحسية في الرحلة القدسية»، و «الحلّة الذهبية في الرحلة الحلبية» والحلّة الفانية «رسوم الهموم والغموم في الرحلة الثانية إلى بلاد الروم»، و «الثانية الأنسية في الرحلة القدسية»، و «كشط الصدا وغسل الران في زيارة العراق وما والاها من البلدان»، و «الفيض الجليل في أراضي الخليل»، و «النحلة النصرية في الرحلة المصرية»، و «برء الأسقام في زمزم والمقام»، و «ردّ الإحسان في الرحلة إلى جبل لبنان»، و «لمع برق المقامات العوال في زيارة سيدي حسن الراعي وولده عبد العال»، وله رضي الله عنه «بهجة الأذكياء في التوسّل بالمشهور من الأنبياء»، و«الابتهالات السامية والدعوات النامية»، والورد المسمّى «بالتوجّه الوافي والمنهل الصافي»، و «التوسلات المعظمة بالحروف المعجمة»، و «الفيض الوافر والمدد السافر في ورود المسافر»، و «الورد الأسنى في التوسل بأسمائه الحسنى» و «سبيل النجاء والالتجاء في التوسل بحروف الهجاء»، وأوراد الأيام السبعة ولياليها، وقد ترجم رضي الله عنه كثيراً من مشايخه وممن اجتمع بهم، فمن ذلك «الكوكب الثاقب فيما لشيخنا من المناقب»، و «الثغر الباسم في ترجمة الشيخ قاسم»، و «الفتح الطريّ الجني في بعض مآثر شيخنا الشيخ عبد الغني»، و «الصراط القويم في ترجمة الشيخ عبد الكريم» و «الدرر المنتشرات في الحضرات العندية في الغرر المبشرات بالذات العبدية المحمدية»، وله ديوان الروح والأرواح، وله عوارف الجواد التي لم يطرقهن طارق، قد أبدع فيه وأغرب، وجعله مبنياً على ذكر حاله ووقائعه من ابتدائه إلى انتهائه على طريقة الإجمال، هذا ما وقفت عليه، ووصل سمعي إليه، وله غير ذلك من التآليف التي عزّ إدراكها على كل كشف، وكان رضي الله عنه من أكابر العارفين، وأجل الواصلين، وقد وقفت له على قصيدة فوجدتها فائقة فريدة ضمّن فيها البيت المشهور:

وإنـي وإنْ كنـت الأخيـر زمـانـه ... لآت بمـا لـم تسطعـه الأوائـلُ

وهي تنبىء عن بعض أحواله، وسني أقواله، ولنذكر شيئاً من شعره لأجل التبرك، فمنه قوله رحمه الله تعالى:

صـدَّ عنّـي فـرد التثنـي لأنـي ... فـي هـواه مـا زال كلّـي يصبـو
وتمـادى فـي الهجـر يبـدي دلالاً ... وجـواد الـوداد لـم يـك يكبـو

ليتَ ذا قبل أنْ يذيق لماه ... في حماه وقبل شوقي يربو
منّ بالوصل ثم أعرض عنّي ... سلوة قطعه العوائد صعبُ
فتطلبتُ سِلْمه دون حرب ... حيث قلبي ما مسّه عنه قلبُ
فانثنى نافراً وزاد تجنّي ... هكذا هكذا الغزالُ المحبُّ
وبهذا تمّ الغرام ووجدي ... ثار والشوق ناره ليس تخبو
ولصبري فقدتُ من فرط كتمي ... ما على فاقد التصبّر عتب
ولمن قد هويت ذكرت أشدو ... قول صبٍّ ذاق النّوى وهو خطب
ما جزا من يصدّ إلاّ صدود ... وجزا من يحبُّ إلاّ يحب

وقال مخمّساً:

يا فريدّ الجمال لا تجف صبّا ... صب دمع العيون كالسحب صبّا
لم يمل قلبه إلى الغير قلباً ... غائباً في الشهود ما زال حبّا
لمعاني بهاء حسنك يصبو
لا وحق الجمال يا نور عيني ... ما حلا غيركم لقلبي وعيني
وجلال جلا غياهب غيني ... ووصال الوصال من عين عيني
ما جزا من يحبّ إلا يحبُّ

وقال أيضاً:

ما هبّ من نحوكم نسيم صبا ... إلاّ وقلب الفتى إليه صبا
ولا سرى حادي لأرضكم ... إلاّ وأذكى بمهجتي لهبا
ولا شدا مطرب بقربكم ... إلاّ براني وجداً بكم إربا
ولا دنوتم لناظري زمناً ... إلاّ ونادى المشوق وأطربا
ولا تذكرتُ عيشة سلفت ... بالخيف إلاّ وصحت وأحربا
ولا تحدثتُ عن وصالكم ... إلاّ وأجريت أدمعي سحبا
لله أيام نزهة شرفت ... في ظلّ من شرفوا مني وقبا
أيام كنّا مع الحبيب بها ... نطوفُ نسعى نقضي الذي وجبا
نشربُ من زمزمْ الصفا سحرا ... إذْ زمزم الشاد بالوفا حقبا
يممّ إلى حيث من لحاني سرى ... لم يقض من عذله الذي طلبا
يا حبّذا لوعتي عليك ويا ... هناء قلبي إنْ صرت فيك هبا
ويا سروري ويا مناي ويا ... بشراي إنْ متُّ فيك مكتئبا
لا نال منك المحبُّ مطلبه ... إنْ كان يوماً إلى السويّ ذهبا
ولا عيون الغيون ترمقكم ... إن غيركم لمحة لها جذبا
آهاً لأيامنا بقربكم ... وطيب وقت لبّى به سلبا

ومجلس بالصفا مجتمع وأنس عيش كل الهنا جلبا
ما كان أحلاه إذْ بمنبره سامي خطيب السرور قد خطبا
عدّوا بوصلي فالقلب يقنعه وعدو لو بالمطال لي نهبا
أفنى بكم يا أهيل كاظمة أمْ للقا ساعة أرى سببا
أحبابنا هل لقربكم أجد وهل لهجري عن باب فجرى نبا
إنْ كان أعراضكم لغفلتنا أو أنّكم لم تروا لنا أدبا
فالنقصُ فينا والعفو صفوكم نرجوهُ من فضل ذاتكم رغبا
أو كانَ من هفوة معوّقة كم منْ جوادٍ حال المجال كبا
وصارم شحذوه ثم نبا وكم زناد في الاقتداح خبا
غفراً حماة الحمى فعبدكم ما نال من غاية الثنا طنبا
يا سائقَ النوق عن مرابعهم وشائقاً للدّنو نحو خبا
بالله إنْ جزت بالحمى سحرا بلّغ سلامي أهل الربا وقبا
وقل لهم ذلك الكئيب قضى وعمره بالبعاد قد قضبا
وما قضيتم له مآربه وما قضى من وصالكم أربا
ثم الصلاة كذا السلام على خير نبي عجماً علا عربا
والآل والصحب ما بحبّهم صبّ التهاني قد ذوّق الضربا
وتابع ساد حين شاد بهم بيت التداني ونال كل حبّا
أو مصطفى بانتسابه لكم سما استناداً ونسبة حسبا

وله غير ذلك من النظام والنثار، وفي شهر ربيع الثاني سنة اثنتين وستين ومائة توعّك مزاجه بحمى مطبقة، وتمرض إلى ليلة الاثنين ثامن عشر الشهر المرقوم، فتوفي بعد العشاء الآخرة بفكرٍ صاح وقلبٍ غير لاه، ودفن بعد طول منازعة في تربة المجاورين، وقبره مشهور يزار ويتبرك به، ورثاه ولده السيد كمال الدين البكري بقوله:

هذا مقام القطب مفرد وقته أصل الحقيقة فرعها الحدّ ثاني
هو مصطفى البكري سبط محمد نجل الصديق الخلوتي الرّباني
لا زال يسقي تربه من صيب هطل يساق برحمة الرضوان

وبالجملة فقد كان المترجم رحمه الله من أفراد العالم علماً وعملاً وزهداً وورعاً وولايةً قدس الله روحه، ونوّر مرقده وضريحه، وتتابعت له الصلاة الغيبية في البلدان، إلى تمام عامه برحمة المنّان، ورثاه كل شعراء عصره فرحمه الله تعالى ونفعنا به آمين.

مصطفى الديربي:

٧٠٦ ـ مصطفى الديربي بن محمد بن علي الشافعي القاهري، الشهير بالديربي، الشيخ الإمام العالم العلامة الحبر البحر النحرير الفهامة المحقق المدقق أبو البركات زين الدين:

أخذ عن جملة من الأفاضل، منهم علي بن عمر الديربي، وصالح بن حسن البهوتي الحنبلي، وإبراهيم الشبرخيتي، ومنصور الطوخي، ومحمد الشرنبابلي، وإبراهيم البرماوي، وأبو بكر الدلجي، وأحمد المرحومي، ومحمد الخرشي، وعبد الباقي الزرقاني، وأحمد الشرفي، ومحمد النشرتي، ومحمد الاطفيحي، ويونس القليوبي، وعثمان النجدي وغيرهم، وبرع وفضل، وساد وأفتى ودرّس، وتصدر في الجامع الأزهر، ووردت عليه الطلبة من الأقطار، وأخذ عنه خلق كثيرون، وألف مؤلّفات عدة، وكان فرداً من الأفراد علماً وفقهاً ونبلاً وديانةً وصلاحاً، وأخذ عنه شيخنا أبو الربيع سليمان بن عمر البجيرمي الشافعي وغيره، وكانت وفاته بمصر سنة خمس وخمسين ومائة وألف ودفن بتربة المجاورين رحمه الله تعالى.

مصطفى الأسطواني:

٧٠٧ ـ مصطفى الأسطواني بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن سليمان، المعروف كأسلافه بالأسطواني، الحنفي الدمشقي أحد الأفاضل والنبلاء المشاهير: ولد في عشري جمادى الأولى سنة أربع وخمسين وألف، ونشأ بكنف والده، وكان والده من العلماء والفقهاء، وتوطن أعواماً من السنين دار السلطنة قسطنطينية، وصار إماماً في جامع السلطان أحمد خان، وواعظاً في جامع أبي الفتح السلطان محمد خان، واشتهر بحسن الوعظ، ولطافة التقرير والتعبير. ثم نفي إلى جزيرة قبرس بالأمر السلطاني لأمر أوجب ذلك، وتوفّي بدمشق في محرم سنة اثنتين وسبعين وألف، وولده المترجم تبع مسلكه، ونهج على طريقته، وولي خطابة الجامع الشريف الأموي بعد وفاة إسماعيل بن علي الحائك المفتي، والخطيب، وباشرهما إلى أنْ مات، وكان أنبل أهل بيتهم، وأشهرهم فضلاً وكمالاً، وتوفّي في سنة خمس وعشرين ومائة وألف، رحمه الله تعالى ومن مات من أموات المسلمين أجمعين.

مصطفى البيري:

٧٠٨ ـ مصطفى البيري بن محمد، المعروف بابن بيري، الحنفي الحلبي، البثروني، تقدم ذكر أخيه عبد الرحمن: وهذا هو الأديب الذي سقى رياض الطروس بمياه براعته، فأنبتت في الصحائف أزهار البلاغة والفصاحة، واشتهر بالأدب النفيس، قدم دمشق مراراً وخالط أدبائها وأفاضلها، واشتهر بينهم، وكان وحيد أقرانه في زمانه، وترجمه السيد الأمين المحبّي في ذيل نفحته، وقال في وصفه: ماجد امتطى بأخمصه فرق الفرقد، واتخذ الصهلة والصهوة أنعم المنعم وأفعم المرقد، رقى من الفضل أسمى المراقي، وأترع دلوه من السودد إلى العراقي، فخبره قد أخذ من الكمال بالمجامع، ومخبره تفترّ منه ثغور الأماني في وجوه المطامع، وبيني وبين أبيه في قسطنطينية، وأنا وإياه عقيداً وداد في بلهنية هنيّة، ذمّم لا ترفض، وعصم لا تنقض، فعهده نقش على صخر، ووده نسب ملآن من فخر، وأما كماله

فقد تجاوز حدّه منه ما تم له، فأصابته عين فيما أمّ له، فأخطأه ما أمّله، فلئن أصلته الأيام بنار نوائبها، ونفرت عن يده الطولى بذوائبها، فلولا السبك ما عرف للتبر صرف، ولولا النّار ما عرف للعود عرف، وولده هذا أرجو له حظاً وافياً، وعمراً يكون ما بقي من الكدر صافياً، فهو للمعالي ملء نواظرها، وللأماني مطمح مناظرها، وللدهر فيه عداة انجازها مضمون، وآخرها كأولاها من شوائب الزمان مأمون، وقد ذكرت له ما تستجليه بكراً، وتصقل به روية وفكراً، انتهى مقاله فيه وفي أبيه»، ومن شعره قوله وكتبها إلى الشيخ سعدي العمري الدمشقي وهي:

أفاتن بالألحاظ أهل الهوى فتكا ... فقد صال في العشّاق صارمها فتكا
وكفّ سهام اللّحظ عن مهجتي فقد ... هتكت حجاب الصبر عن صدرها هتكا
تركت بقلبي لاعجاً وسلبتني ... هجوعي فهلّا تحسن السلب والتركا
هواك لقد أجرى دموعي صبابة ... وصدّك نيران الجفا في الحشا أذكى
رويدك يا مَنْ بالهوى قد أذابني ... وأنهك جسماني بتبريحه نهكا
ومُذْ همّت لما شمت بارق ثغره ... لدرّ غدا الياقوت في نظمه سلكا
أسرّ الهوى خوف الوشاة ومقلتي ... بدرّ ثنايا الدمع تفضحه ضحكا
وفي هتك سرّ العاشقين شواهد ... ولكنّ فيض الدمع أكثرهم هتكا
وكان مجال الصبر متسع الحمى ... بحلبة صدري فأنثني ضيقاً ضنكا
وشاركني كلّ الأنام بحبّه ... وتبوحيده في القلب لا يقبل الشركا
وقد زان ورد الخدّ في روض حسنه ... بنقطة خال قد حكى عرفه المسكا
من الترك يسطو في القلوب بلحظه ... فلا تسألوا عن حال من يعشق التركا
رأى غرب جفني سافكاً بمدامع ... تباري الحيا المدرار فاستوقف النسكا
تملّك قلباً من تجنيه قد عفا ... فما ضرّه بالوصل لو عمّر الملكا
ولما جلا لي وجهه بعد بعده ... وطور اصطباري عن محاسنه دكا
سبكت بنار العتب فضة خدّه ... فأذهبَ اكسير الحيا ذلك السبكا
فيا مالكاً لم أدّخر عنه مهجتي ... أجبني فدتك النفس لم سمتها الهلكا
وإني ألفت الذّلَ فيك وطالما ... بعزة نفسي كنتُ أستصغر الملكا
متى تجل عنّي ظلمة الصدّ علّها ... بصبح وصال تستنير به وشكا
هناك ترى قدحي من الحظ عالياً ... وسعدي في أفق العلى جاوز الفلكا
همام غدا في ذروة المجد ضارباً ... له خيم العلياء من رفع السمكا
ومدّ رواقاً للكمالات فوقه ... وصاغ لها من درّ أوصافه حبكا
تبوّأ من بحبوحة الفضل رتبة ... بغير سناها نير الفضل لن يركا
إذا رمت تلقى المجد شخصاً ممثّلاً ... فشمه تراه لا مراء ولا شكا

تودّ الدراري عند بثّ صفاته   تطاولها فخراً وتلزمها سدكا
متى خطبته المكرمات لنفسها   وفي فضّ ختم المجد قد أحرز الصكّا
فلم يحكه مذ شبّ في الفضل فاضل   ولكنّه عن حسن آدابه استحكى
وضوّع عرف الفضل منه بجلق   فيا فضل ما أنمى ويا عرف ما أذكى
ونظّم أشتات المعالي إصابة   بعامل فكر قد أبى الطعنة السلكا
وأصبح في روض البديع مغرّدا   بأفنان أفنان تعزّ بأنْ تحكى
من العمريين الأولى شاع ذكرهم   وقامَ مقام الفضل في اللّيلة الحلكا
فمن ذا يجاريه بفضل وسودد   وآدابه تلك التي بهرت تلكا
فما الروض غبّ القطر حرّكه الصبا   قدوداً زهت من قضب باناته فركا
وسوط المثاني والمثالث قد غدا   برجع الصدا يستنطق العود والجنكا
وترجيعُ عتب من محبّ بدت له   بروق الرضا ممن يعاتب فاستشكى
ودادك في قلبي لقد ضاع عرفه   بمدحك لما جال في القلب واحتكا
فخذ بكر فكر غادة قد زففتها   تجرّ حياء ذيل تقصيرها منكا
ودمْ وابق واسلم ما بكى من شجونه   أخو لوعة في رسم دارٍ أو استبكى

فأجابه بقوله:

أتت والدراري الزهر تعترض الفلكا   وطوق الثريا كاد أنْ يقطع السلكا
وقد مدّ جيش الفجر بيض نصوله   ليوسع أطرافَ الظلام به فتكا
وجنح الدّجى قد ضمّ فضل سواده   مخافة أن تغشى طلائعه وشكا
سوى ما توارى منه في مقل الظبا   وفي طرر الأصداغ واللّمم الحلكى
وقد تلت الأنوار آية محوه   على مسمع الأزهار فابتدرت ضحكا
وغنّت على الأغصان ورق حمائم   غناء غريض حرّك العود والجنكا
فتاة حذار الناظرين تلفّعت   بمنسوج درّ أحكمت نسجه حبكا
يكاد إذا استعرضت باهر حسنها   على مقل الأفكار أعجزها دركا
من العربيات التي من خبائها   تعيّر حجاب الشمس إنْ برزت هتكا
ويكسو أثيث اللّيل فاحم شعرها   إذا هي أبدت عن ذوائبها سدكا
وتبدو دنانير الحيا إنْ تصوّرت   بصفحة خدّيها وقد بهرت سبكا
سوى أنّ صحن الخدّ مذ رقّ ماؤه   يد الحسن ألقت في قرارته مسكا
كحيلة أطراف الجفون لحاظها   تصول بأمثال القواضب أو أنكى
سلوا إنْ جهلتم قدّها بانة اللّوا   وعن فعل عينيها سلو المهج الهلكى
فلا قلبٌ إلاّ وهو فيها معلق   ولا جسمٌ إلاّ وهي تنهكه نهكا
أتتني وعندي من شواغل حبّها   فصول هوى أجرت سحاب البكا سفكا

فقمت لها والعين سكرى بمائها … سروراً وقد أوجست من وصلها شكا
فقلتُ فدتك الروح هل من إباحة … لكشف نقاب عن مقبلك الأذكى
فقالت إذا آنست من كوكب العلا … بروق الرضى أحرزت من ختمه الملكا
أخي الشيم الغرّ اللواتي عيونها … تروق كزهر الروض تفركه فركا
عذيق ثنيات العلا وجذيلها الـ … ـمحكك إنْ باراه قرن أو احتكا
صقيل حسام العزم أروع باسل … إذا اعتركت خيل المنون بنا عركا
هززت قناة الفضل منه بماجد … وأوسعت صدر المشكلات به شكّا
بليغ إذا ما المادحون تناوبوا … فسيح القوافي ينتحي المسالك الضنكا
متى اقتحمت آياته كل بارع … تفكّ عقود القول أفهامه فكّا
فكم قلدت سمعاً وكم أسكرت نهى … وكم زيّنت طرساً وكم توجّت صكا
فللّه منه لوذعيّ تقاصرت … سهام الأماني عن مبالغة دركا
وكنت أزكى النفس حتى رأيته … فكبرت أجلاه وقد خاب من زكى
فأنّي لأهل الفضل إنكار فضله … وقد شحنت من درّ آدابه فلكا
فما الروضة الغنّاء باكرها الحيا … ومدّ رواق السحب من فوقها حبكا
وكللها قطر النّدى بفرائد … تودّ العذارى لو نظمن لها سلكا
وجرّ الصبا ذيلاً على عذباتها … وفكّك أزهار الكمام وما انفكا
فأذرى دموع الطل وافترّ مبسم الـ … أقاحِ فما ندري أأضحك أو أبكي
بأبدع من غرّا بدائعه التي … تحارُ عيون الفكر في حسنها سبكا
فيا ابن الأولى يسمو لهم شرف العلا … ويرفع من آثارهم فوقه سمكا
ومن شيّدوا ربع التقى بفضائل … أقامت بناء المجد من بعد ما دكا
ويا سابقاً في حلبة الشعر رحمة … بأفكار قوم بالكلال غدت ربكى
فإنّ تصاريف القضا عبثت بهم … وقد بتكتهم عن مطالبهم بتكا
وفيك على المعروف والصدق آية … نفت عن صفا أخلاقك الزور والإفكا
وها أنا قد مرّغت وجه إساءتي … بساحة أعذاري لنيل الرضى منكا
فجدْ وأعِزْ طرف القبول ألوكة … روت كل معنى راق من لفظها عنكا
ولا زلتَ مخطوباً لكل كريمة … لها من غواشي المدح ما نافس المسكا
مدى الدّهر ما بثت بذكرك أسطري … عبير شذا كالعنبر الرطب أو أذكى

وللمترجم:

زوّد الصبّ نظرة من لقائك … واشف مضنى الهوى برشف لمائكْ
وانقذ المغرم الذي شفه الوجْـ … ـد بوصل يذوده عن قلائك
إنّما الليل من فروعك والصبْـ … ـح غدا يستمدّ من لألائك

وكــذا المســك مــا تضــوّع إلا حيـنَ وافتـه نفحـة من شـذائـك
أنـتَ فـي الحـلِّ مـن دم سفكتـه فـي مجـال الغـرام بيـض ظبـائـك
يـا فـؤاداً أمسـى جـريحـاً بسهمـي لحظـه ثغـره شفـاء لـدائـك
كـف يـا لحظـه عـن الفتـك فينـا إنّنـا فـي السقـام مـن نظـرائـك
وكـذا يـا قـوامـه الغصـن مـن ذا أطلـع البـدر مشـرقـاً فـي ذرائـك

ومنها:

يـا غـزالاً إذا رنـا سلـب الأنـ ـفس رفقـاً علـى حشـا مضنـائـكْ
أترى ما نفى الكرى عن جفوني وشجـانـي مـن الهـوى بـرضـائـك
أعـذار بـدا بخـدّيـك هـذا أمْ لصيد الألباب أضحى شرائك
أمْ حروف الدلال قد خطّها الحسْـ ـن علـى وجنتيـك مـن إمـلائـك
أمْ علـى البـدر هـالـة قـد تـراءت لعيـون الـورى بـأفـق سمـائـك
أمْ مشـى النّمـل فـوق نـور محيـا حـار فيـه اللّبيـب مـن شعـرائـك
بل غدا في البها سلاسل مسك فـوق جمـر تقـودنـا لهـوائـك
ويك يا قلب كم تعاني التصابي أوَ بلغـت طـائـلاً بمنـائـك
فـابتـدىء وامتـدح سليـل المعـالـي إنّنـي فـي الـرشـاد مـن نصحـائـك
كوكب الفضل أحمد ذو الأيادي مـن لـه فـي سمـا الفخـار أرائـك
يـا إمـام الهـدى إليـك حثثنـا طـرف فكـر منـاخـه بفنـائـك
يـا رفيـعَ الـذرا وسـامـي الآراكـي وعلـيّ المنـار فـي عليـائـك
فبهـذا الـوجـود والعلـم الفـر د وعيـن الكمـال فـي فتـوائـك
فقـت مـن قـد تسربلـوا بـرد المجْـ ـد وثـوب الفخـار مـن آبـائـك
أنـت كـالشمـس رفعـة وبهـاء وكبحـر العبـاب فـي جـدوائـك
إنَّ قسّـاً وأكثمـاً وإيـاسـاً مثـلاً مضـربـاً غـدا لـذكـائـك
صمـت شهـراً بـالبـرقـد خـوّلتنـا منـن فيـه مـن نـدي نعمـائـك
وابـق مـا حـنّ مغـرم لمحـبّ وتغنّـى الحمـام فـوق الأرائـك
تتمنـى الغيـدُ الحسـان عقـودا نظمـت بـالـلآل مـن إنشـائـك
بلغـوا فـي العـلا السمـاك ولكـن دون مـا نلـت مـن علـوّ ارتقـائـك
لـك عـزم حكـى الحسـام انتضـاء وبـإيمـاضـه حكـى آرائـك
سيدي جئت قاصراً حيث أمسى كـل فضـل وسـؤدد مـن حـلائـك
وأتـى العيـدُ مـؤذنـاً بـالتهـانـي عـائـداً والسـرور فـي أحيـائـك
رافـلاً فـي ثيـاب عـزّ مقيـم ونعيـم مخلّـد ببقـائـك

وله قوله:

بشـــذا عنبـــر خـــال ضـاع فـي جمـرة خـدِّكْ
ويمـا يقضـي علـى الأنـ ـفـس مـن صعـدة قـدّك
ويمـا يسطـو بـه طـر فـك مـن مـرهـف حـدّك
ويمـا يستلـب الألـ ـبـابَ مـن ملعـب بنـدك
ويمـا ضلـت بـه الآ راء مـن فـاحـم جعـدك
ويمـا يجنيـه كـفّ الـ ـوهـم مـن رمّـان نهـدك
ويمـا أودع فـي فيـ ـك الشهـي مـن درّ عقـدك
لا تـدعنـي والهـوى يـو ردنـي مـورد صـدّك
لا ولا تخلـف لمجـرو ح الهـوى ميثـاق عهـدك
يـا هـلالاتـه مـن الحسـ ـن بيـرد دون بـردك
أنـا مـا أوليـتُ ودّا مـع أنّـي عبـد ودّك
كـم ألـاديـك بمـا يشـ ـتـق مـن أحـرف حمـدك
عـد بـوصـل واشـف مضنى الـ ـقلـب فـي إنجـاز وعـدك

وقوله من قصيدة:

هاج لي برق الحمى ذكر الحمى فـاستهـلّ الـدمـع مـن عينـي دمـا
مـرّ بـي وهنـا فـأذكـى لاعجـا فـي فـؤادي حـرّه قـد أضـرمـا
وانثنـى يـروي أحـاديـث الصبـا منجـداً طـوراً وطـوراً متهمـا
آهٍ مـن دمـعٍ لـذكـر المنحنـى كلمـا حـرّكـه الـوجـد همـى
يـا رعـي الله عهـوداً بـالحمـى نقـض الـدهـر بهـا مـا أبـرمـا
وليـال منحتنـا صفـوهـا فـانتهبنـا العمـر فيهـا حلمـا
ومعـان ضـرب الحسـن علـى عـذبـات البـان منهـا خيمـا
ورعـى دهـراً بهـا قـد مـرّ لـي فـي ربـاهـا بـالأغـانـي مغنمـا
حيـث غصـن العيـش فيهـا يـالنـع ويجفـن الـدهـر عـن ذاك عمـى
وسميـري شـادن لـو لاح للبـد ر اعتـراه مـن محـاق سقمـا
ظبـي أنـس صيـغ مـن لطـف ولـو مـرّ بـالـوهـم تشكـي الألمـا

نقله من قول سيف الدولة وهو:

قـد جـرى مـن دمعـه دمـه فـإلـى كـم أنـت تَظلمُـهْ
ردّ عنـه الطـرف منـك فقـد جـرحتـه منـه أسهمـه
كيـف يستطيـع التجلّـد مـن خطـرات الـوهـم تـؤلمـه

عوداً:

سـاحـر المقلـة مهضـوم الحشـا سمهـري القـدّ معسـول اللّمـا

مـا تثنـي فـي ثنيـات اللّـوى مـائـلاً إلاّ أرانـا العلمـا
ألـف الهجـر فلـو يخطـر بـي طيفـه فـي سنـة مـا سلمـا
كتـب الحسـن علـى وجنتـه بفتيـت المسـك خطـاً أعجمـا
معشـر اللـوّام إنْ جـزت اللّـوا فقفـوا واستنطقـوا تلـك الـدّمى
ثـم لـومـوا إنْ قـدرتـم بعـدهـا عـاشقـاً فيهـا استلـذ الألمـا

وقوله:

عجبـاً للعـذول كيـف لحـانـي ورأى الشـوق قـائـداً بعنـانـي
وأتـانـي مـن عـذلـه بفنـون فـي هـوى ذلـك الغـزال الجـانـي
يـا عـذولاً علـى الصبـابـة فيـه كـفّ عـذلـي عـن طرفـه الـوسنـان
لا تلمنـي فقـد علقـت بظبـي سـرقـت قـدّه غصـون البـان
هـو نشـوان مـن عصـارة خـدّيـ ـه ولا مـن عصيـر بنـت الـدنـان
يمـزج الـدلّ بـالنفـار ويفـ ـترّ دلالاً عـن مثـل حـبّ الجمـان
يـا لهـا سبحـة تـراءت لعينـي درر سلكهـا مـن المـرجـان
قـد حمـى خـدّه بـآيـات مـوسـى فنمـى السحـر فيـه فـي الأجفـان
بـدر تـمّ فـي كـلّ يـوم تـراه فـي ازديـاد والبـدر فـي النقصـان
رشـأ مـا بطـرفـه مـن سقـام مـا بجسـم المضنـى الكئيـب العـانـي

وقوله أيضاً:

مـن عـذيـري فـي هـوى رشـا طـرفـه بـالسحـر مكتحـلُ
ينثنـي كـالغصـن مـن هيـف بقـوام زانـه الميـل
شـادن يفتـرّ عـن بـرد نـاصـع فـي ضمنـه عسـل
تـاهِ عجبـاً فـي خمـائلـه فهـو مـن خمـر الصبـا ثمـل
ذلتـي فيـه كعـزّتـه بكـلانـا يضـرب المثـل

ومن مقطعاته قوله:

وكـأنّمـا جـرم الكـواكـب قـد بـدت للنـاظـريـن علـى غـديـر المـاءِ
شـرر يبـدّده النسيـم بمـدّه مـن فـوق وجـه مـلأة زرقـاء

وله أيضاً:

لهفـي لمـاضـي عيـش تقضـي والعيـشُ فيـه حـظٌ وريـقُ
أيـام فـي حينـه التصـابـي نقـل وراحـي غصـن وريـق

وله أيضاً:

كلمـا رمـت سلـوة عـن هـواه جـاء نـاهٍ مـن حسنـه مقبـولُ
خـط لام العـذار مـع ألـف القـ ـدّ يصـدّانـي فكيـف السبيـل

مثله قول الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي:

مقبـل الـوجـه كلمـا صـدّ وافـى زائـراً لـي فيعقـب النّحس سعدُ
يفعـل الـذنـبُ ثـم أحنـو عليـه حيـث يـأتـي بشـافـع لا يـردّ

والأصل فيه قول بعضهم:

وإذا المليـحُ أتـى بـذنـب واحـد جـاءت محـاسنـه بـألـف شفيـعِ

وللأمين المحبّي ما يقرب من ذلك وهو قوله:

وأريـد أنْ أبـدي شكـايـة هجـره فيسـدّ منـه بكـأس مـوعـده فمـي

وللمترجم في معذر:

قـالـوا تعـذر فـاقلـع عنـه قلـت لهـم كفّـوا المـلام فقـد حلـى محـاسنَـهُ
فـالبـدر ليـس لـه نـورٌ يضـاء بـه إلاّ إذا مـا سـواد اللّيـل قـارنـه

أقول: وبالمناسبة تذكرتُ معنى لطيفاً في العذار، وهو قول الأمين المحبّي من قصيدة له:

ستـر الجمـال خـدوده بعـوارض قتـل النفـوس بهـا وأحيـا الأعْيُنـا
والشمس يمنعها اجتلاها أنْ ترى فـإذا اكتسـت بـرقيـق غيـم أمكنـا

ثم رأيت الأمين أخذه من قول الأرّجاني:

أيـراد صـونـك بـالتبـرقـع ضلـة وأرى السفور لمثل حسنك أصونا
كالشمس يمنعك اجتلاؤك نورها فـإذا اكتسـت بـرقيـق غيـم أمكنـا

وكان المترجم بدمشق في أحد قدوماته إليها، وكان ممن يصحبه ويرافقه الشيخ مصطفى العمري الدمشقي المقدّم ذكره، ففي أحد الأيام وقف في محلة القباقبية بالقرب من دار العمري المذكور هو وإيّاه، فنظر إلى غلام هناك في حانوت يبيع التتن، قدّه مائل، وورد خدوده غير ذابل، بحسن راق مجتلاه، وفاق نور سنا محياه، وله خال يجلس معه في الحانوت، وأيضاً على خدّه خال، كفتيت المسك في صحيفة الياقوت، فقال له المترجم: هل تبيعني شيئاً من التتن؟ فقال: ولا بأس، ووضع له شيئاً من ذلك، وفتّ عليه سحيق مسك كان في ورقة، وقال له الغلام: هذا المسك من خالي وأراد به خاله الذي هو أخو والدته، فعند ذلك طرب المترجم من هذه الموافقة والقضية، وأنشد ناظماً هذين البيتين من

فكرته السنية، فجرت فيهما التورية اللّطيفة وهما قوله:

بحبّة مسك قد حباني جؤذر ... وأشجى فؤاداً كان عن حبّه خالي
وقال ألا لا تحسب المسك من دمي ... لكوني غزالاً إنما المسك من خالي

وله في وصف جواد سابق:

وطرف لجيني الأهاب تخاله ... شهاباً إذا ما انقض في موقف الزحفِ
يسابق برق الأفق حتى إذا رنا ... يسابق في مضماره موقع الطرف

وللشيخ جمال الدين بن يوسف الصوفي في جواد:

وأدهم اللّون فاق البرق فانتظره ... فغابت الريح حتى غيبت أثَرُهْ
فواضع رجله حيث انتهت يده ... وواضع يده أنّى رمى بصره

ولابن نباتة كذلك وهو قوله:

لما ترفع عن ندّ يسابقه ... أضحى يسابق في ميدانه نظرُهْ

وقال المعرّي في وصف الخيل:

ولما لم يسابقهنّ شيء ... من الحيوان سابقن الظلالا

وقال أيضاً من أبيات وبالغ:

تكادُ سوابق حملته تغني ... عن الأقدار صوناً وابتذالا

وللأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي في سابح:

وسابحٌ أيانَ وجّهته ... رأيتَهُ يا صاحِ طوع اليدِ

ومن معمّيات المترجم قوله في أحمد:

قم يا نديمي نصطبح ساعة ... على غديرٍ ماؤه كالنّضارِ
فقد أزاح الظبي تاج الطلا ... ودارها صرفا كما الجلنّار

وقوله في مليك:

أيا نسيماً قد سرى موهناً ... رفقاً بصبّ خلفوه لقا
فناظري مُذْ لاح برق الحمى ... غض وقلبي ذاب مُذْ أبرقا

وقوله في درويش:

ربّ روض قد حللنا دوحه ... وتمتعنا اغتباقاً واصطباحا
طافَ بالورد علينا شادن ... زاد بالقلب غراماً حين لاحا

وقوله في مسلم:

مُـذْ بـدا يثنـي قـوامـاً مـائسـاً قلـتُ والعيـن بمـاءِ تـذرفُ
بلمـاك العـذبِ يـا غصـنَ النقـا جُـدْ علـى مضنـي بـراه الأسـف

وقوله في أغيد:

بـدر تـمّ ينثنـي مـن ميـد بقـوام مـائـسٍ يسبـي العـذاري
أقسمـتُ ألحـاظـه النجـل بـأن تخلـع السقـم علـى قلبـي شعـارا

وله غير ذلك، وكانت وفاته في سنة ثمان وأربعين ومائة وألف بقسطنطينية رحمه الله تعالى.

مصطفى السفرجلاني:

٧٠٩ ـ **مصطفى السفرجلاني بن محمد بن عمر بن إبراهيم، المعروف بالسفرجلاني، الحنفي الدمشقي نزيل قسطنطينية وأحد المدرّسين بها، آية الله في العلوم العقلية، ونادرة الدوران، وبهجة وجه الزمان:** كان من أعاظم الأفاضل، عالماً مدققاً كثير الفضل جم الفضائل، عجيب المطارحة صاحب نكت ولطائف، له الراحة العليا في تحقيق العبارات مع الأدب والحذق والذكاء التام، ولد بدمشق وبها نشأ، وقرأ على أشياخ عصره، وبرع وتنبل وأشرق بدره المنير، وبزغت شمس معارفه وعوارفه، وكان مفرط الذكاء والفطنة، له جسارة في التكلّم والمصادرة، مع مهارة في اللغة الفارسية والتركية، وناهيك بالعربية، غير أن علمه كان أكثر من ديانته، والسوداء تمكنت منه، لأجل ذلك تظهر في تكلماته ظواهره وخوافيه، وارتحل إلى دار الخلافة في الروم قسطنطينية، وتصدّى للامتحان عند شيخ الإسلام إذْ ذاك مفتي الدولة المولى السيد مصطفى، ولازمه على قاعدة المدرسين والموالي الرومية، وتنقّل بالمدارس على طريقتهم، ودرّس في مدرسة والد المذكور شيخ الإسلام المولى السيد فيض الله الشهيد، وأقرأ في جامع السلطان محمد وفي غيره، ولزمه الطلاب واشتهر فضله بين أبناء الروم، وأخبرتُ أنّه كان يحضر درسه ويجتمع فيه ما ينوف عن المائتين من الرجال، وعظم قدره لدى صدور الدولة وعلمائها، وكانوا يبجّلونه، وله عندهم مزيد الرفعة لتحقيقه وتدقيقه وفضله الذي على مثله الخناصر تعقد، وكان مع ذلك يذمّهم ويتكلّم في حقّهم ولا يهاب كبيرهم ولا صغيرهم، وعِلْمه ساتر منه كل عيب، وتكرّر عوده إلى دمشق في أثناء إقامته هناك، وآخراً توفي في تلك الديار، وحين توفّي كان منفصلاً عن رتبة الالتمشلي المتعارفة بينهم، وكان رحمه الله إذا تكلم أسكت، وإذا حاور بكت، لم يزل يبدي إلى منزع تعريض، واستطالة في طويل وعريض، وكان يأكل البرش ويبتلي به في سائر أوقاته، ولما كانت العادة في دار السلطنة قسطنطينية في شهر رمضان يدخلون في كل يوم من المدرّسين العلماء جملة أنفار لأجل الإقراء في حضرة السلطان للسرايا السلطانية، وكان المترجم من مشاهير أفاضل المدرسين، فأدخل مع البقية، فلما كانوا في حضرة السلطان

مصطفى خان قرّر المترجم وأبدى الإفادة، ثم تخلّص من ذلك وشكا حال أخيه عبد الكريم السفرجلاني، وكان في ذلك الوقت محبوساً في دار السلطنة غب قتل والي دمشق وأمير الحاج الوزير أسعد باشا المعظم، ونسب في ذلك لبعض أشياء هو خال عنها، وتكلّم المترجم بالرجاء بإخراج أخيه واستخلاصه من هذه المادّة، ولم يصدعه في الحضرة السلطانية مردّ ولا تخوّف، وكان له رسائل مفيدة في المنطق والفلسفة والكلام والحكمة، وغير ذلك اطلعت على بعضها بخطّه، وله تحريرات وأشعار، وشعره مقبول ونثره حسن، ومن شعره ما مدح به المولى خليل الصدّيقي الدمشقي حين ولي قضاء دمشق وهو قوله:

إذا بدت الخيام بدار سعدي ... ولاح البدر في أفق التمامِ
وشمت البرق يلمع من ثغور ... كغمز عيون سكّان الخيام
وفاحَ عبير ساحتها فبلغ ... سلاماً من متيّمٍ مستهام
فإنْ سألت فعرّض بي إليها ... فإنْ غضبت فأعرض عن مرامي
وغالط إنْ فهمت فنون سحر ... لتصرف وهمها عن اتهامِ

هذا منتحل من قول الوأواء الدمشقي:

بالله ربكما عوِّجاً على سكني ... وعاتباه لعلّ العتب يَعْطِفُهْ
وعرّضا بي وقولا في حديثكما ... ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فإنْ تبسّم قولاً في ملاطفة ... ما ضرّ لو بوصال منك تسعفه
وإنْ بدا لكما في وجهه غضب ... فغالطاه وقولا ليس نعرفه

وقد أنشدني قاضي دمشق المولى العالم الفاضل الماهر السيد محمد طاهر الرومي في المعنى للملك الأشرف وهو من الدوبيت:

باللّطف إذا لقيت من أهواه ... ذكِّره بما لقيت من بَلْوَاهْ
إنْ أحرده الحديث غالطه به ... أو رقّ فقل عبدك لا تنساه

عوداً لإتمام القصيدة المقدمة:

وتلك فنون سحر بليغ مدح ... لأوحد عصره الفرد الهمامِ
به سعدت دمشق الشام لما ... تولّى قاضياً شرع التهامي
له فصل الخطاب بسيف عدل ... له فضل له فصل الخصام
وحاز المجد بالجدّين فضلا ... هما أفقا الخلافة بانتظام
فمطلع شمسها الصدّيق جدّ ... لمغرب بدرها الحسن التمام
وحسن الابتدا الصدّيق فيها ... كما الحسن التقي حسن الختام
سموم للعدا حسّاً ومعنى ... بنو الصدّيق والحسن الإمام
لحوم السمّ في العلماء أضحت ... لآكلها القواتل كالسهام

فواعجباً وللأعداء حسن … فكيف صلّوا لكم نار اضطرام
كأنّ الله أعدمهم خيالا … فكانوا كالفراش لدى الضرام
ومن حسدٍ وفرط الغيظ سكرى … سقوا كأس المنيّة لا المدام
لقد نفّذت حكم الشرع فينا … وبيّنت الحلال من الحرام
كأنّ الله لم يخلقك إلا … لعلمٍ أو لحلمٍ أو نظام
فإنّك ماجدٌ أصلاً وفرعاً … من العلماء أبناء الكرام
وغيركَ من سمالكن به قد … سما يسمو سموّاً فهو سامي
طريق قد حماه العلم ممن … غدا وغدا لئيماً من طغام
سما وحماه من أولاد حام … أمثل العلم من سام وحام
طريق عزّ مطلبه ولكن … على غير الخواص من الأنام
سيبلغ غاية الإحسان فيه … وما الإحسان إلاّ بالتمام

وللمترجم أيضاً:

تجنّب إنْ قلاك أخا سفيها … تجنُّبك العتيقَ من النّعال
ومن ذكر له طهر لسانا … وصورته امحِ من فكر الخيال

وله أيضاً:

يا نعمة قد أصبحت نقمة … مُذ نالها الكلبُ على خِسَّتِهْ
يظنُّ أنّ الناس حسّاده … من يحسدُ الكلب على نعمته

ومن نثره الفائق قوله ملغزاً وكتب به إلى بعض الأفاضل:

يا صور الكمال، ويا غرر الجمال، ويا طوالع الإقبال، ويا أصحاب مقال، أصفى من الزلال، وأحلى من السلسال، وأبهى من اللآل، وأمضى من النصال، وأسرى من الخيال، ما قولكم فيما فيه يقال، إنْ مشى فهو بشر، وإن شئت قلت فهو بشار، وإن طال فهي حيّة تسعى، وإنْ قصر فهو عقرب تلسع، وإنْ رضع بكى، وإنْ فطم قعد عن البكا، وله أحوال وأطوار، منها أنّه رفيع مقام، من الأعيان الأعلام، إنْ مدّ مدده فالبحر المحيط من رشحاته، وإنْ أطال يده فالكوكب الدرّي من ملتقطاته، ومن كان في خدمته، وقام في رسم خدمته، فاز بالقدح المعلّى، وحاز قصب السبق في مضمار العلى، وله كلام، دريُّ النظام، مطابق للمقام، وهو:

كنْ في المعالي إذا خيّرت رفعتنا … كالرمح يصعدُ أنبوباً فأنبوبا

وله غرة كوجه القمر، وطلعة كعين اليقين، وجبهة كواسطة العقد، وبلغ فيما بلغ حتى بلغ غاية الكرم، وأقصى الهمم، ونهاية العظم، وقصارى الشيم، فمن قائل إنّه أبو المسك كافور وأخوه سيف الدولة، ومن مدّعي أنّه من بني العباس، وأخوه السفاح، ومن معتقد أنه

ذو القرنين خاض الظلمات، وشرب ماء الحيات، وبنى السدّ الذي لو أبصرته لرأيت سدّاً من حديد سائر فوق الفرات، مع أنه عبد رقٌّ، ما رقَّ يوماً لعتق.

يسعى لخدمة مولى بذل طاعته ... سعياً على الرأس لا سعياً على القدم

ومن أحواله أنه بليغ إنشاء، إنْ مدّ أطناب الأطناب، ردّ المسن إلى اقتبال الشباب، وهو للصاحب صاحب وللعماد عماد، وله الصابي صابي ولقد أصاب، مع أنّه مغرى بضعف التأليف والتعقيد، وممنو بسقطات ما عليها من مزيد، إنْ سكت الفا، نطق خلفا، وإنْ أعطى مقولاً، حرم معقولاً، فهو كصرير باب، أو طنين ذباب، ومن أحواله أنّه صرفيّ، يحول الأصل الواحد إلى أمثال مختلفة، لمعانٍ مقصودة لا تحصل إلاّ بها، ويرى أنّ الأجوف الناقص غير معتل، وأنّه بصري، إنْ أعرب فمضارع الماضي المشتمل على حرف جازم، المجزوم بحذف آخره لديه ليس بفعل، ومن أحواله أنّه متكّلم يسند المعتزلي أعماه خلقاً إلى الباري المصوّر، ويضاهي قلب المؤمن لكنه كافر، إنْ قيل إنّ هذه الآثار فانية مع بقاء المؤثر الفاعل.

شخوص وأشباح تمرّ وتنقضي ... الكلُّ يفنى والمحرّك باقي

فعنده قول هذا القائل، كلمة حق أُرِيْدَ بها باطل، ومن أحواله أنّه فارس ميدان يثير النقع في أرض بارق، ويذكر مجر العوالي ومجرى السوابق، إذا أبصرت عامله، أبصرت عامله أو أفعاله، فأفعى له، أو أقواله، فأقوى له، أو أعماله، فليس أهلاً أعمى له، لكنّه يقول:

إلى حتفي سعى قدمي ... أرى قدمي أراق دمي

ومن أحواله أنّه خليع عذار، خدٌّ مشى فيه الدجى فتحيّر، وبالغ في لثم كافور الترائب حتى لاح فيه وفاح العنبر، ونشر مسك الليل على كافور الصباح، وستر وجوه هاتيك الملاّح، مع أنّه خصي ألوط من دب، وفي بياض النهار يدب، يكمل بالنقصان، ويغبر في وجوه الحسان، ويخسف الأقمار، ويولج الليل في النهار، ومن أحواله أنّه رفيق، رقيق طبع، يسير في روضة يطلب للضيق، منها مخرجاً لترقرق مائها الصافي، تحت ظلها الضافي، كطرّة صبح تحت أذيال الدجى، يتكسّر النهر فيها على صفحات الحدائق، ونثر لازوردي البنفسج على لجين الماء الرائق، وفيها يقول:

لم لا أهيم إلى الرياض وحسنها ... وأقيم منها تحت ظلٍّ ضافي
والزّهر يلقاني بثغر باسم ... والماء يلقاني بقلب صافي

مع أنّه غريب، قد أخذت منه الغربة بنصيب، حتى غدا أخا جوع وليس بصائم، وعرياناً وليس بمحرم، بحال أرق من الشكوى، وأوجى من النّوى، وليس له من كثرة الترداد ملل، لقوله أنا الغريق فما خوفي من البلل، وقد كان هجر العراق، وله إلى الشرق اشتياق.

هجــر العــراق تطــرّبــا وتغــرّبــا كيمــا يفــوز مــن العــلا بقــرابِــهْ
والسمهــريّــة ليــس يشــرف قــدرهــا حتــى يســافــر لــدنهــا عــن غــابــه
وما ذاك إلاّ لتتلقّاه الملوك بأيدي القبول وهــذا غــايــة الفــوز ونهــايــة الــوصــول

فكتب إليه الجواب بقوله:

ن، والقلم وما يسطرون، ما هاروت ونفثه وبحثه، عما يفرق به وحثّه، يلعبُ بالعقول من البيان، وبيانه للعيان، فإنّه صعب المركب، ممنع المفرد والمركب، ودون افتراع بكره، وصدق سن بكره، تخيلات وعرة المسلك، شامخة العرنين عن أنْ تسلك، بل دون مناله خرط القتاد، وتفتت أكباد، وتقطع أكتاد، إلاّ لمن ذللّ الله له جوامح أزمته، وأودعه سجيّة برمته، وأوسعه ما يعجز، ومنحه ما يطنب به ويوجز، فتعلّق شأوه بمناط الأثير، بمحسنات البديع من النظيم والنثير، وقد وجم عن إدراكه كثير من الفحول، وجمّ عن منهج الفضل لا يحول، ولله درّ من مدّ إليه باعه فاقتاده، ونقد سوانحه بفكرته الوقّادة، واقتطف من باكورة الفصاحة نضيرها، واهتصر من البلاغة غضيرها، مَنْ إذا شبّب أطرب، وإذا أعرب أغرب، وإذا تكلّم أصمى الأغراض، وأظهر بون ما بين الجواهر والأعراض، وإذا أجاب حيّر، وإذا استرسل على أي حال لم يتغيّر، فهو نسيج وحده، في حلّه وعقده، فلقد شنف سمعي وقرّط، وأودعَ ما يروق وما فرّط، فأقبلت عليه بكلّي لا ببعضي، وتصدّيت إليه بإبرامي ونقضي، فيا لك فاضلاً تقف الآراء عند تخيّلاته، وتتحيّر العقول بكنه استعمالاته، وإليك ألقى بالمقاليد، في طارف الكمال والتليد، وأنا أقسم بمن أودعك ما أودعك، ومنحك ما حلى به طرفك ومسمعك، لأنت النابغة بل النادرة، والنكتة التي للأفهام متبادرة، فأعيذ مرأي ذاتك، وأحمي بديع صفاتك، ما هذه القلائد المنتثرة، والفوائد المنتشرة، التي أتيت بها بالعجاب، وأبرزتها للعيان من دون حجاب، وأفرغتها في قالب الاختراع، وافترعت بها هضاب البلاغة أيّ افتراع، وضمنتها نكات هي عن سواك بمعزل، وأنزلتها في القلوب أرفع منزل، وأفحمت وأوجزت، وأفعمت وأنجزت، ورتجت المغفل، وفتحت المقفل، وتحاميتَ التعقيد والغرابة، وتحاشيتَ التنافر وإغرابه، وجئتنا سائلاً، وأوردت بحر الأدب سائلاً، عن شيء يضع ويرفع، ويضر وينفع، ويجري على وفق الإرادة، من سعادة إلى شقاوة، ومن شقاوة إلى سعادة، فلا شك إنّه اطّلع على اللّوح المحفوظ، وعلم كل معنى ملفوظ، وشارك باريه بالتصوير، وأعانه على توقيع التدبير، حججه ظاهرة البرهان، تراه كل حين هو في شان، فإذا التجى إليه، والتفت الأنامل عليه، ابتدر بالحس لما في الخاطر مبيناً، وأراك ما حصل في المخيلة يقيناً، له صوت يسمع ولا يفهم، كأنّه أبكم، ولسانه إذا جز تكلم، وأتى بالكلام المحكم، وأعرب وأعجم، يجري مع كل عدوّ وحميم، ويجاري كل كريم ولئيم، وإذا وشى ترك العقول حيارى، وترى الناس من أجله سكارى، وما هم

بسكارى، إذا قام في مقام الافتخار، وشق من ذلك الميدان الغبار، قال وضح النهار:

لا بقومي شرفتُ بل شرفوا بي ويجدي علوتُ لا بجدودي

وإذا انساب في مهمات الأمور، أظهر ما تكنه النفوس وما تخفيه الصدور، فيا طالما خاض الظلم، وظَلَمَ وظُلِم، وعجيبٌ أنّ تَعَبُه في الراحة منوط، وأمره دائر بين المهمل والمنقوط، يأخذ من كل من قصده باليمين، إنْ كان يصدق أو يمين، له تقلب الأحوال، في الادبار والإقبال، مع أنّه فارغ من الأشغال، لا يقر في أطواره على حال، كريم شحيح سقيم صحيح، أشغل من ذات النحيين، وأفضى من حجام ساباط، دعي في النسب، لا يعرف له أم ولا أب، يستأثر بنقل الأخبار، إذا نأت الديار من الديار، ينكس الأعلام، وله اليد الطولى في النقض والإبرام، أغاليطه كثيرة، وسقطاته شهيرة، لم يزل في نحيب، ودمعه في صبيب، حتى إذا بلغ الغرض، جفّ وأعرض، وقال بلغ السيل الربى، والشوط الانتها، فنهجه قويم، إلا أنّ مشيه غير مستقيم، يخطر مثل السرطان، إن شاء ألف بين الأنس والجان، عارف بأنواع المدح والهجاء، وبمواقع معارك الهيجاء، عليّ المقدار، حديد شبا المنقار، يجمع بين الضدين، بل بين الأمرين المختلفين، تطيعه كل ملّة، ويفرق بين المعلول والعلة، فأما الملة اليهودية فهو حبرها في تفصيل قضاياها، والمرجع إليه في نسخ أحكامها ومزاياها، وأما المسيحية فله فيها الباع الطويل، وهو المعين على ما فيها من التغيير والتبديل، وأما المحمّدية فعنها يترجم، وعلى مواردها يدل ويعلم، ضئيل الجسم غالي النفس، يروى حديث العشق عن أنس، يحصي حسنات الأنام ومساويهم، ويحتاج إلى عبيدهم ومواليهم، تراه قيماً غير ذي عوج، مستكناً غير ذي هوج، يعلّم الناس السحر، ويظهر عجائبه في البر والبحر، ليس له حاسة بصيرة، ولا ذوقية ولا سمعية، أوّله مثل آخره، وآخره مثل أوّله، تتهاداه الركبان، من مكان إلى مكان، يطأ النواعم، وهو على رأسه قائم، يحفظ من النسيان، ويخبر عما يكون وكان، إنّ قلّم ظفره أنشبه، وإذا انتسب أوصل إلى أوّل الخلق نسبه، يضرب أسداساً بأخماس، وأخماساً بأسداس، فيجعل الثلاثة مئينا والمئين آلافاً، بل يضاعفها إلى ما فوق ذلك أضعافاً، اجرأ من ليث، مع أنّ الشعرة لا تدعه يذهب إلى حيث، خُدِمَ وخَدَمْ، حتى صار أشهر من نار على علم، يجمع بين المشرقين في خطوة، وله في قيد كل شبر كبوة، ومن العجب أنّه ينطق بالضاد على بكمه، ويمدّ المدود بفمه، فإذا ذوي عوده، وافت سعوده، وإذا عبّ، أتى بما أحب، وإذا خاض للبحر لجة، أقام أقوى دليل وأقوم حجة، فيجعل الحديث الضعيف مسلسلا، والمطلق مقيّدا، والعجز صدرا، والكامل شطرا، والمفهوم محسوسا، والرئيس مرؤسا، وله أطوار، منها اللبيب يحار، منها ما عنه اشتهر، في البدو والحضر، أنه يدع الصافي ويكرع الكدر، ومنها أنّ له النّهي والأمر، مع أنّه لم يزل في قبضة الأسر والقهر، ومنها أنّه كسيح، إلاّ أنّه يسعى سعيَ الصحيح، ومنها أنّه شديد البطش، آثاره في الأرض ولدى العرش، على أنّه شخت لفلسفة، لا يحتمل على رأسه دقّة.

وربّ امــرىء تــزدريــه العيــون ويــأتيــك بــالأمــر مــن فصِّــهْ

ومنها أنّه رفيع المقام، إلاّ إنه مبتذل بين الخاص والعام، ومنها أنّه مؤنّث مذكّر، إذا المرء في حاله تفكّر، ومنها أنه يريض نفسه في مرضاة الكبير والصغير، وتحامى مسّه البشير النذير، ومنها أنّه زاهد في ذوات الذوائب، راغب في الفحول الأجانب، ومنها أنّه إذا شقّ العصا، أطاع ربه وما عصى، قرويّ الربع، مدنيّ الطبع، يألف مجاني الربا في إبان شبابه، حتى يرى أكلها متشابهاً وغير متشابه، فإذا غنّى العندليب وصفق النهر، يرقص في الحلل النضرة لدى الزهر، فهو في كل معنى يهيم، ولا شك أنّه من أصحاب الرقيم، أخذ النقشبندية عن الأساتذة، وأتقن أحكام الأحكام عن الجهابذة، فإذا تخّيل الرسوم بكى، ولا يجديه كثرة البكا، حركته قسريّة، إمّا مسلسلة وإمّا دورية، كشّاف الحقائق، منقّح الدقائق، يضرب يميناً وشمالاً، فيحرّم حراماً ويحلّ حلالاً، حتى إذا بلغ نهاية خطِ الاستوا، قال فألقت عصاها واستقرّ بها النّوى، فهو قائم على كل نفس بما كسبت، إنْ سكنت أو اضطربت، يختبط الظلماء، حتى إذا نقع الظما اضطر إلى الماء، فإذا نسبوه لمذهب الأشعري وجم، وصدّ عن التحديث وألجم، ثم اعتزى إلى المشائين، وطوراً إلى الرياضيين، وأخرى للصوريين، يثبت المنزلة بين المنزلتين، ويقول بالرؤيا بالعين، وهو للتناسخ سبب، ولا عجب، ويقرّ بالتجسيم، ويذهب إلى زخرف الحكيم، ويقول العالم قديم، مع أنّه ينطق بحدوث الصفات، وإعادة الرسوم الدارسات، وينتسب إلى النظامية إذْ يقولون إنّ الأعراض جسوم، وهو يعتقد أنّها أشياء في حالها تقوم، فآثاره في الطور، وعليها الفلك يدور، له خادمان، لا يخلو منهما إنسان، جامدٌ واجب الاشتقاق، صعبٌ مرّ المذاق، خبير بطي الدفاتر، على رأسه تدور الدوائر، يحلّ الرموز، ويستخرج ما في الكنوز، وهو ممن يحرّفون الكلم عن مواضعه، ويشار إليه بالبنان في تواضعه، إذا نقص اكتمل، وإذا جير عليه اعتدل، وإذا تكلّم جمع بين الأروى والنعام، أو سكتَ احترم المشعر الحرام، ماهر بالتحرير، جدليّ بالتقرير، لم يزل الحديد قائماً على رأسه، حتى يقدّه إلى أضراسه، فينشط من عقده، وقد أثّر الحديد في جسده، يطرف في المنادمة، ويبيح بالمنى دمه، رشحاتها تتلقاها الصدور، وتقيدها في رق منشور، يتصفّح من الأوراق بطونها، ويملي عن قلبه شروحها ومتونها، ومعربها وملحونها، فإذا اخترع أبدع، وإنْ هزّ عامله رصع ووشع، وإذا أخذ في التحديث فمن البحر اغترافه، وحازت قصب السبق أوصافه، فهو طبيب، مغرم بالتركيب، إلاّ أنه تارة يخطىء وطوراً يصيب، فإذا رفعته الأيدي حملته ما لا يطيق، وإنْ وضعته زجّته في مسالك الضيق، كلّه سواء في الخلقة، مفرد الرقة، تتفجّر من قلبه ينابيع الحكمة، فيعرف من أراده حدّه ورسمه، إنْ شاء أسهب وأطنب، وإنْ شاء اقتصر واختصر، يمشي على استحياء، ميّت بين الأحياء، فإذا أنشأ أحكم الإنشاء، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فعلم الحرف يؤخذ منه، والتصرف فيه يروى عنه، وعلم الكاف ألقى إليه بالمقاليد،

وصيّره من جملة العبيد، فإذا بالسواد تعمّم، وأخذ يتكلّم نسج حبراً وجرى، في كل فن بما جرى، وردّ المشيب شباباً، وخلّد المحاسن أحقاباً، وجاد بكف سائل، لا تنقطع منه الرسائل.

فلو لم يكن في كفّه غير نفسه لجادَ بها فليتق الله سائِلُهْ

وله في كل مقام مقال، وفي كل مقال مقام، لم يدع فكرة إلاّ نقدها، أو انتقدها، أو اعتقدها، وربّما طلب منه المراد فعثر، ويقل ذلك منه بل يكثر، يزيّن الصفحات الغرر، كما تزيّن الجباه بالطرر، والعيون بالحور، والخدود بالعذار الأخضر، وله عين صادية، وريقة مسكيّة، وذابل عامل، وعامل ذابل، تلقاه إنْ بان عذاره، بدت أعذاره يحجل بالأدهم، فيريك انسلال الأرقم، فإذا استقبل مهب الهوى، أقلع عمّا إليه هوى، وإذا ضرب على قرنه ومات، أحيا العظام الرفات، يتولّى تقاليد الملوك، مع أنّه فقير صعلوك، ويطبع الأشكال، على منوال وغير منوال، لم يزل من تكليم موسى على وجل، ومن إلقاء الواحد في خجل، وله المنشآت المشحونة بالبدائع، التي ذكرها شائع ذائع، فلو أقسم أنّه من القرآن، لما حنث في الأيمان، فإذا اشتدّ القرّ، وتجهّم وجه العبد والحرّ، وأنشد:

أصبحَ البردُ شديداً فاعلمي باتَ زيدٌ ساهراً لم ينمِ

تحامى عن اللّمس، أو أنْ يشار إليه بالأنامل الخمس، مع سلبه الاختيار، ما دام الفلك الدوار، فطالما قال وهو يقدم رجلاً ويؤخر أخرى، أمّا وأسطار سطرن سطراً، أنف في الماء واست في السماء، إذا تذكّرته أقبل عليك، وقبّل بالخضوع راحتيك، وإذا أغضيت عنه قلاك، ونسي ما هناك، وادّعى العجز عن النهوض، عن القيام بالسنن والفروض، يقبل الرشوى، وليس هو من أمة الدعوى، إذا سرى دبّ دبيب الكرى، ربته الأيدي حتى مهر، وأتى بما به بهر، فأصمت به مواقع أغراضها، وذبت بشباته عن أعراضها، فإذا ارتفع انتصب، وإذا انتصب ارتفع، وإذا طال وصف القلم، والله بذلك أعلم، وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وللمترجم في الهجو:

يا ابن الذي في قعره علل وأمّه للأنام تفتعلُ
وفيكَ حقّاً ليضرب المثل أبوكَ ثومٌ وأمّك البصلُ

وكان أحد بحار دمشق ويعرف بابن شحادة، وعد المترجم بشيء من العود، ثم ماطله به، فأرسل للمترجم بعض أصحابه شيئاً من العود، وكان اسم المرسل سعيد فنظم هذين البيتين مبكتاً على ابن شحادة وهما قوله:

وعودٌ قد وعدنا فيه ممن يخالفُ وعدَهُ والخلف عَادَهْ
فعوّضنا بعودٍ من سعيد غنينا فيه عن عود الشحاده

وله غير ذلك أشياء كثيرة، وكانت وفاته بقسطنطينية في صفر سنة تسع وسبعين ومائة وألف، وأكبر أولاده محمد جاد الله، كان بدمشق أحد المدرسين بها، وكان ذا عفة وحياء وسكون، وخصاله التي كان منطوياً عليها لم تكن في أبيه، وتوفّي بدمشق في سنة إحدى وتسعين ومائة وألف، ومن الاتفاق أنّ والده ولد بدمشق وتوفي بقسطنطينية، وهو ولد بقسطنطينية وتوفّي بدمشق رحمهما الله تعالى.

مصطفى بن سوار:

٧١٠ ـ **مصطفى بن سوار بن مصطفى، المعروف بابن سوار، الشافعي الدمشقي، شيخ المحيا النبوي بدمشق، الشيخ الإمام العالم الفقيه القدوة المعتقد الصالح الناجح:** تقدّم ذكر ولده سليمان وقريبه أحمد، وكان المترجم أحد العلماء الأخيار، ولد في سنة اثنتين وسبعين وألف، وقرأ العلم على جماعة من الشيوخ، منهم السيد حسن المنير، والشيخ أبو المواهب الحنبلي، والشيخ نجم الدين الفرضي، والشيخ إبراهيم الفتّال، والشيخ عبد الكريم الغزي الدمشقي، أخذ عنه الفقه ولازم دروسه بالمدرسة الشامية البرانية، وبرع في الفقه والعلوم، وكان ملازماً على خدمة المحيا كعادة أسلافه ليلة الاثنين وليلة الجمعة بمشهد الجامع الأموي، وليلة الجمعة بجامع البزّوري، وولي تدريس مدرسة الوزير إسماعيل باشا العظم، التي أنشأها بسوق الخياطين بالقرب من المحكمة، وكان ديّناً صيّناً خيّراً، وللناس فيه محبة عظيمة واعتقاد وافر لما كان منطوياً عليه من خصال الخير، وكف اللسان عن اللغو والغيبة، ومحبة الفقراء، وسعة الصدر، والإيثار، والزهد، وكرم الأخلاق، ولطف الشمائل، وسلامة الطاعات من الرياء، ولم يزل على حالته الحسنة، وطريقته المثلى، إلى أنّ توفّي، وكانت وفاته في شوّال سنة أربع وأربعين ومائة وألف، ودفن بتربة سلفه قبر عاتكة رحمه الله تعالى.

مصطفى العلمي:

٧١١ ـ **مصطفى العلمي بن محمد بن أحمد، المعروف بالعلمي، والصلاحي، الحنفي القدسي، خطيب المسجد الأقصى وإمام الصخرة المشرفة بالقدس، الشيخ الفاضل الفقيه:** كانَ جميل الصورة حسن الصوت، قرأ القرآن وقرأ الفقه على والده، وعلى الشيخ محمد السروري، والشيخ محمد المغربي في عدة متون، وسافر المترجم بإذن والده إلى مصر، ومكث هو وأخوه بالأزهر، وأخذ الفقه وغيره على المشايخ، ولازم دروس الأجلاء الفحول، ولما جاءه خبر والده بموته جاء هو وأخوه إلى القدس ودرّس بها في الأقصى، واستقام إلى أنْ مات، ولما كان بمصر استقام سنوات، وكان يحضر دروس الأسقاطي الشيخ مصطفى، وهو يؤثره على سائر تلامذته، ثم اصطحب مع الشيخ أحمد السفط أحد تلامذة المذكور، واختص به وتزوّج بأخته، وكانت وفاته بالقدس في سنة إحدى وسبعين ومائة وألف، ودفن بمقبرة مأمن الله عن يمين البركة هناك، وكان أخوه توفي قبله بمدّة سنين قليلة رحمهما الله تعالى.

مصطفى الموستاري:

٧١٢ ـ **مصطفى الموستاري بن يوسف بن مراد الحنفي الموستاري الرومي، الشيخ العالم الفاضل النحرير:** له من التآليف حاشية على المرآة في الأصول لمنلا خسرو، توفّي سنة عشرة ومائة وألف رحمهما الله تعالى.

مصطفى أريب:

٧١٣ ـ **مصطفى أريب بن علي بن محمد، المتخلّص بأريب، الحنفي، الحلبي الأصل، الإسلامبولي المولد، الرومي:** أحد الموالي الرومية أرباب المعارف السنية، والده من حلب، وارتحل للروم، وأقام بدار الخلافة، وكان من أقارب قاضي عسكر يحيى أفندي بن صالح الحلبي رئيس الأطباء في دولة السلطان محمد خان، وسلك طريق القضاة، وولد له المترجم سنة تسعين وألف، ولازم على قاعدتهم بالتدريس من شيخ الإسلام السيد علي أفندي البشمقجي، وتنقّل بالمدارس إلى السليمانية، فمنها أعطي قضاء الغلطة أحد البلاد الثمانية، وبعدها أُعطي قضاء دمشق أحد البلاد الأربعة، فوليها سنة ست وخمسين ومائة وألف، وكانت سيرته حسنة، وفي أيامه توفّي كافل دمشق الوزير سليمان باشا العظمى، وكان أديباً عالماً جسوراً مقداماً في الأمور، ثم ولي قضاء المدينة المنوّرة سنة إحدى وستين، وتوفي قاضياً بها في محرّم سنة اثنتين وستين ومائة، وألف ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى.

مصطفى الشرواني:

٧١٤ ـ **مصطفى الشرواني بن يوسف بن إبراهيم الزهري الشرواني المدني الحنفي الفاضل الكامل العالم البارع الأوحد المفنن:** ولد بالمدينة المنوّرة سنة ثمان وثمانين وألف ونشأ بها، وأخذ في طلب العلم، وقرأ على والده الجمال يوسف، وعلى عمّه علي أفندي، وتعلّم عليه اللّسان الفارسي، وأخذ عن الجمال عبدالله بن سالم البصري المكي الحديثَ وغيره، وأخذ عن غيرهما، ونبل وفضل، وصارت له مشاركة في العلوم، ودرّس في المسجد النبوي، وتولّى مدرسة محمد آغا القزلار شيخ الحرم، ودرّس بها وانتفعت به الأفاضل، وتولّى نيابة القضاء، وسلك بها أحسن مسلك، وتولّى مشيخة الخطباء، والأئمة بالحرم الشريف النبوي، وكان محمود السيرة سالم السريرة ميمون الحركات والسكنات، ثم إنه أراد التوجّه للروم من الطريق المصري، فتوفّي بمصر في سنة أربع وستين ومائة وألف رحمه الله تعالى وإيّانا.

مصطفى كيلاني:

٧١٥ ـ **مصطفى كيلاني بن يوسف بن عبد اللطيف بن حسين بن مسلم ميرا بن فتح الله بن محمد الخوجكي الكيلاني الشافعي الخلوتي الحلبي، الشيخ المعمر الخير المسلك الصالح:** ولد في حلب في حدود سنة خمس وأربعين وألف، ورحل مع والده

صغير السنّ إلى دمشق، وقدم إليها، وأخذ طريق الخلوتية عن الأستاذ الكبير الشيخ أيوب الخلوتي الدمشقي، ثم توجّه إلى بيت المقدس والحج، وجاور بمكة، وعاد لمصر واستقام في هذه السياحة مع والده تسع سنين، ولقي الأفاضل والعارفين، وأخذ عنهم، وشملته بركاتهم، كالأستاذ الشيخ محمد بن محمد البخشي الحلبي وغيره، ثم قدم حلب واجتمع بالولي المشهور الشيخ أبي بكر الخريزاتي صاحب المزار المشهور بمحلة ساحة بزة، وقريباً من عرصة الفراني، وقرأ القرآن على العارف الشيخ إسماعيل دزّه، وقرأ بعض المقدّمات الفقهية والعربية على أفاضل بلدته، واستقام في زاويتهم المعروفة بزاوية النسيمي للإرشاد وتلاوة الأوراد والاشتغال بالخلوة والتسليك، ورحل إلى الروم وبغداد وإيران والهند، وزار سيدنا آدم عليه السلام، وله سياحة طويلة عجيبة ذكرها في بهجته، وتزوّج باثنتين وعشرين زوجة ببلدته وسياحته، ورُزِق عدّة بنين ما توافي حياته ما عدا ذكرين وبنتاً واحدة، أحد الولدين السيد محمد أبو الوفا توفّي بعده والده بعشر سنين، والثاني خليفته الكامل الشيخ السيد محمد أبو الصفا خلفه ليلة وفاته، وكانت وفاة المترجم محموماً في يوم الخميس السابع والعشرين من رجب سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف عن مائة وثمان سنين، ولم ينقطع عن الزاوية المذكورة إلاّ ليلة وفاته رحمه الله تعالى آمين.

مصطفى:

٧١٦ ـ مصطفى نعيما المعروف، بنعيما، الحنفي الحلبي نزيل قسطنطينية، وأحد خواجكان ديوان السلطان الأديب العارف المنشىء الكاتب المؤرخ الشاعر الشهير: ارتحل لدار الخلافة والملك في الروم قسطنطينية العظمى، وصار من تربدارية سراية السلطان، ثم بعد ذلك انتسب إلى الوزير أحمد باشا القلانلي وخدمه، وصار عنده كاتب ديوانه، وفي سنة عشرة ومائة وألف في جمادى الأولى تولى الوزير المذكور الصدارة الكبرى، فوجّه على المترجم محاسبة أناطولي، وفي سنة إحدى وعشرين صار تشريفتجي الدولة العثمانية، ورؤي لائقاً للخدمة المرقومة، وصار كاتباً لوقائع الدول المعبر عنه بينهم بوقعة نويس، وفي سنة خمس وعشرين في رجبها صار دفتر أميني الدولة، وهذا المنصب من المناصب المعلومة بين خواجكان الدولة، وفي سنة ست وعشرين أعطي منصب باش محاسبه، ثم في ربيع الأوّل سنة سبع وعشرين ـ لما ذهبت العساكر الإسلامية من طرف الدولة العثمانية بعد الفتح والظفر في أواخرها ـ صار المترجم عند رئيس العسكر دفتر أميني أيضاً، ومن آثاره: تبييض تاريخ ابن شارح المنار، وذيّل عليه أيضاً بمقدار، وهو الآن مشهور بتاريخ نعيما، وكان له بالتركية شعر جيد يعرفه أولو الفهم بذلك اللسان، ولم أر له في العربية شيئاً، وكانت وفاته خلال سنة ثمان وعشرين ومائة وألف في قلعة باليه بادره، رحمه الله تعالى رحمة واسعة، ورحم من مات من المسلمين أجمعين آمين.

مصطفى الشيباني:

٧١٧ ـ مصطفى الشيباني الصالحي الدمشقي أحد المجاذيب الغارقين في التجلّيات

الإلٰهية، ومسطع لوامع البركات الربانية: وترجمه الأستاذ الصديقي، وقال: التغالبة فخذ من بني شيبة والسعدية، فمن بني شيبة سدنة باب الكعبة، وقد انقسموا إلى سبعة أفخاذ، ولكل من بني تغلب والسعدية كرامات للسلف، بقية للخلف، فبني تغلب لهم الدوسة وهي المشي بالدواب، على ظهور الناس من غير ارتياب، أخبرني الشيخ تقيّ الدين طلب بعض الولاة رؤية رسول الله ﷺ تلك الليلة، ولجدّه الكبير الشيباني، أقول ومراده المترجم، قال الصديقي: وقول رسول الله ﷺ له لا تخف، ولقد عاينت ذلك منه لما امتحنه سليمان باشا والي الشام، وكنت في جملة المتفرّجين على هذا الإكرام، وانفتاح الأقفال له لمّا أغلقوا في وجهه الباب، وحصل للناس خشوع وخضوع وانتحاب، وأخبرتُ أنّ الشيخ مصطفى المترجم جاء قبل أن تزدحم الناس، وصحبته الشيخ عبد الرحمن الجقمقي، وامتدّوا على وجوههما ومشياً في تلك البقعة، وقال الشيخ مصطفى: هذا الامتحان لي ورجع، ولبني سعد الدين ذلك، ولهم ردّ الألوق، ودرّ الحليب المعوّق، حتى إنّ المرأة التي انقطع حليبها أو قلَّ متى أمرّ أحدهم يده فوق الثياب، على صدرها يعود الحليب بانسكاب، وكان الشيخ عبد القادر التغلبي يقصد لاشتهاره بهذا الأمر المعلوم، ولما أتيتُ من البيت المقدس في الخطرة الأولى جاءني الشيخ مصطفى مسلِّماً عليّ مع بعض خلان، وكان الشيخ أحمد بن كسبة الحلبي فتح بابه للورّاد بعد إغلاقه، فسرت لزيارته، وصحبت الشيخ مصطفى لأعدّ من إرفاقه، وقد ترجمت المذكور في السيوف الحداد، في أعناق أهل الزندقة والإلحاد، وأخبرني الشيخ مصطفى بن عمر أنّ الشيخ أحمد أخبره، قال: جاءني ابن تغلب مع جماعة وبقي بعد ذهابهم، وهكذا كان، فقال لي: كلمة أنا مطروب بها إلى الآن، وهي قوله بعدما كشف لي عن بطنه انظر إلى بطني، فرأيتُ بطنه كبيراً يشير إلى الاتساع وعدم القلق، وتحمل الخلق، قال وقلت له: الناسُ يقولون عنك أنّك شعال في مكة لما يرون على ثيابك من الأدهان، وما علموا أنّك شعال قناديل عرش الرحمن، والذي تأخذه من أوساخهم الدنيوية تضعه في تلك القناديل العرشية، لترقى هممهم إلى هاتيك المراتب السنيّة، وهم يظنّون أنّك تأخذها على غير هذه الكيفية، وما معنى هذا الكلام؟ قال: فدمعت عيناه وطلب مني وأنا جالس عند مرقد سيدي يحيى الحصور عليه السلام مصرية، فقلت له: إنّ الناس يزعمون أنّك تكاشف، وإذا كنتَ كذلك فلم تطلب مني مصرية وأنت تعلم مني أني غير حامل لها فذهب ولم يعاودني، وكانَ يراني أحياناً على البعد، فينادي سيد سيد فأقف له، فلمّا يحققني يقول: روح ما هو أنت، ويتركني، وكنت نذرتُ لأصحاب النّوبة سبع مصريات، ونسيتها، فوقف عليّ وطلب مني مصرية، وكان في ذلك الوقت عندي فدفعتها له، وطلب أخرى فدفعتها له، فلما أخذ السبعة انصرف، ولم أفق إلاّ بعد ذهابه أنّه أخذ النذر، وأخبرني بعض الناس عنه أنّه اجتمع به في بستان، قال: فرأيت الزرع منه ما هو مترعرع حسن، ومنه ما هو غير ذلك، فصرتُ أقول هذا أحسن من هذا، فقال: كله مليح لأنه فعله فأيقظني ونبهّني، وكان حلو الكلام، وهكذا المجاذيب الكرام، ولهذا الشيخ مصطفى كرامات مثبتة عند عامة

أهل الشام وخاصتهم رضي الله عنه، انتهى ما قاله الصديقي ملخصاً. وكانت وفاة المترجم يوم الخميس عاشر ربيع الأوّل سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف، ودفن بسفح قاسيون بصالحية دمشق، وقبره معروف رحمه الله تعالى، وحضر جنازته خلق كثيرون وما دفن إلاّ قبل الغروب للازدحام انتهى.

موسى المحاسني:

٧١٨ ـ موسى المحاسني بن أسعد بن يحيى بن أبي الصفاء بن أحمد، المعروف كأسلافه بالمحاسني، الحنفي الدمشقي أحد الشيوخ الأعلام الذين ازدهت بهم دمشق الشام: كان عالماً محققاً غوّاصاً متضلعاً، فاضلاً علامة فقيهاً، له في العلوم والفنون اطلاع تام، سيّما الفقه والمعاني والبيان والأدب، إماماً هماماً مورداً سنداً عارفاً بارعاً أديباً، على قدم محمّدي في الصلاح، ملازماً للتقوى والإقراء والإفادة، ولد بدمشق وبها نشأ، واشتغل بالقراءة والأخذ عن الشيوخ، فقرأ على الشيخ أبي المواهب الحنبلي، والأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي، والشيخ عبد الرحيم الكابلي الهندي نزيل دمشق، والشيخ محمد الكاملي، وعلى والده العالم الصالح الشيخ علي الكاملي، وعلى والده الشيخ أسعد المحاسني، والشيخ إلياس الكردي، وغير هؤلاء من أقرانهم، ومهر بالعلوم، وأحرز منطوقها والمفهوم، وتصدّى للإقراء والدروس، ولازمته الطلبة، واشتهر فضله ونبله، وكان يقرأ في الجامع الأموي صبيحة غالب الجمعة بالقرب من الحصور عليه السلام حذاء المقصورة، ويوم السبت يقرىء في المدرسة الفتحية في البخاري، ويوم الاثنين في العمرية الصالحية، وكان في عنفوان شبابه، ذهب للديار الرومية إلى قسطنطينية فلم يبلغ أمانيه، بل شتمه بعض الجهّال فأدّاه ذلك إلى اختلال عقله وحجاه، وعاد إلى وطنه في هذه الحالة، ثم ظهرت فيه بعد صدور ذلك لكنة في لسانه، وكان شيخه الشيخ إلياس نهاه عن الذهاب، وقال له: المقصود يحصل في هذه الدار، وكان مع ذلك عجيب التقرير لم ير نظيره في الانتقالات عند الدرس إلى علوم شتّى، وقد كان بذلك فريد عصره وأقرانه، وأُعطي رتبة الخارج المتعارفة بين الموالي، ونظم متن التنوير في الفقه ثم شرحه، ونظم أيضاً متن التلخيص في المعاني ثم شرحه، وكلا الكتابين مفيدان، وبعد أنْ قدم من الروم حصلت له معيشة جزئية، وكان إذا جلس لديه غلام لا ينظر إليه ولا يقربه زهداً منه، وكان يقرأ بين العشاءين الجامع الصغير، وكان ينظم الشعر، فمن ذلك ما قاله مجيباً الشيخ سعدي العمري عن أبيات أرسلها إليه بقوله:

حلّتْ محل سواد العين والحور ... هيفاء تلعب بالألباب والفكرِ
ذات الوشاح التي أضحت فرائده ... ما قد حوى ثغرها من خالص الدّرر
وغازلتنا فعدنا من لطائفها ... نجني معارف حاكت يانع الثمر
في روض أنس وثغر الزهر مبتسم ... وقد أمنا به من مظهر الغير

والريح تعبث بالأغصان مُذْ صدحت ورقُ الرياض بنشر طيب عطر
تحكي لطافة مولانا وسيّدنا من فاق أهل العلا بالمنظر النضر
خليلنا الفاضل النحرير من لمعت أنوار فكرته في مبدأ النظر
فتى القريض قوافيه إليه أتت تجرّ أذيالها بالتيه والخفر
وتطلبُ العفو من موليّ عوائده جلت عن العدّ والإحصا بمنحصر

منها:

إنْ خطّ في الطرس خَلَت الدرَّ قد نظمت أفراده وغدا بالوشي كالحبرِ
وفي الأصول هو النجم الذي هديت به الأفاضل في بدو وفي حضر
والعذر إنّ هموماً طاردت فكري فأطول الليل عندي غاية القصر
ودمْ بأوفر عيش كلّما صدحت حمامة في ظلال الدوح ذي الزهر

وقد انتقد على المترجم في شعره فأجاب الشيخ سعدي المذكور مرتجلاً بقوله:

وذي حسدٍ قد عابَ شعرك قائلا به ركّة حاشاه من طعن طاعنِ
فقلتُ له دعْ ما ادّعيتَ فإنّما لحظت من الأبيات بيت المحاسن

وفي المعنى أنشد ممتدحاً بني محاسن الشيخ محمد بن عبد الرحمن الغزي مفتي الشافعية بدمشق بقوله:

إذا افتخر الأنام بأرض شام وعدّوا دورها ثم المساكنِ
أقولُ مفاخراً قولاً بديعاً محاسن شامنا بيت المحاسن

قلتُ: وخرج منهم علماء ورؤساء وخطباء، وجدّهم من جهة الأمهات عالم وقته الشيخ حسن بن محمد البوريني الدمشقي المتوفى في ثالث عشر جمادى الأولى سنة أربع وعشرين وألف، وكان عالماً متضلعاً متطلعاً، فرد وقته في الفنون كلها، وألف التآليف البديعة، كحاشية البيضاوي والحاشية على كتاب المطوّل، وشرح ديوان ابن الفارض وغير ذلك، ولصاحب الترجمة مخمّساً بيتي الإمام السنوسي بقوله:

لا تشكُ نازلة وقدّر ما جرى فنعيم دارك مشبّه طيف الكرى
كم من ملوك تحتَ أطباق الثّرى كم جاهلٍ يملك داراً وقرى
وعالم يسكن بيتاً بالكرى

كشف الهموم عن الفؤاد ورانه آيات صدق أوضحت برهانَهْ
ببلاغةٍ كالدرّ زان حسانه لما قرأنا قوله سبحانه
نحن قسمنا بينهم زال المرا

وله تخميس بيتي الوزير لسان الدين بن الخطيب بقوله:

يا زائراً من فاق كلّ العالم وسما إلى أوج العُلا بمكارمِ
نادى الرسول بدر قول الناظم يا مصطفى من قبل نشأة آدمِ
والكون لم تفتح له أغلاقُ
بشفاعةٍ عظمى حَباك تكرّما وغدوتَ ختم المرسلين مقدّما
ولقد أتى بالذكر مدحك محكما أيروم مخلوق ثناءك بعدما
أثنى على أخلاقك الخلّاقُ

وله راثياً الشيخ إسماعيل العجلوني بقصيدة مطلعها:

ليس يغترّ بالزمان خليلُ فالأماني شموسهن أفولُ
ونفوس الأنام في غمرات والمنايا كؤوسها تنقيل
إنْ كست أنكست وإنْ هي يوماً إنْ حلت انحلت كفاك القيل
والمرائي أعراضها ليس تبقى بزمانين عن قليل تزول
كم إمامٌ قد غرّ بالعيش فيها والمنايا بساحتيه نزول
كلّ نفسٍ تذوق كأس ممات ليس تفدى ولا يراد بديل

منها:

فاعتبر أيّها اللّبيبُ بقومٍ قد قضوا نحبهم بهم تمثيلُ
كالإمام الهمام مفرد عصر لعلوم شتّى كذاك الأصول
عالم عامل تقيٌّ نقيّ ومبرا عما يقول الجهول
سيبويه الزمّان نحواً وصرفاً وبياناً كالسعد حين يقول
أشرقت شمسه بأنواع لطف فاستنارت منازلٌ وطلول
كوثر العلم شرحه للبخاري وعليه للطالب التعويل
وله غيره مآثر شتّى وعليها من فيض علمٍ قبول

ومنها:

فهنيّاً لمن ثوى بضريح فيه روح وفيه ظلٌّ ظليلُ
قدّس الله روحه وحباه في جنان الفردوس طاب المقيل
وكساهُ فيه ملابس خضر وبهذا الفخار جرّت ذيول

وكان المترجم وقع بينه وبين الشيخ إبراهيم السعدي الشاعوري متولي الجامع الأموي مشاجرة من جهة وظيفة تولية المدرسة اليحياوية لدى قاضي القضاة بدمشق المولى على خطيب زاده، أدّت تلك الخصومة إلى الابتلاء بداء الفالج، فاستقام المترجم في ذلك مدّة شهرين وتوفّي، وكانت وفاته في محرم يوم السبت سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف، ودفن

بتربة الباب الصغير رحمه الله تعالى.

موسى الخاشقجي:

٧١٩ ـ **موسى الخاشقجي الحنفي، المعروف بالخاشقجي، التركماني الميداني الدمشقي الخلوتي:** كان فاضلاً ناسكاً شيخاً، مداوماً على قيام الليل، وصيام نهار الخميس والاثنين، وله أوراد مواظب عليها، أخذ الفقه والحديث وطرفاً من النحو عن الشيخ يونس التركماني الخلوتي الحنفي، وصحب الأستاذ السيد محمد العباسي الصالحي الخلوتي، وتعبّد وأمّ بمسجد هناك قبلي الحقلة، وكانت وفاته في جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف، ودفن بتربة التركمان رحمه الله تعالى.

حرف النون

ناصر الدين الشافعي:

٧٢٠ ـ ناصر الدين الشافعي الدمشقي الشيخ الصالح المتنسك الفقيه: كان حافظاً لكتاب الله تعالى، أخذ الفقه وقرأه على حسن بن محمد المنير، وقرأ طرفاً من النحو على حمزة بن يوسف الدومي الحنبلي وغيرهما، وصار إماماً في جامع التوبة الكائن في محلة العقيبة، ولم يزل على حالته إلى أنْ مات، وكانت وفاته أواخر شوّال سنة عشرين ومائة وألف، ودفن بتربة مرج الدحداح رحمه الله تعالى.

نعمان البشمقجي:

٧٢١ ـ نعمان البشمقجي بن عبدالله بن علي بن محمد بن حسين، المعروف كأسلافه بابن البشمقجي، الحنفي القسطنطيني السيد الشريف: أحد صدور الموالي، والراقين للمراتب السامية والمعالي، الهمام الأجلّ، المعظم المحتشم، الحسيب النسيب، الكامل الفطن، تقدم ذكر والده مفتي الدولة العثمانية، وشيخ الإسلام، وجدّه المفتي، وولد المترجم سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف، ونبغ من تلك الدوحة الوارفة الظلال من المجد والشرف، ونشأ في بحبوبة ذلك السودد، وقرأ في مبادىء أمره، ولازم على عادتهم، ودخل طريق التدريس، ولم يزل يترقّى في المراتب على المعتاد حتى ولي قضاء حلب، فورد إليها، وبعد العزل أُعطي قضاء مصر، وذلك سنة سبع وثمانين ومائة وألف، فارتحل إليها، ثم في تلك الأيام صار مفتياً بالدولة العثمانية قريبه مصطفى بن محمد الدرّي، فأعطاه رتبة قضاء مكة المكرمة ترفيعاً لمقامه وقدره، ولما ارتحلتُ لدار السلطنة قسطنطينية سنة اثنتين وتسعين ومائة اجتمعتُ به، أي المترجم في داره، ثم شرفني بالزيارة لداري، وحصل بيني وبينه كمال المحبّة والاتحاد لمودّة سابقة، لأن أسلافه من معتقدي الجدّ الأستاذ الشيخ محمد مراد بن علي البخاري قدس سره، وبينهم محبة ورابطة وثيقة العرى، ونحن وإياهم من ذلك

العهد القديم متحابّون مستقيمون على الصداقة والوداد، وكان رحمه الله كلما اجتمعتُ به ودارت بيننا أكواب المطارحة والمسامرة يثني على الأسلاف، ويمدح، ويرتع في رياض أوصافهم ويمرح، وكنتُ أشاهد منه محبّة ما شابها رياء ولا محاباة، ولما قدّر الله تعالى وارتحلتُ ثانياً لدار السلطنة المذكورة سنة سبع وتسعين بعد المائة اجتمعت به، وكان منفصلاً عن قضاء دار السلطنة قسطنطينية، وكان ولي القضاء بها قبل العام هذا بثلاث سنين، واجتهد في تنظيم أسعار البلدة المذكورة مع التفحّص التام على البيع والشراء لأجل رخص الأسعار، وإزالة المحتكرين وغيرهم، فحمدت الناس قيامه في ذلك وأحكامه، وشكرت صنيعه، ووصل خبره للسلطان والوزير الصدر السلحدار محمد باشا، وألبسه الخلعة السمور بالديوان السلطاني تكريماً له وتوقيراً، وحين اجتمعتُ به رأيت من الملاطفة ما زاد عن الحدّ، وكان جسوراً غيوراً نبيهاً نبيلاً عارفاً ببعض الفنون، معتقداً للأولياء والصلحاء، حسن الملاطفة والعشرة، ولم يزل على حالته إلى أنْ مات، وكانت وفاته مطعوناً، وأنا في دار السلطنة المذكورة في ليلة الجمعة رابع عشري رمضان سنة سبع وتسعين ومائة وألف، ودفن بالتربة التي خارج باب أدرنة بالقرب من قبر شيخ الإسلام مصطفى بن محمد الدرّيّ رحمهما الله تعالى.

نعمان الحنفي الخواجكان:

٧٢٢ ـ نعمان الحنفي الخواجكان بن محمد الحنفي الأدرنوي نزيل قسطنطينية، المعروف بالخواجكان، ورئيس الكتاب في الدولة العثمانية: كان عارفاً أديباً كاتباً متقناً ماهراً بالخطوط، وتوقيع المناشير السلطانية، والأوامر الخاقانية، مع مراعاة القوانين المطابقة للشريعة، قدم دار السلطنة قسطنطينية وأخذ بها الخطوط والكتابة عن الأستاذ عبدالله يدي قللي الكاتب المقدّم ذكره، وغيره، وبرع في الأقلام جميعاً وأتقنها بأنواعها على طرائقها، وسلك طريق الكتّاب في الديوان العثماني، واشتهر أمره، وصار كاتب الديوان المذكور، وتذكرجي ثاني، ثم صار كاتب أوجاق العسكر الجديد، وتوفّرت حرمته وعلا قدره وازداد وجاهة، حتى صار رئيس الكتاب إلى أنْ مات، وكانت وفاته يوم الثلاثاء عاشر شوّال سنة ثمانين ومائة وألف، والأدرنوي: نسبة إلى أدرنة، بفتح الألف وسكون الدال المهملة وفتح الراء المهملة أيضاً ونون وهاء، بلدة عظيمة، رحمه الله.

نعمة الفتّال:

٧٢٣ ـ نعمة الفتال الشافعي الحلبي، الشيخ الفاضل البحّاث: ولد بحلب ونشأ بها، واشتغل بطلب العلم على من بها من الأفاضل، وأخذ عن أبي السعود الكواكبي وغيره، واجتهد في تحصيل الكمال، إلى أنْ بلغ المحل العالي بين كل الرجال، وكانت له اليد الطولى في معرفة العلوم العقلية والنقلية، ودرّس بجامع حلب واستفاد وأفاد، وانتفع به

جملة من الطلبة من أهل حلب والواردين عليها، وكانت وفاته بها بعد الخمسين ومائة وألف عن ثمانين سنة تقريباً رحمه الله تعالى.

نوح شيخ زاده:

٧٢٤ ـ نوح شيخ زاده بن عبدالله بن حسين، المعروف بشيخ زاده الحنفي القسطنطيني، أحد رؤساء الدولة وأعيان كتابها المعروفين بالخواجكان: ولد بقسطنطينية دار السلطنة العثمانية، ونشأ بكنف والده رئيس الكتاب المارّ ذكره في محله، وقرأ القرآن وغيره من المقدّمات، وأخذ الخطّ عن والده المذكور، ومهر وبرع بأنواعه، وبالإنشاء والترسّل، وحصّل الكمالات والمعارف، وولي المناصب الرفيعة، كأمانة الدفتر السلطاني، وصار رئيس الكتاب بالوكالة وغير ذلك، وفاق على ذويه في زمن السلطان محمود خان، واشتهر بين رؤساء الدولة، وكانت وفاته سنة إحدى وخمسين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

نور الدين الأسدي:

٧٢٥ ـ نور الدين الأسدي بن علي الأسدي الصفدي نزيل دمشق الشيخ الصالح الدين السمح: توفي بدمشق يوم الأحد حادي عشر شوّال سنة سبع ومائة وألف رحمه الله تعالى.

حرف الهاء: ليس فيه أحد.

حرف الواو: ليس فيه أحد.

حرف اللام ألف: ليس فيه أحد.

حرف الياء التحتيّة

يحيى البرّي:

٧٢٦ ـ يحيى البرّي بن إبراهيم بن أحمد المدني الحنفي، الشهير بالبرّي، الشيخ الفاضل العالم الكامل أبو زكريا: ولد بالمدينة المنورة سنة خمس وثمانين وألف، ونشأ بها وطلب العلوم، وكرع من بحار المنطوق والمفهوم، فأخذ عن والده، وعن الشهابي أحمد أفندي المدرّس وغيرهما، وفضل ونبل قدره، ونسخ بخطه كتباً كثيرة، منها حاشية الأشباه للحموي، وكان أحد الخطباء والأئمة بالمسجد الشريف النبويّ، ولم يزل على حالة حسنة وطريقة مثلى إلى أنْ توفّي، وكانت وفاته بالمدينة سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف، ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى، وله شعر لطيف منه قوله مخمّساً:

يا ريم رامة والعقيق وحاجر يا مَنْ تبرقع بالجمال الباهرِ
فزها برونقه البهيّ الزاهر بالله ضعْ قدميك فوق محاجري
فلطالما اكتحلت بطيب ثراكا

وانظر لصبٍّ هائم بين الورى جرت الدما من مقلتيه كما ترى
وارفق به لتكفّ عنه ما جرى واردد بوصلك ما سلبت من الكرى
فلقد رضيتُ من الزمان بذاكا

فهواكُ يا مَنْ قد أسال مدامعي يمسي ويصبحُ آخذاً بمجامعي
فاردد فؤادي بالخطاب الجامع وأعد حديثك لي فإنّ مسامعي
في شاقة أبداً إلى نجواكا

هي خمرتي وبها ذكاء قرائحي هي نشأتي ولها تميل جوانحي
هي للجراحِ مراهم يا جارحي يا بغيتي فلذاك كل جوارحي
تهوى حديثك مثل ما أهواكا

يحيى الدجاني:

٧٢٧ ـ **يحيى الدجاني بن درويش المقدسي الدجاني الشافعي الخلوتي، خادم ضريح نبي الله داود ببيت المقدس:** ترجمه الشمس محمد بن عبد الرحمن الغزي في ثبته، فقال: كان من عباد الله الصالحين، مواظباً على نوافل الطاعات، من التهجّد والصيام والأوراد، وذكر الله تعالى، رافقتُهُ سفراً وحضراً، فرأيته على جانب عظيم من الدين والصلاح، وصيانة اللسان ومحبة الناس والتواضع، وقدم إلى الشام مرات، آخرها سنة ثلاثين، واستشهد على يد قطاع الطريق ما بين القدس والخليل في سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

يحيى الجالقي:

٧٢٨ ـ **يحيى الجالقي بن إبراهيم الدمشقي الحنفي، الشهير بالجالقي، رئيس الكتاب بالقسمة العسكرية بدمشق الكاتب البارع:** كان من عقلاء الكتاب، عارفاً بفن الصكوك محافظاً للأعيان، ظريفاً في ذاته، مغرماً بالجمال، واشتهر بذلك، متقناً فن الأذكار، له دربة في الأمور الخارجية، كثير التهور على مشارب الكمال، وكان له حذق في الأفراح والجنائز، وتوزيع الصدقات، مع حلاوة وسعة يوجد في خدم الأعيان ويصرف نفسه، وكان قاطناً بالمدرسة العادلية الكبرى، ثم أخذ داراً بالقرب من دار بني منجك خارج باب جيرون، وأتعب نفسه بها، وجعلها وقفاً، النصفُ على مدرستنا المرادية، والربع للمؤذنين، والربع للسميساطية، وكان في الأصل حاله مضمحل، ثم تنقلت به الأحوال إلى أنْ لازم الصدر الدفتري السيد علي الحموي الدمشقي، وانتمى إليه، فلما عزل ومال، انتمى إلى الشهم الكبير السيد محمد الفلاقنسي الدفتري بواسطة بعض مترددیه، وصار له القبول عنده، وأظهره للوجود بعدما كان من الميدان مفقوداً، ثم بعد وفاة الفلاقنسي المذكور هبط عن أوّله وكبر سنّه، ولم يكن كما كان، ولم يزل على هذه الحالة إلى أنْ مات، وكانت وفاته في سنة خمس وثمانين ومائة وألف، وقد ناهز التسعين، وصلّي عليه بالجامع الأموي، ودفن بمقبرة مرج الدحداح خارج باب الفراديس رحمه الله تعالى.

يحيى الاسطواني:

٧٢٩ ـ **يحيى الاسطواني بن أحمد بن حسن بن محمد بن محمد بن سليمان العاقل المفنن الاسطواني الحنفي الدمشقي الفاضل الأديب:** كان فاضلاً أديباً عارفاً بارعاً كاتباً منشئاً، يعرف كثيراً من الفنون؛ مع اللطافة وحلو المعاشرة وحسن المحاضرة، والخط الحسن والإنشاء البليغ، والصوت الشجي المطرب، اشتغل بطلب العلم على جماعة من علماء عصره، كالأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي، والشمس محمد بن عبد الرحمن الغزي العامري، ولازم الفقيه علم الدين صالح الجينيني، وأعاد له درسه في الدرر والغرر مدة سنين، وصار مرة كاتباً للأسئلة الفقهية، وأميناً على الفتوى، وأعطي رتبة الداخل المتعارفة بين الموالي، ودرّس بالمدرسة الجقمقية، وكان في ابتداء أمره أحد الشهود والكتاب

بمحكمة الباب، لكن الدهر به تقلّب، وعلى نفسه تغلّب، حتى أورثه السوداء، ومع ذلك فلم يترك مطالعة الشعر والكتب الأدبية، ومن شعره الذي غلا سعره قوله ولم أقف له على غيرها:

خذا حيثما غيض الرياض رواتع ... فقلبي بهاتيك الأجارع والعُ
وجدّا خليلي السري فلقلما ... تعرّض للساري الملث موانع
ودونكما نجداً ورامة واندبا ... فؤاد كئيب كي تجيب الأجارع
ففيها لقد ضاع الفؤاد وكم بها ... غدوت أخاً وجد وسرّي ذائع
فللّه ما أحلى المقام برامة ... فيا ليتَ شعري هل لها أنا راجع
ويا ما أحيلي صدح ورق حمائم ... إذا ساجلتها في الغوير سواجع
فكم لي في وادي الآراك أحبّة ... أقاموا ولي بين التلاع مواتع
وكم حملتني نسمة سحريّة ... عبير عرار والبدور طوالع
لقد كاد فودي أن يشيب لبعدهم ... على أنّني في الوصل خِلّي طامع
فخير زمان في المسرة لا مرا ... فإنّ به غصن الشبيبة يانع
فقل لي رفيقي هل أداني ربوعهم ... وتسفر عن بدر السرور مطالع
وينعم بالي وصل سعدي بلعلع ... وصبح التهاني بالتواصل ساطع
ألم ترني إنْ لاح برقٌ مناديا ... ألا يا لصحبي ها أنا اليوم جازع
وأنشد من وجدي وفرط صبابتي ... أبرق بدا من جانب الغور لامع
وإنْ ما تذكرت العذيب رأيت من ... عيوني شآبيب الدّموع تسارع
أروم انكتام الأمر والوجد مظهر ... من الشوق ما ضمّت عليه الأضالع
فكم رامَ سلواني العذول مزخرفا ... لزور مقالٍ وهو فدم مخادع
إذا قال دعْ ذكر التولّه والهوى ... أجبت بقولٍ للملام يدافع
لئن حفظت أيدي الغرام مكانتي ... فمدح خليل الفضل قدري رافع
ألا وهو مقدام العلوم ومن سما ... بآيات فضل ما لديها مدافع
وأحرز في مضمار كل فضيلة ... على الرغم سبقاً لم تنله المطامع
همامٌ على هام المجرّة فخره ... له أصل مجد في السيادة فارع
وليس له في العلم صنو وماله ... بنيل المعالي في البرايا مضارع
وأنّى يساوي كُنْهه فضل صفاته ... وشأ وضليع ليس يدرك ظالع
إليه لدى أهل الفضائل إنْ بدا ... خفي من المعنى تشير الأصابع
هو الجهبذُ الشهم الذي بلغ العلا ... وحلّ ذرى التحقيق إذْ هو يانع
إذا جال فوق الطرس طرف يراعه ... أتته المعاني وهي طرّاً خواضع
فلم أنسَ يوماً فزتُ فيه بنظرةٍ ... وأعينُ حسّادي عليه هواجع
أتيتُ حماه والفؤاد قد انطوى ... على كرب قد أبدعتها الوقائع

فبدّلها المولى سروراً وبعدها أمنت وضمتني إليها المضاجع
ألا يا خدينَ المجد يا فرد عصره بنظرة لطف منك إنّي قانع
لقد حزتَ من أسنى المفاخر ذروة لعمري عنها غير ذاتك شاسع
إليك ابن صدّيق النبي فريدة لقد وشحتها في القريض بدائع
أتتك وطير السعد أمّك ساجعا فطابت بطيب السمع منه المسامع
وعذراً فإنّ الفكرَ منّي قاصر ولكنّما جهد المقل المدامع
فَدُمْ راقياً أوج العلاء مؤيّدا وعزمك للأعداء كالسيف قاطع
مدا الدهر ما أبدى المشوق إلى اللقا أنيناً وما أبدى التواضع خاشع
وما صاغَ يحيى في البديع قوافيا تفوق الدراري أو ترنّم ساجع

وكانت وفاته ليلة السبت سادس عشري ذي الحجة سنة تسع وخمسين ومائة وألف، ودفن بمرج الدحداح خارج باب الفراديس رحمه الله تعالى.

يحيى بن بعث:

٧٣٠ ـ يحيى بن بعث بن تقي الدين بن يحيى، الشهير بابن بعث، نسبة لخال والده، الدمشقي الفاضل الفلكي الكامل الصالح التقي: كان عمله صنعة التجليد للكتب والحبر الجيد، من أرباب الظرف واللباقة، ولم يزل على حالته إلى أنْ مات، وكانت وفاته في يوم الثلاثاء خامس ذي القعدة سنة سبع ومائة وألف رحمه الله تعالى.

يحيى الجليلي:

٧٣١ ـ يحيى الجليلي بن مصطفى الموصلي، الشهير بالجليلي، الشيخ الأديب الفاضل الشاعر: ترجمه محمد أمين الموصلي، فقال: أحد رجال هذا البيت، كان مولعاً باكتساب الفضائل، واقتناء الكتب والأدب، لم يشتغل بزخارف الدنيا مع إقبالها عليه، بل كان شعاره الفحص عن المسائل، وكشف قناعها بالدلائل، مكّباً على تحصيل العلوم حتى قضي نحبه، ولقي ربّه، وكان قد أخذ العلم عن شيخنا الأجل موسى الحدادي، وتأدّب بأخلاقه، فكان لا تمرّ به ساعة وهو خال من مطالعة أو مناظرة أو مباحثة أو مناقشة، وله ميلٌ كليٌّ إلى الأدب والأدباء، ولد في سنة خمس وعشرين ومائة وألف، ودخل حلب سنة اثنتين وسبعين مع أولاد عمه، ثم رجع منها لبلده الموصل، ولشيخنا المذكور فيه مدائح عجيبة، فمن ذلك قوله من قصيدة بديعة مطلعها قوله:

رمى فأصمى فصاد القلب بالغنج ظبيٌ يصول بطرف فاتك دعجِ
وذو محيا إذا لاحت محاسنه أغنى بطلعته الغرّا عن السرج
وحمرة الخدِّ مُذْ قامت بوجنته هامع الكليم بها حف الغرام شجي
سرى فضل بليل الشعر معتسِّفا لكنَّ ثناياه أهدته إلى النَّهج
معقرب الصدغ معسول اللّمى عنج مسكيّ ثغر بصرف الراح ممتزج

ومنها:

راحٍ إذا زوّجوها بابن غادية ... راحتْ برائحة من أطيب الأرجِ
إنْ شئت خذها من الأقداح صافية ... أو شئت خذها من الأحداق وابتهجِ

ومنها:

في روضة كلّما مرّ النسيم بها ... طابتْ بيحيى المعالي طيب الأرج
ثبت الجنان إذْ الأبطال واجفة ... تحت القتام ونار الحرب في وهج
والباسم الثغر والأبطال عابسة ... في موقف بين سلب الروح والمهج
فإنْ أقام أقام السعد في خدم ... أو سارَ فالنصرُ يتلو آية الفرج
من معشر جبلّت أخلاقهم كرما ... على السخاء وفاض الكفُّ كاللجج
فتح وحتف يمين الفضل قد جمعت ... ذا للمحبِّ وذا للكاشح السمج

ومنها:

تسعى المعالي إلى علياك باسمة ... تبسم الروض في أزهار منتسج
ما في نظامي غلوٌّ في المديح لكم ... أنتَ الفريدُ وبعض الناس كالهمج
خذها أبا يوسف عذراء ناهدة ... إليك عاجت ونحو الغير لم تعج
لا زلتما في منار السعد ما بزغت ... شمس النهارِ ودار البدر في السرج

انتهى، وكانت وفاته سنة اثنتين وسبعين ومائة وألف، ودفن بالمقبرة الجليلية تجاه الباب الحديد قريباً من مرقد الشيخ وليّ الله عناز.

يحيى التاجي:

٧٣٢ ـ يحيى التّاجي بن عبد الرحمن بن تاج الدين بن محمد بن أبي بكر بن موسى بن عبده الولي الكبير المدفون بالجبل الأقرع من أعمال أنطاكية: المترجم في درر الحبب، الإمام الشهير في التقرير والتحرير، كان رحمه الله تعالى علامة فهامة، متوشحاً بحلي الفضائل والكمال، ولد ببعلبك ونشأ بها في حجر والده، فقرأ عليه، وعلى أخيه الشمس محمد، وعلى الشيخ أبي المواهب الحنبلي، والملا إلياس بن إبراهيم الكوراني، والأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي، والجمال عبدالله العمري العجلوني نزيل دمشق، والعماد إسماعيل بن محمد العجلوني، والشمس محمد بن علي الكاملي، وغيرهم من علماء دمشق الشام، ممن عاصر هؤلاء الأعلام، وحجّ سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف، فأخذ في حجّته تلك عن الجمال عبدالله بن سالم البصري، والشهاب أحمد بن محمد النخلي، والشيخ أبي الطاهر محمد بن الملا إبراهيم الكوراني، والشيخ علي الإسكندري، وأخذ بدمشق عن الأستاذ الجد الشيخ محمد مراد النقشبندي، وتولّى الإفتاء ببعلبك بعد وفاة أخيه، وصار له النهاية في نفاذ الكلمة عند الخاص والعامِ، وسارت بأحاديث ثنائه الركبان، وافتخر بطلوع

علاه الزمان، ومدح بالقصائد الشهيرة، من أهل بلاد كثيرة، وأثبتها في مجاميعه، وأقرأ الشفاء بتمامه في درسه العام، وكان يلقى الشروح بتمامها من حفظه، وتوجّه مع والده إلى الروم، وصارت له الرتبة السليمانية المتعارفة بين الموالي، وكانت وفاته ببعلبك سنة ثمان وخمسين ومائة وألف عن ثلاث وستين سنة رحمه الله تعالى.

يحيى الموصلي:

٧٣٣ ـ يحيى الموصلي بن فخر الدين الموصلي مفتي الحنفية، الشيخ الفاضل النبيل المفنن البارع: ولد بالموصل سنة اثنتي عشرة ومائة وألف ونشأ بها، وترجمه السيد محمد أمين الموصلي، وقال في حقّه: ربيع الفضل والمحاسن، صاحب الفضائل والكمال، مرجع الطلاب وأرباب المعالي، وبالجملة فهو بالشرف، كالنار على العلم، وبالكرم كذوارف الديم، أصلٌ طاهر، وفرعٌ زكي، ونسب قرشي علوي، ليس في الموصل كصحة نسبه، ونسب أبناء عمه الأنسبة السيادة التي في باب العراق، أبناء السيد عيسى الطحاوي، ثم هذا السيد يتيمة زمانه، له صدقات جارية، وللفقراء في ماله رواتب ووظائف، فيقال: إنه في كل يوم يعطي زهاء ثلاثين راتباً، ومنزله ربيع الضيوف وأبناء السبيل، لا يمرّ به يوم إلاّ وعنده ضيف أو أكثر، وقد مهر في الفتوى والعلم والتقدم، وكان توجيه الفتوى إليه سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف، ثم أخذت منه ثم عادت إليه، وله الأيادي المشهورة، والمحاضرة المبرورة، والفضائل المعمورة، وأخذ علمه عن جماعة، منهم الشيخ حمد الجميلي فقيه وقته، وهو الآن يقرىء التفسير للقاضي، يقرأه على جماعة من الطلبة ما بين فاضل وزكي عاقل، وله الخبرة التامة في صناعة الفارسية واللغة التركية، وبالأسطرلاب والربع والمجيب، وغير ذلك من الفضائل، ونظمه أحلى من القند.

وترجمه صاحب الروض، فقال: واحد الفضل ومرجعه، ومنبع العلم وموضعه، الذي عقدت عليه الخناصر، وورث الفضل كابراً عن كابر، فهو الفاضل الذي أورق غصن شبابه في ساحة المجد والفتوّة، حيث ناداه قلم الإفتاء من أعلى هامات الفضل يا يحيى خذ الكتاب بقوّة، قد عقدت رايات الكمال عليه وانتشرت، وضمخت جوانبه بعبير المعارف وانتشرت، سطعت أنوار الإفادة من جانبه في كل مقام، فأشرقت شمس أفضاله على رؤوس الربى وهامات الأكمام، فاسترقّ بلفظه الرائق أبناء الزمن، فكان أدبه ألذُّ للعيون من معاطاة الوسن، انتهى. وحج في سنة سبع وخمسين ومائة وألف، وله شعر لطيف منه قوله مقرّظاً على الروض لعثمان أفندي الدفتري:

عقـودٌ وشحـت صـدر الطـروس ... أمْ السكـر المخـامـر للنفـوسِ
ومنثـور فصيـح راق معنـى ... بـروض مثـل صهبـاء الكـؤوس
شطـور سطـوره تنمـو وتـزهـو ... بـرونقـه علـى العقـد النفيـس
صحـائفـه لأعيـن نـاظـريـه ... تضـيء بـلاغـةً مثـل الشمـوس

فتهنـــا إذ وجـــدنـــاه كـــأنـــا ثملنـــا مـــن حســـاء الخنـــدريـــس

وله غير ذلك من الأشعار، وكانت وفاته سنة سبع وثمانين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

يحيى البغدادي:

٧٣٤ ـ يحيى البغدادي مكتوبي والي بغداد علي باشا المقتول، الشيخ الأديب الكاتب الشاعر البارع الأوحد: كان فرداً من أفراد الدهر، له اليد الطولى في صناعتي النظم والنثر، فمن شعره قوله مادحاً السيد عبدالله أفندي الفخري:

أَبارقٌ لاح فـــي الـــديجـــور للعيـــن | أمْ الحبيـــب رنـــا نحـــوي مـــن العيـــن
أمْ غـــادة أسفـــرت عـــن درّ مبسمهـــا | فـــلاحَ للعيـــنِ ليـــلاً درّ بحـــريـــن
أمْ قـرقـف قـد بـدا بحلـى بكـأس طـلا | يسعـــى بهـــا أغيـــدَ بـــادي العـــذاريـــن
أمْ الحسيـــبُ النسيـــب المستطـــال بـــه | ســـلالـــة المصطفـــى وافـــي العـــراقيـــن
نتيجـة الفخـر عبـدالله قطـب سمـا الـ | ـكمـــال حقّـــاً بـــلا شـــكٍّ ولاميـــن
بنيلـــه للمعـــالـــي قـــد غـــدا علمـــا | وبـــالبســـالـــة أضحـــى قـــدوة الكـــون
إمـام عصـر غـدا نـور العيـون كمـا | غـــدت هـــدايتـــه تهـــدي الفـــريقيـــن
كشّـاف كـرب شهـاب ثـاقـب أبـدا | قـــامـــوس علـــم غـــدا عـــارٍ مـــن الشيـــن
حقـــائـــق المجـــد فيـــه خلتهـــا دررا | كـــأنّهـــا منـــح تنحـــي مـــن الـــديـــن
ضـروب أمثـالـه فـي العـالميـن سمـت | كمـــا سمـــا فخـــره فـــوق السمـــاكيـــن
خـزانـة الـديـن منـه الصـدر ضمنهـا | فليتـــه بحمـــى خيـــر الفـــريقيـــن
كـلامـه الـدرّ أضحـى فـي نضـارتـه | كصـــرّة قـــد حـــوت حقّـــاً مـــن العيـــن
مفتـــاح كـــلّ ســـرور قـــولـــه حكـــم | مشكـــاة نـــور ومصبـــاح الجـــلاليـــن
قـد حـار فـي وصفـه وصّـافـه وغـدا | بفضلـــه نـــاطـــق نـــصّ الصحيحيـــن
أحيـا علـومـاً عفـت آثـارهـا وبقـت | فـــي النـــاس مهملـــة فـــوق الغـــريبيـــن
فمنيّتـي منـه كـالحصـن الحصيـن كمـن | وقـــاييـــه بلحـــظ العيـــن والعييـــن
مـولاي يـا نجـل فخـرٍ مُذْ وفـدت علـى | بغـــداد نـــاقـــد غـــدت تـــزهـــو بنـــوريـــن
وقـد حـوت شـرفـاً لمـا حللـت بهـا | ونـــالهـــا فـــي الـــدّنـــا فخـــر بفخـــريـــن
وقـد غـدت أرضهـا تـزهـو بقـاطنهـا | إذْ زانهـــا سكنـــا نجـــل الـــذبيحيـــن
فمـرحبـاً بـك حيّـاك الإلـه بمـا | تـــرومـــه منـــه يـــا زاكـــي الجنـــابيـــن
فـدمْ وعـش فـي أمـان الله مـرتقيـا | درج الكمـــالات مـــن حيـــنٍ إلـــى حيـــن

وله غير ذلك من الأشعار والنظام والنثار، وكانت وفاته مطعوناً ببغداد سنة ست وثمانين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

يحيى العقّاد:

٧٣٥ ـ **يحيى العقاد الحلبي، الشهير بالعقاد، الفاضل الكامل الأديب الشاعر المجيد:** ولد بحلب ونشأ بها، وأخذ عن أفاضلها، وبرع في علمي العروض والقوافي، وله بذلك اليد الطولى، وله النظم العجيب، وكان يعاني حرفة العقادة بسوق الباطية، وترد عليه أحبابه لأجل المذاكرة والاستفادة، ومن شعره حين بنيت منارة البهرامية لما سقطت تاريخٌ مكتوبٌ على بابها، وكان ابتداء البنيان سنة إحدى عشرة ومائة وألف وذلك قوله:

قامتْ فصادمها السحاب بمرّه ... وسمت بقدّ قدّ كلّ مشاد
حاكت علاء قد رطه المصطفى ... أس السخاء ومنها القصاد
فهو المعمر من أنارَ منارها ... وأثارَ أجراً آب دون نفاد
بشراه أجرى بالسرور بناءها ... والخيرُ أمنح بالهناء ينادي
ها كل وزن تمّ فيه مؤرخا ... جل استواها باستوا الأعداد
وهلالها باللّطف حلي مؤرّخا ... في عكس رقم كالجلالة بادي

سنة ١١١٢ ٩٠ ١٥٠ ٣٤٠ ٥١٥ ١٧

السيد يعقوب الكيلاني:

٧٣٦ ـ **السيد يعقوب الكيلاني ابن السيد عبد القادر ابن السيد إبراهيم الكيلاني الحموي ثم الدمشقي الحنفي الفاضل الكامل النبيل:** كان أديباً عارفاً فهيماً، صاحب نكات ونوادر، تارة معتكفاً في الزوايا، وتارة منعكفاً على الروايا، لا يعنيه ما يهمّه، بل منكب على لذاته، عشورٌ يحبُّ المداعبة والأخلاء والندماء، وغير ذلك، ودارَ كدوران الفلك، ثم استقر آخراً بقسطنطينية المحميّة، وكان حظّه منقوصاً في مبدء أمره، ثم تنفّس له الدهر وفكّه من أسر القهر، وظهر قدره بالسمو، وأعطي رتبة الخارج، ولما انحلّت تولية الجامع الأموي عن الشيخ إبراهيم بن سعد الدين الجباوي أخذها عن محلوله، فلما جاء الخبر إلى دمشق أرسل له والده ـ بل الله ثراه بوابل الغفران ـ ألفي ذهبْ واستفرغها منه، وصارت لوالدي، ثم لم يزل المترجم بقسطنطينية حتى مات، وكان ينظم الشعر الجيد فمنه قوله:

ربع الأحبّة بي إليك تشوّق ... قد كدتُ منه صبابة أتمزّقُ
وإذا ذكرتك فاض منّي عبرة ... لولا زفيري كنتُ فيها أغرق
أرسلْ فديتك مع نسيمات الصبا ... خبراً عن الشاوين عندك يصدق
فأنا لبرء نسيمها متعطّش ... ولعرفها الزاكي بهم أتنشّق
فنسيمها يزكو بمرّ ذيولها ... في روضة الغصن الذي هو يعبق
حيث الأزاهر كللت تيجانها ... درر الندى فغدت لها تتفتق

وله غير ذلك من الأشعار الرائقة، والترسّلات الفائقة، وكان فرداً من أفراد العالم فضلاً، وذكاء ونبلاً، لطيف المحاورة، حسن المذاكرة، ظريف النكتة والنادرة، وبالجملة

فأهل هذا البيت الطاهر المنسوبين إلى الأستاذ الأعظم الشيخ عبد القادر كلّهم دراري اهتدا، ودرر لطائف في كل ما خفى وبدا، وصاحب الترجمة من جملتهم، وكان وفاته مقتولاً شهيداً على يد قطاع الطريق فوق المعرة، في شعبان سنة خمس وثمانين ومائة وألف، ودفن خارجها رحمه الله تعالى.

يعقوب العفري:

٧٣٧ ـ يعقوب العفري بن مصطفى، الملقّب بعفري على طريقة شعراء الفرس والروم، الحنفي القسطنطيني الجلوتي بالجيم، أحد الشيوخ المشاهير بدار السلطنة العليّة العالم العارف الماهر المشهور: أخذ عن والده المعروف بضيائي الشهير، وعن الشيخ عثمان خليفة الشيخ سلامي، وتزوّج بابنته، وصار شيخاً في زاوية الشيخ محمود الخدائي الكائنة باسكدار، وكان يعظُ في جامع الوالدة الكائن في اسكلة قسطنطينية عند باب أربستان أحد أبوابها، وجمع صلوات شريفة وشرحها، وله من الآثار رسائل أخر، وأشعار، وكانت وفاته بها في سنة تسع وأربعين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

يعقوب الهندي:

٧٣٨ ـ يعقوب الهندي بن يوسف، الملقّب بالهندي، الحنفي الرومي الكاتب المشهور الماهر الكامل: ولد ببلدة نيكدة، وقدم قسطنطينية، وأخذ بها الخط المنسوب وأنواعه عن يحيـى الكاتب الرومي، وحصّل وأتقن الكتابة والخط المنسوب، وتنافس الناس بخطوطه، ودخل الحرم السلطاني، وخدم مدة ثمة، ثم خرج على عادتهم بكتابة وقف علي باشا العتيق الكائن بدار السلطنة قسطنطينية المذكورة، ثم رفعت عنه لأمر كان، ولما ولي الوزارة العظمى الوزير علي باشا الشهيد، جعله معلماً لخدّامه وغلمانه، وأعطاه كتابة وقف علي باشا المذكور وأرجعها إليه بموجب التوقيع السلطاني، بعد أنْ أخذت عنه، ولما جرى على الوزير المذكور ما جرى واستشهد في واقعة سفر النمجة سنة ثمان وعشرين ومائة وألف، تعرّض بعض الحسّاد لاذيّة المترجم، وسعى بأخذ الكتابة المذكورة عنه، فوليها غيره، ولما رأى المترجم من الزمان ما كدّر عيشه الصافي وبدّل فرحه بالترح، خرج من قسطنطينية يسير الأغوار والأمصار، وقدم البلاد الشامية، وارتحل منها للحجازية والمصرية، واستقام مدة بهذه الأقطار، ورأيت من خطّه آثاراً حسنة الوضع والكتابة، والبعض منها عندي، وذكر أنه كتبها بدمشق سنة اثنتين وثلاثين بعد المائة، ثم بعد أنْ جاب البلاد وانقضت مدّة الاغتراب عاد لدار السلطنة، ووافاه الحظ الكامن في خبايا الأيام، وعُيّن معلماً للخط المنسوب في الدائرة السلطانية، وكان السلطان أحمد خان الثالث يهشّ إذا رأى المترجم، وهو الذي لقبّه بالهندي، ثم تغيّرت به الأحوال، ووقع من الهرم بأوحال، وانقطع في داره سنين، وكانت وفاته بقسطنطينية سنة ست وتسعين ومائة وألف، ودفن باسكدار، ونيكدة: بكسر النون وياء ثم كاف سانة ودال مفتوحة وهاء، بلدةٌ بالقرب من قونية، رحمه الله تعالى.

يعقوب باشا الوزير:

٧٣٩ ـ يعقوب باشا الوزير: قدم حلب مرّتين، مرة حين انفصاله من صيدا ماراً إلى أدرنة، ومرة حين قدمها والياً سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف، سار في مبدأ أمره سيرة حسنة بحلب، ثم جاز لما أمر بالجردة من حلب لاستقبال الحجيج، ولم يعد منها لحلب بل توجّه إلى دار السلطنة، فإنه كان دعي للمصاهرة، وكان رحمه الله تعالى لا بأس به، له شفقة ومحبّة للفقراء، وفي أيامه وصل سفير طهماس قولي المدعو بنادرشاه من مملكة إيران لحلب مجتازاً لدار السلطنة، واحتفلت له الدولة العلية إظهاراً لأبّهة السلطنة، ومعه تسعة من الفيلة على ظهورهم التخوت، وهم أمام السفير كل هنية يقفون لسلامه، ويأمرهم الفيال فيطأطئون خرطومهم حين السلام، وكان وصولهم لحلب ثامن شوّال سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف، وكان يوماً مشهوداً حضرت أهل القرى كلّها لأجل مشاهدة الفيلة، واسم هذا السفير حجّي خان، كان من أهل العناد والطغيان، وكان قدم سفير آخر من طهماس المذكور واجتاز بحلب عاشر شوّال سنة خمس وأربعين ومائة وألف لجمع الأسارى، والقصّة مشهورة إلاّ أنه لم يكن بهذه الأبّهة، وخرجت إليه نساء الأعاجم اللاتي كنّ أخذن أسارى واستولدنَ، فمنهم من أبى وهو الأقل، والباقون تبعوا السفير لارتكاب القبائح علناً، وتوفّي بعد ذلك بقليل رحمه الله تعالى.

يعقوب الموصلي:

٧٤٠ ـ يعقوب الموصلي بن خلف الموصلي الحنفي الفقيه الزاهد: كان صاحب ديانة وفقه وعلم وعمل وانقطاع إلى الله، وليس له اشتغال إلاّ بالصلاح والزهد، ومراجعة فضلاء العصر، كالسيد يحيى أفندي الفخري مفتي الموصل، وله معرفة وخبرة تامة في المسائل الدينية، وهمّة عالية في قضاء حوائج الناس، ودخل حلب مرتين ورجع إلى الموصل، وكانت وفاته في أواخر هذا القرن رحمه الله تعالى.

يس اللّدي:

٧٤١ ـ يس اللّدي الفقيه الشافعي المحدّث المفسّر المنطقي النحوي الأديب المفنن: كان له قدمٌ راسخ في العبادة والإفادة لطالب الاستفادة، رحل إلى الأزهر بالقاهرة، وأخذ عن جملة من الشيوخ، كالنجم محمد الحفني، والشهاب أحمد بن عبد الفتاح الملوي، وأحمد بن عبد المنعم الدمنهوري، والشيخ علي الصعيدي، والشيخ حسن المدابغي وغيرهم، وأجازوا له، ثم رجع منها وتوطن مدينة نابلس، وتصدّر هناك للتدريس والإفادة، ولما عمر الوزير سليمان باشا الجامع الشرقي المعروف بالوزيري، نصبّه إماماً به ومدرساً، فتصدّر لذلك وقام بحقوق ما هنالك، فأفاد وأجاد ونفع العباد، وكانت وفاته في حدود التسعين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

يس الهيتي:

٧٤٢ ـ يس الهيتي[1] بن عبد القادر الهيتي، ثم البغدادي الشافعي، الشيخ الفاضل العالم الكامل: أخذ الفقه والمعقولات عن الجمال عبدالله بن الحسين السويدي، والشيخ حسين الراوي، وبرع وفضل ودرّس ببغداد، وانتفع به خلق كثيرون، وكان له نفس مبارك على المتعلمين، وكانت وفاته سنة اثنتين وسبعين ومائة وألف، ودفن بالتربة الشونيزية رحمه الله تعالى.

يس الكيلاني:

٧٤٣ ـ يس الكيلاني بن عبد الرزاق بن شرف الدين بن أحمد بن علي بن أحمد الكيلاني الحموي الشافعي، الشيخ الصالح المسلك المربّي المكمّل، شيخ الطريقة القادرية، والسجادة الكيلانية في الأقطار الشامية: كان وفاته في.............[2].

يس طه زاده:

٧٤٤ ـ يس طه زاده بن مصطفى، الشهير بطه زاده، الحلبي الحنفي، الشيخ العالم الفاضل البارع الأوحد: أخذ عن الشيخ أسد الدين الشعيفي، والشيخ سليمان النحوي، والشيخ أحمد الشراباتي الحلبيين، وعن السيد أحمد ابن السيد عبد القادر الرفاعي المكي، وغيرهم، وبرع وفضل ودرّس وأفاد، وذكره الشيخ عبد الكريم الشراباتي في ثبته من جملة شيوخه، وأثنى عليه، وكانت وفاته.........[3].

يوسف الغزي الشهير بالمقري:

٧٤٥ ـ يوسف الغزّي الشهير بالمقري بن أحمد بن عثمان الغزي، الشهير بالمقري، الشافعي، الشيخ الفاضل الأوحد البارع المفنن: ولد بغزة هاشم في سنة تسع عشرة ومائة وألف ونشأ بها، وقرأ القرآن العظيم وبعض المقدّمات في النحو والفقه على الشيخ محمد العامري، وفي سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف رحل إلى بغداد وقصد الحج، فدخل المدينة المنورة وأقام بها ثلاث سنين، وحفظ القرآن وجوّده في تسعة وعشرين يوماً، ثم رحل إلى مكة سنة سبع وأربعين وحج، ثم رجع إلى بلده غزة في سنة تسع وأربعين ولم يمكث بها إلاّ برهة، وذلك لأنه لم يكن له ما يقوم به، لأن أباه كان حائكاً، وكان فقيراً لحال كثير العيال، فلما رجع ابنه المترجم لم يجد ما يقوم به، ووجد أخاه فقيراً وعليه غرامات سلطانية لا يقوم بدفعها إلاّ بعد الجهد والنكال، فلم يستلذّ المترجم بالإقامة فيها، فكرّ راجعاً على عقبه إلى مكة المشرفة من عامه، وفي سنة خمسين ومائة وألف أخذ عهد الخلوتية بمكة المشرفة عن

(١) هِيتُ: هي بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار. معجم البلدان ٥/ ٤٨٢.

(٢) هكذا بياض بالأصل.

(٣) هكذا بياض بالأصل.

الأستاذ السيد مصطفى البكري، وأسمعه وحدة الوجود لمنلا جامي سماع بحث وتقرير، فحصل له ببركة الأستاذ غاية الفتوح، وفي سنة إحدى وخمسين توجّه من مكة المشرفة إلى البلاد اليمنية، فدار في مدنها سبع سنين، وفيها قرأ على الشيخ العلامة إسماعيل بازي أحد القراء الذين أخذوا عمن أخذ عن العلامة ابن الجزري، ثم رجع إلى مكة المشرفة ومكث فيها سنتين، ثم رجع إلى اليمن وحظي بها بالإمام، وأقاربه بسبب القراءة، لأنه كان يقرأ للأربعة عشر قراءة تحقيق واتقان، واشتهر هناك وضاع صيته للأخذ عنه، وتسرّى بجارية حبشية ورزق منها أولاداً، ثم في سنة ثمان وستين عزم على الرحيل، وتوجّه من اليمن إلى مكة المكرّمة، وحج ورجع إلى وطنه الأصلي غزة، فدخلها سنة تسع وستين ومائة وألف، وكان واليها إذ ذاك الوزير حسين باشا ابن مكي، فأنزله على الرحب والسعة، وصار يتردّد على ابن شيخه السيد مصطفى البكري، وهو شيخنا أبو الفتوح كمال الدين، وقرأ عليه حصة من شرح الفصوص، وحصّة من شرح التائية الفارضية للشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، وحصّة في علم الفرائض قراءة مذاكرة وتمرين، واستجازه بالرواية عنه، فأجازه وأعطاه يوماً أبياتاً له في مدحه وهي قوله:

وقائلة والدّمع مني غزيره ... يشابه مرجان البحور انهمالُهْ
عليكَ ببكريّ يسرّك وجهه ... وإنْ كنتَ محتاجاً يفيدك ماله
له رتبة في ذروة الفضل قد سمت ... فيا ليتَ لي يا صاحِ فينا كماله
إليك عظيم الوجد أشكوه سيّدي ... فبالله خبّرني فديتك ماله
أراك لذي الدنيا غيّاثاً لأهلها ... وللدّين يا ابن الأكرمين كماله

وبقي إلى سنة ثمان وثمانين ومائة وألف، فمرض بها ومات رحمه الله تعالى، وكان في حيز نفسه ساكناً وقوراً، عنده من كل علم ما يكفيه، له معرفة برواية الشعر ونقده وتمييزه، وكان من الفقر على جانب عظيم مع قلة الشكوى، والصبر على البلوى، وترك أولاداً هم الآن في غزة هاشم.

يوسف الشرواني:

٧٤٦ ـ يوسف الشرواني بن إبراهيم بن محمد أكمل الدين الزهري، الشرواني الأصل والمولد، المدني الحنفي العالم المحقق النحرير المدقق الفقيه المحدّث المتقن الجامع بين الرواية والدراية الصدر المحتشم: قدم إلى المدينة المنوّرة بعد أخيه علي أفندي المارّ ذكره في سنة ثمانين وألف، واشتغل بإفادة العلوم، وانتهت إليه رياسة الفقه في وقته، حتى قال الشيخ أبو حسن السندي الكبير يوم موته: اليومَ مات فقه أبي حنيفة، أرسل إليه العلامة شيخ الإسلام السيد فيض الله أفندي مفتي الروم، وهو ابن خال أبيه إبراهيم أفندي، منصب إفتاء المدينة المنوّرة بعد أن ردّها عليه أخوه علي أفندي، فلم يظهرها حياءً من أخيه المذكور، واستمرّ المنصب عليه ثلاث سنوات، ثم كتب إلى شيخ الإسلام المذكور يستعفيه منها

وترجّى عنده أن يردّها إلى صاحبها الأوّل السيد أسعد أفندي الإسكداري، ففعل، وتولّى القضاء نيابة، فاتفق أنّه توفي القاضي في تلك السنة، فكتب إلى الدولة العلية، فوجّهوا إليه نصف السنة بطريق الأصالة حيث كان في سلكهم، والمدينة إذْ ذاك من المخارج الثمان قبل الترفيع، وصار يكتب في إمضائه القاضي بالمدينة المنوّرة، وكان وجيهاً معظّماً في أعين الناس، كشّافاً للمشكلات، حلّالاً للمعضلات، ولم أقف على مشايخه، وله من التآليف، شرح على مشكاة المصابيح في ثلاث مجلدات، كبار، سمّاه «هدية الصبيح شرح مشكاة المصابيح»، وشرحاً على ملتقى الأبحر في مجلدين، وله عدّة رسائل، منها رسالة في كراهة اقتداء الحنفي بالشافعي، توفّي بالمدينة المنوّرة في الثالث عشر من شوّال سنة أربع وثلاثين ومائة وألف، رحمه الله تعالى، ودفن عند قبة سيدنا إبراهيم ابن رسول الله ﷺ.

يوسف القباقبي:

٧٤٧ ـ يوسف القباقبي بن محمد بن تاج الدين بن محمد بن أحمد بن زكي الدين، المعروف بالقباقبي، الدمشقي الخزرجي الشافعي البارع الأديب الشاعر النبيل: هو بعلي الأصل، وجدّه وأقرباؤه كلّهم من التجار بدمشق، لكن عمّه الشيخ أبو السعود كان من الفضلاء المنوّه بهم، ودرّس بالجامع الأموي، وترجمه الأمين المحبّي في تاريخه، وأمّا صاحب الترجمة فإنّه كان من الأدباء، ترجمه الأمين المذكور في ذيل نفحته، وقال في وصفه: نسيج وحده في الفضائل الجلائل، وعليه من الثناء برد من رقيق الغلائل، فروض أدبه صفا لمن ورد إليه، بظلّ ظليل ضفا برد برده، على عطف نسمات سرين إليه، وهو الآن متخلّ عن التعلّق بالعلائق، متخلّق بأحسن ما يتخلق به من الخلائق، يبين المخلف من الصيب، ويميّز الخبيث من الطيب، فهو مخلي بسكون وهدوّ، مظنّة فائدة في رواح وغدوّ، إلى منطق تزدري عذوبته بالرضاب، وطلاقة كما راق الفريد القرضاب، وفيه للطافة شواهد، تزفّ منها للمنى أبكار نواهد، وشعره درّ من بحور، نظم عقوداً في نحور، ذكرت منه ما يلذّ للطبع، لذة الماء يشرب من أصل النبع، وذكر له هذين البيتين لا غير وهما قوله:

أكــرمُ الأكــرميــن أنــت إلَهــي — وشفيــعُ الأنــام أكــرم خلقــكْ
أأرى بيــن أكــرميــن مضــامــا — أو مضاعاً حاشى الوفاء وحقّك

قلت وأخبرني بعض الأصحاب أنّ لهذين البيتين نكتة، وهي: أنّ صاحب الترجمة تقلّبتْ به الأحوال، وضاق عيشه بعدما كان من ذوي الدنيا، كما تقدّم، حتى صار كاتباً في بعض طواحين دمشق، فتفكّر يوماً من الأيام بحاله وما جرى له، ونظم هذين البيتين المتقدّم ذكرهما، فما مضى على ذلك ساعتان إلاّ ورجل مقبلٌ عليه ينادي باسمه، فنهض قائماً إليه، وقال له: ما مرادك؟ قال: مرادي أنت، أنْ تجيب إلى فلان يعني أحد تجار الشام، فذهب معه إليه، فلما رآه استقبله بغاية الإكرام والابتسام، وأخبره أنّ أحد أولاد عمّه بمصر مات، وانحصر إرثه فيه، وخلّف أموالاً عظيمة، ودفعوا له المكاتيب لمصرحة بذلك، فجدّ للسفر

إلى مصر، ورجع منها إلى الشام في تجارة عظيمة على عادته التي كان عليها، وكانت وفاته في أواخر سنة سبع عشرة ومائة وألف رحمه الله تعالى.

يوسف الحفني:

٧٤٨ ـ يوسف الحفني بن سالم بن أحمد الشافعي القاهري، الشهير بالحفني، الشيخ الإمام العالم العلامة الحبر البحر النحرير الفهامة الأديب الشاعر البارع المفنن، أبو الفضل جمال الدين: كان عديم النظير في الحفظ وحسن التقرير، مع التحقيق الباهر للعقول، والتدقيق المشتمل على أصول وفصول، أخذ عن جماعة من العلماء، وشارك أخاه في معظم شيوخه، منهم أبو حامد محمد بن محمد البديري، ومحمد بن عبدالله السجلماسي، وعيد بن علي النمروسي، ومصطفى بن أحمد العزيزي، والشمس محمد بن إبراهيم الزيادي الحنفي، وإمام المعقولات علي بن مصطفى السيواسي، والجمال عبدالله الشبراوي، والشهابان أحمد الجوهري وأحمد الملوي، والسيد محمد البليدي، وأخو المترجم النجم محمد الحفني، وأخذ الطريقة الخلوتية عن القطب مصطفى بن كمال الدين البكري، وعن غيرهم، وبرع وفضل، وسما قدره ونبل، ودرّس بالجامع الأزهر والمدرسة الطبرسية، ولما توفّي العلامة عبدالله الشبراوي شيخ الجامع الأزهر وصار أخو المترجم مكانه، وكّل صاحب الترجمة في التدريس عنه، وكان الشبراوي قد وصل في تدريسه في تفسير البيضاوي إلى سورة عمّ، فشرع المترجم من السورة المرقومة بتحقيق بهر العقول، وأعجب الفحول، مع إلقاء ما عليه من منقول ومعقول، وألّف مؤلفات دقيقة، وتحريرات أنيقة، منها الحاشية الحافلة على شرح الألفية للأشموني، وحاشية على شرح الخزرجية لشيخ الإسلام زكريا، وشرحان على شرح آداب البحث للمنلا حنفي، وشرح على شرح العصام للاستعارات، وشرح التحرير في الفقه، وله رسالة في علم الآداب وشرحها، ونظم البحور المهملة في العروض وشرحها، وديوان شعر مشهور، وغير ذلك، وكان رحمه الله تعالى من الرقة واللطافة على جانب عظيم، وسعة من الحفظ والتفهيم، يقرىء المتن والشرح، والحاشية لا يخل بحرف من ذلك، ويزيد عليه تحقيقات لطيفة، ومن شعره اللطيف قوله:

بأبي أهيفَ المعاطف أغيد ... كادَ من شدّة اللّطافة يعقد
ماسَ بين الغصون يزهو بخدّ ... نقطته يد الشقائق بالندّ
وتهادت بلقيس زينتها حين ... رأت قدّه كصرح ممرّد
خرّجت وردة الخدود حديثا ... وحديث الوردي أحسن مسند
بعث اللّحظ مرسلاً ونذيراً ... وتلاه العذار وهو مزرّد
ودعانا لشرعة الحبّ جهراً ... فأتيناه راكعين وسُجّد
ضلّت العاشقون إذ شبّهوه ... بهلالٍ أو غصنِ بان تأوّد
كفر الخال بالرسول فأمسى ... وهو في نار وجنتيه مخلد

ليتَ شعري من أين للبدر خدّ إنْ جرت فوقه المياه توقد
أو لغصن الرياض جيد إذا لا ح بليل الشعور خلناه فرقد
حسدتني الأيام فيه ولكن مثل هذا الجمال لا شك يحسد

وقوله:

واحيرتي في رشأ أكحل ذي أعين فتّاكة ذبلِ
ناصبة أهدابها للذي قد فرّ من أجفانها الغزل
سيوف لحظيه إذا جرّدت في سلبها الألباب لم تمهل
سلطان أهل الحسن في عصره وإنْ غدا في الحكم لم يعدل
إنْ ماس أو حرّك أعطافه أزرى بلين للقنا الأعدل
وإنْ رنا نحوك باللّحظ لم ينفعك من راق ولا مندل
إذْ قال لي خدّاه يا سيدي وردٌ لذيذُ القطف لم يذبل
ومال كالغصن إذا رنحت أعطافه ريح صبا شمائل
ومدّ جيداً قد حكى دمية لديه جيد الظبي لم يجمل
شممت من وجنته نفحة أزكى من العنبر والمندل
أودع في القلب بها حسرة لمهجة نيرانها تصطلي
كم مهجة أفنى وكم مقلة أدمى وكم قلب به قد بلي
ما لاح للأبصار إلاّ رأت سعودها في حظّه المقبل
تركيّ لحظيه إذا ما رنا سفك دماء الناس لم يمهل
يبخل بالوصل ولكنّه بالفتك في العشّاق لم يبخل

وقوله:

أوّاه من شادن تعمّد قتلي ونومي بالهجر شردْ
طلّق جفني كراه لما جفا وبالدمع صار يعتد
أباح سفك الدماء عمداً لما لسيف اللّحاظ جرّد
إنْ أنكرت مقلتاه قتلي دمي على وجنتيه يشهد
له قوام كغصن بان عليه طير الفؤاد غرّد
ونبل هدب للسحر عنه هاروتَ لما روى تفرّد
وسيف لحظ له سنان أمضى من الصارم المهنّد
فذاك يحتاج لانتضاء وذا يذيب الفؤاد مغمد
وخمر ريق مَنْ ذاق منه قطرة راح بغي وعربد
أما ترى العاشقين سكرى حين رأوا ريقه المبرّد
وليل شعر من ضلّ عنه غدا بصبح الجبين يرشد

نــاحــل خصــر لــه فــؤاد عــى محبيــه شبــه جلمــد
قــد أطلعــت وجنتــاه وردا مــن لــون ورد الــريــاض أجـود
وزانــه حــولــه عــذار أتــى بثــوب الــدّجــى مــزرّد
بعــد اخضــرار الشعــور منــه جنــي مــن الــذنـب عـاد أسـود

ومنها:

إنْ قلــت صلنــي يــزداد تيهــا أو ينثنــي مغضبــاً ويحتــدْ
أو قلــتُ زرنــي بجنــح ليــل يقــول فــي مــذهبــي قــد ارتـدّ
متــى رأيــت المحــبَّ يــومــاً نــال المنــى مــن وصـال أغيـد
يــا واحــداً لعصــرتــه دلالا علــى معنــى فــي الحــبّ مفــرد
مــا حيلتــي مــن تــلاف جسمــي وقــد جفــانــي صحـب وعــود
وعــاذلــي مُــذْ رأى هيــامــي وفــرط وجــدي بكــى وعــدّد

وله:

نبّهـت بـالـوعـد قـومـاً بـالـوفـا نبـذوا وقلـتُ عـودوا لـوعـدي عـود مُنْتَبِهْ
قـالـوا سلـونـاك خلّـي غيـرنـا بـدلا واحـذر مـن الـدهـر فـي مـرمـى تقلبـه
مـا كـان أحسنهـم عنـدي وأحفظهـم لـو أنّهـم فعلـوا مـا يـوعظـون بـه

وله محتشماً:

حسبـتُ الـدهـر لـي خِـلاًّ مطيعـا فـراعَ حشـاشتـي روعـاً شنيعـا
بصحـب خِلّتهـم حصنـاً منيعـا وإخـوان تخـذتهـم دروعـا
فكـانـوهـا ولكـن لـلأعـادي
رأيـتُ لهـم عهـوداً صـادقـاتُ وأحـوالاً لـودّي مظهـراتُ
ظننتهـم قسيـاً مـانعـات وخلتهـم سهـامـاً صـائبـات
فكـانـوهـا ولكـن فـي فـؤادي
فكـم ظهـرت لنـا منهـم عيـوبٌ ولاحَ لأعينـي فجـر كـذوبُ
وكـم حلفـوا يمينـاً أن يتـوبـوا وقـالـوا قـد صفـت منـا قلـوبُ
لقـد صـدقـوا ولكـنْ مـن ودادي

وله مضمناً:

لمـا رأيـتُ مـلاّح العصـر ليـس لهـم مـن الجمـال سـوى التكحيـل بـالمقـلِ
نـاديـتُ كفّـوا عـن التـدليـس وارتـدعـوا ليـس التكحـل فـي العينيـن كـالكحـل

وله:

أوّاه ممـا ألاقـي مـن لـوعـة وصـدودِ

ومـــن مـــلام عـــذولٍ ... يـــروم خلـــف وعـــودي
ومـــن دلالِ غـــزال ... يـــروم نقـــض عهـــودي
أو مِـــنْ سهـــامِ ووجـــد ... بـــه عـــدمـــت وجـــودي
ومـــن جـــوى وهيـــام ... لبعـــد قلـــبٍ شـــرود
مثقّـــف القـــدّ أحـــوى ... لمـــاه عـــذب الـــورود
مهفهـــف قـــد تعـــدّى ... بـــالفتـــك أقصـــى الحـــدود
بـــدر ظـــريـــف المحيـــا ... لـــدن القـــوام فـــريـــد
يـــا ليـــتَ شعـــري ألاقـــي ... وعـــدي بـــه أم وعيـــدي
ويشتفـــي حـــرّ قلبـــي ... منـــه بحـــل البنـــود
ورشـــف خمـــرة ريـــق ... وقطـــف ورد الخـــدود
وطيـــب عـــذب عنـــاق ... مـــن قـــدّه الأملـــود
هنـــاك أختـــال تيهـــا ... وتستتـــم سعـــودي

وله غير ذلك من النظام والنثار، وكانت وفاته في شعبان سنة ست وسبعين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

يوسف المالكي:

٧٤٩ ـ يوسف المالكي بن محمد بن محمد بن يحيى بن أحمد الدمشقي المالكي الشريف لأمّه مفتي المالكية بدمشق الشيخ العالم الفاضل المعمر الكامل الفقيه أبو الفتح جمال الدين: وبها نشأ، وقرأ على علماء عصره، وأخذ عنهم، كالأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي، والشيخ عبد الرحيم بن محمد الكابلي، والملاّ إلياس بن إبراهيم الكوراني، والشمس محمد بن علي الكاملي، والشيخ أبي الصفاء ابن الشيخ أيوب الخلوتي، وأجاز له خاتمة المسندين محمد بن سليمان المغربي نزيل دمشق، والمتوفى بها سنة ألف وأربع وتسعين، وصار أحد أمناء الفتوى عند الشيخ أبي الصفاء المفتي المذكور، واتصل بابنته، وتولّى إفتاء المالكية بعد أخيه السيد أسعد، وصارت له إحدى التداريس بوقف بشير آغا القزلار في الجامع الأموي بعشرة عثامنة، ولازم التدريس والإقراء في الجامع الصغير، وألّف كتابة عليه لم تكمل، وكان قد ورث من الخواجا السيد عبد الحق العاتكي مبلغاً وافراً من الدراهم، فصرفه على الإطراء بمدحه، والاشتهار، وعمر قصراً بالجسر الأبيض بصالحية دمشق، وصرف عليه مالاً كثيراً، وكان يميل للترفّه والتنعم، وكانت له عدّة وظائف، كتولية المدرسة الحافظية بالصالحية وغيرها، وله إدرارات لأجل الاشتهار، وصار شيخاً في الخلوتية، وعمّر زاوية ومنارة قرب داره، ودار بني البكري في حارة البيمارستان النوري، وأتلف على ذلك أموالاً جمّة، وصار يقيم بها الأذكار، ويختلي، ولم يزل يصرف ماله على المريدين والمنشدين، حتى صار من الشيوخ المعدودين، ولم يزل على حالته هذه حتى

توفي في ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف مطعوناً، عن نحو تسعين سنة، ودفن بتربة مرج الدحداح تحت رجلي القطب الشيخ أيوب الخلوتي بتربة الذهبية رحمه الله تعالى.

يوسف الطبّاخ:

٧٥٠ ـ يوسف الطبّاخ بن عبدالله، الشهير بالطباخ، الخلوتي الدمشقي، الشيخ الأستاذ الإمام الورع الزاهد العابد الناصح: كان من أولياء الله تعالى، معتقداً عند خاصة الناس وعامتهم، مع الديانة والتقوى، وكف الفضول، وهو في الأصل مملوك لبني الميداني التجار، فوفّقه الله إلى الخير، فأخذ طريق الخلوتية عن الأستاذ الكبير الشيخ حسن المرجاني البطائحي، المعروف بالطبّاخ، وهو أخذها عن العارف بالله الشيخ عيسى المعروف بابن كنان وتتلمذ للمذكور، ثم إنّه لما مرض كان له ولد فأراد خلفاؤه أن يخلفوا ولده، فقال: أرسلوا خلف يوسف، فلما جيء به بايعه وجعله خليفة على السجادة، وكان ذلك في سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف، ثم إنّه استقام بها إلى أنْ مات، وظهر منه صلاح وكرامات خارقة، وبدا كالشمس في رابعة النهار، وقيل إنّه كان من الأبدال، وصار يقيم الذكر في مدرسة السميساطية، وفي جامع التوبة، ويختلي في جامع تنكز في كل سنة، وأقبلت الناس عليه، ومما يُحكى عنه: أنّه جاء رجل من سادات الأشراف بدمشق وكان مولّعاً بشرب الخمر والفجور، فمرّ يوماً بزقاق، فرأى الشيخ يوسف المترجم، والناس تهرع إليه لتقبيل يديه، ويطلبون الدعاء منه، فعجب لذلك، وقال له: لأيّ شيء تهرع الناس إلى تقبيل يديك، وأنت جدّك نصراني، وأنا جدّي صاحب الرسالة ﷺ، ولا أرى الناس تقبّل يدي، فقال له لأنك تَبِعْتَ طريقة جدّي، وأنا تبعت طريقة جدّك، فأفحمه بالجواب، وتابَ إلى الله على يده من الفجور الذي كان يصنعه، ومن شرب الخمر، وصار من تلاميذه، وأخذ عنه الطريق، وعلى كل حال فإنّ الأستاذ المترجم هو الكامل المفرد، توفي رحمه الله سنة تسع وخمسين ومائة وألف، ودفن بتربة مرج الدحداح في الروضة، واتفق أنّه في تلك السنة أيضاً مات الشيخ أحمد النحلاوي فأرّخ وفاتهما السيد عبد الرزاق بن محمد البهنسي بقوله:

انتبـه يـا فـؤاد كـم أنـتَ لاهٍ ... إنّمـا هـذه الشـؤون مـلاهـي
شقـق العمـر لـم تـزل بـانطـواء ... كـل آنٍ حتـى يكـون التنـاهـي
وانـدراس الكـرام يـومـاً فيـومـاً ... مـوقـظ لـلأنـام والطـرف سـاهـي
وانقـراض الأعيـان أكبـر داعٍ ... لفسـاد الـزمـان دون اشتبـاه
كـان بـدران مشـرقـان بـأرض الشـ ... ـام بالفضل مالهم من يضاهي
بهمـا يـرفـع الإلـه بـلاء ... حيـث منهـم بـالخيـر آمـر نـاهـي
وبهـم تمطـر السمـاء انصبـابـا ... وبهـمْ فجـرّت عيـون الميـاه
غـربـا عـن دمشـق حيـن رآهـا ... قد غدت منزل ارتكاب المناهي
وبهـا خلّفـا سحـاب جـلال ... عبمـا كـان فيهمـا الـدهـر زاهـي

يوسف الزاهد المطيعُ تولّى حين داعى الهدى دعا بانتباه
ثم في أثره أجاب مطيعا أحمد الغوث من عباد الله
في رضاء الإلّه عاشا وماتا قلتُ أرّخه في رضاء الإلّه

سنة ١١٥٩ ٩٠ ١٢٠٠ ٦٧

يوسف النابلسي:

٧٥١ ـ **يوسف النابلسي بن إسماعيل بن عبد الغني بن إسماعيل الدمشقي الحنفي، الشهير كأسلافه بالنابلسي، الشيخ العالم العلامة العمدة الفهامة الفقيه الإمام الهمام الفاضل الكامل المقدام:** ولد بدمشق كما رأيته منقولاً بخط البرهان إبراهيم الجينيني، نزيل دمشق في سنة أربع وخمسين بعد الألف، ونشأ بطلب العلم والاشتغال به، فقرأ على جماعة، منهم المحقق الشيخ إبراهيم بن منصور الفتال، وغيره، وصار أمين الفتوى عند المفتي أحمد بن محمد الحلبي المهمنداري مفتي الحنفية بدمشق، وارتحل إلى الحجاز صحبة أخيه الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي في رحلته الكبرى، وكان ابتداء ارتحاله رضي الله عنه في غرة محرم سنة خمس ومائة وألف وهو يوم الخميس، ورجع إلى دمشق يوم السبت الخامس من صفر سنة ست، وحين خروجهما من مكة متوجّهين للشام وكان هو وأخوه الأستاذ على جمل واحد كل منهما في شقة، كان يوم وفاة المترجم يوم الثلاثاء رابع عشري ذي الحجة ختام سنة خمس في الثلث الأخير من الليل، فلقنّه أخوه الشهادة، وحضر موته، والحج سائر، ثم لما طلع صباح يوم الأربعاء كان المنزل منزلة رابغ موضع ميقات الإحرام، فحفروا له قبراً في الموضع المذكور في مناخ الحجاج من جهة المدينة، بينه وبين النخيل نحو مائة ذراع في وسط الطريق، ودفن هناك بمشهد عظيم، وأرّخ وفاته أخوه الأستاذ بقوله:

في طريق الحجّ قد مات أخي يوسفُ الفضل الذي كان فريدا
إنْ ترم تحسب فالتاريخ جا يوسف النابلسي مات شهيدا

سنة ١١٠٥ ٤ ١٥٦ ١٨٤ ٤٤١ ٣٢٠

ورثاه أيضاً بقوله:

بكيتُ على مفارقة الشقيق بدمعٍ أحمرَ مثل الشقيقِ
أخٌ قد كان بي برًّا شفيقا فواأسفي على البرّ الشفيق
وكان مساعد إليَّ في أموري جميعاً حافظ العهد الوثيق
يرى ما لا أرى في شأن عيشي ويتعبُ نفسه في دفع ضيقي
ولا يرضى بأدنى مس ضيم ألاقيه ولا شيء معيقي
ويجهد أنْ يراني في سرور وإنْ هو كان في أوفى مضيق
شقيقي يا أخي أنتَ ابن أمي رعاك الله من خِلٍّ صديق

ألا يا طالما دبرت شأني وقمتَ بعيشتي وبللتَ ريقي
وكنتَ كوالدٍ لي عند أهلي وأولادي على أهدى طريق
فتحمي حوزتي وتلمّ شملي وتجمعني بنصرك في فريقي
وحزت مروءة وحفظت جاها دنا من جملة النسب العريق
أفلتَ وكنت نجماً في سماء من الفتوى لإنقاذ الغريق

وهي طويلة، وفي هذا القدر كفاية.

يوسف الأنصاري:

٧٥٢ ـ يوسف الأنصاري بن عبد الكريم الأنصاري المدني الحنفي، الشيخ الفاضل النحرير الفقيه المفنن البارع: ولد بالمدينة المنوّرة سنة إحدى وعشرين ومائة وألف، ونشأ على طلب العلم والأدب، ورقي إلى أعلى الرتب، وأخذ عن والده الشيخ محمد بن الطيب الفاسي، والشيخ أبي الطاهر محمد بن إبراهيم الكوراني، والشيخ أبي الطيب السندي، وغيرهم، وألّف ونظم ونثر، فمن مؤلفاته منظومة في المناسك، نظم فيها المنسك الصغير للمنلا رحمة الله السندي، وشرحها شيخنا الزين مصطفى الأيوبي الرحمتي، شرحاً لطيفاً، ووجّه للمترجم منصب الإفتاء بالمدينة، لكن ما ساعدته الأقدار، فرفع عنه قبل ما وصل إلى المدينة، وله أشعار كثيرة، فمن شعره هذه القصيدة ممتدحاً جناب الحبر عبدالله بن عباس رضي الله عنه بقوله:

بالحبر لذو ببابه المعروف بالجبر والإحسان والمعروفِ
تلقاك منه كرامة فورية عجلاء مُذْهبة لكلّ مخوف
فلطالما والله أنقذ لائذا فيما مضى بجنابه الموصوف
رحب الفناء أبي عليّ ذي التقى حامي الذمار وملجأ الملهوف
يحمي ويمنع جاره ونزيله بين الورى من حادث وصروف
مُذْ كان أيام الحياة وهكذا بعد الممات بحاله المألوف
يا ربّ بلّغنا المرام بجاهه وأبيه عمّ نبيّك الغطريف
فلقد مددنا للنوال أكفّنا يا مَنْ نوالك ليس بالمكفوف
امنن علينا بالسماح وبالرضا عنّا فإنّ القلب في تخويف
ثم الصلاة على الموافي رحمة للعالمين وخصّ بالتشريف
والآل والأصحاب أقمارُ الدجى مَنْ بالصلاة نخصّهم بألوف
ما أنشد الوجل المجرّب قائلا بالحبر لذو ببابه المعروف

وله غير ذلك من الأشعار، وكانت وفاته شهيداً بالمدينة المنورة سنة سبع وسبعين ومائة وألف، بتقديم السين فيهما، ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى.

يوسف الخطيب المدني الحنفي:

٧٥٣ ـ يوسف الخطيب المدني الحنفي الشيخ الفاضل، العالم العلامة الأوحد البارع النحرير: ولد بالمدينة المنوّرة سنة اثنتين وخمسين وألف ونشأ بها، وأخذ عن أفاضلها، منهم العلامة عبدالله أفندي البوسنوي المدرس وغيره، وله من التصانيف شرح مختصر الدلجي في المصطلح، سمّاه فتح الكريم المنجى بشرح رسالة الدلجي، وغير ذلك، وكانت وفاته بالمدينة المنوّرة سنة ثمان عشرة ومائة وألف رحمه الله تعالى.

يوسف الجابري:

٧٥٤ ـ يوسف الجابري بن أحمد الحلبي الحنفي، الشهير بالجابري، مدرس الإسكندرية خارج باب الجنان باعتبار موصلة الصحن المتعارفة بين الموالي، الشهم الفاضل المحتشم نادرة الفضلاء ونابغة الفقهاء: ولد بحلب ونشأ بها، وقرأ النحو واللغة الفارسية على الفاضل الشيخ محمد بن هالي الحلبي، وقرأ على العالم الشيخ محمود البالستاني، والسيد علي العطار، والسيد عبد السلام الحريري، والشيخ عبد الرحمن البكفالوني، وقرأ الهداية على العالم المحقق السيد محمد الطرابلسي مفتي الحنفية بحلب، والفرائض والحساب على الشيخ مصطفى اللقيمي، والشيخ يّس الفرضي، وأخذ الحديث عن الشيخ عبد الكريم الشراباتي، وصار علماً في الفضائل يشار إليه، ومرجعاً في المعارف يعول عليه، جمع من مسائل الفقه ما تفرّق وشرد، فأوضح ما أغلق، منها وقرّب ما ابتعد، طالما استوعب الصباح مجداً في السهر، حتى أحاط من إيضاح مغلقات المعاني بما شئت شمل الفكر، وأحرز حسن الخط وقت الإنشا، ودرس مدة في مدرسة الإسكندرية التي جدد بناءها وأنشا، وكان ذا ذهن وقّاد، ونظر نقّاد، تولّى مهامّ الأمور في بلدته فأحسن تعاطيها، ومالت إليه قلوب أعاليها وأدانيها، ثم سلقته الحساد بألسنة حداد، فسافر في شوّال عام إحدى وسبعين ومائة وألف إلى القسطنطينية، وأقام بها، وحباه صدورها العظام، بما استوجبوه له من الاحترام، وأحاطوا بفضله ومعارفه علماً، وحققوا فيه حسن الظن والأخلاق حقيقة، ورسماً، فسمت سيرته، وزكت شهرته، فأمر بالذهاب لمصر في معية فاضل وقته، عباس أفندي أحد قضاة القسطنطينية، لحصول ما تعذر من الأموال الأميرية، فأبرز من المساعي ما حمد، ويسر الله تعالى إتمام المقصد، فقرّت منه العين، ثم أرجع للقسطنطينية عام أربع وسبعين موثوق القول، مشكور السعي والفعل، فاستخدم في نيابة الكشف، ثم تكرر في كتابة الوقائع بدار الخلافة العثمانية وحمد طوره، وذاع بالخير ذكره، فنزل المنازل البهية، وتراءت له بها أسنى المراتب العلية، فاخترمته المنية في العشر الأول من ذي الحجة عام ثمانين، ودفن باسكدار رحمه الله تعالى.

يوسف الحفني:

٧٥٥ ـ يوسف الحنفي الدمشقي نزيل دار الخلافة قسطنطينية الشهم الفاضل: اشتغل

بطلب العلم مع صنعة التجارة، وأخذ الطريقة الخلوتية عن السيد محمد العباسي، هو والعلامة المحقق الشيخ عبد الرحمن المجلد الدمشقي، وصحب الولي الشيخ عيسى بن كنان الصالحي، وقرأ على غيرهما، وذهب إلى الروم، ووقعت له رؤيا قبل ذهابه، وهي: أنّه لما توفّي شيخه السيد محمد العباسي الخلوتي في ربيع سنة أربع وسبعين بعد الألف، وأقام مكانه الشيخ عيسى الخلوتي بن كنان، نام في ليلة وفاته حزيناً لموته، كئيباً لا يدري كيف يتوجّه، فرأى في عالم الرؤيا أنّه داخل إلى التربة، وإذا بقبر الشيخ مفتوح، وهو جالس على ركبه واضع يديه على ركبتيه، متوكّأً عليهما، وكان رآه في حال حياته كذلك، فلما رآه قال له: يوسف بحذف النداء أخذت على عيسى خُذْ على عيسى، فإني خلفته، فاستيقظ، وكان ذلك الوقت آخر الليل، فتوضّأ وذهب إلى عند الشيخ عيسى بن كنان للمدرسة السميساطية، فرأى ضوءه مشعولاً، فطلع إلى خلوته فرآه يصلي التهجّد، فوقف إلى أنْ فرغ من الصلاة، فقال له: لولا يرسلك السيد محمد العباسي ما جئت إلى عندنا، اجلس فجلس فبايعه، وأخذ عنه العهد، ثم في ثاني ليلة رأى نفسه داخلاً إلى التربة المدفون بها شيخه العباسي، قبره مفتوح والشيخ جالس على الهيئة التي سبق ذكرها، فقال له يوسف أخذتَ على عيسى؟ قال: نعم يا سيدي، فقال: أسعدك الله، ثم بعد ذلك أخذته يد التقدير إلى الروم، ولما وصل إليها سكن في حجرة في بعض المدارس غريباً فقيراً لا أحد يلتفت إليه إلى مدة أربعة أشهر، فبينما هو في بعض الأيام جالس وإذا بعبد أسود عليه رونق يقول: أين يوسف الشامي؟ فلم يجبه، وظنّ أنه يطلب أحداً من الأروام، ولم يخرج إليه، فقال ثانياً: يوسف الشامي الذي جاء من الشام منذ أيام، فأشاروا له إليّ، فلما رآني قال لي: كلّم مولاي، فقام معه إلى أنْ وصل إلى دار، فلما دخل على صاحبها استقبله وعانقه وسلم عليه سلام مودة وصحبة بالغة، وأمره أنْ يقرىء أولاده القلبية، وأمره أن يجيء بأسبابه التي في المدرسة، وفرش له أوضة حسنة، وعيّن له خادماً، وعلوفة في كل شهر، ورقاه بالمناصب إلى أنْ أُعطي المترجم قضاء بير الأغراض، ثم برصا، ثم قبرص، فرحل إليها، وبعد مضي مدته قدم إلى دمشق لوطنه الأصلي زيارة، فصادفه التقدير بأنْ توفي بها، وكانت وفاته في يوم الاثنين لعشرين من صفر سنة اثنتي عشرة ومائة وألف، وصَلّى عليه الشيخ عثمان القطان بالجامع الأموي، ودفن بتربة الشيخ ارسلان رحمه الله تعالى.

يوسف الديري:

٧٥٦ ـ يوسف الديري بن شبلي الديري الشافعي، الشيخ الفاضل الفقيه البارع الصالح أبو المحاسن جمال الدين نزيل دمشق: أخذ الفقه عن النور علي الكاملي، والعربية عن ولده الشمس محمد، وكتب له إجازة مطولة، وقفت عليها مؤرخة بأواخر شوال سنة اثنتين وثمانين وألف، وبرع وحصّل، وصار له الفضل التام، وكانت وفاته في أوائل هذا القرن رحمه الله تعالى.

يوسف أفندي الذوق:

٧٥٧ ـ يوسف أفندي الذوق بن عمر بن عبدالله الحنفي الطرابلسي، الشهير بالذوق، الشيخ الفاضل العالم البارع الأديب الشاعر المتصوف: ولد في سنة خمس وعشرين ومائة وألف، ونشأ في عفّة وديانة، وطلب العلم، فأخذ عن جماعة في بلدته، منهم الشيخ محمد التدمري، وعبد الحق المغربي، والشيخ علي الاسكندري، والشيخ عبدالله الخليلي، ورحل إلى الأزهر، وأخذ به عن جملة من شيوخه، ومن جملة شيوخه، الشيخ إبراهيم الحلبي نزيل قسطنطينية، ثم ذهب إلى بلاد الروم، واجتمع بأساتذة كبار القدر في العلوم، ومدّة إقامته في قسطنطينية عند عبد الرحمن أفندي عرب زاده صدر أناطولي، وبعد انتقاله إلى رحمة الله تعالى رجع المترجم إلى بلدته طرابلس، ولم يتعرّض لمنصب ولا رتبة، وقد أرسل له محمد أفندي بيري زاده شيخ الإسلام ملازمة مفصولة عن قضاء، فلم يعمل بها ولا تعرض لموجبها، وأبقاها عنده في كوة النسيان، وله شعر كثير، يغلب فيه لسان أهل الحقيقة، منه هذه القصيدة أخبر هو عنها أنّه بعد إكمالها رأى حضرة قطب العارفين الشيخ عبد الغني النابلسي في المنام، فقال له بعد أنْ أنشدت بين يديه: متى عملتها أو نظمتها؟ فقال له: يا سيدي بعد أن طالعت شرح الفصوص، فقال له: أبشرك بكذا أو لك البشارة بكذا؟ وهي هذه:

تجلت فجلت عن شبيه صفاتها ... وعزت علاءً أنْ ترى لك ذاتها
عزيزة حسن مهرها النفس هكذا ... روى عن علاها في التجلّي رواتها
فمن لم يجد بالنفس لم يدر ما اللقا ... ولا عبقت في أنفه نفحاتها
ومن يدّعي مع نفسه وصل عزة ... فهاتيك عزاها لدينا ولاتها
بروض تجليها لدى سحب جودها ... بكى مزنها فاستضحكت زهراتها
بها عين تسنيم الحقائق مورد ... وعن ذوقها يروى شذاها سقاتها
فلا تغمضنها إنْ رأت واكحلنها ... بمرود تقواها يفور فراتها
فنيلُ العلا من ذي العلا وأبيك لا ... إذا حثّ نجب اليعملات حداتها
وسرّ حيث جوّ الجود صحو وبحره ... لفلكك رهو ما سرت نسماتها
فإنْ ظفرت يمناك منها بنائل ... حمته بأسياف الرّموز حماتها
وقد عبقت من طيبها أفق الحشا ... وضاء بشمس الراح صاح فلاتها
فلا تخشَ باساً إن سكرت بخمرها ... فقد حكمت بالحل فيها قضاتها
وكنْ خير راوٍ غير غاوٍ بثمرها ... تريكَ مقاليد المعالي هداتها
فما آفة الأخيار إلاّ غواتها ... وما آفةُ الأخبار إلاّ رواتها

وكذلك له قصيدة في الحقيقة المحمدية، على طريقة أهل الحقائق من الصوفية، جوزيَ عليها بخلعة سنية، من الحضرة النبوية، في مبشرة رآها في منامه، بين يقظته

وأحلامه، وهي هذه:

لمحتْ لنا من نورها لمحاتها ... فتضوّعت من نورها نفحاتها
ذات الجمال ولا جمال لغيرها ... إذْ تجتلي مُذْ تنجلي مرآتها
في غيهب الأكوان لما أنْ بدت ... فوقَ المنصّة أسفرت وحداتها
ولها تضاءلت الفهومُ وكيف تد ... ري شأوها أو شانها لمحاتها
فالعرشُ والكرسيّ والقلم الذي ... يجري على لوح الوجود هباتها
منها على الكونين أصل سيادة ... لما تحلّت بالتجلّي ذاتها
وغدت تصوّر فيض ذلك فيهما ... وعليهما واليهما جلواتها
فوسائط الكونين والثقلين مُذْ ... وجدوا لديهم كلّهم بركاتها
ودعاء نوح قومه بنيابة ... عنها لتبلغ في الورى دعواتها
وكذلك الرسل الكرام جميعهم ... نوّابها وكلامهم كلماتها
فهم وإنْ كانوا لها أباً فهم ... أبناؤها وبحارهم قطراتها
من لي بنفحة طيبها في طبها ... لفتىً كسته لينها عذباتها
أو رشفة من ثغره يحيى بها ... من أرض ذلة ما جنيت مواتها
أو رشف ما أبقاه أو أبقاه من ... أسقاه أو من قد سقته سقاتها
كيما يفوز بذوقها متعطش ... أو ينعش المضني بها نسماتها
فصلاة مولانا عليها دائماً ... وكذا علينا من عطاه صلاتها

وله هذه القصيدة يمدح بها شيخه الروحاني الشيخ عبد القادر الكيلاني قدّس الله تعالى سره:

رويدكَ حادي اليعملات فما أقوى ... على حثّ نجب يممت طللا أقوى
وحاك رويًا قد حكى نثر أدمع ... كنظم روى قد تخلّى عن الأقوا
لعلّ بريقاً عند ماسح مدمعي ... وأرعدني شوقي يلوح بي رضوى
أساوق آمال الأماني به كما ... تساوقني وعداً وتسبقني عدوا
لساحل بحر ساجل المزن كفّه ... بفك عرى قد زرّرتها يد البلوى
خضم بعيد الغور لكن بمدّه ... تشقّ لنا منه عيون ولا غروا
جناب أظلته سحاب مدائح ... على ثقة منه فأمطرت الجدوى
له مدّت العلياء أيدي فنالها ... كما نالتْ الآمال منه يد الشكوى
هو القطبُ عبد القادر العلم الذي ... له نشر طيب في الورى لم يكن يطوى
هو الفردُ محيي الدين أحيى بجدّه ... دوارس علم كان عن جدّه يروى
وإنّي لتعروني لذكراه هزّة ... كما اهتزّ صب رنحته صبا الأهوا
لقد قال حقاً في الملا قدمي على ... رقاب الأولى نالوا لولاية لا دعوى

أذيب لأهل الأرض في الماء حبّه كما آل بيت من محبته الأسوا
فمن رامه أورى زناد حرامه بحاجاته من نيل سعدي ومن أروى
على نهج من سرّ به سر به على مطيّة حبّ تصعد السرّ بالنجوى
وباكر لأقداح تراءت كأنجم روت عرف راح من معانيه لا يروى
وهيهات أنْ تدنو لمن كانَ أو لمن يكونُ ولو في غفلة بلغ القصوى
وذقْ من لماها واغتبق خمر حانها فطوبى لذوق من لمى ثغر من يهوى
فأكرم به من مفرد في محاسن نسيج سداها حيّك من لحمة التقوى
عليه سلام من سلام معطر بمسك ختام كي يكون له كفوا

وله قصائد في مدح القطب العيسوي السيد أحمد البدوي قدس سرّه منها هذه وهي قوله:

أسير الهوى مهلاً فقيد الهوى غلّ بعنق نفوس مدّها الحقد والغلُّ
إلى م ترى طبا هوى النفس طيبا وحتى م تستشفي به وهو معتلّ
عليك بأقداح أدارت رحيقها ثغورَ الشفاه اللّعس والأعين النجل
تبدّت على نجم من البدو حبّذا لِقاً بدويات يحجبن من قبل
شربن بما بحر العلوم أبى الهدى مغيث الورى إذ حف أرضهم المحل
إمامي أبي فرّاج أني توجهت له النجب تلقا مدين تلقه جمل
هو البدويّ الفرد أحمد من له على كل من قوّام ساحته فضل
هو العيسويّ القطب والعلوي الذي إذا مثلت أوصافه ما له مثل
وإني لتعروني لذكراه هزة كما اهتز غصني البان بلله الوبل
ومذ جنّ ليلي واستجنت مآربي خلعت له باب الحيا إذ عصى القفل
مجانين إلا أن سرّ جنونهم عزيز على أبوابهم يسجد العقل
كؤوس أدارتها شموس تبرقعت بسحب حياً يسقي القلوب فتخضل
بدور لهم منهم عليهم شواهد لدى الذوق إذ في فصل أحكامه عدل

وله قصيدة مدح بها قطب العارفين الشيخ محيي الدين العربي قدس الله تعالى سره منها قوله:

مرج بجلّق كالفردوس منظره جلَّ الذي ببساط البسط جمَّلَهْ
قد رصعت بلآلىء النور تربته كأنّه أفقٌ والنجم كلَّله
صرحا سليمان للإعجاب مدّ به كأنه للقا بلقيس أهله
ألم تر الشرف الأعلى يمدّ له يداً وبحر علوم الدين قابله
فادخل جنان معانيه تفزْ وترى حور المباني تداني من يمدّ له

وله تذييل بيتي العفيف التلمساني وتخميسهما على طريق السادة الصوفية رضي الله عنهم:

إلا أنْ طوري من تجلي مكوّني تصدع فانشقت عيون تفنّني
ومُذْ ظهرت بالدّمع عين تعيني نظرت إليها والمليحُ يظنّني
نظرت إليه لا ومبسمها الألمي
لقد فاح في الوادي المقدّس عرفها وألبسنا ثوب المعارف عرفها
فما لمليح حسن سلمى ولطفها ولكن أعارته التي الحسن وصفها
صفات جمال فادّعى ملكها ظلما
لقد عزّ من ذوق المعاني أولو النّهي وذلّ بأفكار المباني ذو والدها
فإنْ كنت منا أولها متوجّها فولِّ لها وجهاً ترى الحسن والبها
صفات لها حقاً وفي غيرها أسما

وله عند دخوله الثغر حماة المحروسة:

حماة حماة قد أبادوا العدا على صواهل جرد دأبها طلب القاصي
ومدّوا رواق الأمن فيها لطائع وقد دار قهراً في أزقّتها العاصي

وله في فسطاط مضروب على حافة البحر وفيه صديقه السيد إبراهيم أفندي:

انظر لموج البحر فوق الشطّ في حركاته مُذْ مدّ يحكي عسكرا
لمقام إبراهيم يأتي لائذا صفا فصفا ثم يرجع قهقرى
فكأنّه قد جاءه مستنجدا ومقبلاً من تحت أرجله الثرى

وكتب إليّ وأنا في طرابلس الشام:

لقد قيل فيم النظم منك لأوجه تقلب في جوّ المعاني لكي يزهو
فقلت مرادي سيد وابن سيد خليل مزايا ما له في الورى شبْهُ
لئن قيس من ساواه في فضل رتبة ففي الفضل لم يوجد لجوهره كنْهُ
ففي كل رمزٍ فيه شرحٌ لحمده وفي كل وجهٍ فيه رمزٌ له منْهُ
فاعجب بمن من رمزه شرح مدحه وأغرب بمن من حسنه كلّه وجْهُ

وكتب إليّ أيضاً:

أخو العلم فيما همّ أو أم تلقاه لمدين ما يرجوه يمم تَلْقَاهُ
فيقصرُ ممدود الأماني لنيله وإنْ كان يلقيه بذلة دعواه
لكل مرادٍ قد توخّاه جهده وأما مرادي عزماً قد توخاه
فنال به علماً يعزا طلابه بعيد على أبناء ذا العصر أدناه
تخلل فيه حبّه فغدا به خيلاً وهل يخفى الخليل خباياه

وإن كـان يخفـي السـرّ لكـن صفـاؤه ينـم فيـدي كـل مـا كـان أخفـاه
بعشـريـن حـولاً نـال منـه بنـائـل نهـايـة أهـل العصـر فـي صبـح مبـداه
سجـايـاه بحـرٌ رائـق فـوق كنـزه إذا مـا انقضـت أولاه مـاج بـأخـراه
إذا غـاص فيـه لاقتنـاص فـريـدة تبـدّى لنـا والـدرُّ بيـن ثنـايـاه
فليـس إلـى إدراكـه لمـؤمّـل سبيـل ولـو أفنـاه مـا قـد تـرجّـاه
ألـم يـدرِ أنّ العلـم عـزّ منـاره بـه وانجلـى صـدر الصـدور بفتـواه
فكيـف بـه إنْ مـاج فـي بحـر علمـه وأظهـر مـا يخفـي علـى النـاس معنـاه
وغنّـت علـى أغصـان روض علـومـه بـلابـل ذوق مـن نـدا فـاح ريـاه
هنـالـك تبلـى نفـس كـل مـؤمّـل بمـا كسبـت مـن فيـض بحـر عطـايـاه

للجناب العالي الاعتذار، من كلام ليل كتب في النهار، سبيله المحو، أو الصفح عن زلله والعفو، لما فيه من قصور، أبكار حورها تبرجت للظهور، كأنها نجوم، في سماء علاكم تحوم، لا زلتم كما شئتم، ولأعلى المراتب بلغتم، بجاه جدّكم الأمين، وأصحابه أجمعين.

وكتب إليّ بعد القدوم من دار السلطنة لدمشق في أواخر سنة ثمان وتسعين ومائة وألف بقوله:

حنـانيـك دعنـي يـا عـذولـي ومقصـدي فلسـتُ وإنْ حـاولـت نصحـاً بمـرشـدي
ولـو قنعـت أيـديـك وجـه هـدايتـي بمبـرق آيـات لـديـك ومـرعـد
لمـا كـان منـي غيـر مـا كنـت عـالمـا بجهـل وهـل بـالجهـل يـدرك مقصـدي
فكـفّ عـن اللّـوم الـذي قـد ألفتـه وفـك عـرى العـزم الـذي فيـه تـرتـدي
ولـذ بمـن انقـادت لـه نجـب الهنـا بمقـدمـه وانجـاب غيـم التفنّـد
إمـام لـه منـه عليـه شـواهـد ولا خلـف بيـن اثنيـن فيـه بمشهـد
يـؤمّ محـاريـب الهـدى وإن اقتفـى ففـي أثـره فـي مهمـه الغـي تهتـدي
إذا لاح معنـى مـن سمـاء علـومـه معـارج أو راق بـأغصـان سـؤدد
لئـن نشـرت شمـس المعـارف بـردهـا عليـه طـوتـه نـاسمـات التـودّد
فإن غمّ عنك الأمر فاسئل عن الذي تفـرّدَ بـالأيـدي وشـورك بـاليـدِ
هنـاك تـرى ثـوب المـراد مطـرّزا بـاسـم خليـل فـي مسمّـى محمـد
فـولّ لـه وجهـاً بـوجـه ضـراعـة وسل عنه لا عن حارث الدهر في غد
فتبـدي لـك الأيـام مـا كنـت جـاهـلا ويـأتيـك بـالأخبـار مـن لـم تـزوّدِ

نور حدقة الدهر، ونور حديقة العصر، من خطت في صحف الدفاتر أخباره، فقرأتها بعيني وأنا جاره، فهو إنْ كان درّ معارفه في صدف هذه الأوقات يتيم، لكنّه عن درّ حقائقها غير فطيم، كيف وهو إمام معارف به يقتدي، في جامع عوارف بها يهتدي، لا برحت زواهر

الجاهر تستخرج من بحوره، وصدور الطروس تتحلى بقلائد سطوره، تنجلي تيجان التهاني والبشر، بمقدم المقدم في المبتدا قبل الخبر، فقد جليت عليّ عرائس عافية كانت عليّ عابسة، وخلعت عني ثوب سقام كنت لابسة، لا برحت عيون العيون له ناظرة، بوجوه بشر ناضرة، يستضيء بها هذا الداعي في دياجي البؤس، ويستقي من صافي الكؤوس، ويؤمل من عالي الجناب، تقرير ما هو الصواب على السؤال والجواب، المرسل داخل الكتاب، وإمضاءه مع الختم، لأننا عورضنا من غير دليل، يركن إليه قلب النبيل، وكنا كتبنا له أبيات، نسأله عن الفرق بالدليل والبيّنات، فأجاب بقال وقيل، فلا تبيان ولا دليل، فعرفنا أمره، وقبلنا عذره، ولكن الأمر إليكم بذلك، لتنوير سبيله والمسالك، لا زلتم ملحوظين بعين العناية والسلام.

وكتب إليّ من طرابلس الشام جواباً عن كتاب كتبته إليه أعاتبه على انقطاع المراسلة: كاتبني سيدي الوقور، فصرتُ مكاتباً برق منشور، بعد أن صيّرني في شكره أسير، فلم أقدر من قيده أنْ أسير، وأبرز لي أبكار معاني، على منصّة مباني، في مداركها قصور، حيث كانت حورها في قصور، فأرتني كيف انقياد الفقر، لأولي البصيرة والبصر، ومدّت لي من فصاحتها رواقاً، وشدّت عليّ من بلاغتها نطاقاً، وجمعت ما بغيرها تفرّق، ومزّقت شمل المضاهي كل ممزق، كيف وقد ظهرت في تعاليها، خرائد ألفاظها وفرائد معانيها، معطرة بطيب الأنفاس، متسربلة ببردى المطابقة والاقتباس، لا زال سائراً بذكرها أرباب اللّسن في المسايرة، واقفاً دون اشتهارها الأمثال السائرة، هذا وإنّ العجز أقعدني عن الجواب، والقصور أوقفني في الأعتاب، غير أنّ هذا الحقير الذليل، يعرض بين يدي المولى الجليل، بناتِ فكر عليل، يروم لراحته التقبيل.

مُذْ سهم حبّي قد أصاب وماسا ... ناديتُ صحبي قد أصاب وماسا
لو صيغ لي درر المديح قلائدا ... لوجدتُ لفظ هجا خليلي ماسا

ثم تطفلت على باب البيت المعمور، في الرق المنشور، بالباسه مرط تشطير، محاكاة للنظير.

وكنتُ أظن أنّ جبال رضوى ... تحولُ ولا تفوه بما تقولُ
لظنّي بل لعلمي أنّ نفسي ... تزولُ وإنّ ودّكَ لا يزول

على أني بعد تسليم الدعوى، كنت منتظراً ما أشار إليه المولى، من ذكر تاريخ المواليد كالوفاة، على منوال ما كتبه المولى وارتضاه، وقد عز عليّ بذكر النظير، فكان سبباً للتأخير، فنرجو لاعتذارنا القبول، كما هو في جناب المولى مأمول والدعاء له مبذول، ومني على تلك الطلعة أشرف تحية والسلام، ما ناح قمريّ وغنّى حمام.

وكتب إليّ: عنوان كتاب الدهر، في غرّة وجه العصر، الجاذب بأيادي لطفه عنان

الأفئدة، والكاشف بمبادي عرفه عن كل مشكل عقده، من تزاحمت على حسن منظره وفود الأبصار، وتلاطمت من فيض مخبره متون البحار، وامتلأت حقاق الآذان من حسن سيرته، وصحاف صدور الأقران من صدر شريعته، حيث آثاره تشوّق الأسماع إلى فواكه آدابها في طرسها، وتحقيقاته تسعى لها أقلام الفتاوى على رأسها، فلا غرو إنْ أضحت رياض المعالي لها مقيلاً، وأمست غرر المعاني له خليلاً، لا برح متسربلاً بثياب جدّه، التي ورثها عن أبيه وجدّه، هذا وإنَّ هذا الداعي القديم، الذي هو على وظيفته مقيم، يهدي لعالي جنابكم زكي سلام، تخضلُّ به تربة ذلة محب مستهام، متّزر على جسم هواه، بمئزر شوق قد ألحم به سداه، جنّ ليله فعسعس، وكاد صبحه أن لا يتنفس، حتى انجلى من حندس ليله ما دجى، وجرد مسحاً كان بالهموم مضرجا، مولانا السيد أحمد أفندي البربير، ذي القدر الكبير، فإنّه حين شرّف الديار الطرابلسية ابتسم لمحياه ثغرها، وهطلت على أرجائها سحب سانحاته فللّه درّها، تحلّى الذوق بشهد آدابه، وتزيّن الفكر بفرائد خطابه، وعندما قرّت العيون بوروده، وهيجنا ساجع بانه وزروده، وجه وجه توجّهه تلقاء مدين المآرب والمفاخر، وأرِث المجد كابراً عن كابر، يتشرّف برؤياه، ويتضمخ بعطر رباه، فحرّك خاطري الخاطر، وأسال دمعي الماطر، ولولا أنّني كبنيان أشرف على الخراب، أو كعظام في جراب، ليمّمت صعيد ذلك النادي وتروّحت بنشره، وتشرّفت بلقياه في سروره وبشره، لكنّ الأقدار تمنع عن الاقتدار، فلا زلتم تقطفون ثمرات المنى، ولا برحتم قائلين تحت ظلّ الهنا، ملحوظين بعين العناية على الدوام، محفوظين بحفظ الله تعالى الحفيظ والسلام.

وكتب إليَّ أيضاً:

حبّة الحب تحت طرف غضيض	توقع الصب في الطويل العريضِ
فتصيدُ الألباب من جوّ أحشا	ء ذوي النسك والنّهي بالقريض
صيد أيدي المراد لب مريد	أقعدته الآمال تحت الحضيض
يا لقومي ويا لأمثال قومي	من فتاة أودت بحال الجريض
عزَّ منها لعزّه كبرياء	ألبس الخاطبين ثوب المضيض
لو تراءت لودّت الشمس أنْ تر	خي سحاب الحيا بطرف غضيض
كيف حالي ولم تبح عقد سر	عقدته إلاّ بروض أريض
عند مفتي الأنام من خاض بحرا	حازَ منه ماء الحياة الغضيض
مدّ منه موائد النظم والنّ	ـثر ليقري الأسماع دوّ القريض
ظنَّ أنّي أهلٌ لردِّ جواب	فغدا خاطباً لنظمي الرضيض
ودعاني لمهر مثل وفي الأمْ	ـثال حال الجريض دون القريض
مَنْ لمثلي صداق مثلٍ وهل شمْ	ـسٌ يباري علياؤها بالنهوض
أو لقس نطقَ بذات نطاق	يحكُّ ما حاكه بوشي قريض

مــن معــان كــأنجــم ســابحــات ... فــي بــروج الألفــاظ عنــد العــروض
فتكلفــت فــي محــاكــاة مــا قــد ... صــاغــه فــي العقــود مــخّ البعــوض
إذ رآنـــي أهـــلاً لهـــذا ولكـــن ... أمــر ذي الأمــر عنــدنــا كــالفــروض
لا تـــزال السعـــود تخـــدم عليـــا ... ه وتلقـــي حســـوده فـــي الحضيـــض
خـــافقـــات أعـــلام مجـــد تـــولاّ ... ه علـــى رأس وامـــق وبغيـــض
مـــا تغنّـــت ورق المـــدائـــح تشـــدو ... فـــوق أوراق غصـــن حمـــد غضيـــض
أو لـــذوق المعـــانـــي مـــن فيـــه تبـــدو ... ســـانحـــات تفتّحـــت مـــن غمـــوض

خدمت بهذه القصيدة صدر الموالي، وكنت عزمتُ أنْ لا أفضحَ بها حالي، حيث خبطت بها خبط عشوا، وأدليتُ في جفر أسراره دلواً، لكنْ ظننت بجنابه عفواً، لا زال للمعاني صنوا، بحرمة جدّه الأمين، وآله وصحابته الأكرمين، فلك نجوم الموالي، بمطلع شمس المعالي، ذي الفخار الذي لا ترد على آياته نواسخ، والوقار الذي تنزل عنده الراسيات الشوامخ، الطيب النشر من الأب والجدّ، العابق عرفه بأزهار الجدّ، كيف ورياض تقريره تقطف منها شقائق النعمان، وموائد تحريره تمدّ إليها يد العرفان، كأنّ محاسن ثمرات معارفه النفائس، مع أزهار غصون عوارفه الموائس، نواهد لم يقطف جناهن لامس، تراعيها عيون نواعس، فاهت بذلك أفواه المسامع وقرّت اللّحاظ، كما فاهت وأقرّت لقس بن ساعدة الأيادي وفود عكاظ، لا زال ساعده بالأيادي بادي، وطيور المعاني في نيل مجراه بطاناً تنادي، حيّ عنّي المراد في كل نادى، في فيافي فناء فيء المرادي، فتفيّانا بظلّه، وروينا من وابله وطلّه، حين مَنّ علينا برقيق المكاتبة، وجاد علينا بلطيف المؤانسة والمصاحبة، ففزنا منه بأوفى نصيب، من كل معنى غريب، يحكي بياض طرسه تحت سواد مداد أمداده، أوائل فجر صادق يزجي سحاب السودد بسواده، حيث تحلّى بحلل سوابغ، من وشي كلماته النوابغ، وجنينا من رياض عباراته ثمرات نفائس، تتفكّه بها صدور المجالس، تجلّى بأيدي أبكار أفكار أوانس، عليها من وشي العتاب ملابس، من سندس فصاحه، وعبقري ملاحه، يمازجان القلوب، بحسن أسلوب، فأوجمت وجمة مرتاب، وحاك طرّة صبح فؤادي على أنواله المهولة، فكأنني الآن بنيان أشرف على خراب، غير أنّي أتروّح بعطر الثناء عليك مع الأحباب، وأترنّح بنسمات الصحة عن ذلك الجناب، لا زال محفوظاً من جميع الآلام، ملحوظاً بعين العناية والسلام.

وكتب إليّ بعد وصول كتاب منّي إليه:

مَــنْ عــذيــري والعــاذلــون ألــوفُ ... وفــؤادي إلــى التصــابــي ألــوفُ
مـــن فتـــاة أودتْ بحـــال معنـــى ... قــد دهــاه مــن الــزّمــان صــروف
زيّنتهـــا ديبـــاجتـــا وجنـــات ... لــم تحكهــا معــاصــم وكفــوف
قــد خلعــت العــذار مُــذْ لبســت حــ ... ــلّــة حســن للشمــس منهــا كســوف

ملكت مهجتي ولم يخف ما بي ... ستــر حـالـي بحبّهـا مكشـوف
حيي السّهد في جفوني ومات النّو ... م والغسل دمع عيني الـوكـوف
وتـوالـى علـيّ مـا لـو تـوالـى ... بـالـرواسي ماجت بهنّ الكهوف
أســرتنـي ولاتَ حيـن منـاص ... وسبتنـي وسـاعـدي مكتـوف
قيّـدت مهجتي بـإطـلاق دمعي ... فلقيـد الفـؤاد دمعـي ذروف
لـو نهـانـي النّهي لكنتُ خليـا ... مـن غـرام فيـه العـذاب صنـوف
قـد دعـانـي الهـوى للثـم لثـام ... كنـتُ أسعـى لـه وكنـت أطـوف
حيـث إنَّ الأحشـاء تهفـوا لمـا يلـ ... ـقـاه حـالـي المنكـر المعـروف
ورأيـتُ الـوصـال عـزّ ولـم أسْـ ... ـطيـعُ صبـراً والمـرجفـون ألـوف
فتـولـت كبـراً وقـد عيـلَ صبـري ... وتعـالـت ففـاحَ منهـا الخلـوف
ثـم قـالـت إنّـي لمثلـك أمـر ... مـن سنـا بـرقـه تسـلُّ سيـوف
دقّ عـن ذوقـه عقـولٌ وقـد تـا ... ه بمسـراه الفـاضـل الفيلسـوف
كـم رجـالٍ تعـرّضـوا ليـروا بـر ... قـع وجهـي وطـرفهـم مطـروف
فعمـوا مـن جهـالـة وتـولّـوا ... وسبيـل الهـدى لهـم مكشـوف
قلـتُ مـاذا الفخـارُ والعجـب منهـا ... وأخـو العجـبِ بـدرّه مخسـوف
قيـل هـذا بعـضٌ ونـزرٌ يسيـر ... مـن مـزايـا يكـلّ عنهـا الـوصـوف
كيـف لا وهـي بنـت فكـر إمـام ... قـدّمتـه يـد العلـى لا السيـوف
ذي المعالي فخر الموالي خليل الـ ... ـمَجْـد فيهـم محمّـد معـروف
مهـد الله فـي المهـاد لـه رتـ ... ـبـة فضـل يـؤمّهـا الملهـوف
لا بسعـيٍ قـد نـال مـا نـالـه بـل ... قـد حبّـاه بـه الكـريـم الـرؤوف
وعليـه مـن الجمـال رداء ... ذو جـلال حـلا بـه معـروف
لا بـأيـدي صنعـاء حيـكَ ولـم يلـ ... ـحـم سـداه ليحكـي منـه صنـوف
بـل عطـايـا مـن المهيمـن جلـت ... فـي ريـاض ظـلالهـا المعـروف
فهـي حقّـاً إلـى المـراد بهـا لا ... لمـريـد لـه عليهـا عكـوف
فهنيـاً لـه بـذوق معـان ... روّقتهـا يـد العلـى لا الحـروف
تمتطـي هـامـة المجـرّة فخـرا ... حبّـذا الفخـر إذْ تـراه ينـوف
لا تـزال السعـود فـي جـوّ عليـا ... ه صفـوفـاً تـأوي إليهـا الصفـوف
مـا نسيـم الصبـا يحـرّك غصنـا ... وعليـه طيـر الهنـاء هتـوف

ومن فوائد صاحب الترجمة ما أخبر به قال: كنتُ غير مرّة أسمع المباحثة في خصوص أبوي النبي الأكرم، صلى الله تعالى عليه وسلم، وما قاله عليّ القاري في رسالته الشهيرة، قال فخطر لي بيتان في الحال وهما:

أمُّ النّبـــــيّ آمنــــــه   مــن حــرض نــارِالآخِــرَهْ
أحيــاهـــا بعــد مــوتهــا   فــأمنــت فـــي الآخـــره

وقد أشار بالتورية إلى دعائه لها ﷺ في الإسلام في المرّة الآخرة، قال فرأيت في المنام آمنة وهي متّزرة ببرد، فقالت له: اتخذني يا ولدي لمضائقك، وهذا دليل على موتها مسلمة ونجاتها رضي الله عنها وكانت وفاته سنة...........[1].

يوسف الصباغ الموصلي:

٧٥٨ ـ **يوسف الصباغ الموصلي الشيخ الصالح التقيّ**: له خيرات وافرة، وصدقات متكاثرة، ورغبة في أهل الصلاح، والخير والبركة، وله عبادات وأذكار واشتغالات بكل خير، وقد حفظ القرآن العظيم، ولا يفترّ عن التلاوة، وبالجملة فإنَّ فيه بركة وصلاحاً، وكانت وفاته في آخر هذا القرن عن أكثر من سبعين سنة رحمه الله تعالى.

يوسف الكاتب الموصلي:

٧٥٩ ـ **يوسف الكاتب الموصلي**: كاتب ديوان الإنشاء بحضرة الوزير حسين باشا الجليلي، الأديب الفاضل الألمعي، تفرّد فضلاً، ومعرفة وكمالاً، وحسباً ونسباً، وأبرز معرفة واطلاعاً على دقائق الأشعار، وأسرار المنظومات ولطائف الآثار، وله في صناعة الأدب الحظ الأوفر، والكمال الأتم الأزهر، وله في الكرم قدم راسخ، وطود شامخ، دخل حلب مع مخدومه الوزير حسين باشا السابق ذكره، ودار معه الأمصار، وسلك الأوعار، فكان كما قيل:

يوماً بحزوي ويوماً بالعقيق وبالـ   ـعذيب يوماً ويوماً بالخليصاء

وكان حسن الآراء والأقوال والأفعال، وكانت ولادته سنة تسع عشرة ومائة وألف، ووفاته في آخر هذا القرن بالموصل رحمه الله تعالى.

يوسف العطار:

٧٦٠ ـ **يوسف العطّار بن عبدالله الحلبي الشافعي، الشهير بالعطّار، الشيخ الفاضل الصالح الأوحد الفقيه**: كان خطيباً بجامع البهرامية بحلب، فقيهاً ماهراً بالعربية والحديث، وأحسن ما عنده الفقه والفرائض، أخذ عن العلامة إبراهيم البخشي، ومصطفى الخسرف جاوي، والشيخ جابر، والعلامة محمد الكردي الزعفراني، وأبي السعود الكواكبي وغيرهم، وكان وضيء الوجه، نير الشيبة، وكان قد ترك العطّارة، ولازم النسخ مع الإفادة والاستفادة، وكان مولده سنة أربع وتسعين وألف، وتوفي سنة ستين ومائة وألف بتقديم السين، ودفن بالقرب من قبر الشيخ اللّطيفي رحمه الله تعالى.

---

(١) بياض في الأصل.

يوسف النقيب الحلبي:

٧٦١ ـ يوسف النقيب الحلبي بن حسين بن........[١] السيد الشريف الحسيني الحنفي الدمشقي نزيل حلب، المفتي والنقيب بها، الإمام العالم العلامة الفقيه الأديب الفاضل المتفوّق المحدّث البارع المسند الناظم الناثر أبو المحاسن جمال الدين: ولد بدمشق سنة ثلاث وسبعين وألف ونشأ بها، وقرأ على جماعة من أفاضلها، وأخذ عنهم، كالشهاب أحمد بن محمد الصفدي إمام جامع درويش باشا، والشيخ عبد القادر العمري، وأبي المواهب الحنبلي، وإبراهيم بن منصور الفتّال، وعبد الرحيم الكابلي، والشيخ إسماعيل الحائك، والأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي، والشهاب أحمد المهمنداري، والشيخ عثمان بن محمود القطّان، وعبد الجليل العمري وغيرهم، وارتحل للروم، وإلى حلب مرات، وأخذ بها عن الشيخ موسى الرامحداني، وعن زين الدين بن عبد اللطيف أمين الفتوى وغيرهما، وترجمه الأمين المحبّي في ذيل نفحته، فقال في وصفه: نبيهٌ فاق من مهده، وأعهده يتزايد نبلاً وأنا الآن على عهده، فحبّي جميعه على حسن أدبه مقصور، وبقلبي منه شغل شاغل عن قاصرات القصور، وهو أخٌ جمعت فيه المروءة والنّخوة، وأراه أحسن من آخيت ولا بدع فيوسف أحسن الأخوة، وقد مضت لي معه أوقات وقيت كل صرف، وكأنها خطوة طيف أو لمحة طرف، وقد أمتعني من بنات فكره، بذخائر توجب في الطروس تخليد ذكره، أتيتك منها بما يقضي له بلطف البداهة، ويحكم له بالبراعة المتمكنة من مفاصل النباهة، فمن ذلك قوله في العذار:

كـأنمـا نـار خـدّ زان رونقـه ... لا ما عدا رجنيّ قد جنى حيني
لاحت فـأنسها في ليل عـارضه ... موسى فخط بماء المسك خطينِ
وحين ظـنَّ أبـو العبـاس مبسمه ... مـاء الحيـاة أتـى يسعى بـلامين

وقوله مخاطباً بعض الموالي في مجلسه:

بـأبـي مـن ضمَّنـا مجلسـه ... فـاجتنينـا منـه أنـواع التّحـفِ
فـاضـل صيـغ مـن التـوفيـق إذْ ... صيغـت النـاس جميعـاً مـن نطـف

وقوله في تشبيه الجلنّار:

بـاكـر لـروضـة أنـس ... مـن حـولهـا المـاء يجـري
والجلنّـار تبـدّى ... علـى معـاصـم خضـر
كـأكـؤوس مـن عقيـق ... فيهـا قـراضـة تبـر

وقوله:

وحـديقـةٌ ينسـاب فيهـا جـدول ... مـن حـولـه تختـال غـزلان النقـا

---

(١) بياض في الأصل.

مـن كـل أهيـف إنْ رمتـك لحـاظـه ... بسهـامهـا إيّـاك تطمـع فـي البقـا
ومعـذرٌ مـا أظلمـت فـي وجهـه ... شعـرات ذاك الصـدغ إلاّ أشـرقـا
خـالستـه نظـراً فقطـب مغضبـا ... وغـدا يـرنّـح منـه عطفـاً مـورقـا
فكـأنّ نبـت عـذاره فـي خـدّه ... شحـرور ورد فـي الـريـاض إذا رقـا

وقوله في فوّارة:

لله مـا أبصـرت فـوّارة ... أعيـذهـا مـن نظـرة صـائبـه
كـأنّهـا فـي الـروض لمّـا جـرت ... سبيكـة مـن فضـة ذائبـه

وقوله من نبوية مطلعها:

جـاءَ فصـل الـرّبيـع والصيـف دانـي ... حيـث بتنـا مـن الجفـا فـي أمـانِ
فـي ريـاض إذا بكـى الغيـث فيهـا ... قهقهـت بـالمـدام منـه القنـانـي
وثغـورُ الأقـاح تبّسـم عجبـا ... حيـن يشـدو فـي الـروض عـزف القيـان
حيـث سجـع الطيـور سجـع خطيـب ... قـد رقـى معلنـاً علـى الأغصـان
وكـأنّ الغصـون قـامـات غيـد ... حيـن مـاسـت حـورٌ لـدى الـولـدان
فـأدرهـا فـي جـامـد مـن لجيـن ... حيـث أضحـت كـذائـب العقيـان
مـن يـدي شـادن اغـن ربيـب ... نـاعـس الطـرف فـاتـر الأجفـان
نـاعـم الخـدّ أهيـفَ القـدّ أحـوى ... ذي قـوام كـأنـه غصـن بـان
نـرجسـيُّ اللّحـاظ ورديُّ خـدّ ... جـوهـري الألفـاظ ذي تبيـان
فتمتّـع مـن حسنـه بمعـان ... مطـربـات تنسيـك جـور الـزمـان
وتـأمّـل إلـى صحيفـة خـدّيْـ ... ـه بعيـن الإنصـاف والعـرفـان

منها:

يـا شفيـعَ الأنـام كـنْ لـي شفيعـا ... يـوم نصـب الصـراط والميـزانِ
إنّنـي أشتكـي إليـك ذنـوبـا ... مثقـلات وحملهـا قـد دهـانـي
مَـنْ لمثلـي عـاصٍ كثيـر الخطـايـا ... زاده الفقـر عـاجـز متـوانـي
فعليـك الصـلاة فـي كـل وقـت ... مـع سـلام يفـوق عـرف الجنـان

وقوله من قصيدة:

لـي فـؤادٌ فـي الحـبّ أمسـى مشـوقـا ... لـم يـزل فـي هـوى الحِسَـان ملـوقـا
خـافـقٌ تستفـزّه لحظـات ... مـزّقتـه بسحـرهـا تمـزيقـا
راشقـاتٌ مـن هـدبهـا بسهـام ... صـائبـاتٌ لـم تخـط قلبـاً حـريقـا
لسـتُ أنسـى حيـن الـوداع عنـاء ... حيـث جـدّ الـرّحيـل والـركـب سيقـا
إذ بكـى للفـراق خِلّـي فـأضحـى ... نـاظـر اللّحـظ بـالـدّمـوع غـريقـا

ورمى لؤلؤاً على الخدّ رطبا ... فاستحال الياقوتُ منه عقيقا
وانثنى للعناق يعطف قدّا ... هل رأيتم غصن الرياض عنيقا
رشق القلب وانثنى بقوام ... لا عَدِمْنا ذاك القوامَ الرشيقا
بأبي ثم بي غزالاً ربيبا ... فوّق اللّحظ للحشا تفويقا
ماسَ غصناً لدنا وهزَّ قواما ... وتبدّى ظبياً وأسكر ريقا
ورنا ساحراً وصال مليكا ... وحوى مبسماً يقلّ بريقا
يا لقومي ويا لقومي أما آ ... ن صريع اللّحاظ أن يستفيقا
صاح شمّر عن ساعد الجدّ واسمع ... وأدر من كؤوس نصحي رحيقا
واطرح ذكر زينب ورباب ... واخلعنْ للوقارِ ثوباً خليقا
لا تؤمل من جاهل بك نفعا ... تلقَ ضدّ الذي تروم حقيقا
قد خبرنا الجهول فيما علمنا ... فرأيناه قد أضلّ الطريقا
رام نفعاً فضرّ من غير قصد ... ومن البرّ ما يكون عقوقا

وله من أخرى مستهلها:

أقضيبٌ بان حركته شمول ... أمْ قدّك المعشوق راح يميلُ؟
وشقيق روض قد علاه سوسن ... أمْ خدّك المتورد المصقول؟
ودخان ند قد أحاط بوجنة ... أمْ ذاك مسكٌ في الخدود يسيل؟
وشبا سيوف أمْ عيون جآذر ... رمقت تحاول فتكنا وتصول؟
وعبير طيب فاح ينفح طيبه ... أمْ ثغرك المتبلّج المعسول؟
وسقيط طلّ أم لآل نظمت ... فتخاله عرق الجبين يجول؟
وعقارب بزبانها تومي لنا ... أمْ ذاك خال الخدّ أمْ تخييل؟
وظلام ليل ما ترى أمْ طرّة ... هل لي إلى إدراك ذاك سبيلُ؟
قد خلتُ مُذْ ليلُ الغدائر قد بدا ... أنْ ليس للصبح المنيرِ وصولُ
لكن بلال الخال أشعر أنه ... ضوء الجبين على الصباح دليل
فانهض إلى حثو الكؤوس أخا الهوى ... في روض أنس والنسيم عليل
وافتض بكر مدامة واستجلها ... فلها إذا افتضت دم مطلول
كمذاب ياقوت بجامد فضة ... في لحظ ساقيها الصبيح ذبول
حمراً إذا ما قام يترع كأسها ... عنجُ اللّواحظ طرفه مكحول
خلتُ المدام ووجهه لما بدا ... شمساً وبدراً ما اعتراه أفول
وظننتُ كأس الراح في يده غدا ... كهلال يوم الشك وهو ضئيل
لم أدرِ هل خضبت بأحمر خدّه ... أمْ خدّه من كأسها مطلول
فاشربهما صرفاً فذلك شربه ... رشف وهذا شربه التقبيل

واغنم فدتك الروح أيام الصبا ... واللّهو إنّ زمانهنّ قليل
وتلاف أيامَ الرّبيع ووردِه ... فعليه من درّ الندى إكليل
فالروضُ معطار الأزاهر يانع ... والغصنُ يرقصُ والهزار يقول
والدفُّ يعزفُ والنسيمُ مشبب ... والعودُ يشدو والسحاب مطول

وله غير ذلك من الأشعار والنظام والنثار، وألف ثبتاً حافلاً جامعاً لشيوخه، وإجازاته، وصار له جاه واشتهار ودلة، وصار نقيباً ومفتياً بحلب، ودرّس بالحجازية والأسدية بها، واشتهر بالفضل والذكاء والنبل، وأخذ عنه جماعة من الفضلاء، وكانت وفاته بحلب سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف، ودفن بها عن ثمانين سنة رحمه الله تعالى.

يوسف أفندي النابي:

٧٦٢ ـ يوسف أفندي النابي، الرهاوي الأصل، الحنفي نزيل قسطنطينية: وأحد خواجكان الدولة ورؤسائها المشهورين بالمعارف والأدب، الأديب الشاعر الناظم الناثر المشهور، فمن شعره العربي قوله مضمناً:

لنا حبيبٌ له في كلّ جارحة ... مني جراح بسيف اللّحظ والمَقَلِ
تقولُ وجنته من تحت شامته ... لي أسوة بانحطاط الشمس عن زُحَلِ

وله غير ذلك، وكانت وفاته بقسطنطينية سنة أربع وعشرين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

يوسف رئيس الأطباء:

٧٦٣ ـ يوسف رئيس الأطباء بن محمد بن يوسف، الطرابلسي الأصل، الدمشقي رئيس الأطباء بدمشق: كان يلقّب بابقراط، وكان ماهراً في الطب والعلاجات ومعرفة الداء والدواء، وله مشاركة في بقية العلوم وإطلاع، وهو جدّ يوسف آغا الحكيم، وكانت وفاة المترجم يوم السبت خامس عشري محرّم سنة خمس ومائة وألف بدمشق رحمه الله تعالى ورحم المسلمين أجمعين.

يوسف باشا:

٧٦٤ ـ يوسف باشا الشهير بالطويل، الوزير الكبير كافل دمشق وأمير الحاج الشامي: كان وزيراً كبيراً محبّاً للعلماء والصالحين، له الميل الزائد إلى أهل الصلاح والدين، تمرّض بدمشق في قاعة ابن قرنق في صالحية دمشق، وتوفي نهار الأربعاء سادس عشر شعبان سنة ثمان وعشرين ومائة وألف، وصَلّى عليه في السليمية الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي قدّس الله سره، ودفن بالمقبرة المجاورة لمدفن الأستاذ الشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن عربي المعروفة بمقبرة بني الزكي، وعمل على قبره تحجير ولوح، فيه تاريخ لوفاته من نظم الأستاذ النابلسي المذكور وهو قوله:

مـــاتَ فـــي الشـــام حـــاكـــمٌ   قـــدره فـــي الـــورى كبيـــرُ
جـــــاءَ تـــــاريخنـــــا لـــــه   بيـــت شعـــر لـــه قصيـــر
رحـــــــمَ الله محبّنـــــــا   يـــوســـف بـــاش الـــوزيـــر
١٠١ ٦٦ ٢٤٨   ١٥٦ ٣٠٣ ٢٥٤   سنة ١١٢٨

يوسف الصباغ:

٧٦٥ ـ **يوسف الصبّاغ الموصلي الشافعي**: الشيخ الصالح التقي له خيرات وافرة، وصدقات متكاثرة، ورغبة في أهل الصلاح والخير والبركة، وله عبادات وأذكار، وكان لا يفتر عن تلاوة القرآن العظيم حفظاً عن ظهر قلب ليلاً ونهاراً، وعنده من الخشوع الجانب العظيم، وكانت وفاته في أواخر هذا القرن رحمه الله تعالى.

يونس:

٧٦٦ ـ **يونس أسياله الشهير، بأسياله الموصلي، الرفاعي الطريقة شيخ السجادة الرفاعية بالموصل**: كان صاحب أذكار وعبادات وآثار محمودة، وله من التلامذة جماعة كثيرون كلّهم عيال عليه، والناس تشهق بولايته، وتحدّث بكراماته، أخذ الطريقة الرفاعية عن سادات البصرة، فسرت فيه بركتهم، وأثر فيه صلاحهم، فتعمّر فضلاً وكمالاً وانقطاعاً وزهداً وصلاحاً، وكانت وفاته بالموصل سنة ستين ومائة وألف، ودفن بها وقد جاوز المائة سنة من عمره، وذريته الآن على طريقته الرفاعية يتبرك بهم رحمه الله تعالى.

الشيخ يونس المصري:

٧٦٧ ـ **الشيخ يونس المصري بن أحمد المحلي الأزهري الكفراوي الشافعي نزيل دمشق ومدرس الحديث بها، الإمام العالم الفقيه المتبّحر أعجوبة الدهر في قوّة الحافظة وطلاقة العبارة والاستحضار التام في الفقه وغيره**: ترجمه الشمس محمد بن عبد الرحمن الغزي العامري في ثبته المسمّى لطائف المنّة، فقال: وُلِدَ كما أخبرنا به من لفظه في ذي الحجة سنة تسع وعشرين وألف بالمحلّة الكبرى من إقليم مصر ونشأ بها، وأخذ علم التفسير والحديث والفقه عن جماعة من علماء بلده، منهم الشيخ علي مفتيها المعروف عندهم بابن الأقرع، ومنهم الشيخ حسن البدوي، والشيخ عبد المجيد بن المزين، والشيخ رمضان، والشيخ علي النحريري، وهؤلاء أخذوا عن الشيخ علي الحلبي صاحب السيرة النبوية، والشيخ عبد الرحمن الدميري، والشيخ أحمد تلميذ الشيخ علي الشبراملسي، ثم ارتحل المترجم إلى مصر، وأقبل على الاشتغال بالعلوم وحضور دروس علماء الجامع الأزهر، فأخذ عن جماعة من الأجلّاء، منهم الشمس محمد الشوبري الشافعي، تلميذ الشمس الرملي، وابن قاسم، والنور علي الزيادي، ومنهم الشيخ علي الأجهوري المالكي، والشيخ جلال الدين البكري، والشيخ منصور الطوخي، والشيخ عبد السلام اللّقاني، والشيخ

حسن الشرنبلالي الحنفي، والشيخ إبراهيم الميموني، والشهاب أحمد القليوبي، والشمس محمد بن علاء الدين البابلي، والشيخ سلطان المزاحي، والشيخ محمد بن المرابط المغربي وغيرهم، ثم ارتحل إلى دمشق سنة سبعين وألف وأخذ عن جماعة من علمائها، منهم الشيخ إبراهيم الفتّال، والشيخ محمد أبو المواهب بن عبد الباقي الحنبلي، والشيخ محمد البلباني الصالحي، وأبو الفلاح عبد الحي بن العماد العكري الصالحي وغيرهم، وولي بدمشق تدريس بقعة الحديث بالجامع الشريف الأموي تحت قبته عن الشيخ علاء الدين الحصكفي المفتي سنة تسع وثمانين، فدرّس بها إلى حين موته، وسافر في هذه المدّة مرّتين إلى الديار الرومية، ودخل قسطنطينية وصار له بها إكرام وإقبال، وكان ينوبُ عنه في غيبته في التدريس المرقوم الشمس محمد بن علي الكاملي، انتهى.

وصار لصاحب الترجمة بدمشق جاه عريض، وحرمة وافرة، وأقبلت عليه الناس، وكان وجيهاً محترماً مقبول الشفاعة عند الحكام، صدّاعاً بالحق، يقول الحق ولا يبالي، مقداماً في الأمور، وألّف ثبتاً لذكر شيوخه ومروياته، وكانت وفاته في ذي الحجة سنة عشرين ومائة وألف، ودفن بتربة الباب الصغير بمقبرة سيدنا أوس بن أوس الثقفي، وقبره معروف يزار رحمه الله تعالى ومن مات من المسلمين أجمعين آمين.

قال مؤلّفه: وهذا غاية ما أردناه، ونهاية ما أوردناه، من نشر مآثر فضلاء هذا العصر، الجامعين لأصناف الفضائل على سبيل الحصر، والمرجو من العاثر على عثرة فيه، أو هفوة ظهرت من فيه، أن يسحب عليه ذيل العفو والإغضاء، ويغضّ عنه عين النقص حيث يبصره بعين الرضاء، والحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا محمد وآله وصحبه وأتباعه وأنصاره وحزبه دائماً أبداً سرمداً والحمد لله رب العالمين.

وجد في نسخة الأصل ما نصّه:

يقول محرّره: انتهى الكتابُ تحريراً، وتم بحمد الله تحبيراً، على يد فقير عفو ربه، وأسير وصمة ذنبه، الحقير عبد الحليم بن أحمد المعروف باللّوجي غفر الله له ذنوبه، وملأ بزلال الرضوان ذنوبه، وكان الفراغ من تحريره لختام شوّال سنة إحدى عشرة ومائتين وألف وذلك برسم صدر الموالي، وبهجة المعالي، وحسنة الأيام والليالي، كنز الفضل والأيادي، وكهف الحاضر والبادي، مفتي دمشق الشام السيد عبد الرحمن أفندي المرادي، أدام الله تعالى إسعاده، وأجراه من عوائد أنعامه على العادة، وبلغه من كل خير مطلوبه ومراده، بحرمة سيد المرسلين، وآله الطاهرين وصحبه الأكرمين، صلى الله تعالى وسلم عليه وعليهم أجمعين، هذا: ولما انتهى تقييد هذه الأخبار بسلاسل الأرقام، ووقفت عن الجولان في ميدان طروسها خيول الأقلام، عنَّ لي أن أقرّظه بكلمات، وأؤرّخه نظماً في ضمن أبيات، فقلت في ذلك:

أهـــذِه أزهـــارُ روض نضـــر   قـد عبقـت أمْ نشـر مسكٍ عطـرِ؟

أمْ العقــود نظمــت أســلاكهــا　　أمْ الغــواني جليت فـي الحبـر؟
أمْ الــدراري فــي ذرى أفــلاكهـا　　قــد سطعـت بمنظـر مـزدهـر؟
أمْ الكـؤوس قـد أديـرت بـالطـلا　　على النـدامي في شعـاع القمـر؟
أمْ هــذه أخبـار قـوم قـد مضـوا　　قـد تليـت مصـوغـة فـي فقـر؟
أتـت بمـا يعجـب كـل سـامـع　　لهـا ومـا يـروق كـل مبصـر
وخلـدت محـاسـن القـوم بهـا　　وأظهـرت عنهـم جميـل الأثـر
وأتحفـت أفكـار مـن ينظـرهـا　　بكــل مــروي عجيـب الخبـر
فيــا تـاريـخ حـوى مـآثـرا　　فــاحَ شـذاهـا كعبيـر الـزهـر
قــد قــال إذْ أرّخهــا متمــه　　لله مــا أجمــل سلــك الــدررِ

٤٨٥١　　٧٤ ٤١٦٥　　١١٠　　٤٣٥

سنة ١٢١١

فسحــب العفــو علــى منشئــه　　تهمــى بصــوب غــدق منهمــرِ
هــذا وقــد تــمّ بحمــد الله لــي　　تحـريـره إذْ كـان بـالنقـلِ حـري
بـرسـم كنـز الفضـل مفتـي جلّـق　　ركـن المعـالـي الأوحـد الشهـم السـري
ربّ الفخــار والــوقــار والعــلا　　حــاوي المـزايـا والسجـايـا الغـرر
أعنـي المـرادي عبـد رحمـن الـورى　　مـن قـد سمـا قـدراً سمـاء المشتـري
دامـت معـاليـه علـى طـول المـدى　　ممتعــاً فيهــا بطــول العمــر
تخطــبُ أقــلام الثنــا بــذكــره　　مــن كــف كـل مـادح فـي منبـر

فهرس محتويات

الجزء الرابع

مـــن

سلك الدرر

في أعيان القرن الثاني عشر

فهرس المحتويات

ـ حرف الفاء ـ

ـ حرف القاف ـ

ـ حرف الكاف ـ

ـ حرف اللام ـ

ـ حرف الميم ـ

ـ حرف النون ـ

ـ حرف الياء التحتيّة ـ

